

الدكتور بكران المكتور جسير كالتحكيون كلية دار العلوم . جامعة القاهدة

المُنْ الْمُنْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِّذِي اللَّهُ اللَّا الللَّا الللَّا اللَّا الللَّا الللَّا الللَّا اللللَّا الللَّا الللَّا الللَّا ال

الطبعة الأولى

197.

النقاشة متكتبة للمتنانج الجماطن النكتور هسن على هسن كلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة

العضسارة الاسلامية في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموهدين الحمد الله فاتحة كل خير وتمسام كل نعمة

محتسويات الكتساب

صفحة	
1	مقدمة :
٣	الثهيد الله الثهيد الله التهيد ال
17	الباب الأول : السلطة والإدارة
	الفصل الأول: التطور السياسي بالمغرب الأقصى من منتصف
۱۸	القرن الحامس الهجرى إلى نهاية السادس الهجرى
Y *	ـ عبد الله بن ياسين د
77	ـــ يوسف بن تاشفين
44	ــ على بن يوسف بن تاشفين
٤١	ــ تاشفين بن على ي
٤٣	ــ عوامل سقوط دولة المرابطين
٤٤	 جهود عبد المؤمن العسكرية
٤٦	ــ يوسف بن عبد المؤمن
٤٧	– المنصور الموحدى
29	ـــ الناصر الموحدى الناصر الموحدي
04	الفصل الثانى: السلطة العليا في البلاد
24	أ ــ الخــلافة
۳۰	(١) المرابطون والخلافة
٥٥	(٢) الموحدون والخلافة
٥٧	(٣) طريقة تولية يوسف بن تاشفين الحكم
77	(٤) طريقة تولية عبد المؤمن بن على الحكم
71	 (a) طريقة تولية أمراء المرابطين الحكم
٧٠	(٦) طريقة تولية خلفاء الموحدين الحكم
77	(٧) اختصاصا تولاة الأمر
٧٨	(٨) ألتاب ولاة اليممر

صفحا	
۸۱	(٩) ناثب حاكم المغرب الأقصى ،،، ،،، ،،، ،،،
٨٤	ب ــ ولایة العهد
٨٥	(١) طريقة تولية العهد
۸۸	(٢) اعداد ولى العهد لتحمل مسئولية الحكيم
٨٨	(٣) اسقاط ولاية العهد
9.34	ج ــ الوزارة
94	(١) المرحلة الأولى وتشمل عهد المرابطين
90	(٢) المرحلة الثانية وتشمل عهد الموحدين
1.1	(٣) اختصاصات الوزراء
1.4	(٤) نكبة بعض الوزراء
114	د ـــ المكتابة
114	(١) الكتَّاب ١٠٠
117	(٢) ثقافة الكتبَّاب ١٠٠٠
117	(٣) اختصاصات الكتَّاب
144	ه ـــ الحجابة
140	الفصل الثالث: النظام الإدارى
140	١ – أمراء الأقاليم ١٠٠٠
۱۲۸	أ ــ سياسة اختيار الولاة
144	ب ــ مؤهلات الولاة
44.5	جـــ طريقة تعيين الولاة
147	د ــ سلطة الولاة
181	هــ سياسة نقل الولاة ومعاقبتهم
120	٢ ــ الدواوين ٢
189	٣ — البريد ٣
104	٤ – الشرطة

صفحة	
107	الفصل الرابع: التنظيم القضائي
107	أ ــ القضاء أ ــ القضاء
104	١ — أنواع القضاة
17.	(٢) صفات القضاة
177	(٣) تعيين القضاة و٣)
174	(٤) طريَّقة التقاضيي ٤٠٠
170	(٥) اختصاصات القاضي
177	(٦٪) نقل القضاة وعزلهم
177	ب – المظالم
140	طريقة التقاضى أمام والى المظالم واختصاصه
171	جـــ الحسبة
141	الباب الثانى : الحياة الإقتصادية
۱۸٤	الفصل الأول : النظام المالى
١٨٤	. أولا: الإدارة المالية
۱۸٤	(١) الدواوين المالية
۱۸۲	(٢) المشتغلون بالشئون المالية
144	(٣) موعد جمع الأموال
19.	(٤) المناطق المالية
191	(٥) مراقبة ولاة الأمر للإدارة المالية
198	ثانياً : السياسة المالية ومصادر بيت المال
198	أ ـ السياسة المالية أ
190	ب مصادر الدخل المالي
190	١ – الحراج ١
144	٢ — الزكاة ٢
144	٣ – الجزية والضرائب ٣٠٠
4.4	٤ – الغنيمة ٤

صفحة	
7.7	ه ـ المصادرات م
4.4	وفرة الدخل المالى
4.4	ثالثاً : النفقات وتنوعها
4.9	(١) نفقات الجيش نفقات الجيش
410	(٢) المرتبات
YIA	(٣) نفقات البناء والتعمير
**	(٤) نفقات متنوعة
440	رابعاً : السكمة
777	أنواع السكة ووزنها
74.	خامساً : المكاييل والموازين
244	لفصل الثانى : الزراعة والصناعة
244	أ ـــ الزراعة أ ـــ الزراعة
747	(۱) عوامل إزدهار الزراعة
444	(٢) المحاصيل الزراعية
722	(٣) الفواكه الفواكه
YEA	(٤) الغابات (٤)
714	(٥) الثروة الحيوانية الثروة الحيوانية
404	(٦) الثروة السمكية
405	(٧) أزمات اقتصادية
404	ب ــ الصناعة ب
YOX	عوامل إزدهار الصناعة
777	المراكز الصناعية المراكز الصناعية
777	الفصل الثالث : التجارة الداخلية والخارجية
777	أ ـــ التجارة الداخلية التجارة الداخلية
777	## · - 3 · · · /
414	(٢) المراكز التجارية
474	(٣) الأسواق (٣)

صفحة	
440	ب ـــ التجارة الخارجية
777	(١) الطرق التجارية
444	(٢) الموانى التجارية
444	(٣) الصادرات والواردات
	(٤) العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى وجنوب
441	الصحراء الصحراء
445	(٥) العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى والأندلس
YAY	. (٦) العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى وأوربا
YAA	' ٧٠٠ علاقات المغرب الأقصى بالمشرق
191	الباب الثالث: الحياة الاجتماعية
747	الفصل الأول : عناصر تكوين المجتمع
797	ا ـــالبربر البربر
744	(١) البتر والبرانس
495	' (٢) قبائل صُهاجة ٢٠
499	(٣) المصامدة
4.4	ب ــ العرب ب
۲•۸	(١) العرب الهلالية في عهد المرابطين
4.4	(٢) العرب الهلالية في عهد الموحدين
۲۱۲	(٣/ آثار العرب الهلاليين فى المجتمع المغربي
444	ج ــ أجناس أخرى أجناس أخرى
444	(١) السودانيون ١٠٠
444	(٢) اله وم والصقالية
440	(٣) الغسز (٣)
441	عدد السكان عدد السكان

	صفحة	
	444	الفصل الثانى : طبقات المجتمع وطوائفه
	444	١ - الطبقة الحاكمة ١
	441	طبقة الطلبة طبقة الطلبة
	441	٢ ــ طبقة الفقهاء والعلماء
	441	الفقهاء والعلماء في الدولة المرابطية
	۳ ٣٨	الفقهاء والعلماء في دولة الموحدين
	484	المستوى المادى للفقهاء والعلماء
	454	طبقة القضاة طبقة القضاة
	454	٣ ــ أصحاب المهن ٢٠
	454	(١) التجار (١)
	457	(٢) الصناع (٢)
	454	(٣) أصحاب مهن متنوعة
	404	٤ – المرأة
•	404	المرأة في الدولة المرابطية
	400	المرأة في عهد الموحدين
	404	ثقافة المرأة تقافة المرأة
	40 ×	نفوذ المرأة نفوذ المرأة
	414	بعض الأعمال التي اشنغلت بها المرأة
	414	o _ أهل الذمة أهل الذمة
	478	أهل اللمة في عهد المرابطين
	" ገለ	أهل الذمة في عهد الموحدين
	474	الفصل الثالث : البناء والتعمير
	475	- طابع البناء
	۳۷۸	- الملن
	۳۷۸	مدينة مراكش مدينة

صفحا	
۳ ۸۳	ــ مدينة تاقررت أو تلمسان الحديثة
۳۸۳	أ ـــ مدينة تاودا ،"مدينة القصر
የ ለዩ	ـــ مدينة رباط الفتح
የ ለወ	ز ـ نظام المدن نظام المدن
444	ـــ المنازل والقصور المنازل والقصور
444	ـــ منشآت عسكرية
444	ـــ الحصون والقلاع
448	ـــ الأسوار الأسوار
447	ـــ منشآت عامة
447	ـــ المساجد المساجد
£ • •	ــ المدارس
1.1	— المستشفيا <i>ت</i> المستشفيات
2.4	ـــ الحمامات
٤٠٣	— الفنادق
٤٠٤	ـــ القناطر القناطر
2.7	الفصلِ الرابع : العادات والتقاليد
2.7	أُولًا : الأسرة أُولًا :
٤٠٩	ثانياً : الصحة تانياً :
113	_ وسائل العلاج
\$1\$	ثَالثاً : المجالس ثالثاً : المجالس
113	— مجالس الخلفاء
£ \Y	ــ مجال <i>س وعظ</i> جالس
£ \ V	_ مجالس غامة [.] عبالس
£11	رابعاً : الإحتفالات
£ \A	 الاحتفالات الدينية

صفحة	
173	ــ احتفالات عسكرية
640	ـــ احتفالات متنوعة
473	خامساً : وسائل التسلية
473	– المتشرْهات
٤٣٠	— الموسيقي والغناء
244	ـــ وسائل تسلية أخرى
244	سادساً: الطعام والشراب
٤ ٣٧	سايعاً: الملابس سايعاً
2 2 7	الفصل إلخامس: الحياة الفكرية
\$ \$ \$ \$	 عوامل إزدهار الحركة الفكرية
££Y	ـُــ المراكز الفكرية
६६९	أولا: الحياة الدينية
2 2 9	ُـــ الدعوة المرابطية
٤0٠	– إحراق كتب الإمام الغزالي
804	الدعوة الموحدية
٤٥٨	— معارك كلامية
£ 7.	تطور الدعوة الموحدية
274	مذهب الإمام مالكمذهب الإمام مالك
171	 المذهب المالكي في الدولة المرابطية
670	 المذهب المالكي في الدولة الموحدية
£ ጓለ	 التطبيق العملى لأحكام الدين
٤٧٣	— المرابطون ونشر الإسلام
477	المتصوفون بالمغرب
£ V 4	– الغيبيات والتبرك فى التفكير المغربي
٤٨٣	– العلوم الدينية والمؤلفات فيها
£ 1 4 1	علم التفسير علم التفسير

بسيم المرااح المرادية مقسس دمة

نالت الدراسات المغربيــة إهمام وعناية كثير من الباحثين العرب في الخترة الأخيرة ، فوجهوا إهمامهم لدراسة المغرب وكشف أوجه القولة والعظمة في تاريخه الحافل بالأحداث والأعمال العظيمة .

وحرصوا في عمم على دراسة التاريخ السياسي للمنطقة من قيام هوالله وسقوطها ، ولقد شاركت غيرى من الباحثين في ذلك الميدان حين قمت بعراسة قيام دولة الأدراسة بالمغرب الأقصى وهي أول دولة إسلامية تأسست سده المنطقة.

بيد أن دراسة أوجه الحياة المختلفة بالمغرب من إدارة وإقتصاد وإجباع لم تنل هناية الباحثين ، ولعل مرجع ذلك عدم إهيام المؤرخين القداى بدراسة ظواهر المجتمع المختلفة ، وترتب على ذلك قلة المادة العلمية المدونة في هشة الميدان ، فضلا عن الصعوبة والمشقة التي يجدها الباحث في دراسة الموضوعات المتعلقة بالحضارة .

ق أثناء دراستى لتاريخ المغرب الأقصى الإسلامى ، لاحظت أن المنطقة أعلنت إنفصالها المبكر عن الحلافة الأموية سنة ١٠٢٧ ه ، ثم تأسست على أرضها دولة الأدراسة والتي لم تعمر كثيراً ، نتيجة ضعف حكامها ، ومن ثم صارت المنطقة تخضع لغيرها فتارة تخضع للفاطمين وتارة تخضع للأمويين بالأندلس ، وأصاب الضعف والتفكك نواحي الحياة المختلفة .

حتى إذا ما حل منتصف القرن الحامس الهجرى ، تبدّلت الأوضاع بالبلاد ، وبعد أن كانت إمارات متفرقة أصبحت دولة وطيدة الأركان ، شامحة البنيان يتولى مقاليد الأمور فها المرابطون ، اللين وحدوا المنطقة في ظل حكومة مركزية واحدة ، تبسط نفوذها على أرجاء البلاد ؛ بل ويمته النفوذ حتى يسيطر على إقليم الأندلس .

(م ١ - الحضارة)

وعلى أنقاض المرابطين قام حكام جدد : هم الموحدون يواصلون مسيرة التقدم التى شهدتها البلاد ويبسطون نفوذهم حتى إفريقية ، وأصبح فى الحناح الغربي للدولة الإسلامية ؛ دولة عزيزة الحانب مسموعة الكلمة . لها وتأثيرها في مجريات الأحداث بغرب البحر المتوسط .

ولا شك أن هذا التفوق السياسي والعسكرى الذي شهدته البلاد منذ منتصف القرن الخامس الهجرى إرتكز على حضارة إسلامية استمدت مقوماتها ونجاحها من الإدارة القوية الواعية والاقتصاد المتين والشعب المتجانس المتحد الآخد بأسباب التقدم والرقى .

ومن هنا كان موضوع الكتاب : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس : عصر المرابطين والموحدين . والكتاب من حيث واقع الأحداث ينقسم إلى فترتين متميزتين لكل مها خصائصها وسهاتها ؛ أما الفترة الأولى فتمتد من أواخر القرن الرابع الهجرى حتى منتصف القرن الحامس الهجرى وتتميز بالتفكك والضعف إذ أن المنطقة كانت تتوزعها إمارات متناحرة يسودها الراع والتخاصم ومن ثم لم تجن البلاد سوى التأخر والإنحلال ، والفترة الثانية تمتد منذ قيام دولة المرابطين وحتى هزيمة العقاب بالأندلس سنة ١٠٠ ه وتعتبر من أزهى فترات تاريخ المغرب الإسلامي بل العصر الذهبي للمنطقة .

ولقد حرصت على أن أقيم مادة الكتاب على المراجع الأصيلة على تعددها وتنوعها بين المخطوط والمطبوع فضلا عن المراجع الأجنبية .

وفى هذا المقام ، يطيب لى أن أتقدم بجزيل شكرى وعظيم إمتنانى إلى أساتذتى بقسم التاريح الإسلامى بكلية دار العلوم ، فمن علمهم نهلت ومن توجيهاتهم استفدت فجزاهم الله عنى خير الجزاء .

وختاماً . . أرجو الله أن أكون قد وفقت فيما قمت به ؛ وأن يقبل الله منى هذا العمل ، وأن أكون قد شاركت ولو بقدر ضئيل فى كشف جوانب هذه الفترة من تاريخ أمتنا ، فان كان ذلك فهو حسبى ، وإلا فما زلت سائراً على الطريق آمل الخبر وأنشد التوفيق والله المستعان .

عَمِينَانُ

شهد المغرب الأقصى خلال القرنين الحامس والسادس من الهجره فترة مؤدهرة ، حتى أصبحت هذه الفترة بحق تعد من أخصب فترات حياته في العصور الوسطى ، حيث نشأت على أرضه أضخم دولتين عرفتهما هذه المنطقة خلال تاريخه الوسيط وهما دولتا المرابطين والموحدين ، فني ظلال هاتين الدولتين برزت شخصية المغرب الأقصى كدولة مستقلة ، قامت على أكتاف أبنائها ، باسطة نفوذها على مناطق شاسعة من الشهال الإفريقي فضلا عن الأندلس ، ومشاركة غيرها في إرساء قواعد الحضارة الإسلامية في غرب الدولة الإسلامية المكرى ، مما قدمته من نظم عجمة في الحياة الإدارية وإزدهار في حياتها الإقتصادية ، وما صاحب ذلك من كثرة في البناء والتشييد فضلا عن تيار الثقافة المتدفق بما فيه من آراء ومؤلفات وعلماء ، والذي أضاف فضلا عن تيار الثقافة المتدفق بما فيه من آراء ومؤلفات وعلماء ، والذي أضاف

موقع المغرب لأقصى:

وكان لموقع المغرب الأقصى أثره فى الأحداث التى مرت بها البلاد ، حيث تمتعت المنطقة بموقع بمتاز ، جعلها تتفوق على سائر أقسام المغرب الأخرى من حيث مجريات الأحداث والتطورات التاريخية ، فالمغرب الأقصى يقع فى الركن الشهالى الغربى من القارة الإفريقية ، محده شرقاً وادى ملويه وجبال تازا وغرباً المحيط الأطلسي وشها لا بحر الروم وجنوباً جبال درن(١) ، وهذا الموقع جعله على صلة بثلاث مناطق :

⁽۱) ابن خلدون : العبر ج ۲ ص ۱۰۱ الملبعة الأميية سينة ۱۲۸۶ هـ ، التلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ١٥٢ طبعة وزارة الثقامة سنة ١٩٦٣ م .

أولا: هو إمتداد لإقليمي المغرب الأدنى والأوسط ، أى أنه منطقة أطراف إذ يمثل النهاية القصوى لهذه الوحدة الجغرافية المسهاة بالمغرب حيث يطل على البحر المحيط(١).

ثانياً: إتصاله بمنطقة الأندلس إذا لا يفصل بين القطرين (المغرب الأقصى والأندلس) سوى مسافة لا تتجاوز خمسة عشر كيلو متراً في بعض نواحيها ، وبذلك كان المضيق الذي يفصل بينهما له أهمية كبيرة ، وقد تفاوت الإتصال بين المغرب الأقصى والأندلس حتى أواخر القرن الحامس الهجرى إذ بعد إنتصار الزلاقة في سنة ٤٧٩ هم المدر القرن الحامس الهجرى إذ بعد إنتصار الزلاقة في سنة ٤٧٩ هم الأحداث التي تمر بها المنطقة ، وما صاحب ذلك من تأثير واضح في الأحداث التي تمر بها المنطقة ، وما صاحب ذلك من تأثير واضح في شتى واحى الحياة بالمغرب الأقصى ، وفي نفس الوقت تأثر الأندلس شتى واحى الحياة بالمغرب الأقصى .

ثالثاً: إصاله بمنطقة الصحراء في جنوبه ، وقد بلغت قمة الإتصال ذروتها عند تدفق المرابطين من الصحراء صوب المغرب الأقصى ليغيروا من الأوضاع القائمة ، ويؤسسوا دولة المرابطين التي جمعت سكان المغرب الأقصى في ظل سلطة موحدة .

ومن هذا يتضح أهمية الموقع وتأثيره في محريات الأمور. وبجانب ذلك كان هذا الموقع حافزاً على ذلك الإستقلال المبكر الذي حققه المغرب الأقصى عن سلطة الحلافة الأموية وإنفصاله عنها بعد ثورة ميسرة المدغرى سنة ١٧٢هم ٧٣٩ م، وبذلك كان أول أقاليم المغرب إنفصالا عن السلطة الأموية، ساعده في ذلك هذا الموقع المتطرف، ثم كان لهذا الموقع المتطرف أيضاً أثر واضح في توجه الإمام إدريس بن عبد الله إليه بعد فراره من فخ سنة واضح في توجه الإمام إدريس بن عبد الله إليه بعد فراره من فخ سنة واضح هم وتأسيسه لدولة الأدارسة بعيداً عن متناول أيدى الحلافة

⁽۱) د. حسن أحمد محمود : تيام دولة الرابطين ص ١٧ النهضــة سنة ٥٧

العباسية ، وساعده الموقع على تأسيس دولة إسلامية لعبت دورها في تاريخ المنطقة .

غير أن الاضمحلال الذي أصاب دولة الأدارسة وخاصة بعد مجيء مصالة بن حبوس المكناسي قائل جيوش أبي عبد الله الشيعي إلى أرض المغرب الأقصى سنة ٣٠٥ ه / ٩١٧ م(١) جعل المنطقة تمر بفترة حالكة في تاريخها إذ أصبحت المنطقة لا تملك من أمرها شيئاً وإنما تخضع لغيرها فتارة تدعو على منابرها للفاطمين بالمغرب ، وتارة تدعو على منابرها لحكام الأندلس يضاف إلى ذلك تلك المنازعات القبلية والحروب الطاخنة ، والتي استمرت حتى مجيء المرابطين . وقد أثرت هذه الحروب في أوضاع المنطقة وجعلتها لا تنعم بالاستقرار ذلك الاستقرار الذي شهدته في عهد الأدارسة من قبل ، ودبَّت الفوضي في أرجاء المنطقة ، ونتج عن هــذا كله ، أنه لم تقم دولة واضحة المعالم في هذه الفترة التي تمتد من أوائل القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن الخامس الهجرى ، ومن ثم فانني سوف أرسم صورة عامة للفترة الأخرة من ذلك الانهيار الذي شهدته البلاد ، والتي هي إمتداد لفترة الضعف السَّابقة ، وتبدأ منذ أواخر القرن الرابع الهجرى وحتى منتصف القرن الحامس حين ظهرت طلائع المرابطين على مسرح الأحداث بالمنطقة وحتى تتضح معالم الصورة لابد من إلقاء الضوء على الوضع السَّياسي للمنطقة في أواخر القرن الرابع الهجري ، لنلمس مدى التفكك الذي ساد البلاد .

فالمنطقة قد توزعها القبائل المختلفة والأسر المتناحرة ، كل قبيلة تسيطر على مدينة أو أكثر ، تفرض عليها سلطانها ، ومشتبكة مع غيرها في صراع حول السلطة ، فضلا عن أن بعض روساء هذه القبائل كانوا يخضعون بالتبعية للدولة الأموية ، ويقدمون لها فروض الولاء والطاعة .

وكانت الخريطة السياسية للمغرب الأقصى تشمل ما يأتى :

⁽۱) ابن أبى زرع : الانيس ، جد ١ ص ١١٥ ، ١١٦ تعليق محمد الهاشمى الفيلالي ، الرباط ، سمنة ١٩٣٦ م ، ابن خلدون : العبر جد ٤ ص ١٦٠ البكرى : كتاب المغرب ص ١٦٥ ط ٢ باريس سنة ١٩١١

- (١) منطقة فاس وما حولها وهي خاضعة لأمراء مغراوة .
 - (۲) منطقة سلا وتادلا وكانت تخضع لبنى يفرن.
- (٣) فى الحنوب منطقة سملاسة ودرعة وكانت تخضع لبي خزرهن (١)
 - (٤) وفي سهول تامسنا كانت إمارة برغواطة ـ

وقى محة سريعة عن الأوضاع السياسية لكل منطقة من المناطق الأربعة نلمس مدى التفكك والضعف الذى ساد البلاد فمنطقة فاس وما حولها كانت تخضع لأمراء مغراوة وأول من حكمهم من مغراوة هو زيرى بن عطية الذى دخلها سنة ۲۷۷ ه / ۸۸۷ م واستوطنها وجعلها قاعدة إمارته (۲) ولم يكن تملكه لفاس وما حولها إستقلالا بنفسه وإنما كان يخضع للدولة الأموية حيث كان يخطب لهشام المؤيد وحاجبه المنصور بن أبى عامر (۲) ثم نشب صراع بين زيرى بن عطية ويدو بن يعلى أمير بني يفرن دارت خلاله الكثير من المعارك وانتهت بمقتل يدو بن بعلى سنة ۳۸۳ ه / ۹۹۳ م (٤) ثم دخل زيرى بعد ذلك في صراع مع جيوش الأمويين وذلك حين أعلن انتقاصه للمنصور ، الذي غضب من زيرى وعاقبه بأن منع عنه المرتب السنوى الذي كان يدفعه به مما أدى إلى توتر الموقف ونشوب القتال بينها في معارك متلاحقة انتهت بوفاة زيرى متأثراً بجراحه سنة ۳۹۱ ه / ۱۰۰ م (۵) وهمكذا استمر زيرى طيلة أربعة عشر عاماً في معارك متصلة تارة ضد بني يفرن ، وتارة ضد بني أمية . فلما تولى ابنه المعز حاول إصلاح العلاقة بينه وبين المظفربن المنصور

⁽۱) د. حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص ٧٦ ، د. عبد الله علام : الدعوة الموحدية ، ص ١٢ ، ط ١ سنة ٦٤ دار المعرفة .

⁽۲) ابن ابی زرع: الآنیس ج ۱ ص ۱۵۲ ، ۱۵۷ ت النیلالی ، السلاوی: الاستقصا ج ۱ ص ۱۹۲ الدار البیضاء سنة ۱۹۵۱

⁽٣) نفس المرجعين السابقين ونفس الصفحات ، كنون : مدخل الى تاريخ المغرب ص ٢٨ ط ١ سنة ١٩٤٤ تطوان .

⁽٤) أبن أبى زرع: الانيس ج ١ ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، السلاوى: الاستقما ج ١ ص ١٩٣

⁽o) أبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ص ١٥٣ ط ١ ســـنة ١٩٦٥ م الدار البيضاء .

ابن أنى عامر، تلك العلاقة التي فسدت خلال حكم والده زيرى وقد نجح في ذلك وتعهد بدفع أموال ومعدات للمظفر (١) وبُذلك عادت إمارة فاس لتبعية بحكام الأندلس مرة أخرى ، يقول ابن أبي زرع و فعزل المظفر واضحا عن فاس وسائر بلاد المغرب وصرفه إلى الأندلس وكتب إلى المعز بن زيري أبن عطية بعهده على مدينة فاس وسائر أعمال المغرب مدنه وبواديه ، وذلك في سنة ثلاث وتسعن وثلاثماثة ، وشرط المعز أن يعطيه في كل سنة خبلا ودرقاً ومالا معلوماً يوصله إلى قرطبة ، وأعطاه المعز مع ذلك ولده معنصر رهينة، (٢) ، فلما مات المعز سنة ٤٠١٦ هـ / ١٠٢٥ م تولى خلفاً له ابن عمه حمامة بن المعز ، الذي دخل في صراع مع أمير بني يفرن في ذلك الوقت أبو الكمال تميم سنة ٤٢٤هـ / ١٠٣٢ م ونتج عن ذلك فرار حمامة ومقتل الكثير من المغراويين (٣) إلا أن الأمير حمامة عاود الكرة بعد ذلك واسترد مدينة فاس في سنة ٢٩٩ هـ / ١٠٣٧ م وفي رواية أخرى سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩م(٤) ولم يستقم له الأمر إذ دخل في صراع مع حماد الصنهاجي صاحب القلعة وانتهي بالمهادنة ووفاة حمامة سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م(٥)وتولى خلفاً له ابنه دوناس الذي كان عهده مشحوناً بالاضطرابات والصراع مع حماد الصهاجي وتوفي منة ٤٥١ هـ/ ١٠٥٩م^(٦) ، وتولى خلفاً له ابنه الفتوح بن دوناس واستمر حكمه غمس سنوات بلغت فيها الفوضي والاضطرابات ذروتها إذ شهدت مدينة فاس الصراع بينه وبين أخيه عجيسة وكثر القتل بين الفريقين ، واستمرت الحروب ثلاث سنوات الانهت بمقتل عجيسة وقد أصور هذه الاضطرابات

⁽۱) ابن الخطيب: أعبسال الاعلام: التسسم النسالث ص ١٦٠ الكتاتي الدار البيضاء سنة ١٩٦٤ ، السلاوي: الاستقصا جـ ١ ص ١٩٩ (٢) ابن أبي زرع: الانيس جـ ١ ص ١٦٩ ت النيلالي .

⁽٣) السلاوى: الاستقصاج ١ ص ٢٠٢ ، د. السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص ١٤٥ الدار القومية سنة ١٩٦٦ ، ابن ابى زرع: الأنيسج ١ ص ١٧٠ ت الفيلالى .

⁽٤) أبن أبى زدع: الأنيس: ج ١ ص ١٧٢ ت النيلالي .

⁽٥) الميلى ، تاريخ الجزائر ج ٢ ص ١٨١ الجزائر سنة ١٣٥٠ م، مركات ، المغرب عبر التاريخ من ١٥٤

⁽٣) حركات : المغرب عبر آلتاريخ من ١٥٤ ، د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير من ٥١٥ .

ابن أبي زرع بقوله و فكانا ــ أي الفتوح وعجيسة إلــ لا يزالان يقتنلان ليلا ونهاراً فكثر الخوف فى أيامهم بالمغرب وغلت الأسعار واشتدت المجاعة وعظم الهرج ، وقويت الفتنة في حميع نواحي المغرب وظهرت لمتونة على أطراف البلاد ، ليس لأهل المدينة شغل إلا القتال آناء الليل وأطراف النهار إلى أن ظفر الفتوح بأخيه عجيسة فقتله . . وكانت مدة إقامة الفتوح محارب أخاه فقتله وملك العدوتين، (١) ثم تولى خلفاً للفتوح معنصر بن حماد من سنة ٥٥٠هـ لل ١٠٦٣ م إلى سنة ٤٦٠ ه / ١٠٦٧ م قضاها فى صراع ضد المرابطين(٢) ثمم خلفه ابنه تميم الذى استمر يحارب المرابطين طيلة سنتين حتى تم فتح مدينة فاس على يد يوسف بن تاشفين سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م وقتل تميم فيمن قتل من أبناء مغراوة (٣) وكان عدد من قتل في هذه المعارك من أبناء زناتة ما يزيدن على عشرين ألفاً(٤) ، وهكذا شهدت مدينة فاس عاصمة المغرب الأقصى فى عهد الأدارسة وأهم مدن المنطقة وما حولها صراعاً مريراً ومعارك مستمرة طيلة خمسة وثمانين عاماً منذ تولى السلطة فها زيرى بن عطية وبنوه حتى استيلاء المرابطين علما:

أما المنطقة الثانية فكانت تخضع لبني يفرن والذين كانت مواطنهم الأصلية بافريقية وما بن تلمسان وتاهرت(٥) فقد أقاموا عدينة سلا وشالة وما حولها وقد سبق أن أشرت كيف أنهم دخلوا في صراع مستمر مع أبناء عمومتهم من أمراء مغراوة ، فتارة يستولون على فاس ويتأخر عنها أمراء مغراوة وتارة يطردون منها ويعودون إلى مواطعهم(١) وكان آخر أمرائهم محمد بن

⁽۱) ابن ابی زرع: الاکیس ج ۱ مس ۱۷۲ ، ۱۷۲ ت النیلالی . (۲) نفس الرجع السابق ج ۱ مس ۱۷۵ ت النیلالی ، السلاوی :

⁽٣) نفس المرجعين السابقين ونفس الصفحات . (٤) ابن الخطيب : اعمال الأعسلم القسم الثسالث ص ١٦٣ ت د. العبادي

⁽٥) حركات : المغرب عبر التاريخ من ١٥٠ ٢) ابن الخطيب : أعمال الاعلام التسم الثالث من ١٦٤ ، ١٦٥ ؟ عبد العزيز بنعبد الله : تاريخ المغرب ، ص ٧٧ الدار ألبيضاء ، كنون : مدخل الى تاريخ المغرب ص ٣٠ ما ١ سنة ١٩٤٤ تطوان .

تميم بن زيرى الذى تولى سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م إمارة بنى يفرن حتى مقتله على أيدى المرابطين سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م(١) .

والمنطقة الثالثة وكانت تشمل سحلها ودرعة وقد تولى الحكم فها بنو خورون منذ سنة ٣٦٦ ه/٩٧٦ م واستمر حكمهم لها حي مجيء المرابطين في مينة ٤٧٧ ه/ ١٠٥٥ م حين استدعى فقهاء سحلها ودرعة ابن ياسين ومن معه من المرابطين لتخليصها مما هي فيه من مساوىء حكم الأمير مسعود بن وانودين الزنائي المغراوى ، يقول ابن أبي زرع « فلها كان في سنة سبع وأربعين وأربعائة اجتمع فقهاء سحلهاسة وفقهاء درعة وصلحاؤهم فكتبوا إلى الفقية عبد الله بن ياسين والى الأمير يحيى بن عمر وأشياخ المرابطين كتاباً يرغبون منهم الوصول لبلادهم ليطهروها مما هي فيه من منكرات وشدة العسف والحور، وعرفوهم مما هم فيه أي أهل العلم والدين من الله والصغار والحور مع أمير هم مسعود بن وانودين الزناتي المغراوى ٣٠٥ وكانت استجابة المرابطين وبدلك قضوا على إمارة بني خزرون في سعلهاسة ودرعة .

أما آخر إمارات المنطقة فهى إمارة برغواطة التى احتلت المناطق الساحلية جنوبى طنجة إلى آصيلا وتشتمل على مناطق تامسنا ، حيث أقامت عدة قبائل من زناتة ، اجتمعوا إلى صالح بن طريف الذى ابتدع لهم دينا وشريعة جديدة (٣) وقد استهواهم بفنون السحر المختلفة حتى استطاع التأثير فيهم وسن للم مبادىء وتعاليم ، وألف لهم قرآناً وسمى نفسه صالح المؤمنين (١) وقد دخل الأدارسة معهم في صراع إلا أنهم لم يتمكنوا من إجتثاث جلورهم من المنطقة ، ثم دخلوا في صراع مع بنى يفرن (٥) وهكذا ظلت دعواهم الفاسدة

المبادي

⁽۱) ابن الخطيب : اعمال الأعلام التسم الثالث ص ١٦٦ ت . العبسادي .

⁽۲) ابن ابی زرع: الانیس جـ ۲ می ۱۷ ، ۱۸ ، ۱۹ ت النیلالی. (۳) ابن الخطیب: احمال الاعلام: النسم الثالث می ۱۸۰ ت .

⁽٤) البكرى: المغرب من ١٣٥ ، ابن خلدون ، العبر ج ٦ من ٢٠٧ (٩) عبد المعزيز بنمبد إله : تاريخ المغرب ج ١ من ١٧

حتى مجىء المرابطين الذين قضوا عليهم ، ومحوا ضلالتهم من المنطقة وأسلموا إسلاماً جديد(١) .

وهكذا نلمس من هذا العرض السريع للتاريخ السياسي للمنطقة في ظل الزناتيين مدى التفكك والضعف الذي عاشته البلاد نتيجة للحروب والفتن التي عمت الإمارات المختلفة ، وهذا يرجع إلى عدة عوامل منها الفرقة التي التي دبَّت في صفوف الزناتيين ، وانقسامهم إلى إمارات متناحرة ، فضلا عن اللهديد المستمر من حكام المغرب الأوسط مع تبعية المغرب الأقصى لحكام الأندلس ، كل هذا أدى إلى تلك الصورة المحزنة التي عاشها المغرب الأتمى قبيل مجيء المرابطين ، وكان طبيعياً أن تتأثر نواحي الحياة الأخرى في المغرب الأقصى مدا الضعف السياسي حيث انعكست الأحداث السابقة على نواحى الحياة المختلفة : إدارية كانت أو إقتصادية واجتماعية .

ففي مجال الادارة:

لم تقم حكومة موحدة تجمع سكان المنطقة تحت سيطرتها ، وتبدل جهدها في سبيل تقدمهم ، وإنما كان بعض رؤساء القبائل كأمراء مغراوة يدينون بالتبعية لحكام الأندلس ، باعتبارهم وزراء أو ولاة من قبل بني أمية في الأندلس ، يخطبون لهم على المنابر ويعلنون طاعبهم لهم(٢) وفي نظير ذلك كانوا يتمتعون مماية بني أمية فضلا عن المرتبات التي ينالونها سنوياً من خزانة الدولة الأموية ، يوضح ذلك أن المنصور بن أبي عامر حين غضب على زيرى أ ابن عطية ، قطع عنه رزق الوزارة الذي كان يجريه عليه في كل سنة (٣) .

وساد المنطقة الحكم القبلي ؛ حيث أن أبناء القبائل الزناتية وغيرها من القبائل كانت تأنف أن تخضع لقائد من خارج القبيلة ، ومن ثم انقسمت إلى أسر وقبائل مختلفة تخضع كل مجموعة لأمير ينتمي إليها ، وقد لمس عبد الله

⁽١) ابن الخطيب: اعمال الأعلام: التسم الثالث ص ١٨٦ ، ص (۲) أبن أبى زرع: الأنيس جدا ص ١٥٩ ، ١٦٩ ت ، الفيلالى . ١) د، السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص ١١٥

ابن أياسين ذلك بنفسه أثناء مروره بديار المصامدة حين رجوعه من الأندلس ﴿ لُووجِدُهُمْ يَعْيَشُونُ حَيَاةً تَقِبَلِيةً مَتَنَافَرَةً ﴾ وليس لهم قائد يجمعهم ويوحد كلمتهم يقول ابن عدارى " أفر عبد الله بن "ياسين ببلاد المصامدة بعد منصرفه من الأندلس فوجدهم اليغيرون بعضهم على بعض يغنمون الأموال ، ويقتلون الرجال ويسبون الحريم ولا يرجعون إلى طاعة ، فكان لعبد الله بن ياسين بعض الإلهام أن قال لبعضهم : ألا تعرفون الله ربكم ومحمداً رسولكم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، فقالوا له : نعم عرفنا ربنا ومحمداً نبياً صلى الله عليه وسلم فقال لم عبد الله : فما لكم بدلتم وغيرتم ؟ هلا قدمتم عليكم إماماً محكم بينكم بشريعة الإسلام وبسنة النبي عليه السلام ؟ فقال له بعض أشياخ المصامدة : لا يرضى أحد منا انقياداً إلى حكم أحد من غير قبيلته ، (١) ومن خلال الحوار يتبن مدى تأصل العادات القبلية في نفوس السكان مما جعلهم يتوزعون تحت زعامات مختلفة ، وبجانب الحسكم القبلي ، كان نظام الحكم وراثياً وقد تجلى ذلك فى تولى أبناء زيرى بن عطية إمارة فاس ، وكذلك في بني يفرن وأمراء سحلاسة ، وأمراء برغواطة وفي غياب الأمير كان بعض الولاة يتولون السلطة عن طريق التعيين وذلك ما حدث بالنسبة لمدينة فاس خلال حكم زيرى بن عطية حيث تولّاها واليان أحدهما على عدوة القرويين والآخر على عسدوة الأندلسين ، فحين عزم زيرى سنة ٣٨٢/ ٩٩٢ م على التوجه إلى الأندلس ، استخلف ابنه المعز في كرسي الإمارة ، واستخلف على عدوة الأندلس عبد الرحمن بن عبد الكريم بن ثعلبة وعلى عدوة القرويين على بن محمد بن على بن قشوش(٢) أو أما القضاء بالنسبة لمدينة فاس فكان يتولاه قاض واحد هو الفقيه أبو محمد عآمر الأزدى(٣) .

المياة الاقتصادية:

فلم تكن بأسعد حظاً من الحياة السياسية إذ أصابها الاضطراب والتأخر

⁽۱) ابن عذاری : البیان المغرب ج ٤ ص ١٠ بيروت ت د.احسان بيساس .

ابن أبى زرع : الأنيس جد ١ ص ١٦٠ ، ١٦١ ت النيلالى ، المسلاوى : الاستقصا جد ١ مس ١٩٣ (7) ننس الرجعين السابتين وننس الصنحات .

نتيجة للحروب المستمرة ، والثورات والفتن التي شهدتها البلاد في هذه الفترة وبرغم أن المنطقة كانت تتمتع بمقومات النجاح فى قيام زراعة مزدهرة وصناعة رائجة ، إلا أن الضعف السياسي وما صحبه من تمزق ، انعكست صورته على إقتصاديات البلاد ، وقلت الأموال بأيدى الناس(١) مع تحمل أمراء مغراوة في بعض الأحيان دنع جزية سنوية من المال والخيل والمعدات لخزانة الأندلس كرمز للخضوع والتبعية لبني أمية(٢) ولا شك أن هذه الحزية زادت من الأعباء الإقتصادية على سكان منطقة فاس ، كما أن الحروب أشاعت الفوضي والاضطراب فضلا عن الموت والهلاك الذي أصاب الأيدي العاملة بالبلاد ، ففي الصراع الدائر بن دوناس بن حمامة (٤٣١ / ٤٥١ هـ ١٠٣٩ م / ١٠٥٩ م) وابن عمه حماد بن معنصر ، استولى حماد على بعض أجزاء فاس ومن ثم قطع مياه نهر فاس عن عدوة القرويين(٣) ولا شك أن هذا يؤثر بالدرجة الأولى على السكان وزراعاتهم وأعمالهم . وفي الصراع المدائر بين الأمير الفتوح بن دوناس (٤٥١ / ٥٥٥هـ ١٠٥٩ / ١٠٦٣م) وأخيه عجيسة ، استمر القتال في فاس ثلاث سنوات ، وأصاب الناس القحط والغلاء نتيجة المعارك المستمرة يصور ذلك ابن أبي زرع بقوله « فكانا لايز الان يقتتلان ليلا ونهاراً فكثر الحوف في أيامهم بالمغرب ، وغلت الأسعار ، واشتدات المحاعة وعظم الهرج وقويت في حميع نواحي المغرب ، وظهرت لمتونة على أطراف البلاد ، ليس لأهل المدينة شغل إلا القتال آناء الليل وأطراف النهار . . ، (١) وطوال نترة حكم الفتوح كان المغرب يعيش في محنة إقتصادية . وقد أسلمت هذه الفتن المستمرة المغرب إلى مجاعات وغلاء في الأسعار ونقص في الإنتاج « وغلت الأسمار وتبدل الرخاء بالشدة والأمن

Terrasse: Histoire du Maroc: P.256-257 Paris 1949 (1)

⁽۲) أَبْنَ أَبِي رُرع : الإنيس ج ١ ص ١٦٩ ت الفياللي ، لسان الدين بن الخطيب : أعسال الإعالم القسم الثالث ص ١٦٠ ت . الغبادي ، السلاوي : الاستقصا ج ١ ص ١٩٩

⁽٣) د. السيد عدد العزيز سالم: المفرب الكبير ص ١٥٥ ، ١٦٥ (٤) ابن أبي زوع : الانيس ج أ ص ١٧٣ ، ١٧٤ ش النيسلالي ، السلاوي : الاستقصاح ١ ص ٢٠٤ .

بالخوف والعدل بالجور ، وتوالى فيهم ظلم وعدوان على رعيتهم وغلاء مفرط لم يسمع بمثله وفتنة شديدة فاتصل الحوع والغلاء ، وحدمت الأقوات في مدينة فاس وأعمالها أيام الفتوح بن دوناس وأيام ابن عمه معنصر وأيام "ولده تميم بن معنصر إلى أن بلغ الدقيق بمدينة فاس وغيرها من البلاد المغربية القريبة منها أوقية الدقيق بدرهم وعدمت الأقوات بالكليسة ١١٥ ونتج عن نقص الأقوات وقلة الطعام أن عمد روُساء المغراويين إلى الهجوم على المنازل والإستيلاء بالقوة على ما فيها من أنواع الطعام مع تعرضهم للنساء والأولاد بالإيذاء ، مما دفع السكثير من أهل فاس إلى صنع مخازن فوق أسطح المنازل لا يصعد إليها إلا بسلالم متحركة ، ترفع ليلا حتى لا يتمكن المغراويون من الوصول إليها(٢) وهذه الحيلة وإن كانت غير عجدية إلا أن هذا الصنيع من أهل فاس يصور مدى الإنهيار الذي أصاب إقتصاد البلاد ، يضاف إلى ذلك تلك الضرائب والمكوس التي فرضها الزناتيون على سكان البلاد مما أدى إلى إرهاق المواطنين وانعكست آثاره على الوضع الإقتصادي بالبلاد ، فقد افتن ولاة الأمر في فرض أنواع مختلفة من هذه الضرائب كالمكوس والمعونات والقبالات وغيرها(٣) مما سبب عبأ ثقيلا على كاهل السكان وأدى إني اضطراب الوضع المالى بالبلاد ولذا حنن دخل ابن ياسن مدينة سحاياسة ألغى الضرائب الحائرة التي فرضها ولاة الأمر « وارتحل _ أي ابن ياسين _ من فوره حتى دخل مدينة سجلاسة فقتل من وجد سها من مغراوة ، وأقام سها حتى هدُّنها وأصلح أحوالهاؤ، وغيرما وجد بها من المنكرات ، وقطع المزامير وأحرق الديار التي كانت تباع بها الحمر ، وأزال المكوس وأسقط المغارم المخزنية ، وترك ما أوجب الكتاب والسنة، (٤) أي أن ابن ياسين أبتي الأوضاع المالية التي تتفق والشرع وألغى ما دُون ذلك .

⁽۱) ابن أبى زرع: الأنيس ج ١ ص ١٧٦ ت الغيلالي ، السلاوى: الاستقصا ج ١ ص ٢٠٦

⁽۲) نفس الرجعين السابقين ونفس الصفحات . (۱) أما أما أساب الداد المسابع الداد المسلمات المسلم

⁽٣) ابن أبي دينار : كتاب المؤنس من ١٠٣ ط ١ سنة ١٢٨٦ هـ تونس ، د. حسن محمود : تيام دولة الرابطين من ١٧٤ (٤) ابن أبي زرع : الأنيس ج ٢ ص ٢٠ ت النيلالي .

إلا أنه فى وسط هذه الظلمة الحالكة كانت هناك فترات ومض من الرخاء والإزدهار نتيجة للهدوء النسي الذى تعيشه المنطقة كما حدث فى عهد دوناس بن حمامة حيث ازدهرت مدينة فاس وقصدها التجار واتسعت أرباضها(۱) و وكانت أيامه – أى أيام دوناس بن حمامة – أيام دعة وهدنة ورخاء كثير ، وفي أيامه عظمت فاس وعمرت وكثرت أرباضها وقصدها الناس والتجار من حميع النواحى والبلاد (۲).

وأما بالنسبة للأوضاع الاجهاعية فقد افترشت القبائل المختلفة أرض المغرب الأقصى ، فكانت هناك القبائل الزناتية ومنها الأسر الحاكمة التي اقتسمت المغرب الأقصى فيا بينها ، وهناك قبائل المصامدة وهى تشكل غالبية السكان ، وكان لها دور بارز فى قيام دولة الموحدين ، وكانت نظرة السكان إلى ولاة الأمر نظرة المكراهية والسام (٣) وذلك لمكثرة ما أصابهم من عن وكوارث نتيجة للحروب المتصلة ، ومجانب هذه القبائل كانت هناك جاليات من المسيحيين واليهود فنى تلمسان كانت هناك جالية مسيحية (٤) أما مدينة فاس فقد اشتهرت بكثرة اليهود بها حيث قصدها اليهود من كل مكان (٥).

أما فى مجال البناء والتعمير فلم تشهد البلاد إهماماً من ولاة الأمر بالبناء نتيجة انشغالهم بالمعارك والحروب ، ونتج عن ذلك قلة فى عدد المنشآت ، ومن هذه المنشآت ، بناء مدينة وجدة سنة ٣٨٤ه حيث اتخسدها تريرى بن عطية عاصمة له وأحاطها بالأسوار وصنع لها عدة أبواب(١)

⁽۱) لسمان الدين بن الخطيب : أعمسال الاعسلام القسم النسالث ص ١٦١ ، ١٦١ ت . الفيلالي ، المسلاوي : الاستقصا ج ١ ص ٢٠٣ ، هبد العزيز بنعبد الله : تاريخ المغرب ، ج ١ ص ٩٧ ، د . السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٥١٥ .

⁽٢) ابن أبى زرع: الانيس ج ١ ص، ١٧٢ ت النيلالي .

⁽٣) السلاوى: الاستتماج ١ ص ١٩٠ .

⁽١) البكرى: المغرب في ذكر بلاد انريتية من ٧٦٠.

⁽٥) نفس المرجع السابق ص ١١٥ .

⁽٦) ابن أبى زرع: الانيس ج ١ ص ١٦٣ ت النيلالى ، السلاوى: الاستقصا ج ١ ص ١٩٥ ، كنون : مدخل الى تاريخ المغرب ص ٢٨ .

وفي فترة الرخاء النسبي الذي شهدته مدينة فاس في عهد دوناس بن حمامة ، أقيمت بعض المنشآت كالمساجد والحامات والفنادق ، وهذا يرجع إلى ميل الأمىر دوناس بن حمامة وحبه للبناء والتشييد(١) وفى مجال الحياة الدينية ، كان ' وجود أمراء مغراوة وتبعيتهم للأمويين في الأندلس حاجزاً ومانعاً ضد الدولة العبيدية ومبادئها الشيعية أن تُنتشر أو تستقر في المغرب الأقصى (٢) وفي نفس الوقت دعم للمذهب المالكي الذي اتخذه أهل البلاد مذهباً منذ دولة الأدارسة وكانت الأضطرابات ما نعاً من إزدهار الدراسات الدينية ، وهذا أدى إلى قلة العلماء المشتغلين بالدراسات الدينية (٣) ، ويبدو أن الفقهاء والعلماء في هذه الفترة قد احتلوا مكان الزعامة بالنسبة لطوائف الشعب ؛ إذ هم الذين قاموا باستدعاء المرابطين ، ليخلصوا البلاد مما تعانيه من ظلم أمرائهم المغراويين، فلما كان فى سنة سبع وأربعين وأربعائة اجتمع فقهاء سملاسة وفقهاء درعة وصلحاوًهم فكتبوا إلى الفقيه عبد الله بن ياسين والى الأمير يحيي بنعمر وأشياخ المرابطين كتاباً يرغبون منهم الوصول لبلادهم ، ليطهروها ، مما هي فيه من المنكرات وشدة العسف والحور؛ (٤) كما أن المفاسد قد انتشرت ، وتدهورت الأخلاق وكثرت دورالخمر (°) مما جعل ابن ياسين يلبي نداء الفقهاء للقضاء على كل هذه المفاسد ، وقد عبّر النويرى عن ذلك بقوله « وكانت الدولة حينتذ في بلاد المغرب لزناتة الذين ساروا في أيام الفتن وهي دولة رديئة مختلة السرة مدمومة الطريقة ١٤٠١) ومجانب هذه المفاسد كانت هناك انحرافات ديلية في إمارة برغواطة ، وقد سبق أن أشرت كيف أن إمامهم صالح بن طريف

⁽۱) ابن أبى زرع: الأنيس ج ۱ ص ۱۷۲ ، ۱۷۳ ت الفيلالى ، أبن الخطيب: أعمال الأعلام القسم النسالث ص ١٦١ ، ١٦٢ ت العبادى د. السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص ٥١٥ .

⁽۲) الميلى: تاريخ الجزائر ج ۲ ص ۱۸۰ ، حركات: المغرب عبر التاريخ ص ۱۵۸ .

⁽٣) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ١٩٢٠ .

⁽٤) ابن ابي زرع الانيس ج ٢ ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ت الفيلالي .

⁽٥) نَفُسَ الرَجْعِ السابقَ جَ ٢ صَ ١٩ تَ الفيلالي ، رابح بونار ، المغرب العربي تاريخه وثقافته ص ٢٣٦ الجزائر سنة ٦٨ .

Nevill Barbour : Morocco P : 50 London 1965 النویری : نهایة الآرب ج ۲۲ مجلد ۲ ص ۷۹ تصویر شبوسی بر

قد شرع لهم مبادىء فاسدة وانحرافات تخالف عقيدة الإسلام ومن ثم قصدهم المرابطون بالقتل والتدمير حتى قضوا على ضلالاتهم ، أما النواحي الثقافية الآخرى فلم تحظ بعناية ورعاية أمراء زناتة وذلك للمنازعات المستمرة والتي لا كشجع على البحث والتأليف(١) .

وهكذا شهد المغرب الأقصى فى ظل أمراء زناتة فترة مضطربة ، تلسم بالمضعف والتفكك ، حيث دبت الفوضى ، وانتشرت الفتن فى أرجاء البلاد وكان عدم الإستقرار سبباً قوياً فى التأخر الذى عانت منه المنطقة ، حتى أقبل المرابطون من الصحراء ووحدوا المنطقة ثم استولوا على الأندلس الذى أصبح إقليما تابعاً للمغرب الأقصى ، وانطلقوا بالبلاد فى مضهار الحضارة ، ثم أعقبهم المرحدون وأكملوا المسرة الحضارية التى شهدتها البلاد ، وبلغ المعرب الأقصى الموجدون وأكملوا المسرة الحضارية التى شهدتها البلاد ، وبلغ المعرب الأقصى فى عهدهم أوج قوته وتقدمه ، حيث نعمت البلاد محياة إدارية مستقرة ، وحياة إقتصادية من دهرة ، فضلا عن نهضة اجتماعية شاملة .

⁽۱) كنون : منشل الى تاريخ المغرب من ٣٠ ، رابع بوثار : المعرب

البابي الإول المارة

إم ٢ ــ المتعارة ٤

الغصل الأولت

التطور السياسى بالمفرب الاقصى من منتصف القرن الخامس الهجرى الى نهاية السادس

شهد المغرب الأقصى فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى حركة دينية ، هى حركة المرابطين التى انبثقت فى الصحراء جنوب المغرب الأقصى وغيرت من وجه الحياة فى شي صورها سياسية كانت أو إدارية أو إقتصادية أو اجتماعية ، وامتد تأثير حركة المرابطين إلى الأندلس حيث خضعت لسلطة المرابطين .

وما إن از دهرت حركة المرابطين ، وتأسست دولتهم فى المغرب الأقصى وتمكّن سلطانهم ، واستقرت أحوالهُم حتى اندلعت حركة دينية أخرى معارضة وهى حركة الموحدين بزعامة المهدى بن تومرت وكانت ترمى إلى القضاء على دولة المرابطين ، وإقامة نظام جديد .

وبعد صراع مرير ، نجح الموحدون فى الإطاحة بدولة المرابطين ، وإقامة حكم جديد ، ومن ثم كان من الضرورى التعرّض للحياة السياسية للمغرب الأقصى منذ قيام دولة المرابطين ، وحتى نهاية حكم الناصر الموحدى سنة ١٢١٣ ه / ١٢١٣م لما للأوضاع السياسية من أثر فى حياة السكان سواء من الناحية الإدارية أو الإقتصادية والاجتماعية .

يحيى بن أبراهيم الجدالى:

وأولى الدعوتين : هي دعوة المرابطين ، التي تمت وازدهرت في ديار الملثمين بجنوب المغرب الأقصى ، بفضل الفقيه المالكي عبد الله بن ياسين ومن التف حوله من أبناء القبائل ، وقد بدأت صلة ابن ياسين بمنطقة الملثمين حين وفد مع زعيم قبيلة جدالة بحين بن ابراهيم الحدالي عقب عودته من الحج

وتوجهه إلى القيروان(١) ، وهناك في القيروان شاهد يحيى بن ابراهيم مجالس العلم والدين فجلس إلى أحد هذه المحالس حيث استمع إلى درس الشيخ أبي عمران موسى بن أبى حجاج الفاسى ، وقارن بين حياة العلم والمعرفة التي يحياها سكان القيروان ، وحياة الحهل والظلام التي تفشت بين عشيرته ومواطنيه ، ومن ثم أحس يحيى محاجة مواطنيه إلى فقيه يعلمهم أحكام دينهم ويبصرهم بتعاليم الإسلام ولذا توجه بالطلب لأبى عمران أن يبعث معه من محقق هذا الهدف(٢) وقد استجاب الشيخ أبو عمران لهذا الطلب وأعطاه رسالة وأخبره بأنه سيجد ضالته عند الفقيه واجاج بن زلو اللمطى(٣) بمدينة نفيس ويواصل بأنه سيجد ضالته عند الفقيه واجاج بن زلو اللمطى(٣) بمدينة نفيس ويواصل واجاح الذي قام بدوره في البحث عن الرجل المناسب لهذه المهمة حتى وجده في شخص عبد الله بن ياسن الحزولي(٤).

وبالنظر إلى سير الأحداث نجد أن الشخصيات التي التي بها يحيي بن ابراهيم كانت على قدر كبير من الذكاء وحسن الإختيار فالفقيه أبو عمران اختار الفقيه واجاج الذي يقوم بتدريس العلم في منطقة نفيس قرب أنحات بالمغرب الأقصى (°) ، وبالتالى فهو من أقدر الناس معرفة بسكان المنطقة

⁽۱) أبن أبى دينار: كتاب المؤنس في أخبار المريتيــة من ١٠١ ط ١ سنة ١٢٨٦ ه تونس

Anderé Julian: Histoire de l'Afrique du Nord P. 78. Paris 1969.

⁽٢) ابن أبى دينار: المؤنس ص ١٠١، ١٠٢،

⁽٣) أبن أبى دينار : المؤنس ص ١٠٢ ، لسان الدين بن الخطيب : أعمال الأعلام : التسم الثالث ص ٢٢٧ ت العبادى .

⁽ هو واجاج بن زلو اللمطى الصنهاجى ، وكان قد رحل الى القيروان ودرس على أبى عمران الفاسى ثم عاد الى بلاد السوس حيث بنى هنساك دارا للعلم ودراسة القرآن ، وكانت له منزلة ومقام عند المسامدة ص ٢٢٧. حاشية أعمال الأعلام : لسان الدين بن الخطيب القسم الثالث ث د، العبادى) .

⁽٤) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس جـ ٢ ص. ١٠ ه ص ١١ تحتيق النيلالي .

⁽٥) أبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ مس ١٦٩ .

وطباعهم وكيفية استمالتهم ، ثم تام الفقيه واجاج بدوره فى اختيار الرجل المناسب وهوعبد الله بن ياسين الذى تتلمذ على واجاج ونهل من ينابيع العلم والمعرفة (١)

عبد الله بن ياسين :

وهذا الفقيه بجانب علمه بشئون الدين ، كان يتمتع بصفات أهلته لتحقيق النجاح لدعوته من بعد نظر ونفاذ بصبرة (٢) وصحب يحيى بن ابراهيم الفقيه عبد الله بن ياسين وتوجها إلى بلاد جدالة التى فرحت بمقدمه ونزوله بين ظهرانيهم (٣) . غير أن فترة الترحيب لم تستمر طويلا وذلك حين بدأ ابن ياسين تغيير العادات التى ألفوها من الإنهماك فى الملذات ، وجهلهم بأحكام الدين ، وذلك بفرض تعاليم وأحكام تخالف ما درجوا عليه ، ومن هنا بدأت الحقوة والإعراض (٤) وخاصة فى صفوف الزعماء والنبلاء الذين رأوه ينتقص من حقوقهم ويضع حداً لحبروتهم وعدواتهم وينشر المساواة بين الموالى والسادة (٥) وقد ساءت العلاقة بين هؤلاء السادة وبين ابن ياسين حتى أنهم انتهوا داره وهدموها (١) ويبدو أن الأمير يحيى بن ابراهيم عجز عن أنهم انتهوا داره وهدموها (١) ويبدو أن الأمير يحيى بن ابراهيم عجز عن عن عنه الديني ، ولم يكن هذا المكان إلا جزيرة منعزلة بالسنغال (٧) .

⁽۱) القاضى عياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك ج ٢ مجلد ٢ ، مريب ٥٣٢ مخطوط .

⁽٢) د. حسين أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ١٤٢ .

⁽٣) لسان الدين بن الخطيب: أعمال الاعلام القسم الثالث ص ٢٢٧ ت د. العبادى ، ابن أبى زرع: الانيس ج ٢ ص ١١ ت الفيلالى ، ابن أبى دينار: المؤنس ص ١٠٢ .

⁽٤) ابن أبى زرع: الأنيس ج ٢ ص ١٢ ت الفيلالي .

⁽٥) د. حسن محمود : قام دولة الرابطين ص ١٢٢ .

⁽٦) ابن عذاری : البیان المفریب ج ٤ من ٨ ت د. احسان عباس بیروت ط ۱ سنة ۲۷ ، بوفیل : المالك الاسلامیة فی غرب افریتیا ص ۹۷ ترجمة د، زاهر ریاض الانجلو سنة ۱۹۲۸ .

⁽۷) بروکلمان : تاریخ الشعوب الاسلامیة ج ۲ ص ۱۸۳ ، ترجمــة د. نبیه فارس ومنیر البعلبکی ط ۱ سنة ۶۹ بیروت .

⁽٨) أَبِنَ ابْنَى دَيْنَارُ : كُتَّابِ المؤنس مَن ١٠٠٢ .

الدور الايجابي في دعوة المرابطين:

وفى هذه الحزيرة بدأ ابن ياسين الدور الإيجابي في تأسيس الدعوة ونشرها وذلك بإعداد تلاميذه بالتربيسة الدينية الصارمة وذلك في الرباط الذي أنشأه(١) والذي أصبح نواة مجتمع المرابطين ، وذاع صيته في المناطق المحاورة وتوافد الناس عليه من كل صوب(٢) . ولم يكتف ابن ياسين بنشر دعوته ومبادئه بن تلاميده وأتباعه في الرباط بل أرسل البعوث إلى القبائل المختلفة تنشر مبادئه وتعرفهم محياة الرباط التي محياها ابن ياسين وأتباعه (٣) حتى إذا كثر أتباعه وصاروا منفذين لأوامره أطلق عليهم لقب الرابطين ، وقد اختلف المؤرخون في سبب هذه التسمية ، فابن دينار علل ذلك بسبب ملازمتهم للرباط الذي بناه (٤) . ومنهم من أرجع هذه التسمية إلى شدة صبرهم وحسن بلائهم في المعارك(°) ثم انتقل عبد الله بن ياسين من الدور النظري في تلقين أتباعه مبادىء دعوته إلى دور التطبيق والتنفيذ حبن أعلن ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك في النداء الذي وجهه إلى روسائهم ﴿ يَامَعَشُر المرابطين إنكم جمع كثير وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم ، وقد أصلحكم الله تعالى وهداكم إلى صراط مستقيم ، فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم ، وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر ، وتجاهدوا في سبيل الله حق جهاده (٧) وكانت استجابة الأتباع وسرعة تلبيتهم لندائه(٧) وقد بيّن لهم في النداء طريقة تبليغ الدعوة فقال لهم : ٥ اخرجوا على بركة الله وأنذروا

⁽١) د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ١٢٤ ٠

⁽٢) ابن ابي زرع : الانيس ج ٢ ص ١٣ ت الفيلالي .

⁽٣) د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ١٤٢ .

⁽٤) ابن أبى دينار : المؤنس ص ٢٠١ ، بوغيل : المالك الاسسلامية ص ٩٧ ، ريمون غيرون : الصحراء الكبرى ص ٧٥ ترجمة د، جمال الدين الديناصورى القاهرة سنة ١٩٦٣ م د، حسن أبراهيم : انتشار الاسسلام ص ١٩ مل ٢ سنة ٦٤ ، د، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ١٩٥ (٥) لسان الدين بن الخطيب : الحلل الموشية ص ١٠ تصحيح البشير

تونس ط ۱ سنة ۱۳۲۹ ه . (۲) ابن أبى زرع : الانيس ج ۲ ص ۱۶ ت الفيلالي ؛ السلاوى :

الاستقصا جـ ٢ ص ٢ الدار البيضاء سنة ١٩٥٤ .

⁽٧) نفس ألرجمين السابقين ص ١٤٠ ص ٩٠٠

قومكم وخوفوهم عقاب الله ، وأبلغوهم حجته فإن تابوا ورجعوا إلى الحق ، أ وأقلعوا عما هم عليه، فخلتوا سبيلهم ، وإن أبوا من ذلك وتمادوا فى غيهم ، ولحسّوا فى طغيانهم ، استعنا بالله تعالى عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، (١).

بدء الكفاح الملح للمرابطين:

وكان هذا النداء هو الشرارة الأولى فى تاريخ المكفاح المسلح للمرابطين وكان من الطبيعى أن يبدأ المرابطون نشر دعوتهم بين تلك القبائل التى تمردت على سلطة ابن ياسين ، ومن هنا دعوا قبيلة كدالة للانضهام إليهم تنفيذاً لتعاليم ابن ياسين فلها أبوا غزوهم فى ثلاثة آلاف رجل من المرابطين فانهزموا بين يديه وذلك فى شهر صفر سنة ٤٣٤ ه / ١٠٤٢م (٢) ثم أقبل من نجا مهم من القتل وانضم إلى الدعوة الحديدة ، وحسن إسلامهم (٣) وانطلقت هذه القوة الحديدة فى طريقها المرسوم لإخضاع بقية القبائل فتوجه إلى قبائل لمتونة فغز اهم فأخضعها وانضمت إلى دعوته (١) ثم توجه بعد ذلك إلى قبائل مسوفة فغز اهم حتى أذعنوا وبايعوا على ما بايعه عليه قبائل لمتونة وكدالة (٥) . وكان هذا النصر المتتابع مدعاة لبقية القبائل على الانضهام إليه والإنضواء تحت لوائه .

انتقال السلطة الى لتونة:

وفى خلال هذه الفترة وقع حادث لهمغزاه وهو وفاة الأمير يحيى بن ابر اهيم الحدالي فى سنة ٤٤٧ه / ١٠٥٥م (٢) ونقل ابن ياسين السلطة العسكرية من قبيلة جدالة إلى قبيلة لمتونة وذلك حين إختار يحيى بن تلاكاكين اللمتوثى (٧)

⁽١) نفس الرجعين السابقين ص ١٤ ، ص ٩ .

⁽۲) ابن آبی زرع: الانیس ج ۲ ص ۱۵ ، السلاوی: الاستتصاج ۲ ص ۹ ، المیلی: تاریخ الجزائر فی القدیم والحدیث ج ۲ ص ۲۰۹ .

⁽٣) ابن ابي زرع : الانيس ج ٢ مس ١٥ .

⁽٤) نفس المرجمع السابق ، ابن الخطيب ، الحلل الموشسية ص ١٠ ، ابن عذارى : البيان ج ٤ ص ١٠ ت د، احسان عباس .

⁽ه) ابن ابي زرع: الأنيس جـ ٢ مي ١٥ .

The Encyclopeadia of Islam Vol. 1. P.;319 (7)

⁽٧) اكتسوس : الجيش العرمرم الخماسي لوحة ٢٧ ميكرونيلم ، لسمان الخطيب : اعمال الأعلام التسم الثالث من ٢٢٨ ت د. العبادي .

قائداً لحند المرابطين ،وقد استند إلى أن قبيلة لمتونة كانت تتمتع بمكانة مرموقة في مجتمع الملثمين فضلا عن سيطرتها على طرق التجارة الساحلية مما أكسبها ثروة وغنى مع احتفاظها بالزعامة فى أمرائها ما يقرب من قرنين ، وابن ياسين بذلك الاختيار يدل على خبرة عميقة بقدرة القبائل واستعدادها لحمل لواء دعوته(١) ، وبذلك ظهرت قبيلة لمتونة على مسرح الأحداث حين تولى أحد ابنائها يحيي بن عمر القيادة العسكرية ، وتتابع أبناء قبيلة لمتونة في السلطة حتى نهاية حكم المرابطين ، وما إن تسلم يحيي بن عمر مقاليد السلطة حتى باشر مستوليته في جهاد القبائل المجاورة وخاصة حين اتجه إلى فتح كثير من بلاد السودان الغربي(٢) . وفي هذه الفترة أي سنة سبع وأربعين واربعاثة استغاث فقهاء درعة وسملماسة بعبد الله بن ياسين وقوته النامية لإنقاذ بلادهما من الفساد والظلم الذي انتشر في أرجاء البلاد يصور ذلك ابن أبي زرع بقوله ﴿ فَلَمَا كَانَ فَى سَنَةً سَبِّعِ وَأَرْبِعِينَ وَأَرْبِعِائَةً اجْتُمَعَ فَقَهَاء سَجِلْمَاسَةً وفقهاء درعة وصلحاؤهم ، فكتبوا إلى الفقيه عبد الله بن ياسين وإلى الأمير يحيى بن عمر وأشياخ المرابطين كتاباً يرغبون منهم الوصول لبلادهم ليطهروها مماهى فيه من المنكرات وشدة العسف والحور ، وعرفوهم بما فيه بها أهل العلم والذين وسائر المسلمين من الذل والصغار والحور مع أميرهم مسعود بن وانودين الزناتي المغراوي، (٣) ومن هذا النص يبرز دور الفقهاء الإيجابي ورغبتهم في تغيير أوضاع مجتمعهم ، كما يشير إلى إنتشار أخبار المرابطين كقوة إصلاحية ، ومن هنا كان استنجاد هؤلاء الفقهاء بقوة المرابطين وبطبيعة الحال استجاب المرابطون لهذه الدعوة. ، وذلك لتمشها مع مبادُّتهم وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فخرج ابن ياسين في جيش المرابطين .

^{&#}x27; (١) د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ١٤٧ .

⁽۲) لسان الدين بن الخطيب : أعمال الأعلام : التسم الثالث ص ٢٢٨. ت العبادى ، ابن أبى دينار : المؤنس ص ١٠٣ .

⁽٣) ابن أبي زرع: الانيس ج ٢ من ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ت النيلالي .

في سنة مبع واربعين وأربعائة متوجهين إلى درعة وسملهاسة (١). وبعد معاولا في سنة مبع واربعين وأربعائة متوجهين إلى درعة وسملهاسة (١). وبعد معاولا في استطاع المرابطون القضاء على أمراء مغراوة وتولية عمال تابعين لهم وغم المرابطون مغانم كثيرة ، وزع ابن ياسين خسبها على فقهاء هرعة وسملهاسه والباقي على جنود إلمرابطين (١) ثم عادوا إلى الصحراء ، غير أن ثورة شبت في سملهاسة الهدف منها استعادة المدينة والقضاء على القوة المرابطية التي خلفها ابن ياسين وراءه وقد نجحت في ذلك (١) وما إن عاد الأمر عبي إلى الأخذ بالثار حتى إقتل في خلال المعارك التي نشبت بينه وبين أعدائه (١).

الأمر أبو بكر بن عمر:

وهنا مختار ابن ياسين أخا الأمير المقتول وهو الأمير أبو بكر بن عمر (٥) وكان ذلك في عام ٤٤٨ / ١٠٥٦م (١) . وقد لعب أبو بكر بن عمر دوراً جديداً في تاريخ الدعوة ، إذ إنتقل بها من مرحلة تلبية نداء المعونة من إمارات الشمال في سماياسة و درعة إلى مرحلة الغزو المسلح للمغرب الأقصى ، ور بما كان السبب وراء ذلك إز دياد حجم القوات المرابطية ، مع وجود قحط أصاب ديار الملثمين ، مما جعلهم يندفعون صوب الشمال ، يضاف إلى ذلك رغبهم في نشر مبادئهم وتعاليمهم (٧) واتجه أبو بكر بن عمر مجنوده إلى قبائل برغواطة التي اعتنقت المحوسية ديناً لها (٨) ، وكان الصراع عنيفاً أسفر عن إصابة داعية

⁽۱) أبن أبى زرع : الأنيس ج ٢ ص ١٩ ت الفيلالي ، لسان الدين أبن أبن الخطيب : إعمال الأعلام القسم الثالث ص ٢٢٩ ت العبادى ، أبن أبي هنسار : المؤنس ص ١٠٣ .

⁽٢) ابن أبي زرع: الأنيس ج ٢ مس ٢٠ .

 ⁽۲) لعسان الدين بن الخطيب : اعبال الاعلام التسم الثالث من ۲۲۹
 بك العبادى .

⁽³⁾ نفس المرجع السابق من ۲۲۹ .

Encyclopeadia Britannica Vol. 1. P:673 U.A.S. 1960.

⁽٥) اكتسوسى : الجيش العرمرم الخماسى لوحة ٢٧) ابن ابى دينار: المؤنس مى ١٠٣) لسان الدين بن الخطيب : اممال الإعلام التسم الثالث من ٢٢٩ .

⁽٦) زامباور : معجم الانساب ج ١ ص ١١٢ ، سيتانلي لين يول : طبقات سيلاطين الاسلام ص ٤٤ ترجمة بكي الطاهر مبنة ٦٨ .

⁽۷) النویری : نهایة الارب ج ۲۲ مجلد ۲ می ۷۸ تصویر شیمی. (۸) این ایی دینار : المؤنس می ۲۰۲ .

المرابطين عبد" الله "بن "ياسين بجراح" خطيرة أدت إلى وفاته(١) إلا أنه قبيل وفاته أكدُّ مرة أخرى على مبادئه وتعالمه "بن تلاميذه حبن أوصاهم بقوله ﴿ يَامَعُمْ مِنْ الْمُرَابِطِينَ ، أَنَا مَيْتَ فِي يُومِي هَذَا ، وَأَنَّمَ فِي بِلادْ أَعْدَائِكُم ، فاياكم أَنْ تَحْنَثُوا وَتَفْسُلُوا وَتَذْهَبُ رَحْكُم ، كُونُوا أَلْفَةُ عَلَى الحَقِّ وَإِخْوَاناً فِي اللَّهُ وإياكم والمخالفة والتحاسد على الدنيا وإنى ذاهب عنكم فانظروا من ترضونه لأمركم يقود جيوشكم ويغزو أعداءكم ويقسم فيكم زكاتكم وأعشاركم (٢) وجِدُهُ الكَلَمَاتُ أَنْهِي عَبِدُ اللَّهِ بن ياسَنَ حَيَاتُهُ سَنَّةً ٩٥٤هـ / ١٠٥٩م بعد فقرة كفاح استمرت اثنتن وعشرين عاما (٣) منذ أن جاء داعياً إلى ديار المرابطين وبعد أن كوّن نواة مجتمع المرابطين في رباط السنغال ، ثم انطلاقه محارباً في سبيل نشر مبادئه وهو في كل هذه الراحل عنل الداعية الصادق في تبليغ هعوته ، البعيد عن ترف الدنيا ، المتقلل في مطعمه ومشربه (⁴⁾ ، وحمل أبو بكر ابن عمر لواء الحهاد ، وواصل كفاحه ضد قبائل برغواطة فاستأصلهم فتكآ وداس بلادهم ، وفرق جموعهم ثم رجع إلى أعمات التي اتخذها عاصمة له(٩) ثم انطلق مرة أخرى إلى الشمال ليواصل إنتصاراته ففتح بلاد فازاز ومدائن مكناسة (٦) وقد تحقق له النصر في معاركه بفضل جنوده الأشداء وعلى رأسهم ابن عمه يوسف بن تاشفين الذي اشترك في كثير من الحملات العسكرية وأثبت كفاءة ومقدرة وحقق نجاحاً(٧) غير أن أحداثاً وقعت بالصحراء

⁽۱) لسان الدين بن الخطيب : اعمال الأعلام : التسم الثالث من ٢٣٠ ت الميادي .

Scott: History of Moorish Empire Vol 2 P. 194 London 1904.

⁽٢) نفس الرجع السابق ص ٢٣٠ .

Scott; History of Moorish Empire Vol 2. P. 194 (7)

⁽٤) ابن أبي زرع: الأنيس جـ ٢ ص ٣٠) السلاوى: الاستقصاح ٢ ص ١٩

⁽ه) لسان الدين بن المُطيب : أعمال الأعلام التسم الثالث ص ٢٣١ ت العبادي .

⁽٦) نفس المرجع السابق من ٢٣١ ، بروكلمان : تاريخ الشميموب الاسلامية ج ٢ ص ١٨٣ .

⁽٧) د، حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين من ٢١٩ ، ٢٢٠ .

جعلت أبا بكر يتوقف عن أعماله الحربية ويتوجه إلى الصحراء ، وفي رواية أخرى أنه ترك أعماله الحربية وتوجه إلى الجنوب لجهاد كفار السودان(١).

يوسف بن تاشفين :

ومن ثم ترك القيادة لابن عمه يوسف بن تاشفين وتوجه إلى الصحراء وكان ذلك في سنة ٤٥٧ هـ /١٠٦٠ م (٢) . وكان تخلى أبي بكر عن قيادة المرابطين في الشيال له آثار بعيدة المدى إذ إنتقلت السلطة من يده على المناطق المفتوحة من المغرب الأقصى ، وصارت لابن عمه يوسف بن تاشفين الذي استأثر بها لنفسه ولبنيه من بعده ، كما أن إنفراد يوسف بالسلطة ، جعل أبا بكر بعد ذلك يصرف نظره عن استعادة السلطة من يوسف بن تاشفين وأن يوجة جهوده إلى نشر الإسلام في غانا تلك الجهود التي بدأت في عهد ابن ياسين .

ومن هسنا شهد المغرب الأقصى حركتين مسلحتين إحداهما فى الأطراف الحنوبية للمغرب الأقصى ومتجهة نحو غانا حيث دارت معارك بين جيش المسلمين والقبائل الوثنية استمرت أربعة عشر عاماً (٣) نتج عها الاستيلاء على كومبى وانتشار الإسلام بين سكان المنطقة (٤) غير أن حركة الجهاد هذه توقفت وذلك بموت باعها ومحركها أبى بكربن عمر فى سنة ١٠٨٧م (١٠٨٧م في إحدى المعاك (٥)) ، ونتج عن ذلك تقلص نفوذ المرابطين السياسى

⁽١) ابن أبي دينار: المؤنس ص ١٠٤ .

⁽٢) لسأن الدين بن الخطيب : أعمال الأعلام القسم الثالث ص ٢٣١ ت العبادى ، بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ١٨٣ ، بوفيل: الممالك الاسلامية في غرب الديقيا ص ١٠٠ .

⁽٣) بوفيل: الممالك الاسلامية في غرب افريقيا ص ١١٢ ، ريمون فيرون: الصحراء الكبرى: ص ٧٨ .

⁽٤) نفس الرجعين السابقين ص ١١٢ ، ص ٧٨ .

⁽ه) ابن ابی دینار: المؤنس من ۱۰۱ ، د، احمد شلبی: موسسوعة التاریخ الاسلامی ج ۲ ص ۱۰۱ ط ۱ سنة ۷۲ ،

J. Spencer: A history of Islam in West Africe P. 30 Fag: An Introduction to the History of West Africa P. 22

إلا أن نفوذهم الديني ظل موجوداً متمثلاً في طبقة الحكام الذين اعتنقوا الإسلام (١) وأما حركة الكفاح الثانية ، فكانت بقيادة يوسف بن تاشفين المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين بالمغرب الأقصى وقد ذكر نسبه ابن أبي زرع بقوله و هو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن ترقوت بن وارتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية بن واتملي بن تليت الحميري الصهاجي اللمتوني من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير ، أمه حرة لمتونية بنت عم أبيه اسمها فاطمة بنت سيرين يحيي بن واجاج بن وارتقطين المذكور (٢) ، وقد تجمعت في هذا القائد المرابطي صفات الزعامة والقيادة من نجدة وشجاعة وحزم ومهابة (٣) ما جعلت قلوب المرابطين تلتف حوله ، وتسانده في علياته العسكرية المقبلة ، وتأكيداً لسلطانه ، شرع في بناء عاصمة مراكش في عام ٤٥٤ه (٢) بسط نفوذه على المغرب الأقصى (٥) .

وما إن حلت سنة ٤٦٧ه / ١٠٧٤م حتى كان يوسف بن تاشفين قد أحكم قبضته على المغرب الأقصى ، ومكّن لسلطانه السياسى على البلاد بعد كفاح مرير خاضه على رأس جيش المرابطين (١) .

انطلاق المرابطين الى الأندلس:

وقد قيّض الله لهذه الشخصية الفذة وهي شخصية يوسف بن تاشفن أن تلعب دوراً آخر ، وذلك بعد أنْ قامت إبتوحيد المغرب الأقصى في ظل

⁽۱) جولیان : تاریخ افریتیا ص ۸۲ ترجبة طلعت عوض الآلف کتساب سنة ۸۸ د. احمد شلبی : موسوعة التاریخ الاسلامی ج ۲ ص ۱۱۰ ط ۱ سـنة ۱۹۷۲ .

⁽٢) ابن أبي زرع: الأنيس جـ ٢ ص ٣٥٠

⁽٣) نفس المرجع السابق ص ٣٦٠

⁽³⁾ د. حسن آحمد محمود : تيام دولة المرابطين ص ٢٢٠ ، اشباخ: تاريخ الاتدلس في عهد المرابطين والموحدين ج ١ ص ٧١ ترجمة عنسان (٥) ابن أبي زرع : الاندلس ج ٢ ص ٣٩ ، السلاوي : الاستقصا ج ٢

ص ٢٤ ، ابرهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ص ١٧٣ .

Encyclopeadia Britannica Vol 1. P: 674.

⁽١) د. حسن أحبد محمود : قيام دولة الرابطين ص ٢٠٦ .

زعامة موحدة ، ذلك الدور هو الانطلاق إلى الأندلس ، وتحمّل أعباء الكفاح المسلح ضد أطاع النصارى ووقف الزحف المسيحى ، وكان هذا الإنطلاق أيضاً بداية صفحة جديدة في علاقة المغرب الأقصى بالأندلس التي ستصبح بعد ذلك تابعة للمغرب الأقصى في ظل المرابطين والموحدين ، مما نتج عنه آثار بعيدة المدى في شكل الحياة بالمغرب الأقصى في عهد الرابطين والموحدين وهذا ما سنشير إليه في الفصول القادمة وقدتم الإتصال بين المغرب الأقصى والأندلس حين استنجد بعض ملوك الطوائف وعلى رأسهم ابن عباد بيوسف بن تاشفين كمنقذ لأرض الإسلام من وقوعها في أيدى النصارى(١) وبعد استشارة يوسف لأهله ومن حوله أشاروا عايه بالإستجابة لهذه الدعوة و ذلك لأنها تتفق مع مبادئهم من نصرة الدين والدفاع عنه (٢).

ممركة الزلاقة:

وعلى هذا الأساس انطلق يوسف بن تاشفين على رأس قواته صوب الأندلس ، ودارت بينه وبين الأذفونش رئيس العسكر السيسي عدة مكاتبات قبل بدء المعركة (٣) ثم كان لقاء يوسف بن تاشفين على رأس جيش المرابطين والأندلسين في مواجهة الأذفونش على رأس قواته المسيحية في سهل الزلاقة في عام ١٠٨٦ه في عام ١٠٨٦ه في عام ١٠٨٦ه.

⁽۱) المراكشى : المعجب فى تلخيص اخبار المفسرب ص ١٣٠ تحقيق العريان ط ١ سنه ٤٤ ، الصفاقسى : نزهة الانظار ج ١ ص ١٦٩ تونس سنة ١٣٠١ ه لسان الدين بن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الثانى ص ٢٧٨ ، ص ٢٧٩ تحقيق ليفى برونسال سنة ١٩٣٤ رباط الفتح ، بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ١٨٥ ، د، على محمود حموده : تاريخ الاندلس السياسى والعمرانى ص ٢٧٥ ط ١ سنة ٥٧ .

Altamira: A History of Spain. P: 154

Lane Pool: The Moors in Spain, P: 178.

فيليب حتى : تاريخ العرب المجلد الثاني ص ٧٠١ ترجمة مبروك نافع .

⁽٢) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ٣١ .

⁽٣) الصفاتسي : نزهة الانظار ج ١ من ١٦٩ ، ص ١٧٠

⁽٤) أبن أبى زرع: الانيس ج ٢ ص ٥٦ ت النياللي ، السباخ:

الم ١٠٨٧ م (١) وقد أفاضت المراجع في وصف المعركة، وذلك لأهميتها وما ترتب عليها من نتائج (٢) ، إذ أن أولى هذه النتائج أن فتحت عن القائد المرابطي على مدى الترف والثراء الذي يحياه ملوك الطوائف ، وخاصة بعد أن قام بزيارة أشبيلية في صحبة المعتمد عقب نصر الزلاقة وشاهد بنفسه مظاهر البذخ والثراء الذي يتمتع به الأمراء في قصور أشبيلية (٣) وبالرغم من نصح يوسف ابن تاشفين لأمراء الأندلس بالاتحاد والتضامن في دفع الغزو الخارجي (٤) إلا أنهم لم يستجيبوا لهذا النصح مما أدام ضعفهم ودفع يوسف بن تاشفين إلى العبور بعد ذلك إلى الأندلس للقضاء على العدو الخارجي المتمثل في أمراء المسلمين الضعفاء الذين يحكمون البلاد ، حتى صارت الأندلس تابعة لسلطة المرابطين (٥) ، كما الذين يحكمون البلاد ، حتى صارت الأندلس تابعة لسلطة المرابطين أوقف التيار المسيحي من الاستمرار في إقتطاع المدن الإسلامية (١) وبجانب ذلك فان تبعية الأندلس للمرابطين ومن بعدهم الموحدين أسهم في الازدهار الحضاري الذي عاشه المغرب الأقصى .

Julien: Histoire de L'Afrique, P 85.

تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ج ١ ص ٩٠ ، لسان الدين بن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الثالث ص ٢٤٢ ت العدادي .

⁽۱) المراكشي : المجب ص ١٣٥ .

⁽۲) نفس المرجع السابق ص ۱۳۳ ، ابن أبى زرع : الأنيس ج ۲ من ص ۹۰ الى ص ۹۰ الى ص ۶۰) الى ص ۶۰) الى ص ۶۰) الى ص ۶۰)

Lare Pool; The Moors in Spain; P. 179.

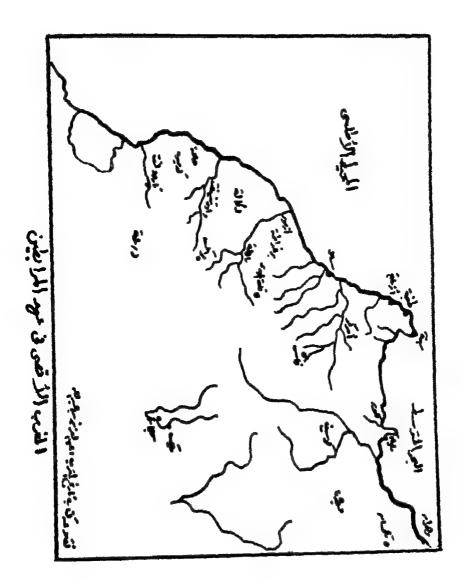
⁽۳) د. حسین مؤنس : الثغر الأعلی الاندلسی ص ۹٦ دیسمبر منة ۱۹۲۹ مجلة کلیة الآداب م ۱۱ ج ۲ ۰

Gayangos: The History of Mohamedan Dynasties in Spain, Vol 2, P. 289, Nevill: A Survey of North West Africa, P: 24 London 1962.

⁽٤) الأمير عبد الله بن بلقين : مذكرات الأمير عبد الله ص ١٠٦ تحقيق ليفي بروفنسال . دار المعارف .

⁽٥) الراكشي : المجب ص ١٦٢ ، ص ١٦٣ .

⁽٦) ابراهيم حركات : المغرب عبر التساريخ ص ١٨٤ ، عبد الله كنون : مدخل الى تاريخ المغرب ص ٣٥ ط ١ سنة ١٩٤ تطوان ، د.حسين مؤنس : الثغر الأعلى ص ٩٤ ،



فاذا ما انتقلنا إلى المغرب الأقصى لوجدنا أن الكفاح المسلح في الأندلس ، ساعد على صهر قبائل المغرب الأقصى في بوتقة واحدة وجمع بين القبائل المختلفة التي توجهت للجهاد في الأندلس ، كما أنها رفعت من قدر هذه الحيوش ، محيث أصبح المرابطون قوة لا يستهان مها ، مما ساعد على استكانة القبائل ، وسارت طائعة مختارة في ركب الدولة الحديدة(١) ، ومن ناحية أخرى فإنها أضفت على قائد المرابطين الذي حمل شرف الحهاد في المغرب والأندلس لقب الزعامة والبطولة ، وأصبح يوسف بن تاشفين محكم مملكة مترامية الأطراف يصفها ابن أبي زرع بقوله « وكان - أي يوسف بن تاشفن -ملكه من مدينة أفراغ أول بلاد الإفرنج قاصية شرق بلاد الأندلس إلى آخر عمل شنترين والأشبونة على البحر المحيط من بلاد غرب الأندلس وذلك مسرة ثلاثة وثلاثين يوماً طولاً ، وفي العرض ما يقرب من ذلك ، وملك بالمغرب من بلاد العدوة من جزائر بني مزغنة إلى طنجة إلى آخر السوس الأقصى إلى جبل الذهب من بلاد السودان (Y).

وبجانب كونها مناطق شاسعة ، فانها تمتعت بالازدهار والرقى ، وصار. العصر الذهبي للمرابطين هو فترة حكم يوسف بن تاشفين(٣) وابنه على بن يوسف وما إن حلت سنة ٤٩٨ هـ حتى أصيب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بالمرض الذي أودي به إلى الوفاة في عام سنة ٥٠٥ه / ١١٠٦م(٤) . ولم ينس واجبه تجاه أمته ، وذلك حين أوصى ابنه وولى عهده بعدة وصايا حفاظاً على المبادىء والتعاليم التي قامت على أساسها الدولة ، وتتلخص في الحرص على العلاقات الطيبة مع المصامدة ، والمحافظة على المعاهدة المعقودة بنن المرابطين

⁽١) د. حسن أحمد محمود : تيام دولة المرابطين من ٢٨٥ .

⁽۲) ابن ابی زرع : الانیس ج ۲ مس ۳۳ ، ۳۷ ت الفیسلالی ، السلاوی : الاستقصا ج ۲ مس ۱۳ . (۳) د. حسن ابراهیم: تاریخ الاسلام السیاسی والثقاف ج ع مس ۱۲۵ .

Scott; History af Moorish Empire, Vol 2: 197. Encyclopeadia Britannica Vol 1. P: 674-

⁽٤) أبن أبى زرع : الأنيس ج ٢ من ٧٧ ، ابن الخطيب : الحلل الموشية من ٦٠ ، اشباخ : تاريخ الانطس ج ١ ص ١١٩ ترجمة عنان .

وبين بني هود في الأندلس والمعاملة العليبة لسكان قرطبة(١) ، ثم أسلم روحه حيث دفن بمراكش(٢) .

على بن يوسف بن تاشفين :

وتولى خلفاً له ابنه على بن يوسف بن تاشفين في سنة ٥٠٥ ١٩٥ ١٩٥ وبالرغم من أن أمير المسلمين الحديد لم يكن قد تجاوز الثالثة والعشرين من عمره (٤) إلا أنه أحسن تولّى مقاليد الأمور ، حيث اقتنى سياسة أبيه (٥)، بالإضافة إلى تمتعه بكثير من الحصال التي أحلته مكاناً طيباً في نفوس رعيته ، فقد كان حسن السيرة ، جيد الطوية ، نزيه النفس بعيداً عن الظلم (١) وجانب ذلك استعان بالفقهاء والعلماء في تسيير دفة الحكم في البلاد (٧) وجريا على سياسة والده في إحياء مبدأ الحهاد ، فانه ما إن فرغ من تسلم مقاليد الحكم في البلاد حتى شرع في استكمال الحهود الحربية التي بدأها والده في ميدان الأندلس (٨) والمتبع للنشاط الحربي للأمير على بن يوسف ، في الفترة الأولى من عهده والمتبع للنشاط الحربي للأمير على بن يوسف ، في الفترة الأولى من عهده يجد أن معظمها كان موجها للأندلس وذلك لنثبيت سلطان المرابطين بالأندلس

⁽۱) محمد عثمان المراكشى: الجامعسة اليوسيقية بمراكش س . ٩ مسئة ٧٧ الرباط .

Cayangos: The History of Mohamedan V.2 P; 302,

⁽٢) الملى : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج ٢ ص ٢١٣ .

⁽۳) النويرى : نهاية الأرب ج ۲۲ مجلد ۲ من ۸۲ ، أبن أبي دينار: المؤنس من ۱۰٥ ، لينبول : طبقات سلاطين الاسلام من ۲۷ ، زامباور : معجم الانساب ج ۱ من ۱۱۳ :

Murphy: The History of the Mahometan, P: 130 London 1816, Scott: History of Moorish Empire, Vol 2 P: 242.

⁽٤) ليني يروننسال: الاسلام في المغرب والاندلس من ٢٤١ ترجية د. السيد عبد العزيز سالم ، الآلف كتاب .

⁽٥) الراكشي : المجيد من ١٧١ .

Murphy: The History of Mahometan, P: 130.

(۱) المراكشي: المعجب ص ۱۷۱ ، اشباخ: تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ج ١ ص ۱۲۱ .

⁽٧) النويري : نهاية الأرب : ج ٢٢ مجلد ٢ ص ٨٢ . .

⁽٨) ابن عدارى : البيان المغسرب ج ٤ من ٥٢ من د. احسسان عبساس .

ومواجهة هجات المسيحين المتكررة ، ولذلك نراه يعبر بنفسه إلى الأندلس أربع مرات (١) . وكان لانتصارات على بن يوسف صداها فى العالم الإسلامى مما دفع الحليفة العباسى المستظهر إلى إرسال رسالة يجدد فيها رضاه عنه كما فعل مع والله من قبل وينصحه بمواصلة الحهاد ، ومما جاء فيها « فاتخد التقوى عمادك والحق منارك وكتاب الله وسنة رسوله شعارك وتجرد للدفاع عن الإسلام والمسلمين وحط من صعادك فى نحور أعداء الله الكافرين (٢).

ظهور محمد بن تومرت:

غير أن الدولة لم تنعم بالإستقرار طويلا ، حيث ظهر على مسرح الأحداث داعية ديني هو محمد بن تومرت الذي استطاع بما أوتى من علم وذكاء أن يغير من أوضاع البلاد ويدخل في صراع جدلي وحربي مع المرابطين ذلك الصراع الذي انتهى بسقوط دولة المرابطين على يد عبد المؤمن بن على خليفة المهدى بن تومرت . وكثير من المؤرخين يرجعون نسب ابن تومرت إلى البيت النبوي حيث يد كرون نسبه بقولهم: هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد بن الحسن بن على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهم (٢) ويذكر البيدق نسبة أخرى تنتهى أيضاً إلى بيت النبوة حين يقول « ينقل من يوثق بنقله من قرابته وغير هم ، محمد بن عبد الله بن وكليد بن يامصل ابن حمزة بن عيسى بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اله) وهذه النسبة إلى

⁽٣) أبن التطآن : نظم الجمان ص ٣٤ الرباط سينة ١٩٩٥ ، ابن ابى زرع : الانيس ج ٢ ص ١٠١ ، ١٠١ لت الفيلللى ، ابن الفظيب : الحلل الوشية ص ٧٥ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ص ٢ ط ١٠ تونس سنة ١٢٨١ ه ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٢٢٦ .

^{﴿ ﴿ ﴾} البينق : اخبار المهدى بن تومرت ص ٢١ ت بروانسال سنة ١٩٢٨ م . ﴿ م ٣ ــ الحضارة)

بيت النبوة تشكك فيها بعض المؤرخين أمثال تراس وجوليان وليني بروفنسال وجولد تسهر (١) غير أن ابن خلدون دافع عن نسبة ابن تومرت إلى بيت النبوة ، وفند مزاع من هاجم هذه النسبة ، وأرجعها إلى حقد العلماء والفقهاء في الدولة المرابطية ، الدين خشوا من ضياع نفوذهم وسلطانهم حين هاجمهم ابن تومرت وكشف عن ضيق أفقهم وتزمهم ، ومخاصة حين كثر التفاف الحاهير حول الداعي الحديد ودعوته (٢) وقد استغل ابن تومرت نسبته إلى البيت النبوى في تثبيت دعوته في نفوس أتباعه معلنا أنه المهدى المنتظر ، وابن تومرت من قبيلة هرغة احدى قبائل المصامدة (٢) .

رهلة ابن تومرت العلمية:

وقد نشأ ابن تومرت نشأة دينية محبا للعلم وحريصاً عليه (٤) غير أن تلك الدراسات التي تلقاها في موطنه لم ترو ظمأه العلمي ومن هنا قام برحلة علمية إلى المراكز الثقافية المشهورة في العالم الإسلامي ، وقد بدأ رحلته إلى الأندلس على رأس الماثة السادسة من الهجرة حيث نال حظاً من العلم (٥) ، ثم واصل رحلته بعد ذلك إلى المشرق ماراً بالإسكندرية ومنها إلى مكة ثم بغداد (١) حيث التي بأكابر علمائها وتلتى عنهم العلوم الدينية من أمثال أبي بكر الطرطوشي ، واختلف المؤرخون في لقاء ابن تومرت بالإمام الغزالي ، فنهم من يثبت ذلك

⁽۱) د، عبد الله علام : الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن على ص ٤٧ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١ .

⁽٢) أَبِن خَلْدُو نْ: مَقْدَمَتُهُ ص ٢٦ ، ٢٧ بيروت .

⁽٣) أَبِنَ أَبِى زَرَعَ : الأنيس جَ ٢ ص ١٠٤ ، ١٠٤ ت النيسلالي ، ١٣٥ . ١٣٥ . التلتشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٣٥ الراكشي : المعجب ص ١٧٨ ، التلتشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٣٥ للراكشي : المعجب ص ١٣٥ التلتشندي : صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٣٥ للراكشي : المعجب ص ١٠٤ ، ١٣٥ التلتشندي : صبح الأعشى جـ ٥ ص

⁽٤) التلتشندي : صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٣٦ .

⁽٥) ابن القطان : نظم الجمان ص ؟ .

Scott: History of Moorish Empire Vol, 2 P: 249 Encyclopeadia Britannica Vol. 1 P: 672, Encyclopeadia of Islam, Vol, 2, p: 426.

ومهم من يتشكّك فيه، ومهم من ينفيه (۱) حتى إذا أنهى دراسته العلمية والتي استغرقت خمسة عشر عاماً (۲) كرّ راجعاً إلى المغرب، وقد تزوّد من هذه الرحلة بقدر كبير من المعرفة والثقافة ظهرت نتائجها في كثير من آرائه الدينية التي نادى بها فيها بعد كتأثره بآراء ابن حزم (۳)، كما أن هذه الرحلة فتحت عينيه على حالة المسلمين السياسية بالمشرق ومدى الانقسام الذي تعيشه الدويلات الإسلامية وضعف الحلافة العباسية (٤) لذا عزم على تحقيق الوحدة الإسلامية في ظل خلافة موحدة ومن ثم بدأ دوره كمصلح ديني خلال رحلة العودة وأثناء مروره بمدن المغرب حاول تغيير الأوضاع الفاسدة التي لمسها في المدن المغربية التي مر بها كبجاية وتلمسان (٥)، وفي كل مكان محل به بجد إستجابة من الحاهير ورفضا من الحكام الذين رأوه خطراً بهدد مصالحهم ومراكزهم.

الملقاء بين ابن تومرت وعبد المؤمن بن على:

غير أن رحلة العودة هذه تكتسب أهمية خاصة وذلك حين التلى ابن تومرت داعى الموحدين بعبد المؤمن بن على التلميذ المخلص لابن تومرت والمؤسس الفعلى لدولة الموحدين في قصة طويلة تدل على ذكاء ابن تومرت

⁽۱) «حول لقاء ابن تومرت بالامام الغزالى ، اختلف المؤرخون فمنهم من يثبت ذلك مشل ابن القطان وابن صساحب المسلاة وابن ابى زرع والسلاوى وابن خلكان والزركشى فى تاريخ الدولتين وابن أبى دينار حيث يذكر أن ابن تومرت لازم الغزالى ثلاث سنين ، ومنهم من يشير الى هذا اللقاء فى تحفظ لا يخلو من الشبك مثل عبد الواحد المراكشى فى المعجب وابن خلدون والنويرى فى نهاية الأرب ، ومنهم من أنكر هذا اللقاء مثل ابن الاثير فى الكامل ، وقد وفى هذه المسالة حقها من البحث الاستاذ أويثى فى كتابه « تاريخ الدولة الموحدية » ، وانتهى الى أن قصة هذا القاء موضوعه وأن القرائن التاريخية تدل على استحالة وقوع ذلك : د ، محمد على مكى سحاشية نظم الجمان لابن القطان ص ١٦ » .

١(٢) ابن القطأن : نظم الجمان ص ٤ .

The Encyclopeadia of Islam Vol. 2. P; 426, (7)

[﴿]٤) الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج ٢ ص ٢٢٠٠٠

⁽٥) المراكشي: المعجب ص ١٧٩ ، ابن القطان: نظم الجمان ص ٢١ ، ٢٢ ، الزركشي: تاريخ الدولتين ص ٢ ، ٣ .

وقدرته على اسبَّالة الأنصار والأتباع(١) ، وقد حرص عبد المؤمن على مصاحبة أستاذه في كل مكان يذهب إليه ، محفظ عنه مبادئه وتعالمه ، ويرقب عن كثب إلتفاف الناس حول الداعي ودعوته (٢) وكان الصدام المباشر بن ابن تومرت والسلطة الحاكمة في البلاد حين وصل إلى مراكش في منتصف ربيع الأول عام خسة عشر وخسيائة(٣) ، وهناك قام بدوره في الوعظ والإرشاد ووصلت أنباؤه إلى أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين الذي جمع له مجلساً من كبار الفقهاء والعلماء وكانت مناظرة بن ابن تومرت وعلماء المرابطين حيث بدأها قاضي المرية مستفسراً من ابن تومرت عمَّا صدر منه من أقوال ضد أمير المسلمين ، وهنا أقرّ ابن تومرت ما نسب إليه من أقوال ، ودعمّ أقواله بذكر المنكرات المتفشية فى المحتمع وذلك أن الحمر تباع جهاراً وأن الحنازير تمشى بن المسلمين ، وأن أموال اليتامي تؤخذ ظلماً وغير ذلك من الأقوال ، وهنا تأثَّر أمر المسلمين بأقواله حتى ذرفت عيناه وصَّمت علماء المرابطين، غير أن مالك بن وهيب حذار أمير المسلمين من دهاء ابن تومرت وطالبٌ بسجنه ولمكن أمر المسلمين لم يستجب له(١) والواقع أن ابن تومرت استغل صلاح وتقوى أمير المسلمين حين ظهر في ثوب من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولم يفصح عن حقيقة نواياه وبذلك استطاع التأثير في أمىر

وأسفرت المناظرة عن طرّد ابن تؤمرت من مراكش ، خشية التأثير في العامة فضلا عن إضعاف مركز الفقهاء ، وكان ذلك بأمر أمر المسلمان على

⁽١) ابن القطسان : نظم الجمان ص ٢٢ ٤ الميني : عقسد الجمان ج ٢٠ قسم ٤ ص ٧٧٧ تصوير شمسي ٤ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون چ ٦ ص ٢٢٢١، ابن ابي زرع : الانيس ج ٢ ص ١٠٧ ت الفيلالي ، اسان الدين بن الخطيب : أعمال الأعلام التسم المثالث ص ٢٦٧ ، ت العبادي Nevill: Morocco,, P: 71 London 1965.

⁽۲) ابن خلدون : تاریخ ابن خلدون چ ۲ می ۱۲۷ . (۳) الزرکشی : تاریخ الدولتین الموحدیة والحقصیة می ۳ .

⁽٤) ابن خلكان : : وقيات الأعيان ج٤ ص ١٣٨ -- ١٤ ك د. عبدالله علام: الدولة الموحدية بالمغرب ص من من من الله علام : الدعوة الموحدية ص ١٠٠ ، الدعوة الموحدية ص ١٠٠ ، ١٠١ ، عبد الله كنون : النبوغ المغربي هـ ٢ ص ٧٣

ابن يوسف وكان هذا الطرد خطأ كبيراً دفعت الدولة المرابطية ثمنه غالياً حيث كلافها ذلك زوال الدولة ، فما إن فارق ابن تومرت مراكش حتى أعلن عن نواياه في مواجهة السلطة الحاكمة ، حيث أعلن خلع إمام المسلمين على ابن يوسف وبايعه من حوله إماماً للدعوة الحسديدة ، وكان ذلك في سنة ١٥٥ه / ١١٢١م على أرجح الآراء(١) وانتهى المطاف بابن تومرت في مدينة تبنملل، تلك المدينة التي أصبحت فيا بعد العاصمة السياسية والروحية للموحدين في عهد ابن تومرت ، ثم العاصمة الروحية لحلفاء الموحدين، وقد توجّه إليها ابن تومرت نتيجة لدعوة أهمها له للإقامة بين أظهرهم (٢) . وفيها وجد ابن تومرت ضالته المنشودة حيث أنها مدينة منيعة وحصينة (٣) ، وفيها مركزاً ما حالحاً في توجيه شئون الدعوة ، وفي نفس الوقت تتمتع بمناعة تجعلها بعيدة عن متناول السلطة الحاكمة .

وسائل ابن تومرت في دعم سلطته:

وما إن استقر ابن تومرت فى تينملل حتى شرع فى تحقيق مبادئه السياسية والدينية والتى تنحصر فى إقامة خلافة إسلامية بالمغرب، والقضاء على الترمت الديني الذى كان محياه فقهاء المغرب والحد من سيطرتهم (١). وفى سبيل تحقيق هذه المبادىء إستخدم ابن تومرت كل ما عملك من أسباب القوة من دهاء وحزم وعلم (٥)حتى محقق مايريد، وكانت وسائلة متنوعة ومتعددة، فقد بدأ ببناء رابطة يستقبل فيها المريدين، ثم قام بدور المعلم الذى يبث نصائحه

⁽أ) الراكشي : المعجب من ١٧٨ ، أبنُ القطان : نظم الْجُنْبان من ٧٤ .

The Encyclopeadia of Islam, Vol 1, P: 316

⁽٢) ابن القطان : نظم الجمان من ٩٤ ، ٩٤ .

⁽٣) نفس المرجع السابق ص ٩٥٠

⁽³⁾ ابن عبود : تاريخ المغرب جد 1 من ۱۲۷ ط ۲ سنة ٥٧ تطوان، اشباخ : تاريخ الاندلس جد ٢ من ١٤٠٠، ، محمد المونى : العلوم والأداب والمنون على عهد المؤحدين من ١٦ تطوان سنة ١٩٥٠،

⁽٥) العبرى : مسالك الأبضار جد ١٥ عن ٣٧ ، ٣٨ تصوير شبسى .

وأفكاره بنن مريديه ، بدون أن يظهر رغبة في الملك والسلطان(١) ، وحتى يسهل على الأتباع حفظ مبادئه وأفكاره نراه يؤلُّف لهم عقيدة في التوحيد بلغة الىر بر (٢). ثم هو يعمد إلى التأثير بوجه خاص فى أعمار الناس وجهـّـالهـم وذلك حتى يسلس قيادهم وفى ذلك يقول ابن خلكان والسلاوى ﴿ ثُم إِنْ أهل الحبل تسامعوا بوصول محمد بن تومرت إليهم ، وكان قد سار فيهم ذكره فجاءه من كل فج عميق ، وتبركوا بزيارته ، وكان كل من أتاه استدناه ، وعرض عليه ما فى نفسه من الخروج على الملك ، فان أجابه أضافه إلى خواصه ، وإن خالفه أعرض عنه ، وكان يستميل الأحداث وذوى. الغرَّة ه(٣) ، وفي نفس الوقت لم يكتف بالقبائل الوافدة عليه بل أرسل الكتب إلى القبائل المختلفة يدعوها إلى الإنضهام إليه والحروج على الدولة(٤) ، وحتى يؤكد نفوذه وسيطرته بنن أتباعه ، نراه يلجأ إلى الحيلة والحداع ، وذلك حنن حبن اتفق مع أحد تلاميذه ، وهو عبد الله الونشريسي وكان على علم ومعرفة فصيحاً في لغة العرب وأهل المغرب(°) اتفق معه على أن يظهر العجز والعتى والجهل أمام الأتباع والمريدين ، ثم يظهر عكس ذلك فى الوقت المناسب الذي يختاره المهدى ، وجاءت اللحظة المناسبة حين حمع المهدى القبائل وأخبر هم نحال الونشريسي التي لمسوها بأعينهم وهي عدم القدرة على الكلام مع الجهل التام ، ثم حدوث المعجزة بأن أصبح نصيحاً بليغاً عالماً بشئون القرآن ، وهنا يظهر الونشريسي ويؤكد ما قاله الإمام ، وبذلك سيطر ابن تومرت على القلوب والعقول(٦) ويبدو أن ابن تومرت لم يتدخر وسيلة إلا واستغلها مع

⁽١) المراكشي : المعجب : ص ١٨٧ ، الزركشي : تاريخ الدولتسين

⁽٢) نفس الرجع السابق ص ١٨٧ ، جوليان : تاريخ افريتيا ص ٧٥ ابن ابی دینار : المؤنس سی ۱۰۹ . (۳) ابن ابی خلکان : وقیات الامیسان ج ۶ ص ۱۶۲ ، السسلاوی :

الاستقصاح ٢ ص ٨٣ ٠

⁽٤) أبن القطان : نظم الجمان ص ٨٤ ، ٨٥ .

⁽٥) أَبْنَ خُلِكَانَ : وَمُيَأْتُ أَلاَعِيَانَ جَ } ص ١٣٩ .

⁽٣) نفس المسدر السابق ج ٤ صن ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، النويري: نهاية الأرب ، ج ٢٢ مُجلد ٢ ص ٨٥ ، ٨٦ ، العينى : عقد الجمان ج.٢ تسم ٤ ص ٧٧٧ ، ابن الآثير : الكامل ج ٨ ص ٧٧٧ .

ما أوتى من ذكاء ومهارة بالإضافة إلى إختياره للسدَّج ليكونوا أتباعاً له، ومن ثم يسهل عليه السيطرة عليهم وأصبحت له الكلمة العليا في كل شئونهم أو كما يقول المراكشي و ولم تزل طاعة المصامدة لابن تومرت تكثر وفتنتهم به تشتد وتعظيمهم له يتأكد ، إلى أن بلغوا فى ذلك إلى حد لو أمر أحدهم بقتل أبيه أو أخيه أو ابنه لبادر إلى ذلك من غير إبطاء ١٠٥فاذا ماحاول بعض أتباعه التشكك فى سلطته السياسية ودعوته الدينية قضى علمهم مستغلا فى ذلك قصة البشير الونشريسي يقول البيذق «ثم أقام أياما عدة فأكرم الله المهدى بدعوة البشر فأمر بالمر ، فكان البشير مخرج المخالفين والمنافقين والحبثاء من الموحدين حتى امتاز الحبيث من الطيب ورأى الناس الحق عياناً، (٢) وكانت مذبحة راح ضحيتها الكثير من الأنفس مع ما فيها من قسوة وبشاعة ، وقد صور ذلك العمري والنويري بقولهما ٥ فكان الونشريسي يعمد إلى الرجل الذي مخالف ناحيته ، فيقول هذا من أهل النار ، فيلتى من الحبل وإلى الشاب الغر ومن لا مخشاه ، فيقول هذا من أهل الحنة فيترك عن بمينه ، فكانت عدة القتلى سبعين ألفاً (٣) ولا شك أن ابن تومرت قد عمد إلى التخلص من مناوثيه يدعمّ ذلك مارواه البيذق وهو أحد تلاميذ ابن تومرت ومن المخلصين للدعوة الموحديه ، غير أن مارواه العمري والنويري عن عدد من قتل يبدو عليه طابع المبالغة حّيث لا مجوز منطقياً أن يتخلص ابن تومرت من سبعين ألفاً من أتباعه وهو بسبيل تأسيس دوئة ، فضلا عن الأثر السيء الذي محدثه قتلهم فى نفوس ذويهم وأقاربهم مما يشكل خطراً على الدعوة الموجدية ، إ وقد تكرر ذلك التميير بهدف القضاء على المتشككين في الدعوة (١) ويجانب إز عمليات التميير المتكررة تخضى ابن تومرت على كل معارضة في عاصمته تينملل و ذلك حين أحس من بعضهم إعراضاً (٥) .

⁽١) الراكشي : المعجب صن ١٩١ .

⁽٢) البيذق : أخبسار المهدى بن تومرت ص ٧٨ ت ليفي بروفنسال باریس سنة ۱۹۲۸ ،

⁽١٢) العمري: مسالك الأبصار جر ١٦ تسم ٢ ص ٢٦١٠ ، ٢٦٧ ، النويري : نهاية الارب جر ٢٢ مجلد ٢ من ٨٦ ٠٠٠

⁽٤) ابن القطان : نظم الجمان ص ١١٤ . (٥) النويرى : نهاية الأرب ج ٢٢ مجلد ٢ ص ١٠ .

ومن هنا نرى أن ابن تومرت لم يدع وسيلة إلا إستخدمها في سبيل التأثير على أتباعه ، وجعلهم أداة طيعة لتحقيق أهدافه السياسية والديثية ، حتى إذا تحقق من ولائهم له بدأ الكفاح المسلح الذى أصبح ضرورة حتمية لنجاح دعوته(۱) وقد شارك ابن تومرت في الكفاح المسلح إذ تذكر المواجع أنه اشترك في تسع غزوات ضد المرابطين(۲) ، إلا أن معركة البحيرة في سنة ٤٢٥ه / ١١٢٩م على أرجح الآراء ، كانت بداية النهاية لحياة ابن تومرت ، إذ أصيب ، الموحدون مزيمة شنعاء قتل فيها عدد كبير من الموحدين (۳) . وكانت صدمة كبيرة لابن تومرت الذي وصلته أنباؤها وهو في تينملل . غيرأن ما خفف من هذه الصدمة هوبقاء عبد المؤمن بن على على قيد الحياة (٤) . وقد صور ذلك المراكشي بقوله « فانهزم المصامدة وقتل منهم خلق كثير ، ونجا عبد المؤمن في نفر من أصحابه ، فلما جاء الحبر لابن تومرت قال : الميس قد نجا عبد المؤمن ، قالوا : نعم قال : لم يفقد أحد » (٥) لا أن الصدمة كانت أقوى من أن يتحملها ابن تومرت فا لبث أن مرض ولزم داره حتى فارق الحياة في سنة ٤٢٥ه / ١١٢٩م (١) بعد أن ترك حرباً ولزم داره حتى فارق الحياة في سنة ٤٢٥ه / ١١٢٩م (١) بعد أن ترك حرباً مشتعلة على أرض المغرب الأقصي ، وأتباعا يؤمنون عبادته ، وعاربون مشتعلة على أرض المغرب الأقصى ، وأتباعا يؤمنون عبادته ، وعاربون

⁽۱) د. احمد شلبی : التاریخ الاسلامی ج ۶ ص ۱۸۹ ط ۳ سسنة ۱۹ النهشة .

⁽٢) البيذق : اخبار المهدى ص ٧٤ الى ص ٧٨ د، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٧٧٩ ، د، عبد الله على عسلام : المدعوة الموحدية ص ٢٠٤ . المعرف المرادية ص ٢٠٤ ، ص ١١٩ ، ص ١١٩ ، ص ١٢٠ ،

⁽٣) ابن القطان : نظم الجمان ص ١١٨ ، ض ١١٩ ، ص ١٢٠ ، المراكشي : المعجب ص ١٩٢ ، ص ١٩٣ ، ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ١٨ ، ابن عذاري : البيان المغرب ج ٤ ص ٧٦ ت. د. احسان عباس ، محمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين : القسم الأول ص ١٩٠ ط ١ سنة ٦٤

⁽٤) ابن الخطيب : الحال الموشسية ص ٨١ ، ابن القطان : نظم الجمان مِن ١٢٢ .

⁽٥) الراكشي: المعجب من ١٩٣٠

⁽٦) البيذق : اخبار المهدى بن تومرت ص ٨٣ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ج ٤ ص ٨٤ ت د. احسان عباس ، ابن المغطان : تظم الجمان ص ٧٤ ، المراكثي : المجب ص ١٩٤ ، ابن الخطيب : أعمال الاعسلام القسم الثالث ص ٢٧٠ .

فى سبيلها ، ودولة متداعية تحت ضربات الموحدين حتى سقطت فى النهاية على يد تلميذه المخلص وخليفته من بعده عبد المؤمن بن على .

عبد المؤمن بن على:

وكما اختلف موقف المؤرخين من نسبة ابن تومرت إلى بيت النبوة ، كذلك أيضاً بالنسبة لحليفته عبد المؤمن بن على ، فهم من نسبه إلى العرب (١) وفى ذلك يقول المراكشي و وعبد المؤمن هذا ، هو عبد المؤمن بن على الكومى أمه حرة من كومية أيضاً ، من قوم يقال لهم بنو مجبر ، مولده بضيعة من أعمال تلمسان تعرف بتاجرا ، وقيل أنه كان يقول إذا ذكرت كومية الست منهم وإنما نحن لقيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ولكومية علينا حق الولادة بينهم والمنشأ فيهم وهم الأخوال ١٩٤٦ م فى أيام يوسف بن النسبة (٢) وكان مولده فى آخر سنة ٤٨٧ ه / ١٠٩٤ م فى أيام يوسف بن تاشفين (٤)، وبعد أن فرغ عبد المؤمن من تنظيم شئون الموحدين ، وقد استغرق نلك منه زهاء عام ونصف (٥) شرع فى الكفاح المسلح ضد المرابطين ، فنك ذلك الكفاح الذى استغرق سنوات طويلة حتى سقطت دولة المرابطين ، قضى عبد المؤمن منها زهاء عشر سنوات محارب المرابطين فى منطقة الأطلس جنوبى عبد المؤمن منها زهاء عشر سنوات محارب المرابطين فى منطقة الأطلس جنوبى مراكش فى وادى درعة وبلاد السوس وفى بلاد حاحة من أحواز تينملل ، وقد كان النصر حليف الموحدين فى معظم هذه المعارك (١).

تاشفين بن على :

إلا أن وفاة عاهل المرابطين على بن يوسف بن تاشفين في عام

⁽۱) ابن آبی زرع: الانیس ج ۲ ص ۱۲۱ ، ۱۲۷ ، البینق: اخبار اللهدی ص ۲۱ ، ص۲۲ ، النویری: نهایه الارب ج ۲۲ مجلد ۲ ص ۸۶. (۱) الداکشم: اللمدی ص ۱۹۸ ، ص ۱۹۷ .

⁽۱) المراكشي : المعجب ص ۱۹۹ ، ص ۱۹۹ . (۳) العبرى : مسالك الأبصار جـ ۱۵ ص ۶۰ تصوير شمسي ، ليني بروننسال : الاسلام في المغرب والاندلس ص ۲۷۰ ت ، د. محمود السيد سالم .

⁽٤) الراكشي : المعجب من ١٩١٧ .

⁽٥) عنان : عصر الرابطين والموحدين التسم الأول ص ٢٢٥ .

⁽۲) عنان : عصر الرابطين والموسيين التسم الأول ص ٢٣٤ ، البينق : اخبار المهدى ص ٨٤ وما بعدها .

٥٣٧ ه / ١١٤٢م(١) ، وتولى ابنه تاشفين بن على الحكم من بعده أدخل الكفاح المسلح فى مرحلته الأخيرة، حيث لم تفلح جهود تاشفين بن على فى صد موجات الموحدين المتتابعة ، وانتهى به المطاف فى وهران حيث قتل سنة سنة ٥٣٩ه / ١١٤٤م(٢) ، وفت هذا فى عضد الدولة المتداعية ، والتي أصبح كثير من أراضها فى أيدى الموحدين .

اسحق بن على :

وكمحاولة أخيرة من المرابطين في الاحتفاظ بكيانهم المتداعي فانهم قد موا عليهم ابراهيم بن تاشفين الذي لم ينعم بالسلطة حيث نازعه فيها عمه اسحق بن على بن تاشفين وتولى مكانه السلطة (٢). ولم يستطع اسحق بقواته المتجمعة في عاصمته أن يدفع ذلك الحصار الذي فرضه عبد المؤمن حول عاصمة المرابطين في سنة ٤١٥ه / ١١٤٦م (٤) حتى سقطت في يده ، وأعمل فيها عبد المؤمن السيف حتى قضى على كثير من أهلها (٥) ، وبسقوط العاصمة فيها عبد المؤمن السيف حتى قضى على كثير من أهلها (٥) ، وبسقوط العاصمة مراكش انتهت دولة المرابطين ، ذلك الصرح الشامخ الذي وضع لبناته الأولى عبد الله بن ياسين كداعية ديني جع حوله الأتباع ، وجهود يحيى ابن ابراهيم الحدالي ، في هذه الفترة من عمر الدولة ثم انتقال السلطة إلى

⁽۱) ابن ابی زرع: الأنیس ج ۲ ص ۹۲ ت الفیسلالی ، زامباور: محم الأنساب ح ۱ ص ۱۱۳ .

معجم الانساب ج ا ص ۱۱۳ .

(۲) ابن الخطيب: الاحاطة المجلد الاول ص ۲۱۱ ت عنان ، المحراكشي: المعجب ص ۳۰۳ ، ابن أبي زرع: الانيس ج ۲ ص ۹۳ لا ابن عذاري: البيان المغرب ج ٤ ص ١٠٤ ت د، احسان عباس ، الن كلي ، الاعلام ح ١ ص ١٦١ م م ١٩٢٧ م .

⁽³⁾ ابن عذارى : البيان المغرب : ج ٤ ص ١٠٨ ت د . احسان عباس ٤ ابن تحية : المطرب من اشعار المغرب ص ٣١ ط ١ سنة ٥٥ الخرطوم ٤ ابن أبى زرع : الأنيس ج ٢ ص ١٣٨ ت الفيلالى .
(٥) ابن الخطيب : الاحاطة المجلد الأول ص ١٩٢ ت عنان ٤ ابن

⁽ف) ابن الخطيب : الاحاطة المجلد الأول من ١٩٢ ت عبان ، ابن الخطيب : الحلل الموشية من ١٠٥ ، المراكثي :ا لأعلام بمن حل مراكش من الأعلام من ٢٣٠ ط ١ سنة ٣٦ فاس .

De Gayangos: History af Mohamedan, Vol 2, P; 309.

لمتونة متمثلاً فى رئاسة يحيى بن عمر ثم أخيه أبى بكر بن عمر الذى أسلم قيادة إلى جند الشمال لابن عمه يوسف بن تاشفين ، وبذلك دخلت الدولة فى دور التوطيد والتوسع حتى بلغت قمتها فى أواخر عهد يوسف بن تاشفين وابنه على ، وفى عهده اندلعت ثورة الموحدين التى أتت على كل تلك الجهود الحربية .

عوامل سقوط دولة المرابطين:

ولنا بعد ذلك العرض السريع المتاريخ السياسي لدولة المرابطين أن نشير بايجاز إلى عوامل سقوطها ، ويمكن أن نرجع ذلك إلى عدة عوامل : يأتى في مقدمتها ضعف القيادة العليا للبلاد ، وذلك منذ تولى على بن يوسف بن تاشفين حكم البلاد مما دعا كثيراً من الأمراء إلى الاستبداد يعير عن ذلك المراكشي بقوله (واختلف حال أمير المسلمين رحمه الله بعد الحمسمائة اختلالا شديداً ، فظهرت في بلاده مناكر كثيرة وذلك لإستيلاء أكابر المرابطين على البلاد ، ودعواهم الاستبداد ، وانتهوا في ذلك إلى التصريح ، فصار كل منهم يصرح بأنه خير من على أمير المسلمين وأحق بالأمر منه ، (١) ، وربما ساعدهم على ذلك إنصراف الأمير على إلى العبادة ، ومما زاد مركز القيادة ضعفاً ، ذلك الخلاف الحطير الذي حدث بين ابراهيم بن تاشفين وعمه اسحق ضعفاً ، ذلك الخلاف الحطير الذي حدث بين ابراهيم بن تاشفين وعمه اسحق مركز المرابطين وعجل بانتصار الموحدين ، ومجانب ضعف القيادة ، تخاذل مركز المرابطين وعجل بانتصار الموحدين، ومجانب ضعف القيادة ، تخاذل مركز المرابطين وعجل بانتصار الموحدين، ومجانب ضعف القيادة ، تخاذل ألحد وتخليهم عن روح التقشف والجهاد التي تربوا في مهادها ، وذلك التأثرهم محياة الترف الأندلسية (٢) كما أن الحروب المستمرة في جهة الأندلس استنفدت جزءاً كبيراً من طاقة المرابطين الحربية ، مما أسهم في هزائمهم استنفدت جزءاً كبيراً من طاقة المرابطين الحربية ، مما أسهم في هزائمهم استنفدت جزءاً كبيراً من طاقة المرابطين الحربية ، مما أسهم في هزائمهم استنفدت جزءاً كبيراً من طاقة المرابطين الحربية ، مما أسهم في هزائمهم

⁽۱) المراكشي : المجب ص ۱۷۷ .

⁽۲) جولیان : تاریخ انریقیا ص ۷۵ ترجمة طلعت عوض ، ستانلی لین بول : طبقات سلاطین الاسسلام ص ۶۷ ، د، علی محمود : تاریخ الاندلس السیاسی والعمرانی ص ۲۸۲ ، حتی : تاریخ العرب ج ۲ ص ۷۰۸ .

J. Spencer; A History of Islam in West Africa, P; 25

المتكررة أمام الموحدين يضاف إلى ذلك كثرة الإنفاق على المجهود الحربي الله التدهور الإقتصادى الذي عانته الذي استرف كثيراً من المال مما أدى إلى التدهور الإقتصادى الذي عانته البلاد في أواخر أيامها .

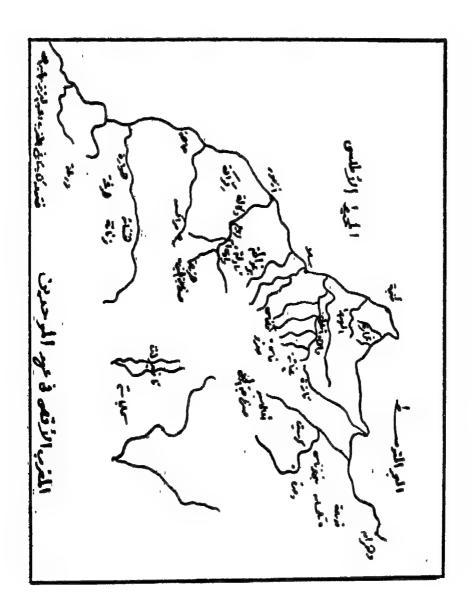
وبجانب ذلك وجود شخصية ذكية لعبت دورها بدهاء على مسرح الأحداث لاجتذاب أكبر عدد ممكن من الأتباع وهي شخصية ابن تومرت الذي تجوّل في العالم الإسلامي واستغل ذكاءه وعلمه في نشر دعوته الدينية التي كانت تناهض مبادىء المرابطين الدينية ، واستخدم كل الوسائل الممكنة في التأثير على أتباعه ومريديه ، ثم تلك القيادة العسكرية القادرة المتمثلة في عبد المؤمن بن على خليفة ابن تومرت في قيادة الموحدين والذي استخدم مقدرته وذكاءه في محاربة المرابطين من اختيار للزمان والمكان المناسبين للحرب مع حسن الإمدادات لحيشه وعدم توفّر ذلك للمرابطين ، وفي ذلك يقول ابن الحطيب و كان الموحدون يسيرون في الحبال المانعة حيث الأرزاق الواسعة وكان تاشفين يبر ل البسائط فلا يجد من البرابرة من يواصله من يستعين به ويداخله وذلك بسبب الإدبار وإنقطاع الدولة والأنصار ه(١) مع استناد الموحدين في دعوتهم إلى قبائل المصامدة الكثيرة العدد ، وقدم عداوتهم الماشمين (١).

جهود عبد المؤمن العسكرية:

وبعد أن سيطر عبد المؤمن على مقاليد الأمور في العاصمة مراكش ، وأحكم قبضته على المغرب الأقصى ، نراه يوجه اهتمامه إلى الشرق ، حيث خرجت الحيوش الموحدية في حملات متتابعة ناحية الشرق حتى وصلت إلى طرابلس في إفريقية ، محققة إنتصارات عسكرية متوالية ، وبذلك نجح الموحدون في تحقيق وحدة سياسية للمغرب الإسلامي ، تدار شئونها من عاصمة الحلافة في مراكش ، غير أن خضوع هذه المناطق المترامية لسلطة الحلافة الموحدية في مراكش ، أنعكست آثاره على حياة المغرب الأقضى وخاصة الموحدية في مراكش ، أنعكست آثاره على حياة المغرب الأقضى وخاصة

⁽١) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ٢٦ ، ٩٧ .

⁽٢) الميلى: تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج ٢ ص ٢١٨٠ . .



منذ أن بدأ الصراع بين الموحدين والعرب الهلالية وهو ما سنعرض له فيما بعد وفي نفس الوقت لم ينس الموحدون واجهم في حماية الأندلس ، وذلك حين شرع عبد المؤمن في تجهير حملة كبرة لدفع النصاري عن مدن الأندلس في سنة ٥٥٦ه / ١١٦٠م(١) ، إلا أن مرض الخليفة عبد المؤمن حال دون إتمام هذه الحملة ، حيث أنضى المرض إلى موته في سنة ٥٥٥٨ / ١١٦٢م(٢) ، بعد أن ترك وراءه دولة مترامية الأطراف تمتد من طرابلس المغرب إلى المحيط الأطلسي ومن السوس الأقصى جنوباً إلى أكثر جزيرة الأندلس : (m) Y La

يوسف بن عبد المؤمن:

وتولَّى خلفاً له ابنه يوسف بن عبد المؤمن حيث بويع برباط الفتح عام ٨٥٥٨/ ١١٦٢م(٤) ، وذلك لما يتمتع به من صفات العسمدل والورع والعلم مما جعله أهلا لتولى منصب الحلافة (°) وما إن استقر الحليفة يوسف بن عبد المؤمن في عاصمته حتى واجهته ثورة في جبال غمارة بقيادة مرزدغ الصنهاجي من صنهاجة (١) حيث تبعه خلق كثير ودخل مدينة تازا(٧) ، إلا أن الخليفة استطاع القضاء على الثورة وقتل زعيمها ، وحمل رأسه إلى مراكش . ثم وجه

⁽۱) ابن أبى زرع: الأنيس ج ٢ ص ١٦٣ ت النيلالي .

René Millet; Les Almohades, P; 93 Paris 1923.

⁽٢) المراكشي : المعجب ص ٢٣٥ ، ابن أبي زرع : الأنيس ج ٢ ص ١٦٨ ت الغيلالي ، البينق : أخبار المهدى ص ٨٣ أبن العطان : نظم الجمان ص 179 .

⁽٣) المراكشي : المعجب ص ٢٣٠ ، ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ١١٩ ، أليلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج ٢ ص ٢٢٢

Budgett Meakins; The Moorish Empire, P; 72. (٤) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٦٥ تحقيق ميراندا تطوان

⁽٥) نفس الرجع السابق ج ٤ ص ٧٠ . (٦) ابن صاحب الصلاة: تاريخ الن بالامامة ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ تحقيق التسازى ط ١ بيروت سينة ٦٩ ، أبن أبي زرع : الاتيس ج ٢ ص ١٨٤ ت الفيلالي السلاوي : الاستنصا ج ٢ ص ١٤٧ .

⁽٧) نفس الراجع السابقة .

الخليفة يوسف جل جهوده لدعم السلطة السياسية للموحدين في الأندلس ، وقد استنفد منه ذلك كثيراً من الجهد والوقت ، حيث نراه يرسل الجنود في حملات متتابعة إلى الأندلس ، ثم نراه يرأس إحدى هذه الجملات في سنة حملات متتابعة إلى الأندلس ، ثم نراه يرأس إحدى هذه الجملات في سنة للأندلس لضبط ثغورها وإصلاح أحوالها . حتى إذا عاد إلى المغرب أخذ في الأندلس وذلك في عام ١٩٧٩هـ الأهبة والاستعداد مرة أخرى لغزوة كبرى في الأندلس وذلك في عام ١٩٧٩هـ المحمد أسوار شنترين مما دفع الجنود إلى الرجوع ومعهم الجليفة المصاب حيث عند أسوار شنترين مما دفع الجنود إلى الرجوع ومعهم الجليفة المصاب حيث قضى غيمه في عام ١٩٨٠هم / ١١٨٤م (٤) بعد أن قضى في الحكم مدة اثنتين وعشرين سنة (٥) .

المنصور الموحدى:

وتولتى مقاليد الحكم خلفاً له ابنه يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فى سنة ٩٨٠ه/ ١١٨٤م (٢)، ولقب بالمنصور ، وقد بلغت الدولة الموحدية فى عهده الذى استمر ما يقرب من خسة عشر عاماً ، أوج ازدهارها وتقدمها وقد توزّعت جهود المنصور الموحدى العسكرية فى أكثر من ميسدان ، فنراه يوجه إهمامه للقضاء على ثورتين نشبتا فى عهده: الأولى بزعامة الجزيرى

⁽۱) ابن آبی زرع: الأنيس ج ۲ ص ۱۸٦ الفيلالی ، السلاوی: الاستقصا ج ۲ ص ۱٤٩ .

⁽٢) الراكشي : المعجب ص ٢٤٨ .

⁽٣) المراكشي : المعجب ص ٢٥٦ ، ابن أبي دينار : كتاب المؤتسي ص ١١٤ .

⁽٤) ابن أبى زرع: الأنيس جـ ٢ ص ١٩٣ ، المسراكشى: المعجب من ٢٦٢ ، ابن عذارى: البيسان المغرب جـ ٤ ص ٢٧ ت مسيراندا ، ابن أبى دينار: كتاب المؤنس ص ١١٤ ، الزركشى: تاريخ الدولتين ص ١٤٧ لسان الدين بن الخطيب: اعمال الأعسلام القسم الشائى ص ٣٠٩ ت بروفنسال

Murphy: The History of the Mohametan, P;132

⁽٥) ابن أبى زرع: الأنيس جـ ٢ ص ١٩٣ ت الفيلالى .

⁽١) زامباور : معجم الأنساب ج ١ ص ١١٣٠ .

الذى أخد يدعو لنفسه بين القبائل فى سنة ٥٨٥ه / ١١٨٩م (١) إلا أنه قضى عليها وقتل زعيمها (٢) ، أما الثورة الثانية فكانت ببلاد الزاب حيث قام أحد الأدعياء ويدعى الأشل بدعوة القبائل لطاعته ، فاجتمع حوله شراذم من العرب وكان ذلك فى عام ٥٨٩ه / ١١٩٣م (٣) وقد كان الفشل مصير هذه الثورة أيضاً .

جهوده في الأريقية:

وهناك ميدان آخر استنفذ جهداً وأموالا كثيرة وذلك هو ميدان إفريقية وثورة بني غانية ، تلك الثورة المدمرة التي وصفها الميلي بقوله و دامت ثورة ابن غانية نصف قرن ، ولم بجن الوطن منها غير الحراب (٤) ، وكان الهدف منها إحياء دولة المرابطين وإعادة الدعاء للخلافة العباسية على المنابر (٥) ولفالك وجمّة المنصور الموحدي جهوده القضاء على هذه الحركة التمردية فخرج من مراكش في سنة ١٨٥٨ م (١٦) قاصداً تونس ومحاولا القضاء على هذه الحركة وقد تم له ذلك ومن ثم رجع إلى عاصمته في سنة ١٨٨٨ ه (١١٨٨ عنه الموحدية عهد المنصور الموحدي وابنه الناصر من بعده . أما الميدان الأخير والذي برزت فيه جهود المنصور الموحدي ، فهو ميدان الأندلس الذي أولاه المنصور إهمامه وعنايته ، وتوج هذا الإهمام بانتصاره العظيم في المسلمين بقيادة بطل الأرك المنصور الموحدي وجنود الروم بقيادة الأذفونش معركة الأرك تلك المعركة التي أعادت أمجاد الزلاقة ، وكانت بين جيوش المسلمين بقيادة بطل الأرك المنصور الموحدي وجنود الروم بقيادة الأذفونش المسلمين بقيادة بطل الأرك المنصور الموحدي وجنود الروم بقيادة الأذفونش

⁽۱) ابن عذاری: البیان المغرب ج ٤ ص ١٤٠ ، ١٤١ ت ميراندا.

⁽٢) نفس الرجع السابق ص ١٣١ .

⁽٣) نفس المرجع السابق ص ١٥٤ .

⁽٤) الميلى : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج ٢ ص ٢٣٩ .

⁽٥) الميلى : تاريخ الجزائر في التديم والحديث ج ٢ ص ٢٣٦ .

⁽٦) السلاوى: الاستتماج ٢ ص ١٩٠٠ ١ ١٦١ .

⁽٧) نفس المرجع السابق ج ٢ مس ١٦١ .

فى عام ١٩٥٨ / ١١٩٤م(١) وقد أفاضت المراجع فى وصف هذه المعركة تلك المعركة التى وطّدت من سلطة الموحدين بالأندلس وأوقفت زحف المسيحين ، وزادت من هيبة الموحدين ومكانتهم فى الشهال الإفريقي حتى إذا حلت سنة ٥٩٥ه / ١١٩٨م أصيب المنصور الموحدي بوعكة أدت إلى وفاته (٢) بعد فترة جهاد وكفاح استمرت خمسة عشر عاماً منذتوليه منصب الحلافة

النامر الموهدى:

وتولى خلفاً له ابنه أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن الملقب بالناصر لدين الله حيث بويع البيعة العامة بعد أسبوع من وفاة أبيه وذلك في سنة ٩٥٥ه / ٩١٩٨م (٣) وقد حدثت في عهده تطورات سياسية وعسكرية ، إنتقلت بالدولة الموحدية من مرحلة القوة والسيادة التي تمتعت بهما في عهد عبد المؤمن بن على وابنه يوسف وحفيده المنصور ، إلى مرحلة التمهيد للإنهيار العام للدولة ثم سقوطها . غير أن نذر الضعف لم تظهر في أوائل عهده وبعد معارك عنيفة في الحبة الإفريقية عدة إنتصارات على ثورة بني غانية إذ توجه إلى إفريقية في سنة ٩٨هه عدة إنتصارات على ثورة بني غانية إذ توجه إلى إفريقية في سنة ٩٨هه ١٢٠٩ وعاد في سنة ٤٠٢ه / ١٢٠٧م بعد أن حقق في الميدان الإنريقي (٥) ، وفي سبيل تأمين الحبة الإفريقية ، ولتى الناصر عليها الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتائي وكان من أشياخ الموحدين (١) ،

⁽۱) المراكشى : المعجب ص ۲۸۲ ، ابن عداري : البيسان المغرب ج ٤ ص ١٦٠ ت ميراندا ، الحبسيرى : صفة جزيرة الاندلس ص ١٢ ت ليني بروفنسال سفة ٣٠ ، ابن ابي دينسار : المؤنس ص ١١٦ ، لمسان الدين بن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الشاتي ص ٣٠٩ ليني بروفنسال .

⁽۲) ابن عذاری ، البیان المغرب ج ۶ ص ۱۸۳ ت میراندا ، ابن أبی زرع : الاتیس ص ۱۳۷ طبع حجر ، الزرکشی : تاریخ الدولتین ص ۱۱ .

الله ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٤ ص ١٩٢ تحقيق ميراندا ، ابن المؤنس ص ١٩٢ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ص ١٤٧ .

⁽٤) أبن أبي زرع: الأثيس ص ١٦٨ طبع مجر.

⁽٥) عنان : عصر المرابطين والموجدين التسم الثاني ص ٢٧٠ .

⁽١) نفس المرجع السابق ص ٢٧٠ .

⁽م } ــ الحضارة)

الذي عكف على معالجة شئون إفريقية ودعم سلطان الموحدين بها(١) ، إلا أن ولاية أبي حفص كانت البداية لقيام دولة الحفصيين في تونس حيث استقل أبناء أبي حفص بهذه الولاية وأسسوا ملكاً مستقلا(٢)، وذلك حين دبّ الضعف في قيادة الموحدين وآذنت الدولة بالزوال . ولعبت جبهة الأندلس دوراً كبيراً في ضعف الدولة الموحدية وذلك حين فجع الموحدين بهزيمة قاسية في معركة العقاب (٢) راح ضحيها الكثير من جند الموحدين ، وأفقدت الموحدين معركة الأندلسي ، تلك الهيبة التي أكد من وجودها المنصور الموحدي بطل معركة الأرك ، وامتدت آثار هزيمة العقاب على مستقبل الأندلس السياسي ،حيث دخلت منذ هذه المعركة في دور الضعف الذي عجل بسقوطها بعد ذلك في أيدى الفرنجة ، وانعكست هزيمة العقاب على المستقبل السياسي بعد ذلك في أيدى الفرنجة ، وانعكست هزيمة العقاب على المستقبل السياسي المغرب الأقصى إذ أصيب الناصر بالمرض ، وتوفي سنة ١٢٦٠ه (١٢) ١٢٩٥ (١٤) الدولة بعد ذلك صراعات بين أبناء عبد المؤمن على السلطة ، وتقلص نفوذ في سنة ١٢٩٠م عن سقطت الدولة في الأندلس وإفريقية ، وسرى الضعف في أرجائها حتى سقطت الدولة في سنة ٢٦٠ه ١٢٩٥ (١٠) .

غترة الازدهار في الدولة الموحدية:

وبذلك عمرت الدولة الموحدية منذ إستيلاء الموحدين على عاصمة المرابطين

⁽۱) نفس الرجع السابق ص ۲۷۲ .

⁽۲) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلمية جـ ۲ ص ۱۹۸ ، ابن تنفذ : الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية ص ۱۰۸ ت محمد الشاذلي سنة ۱۹۹۸

⁽٣) مجهول : الذخيرة السنية ت محمد بن أبي شنب سنة ١٩٢٠. الجزائر المراكشي : المعجب ص ٣٢١ ، لسان الدين بن الخطيب : أعمال الأعلام التسم الثاني ص ٣١٠ ت بروفنسال .

J. Spencer: A History of Islam P; 25.

⁽٤) المراكشي : المعجب ص ٣٢٣ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ص١٣٠ ابن أبي دينار : المؤنس ص ١١٩ .

⁽ه) أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين جـ ٢ ص ١٦٦ ، ترجمة ، عنان .

فى سنة ٤١هه / ١١٤٦م حتى سقوط مراكش فى يد بنى مرين سنة ٢٦٨هـ فى سنة ١٢٢٩م (١) ١٢٧٩ سنة ، تمتعت فيها الدولة بالإزدهار والر قن شي المحالات فى عهد الحليفة الأول عبد المؤمن حتى حفيده الناصر ، وهى فترة زمنية تمتد منذ سنة ١٤٥ه / ١٢١٢م ، قام منذ سنة ١٤٥ه / ١٢١٢م ، قام فيها خلفاء الموحدين بدور كبير فى تقدم المغرب الأقصى ، وكان ذلك استكمالا لجهود من سبقهم من أمراء المرابطين .

و هكذا شهد المغرب الأقصى منذ أن تولتى المرابطون السلطة السياسية حتى هزيمة العقاب فى عهد الموحدين ، عهداً غنياً بالأحداث السياسية ، برزت من خلاله حياة إدارية محكمة ، وتقدماً إقتصادياً ، وحركة فى البناء والتعمير ، ومجتمعاً ينعم بالرخاء فى ظل حركة ثقافية مز دهرة وهذا ماسنتناوله باذن الله فى الفصول التالية .

⁽١) ابن عبود : تاريخ المغرب ص ١٢١ .

الفص لالتان

السلطة العليا في البلاد ا _ الفيلاغة

إستقر الفتح الإسلامي في المغرب الأقصى على يد موسى بن نصير سنة ٨٨٥ / ٥٠٥م وأصبح إقليما إسلامياً تابعاً للخلافة الأموية في المشرق إلا أن هذه التبعية لم تستمر طويلاً إذ إنفصل المغرب الأقصى بعد ذلك عن الخلافة الأموية في سنة ١٢٢ه / ٧٣٩م وذلك بعد فترة من الصراع الدموى ضد السلطة القائمة(١) ، أي أن الفترة التي مكثُّها المغرب الأقصى معترفاً وخاضعاً لحكم الخلافة في المشرق استمرت خسة وثلاثين عاماً ، ثم تولى الحكم في المنطقة سكان البلاد(٢) ، ولم يتخذ أحد منهم لقب خليفة ، حتى جاء إدريس ابن عبد الله وبايعته القبائل القاطنة بالمغرب الأقصى في سنة ١٧٢هـ / ٧٨٨م معلناً بذلك قيام دولة الأدارسة ، وبالرغم من استقلاله بالمغرب الأقصى عن سلطة الحلافة العباسية بالمشرق إلا أنه لم يُتخذ لقب خليفه . ثم شهد المغرب الأقصى فنرة من الضعف وذلك حنن دخلت دولة الأدارسة في مرحلة التبعية للدولة العبيدية سنة ٥٩١٥ / ٩١٧م ، وأصبحت لا تملك من أمرها شيئاً ، وإنما تخضع لغيرها فتارة تدعو على منابرها للدولة العبيدية بالمغرب ، وتارة تدعو على منابرها لحكام دولة الأندلس وأعقب ذلك إنقسام المغرب الأقصى إلى عدة إمارات أشبه ما تكون بدول الطوائف (٣) ، وقد استمر حكمهم حتى عجىء المرابطين ، وتوحيدهم للمغرب الأقصى فى ظل قيادة سياسية موحدة . وبالنظر لهذا العرض التاريخي السريع، نجد أن من تولَّى حكم المغرب الأقصى لم يتخذ لقب خليفة ، بالرغم من استقلالهم السياسي عن سلطة الخلافة في المشرق ،

⁽١) د. حسن على : دولة الادارسة بالمفرب مس٢٥رسالة ماجستين سنة ١٩٦٧ تحت الطبع (٢) نفس المرجع السابق ص ٥٢ . (٣) ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ص ١٥٦ .

الرابطون والمفلافة :

قامت الدولة المرابطية على أساس دعوة دينية إصلاحية قام بها عبدالله ابن ياسين في صحراء المرابطين ، ثم انطلق بهذه الدعوة إلى المغرب الأقصى حتى يتم نشرها في أرجائه ، وذلك في ظل حملات عسكرية متتابعة انتهت بخضوع المنطقة لقيادة يوسف بن تاشفين المؤسس الفعلي لدولة المرابطين ، وسلطته وفي عهده تم الإتصال بالخلافة العباسية ، اعترافاً بالخليفة العباسي ، وسلطته الروحية على العالم الإسلامي وفي نفس الوقت طلبا للتأييد والاعتراف من الخلافة العباسية وفي هذا دعم للدولة ودعوتها الدينية التي تأسست عليها ، وقد علل يعض المؤرخين سبب إتصال المرابطين بالخلافة العباسية بشرعيته في الأندلس طلبوا من يوسف بن تاشفين إعتراف الخلافة العباسية بشرعيته في إدارة البلاد(١) .

ومن هنا أرسل يوسف بن تاشفين وفدا إلى بغداد ومعه هدية نفيسة وكتاباً يذكر فيه ما قام به من جهود في سبيل نصرة الدين ويطلب إعراف العباسيين به (۲) وبطبيعة الحال لم يرسل يوسف بن تاشفين الوفد إلى مصر حيث الحلافة الفاطمية وذلك لعدم إعتراف المرابطين مخلافة العبيدين نتيجة للخلاف المدهبي ، حيث أن المرابطين مالكية ، مخلاف الفاطميين المؤسسين لدولتهم على المذهب الشيعي (۳) فضلا عن أن الحلافة الفاطمية تسربت إلها عوامل الضعف والتفكك وكان إتصال المرابطين بالخلافة العباسية عقب الإنتصار العظيم الذي حققه يوسف بن تاشفين في الزلاقة سنة ۱۹۵۹م/ ۱۹۸۲م وما أعقبه من فرض سلطانه السياسي على الأندلس (٤) ، وقد استجابت الحلافة العباسية من فرض سلطانه السياسي على الأندلس (٤) ، وقد استجابت الحلافة العباسية

⁽۱) النويرى: نهاية الأرب ج ٢٢ مجلد ٢ ص ٨٢ ، العينى: عقد الجمان ج ٢٠ قسم ٢ ص ٣٩٧ ، العمرى: مسالك الأبصار ج ١٦ قسم ٢ ص ٢٥١ ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ١٤٣ .

⁽۲) النويرى: نهاية الأرب جـ ۲۲ مجلد ۲ ص ۸۲ ٠

⁻⁽٣) د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٣٣٢ .

⁽٤) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ١٤٣٥ ابن خُلدون : تاريخ ابن خُلدون : حد ١٨٨ ، د . حسن احد محمود : تيام دولة الرابطين ص ٣٣٤ ه.

واتخد إعتراف المرابطن بالخلافة العباسية عدة مظاهرتؤيدة لمك التبعية الروحية للخلافة العباسية وذلكحين دعا المرابطون على منابرهم لبني العباس(٢) كما كانوا يذكرون أسماء خلفاء بني العباس على نقودهم(٣) وبجانب ذلك فإن المرابطين اتخلوا السواد شعاراً لهم في ملابسهم وأعلَّامهم اقتداء بزي يني العباس(٤).

ولم يكن موقف المرابطين بالنسبة للخلافة العباسية مقتصراً على عهد يوسف تاشفين ، بل امتد إلى من جاء بعده ، فابنه على بن يوسف الذي تولَّى حكم المرابطين في سنة ٥٠٠ه نراه يواصل نفس سياسة أبيه ، وذلك بالإتصال بالخلافة العباسية معتر فاً مها وطالباً تجديد العهد(°) وبطبيعة الحال كان الترحيب والإستجابة من جانب الحلافة العباسية ، وقد تمثل ذلك في تلك الرسالة التي أوردها صاحب الحلل الموشية(٢) ، والتي أرسلها الحليفة المستظهر إلى أمس المسلمين على بن يوسف بن تاشفين والتي تتضمن عدة نصائح موجهة من الخليفة العباسي إلى أمر المرابطين ـــوقد سبق أن ذكرتها في الفصل السياسي

وقد أصبح الاعتراف بالحلافة العباسية والدعاء لها على المنابر سمة من همات حكم المرابطين ، وقد تجلَّى ذلك عقب سقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين ، وما حدث في خلال عهدها من ثورات ، أهمها ثورة بني غانية

(۱) العمرى : مسالك الأبصار جـ ١٦ قسم ٢ ص ٢٥١ ، النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٢ مجلد ٢ ص ٨٢ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٢ ص ١٤٣ . Arnold; The Caliphate, P; 83

⁽٢) العيني : عقد الجمان جـ ٢٠ قسم ٣ ص ٥٩٩ ، السلاوي : الاستقصا جـ ٢ ص ٥٨ ، أبن عبسود : تاريخ المغرب جـ ١ ص ١٠٩ ، المراكشي : المعجب ص ٢٠٣ .

⁽٣) الميلي : تاريخ الجزائر ج ٢ ص ٢١٠ ، د. العبادي : دراسات ف تاريخ المغرب والأنتلس من ٩٩ ، ١٠٠ .

⁽٤) د. العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والانطس من ١٠٠٠ (٥) محمد عثمان المراكشي : الجامعة اليوسينية من ١٥ ، ابراهيم

الذين ينتمون بنسهم إلى المرابطين ، فما إن ينجحوا في الاستيلاء على مدينة مغربية حتى يدعون في خطبهم لبني العباس ، وذلك ما حدث حين استولى على بن إسحاق الميورق في سنة ٥٨٠ه/ ١١٨٤م على مدينة بجاية وأقام الخطبة فيها لبنى العباس (١) ، وكذلك حين استولى يحيى بن غانية على افريقية لعدة أعوام يسيرة ودعائه على منابرها للخلافة العباسية(٢) وهذا السلوك من بني غانية المنتمين للمرابطين ، إنما هو امتداد لسياسة أسلافهم المرابطين ، وفي نفس الوقت ديم لثوراتهم ضد الموحدين الذين لم يعترفوا بالخلافة العباسية :

الموحدون والخسلافة:

اختلف موقف الموحدين عن المرابطين ، فبينما اعترف المرابطون بالخلافة العباسية ، كان الموحدون على العكس من ذلك غير معترفين بالخلافة العباسية بل اعتبروا أنفسهم خلفاء ، وأن مركز الخلافة مراكش وليس بغداد ، وهذا يرجع إلى عدة عوامل:

أولها : تلك الرحلة الطويلة التي قام بها ابن تومرت ، وطوّف فيها ببلدان المشرق وعاين الضعف السياسي الذي تعانيه الحلافة العباسية نتيجة للتفكك والانقسام(٣) ، ومن هنا أحس ابن تومرت بضرورة إنشاء خلافة إسلامية قوية متماسكة على أنقاض هذه الخلافة المتداعية .

والعامل الثانى : تلك الدعوة الإصلاحية التي عاد مها ابن تومرت من المشرق ، والتي كان محاول فرضها في كل مكان محل به ، حتى إذا وصل إلى المغرب الأقصى نشرها بكل الوسائل بن سكَّان المنطقة ، الدين آمنوا بأنهم على الحق ، وأن سواهم على الباطل ، وتأكيداً لللك فقد أطلق عليهم ابن تومرت لقب الموحدين(٤) ، ومن هنا كان من مخلفه في رئاسة الموحدين هو الخليفة الحق وأن من عدا ذلك من الخلفاء على الباطل .

⁽۱) عنان : عصر المرابطين والموحدين القسم الثاني ص ١٥٠٠١٤٩ (٢) المراكشي : المعجب ص ٢٠٣ . (٣) ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٢٧ .

⁽٤) ابْنَ أَبِي دينَار ؛ كتاب المؤنس ص ١٠٩ ٠ ،

والعامل الثالث: ذلك الإنساع الكبير الذى حققه خلفاء الموحدين حتى امتد نفوذهم إلى طرابلس شرقاً وإلى المحيط الأطلسى غرباً مع خضوع الأندلس لسلطائهم كل هذه المناطق الشاسعة والخاضعة لسلطة الموحدين جعلتهم يشعرون بقوة مركزهم إذا ما قورن بمركز الحلافة ببغداد ، مما استلزم معه إنتحالهم لألقاب الحلافة .

والعامل الرابع: هو محاربة الموحدين لكل آراء وأعمال المرابطين ، فاذا كان المرابطون قد عمدوا إلى الإعتراف بالحلافة العباسية ووطدوا العلاقات معها ، فان الموحدين استقلالا بسلطانهم الروحى والسياسي رفضوا ذلك الإعتراف . وحتى يد عم الموحدون مركزهم الحلافي فقد اتخذوا من الوسائل ما يعضد من مقعد الحلافة في المغرب يقول د . العبادى (كان لابد أن تستند خلافتهم — أى خلافة الموحدين — أيضاً إلى الأسس الشرعية اللازمة كالنسب النبوى أو الأصل العربي ، لهذا قالوا بانباء كل من المهدى وعبد المؤمن إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق الأدارسة واتخذوا اللون الأخضر شعاراً ألم كي يظهروا ميلهم إلى الدعوة العلوية كما تشهوا بالرسول في تصرفاته وأعماله(۱) ، وقد وضح ذلك في سلوك ابن تومرت والخطوات التي اتخذها في سبيل إدعائه المهدية ، كذلك إعلان عبد المؤمن — المؤسس الفعلي لدولة ألم حدين — ذلك النسب العربي واعتزازه بذلك) .

وهكذا شهد المغرب الأقصى فى ظل دولتين متعاقبتين موقفين مختلفين من الخلافة: موقف المرابطين الذي دعم وجوده الروحى والسياسى بالإتصال بالخلافة العباسية معترفاً بها طالباً تأييدها ورضاها ، وموقف الموحدين الذي لم يعترف بالخلافة العباسية ، وفى نفس الوقت مقيا لأول مرة فى تاريخ المغرب الأقصى مركزاً للخلافة .

⁽۱) د. العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب ص ١١٠ ، ١١١ .

⁽۲) البيذق : أخبار المهدى من ۲۱ ، ۲۲ ، ابن أبى زرع : الاتيسن ج ۲ من ۱۲۱ ، من ۱۲۷ ت الفيلالي ، الراكثي : المعجب من ۱۹۲ ، ۱۹۷ .

طريقة تولى يوسف بن تاشفين وعبد المؤمن بن على الحكم:

استقل يوسف بن تاشفين بالسلطة فى المغرب الأقصى ، وورّث الحكم من بعده أبناءه كذلك فعل عبد المؤمن بن على حين أسس دولة الموحدين وورث الحكم من بعده أبناءه ، ومن هنا كان من الضرورى إلقاء الضوء على الطريقة التى وصل بها كل منهما إلى معقد الحكم .

طريقة تولى يوسف بن تاشفين المكم:

تولى الأمر أبو بكر بن عمر رئاسة المرابطين سنة ١٤٤٨ / ٥٠١م وذلك بعد مقتل أخيه يحيى بن عمر في سعلماسة (١) ، واضطلع الأمر أبو بكر بدور الحهاد في المغرب الأقصى ، غير أن فتنة نشبت بين قبائل المرابطين القاطنة في الصحراء جنوب المغرب الأقصى مما جعلت أبا بكر بن عمر يسرع بالرجوع إلى الصحراء تاركا ابن عمه يوسف بن تاشفين قائداً للجند وذلك للقضاء على الفتنة في مهدها وكان ذلك في سنة ٢٥٤ه / ٢٠١٥ (١) وهنا يبرز دور يوسف ابن تاشفين كنائب لابن عمه الأمير أبي بكر بن عمر في قيادة جند المرابطين أثناء غيابه ، وفي سبيل دعم مكانة يوسف بن تاشفين ، لم يكتف الأمير أبو بكر بن عمر باختياره ، وترشيحه ، بل أيّد ذلك بموافقة شيوخ المرابطين أبي بكر بن عمر مكانته . يقول ابن أبي زرع والسلاوي و فلما أراد السفر منها — حتى يدعم من مكانته . يقول ابن أبي زرع والسلاوي و فلما أراد السفر منها — أي الأمير أبو بكر بن عمر وسفره من سماسة إلى الصحراء — دعا ابن عمه يوسف بن تاشفين فعقد له على المغرب وفوض إليه أمره ، وأمره بالرجوع لهل قتال من به من مغراوة وبني يفرن وقبائل البربر وزناته ، واقتى على

⁽۱) اكتسوس: الجيش العرمرم الخماسي لوحسة ٢٧ ميكروفيلم ، لسان الدين بن الخطيب: اعمال الأعلام: القسم القسالث ص ٢٣١ مت العيسادي .

⁽٢) لسان الدين الخطيب : أعمال الأعلام : القسم الثاثث ص ٢٣١ بوقيل: ت الفيادي ، بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية هِ ٣ ص ١٨٣ بوقيل: المالك الاسلامية في غرب أفريتيا ص ١٠٠٠ .

تقديمه أشياخ المرابطين لما يعلمون من دينه وفضله وشجاعته وحزمه ونجدته وعدُّله وورَّعه وسداد رأيه و بمن نقيبته ١٠١٠

ومنذ هذه اللحظة عمل يوسف على توطيد سلطته وإحكام قبضته على مقاليد الأمور والإنفراد بالحكم حتى إذا عاد أبو بكر بن عمر من الصحراء في سنة ١٠٤٥ه / ١٠٧٣م (٢) كان من الصعب عليه عزل يوسف بن تاشفين عن مقعد الرئاسة وتضافرت عدة عوامل في تمكين يوسف من البقاء في مقعد الحكم:

أما العامل الأول: فتلك الحملات الحربية الناجحة التي قام بها يوسف ابن تاشفين وأخضع بها المكثير من أقاليم المغرب الأقصى ، مما زاد في سلطانه السياسي ومكانته كقائد ناجح بين صفوف المرابطين ، وأصبح مرهوب الحانب في المغرب ، يقول ابن خلدون : « سار يوسف بن تاشفين في عسكره من المرابطين ودوّخ أقطار المغرب، (٣) .

والعامل الثاني : تكوين يوسف بن تاشفن لخرسه الخاص ، كقوة ضاربة يستعين سها عند تأزّم الأمور ، كما أنه مظهر من مظاهر القوة والمنعة وأبهة الملك ، وقد اختارهم من غير قومه ، وذلك بأن اشتراهم من السودان ومن الأندلس(؛) ، وقد كوَّن بهذا العمل قوة ضاربة تدافع عن منشُّها ، وخاصة أن يوسف بن تاشفين قد درّبها على جميع الفنون الحربية وزودهم بالسلاح والخيل (٥).

والعامل الثالث : زواجه من زينب النفزاوية ، وكانت امرأة حازمة لبيبة ذات رأى وعقل ومعرفة بالأمور(٦) وكانت زوجة لأبي بكر بن

⁽۱) ابن أبى زرع: الأنيس ج ٢ ص ٣٣ ت الفيلالي ، السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ٢٢ ، ٢٣ .

⁽۲) أبن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٢٤ بيروت .

⁽٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون جـ ٦ ص ١٨٤ .

⁽٤) ابن عذاری : البیان المغرب ج ٤ ص ٢٣ بیروت. • (٥) د، حسن ابراهیم : تاریخ الاسلام السیاسی ج ٤ ص ٣٦٩ • (٦) ابن ابی زرع : الاتیس ج ۲ ص ٣٢ ت الفیلالی ، السلاوی : الاستتمسا ج ٢ مس ٢٦٠٠

عمر (١) ، فلما عزم أبو بكر على السبر إلى الصحراء لم يرغب أبو بكر في اصطحامها معه بل طلقها وتزوجت من ابن عمه يوسف بن تاشفن(٢) ، فلما صارت زينب زوجاً ليوسف ، استخدمت كل ما تملك في سبيل دعم مكانة زوجها ، فأمد ته بالمال الذي استخدمه في شراء حرسه الحاص ، يقول ابن عذاری ه وتزوّج یوسف بن تاشفین زینب النفزاویة ، و دخل بها فسرت به وسر بها وأخبرته أنه عملك المغرب كله فبسطت آماله وأصلحت أحواله وأعطته الْأموال الغزيرة فأركب الرجال الكثيرة، (٣) وبذلك لعب المال دوره في تمكين يوسف بن تاشفين من السلطة ، وساندته زينب برأما ونصيحتها في تسير دَفة الحكم (٤)، وقد تمثّل ذلك في تلك الحطة التي رهمتها لزوجها يوسف فى لقائه بأبى بكر بن عمر عند عودته من الصحراء لإستعادة مقاليد الأمور وكانت هذه الخطة نقطة الحسم في القضاء على أي رغبة في نفس أبي بكر من العودة مرة أخرى إلى مقعد الرياسة ، وقد أورد ابن أبى زرع هذه الخطة بقوله «فأحس" يوسف بن تاشفين بذلك ــ أي برغبة ألى بكر في إستعادة مقعد الحكم ــ فشاور زوجته في ذلك الأمر ، فقالت له : إن ابن عمك رجل متورع فى سفك الدماء فاذا لقيته فقصّر عما كان يعهده منك من الأدب والتواضع ، وأظهر له غلظة حتى كأنك مساو له ومقاومه ولاطفه مع ذلك بالأموال والهدية والخلع والثياب والطعام والطرف ، واستكثر من ذلك فانه ببلاد الصحراء وكل شيء عندهم من هنا مستطرف،(٥) وبذلك استغلت زينب ا معرفتها بشخصية زوجها السَّابق أبى بكر بن عمر والظروف المحيطة به ، في كيفية تثبيت زوجها الحالى يوسف بن تاشفين فى البقاء فى الحكم .

⁽۱) ابن أبى زرع: الانبس جـ ٢ ص ٣٣ ت الفيلالي ، أبن خلدون: تاريخ ابن خلدون جـ ٦ ص ١٨٤ ، عباس المراكشي : الاعسلام بمن حل مرآکش من الأعلام ج ۱ ص ٦٤ . (٢) ابن ابی زرع: الانیس ج ۲ ص ٣٢ ، ٣٣ ت الفیلالی ، السلاوی

⁽٣) أبن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٢٢ ت د. احسان عباس

⁽٤) نفس الرجع السّابق من ٢٢ . (٥) ابن أبي زرع : الأنيس ج ٢ من ٣٣ ، ٣٤ ، ت الفيلالي .

والعامل الرابع: استمالة يوسف بن تاشفين أصحاب الأمير أبو بكر استعادة عمر بالأموال والهدايا ، ليكونوا عوناً له إذا ما حاول الأمير أبو بكر استعادة منصبه ، وهذه الاستمالة كانت أحياناً سراً وذلك حين راسل يوسف بعضهم يدعوهم إلى الحضور إليه ملوّحاً لهم بالحبر الحزيل يصوّر ذلك ابن عدارى بقوله و وكتب أى يوسف بن تاشفين ألى بعض إخوانه في السر من أبى بكر بن عمر وكان أبو بكر محارب قبائل جدالة في الصحراء معضهم على الوصول إليه والقدوم عليه ويعدهم بالحبر الحزيل فوصل منهم حاعة كبيرة (۱) وأحياناً جهراً حين منح الأموال والهدايا لأصحاب أبى بكر المرافقين له اللهين وأحياناً جهراً حين منح الأموال والهدايا لأصحاب أبى بكر المرافقين له اللهين عصور ذلك لسان الدين بن الحطيب و وتسابق أكثر أصحابه بمن وصل معه إلى مراكش لروّية بنيانها والسلام على يوسف بن تاشفين أمير ها وكانوا قد همعوا من ضخامته وجزيل كرامته وإحسانه لإخوانه ومعارفه ، فاجتمع عنده من القادمين كثير من الحلق فوصى لهم على قدر منازلهم وأعطاهم عقدار مراتهم وأمر لهم بالكسوة الفاخرة والحيول المسوّمة والأموال الحمة والعبيد المتعددة (۲)

وأما العامل الحامس: فصفات شخصية فى كل من يوسف بن تاشفين وأبى بكر بن عمر ، فبينا كان يوسف يستغل كل إمكانياته فى سبيل البقاء على رياسة المرابطين والإنفراد بالسلطة وكان ذلك نابعاً من حبه فى الملك والرياسة (٣) ، نرى على العكس من ذلك فى شخص أبى بكر بن عمر فهو رجل ورع لا يهون عليه سفك دم ولا تسهل عليه الفتنة كما وصفته بدلك زينب زوجة يوسف بن تاشفين (٤) فما إن وجد حرصاً من يوسف على الاستثنار بالسلطة حتى تنازل له عنها منعاً للفتنة والخلاف فى صفوف المرابطين ، وآثر إستكمال الجهاد فى السودان .

⁽۱) ابن عدارى : البيان المغرب جرع ص ٢٣ مت د. احسان .

⁽٢) لسَّان الدِّينَ بن الخَطيبَ : الحلل الموشية من ١٤ .

⁽٣) لسان الدين بن الخطيب : الطل الموشية ص ١٤ .

⁽٤) لسمان الدين الخطيب : أعمال الأعلام التسم التسالث من ٢٣٢ من ٢٣٢

سهاره العوامل مجتمعة إستطاع يوسف بن تاشفين البقاء في منصبه والانفراد بالسلطة في البلاد، وقد أحس أبو بكر بتغير الظروف وأنها كلها في صالح ابن عمه يوسف بن تاشفين ومن هنا آثر التنازل لابن عمه(١) ، وقد صوّر ذلك اللقاء التاريخي ابن عداري بقوله : ﴿ فَبَعَثْ ﴿ أَي أَبُو بِكُرُ بِنَ عَمْرٍ ﴾ إلى يوسف يعلمه بوصوله إليه ، وعن له معلوماً يكون فيه اجهاعه به فخرج يوسف من مراكش في جنده وعبيده ، وتلقاه في نصف الطريق ، فسلم عليه راكباً على دابته ولم تكن قبل عادته ، ثم نزل إلى الأرض وقعدا على برنس بسط لها في ذلك المكان . . وأبو بكر مع ذلك متعجب من كثرة عساكره واحتفال هيئته ، يطيل النظر في ذلك كله فتكلم الأمير أبو بكر مع يوسف في مصالح المسلمين ثم قال له يا يوسف أنت ابن عمى ومحل أخي وأنا لاغني لي عن معاونة إخواننا بالصحراء ولم أر من يقوم بأمر المغرب غيرك ، ولا أحق به منك ، وقد خلعت نفسي لك ووليتك عليه فاستمر على تدبىر ملكك وأنت حقيق به ، وخليق له ، وما وصلت إليك إلا لأمرتك في بلادك وأسلم لك الأمر وأعود إلى الصحراء مقر إخواننا وموضع إستيطاننا فدعا له الأمير بو سف ۽ ^(۲) .

وكان ما تم في هذا اللقاء بمثابة الإعلان الرسمي بخلع أبي بكر لنفسه من رياسة المرابطين بالمغرب الأقصى وتنازله لابن عمه يوسف بن تاشفين . وحتى يأخذ هذا التنازل صفته الشرعية ، أشهد أبو بكر أشياخ لمتونة وأعيان القبائل على هذا التنازل ﴿ وأحضر أشياخ لمتونة الصحراويين وخلع له أبو بكر نفسه وشهد بذلك بعض العدول وأعيان القبائل ¤(٣) وفي نظير هذا التنازل من جانب أبي بكر بن عمر ، فان يوسف بن تاشفن عملاً من جاتبه إلى كسب ود الأمر أبي بكر وذلك بأن تعهد أمامه بأنه سيكون على صلة دائمة به يتلني مشورته ونصائحه وألا ينفذ أمراً دونه(؛) ، وفي محاولة لكسب ود أبي بكر بن عمر

⁽١) ابن ابى زرع: الانيس جـ ٢ ص ٣٤ ت الفيلالي ؛ السلاوى : الاستقصا جُـ ٢ ص ٢١ ، ٢٢ ، أسان الدين بن الخطيب : الحلل الموشية ص ١٤ ، ١٥ ،

Budgett Meakins; The Moorish Empire, P; 52 ابن عذاري : البيان المغرب ج ٤ ص ٢٤ ، ٢٥ ت د . أحسان .

 ⁽٣) نفس الرجع السابق ص ٢٥٠
 (٤) نفس الرجع السابق ص ٢٥٠

وإرضائه ، فان يوسف بن تاشفين قدم له هدية كبيرة يذكرها لسان الدين البطيب بقوله البعث إليه بهدية أهداها إليه كان معظم ما فيها خمسة وعشرين ألف دينار من الذهب العين ، وسبعين فرساً منها خمسة وعشرون مجهزة بجهاز على بالذهب وسبعون سيفاً منها عشرون محلى والخمسون غير محلى وعشرون زوجاً من المهامز المحلات بالذهب ومائة وخمسون من البغال المتخيرة الذكور والإناث ومائة عمامة مقصورة وأربعائة من الشوش ، ومائة غفارة ومائتين من البرانيس منها بيض وكحل وحر ومائة شقة من الكتان وغير ذلك مما يمدى المملوك وعشرون جارية من الأبكار ومائة خادم وغير ذلك مما يطول ذكره من البقر والغنم والقمح والشعير الهران.

وكما استخدم يوسف بن تاشفين سلاح المال فى ترضية أبى بكر بن عمر ، فقد استخدمه أيضاً فى ترضية ابراهيم بن أبى بكر بن عمر حين قدم على الأمير يوسف بن تاشفين فى سنة ٢٩٤ه / ٢٠٧٦م مطالباً بملك أبيه أبى بكرغيرأن الأمير مزدلى وهو من كبار قادة المرابطين استخدم ذكاءه فى صرفه بعد أن حصل له على أموال كثيرة وهدايا من يوسف بن تاشفين ، وانصرف راجعاً إلى الصحراء حتى مات هناك (٢).

وهكذا استطاع يوسف بن تاشفين بذكائه وبالظروف التي أحاطت به أن مكن لنفسه وأن ينفرد برئاسة المرابطين ويورثها من بعده لأبنائه حتى إنهاء دولة المرابطين .

طريقة تولى عبد المؤمن بن على الحكم:

ما إن عاد ابن تومرت إلى المغرب الأقصى من رحلته إلى المشرق، ونادى بدعوته الإصلاحية حتى التف حوله بعض الأتباع، وكان من بينهم عبد المؤمن ابن على الذى حظى بالمنزلة الرفيعة لدى ابن تومرت منذ اللحظة الأولى،

⁽١) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ١٥ ، ١٦ .

⁽۲) أَبْنُ عَدَارِي : البيانَ المغربُ ج ٤ ص ٢٩ ، ٣٠ ت د. احسان

وذلك لما توسّم فيه من معالم الذكاء والفطنة مع شجاعة وعزم وبعد نظر وحضور بديهة (١)، هذه الصفات جعلت ابن تومرت يتوقع له مستقبلا باهراً ، ويصّر ح في أكثر من مناسبة - وذلك قبل أن تتأسس الدولة - عستقبل عبد المؤمن السياسي وأن النصر في ركابه ، يقول السلاوى « ولما اجْتاز المهدى في طريقه إلى المغرب بالثعالبة ــ عرب الحزائر ــ أهدوا إليه حماراً فارهاً يوكبه ، لأنه كان ساعياً على رجليه فكان يؤثر به عبد المؤمن ويقول لأصحابه : أركبوه الحمار يركبكم الخيول المسومة (٢) ، وحتى في أحلك اللحظات التي مرَّت بها الدعوة الموحدية في بدء عهدها حين سيتر ابن تومرت الحملات لمحاربة المرابطين ، وأصبب الموحدون لهزيمة ساحقة في معركة البحيرة ، وبلغت أنباء الهزيمة ابن تومرت ، كان أول من سأل عنه من أتباعه عبد المؤمن بن على ، فلما أخبروه ببقائه سالماً ، اطمأن ابن تومرت لبقاء الدعوة واستمرارها(٣) ، يقول ابن الأثير ﴿ لما سَّر ــ أي ابن تومرت ــ الحيش إلى حصار مراكش مرض مرضاً شديداً فلما بلغه خبر الهزيمة اشتد مرضه وسأل عن عبد المؤمن فقيل هو سالم فقال ما مات أحد الأمر قائم وهو الذي يفتح البلاد »(^{٤)} ، وقد عمد ابن تومرت في خلال نشره لدعوته تنظيم أصحابه في نظام إداري معين ، وعلى قمة هذا التنظيم الإدارى هيئة العشرة أو الجماعة وهم المهاجرون الذين أسرعوا إلى إجابته(°) وهذه الهيئة تختص بالعظيم منالأمور الخاصة بالدعوة يقول ابن القطان « وكانوا إذا قطعوا الأمور العُظام مخلون بالعشرة لامحضر معهم غيرهم »(٦)، واحتل" عبد المؤمن مكانة سامية فى مجلس العشرة حيث کان یسمیه المهدی صاحب الوقت واختص بفرس أخضر(۲) ولم يترك ابن تومرت أصحابه وأتباعه إلا وقد عهد إلى عبد المؤمن بن على أن يتولَّى خلفاً له

⁽١) اشسباخ : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحسدين ج ٢ ص ۹۳

^{· (}۲) السلاوى : الاستقصا ج ۲ ص ١٠٠ ·

⁽٣) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٢٢ .

⁽٤) أبن الاثير: الكامل جـ ٨ ص ٢٩٨ . (٥) المراكشي: المعجب ص ١٨٨ .

⁽٦) ابن القطان : نظم الجمان ص ٨١ .

⁽٧) الْبِيدْق : أخبار المهدى بن تومرت ص ٣٣ .

قيادة الموحدين(١) وقد عبر ابن تومرت عن رغبته هذه حبن جمع أهل الحماعة وأهل الخمسين وذلك في مرضه وقبيل وفاته ، وأخبرهم باختياره لعبد المؤمن خلفاً له وذلكُ في حديث طويل أورده المراكشي ومنه ﴿ وَقَدَ اخْتَرَ نَا لَكُمْ رَجِّلًا منكم وجعلناه أميراً عليكم ، هذا بعد أن بلوناه في حميع أحواله من ليله وشهاره ومدخله ومخرجه ، واخترنا سريرته ، وعلانيته ، فرأيناه في ذلك كله ثبتاً في دينه ، متبصراً في أمره وإني لأرجو أن لا مخلف الظن فيه ، وهذا المشار إليه هو عبد المؤمن ، فاسمعوا له وأطيعوا مادام سامعاً مطيعاً لربه ، فان بدال أو نكص على عقبه ، وارتاب فى أمره ، فنى الموحدين أعزهم الله بركة وخير كثير والأمر أمر الله يقلده من شاء من عباده ٣(٢) وبالرغم من هذا التصريح من جانب ابن تومرت ، إلا أن المراجع تذكر أن عبد المؤمَّن بويع بيعتان : أ

بيعة خاصة وبيعة عامة ، أما البيعة الخاصة فقد كانت عقب وفاة ابن تومرت سنة ٧٤٤ه / ١١٢٩م(٣) واقتصرت هذه البيعة على أهل الحياعة وبعبارة أدق من بتي من أهل الحاعة حيث أن نصفهم استشهد في معركة البحيرة ولم يبق سوى عبد المؤمن بن على وأبو حفص عمر بن على وأبو ابراهيم ، وأبو حفص بن يحيي ، وعبد الله بن ملوية(٤) . وكان إختيار أهل الحاعة لعبد المؤمن تنفيذاً اوصية إمامهم الراحل ابن تومرت يضاف إلى ذلك عامل هام وهو عبد المؤمن في هذه الفترة لم تكن له قبيلة بالمغرب الأقصى يستند إليها وبالتالى انعدم عنصر المنافسة والموجود بالنسبة لبقية أعضاء الحماعة حيث كانوا ينتمون إلى قبائل كبيرة بالمغرب الأقصى (*) وعقب البيعة الخاصة

⁽۱) ابن خلدون : تاریخ ابن خلدون ج ۲ ص ۲۲۹ ، العمسرى : مسالك الإبصار ج ٣ قسم أول ص ١٣٢ ، محمد الشطيبي : كتاب الجمان في أخبار الزمان مخطوط ورقه ٢١١ ، ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٢٩٨ The Encyclopeadia of Islam, Vol 1, P; 50

⁽٢) الراكشي : المعجب من ٢٩٥ ، ١٩٦ ، محمد المتوني : العلوم والفنون والآداب ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

⁽٣) ابن العطان : نظم الجسان ص ١٦٨ ، ابن ابي زرع : الاتيس ج ٢ ص ١٣٧ ابن الخطيب : الخلل الوشية من ١٠٧ .

⁽٤) ابن العطان : نظم الجمان ض ١٢٢ . (٥) د. حسن ابراهيم : تاريخ الاسسلام السياسي ج ٤ م ٢٢٠ ط ۱ سنة ۲۷ .

أخفى عبد المؤمن ومن معه من أهل الجاعة خير وفاة ابن تومرت فترة من الوقت حتى يهيئوا الأذهان لهذا الخبر ومبايعة الخليفة الحديد وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون بقوله « وكتموا موته زعموا ثلاث سنىن بموَّهون بمرضه ويقيمون سنته فىالصلاة والحزب الراتب يدخل أصحابه إلى البيت كأنه اختصهم بعيادته فيجلسون حوالى قبره ويتفاوضون فى شئونهم ثم يخرجون لإنفاذ ما رموه ويتولاه عبد المؤمن بتلقينهم (١) ۽ ويبدو أن فترة الكتَّمان مباَّلغ فيها إذ يتعذر كَمَانَ مثل هذا النبأ هذه الفترة الطويلة ، واستطاع عبد المؤمن عقب البيعة الخاصة من أن يدعمُ مكانته بما يبذله من براعة في تسيير دفة الحكم ، كما أنه عمد إلى مصاهرة الشيخ أبى حفص كبير هنتاتة(٢) وذلك حتى يُكسب ود وتأييد هذه القبيلة التي تعتبر من أعظم قبائل المصامدة وأكثرها جمعاً وأشدّها قوة (٣) ويبرز أهمية دور الشيخ أبى حفْص زعيم هنتاته واضحاً فى أن عبد المؤمن لم يطمئن إلى وصوله إلى الحكم إلا بعد أن وافق الشيخ أبو حفص عمر على ذلك وصّرح به ، يقول ابن خلدون « وتوقّف عبد المؤمن عن ذلك ثلاث إ سنين ثم قال له أبو حفص نقدمك كما كان الإمام يقدمك ، فعلم أن أمره منعقد ثم أعلن بيعته وأمضى عهد الإمام بتقدمه وحمل المصامدة على طاعته فلم يختلف عليه اثنان؛ (٤) و هكذا استمد عبد المؤمن من شخصية أبى حفس وزعامته لقبيلة هنتاتة سنداً يعضُّد مركزه ، كما أن كتم موت المهدى فترة من الوقت يدل على البراعة السياسية التي كان يتمتع ما عبد المؤمن ، إذ أن ﴿ الدعوة الناشئة فى صراع مسلح مع المرابطين وقد منى الموحدون بهزيمة ساحقة عند أسوار مراكش في معركة البحيرة ولم يمكث ابن تومرت بعدها كثيراً إذ مرض ومات ومن هنا كان كتان خبر وفِاة ابن توموت حتى لا يفجع الموحدون فجيعتن في فترة زمنية متقاربة مما يعرّض الدعوة لخطر التفتت : وبذلك يسهل على المرابطين القضاء عليها . حتى إذا استوثق عبد المؤمن من

⁽۱) ابن خلدون : تاریخ ابن خلدون ج ۳ مس ۲۲۱ . (۲) ابن خلدون : تاریخ ابن خلدون ج ۳ مس ۱۲۷) د . احمد د اسلبی : التاریخ الاسلامی ج ۶ مس ۱۸۷ ط ۳ سنة ۲۴ . (۳) ابن خلدون : تاریخ ابن خلدون ج ۴ مس ۲۷۰ .

⁽٤) نفس المرجع السابق .

[﴿] م ٥ ــ الحضارة)

سىر الأمور، أعلن عبد المؤمن خبر وفاة المهدى وكان ذلك في سنة ٧٧هـ/ ١١٣٢م على أرجح الآراء(١) وقد صوّر البيذق كيفية إذاعة نبأ وفاة المهدى وثلقي عبد المؤمن بيعة عامة الموحدين « وصاح بالقبائل ــ أى عبد المؤمن ابن على بعد رجوعه من غزو كزولة ـــ وضم الموحدين وجعل المحلس فاستعمل ركاثر وحال بين الرجال والنساء ثم وعظ النساء وقال لهم في آخر كلامه بتى عندكم عهد بيعة المهدى قالوا نعم ، فقعد ثم وعظ أبو إبراهيم ثم وعظ , عمر آصناك ثم سائر المشيخة ثم قال : المهدى قد توفى فبكى الناس ثم قال لهم اسكتوا فسكتوا ، فقال أبو إبراهيم وعمر آصناك وعبد الرحمن بن زكو ومحمد بن محمد لعبد المؤمن أمدد بمينك نبايعك السيعة التي عقدناها مع الإمام المهدى فمد يده ثم تبعهم سائر الناس حتى الليل وكانت البيعة ثلاثة أيام متوالية »(٢) . وكما استخدم ابن تومرت الحيلة والدهاء في سبيل دعم مكانته الزوحية والسياسية ، كذلك فان خليفته عبد المؤمن لحاً أيضا إلى الحيلة وذلك حتى يسيطر على قلوب المحتمعين ، وحتى يوحي إلهم بأنه مؤيد من السماء وذلك حين نطق الطير باسمه في المحتمعين ، وكذلك أستكانة الأسد وخضوعه لعبد المؤمِّن ، وفي ذلك تشير بعض المراجع أن عبد المؤمن عمد إلى تربية طائر فى تلك الفَّرة التي أخفى فيها موت ابن تومرت ، ودرَّبه على نطق اسمه مهذه العبارة : النصر والتمكين لسيدنا الحليفة عبد المؤمن أمير المؤمنين ، وفي نفس الوقت ربى شبلا صغيراً حتى آئس إليه، ثم عمد أثناء إجتماعه بالموحدين للبيعة العامة ، أن أمر بعض أتباعه باطلاق الطائر والأسد فأحدثا الأثر المطلوب فى نفوس المجتمعين(٣) وبالرغم مما يبدو على هذه الرواية من المبالغة فانها تلقى ضوءًا على أنْ عبد المؤمن لم يدخر جهداً في سبيل التمكن لنفسه بكل الوسائل يـ

وبالرغم مما أبداه عبد المؤمن من صنوف الذكاء وإتخاذه لكل الوسائل ُ لدعم سلطانه ، قانه لم يعدم معارضة في توليه رئاسة الموحدين ، وقد تمَّثلت ا

⁽۱) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٢٢٩ ، د . السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٧٨١ .

(۲) البيدق : الخبار المهدى بن تومرت ص ٨٥ .

(٣) ابن ابى زرع : الأنيس ج ٢ ص ١٢١ ، ١٣٠ ت الميلالي ،ابن التاخى : جدوة الاقتباس ص ٢٧٣ ماس سنة ١٣٠٨ ه السباخ ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والوحدين ج ١ ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

تلك المعارضة فى أحد أعضاء مجلس العشرة وهو عبد الله بن يعلى الزناتى الشهير بابن ملوية حين انتهز فرصة غياب عبد المؤمن فى احدى حملاته العسكرية وتفاهم مع أمير المسلمين على بن يوسف على الغدر بعبد المؤمن وذلك عهاجمة عاصمة الموحدين فى ذلك الوقت مدينة تينملل إلا أن الموحدين الموجودين بالمدينة استطاعوا القبض على ابن ملوية وقتله وبذلك قضى على الفتنة فى مهدها(۱).

ولون آخر من ألوان المعارضة واجهها عبد المؤمن وذلك حين عمد بعض قرابة ابن تومرت إلى الفتك بعبد المؤمن في إحدى حملاته العسكرية وذلك أثناء نومه ليلا ، ولكن أحد الموحدين المخلصين وهو اساعيل بن يحيى الهزرجى ، طلب من الحليفة السياح له بالنوم في فراشه فكانت نتيجة ذلك أن قتل بدلا من الحليفة ، وبذلك ضحى بنفسه قداء للخليفة الذي علم بالأمر فتأثر للذلك أشد التأثر وتعقب الحناة حتى قتلهم (٢) وإزاء هذه المحاولات لانتراع السلطة من يد عبد المؤمن ، شرع في تعزيز جانبه وذلك باستقدام قبيلة كومية من المغرب الأوسط حتى تكون له سنداً وعضداً ضد من يطمع في منصب الحلافة وتأمن مستقبل أبنائه من بعده (٣) وقد صور ذلك ابن ألى زرع بقوله و ورد على أمير المؤمنين قبيلة كومية في جيش عظيم من أربعين ألف فارس والسبب في قدومهم أنه لما همت الطائفة من الموحدين بقتله وقتلوا الشيخ الذي بات مكانه وتحقق منهم جاء بهم لأخذ ثأره منهم محيلة لكونه غريباً بين قبائلهم ، في خفية أيس له عشيرة يستند إليها ولا قبيلة يثق بها ويعتمد عليها ، فبعث في خفية أيس له عشيرة يستند إليها ولا قبيلة يثق بها ويعتمد عليها ، فبعث في خفية إلى أشياخ كومية قبيلته وأمرهم بالقدوم عليه ه (٤).

وهكذا استطاع عبد الموَّمن بن على بما أوتى من صفات توَّهله لمنصب الزعامة ، وبما اتخذه من وسائل أن يمكّن لنفسه كأول خلفاء الموحدين ، وأن

⁽۱) عنان : عصر المرابطين والموحدين التسم الأول من ٢٢٦٠ . (۲) المراكشي : المجب من ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

⁽۲) المرافقي المعب سن خلدون جا من ۱۲۷ ، الميلي : تاريخ المجزائر في القديم والحديث ج ۲ ص ۲۲۵ ، الراهيم حركات المغرب عبر

⁽٤) آبن أبي زرع : الأنيس جَ ٢ من ١٦٥ ت الفيلالي .

يورَّ في هذا المنصب لأبنائه من بعده بحيث انحصر هذا المنصب في بني عبدالموَّمن طيلة عمر دولة الموحدين .

وبهذا شهد المغرب الأقصى فى خلال القرنين الحامس والسادس من الهجرة زعامتين هما زعامة يوسف بن تاشفين وزعامة عبد المؤمن بن على وكلاهما اتحداً فى الغاية وهى الوصول إلى رئاسة الدولة والاحتفاظ بها وإن إختلفت وسائل كل منهما فى سبيل تحقيق هذه الغاية .

طريقة تولى أمراء المرابطين الحكم:

أوضحت من قبل كيف وصل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى منصب رئاسة دولة المرابطين ، ثم أصبح هذا المنصب خاصاً بأسرة يوسف ابن تاشفين وقد شغله أربعة أشخاص من أسرته حتى سقطت دولتهم في سنة الاهم / ١١٤٦م وهم على التوالى على بن يوسف تولى سنة ، ٥ ه ومات في سنة ٧٣٥ هم / ١١٤٢م (١) وتاشفين بن على قتل في سنة ٩٣٥ هم / ١١٤٤م (٢) في سنة ٩٣٥ هم / ١١٤٤م (٢) وإبر أهيم بن تاشفين سنة ، ٤٥ هم / ١١٤٥م (٣) واسحق بن على سنة ٤١٥ هم / وإبر أهيم بن تاشفين سنة ، ٤٥ هم / ١١٤٥م أن يصبح أميراً للمسلمين ما عدا اسحق بن على الذي اغتصب السلطة من أبر أهيم ، وذلك لصغر سنه ، وكان اسحق آخر من تولى رئاسة دولة المرابطين عيث سقطت الدولة في عهده القصير ، ومن هنا كانت الدولة على اختلاف حيث سقطت الدولة في عهده القصير ، ومن هنا كانت الدولة على اختلاف طبقاتها تعرف مقدماً من سيتولى رئاسة الدولة . وكانت هناك مراسم خاصة في تولية أمير المسلمين مقاليد الحكم وذلك بأن يتاتى الأمير بيعة خاصة من أفراد في تولية أمير المسلمين مقاليد الحكم وذلك بأن يتاتى الأمير بيعة خاصة من أفراد الأسرة المالكة والأمراء ثم سادة قبيلة لمتونة وبقية زعماء القبائل ثم الفقهاء الأسرة المالكة والأمراء ثم سادة قبيلة لمتونة وبقية زعماء القبائل ثم الفقهاء

⁽١) زامباور: معجم الانساب ج ١ ص ١١٣ .

⁽¾) المراكشي : المعجب ص ٢٠٣ ، ابن عداري : البيان المغرب ج؟ ص ١٠٤ ت احسان .

⁽۳) زامباور: معجم الانساب ج ۱ ص ۱۱۳ ، ابن ابی زرع: الانیس ج ۲ ص ۹۳ ت النیلالی .

⁽٤) نفس الرجع السابق جـ ١ ص ١١٣ .

وعمال الدولة (١) وقد صوّر ابن أبي زرع مبايعة على بن يوسف بقوله (وقيل لما توفى والده يوسف رحمه الله سماه بثوبه وخرج ويده فى يد أخيه أبى الطاهر تميم إلى المرابطين ، فنعاه لهم ، فوضع أبو الطاهر يده فى يد على ، فبايعه يْتُم قال للمرابطين : قوموا فبايعوا أمير المسلمين ، فبايعه جميع من حضر من لمتونة وسائر قبائل صنهاجة والفقهاء وأشياخ القبائل فتمت له البيعة بمراكش، (٢) ويعقب مبايعة أهل العاصمة أن يتلى عقد البيعة على منابر الدولة فتأتيه البيعة من كل أنحاء المملكة (٣) وفي سبيل استكمال أمير المسلمين صفته الرحمية فإنه ينقش اسمه على السكة والطرز والبنود ، ويتبادل الرسائل مع العباسيين(٤) وقد يحدث ألا يرضى أحد أفراد الأسرة عن تولية الأمبر ، وذلك كما حدث من يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين وكان والياً على فاس وفی ذلك يقول ابن أبی زرع والسلاوی ، وأقبلت نحوه ــ أی نحو على بن يوسف بن تاشفين ـــ الوفود للتعزية والتهنئة إلا مدينة فاس فإن ابن أخيه يحيى بن أبى بكر بن أمر المسلمين كان أميراً علمها من قبل جده يوسف فلما وصله الخبر بموت جده وولاية عمه عظم ذلك عليه وأنف من بيعة عمه وخالف عليه وامتنع من البيعة، (٥) إلا أن هذا الإمتناع لم يستمر طويلا حيث دخل فى طاعة عمه بعد ذلك . كذلك فإن على بن يوسف قد عمد بعد توليه إمارة المسلمين إلى عزل أخيه تميم عن بلاد المغرب وذلك فى سنة ٥٠١هـ/ ١١٠٧م(٦) وأقام مكانه القائد أباً عبد الله بن الحاج وذلك بالرغم أن تميها شارك

⁽١) د. حسن أحسد محبود: تيسام دولة المرابطين ص ٣٤٢ ، د، حسن ابراهیم : تاریخ الاسلام السیاسی ج ؟ ص ۱۱۸ ، ص ۳۱۳ ، السباخ : تاریخ الاندلس ج ۲ ص ۳۳۳ ، السباخ : تاریخ الاندلس ج ۲ ص ۳۷۳ ، (۲) ابن ابی زرع : الانیس ج ۲ ص ۷۹ ، ۸۰ ت الفیلالی .

⁽٣) نفس آلرجع السابق ج ٢ ص ٨٠ ت الفيسلالي ، د. حسن المبدد محبود : تيام دولة الرابطين ص ٣٤٢ .

⁽٤) د. حسن احمد محود : تيام دولة الرابطين ص ٣٤٢ ،

د. حسن ابراهیم : تاریخ الاسلام السیاسی ج ؟ ص ۱۱۸ آ .
(٥) ابن ابی زرع : الانیس ج ۲ ص ۸۰ ت النیلالی ، السلاوی :

⁽٦) ابن التاضى: جذوة الإنتباس من ٢٩١٠.

في مبايعة أخيه على بن يوسف(١) وربما يرجعُ ذلك إلى خوف على بن يوسف على مركزه وخاصة أن تمها كان أكبر منه سناً (٢) .

طريقة تولى خلفاء الموحدين الحكم:

تعاقب على كرسي خلافة الموحدين بعد الخليفة الأول عبد الموَّمن بن على وذلك في الفترة من سنة ٥٥٨ه / ١١٦٢م وهي السنة التي مات فيها عبد المؤمن بن على حتى سنة ٦١٠ﻫ وهي السنة الَّي مات فنها الناصر ، ثلاثة من الخلفاء هم على الترتيب : يوسف بن عبد المؤمن الذي توَّفي سنة ٨٥٠ه / ١١٨٤م(٣) ثُمُّ ابنه يعقوب المنصور الموحدى الذى توفى سنة ٥٩٥ه / ١١٩٨م(٤)ثم ابنه محمد الناصر الذي مات سنة ٦١٠هـ / ١٢١٣م(٥) وقد سبق أن تناولنا طريقة مبايعة الحليفة الأول عبد المؤمن وذلك تنفيذاً لوصية ابن تومرت وبمساندة أبي حفص زعيم قبيلة هنتاتة ، وفي فترة حكم عبد المؤمن عهد بولاية العهد لابنه محمد ثم صرفه عنها وذلك على أرجح الآراء وولتى مكانه ابنه يوسف وذلك قبيل وفاته مباشرة . وقد لعب أفرآد أسرة الخليفة دوراً بارزاً في مبايعة يوسف بن عبد المؤمن ودعم هذه البيعة ، وقد ظهر ذلك واضحاً في الدور الذي قام به السيد الأعلى أبو حفص شقيق يوسف بن عبد المؤمن وتأييده لاختيار يوسف أمام أفراد الأسرة وأشياخ الموحدين ، يقول ابن صاحب الصلاة 1 في الليلة التي توفي فيها أبوء رضي الله عنهما، وذلك ليلة الحمعة العاشر من حمادي الآخرة عام ثمانية وخمسن وخمسمائة ، وما كان من عضد السيد الأعلى أبي حفص شقيقه إليه في ولايته وحمايته وترشيحه لحلافته ه(١) وفي رواية أُخرى تنازل أبو حفص عمر عن الحلافة لأخيه يوسف وذَّلِك إذا وضعنا في الإعتبار الرواية الَّي تشــــير إلى أن يحمداً .

⁽۱) ابن ابی زرع : الانیس ج ۲ ص ۷۹ ؛ ۸۰ ت الفیلالی . (۲) لنسان الدین بن الخطیب : الحلل الموشیة ص ۲۱ .

⁽٣) زامباور : معجم الانساب جر ١ ص ١١٣ ، ستانلي لين بول : طبقات سلاطين الاسلام ص ٥٠ المسلى : تاريخ الجزائر في القسديم والحديث ج ٢ ص ٢٣٢ .

⁽٤) نفس الراجع السابقة ونفس الصفحات .

⁽٥) نفس المراجع السابقة ونفس الصفحات .

⁽٦) ابن ماحب المسلاة : تاريخ الن بالامامة ص ٢٣١ .

ظلِ وليًّا للعهد خلال مدة حكم أبيه عبد الموَّمن ، ثم تولى الحكم بعد وفاة أبيه وأنه لم يستمر طويلا في الحكم نتيجة لسوء تصرفاته وأنه خلع من هذا المنصب(١) وتولىٰ مكانه يوسف بتنازل من أخيه أبي حفص عمر يقول المراكشي ﴿ ولما تم خلع محمد في التاريخ المذكور بعد إتفاق من وجوه الدولة على ذلك ، دَارِ الْآمرِ بِن اثنين من ولد عبد المؤمن : يوسف وعمر وهما من نبهاء أولاده ونجبائهم وذُّوى الرأى والغناء منهم ، فأباها عمر منهما وتأخر عنها مختاراً وبايع لأخيه أبى يعقوب ، وسلم له الأمر لأنه كان يعلم من نفسه أشياء لايصلح معها لتدبير المملكة وضبط أمور الرعية ، فيايع الناس أبا يعقوب واتفقت عُليه الكلُّمة فلم نختلف عليه أحد من الناس من اخوته ولا من غيرهم وذلك كله بحسن معىٰ أبي حفص عمر بن عبد المؤمن(٢) ، وكانت هذه البيعة محضر من أفراد الأسرة وطبقات الموحدين والوزراء ورجال الدولة(٣) ولكن يبدو أن هذه البيعة قد صاحبها بعض الإرجاف ، وقد ساعد على هذا الإرجاف غيبة يوسف بالأندلس حسب رواية ابن أبى زرع وذلك حين مات والده عبد المؤمن بمدينة سلا وأنهم كتموا موته حتى وصل يوسف وأخلوا له البيعة(١) وهنا يضيف الشيخ أبو حفص زعيم هنتاتة موقفاً آخر في دعم مقعد الحلافة ــ وكان قد سبق أنّ ساند عبد المؤمن في مقعد الحلافة ــ وذلك بمحاربة الإشاعات ونهي الموحدين عن الجوض في الأحاديث بالحزعبلات يقول ابن. صاحب الصلاة « ووعظ الشيخ المرحوم أبو حفص الموحدين أجمع على؛ طبقاتهم ومراتبهم ، وذكرهم بما يجب عليهم في دينهم وصلاح يقينهم وعرفهم بما أوجب الله عليهم من مفروضهم ومسنونهم وبحق البيعة ولم يعلم أحداً من الناس بالوفاة واشتد عليهم في لزوم الصلاة ، وضرب بالسياط أهل الفسق والجناة ، وشغلهم بأنفسهم من الأحاديث بالخزعبلات وألزم الحفاظ من الموجدين وغيرهم عند المساء وعند الفراغ من صلاة الصبح بقراءة الحزب(٥)،

⁽۱) المراكشي : المجب ص ۲۳۳ . (۲) المراكشي : المجب ص ۲۳۳ . (۳) السباخ : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والوحدين ج ۲

⁽٤) ابن ابى زرع: الأنيس جـ ٢ ص ١٨٢ ت الفيلالى . (٥) ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة ص ٢٣٢ .

ومما دعيَّم موجة الإشاعات هو امتناع أخوين للخليفة عن المبايعة مع قوم من أشياخ الموحدين ، وهذا يشير بوضوح إلى مدى تأثير أفراد أسرة الحليفة عبد المؤمن على مقعد الحلافة سواء في التأييد أو الإمتناع وقد عبر عن إمتناع الأخوينابنأبي زرع بقوله هلا بويع بعد وفاة والمده توقف عن بيعته قوم من أشياخ الموحدين ، وامتنع من بيعته أخواه السيد أبو محمد صاحب بجاية والسيد أبوعبد الله صاحب قرطبة، (١)، ولم يتخذيوسف بن عبد المؤمن إجراء حاسمًا ضد أخويه(٢) وربما كان ذلك حفاظاً منه على وحدة الأسرة من التفكك نتيجة الصراع على السلطة ، ومن ثم عالج الخليفة يوسف هذا الموقف بمهارة ولباقة ، فلم يتسم بأمير المؤمنين وإنما اكتفى بلقب الأمير ، وبذل جهده ، في اكتسابُ محبةُ بقيةُ الموحدين وطاعتهم ، وذلك بتفريقُ الأموال في قبائل الموحدين وأعطى كل الأجناد ، وتسريح من في السجون وتوزيع الصدقات وبذلك كسب محبة من حوله ، ثم أتته بيعة جميع بلاد إفريقية وبلاد الأندلس ، ما عدا قرطبة وبجاية(٣) وكان هذا الإحماع من الموحدين دافعاً الْأُخوين بتغيير موقفهما والإقبال على الخليفة ومبايعته، وقد أحسن إليهم الخليفة بالمال والخلع (٤) وفى رواية ابن صاحب الصلاة أن أبا محمد عبد الله والى مجاية مات في الطريق أثناء توجهه لمبايعة أخيه(٥) وكان لمبايعة الممتنعن مع تجاَّح الأمير يوسف بن عبد المؤمن في القضاء على ثورتين في جبال محمارة (٦) آثر فى دعم مكانة يوسف ، ومن هنا كان تجديد بيعة يوسف بن عبد المؤمن وتلقبه بلقب أمير المؤمنين و ذلك في سنة ٣٣٥هـ / ١١٦٧م(٧)يقول ابن صاحب الصلاة ﴿ فِي أُولَ هَذَّهُ السَّنَّةِ ــ أَى سَنَّة ٣٣هـ حَمَّعُ اللَّهُ القَّلُوبِ بْخُلُوصَ الضائر المؤذنة بالسعود والفتوح والبشائر من الآراء الموفقة والنفوس المصفقة

⁽۱) ابن أبى زرع: الأنيس ج ٢ من ١٨٣ ت الفيلالى ، السلاوى: الاستقصاء ج ٢ ص ١٤٦ .

⁽٢) نفس الرجعين السابقين ونفس الصفحات .

⁽٣) نفس المرجعين السابقين ونفس الصفحات .

⁽٤) ابن ابي زرع: الأنيس چـ ٢ ص ١٨٤ ت الفيلالي ، السلاوي : الاستقصا جـ ٢ ص ١٤٧ .

⁽٥) أبن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامامة ص ٢٣٩ .

⁽٦) أبراهيم حركات : المفرب عبر التاريخ من ٢٧٧ .

⁽٧) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٦ م ٢٣٩ .

بتجديد البيعة والتسريح بالاسمية المستحقة لسيدنا ، فكمل ذلك بإجماع الموحدين ــ أعزهم الله ــ واستسعادهم لديه ۽(١) .

ولم يكن تجديد البيعة والتلقّب بلقب أمير المؤمنين ، قاصراً على العاصمة وإنما شمل أنحاء الدولة كلها حيث صدرت الرسائل من العاصمة تحمل أنباء تجديد البيعة وتطالب أمراء الأقاليم بالقيام بتجديد البيعة فيمن تحت رئاستهم وقد ظهر ذلك حين صدر من العاصمة مراكش كتاب إلى والى اشبيلية السيد أبي ابراهيم بن اسماعيل يعلمه فيها بتجديد البيعة ويطالبه بمخاطبة ولاة الأندلس بِذَلِكُ وِأَنْ يَجِدُدُوا البِيعَةُ فَيمَنَ عَنْدِهِمْ (٢) ، وسرعانَ مَا قَامُ الوَّلَاةُ بِتَنْفِيذُ هَذَهُ الأوامر وأرسلوا الرسائل إلى العاصمة باتمام تجديد البيعة وذلك كما فعل أهل أشبيلة وقد ورد فى بيعتهم «. . . . أما بعد فانه لما اجتمعت طائفة التوحيد وهم الذين تحضرهم من الله حاضرة التوفيق . . على تجديد البيعة المباركة بالاسم المبارك الكرثم الذي أول من دعا به الفاروق رضوان الله تعالى عليه . . فجددنا من بيَّعته على الاسمية المباركة فرضاً أوجبه الشرع وجوب الإلزام . . فبايعنا على السمع والطاعة بيعة إيمان وأمانة وعدل وعبادة والترمناها فى اليسر والعسر والمنشط (٣) ، وكذلك فعل أهل غرناطة وكتبوا بتجديد بيعتهم للخليفة (٤) ، وهكذا بويع الحليفة يوسف بن عبد المؤمن بيعتين ،

وقد اختلف الأمر بالنسبة لابنه يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملقّب بالمنصور الموحدى وذلك لما صاحب وفاة والده من ظروف حربية حيث أصيب بجراح عند أسوار شنترين ومات في أثناء إنسحابه متوجهاً إلى أشبيلية، ومن هنا كتم المحيطون به خبرموته حتى يحكموا أمرهم وفى ذلك يقول المراكشي ﴿وَلَمَّا مَاتِ أَبُو يَعْقُوبُ عَلَىمُواحَلُ مَنْ مَدَيَّنَةُ شَنَّرَيْنُ سُتُرَتُ وَفَاتُهُ إِلَى أَنْ بَلْغُوا أشبيلية ، وهم فى كل يوم يصبحون يمشون بين يدى الدابة التي علمها المحفة مشاة على أرجلُهم كما جرتُ العادة ثم يركبون والمحفة مسدول عليها ستر أخف.

⁽١) ابن صاحب المسلاة : تاريخ المن بالأمامة ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

⁽٢) نفس المرجع السابق ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ . (٣) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامامة ص ٣٤١ .

⁽٤) نفس الرجع السابق ص ٣٤٣ م

إلى أن بلغوا أشبيلية (١) وهنا يقوم أحد أفراد أسرة عبد المؤمن بالسعى للحصول على موافقة أفراد الأسرة وأشياخ الموحدين على مبايعة المنصور وخاصة أن والده يوسف قد مات ولم يوص لأحد من بعده (٢) يقول المراكشي « وكان الذي سعى في بيعته وقام بها ورغب فيها وتولى كبر أمرها ابن عمه أبو زيد عبد الرحمن بن عمر بن عبد المؤمن ، فتم له الأمر وبايعه الناس (٣) حتى إذا اطمأن المنصور إلى بيعتهم الحاصة أعلن وفاة والده وتمت بيعته العامة في سنة ، ٥ هم / ١٨٤ م (٤) وخرجت الرسائل إلى أنحاء المملكة تعلن تولى المنصور الموحدي خلافة الموحدين ، وقد أورد ليني بروفنسال في مجموع المنصور الموحدي ، رسائل موحدية ، رسالة بعثها المنصور الموحدي إلى الطابة والموحدين والأشياخ بغرناطة يعرفهم فيها بتوليه الحلافة نتيجة لإحماع الأسرة وأشياخ الموحدين وأعيانهم وزعماء القبائل وبقية الموحدين على اختياره والالتفاف حوله ، وعانهم بأخد البيعة عمن حولهم من أهل الحواضر والبوادي ، وكانت ويطالبهم بأخد البيعة عمن حولهم من أهل الحواضر والبوادي ، وكانت هذه الرسالة صادرة من أشبيلية في السابع من حمادي الأولى عام ثمانين وخسهائة (٥) .

وكما واجه يوسف بن عبد المؤمن أفراداً من أسرته غير معترفين مخلافته ، كذلك فان ابنه المنصور واجه نفس الموقف وذلك حين استغل أخو الحليفة عمر وعمه سليان بن عبد المؤمن تغيب المنصور في إفريقية وحاولا استمالة الناس إليهما (٦) وربما دفعهما إلى ذلك عدم اقتناعهما بأحقية المنصور لمنصب الحلافة وفي ذلك يقول المراكشي « وكان له من إخوته وعمومته منافسون

⁽۱) المراكشي : المعجب ص ۲۲۵ .

⁽۲) النويرى : نهاية الارب ج ۲۲ مجلد ۲ ص ۱۰۱ ، ابن الاثير : الكامل ج ۹ ص ۱۹۵ ،

⁽٣) الراكشي : المجب ص ٢٦٥ .

⁽٤) ابن أبى زرع : الأنيس ص ١٥٦ طبع حجر ، المراكشى : المعجب ص ٥٨٠ ابن عدارى : البيان المفسرب ج ٤ ص ٧٦ تطوان سنة ٥٨٠ .

⁽٥) مجموع رسسائل موحدية من ص ١٥٨ الى ص ١٦٣ ت ليفى بروفنسال رباط الفتح سنة ١٩٤١ (مثبتة بتسم الملاحق) .

⁽٦) المراكشي : المجب ص ٢٧٦ .

Terrasse: Histoire du Maroc P: 323, Paris 1949

لا يرونه أهلا للإمارة لما كانوا يعرفون من سوء صباه ، فلتى منهم شدة ه(١) غير أن مواجهة المنصور لهذا الموقف اختلفت عن أبيه ، فبينا امتنع والده عن استخدام العنف ، كان المنصور حازماً ، فما إن فشل الثاثران في تحقيق خطتهما , أقبلا على المنصور يبغيان صفحه إذ نراه يأمر بالقبض علهما ويقتلهما (٢).

أما الناصر فقد تولى عقب وفاة والده سنة ٥٩٥ه / ١٩٩٨م ، وكان أبوه قد عهد إليه في حياته (٣) ، فما إن مات والده المنصور حتى قام أحد أفراد الأسرة بالحصول على مبايعة الأسرة وأشياخ الموحدين وزعماء القبائل وهو أبو زيد عبد الرحمن بن عمر بن عبد المؤمن وهو الشخص الذى قام بنفس الدور مع والد الناصر من قبل (٤) ثم تمت البيعة العامة وكانت في سنة ٥٩٥ه / ١٩٩٨م ومن العرض السابق نلمس أنه كانت هناك بيعتان : بيعة خاصة يبايع فها أفراد الأسرة وأشياخ الموحدين وزعماء القبائل الحليفة الحديد ، ويتضح في هذه البيعة دور الأسرة وأثره في دعم مكانة الحليفة الحديد وبيعة عامة من الشعب تتم في العاصمة وأقاليم الدولة المختلفة .

وكانت للبيعة صيغة يتولى إلقاءها أحاد الكتّاب وهي (تبايعون أمير المؤمنين على ما بايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من السمع والطاعة في المنشط والمكره واليسر والعسر والنصح له ولولاته ولعامة المسلمين ، هذا ماله عليكم ولكم عليه ألا يحمّر بعوثكم وألا يدّخر عنكم شيئاً مما تعمكم مصلحته وأن يعجل لكم عطاءكم والا يحتجب عنكم ، أعانكم الله على الوفاء ، وأعانه على ما قلّد من أموركم »(٥).

⁽١) الراكشي : المعجب ص ٢٦٥ .

⁽۲) نفس الرجع السابق ص ۲۷۲ ، ۲۷۷ ، ابن ابی زرع : الأنیس ص ۱۵۷ طبع حجر ، ابراهیم حرکات : المغرب عبر التاریخ ص ۲۸۳ ، ۲۸۳ محمد الرشید ملین : عصر المنصور الموحدی ۱۲۰ ، ۱۳۰ مطبعة الشیمال الافریتی .

⁽۳) الراكشى: المعجب ص ۳۰۷ ، ابن القاضى: جذو الانسساس ص ۱۲۹ ، السلاوى: الاستقصا جـ ٢ص ٢١٤ .

⁽٤) المراكشي : المعجب ص ٣١٣ .

⁽٥) ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ص ٣٢٩ .

اختصاصات ولاة الأمر :

تحميل ولاة الأمر بالمغرب الأقصى مسئولية الحكم ، وتولوا مقاليد الأمور وقبل أن تتديم كلتا الدولتين ، مر المغرب الأقصى بفترتين منشاستين هما فترة نشر الدعوة والتمهيد لقيام الدولة ، وقد قام مهذا الدور فى الدولة المرابطية عبد الله بن ياسين ، وفى الدولة الموحدية ابن تومرت وقد قام الداعيان المرابطية عبد الله بن ياسين ، وفى الدولة الموحدية فى هذه الفترة .

وبعد إنتهاء فترة الدعوة في الدولتين ، تولَّى ولاة الأمر في المرابطين والموحدين السلطة ، وشهد المغرب الأقصى في هذه الفترة التي تمتد من حكم يوسف بن تاشفين في دولة المرابطين إلى وفاة محمد الناصر في دولة الموحدين فترة من القوة والازدهار في شتون البلاد ومن أسباب ذلك إشراف أمراء المسلمين من المرابطين وخلفاء الموحدين على أمور البلاد ، وقيامهم بدورهم مستمدين سلطاتهم من كونهم ممثلن للأمة وبذلك يقع على عاتقهم حراسة الدين وسياسة الدنيا(١) وبعبارة أخرى فهم المسئولون عن أعمال الحهاد وتدبير شئون الحند وحماية البلاد وتولية العمال وجباية الحراج وإقامة الحدود(٢) فآذا ما حاولنا معرفة مدى تحقق هذه الاختصاصات في حكام المغرب الأقصى لوجدنا أن كلا من يوسف بن تاشفين وعبد المؤمن قام بدور إيجابي في تأسيس دولته ، حيث قاد كل منهما الحنود في المعارك وقضي سنوات طويلة في سبيل تأسيس دولته ودعمها ، حتى إذا تأسست دولة المرابطين انطلق يوسف بن تاشفين إلى الأندلس ليخوض معركة الحهاد ضد النصاري وينقل الأراضي الإسلامية من الوقوع في قبضة الأعداء ، وقد ظهر ذلك جلياً في انتصاره العظيم بالزلاقة ، ولم يكن هذا النصر وغيره من الانتصارات إلا ثمرة جهود متواصَّلَة بذلها القائد الأعلى يوسف بن تاشفين في تنظيم وإعداد جنده للقتال وإشرافه على تسليحهم وتجهيرهم بمختلف أدوات القتال حتى صار جيشه قوياً منحيث الكيف ضخماً من حيث المكم حتى بلغ ماثة ألف جندى (٣)

⁽۱) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ٥ ، د. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢٩ القاهرة سنة ١٩٦٣ .

⁽۲) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ١٥ ، ١٦ ، د. احسد شلبى : السياسة والاقتصاد في التفكير الاسلامي ص ٥٤ النهضة سنة ٦٤ (٣) د. حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص ٢٢٧ .

وحمل راية الحهاد من بعده ابنه على بن يوسف الذى واصل قيادته للجند في معاركه بالأندلس ، حتى إذا سقطت دولة المرابطين وقامت على أنقاضها ، دولة الموحدين قام خلفاء الموحدين أمثال يوسف بن عبد المؤمن وابنه المنصور الموحدي وابنه محمد الناصر بدور كبير في جهاد النصاري بالأندلس في معارك مستمرة ، وحتى أصيب الخليفة يوسف بن عبد المؤمن عند أسوار شنترين وهو يوَّدى واجبه في الجهاد تلك الإصابة التي أودت محياته ، وفي نفس الوقت قام خلفاء الموحدين منذ يوسف بن عبد المؤمن في حماية الحمة الشرقية من الدولة وذلك حين خرجوا على رأس الحيوش متوجهين إلى إفريقية للقضاء على الثورات بها وخاصة ثورة بني غانية التي كانت تطمع فى اقتطاع أجزاء من جسم الحلافة الموحدية .

وبجانب إشراف أمراء المرابطين وخلفاء الموحدين على حملات الحهاد فأسم أختصوا أيضاً بتولية العال على أقالم الدولة المختلفة ، وأشرفوا على شنون البلاد وقد تجلى ذلك في مظهرين إما بالطواف على أقاليم الدولة لتفقد أحوالها ، ومعرفة أوضاع سكان البلاد وصلتهم بعالهم ، كما فعل يوسف بن تاشفین (۱) یقول ابن آبی زرع « فخرج ــ أی یوسف بن تاشفین ــ فی شهر ربيع الآخر منها ــ أي من سنة ٤٨٠ه / ١٠٨٧م ــ يتطوّف على بلاد المغرب ويتفقد أحوال الرعية ، وينظر في أمور المسلمين ويسأل عن سبر عماله في البلاد وقضاته (٢) وكما فعل أيضاً الحليفة يوسف بن عبد المؤمن بتفقده لأحوال بلاده القريبة والبعيدة (٣)، وكذلك المنصور الموحدى حين توجه إلى فاس في سنة ٨٨٥ هـ / ١١٩٢م وبحث في شئونها ومحاسبة عمالَما(١) . أو استدعاء العال لمحاسبتهم عن أعمالهم وشئون أقاليمهم وذلك كما فعل الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن سنة ٥٦٤ ه / ١١٦٨م حين استدعى ولاة الأندلس وغير هم من عمال الأقاليم إلى حضرة مراكش للتباحث والتشاور في شئون المسلمين (٥٠) وقام بنفس العملُ في سنة ٤٧٣هم / ١١٧٧م (٦) ولم يمنع المرض الخليفة يوسف

Budgett Meakins; The Moorish Empire p; 60 (1)

⁽۲) ابن أبى زرع : الانيس ج ۲ ص ٦٦ ت الفيلالى . (۳) نفس الرجع السابق ج ۲ ص ۱۷۶ ت الفيلالى . (٤) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ١٥٢ تطوان سنة ٦٥ .

⁽o) أبن صاحب الصلاة : تاريخ ألن بالأمامة ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

⁽٦) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٤ ص ٢٨ تطوان سنة ٦٥ .

ابن عبد المؤمن من أن يمارس اختصاصاته وسلطاته ، فبالرغم من مرضه إلا أنه كان يطلع على سير الأمور ويدبّر شئون دولته عن طريق وزيره الذي كان يعرض عليه أمور الدولة(١) ، يضاف إلى الاختصاصات السابقة إشرافهم على النواحي المالية وبجانب ذلك فقد اختص حكام الدولة بالإشراف على إقامة الحدود وتنفيذ أحكام الدين باعتبار أن أمراء المرابطين منفذين لمبادئ إمامهم عبد الله بن ياسين ، كذلك خلفاء الموحدين الذين ورثوا ابن تومرت فى إمامتهم للموحدين .

القاب ولاة الأمر بالمغرب الاقصى:

تنوَّعت ألقاب ولاة الأمر بالمغرب الأقصى منذ أن تأسست على أرضه دولة المرابطين ثم قيام دولة الموحدين ، وكان هذا التنوّع راجعاً إلى نظرة كل منهما إلى الحلافة.

ومنذ اللحظات الأولى فى دعوة المرابطين أطلق ابن ياسىن لقب أمير المسلمين على أبى بكر بن عمر الذي تولَّى خلَّفاً ليحيي بن عمر (٢) ، ويشيّر إلى ذلك النويري بقوله « فأتوا ــ أى عبد الله بن ياسين ومن معه ــ أبا بكر ابنُ عمر فأجاب وعقلوا له راية وبايعوه بيعة الإسلام وتبعه زمرة من قومه وسهاه عبد الله بن ياسن أمير المسلمين، (٣) حتى إذا تولى يوسف بن تاشفين وجُدناه يدعمٌ هذا الاتجاه وهو اختياره لقب أميرالمسلمين وذلك حين تحدّث إليه من حولهُ في إختيار لقب يتناسب مع إتساع سلطته ودولته يصوّر ذلك ابن الخطيب بقوله « ويوسف بن تاشفين كان يدعى بالأمير فلما ضخمت مملكته واتسعت عمالته اجتمعت إليه أشياخ قبيلته وأعيان دولته وقالت له أنت خليفة الله فى أرضه وحقك أكبر من أن تدّعى بالأمير بل ندعوك بأمير المؤمنين فقال لهم حاشا الله أن نتسمى بهذا الاسم إنما يتسمى به خلفاء بنى العباس لكونهم من تلك السلالة الكريمة لأنهم ملوك الحرمين مكة والمديبة وأنا راجلهم والقائم بدعوتهم ، فقالوا له لابد من اسم تمتاز به وبعدما أجاب إلى أمير

⁽۱) ابن صاحب الصلاة : تاریخ الن بالامامة ص ۲۰۹ ، ۲۱۰ . (۲) ابن سعید : نزهة الانظار ج ۱ ص ۱۲۸ تونس سنة ۱۳۲۱ه (۳) النویری : نهایة الارب ج ۲۲ مجلد ۲ ص ۷۷ .

المسلمين وناصرالدين فخطب له بذلك في المنابر، (١) ومن النص السابق نلمس حرص يوسف بن تاشفين علىعدم التلقّب بألقاب الخلافة ، معلّلا ذلك بتبعيته للخلافة العباسية ومن ثم اكتفى بلقب أمير المسلمين وناصر الدين ، ثم صدر مرسوم رسمي يشر إلى اللقب الرسمي لرثيس الدولة ، وذلك حن أمر يوسف بن تاشفين كتاًبه بكتابة مرسوم بهذا اللقب يقول فيه (إنا كتبناه إليكم من حضرتنا بمراكش حرسها الله فى نصف محرم سنة ست وستين وأربعاثة وأنَّه لما مَّن الله علينا بالفتح الحسيم وأسبغ علينا من أنعمه الظاهرة والباطنة وهدانا وهداكم إلى شريعة نبينا محمد المصطفى الكرم صلى الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسلُّم رأينا أن تخص " أنفسنا صدًا الاسم لتمتازوا به على سائر أمراء القبائل وهو أمر المسلمين وناصر الدين فمن خطب الحطبة العلية السامية فليخطمها مهذا الاسم إن شاء الله تعالى والله ولى العدل بمنه وكرمه والسلام ٤(٢) ومن المرسوم السابق يتضح أن تاريخ اتخاذ يوسف بن تاشفين لقب أمير المسلمين كان في عام سنة ٤٦٦ه / ١٠٧٣م ، وقد أشارت بعض المراجع إلى أن تاريخ هذه التسمية حدث بعد الزلاقة (٣) إلا أن الدلائل تشعر إلى غير ذلك ، فلقب أمير المسلمين قد اتخذ في الدولة المرابطية قبل ظهور يوسف بن تاشفين على مسرح الأحداث وذلك حين أطلق ابن ياسين هذا اللقب على الأمر أبي بكر بن عمر (٤) ، ثم ذلك الحوار الذي ورد صراحة بين أشياخ المرابطين ويوسف بن تاشفين في اختيار لقب من ألقاب الحلافة 🕒 وامتناعه عن ذلك واختياره للقب أمر المسلمين وإضافته لقب ناصر الدين وقد تم هذا فی أول سنة ٤٦٦ ه / ١٠٧٣م آی بعد تنازل أبی بکر بن عمر في سنة ٤٦٥ ه / ١٠٧٣م له عن رئاسة المرابطين ، فلم يكن هناك ما بمنع ، من اتخاذ لقب يشعر بعظم مكانة يوسف بن تاشفين ، ثم دعم هذا اللقب

11

⁽١). ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ١٦ .

⁽٢) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ١٧ . .

⁽٣) ابن أبى زرع : الأنيس ج ٢ ص ٦١ ت الفيلالى ، لسان الدين ، ابن الخطيب : أعمال الأهلام القسم الثالث ص١٥٥ ، د. شسعيرة : المرابطون ص ١٢٢ ، د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٢٣٧ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٣٧ .

⁽٤) النويرى : نهاية الأرب جـ ٢٢ مجلد ٢ ص ٧٧ .

بانتصاراته العظيمة في الأندلس واتصاله بالخلافة العباسية ورضاها عن أعماله وموافقتها على لقبه(١) .

وأصبح لقب أمير المسلمين اللقب الرسمى ليوسف بن تاشفين ومن تولى من بعده من أبنائه ، فعلى بن يوسف تلقّب بلقب أمير المسلمين (٢) وهكذا تحدّد اللقب في الدولة المرابطية نتيجة لموقفهم من الحلافة العباسية ، وعلى العكس من ذلك كان موقف الدولة الموحدية حيث أن ابن تومرت منذ أن رجع إلى المغرب كان يعمل على قيام خلافة إسلامية في المغرب ، ومن هنا كانت الألقاب التي اتخدها هو ومن جاء بعده تشير إلى هذه الحقيقة وتدعم ذلك الاتجاه ، وقد اتخذ ابن تومرت لقب المهدى المعلوم والإمام المعصوم (٢) وذلك بعد أن هيأ أذهان أصحابه وأتباعه لهذا اللقب .

حتى إذا دخلت الدعوة فى دور الكفاح المسلح ضد المرابطين، أطلق ابن تومرت لقب أمير المؤمنين على خليفته من بعده عبد المؤمن بن على وذلك حين وجه ابن تومرت جنود الموحدين وعلى رأسهم عبد المؤمن بن على لقتال المرابطين قائلا لهم و اقصدوا هولاء المارقين المبدلين الذين تسموا بالمرابطين فادعوهم إلى إماتة المنكر وإحياء المعروف وإزالة البدع والإقرار بالإمام المهدى للعصوم فان أجابوكم فهم إخوانكم لكم ما لهم وعليهم ماعليكم وإن لم يفعلوا فقاتلوهم ، فقد أباحت لكم السنة قتالهم وأمرعلى الحيش عبد المؤمن بن على وقال : أنم المؤمنون وهذا أميركم فاستحق عبد المؤمن من يومئذ اسم إمرة المؤمنين هوان كان يشير إلى إمرة المؤمن من يومئذ اسم إمرة المؤمنين هوان أن ابن تومرت ما زال على قيد الحياة عارس دوره ، إلا أن فيه إشارة طقب الذي سيتخذه عبد المؤمن بن على وبنوه من بعده ، وقد حدث هذا بعد وفاة المهدى بن تومرت ومبايعة الموحدين لعبد المؤمن البيعة العامة في سنة

Arnold: The Caliphate. P; 83, Mahmoud
Brelvi; Islam in Africa, p; 134.

⁽۲) المراكشي : المعجب من ۱۷۱ ، ابن أبي زرع : الأنيس جـ ٢ ص ٧٨ ت الفيلالي السلاوي : الاستقصا جـ ٢ ص ٦١ .

(٣) ابن القطان : نظم الجمان ص ٣٣ ، العمري : مسالك الأبصار

٧٧ه / ١١٣٢م(١) ويحددها بن أبي زرع بسنة ٧٥ه / ١١٣٣م(٢) وصار لقب أمر المؤمنين خاصاً بعبد المؤمن ومن تولى من بعده من أبناثه (٣) فهذا يوسف بن عبد المؤمن تسمى بأمير المؤمنين وذلك فى سنة ٣٣هـ ﴿ ١٦٢٨م(٤) وقد أمر الصناع أن يكتبوا على سيفه : لأمير المؤمنين بن أمبر المؤمنين (٠) وكذلك المنصور الموحدى تلقب بأمىر المؤمنين وذلك بعد أن تمت مبايعته (١)

وبجانب لقب أمر المؤمنين فإن خلفاء الموحدين أطلقوا أيضاً على أنفسهم لقب خليفة ، وقد لقتب عبد المؤمن نفسه صدا اللقب وذلك حين توافد عليه الشعراء بمدحونه في جبل الفتح سنة ٥٥٥ه / ١١٦٠م وكان ممن مدحه أحد الشعراء الذي بدأ قصيدته بقوله : ما للعدا جنة أوقى من الهرب . . حتى إذا فرغ منها استحسنهاعبد المؤمن وعليّق عليها بقوله «بمثلهذا تمدح الحلفاء» (٧)

وهكذا شهد المغرب الأقصى منذ قيام دولة المرابطين إختلافآ فى ألقاب حكام المنطقة فمنهم من تسمى بأمبر المسلمين ، كما حدث في الدولة المرابطية ومنهم من تلقّب بألقاب الخلافة كما حدثٌ في دولة الموحدين .

نائب هاكم المغرب الأقصى:

وجد هذا المنصب على أرض المغرب الأقصى ، وذلك حين تأسست

⁽۱) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٢٢٩ د، السسيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص ٧٨١ .

۲۱۳ من آبي زرع : الأنيس ج ۲ من ۲۱۳ .

⁽٣) العينى: عقد الجمان جـ ١ قسم ٢ ص ٢٣٥ ، ابن خلكان:وفيات الأميان جـ ٢ ص ٢٨ ، النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٢ مجلد ٢ ص ٨٧ ، ابن خلدون : مقدمة أبن خلدون ص ٢٣٠ ، السلاوى : الأستقصا ج ٢ ص ابن صاحب الصلاة: تاريخ الن بالامامة ص ٣٣٨ ، ٣٣٨ حاشية. Encyclopeadia Britannica, Vol 1, P; 672,

The Encyclopeadia of Islam. Vol 1, P; 50

⁽٤) ابن أبى زرع : الأنيس ج ٢ ص ١٨٥ . (٥) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٣ تطوان .

⁽١) نفس المرجع السابق ج ٤ ص ٧٨ تطوان ٠

⁽٧) المراكشي: المعجب ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، محمد المنوني: العلوم والآداب ص ١٢ ، عنان : عصر الرابطين والموحسدين التسم الأول ص . TAE

⁽م ٦ _ الحضارة)

دولتا المرابطينوالموحدين وهي وظيفة موَّقتة يشغلها النائب أثناء تغيب ولى " الأمر عن العاصمة لسبب من الأسباب وكان يشغل هذا المنصب في الدولة المرابطية أقرب المقربين من ولى الأمر أو أحد أفراد الأسرة الحاكمة (١) وذلك كما حـــدث حين توجَّه على بن يوسف إلى الأندلس سنة ٥٠٠ ه بعـــد توليه الرئاسة وولَّى أخاه تميما نائباً عنه في حكم المغرب(٢)، وأيضاً بعد أن تولى تاشفين بن على بن يوسف الرئاسة وتوجهه إلى ميدان القتال لمحاربة عبد المؤمن بن على فانه استخلف على مراكش أخاه اسحق بن على بن يوسف بن تاشفين (٣).

عاذا ما إنتقلنا إلى الدولة الموحدية فاننا نجد هذا المنصب أيضاً وذلك كلما ترك الخليفة مراكش فانه يولتيمكانه نائباً عنه ⁽⁴⁾ وقد انحصر هذا المنصب في عهد عبد الموَّمن بن على في أشياخ الموحدين وخاصة الشيخ أبي حفص وذلك كما حدث في سنة ٥٤٦هـ / ١١٥١م حين توجه عبد المؤمن إلى غزوة مجاية فانه استخلف على مراكش الشيخ أبا حقص بن يحيى (°)وكذلك فعل عبدالمؤمن حين توجه لفتح المهدية سنة ٥٥٥٣ / ١١٥٨ م فانه استخلف أيضاً الشيخ أباً حفص(١) وَفي بعض الأحيان كان يستخلفُ عبد المؤمن بن على صهره الشيخ موسى الضرير وهومن شيوخ أهل تينملل وأعيالهم من ضبيعة يقال لها: أنسا ، فكان عبد المؤمن يستخلفه على مراكش إذا خرج عنها (٧)أما خلفاء عبد المؤمن فإنهم كانوا يخصون أبناء أسرتهم بهذا المنصب ، فالحليفة يوسف ابن عبد المؤمن استخلف على مراكش أخاه السيد أبا عمران وذلك حن توجهه إلى الأندلس سنة ٧٦٥ه / ١١٧١ (٨) وأيضاً حين خرج إلى صنهاجة القبلة

⁽١) د. حسن أحمد محمود : تيام دولة المرابطين ص ٣٥١ .

⁽١) ابراهيم حركات : ألمفرب عبر التاريخ ص ١٧٨ .

⁽٣) السلاوي : الاستقصا جـ ٢ ص ٧٠ .

⁽٤) ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٣٥ J. F. Hopkins: Medieval Muslim P; 11.

⁽ه) ابن أبى زرع : الأنيس ج ٢ ص ١٤٧ ت الفيلالى . (٦) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٢٣٧ ، البــــاجى : الخلاصة النتية من ٥٥ تونس سنة ١٢٨٢ ه ، السلاوى : الاستقصا ج ۲ ص ۱۳۲ .

⁽٧) المراكشي :المجب ص ٢٣٧ .

⁽٨). ابن خلدون : ټاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٢٤٠ ، السلاوي : الاستقصا ج ٢ ص ١٥٠ .

لمحاربتهم سنة ٧٧٦ه / ١١٧٦م ، فانه استخلف أخاه أبا حفص والياً على مراكش وأميراً على الناس (١) ، وكذلك فعل المنصور الموحدى في تعيين أحد أقاربه ناثباً عنه وذلك حين توجه إلى قفصة سنة ١٩٨٦م (١) وهكذا واستخلف على مراكش السيد أبا الحسن شيخ بنى العم وكبيرهم (٢) وهكذا شغل منصب ناثب الحليفة في الدولة الموحدية أشياخ الموحدين ثم أفراد الأسم ة الحاكمة .

وبطبيعة الحال كان النائب يتولى مقاليد الأمور في العاصمة ويشرف على أعمال الدولة مستخدماً في ذلك حقه كممثل لولى الأمر ، ومن ثم كان من حقه تولية ولاة الأقاليم وهذا ما فعله أبو الحسن ابن عم الخليفة المنصور الموحدى نائب الخليفة على مراكش إذ قام بتولية أحد الولاة على تلمسان وذلك في سنة ٥٨٥ه / ١٨٨٩م (٣)، وفي بعض الأحيان يكلف الخليفة نائبه بالإشراف على بعض الأعمال أثناء غيابه وذلك كما فعل المنصور الموحدى مع نائبه أبى الحسن ، يقول ابن عدارى « فلما قضى – أى المنصور الموحدى – فرض الصلاة خرج من مراكش في الثالث من شوال – أى سنة ١٨٥ه ه – واستخلف على مراكش السيد أبا الحسن شيخ بنى العم وكبيرهم وجعل له النظر في تتميم ما بنى من بناء الصالحة ووكلها إلى أعمال خاطره والاستبداد برأيه ودقيق نظره » (٤) .

⁽۱) ابن عذاری : البیان المغرب ج ٤ مس ٢٦ تطوان ٠

⁽٢) أَبْنَ عَذَارَى : النِّيَانَ المَعْرَبِ جَ } ص ١٠٢ تطوان ٠

⁽٣) ابن عذاري : البيان المفرب ج ٤ ص ١٢٨ تطوان ٠

⁽٤) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٤ ص ١٠٢ تطوان ٠

ب ــ ولاية المهد

ولاية المهد بالمفرب الأقصى:

ارتبط نظام ولاية العهد بنظام الرئاسة في المغرب الأقصى في القرنين الحامس والسادس من الهجرة ، ذلك النظام الذي نشأ في ظل دولتي المرابطين والم حدين ، نتيجة لرغبة كل من يوسف بن تاشفين وعبد المؤمن بن على في الاحتفاظ بالملك في أسرتهما وقد تجلى ذلك في الدولة المرابطية حين تولى يوسف بن تاشفن القيادة العسكرية في المغرب الأقصى حيث نراه يعمل كما مبق أن أوضحتُ للتمكن لنفسه في مقعد الحكم ، والانفراد برئاسة الدولة ومن ثم أصبح أمير للمسلمين ، يحكم دولة مترامية الأطراف حيث شملت المغرب والأندلس وإقليم الصحراء حيى نهر السنغال(١) وبجانب هذا الإتساع وما يتطلبه من استقرار نظام الحكم ، فان ميداناً جديداً للجهاد صارت تبعاته ومسئولياته ملقاة على عاتق أمر المسلمين يوسف بن تاشفين منذ أن قضي على ملوك الطوائف وأصبحت الأندلس إقليما تابعاً للمغرب الأقصى ، ومن هنا أدرك يوسف بن تاشفين أهمية استقرار ألحكم وعدم التنازع على رثاسة الدولة ولذا إختار وليًّا للعهد وهو ابنه على بن يوسف حتى يكفل للدولة وحدَّتها ويعصمها من الفرقة وبحسم داء الحلاف الذي مهددها بانقسام خطير (٢)وقد أشار إلى هذه الحقيقة أمر المسلمين يوسف بن تاشفين حين ذكر في كتاب تولية العهد لابنه على بن يُوسف مدّى حرصه على وحَّدة الأَمة وعدم تفكُّكها وحمايتها من التنازع على منصب الرئاسة (٣) يضاف إلى ذلك رغبة يوسف بن تاشفين في الاحتفاظ بالرئاسة في أسرته . وكذلك فعل ابنه على بن يوسف الذي واجه خطراً محققاً على كيان الدولة متمثلا في ثورة الموحدين بقيادة ابن تومرت وخليفته عبد المؤمن بن على ، ومن هنا اختار ابنه تاشفين بن على ولياً لعهده وبالرغممنأن تاشفين بن على لم يلبث في الحكم كثيراً، إلَّا أنه اختار ولياً لعهده

⁽۱) د. حسن احبد محبود : قيام دولة المرابطين ص ١٣٤٤ ٠

⁽٢) نفس المرجع السابق ص ١٩٤٤ .

⁽٣) ابن الخطيب : الحلل الموشية من ٧ه ، ٥٨ (مثبتة بتسم الملاحق) .

وهو ابنه أبراهيم بن تأشفين ، فأذا انتقلنا إلى الدولة الموحدية وجدنا الحليفة عبد المؤمن ما إن مكّن لنفسه في مقعد الحكم حتى حمد إلى الاحتفاظ بهذا المنصب في أسرته وذلك حين اختار أحد أبنائه ولياً للعهد ، وهو بهدف بذلك إلى الحفاظ على وحدة الدولة التي أنفق عمره في إنشائها ودعمها ، وحتى تستمر الدولة في تأدية رسالتها في جهاد الروم بالأندلس ودفع خطرهم عن المدن الأندلسية ، وقد برز الهدف الأخير واضحاً في حياة المنصور الموحدي حين اختار ابنه محمد الناصر ولياً للعهد سنة ٥٨٦ه / ١١٩٥م (١) وذلك قبل أن يواجه حشود الروم سنة ١٩٥ه / ١١٩٤م في موقعه الأرك وينتصر عليهم انتصاره المكبير . ومن هنا تشابهت الدولتان المرابطية والموحدية في الهدف من يواجه رئات وذلك للاحتفاظ بها في أسرتهما ، مع ضمان وحدة الدولة يضاف إلى ذلك إستمرار عملية الحهاد في ميدان الأندلس .

طريقة تولية العهد:

اختار پوسف بن تاشفن ابنه علياً لولاية العهد (٢) ولم يكن أكبر أبنائه بل كان هناك أخوه تميم أكبر منه سناً ، غير أن علياً كان يتفوق على أخيه تفوقاً كبيراً في المواهب والحلال اللازمة لحكم شعب من الشعوب (٣) ، ومن هنا كانت مصلحة الدولة هي الدافع وراء اختيار يوسف بن تاشفن لابنه على ثم يلي ترشيح رئيس الدولة لولي عهده موافقة أمراء لمتونة وأشياخ البلاد وفقها شها لهذا الإختيار وذلك في مجلس يحضره أشياخ المرابطين وقد صور ذلك ابن عدارى في تولية تاشفين ولاية العهد في عهد أبيه على بن يوسف ، وذلك بعد وفاة أخيه سير ولي العهد السابق ، يقول ابن عدارى « ولما مات سير بن على ولي عهد أبيه ، طلب أشياخ المرابطين من على بن يوسف أن يولي سير بن على ولي عهد أبيه ، طلب أشياخ المرابطين من على بن يوسف أن يولي ولي عهد فقال لهم : اجتمعوا واختاروا لأنفسكم على من ترضونه وقصد بذلك

⁽۱) ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ص ۳۳۱ .

⁽٢) ابن الخطيب: رقم الحلل ص ٥٣ تونس سنة ١٣١٧ ه ، ابن المؤقت : السعادة الأبدية ص ١٢ طبع حجر مراكش سنة ١٣٣٥ ه .

De Gayangos; The History of Mohamedan, Vol 11, P; 302

 ⁽٣) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ٥٧ ، أشباخ : تاريخ الأندلس ،
 ج ١ ص١١٧ د ، حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٣٤٥ ،

التوثيق في أمر تاشفين ، فلما اجتمع الناس في المسجد الحامع بالسقاية عراكش حرسها الله تعالى خاصة وعامة وتشاوروا في من يختارونه ومن عليه مجتمعون ، فقالوا كلهم بصوت واحد : تاشفين ، تاشفين ، فلم تعط السياسة لأبيه مخالفتهم فيه فعقد له الولاية بعهده ﴾ (١) ومن هذا النص يتضح دور أشياخ المرابطين في اختيار ولى العهد وأن دورهم كان استشارياً إذ أن أمير المسلمين على بنَّ يوسف كان قد استقر رأيه على اختيار ابنه تاشفين ، ودعمَّ ذلُّك بموافقة أشياخ المرابطين ، وبعد هذا الإجماع من رئيس الدولة وأشياخ المرابطين يأتى دور ولى العهد الذي يقسم أمام المجلس إلترامه كل الشروط والواجبات التي يفرضها عليه منصبه والتي يحددها رئيس الدولة(٢) وكان من الشروط التي اشترطها يوسف بن تاشفين على ابنه على أن بمد الأندلس بسبعة عشر ألف فارس موزّعة على مدن الأندلس المختلفة لحمايتها والدفاع عنها (٣) وهذا يوريد ما سبق ذكره أن دافع يوسف بن تاشفين في اختيار ولي للعهد هو صون الأندلس وحمايتها وللما يشترط عليه هذا الشرط . ثم تأتى المبايعة ، ويقوم الكتَّاب بكتابة وثيقة ولاية العهد وتتضمن الدوافع في اختيار ولي العهد وإجماع أشياخ المرابطين على مبايعته والشروط التي اشترطها أمير المسلمين على ولى عهده واستجابته لذلك وقد تجلتي ذلك في وثيقة تولية على بن يوسف ولاية العهسد (٤) .

فاذا انتقلنا إلى الدولة الموحدية وجدنا حرص الحليفة عبد المؤمن بن على ؟ على توريث أبنائه الملك من بعده ، ولكن الوضع يختلف هنا بالنسبة لعبد المؤمن ، فبينما يوسف بن تاشفين ينتمى إلى قبيلة لمتونة القوية وإحدى القبائل المؤمن ، فبينما يوسف ، فان عبد المؤمن لم تكن له هذه العصبية القبلية ،

⁽۱) ابن عذاری : البیان المغرب ج ٤ ص ۹۷ ، ۹۸ ت د . احسان مبساس .

⁽١) أبن الخطيب : الحلل الموشية ص ٥٧ ، اشباخ : تاريخ الاندلس ج ٢ ص ١١٨ ، ١١٩ .

⁽٣) ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ٥٨ ، ٨٥ .

⁽٤) أبن الخطيب: الحلل الموشية ص ٥٦، ٥٧ ، ٥٨ التلتشندى: صبح الأعشى ج ٥ ص ١٦١ ، أشباخ : تاريخ الاندلس ج ١ ص ١١٨ ، محمد عثمان المراكشى :الجامعة اليوسيفية ص ٨٩ ، ، ٥ (مثبتة بتسم المسلاحق) .

ولذا نراه حتى يمكّن لنفسه يستدعىقبيلة كومية وقد سبق الإشارة إلى ذلك . وبجانب ذلك يستغل عنصراً جديداً في الدولة وهم العرب في سبيل تحقيق غايته ۖ من تولية ابنه محمد ولاية العهد، وقد مهنّد لتأييذهم باقامة علاقة مودة وحب بينهم وبين ابنه محمد وذلك حين أمره أن يكاتب أمراء العرب الهلالية بأن إ نساءهمو أبناءهم في الحاية والرعاية ويطلب منهم الحضور إلى العاصمة لاستلامهم (١) أ ــ وكان عبد المومن قد أمسك مهم كأمرى في إحدى حملاته ضد العرب ــ حتى ــ إذا حضروا إلى العاصمة وجلوا الترحيب والتكريم والأموال الحزيلة مما دفعهم للإقامة في العاصمة ، وقد إمتلأت قلوبهم بالحب والإجلال للخليفة وإبنه(٢) فلما اطمأن عبد المؤمن إلى ولائهم أوحى إليهم بمطالبته تنصيب ابنه ولياً للعهد وقد فعلوا ذلك(٣) إلا أن عبد المُومن تظاهُّر في بادىء الأمر بالامتناع وذلك حتى لا يبدو أمام أشياخ الموحدين وزعمائهم بمظهر الذي يريد أن بحول الدولة إلى ملكية وراثية أو ملكاً دنيوياً (٤) يضاف إلى ذلك احترامه لشخصية أبي حفص عمر بن محيى الهنتاتي ، ويبدو أنه كان هناك إنفاق بن عبد المؤمن وأبي حفص عمر بأن يتولى خلفاً له ، يدل على ذلك أن أبا حفص عمر حين أحس برغبة الحليفة في تولية ابنه ومطالبة العرب بذلك ، خاف على نفسه وأسرع وأعلن خلع نفسه يقول ابن الاثير وفلما تمكّن عبد المؤمن من الملك وكثر أولاده أُحَب أن ينقل الملك إليهم فأحضر أمراء العرب من هلال وزغب وعدى وغيرهم إليه ووصلهم وأحسن إليهم ووضع عليهم من يقول لهم ليطلبوا من عبد المؤمن ويقولوا له نريد أن تجعل لنا ولى عهد من ولدك يرجع الناس إليه بعد ك ، ففعلوا ذلك ، فاما علم عمر ذلك خاف على نفسه فحضر عنَّد عبدالموَّمن وأجاب إلى خلع نفسه» (°) فاما استوثق عبد المؤمن من عدم وجود أى معارضة ¦

⁽۱) النويرى : نهاية الأرب ج ٢٢ مجلد ٢ ص ٩٣ ، اين الأثير : الكامل ج ٩ ص ٤١ .

⁽٢) نفس المصدرين السابقين ونفس الصفحات .

⁽٣) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ٥٠ ، النويرى : نهاية الأرب ج٢٢. مجلد ٢ ص ٩٣ ،

⁽٤) عنان : عصر المرابطين والموحدين : التسم الأول ص ٣٣٨ .

⁽٥) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ٥٠ .

عقد اجْمَاعاً في سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م(١) وفي رواية أخرى في سنة ٥٥١م/ ١١٥٦م(٢) حضره الولاة وأشياخ القبائل من حميع أنحاء المملكة وأعلن فيه تولية محمد أكبر أولاده ولياً لعهده (٣) ، ثم صدرت الرسائل تشبر إلى هذا الحدث ومنها الرسالة الموجهة إلى أهل سبتة وطنجة متضمنة حرص الخليفة على مصلحة الأمة ، وحرص الموحدين والعرب على اختيار واتَّى للعهد يصون ّ للدولة وحدتها وقوتها ، وتنازل أبي حفص وإنضامه للمطالبين بولى للعهد ، ثم نزول الخليفة عند رغبة المحتمعين واختياره لإبنه محمد وما في ذلك من خىر وبركة للأمة(٤).

وكانت أقاليمالدولة المختلفة تقوم بدورها فى إرسال موافقاتها علىمثلهذا الحدث في شكل رسائل تتضمن مبايعة أهل الإقليم والناحية لولى العهد الحديد كما فعل أهل قرطبه حين وصلتهم رسالة من العاصمة تخبرهم باختيار المنصور الموحدى لإبنه محمد الناصر ، فأرسلوا بيعتهم وموافقتهم في شكل رسالة موجهة إلى العاصمة في سنة ٨٨٥ه / ١١٩٢م جاء فيها لا هذا ما أجمع عليه الملأ بقرطبة وأعمالها حرسها الله من الطلبة والموحدين والعرب والأجناد والوجوه من الأشياخ والأعيان والقواد والخواص والعوام من الرعية من حاضر منهم ومن ياد ، أَحمُّوا بتوفيق الله على المبايعة للأمر الأجل السيد الأوحد . . نجل الخلافة الأطهر . . وذلك عندما ورد عليهم وصح لديهم ما كان من إجاع من بالحضرة الإمامية العلية . . ، (٥) .

أعداد ولى العهد لتحمل مستولية الحكم:

حرص أمراء المسلمين في الدولة المرابطية وخلفاء الموحدين على إعداد

⁽١) البيذق : اخبار المدى ص ١١٨ ، الميلى : تاريخ الجزائر في التديم والحديث ج ٢ ص ٢٢٤ .

⁽٢) أبن الأفي : الكامل ج ٩ ص ٥٠ ، النويرى : نهاية الأرب ج٢٢ مجلد ۲ من ۹۳ . (۳) اشباخ : تاریخ الاندلس ج ۲ من ۵۲ .

⁽٤) مجموع رسائل موحدية : ص ٥٥ الى ص ٦١ ت لينى برفنسال الربسالة الثالثة عَشرة ﴿ مِثْبَتَّةً بِتُسِمِ المَّلْحَقِ ﴾ •

⁽٥) د. حسين مؤنس : عقد بولاية العهد ص ١٦١ ، ١٦١ مجلة كلية الأداب م ١٢ جـ ٢ ديسمبر سنة ١٩٥٠ .

ولى العهد ليتحمل مسئولية الحكم، ويقوم بها على خيروجه وقد تمثل ذلك الإعداد كما حدث في الدولة المرابطية في جعل ولى العهديتمرُّس بأساليب الحكم وإدارة" إقليم من أقاليم الدولة ، وكانت الأندلس هي الميدّانُ الذي يُمارس لميه ولاَّة العهد تجاربهم حيث شارك في إدارتها على التوالى كل من على و تاشفين وابر اهم (١) خلال الحكم المرابطي، وكذلك حين ولتى عبد الموَّمن ابنه وولى عهده يوسُّف ابن عبد المؤمن إشبيلية وأعمالها(؟). والأندلس من أهم أقالم الدولة ، فاذا ما تمرُّس ولى العهد بادارتها ونجح في صد هجات الروم المتربُّصين بها ، فانه يزداد خبرة ومعرفة تؤهله لتحمل مسئولية حكم الدولة كلها . وكأن الحاكم الأعلى للدولة يسلم السلطة لولى عهده فى حياته ليمارسها تحت إشرافه ، وذلكُ كما فعل أمير المسلمين على بن يوسف بالنسبة لولى عهده تاشفين يقول ابن عذارى « فعقد له ـ أى عقد على بن يوسف لابنه تاشفين ـ الولاية بعهده ونقش اسمه في الدنانير والدراهم مع اسمه ، وقلَّده النظرُّ في الأمورالسلطانية فاستقل بذلك ، (٣) وهذا ما فعله أيضاً المنصور الموحدي عند تولية ابنه محمد الناصر ولاية العهد حيث أجلسه في حياته مجلس الحلافة (٤) وحتى يستكمل ولى العهد مظاهر السلطة فانه في الدولة المرابطية ينقش اسمه على النقود، ويلقَّب بلقب الأمر ، يقول د . حسن أحمد محمود « وكان ــ أى ولى العهد ــ ينقش اسمه على السكة ، إلى جانب اسم أبيه فيقال « الأمير على بن الأمير يوسف » ويقال أحياناً أخرى ﴿ الأمر يوسف وولى عهده الأمير على ٤ . . كما ظل اسم سير بن على يكتب على السكة حتى استبدل به الأمير تأشفين بن على ، وقد اختار تاشفين ولده ابراهيم ولياً لعهده ونقش اسمه على السكة، (٥) أما أمراء الموحدين فكانوا يلقّبون بلقب السادة ولاينعت بالسيد لعهدهم سواهم (٦)

The Encyclopeadia of Islam, Vol 1 P; 317

⁽۱) حركات : المغرب عبر التساريخ من ٢٠٤ ، د. حسن أحبسد محبود : قيام دولة المرابطين ص ٣٥١ ،

⁽٢) آلراكشي: آلمعجب من ٢٢٣ .

⁽٣) ابن عدارى : البيان المقرب في ع من ٨٨ م د احسان فياس

⁽٦) المترى : نفح الطيب هـ ١ ص ٤٢٠ ؛ الميلى : تاريخ الجزائن . هـ ٢ ص ٢٤١ ،

وكان ولى العهد بدوره ممارس هذه السلطات المخوَّلة له ، ناهضاً بأعباء الحكم، كما فعل سير ولى عهد على بن يوسف يقول ابن عدارى « فاستقرت البيعة للمذكور – أى لسير بن على بن يوسف – وإلثر م قبولها واستقل بالأمر ونظر في سائر ما تدعوه الضرورة من أمور الحيش والأحكام والولايات والعزل ورد المظالم وقعد للناس قعوداً فخماً ه(١) ، وكان يسبق هذا الإعداد العملي لولى العهد ، إعداد آخر ثقافي حيث حرص أمراء المرابطين وخلفاء الموحدين على تثقيف أبنائهم ثقافة عالية توهلهم للاضطلاع بأعباء الحكم ، فالحليفة المنصور الموحدي اختار كثيراً من الأساتذة لولى عهده محمد الناصر 'يشرفوا على تعليمه وتثقيفه ومن هوً لاء الأساتذة عبد الله بن محمد اللخمي ابن علوش أستاذ التجويد والقرآن والعربية والآداب ، ومنهم عبد الله بن سلَّمان بن حوط الله وكان يلقُّـنه حديث رسول الله صلىالله عليه وسلم وبمرَّنه على إنشاء الخطب وتحبير الرسائل وعلى قرض الشعر وغير هؤلاء من الأساتذة (٢) كذلك لعبت النصائح التي أسداها روساء الدولة لأولياء عهدهم دورها في تزويدهم بالحبرة اللازمة والمعرفة التامة بأحوال الدولة وذلك كما فعل يوسف ابن تاشفين حين أوصى ولى عهده على بن يوسف بعدة نصائح غالية منها : المحافظة على مودة المصامدة المقيمين في جبال الأطلس ، وكذلك المحافظة على معاهدة بني هود بتجديد فصولها وعدم حرق بنودها ، والإحسان إلى أهل قرطبة ، والتجاوز عن أخطأتهم وعدم معاقبتهم (٣) .

وهكذا ساهمت العلوم المختلفة التي كان يتثقف بها ولى العهد ومعها الوصايا التي كان يتروّد بها يضاف إلى ذلك تلك المارسة العملية للحكم في إعداد ولى العهد لتحمل أعباء الحكم .

اسقاط ولاية العهد:

قد محدث في بعضالاً حيان أن يتصرف ولى العهد تصرفات سيئة ويرتكب

De Geyangos; The History of Mohamedan, P; 302.

⁽۱) ابن عذاری : البیان الغرب ج ٤ ص ٧٨ ت د . احسان

^{. (}۲) محمد الرشيد ملين : عصر النصور الموحدى ص ١٧٠ . (۲) محمد عثمان المراكشي : الجامعة اليوسينية ص ٩٠٠ ، د ، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ج ٤ م ١٧٦٠ .

خطأ جسيًا ينتج عنه عزله من ولاية العهد وذلك بالرغم من الإعداد السابق له والدقة في اختياره . وذلك ما حدث لولى العهد محمد في عهد أبيه عبد المؤمن ابن على إذ بدت منه بعض تصرفات سيئة كشربه للخمر أمام مرأى ومسمع من أشياخ الموحدين وارتكابه لهذا المنكر لا يوهمله لتحمل أعباء الحكم في دولة قامت على أساس دعوة دينية وهنا تتضارب الأقوال في شأن تاريخ عُزله فبعضها يذكرأن هذا العزل تم.ّ بعد وفاة عبد المؤمن وأن محمد آ تولى الحكم فعلا وظل به مدة خمسة وأربعين يوماً حتى عزله يوسف بن عبد المؤمن وأخوه عمر (١) يقول المراكشي « ولما مات عبد المؤمن اضطرب أمر محمد هذا واختلف عليه إختلافاً كثيراً . فكانت ولايته إلى أن خلع خمساً وأربعن يوماً ، واتفقوا على خلعه في شعبان من هذه السنة ، وكان الذي سعى في خلعه أخواه يوسف وعمر ٣٠٣) واستناداً لهذا الرأى لا يدخل خلع محمد تحت عنوان إسقاط ولاية العهد . حيث أنه تولى الحلافة فعلا وخلع منها ، وهناك روايات أخرى تشمر إلى أن عبد المؤمن هو الذي عزل ابنه محمداً عن ولاية العهد حين علم بفساد خلقه وولى مكانه ابنه وسف (٣) وفي مقدمة هذه الروايات رواية ابن صاحب الصلاة وهذا مما يرجّح هذه الروايات على الرواية التي ذكرها ابن خلكان والمراكشي وذلك لوجود ابن صاحب الصلاة في قلب الأحداث حيث كان من المقربين لخلفاء الموحدين ومسجلا لكثير من الأحداث الى شاهدها بنفسه ، وعلى العكس من ذلك المراكشي الذي سحَّل أحداثه بعيداً عن أرض المغرب وبعد حدوثها بسنوات ، يضاف إلى ذلك أن الفترة الزمنية بين الروايتين رواية المراكشي ومن معه ورواية ابن صاحب الصلاة ومن معه

⁽۱) المراكشي : المجب ص ٢٣٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيسان ج ٦ ص ١٣٣ ،

⁽٢) المراكشي : المعجب من ٢٣٦ •

⁽٣) ابن حساحب الصلاة : تاريخ المن بالامامة من ٢١١ ، ٢٢١٠٢١٧ ابن ابن زرع : الانيس ج ٢ من ١٦٧ مت الفيسلالي ، ابن خلدون : ج ٢ من ٢٣٨ الزركشي : تاريخ الدولتين من ٩ ، لسان الدين بن الخطيب : اعبال الاعلام القسم الثاني من ٣٠٩ مت ليفي بروفنسسال ، النويري : نهاية الارب ج ٢٢ مجلد ٢ من ٩٨ ، العمري : مسسالك الابصار ج ٢٦ تسم ٢ من ٢٣٢ .

لا تتجاوز مدة الشهرين حيث إن قرار العزل من عبد المؤمن تم " في أثناء مرضه الأخير الذي أفضي إلى الموت ومن هنا حدث الإختلاف في توقيت العزل ، وقد أوضح ابن صاحب الصلاة العامل المباشر في عزل محمد حن قال ٩ وعند الانصراف - أي إنصراف عبد المؤمن من زيارته لقرر المهدى بتينملل سنة ٨٥٥٨ ـــ منها في الطريق ظهر من جرحة محمد المحلوع بما وجب عليه في أثر ذلك الخلع ، وذهب في جانبه الصرع من شرب الخمر المحرمة وظهور السكر عليه ، وذلك أنه تقيأها على ثيابه وأطنابه وسرجه وهو راكب على فرسه في المحلة على مرأى من عظاء الموحدين وأشياخهم والعالم من المؤمنين الزائرين ، فصح عند أبيه نكره وتخليطه وسكره فأسقط هو بفعله من الأمر نفسه وكسف بالنهار شمسه ١(١) ومن هذا النص يتضح إرتكاب ولى العهد محمد لإحدى الكباثر على مرأى ومسمع من أشياخ الموحدين وكبار رجال الدولة مما يستحيل معه تقلده لمنصب الرئاسة الذي من أولى مبادئه المحافظة على أركان الدين وأحكامه مع اصطباغ الدولة بالدعوة الموحدية التي دعا إلها ابن تومرت وتشدده في تنفيذ أحكام دعوته وتبعه في ذلك خليفته عبد المؤمن ، كل هذا دفع عبد المؤمن إلى عزل ابنه ^(٢)وذلك حين حمع أشياخ الموحدين وأخبرهم بعزل ابنه محمد يقول النويرى « أن عبد المؤمن لما حضرته الوفاة جمع أشياخ الموحدين وقال لهم قد جربت ابني محمد فلم أجد فيه نجابة تصلح للأمور ولا يستحق الولاية ولا يصلح لها إلا ابني يوسف وهو أولى بها فقدموه لها ووصَّاهم بِها فبايعوه وعقدوا له الولاية ٣(٢) ، وهكذا خسر ولى العهد محمله مقعد الحكم نتيجة استهتاره وارتكابه لهذا الحطأ الحسم .

⁽١) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامامة ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

⁽۲) نفس الرجع السابق ص ۲۲۱ ، ابن أبى زرع : الأنيس ج ۲ مس ۱۹۷ . الزركشى : تاريخ الدولتين ص ۹ الميلى : تاريخ الجزائر ج۲ مس ۲۲۵ ، المبرى : مسالك الأبصار ج ۱۱ قسم ۲ مس ۳۳۲ .

ج ـ الوزارة

استعان ولاة الأمر بالمغرب الأقصى بالوزراء فى إدارة البلاد ، وبالرجوع إلى التعريفات المختلفة للفظة وزارة نجد أنها تحمل فى طياتها معنى المؤازرة (١) والمعاونة (٢) وقد تناول الماوردى وظيفة الوزارة بالشرح والتفصيل وعرفها بقوله « اسم الوزارة مختلف فى اشتقاقه على ثلاثة أوجه : أحدها أنه مأخوذ من الوزر وهو الثقل لأنه يحمل عن الملك أثقاله ، الثانى أنه مأخوذ من الوزر وهو الملجأ ومنه قوله تعالى «كلا لا وزر » أى لا ملجأ فسمى بذلك ، لأن الملك يلجأ إلى رأيه ومعونته ، والثالث أنه مأخوذ من الأزر وهو الظهر لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر ولأى هذه المعانى كان مشتقاً فليس واحد منها ما يوجب الاستبداد بالأمر »(٢) .

وقد لعب الوزراء بالمغرب الأقصى منذ منتصف القرن الحامس وحتى لمهاية السادس من الهجرة دوراً بارزاً فى معاونة حكام الدولة على تسيير دفة الحكم ورعاية شئون البلاد .

الوزارة بالمغرب الأقصى:

شهد المغرب الأقصى منذ قيام دولة المرابطين تنوعاً في نظام الوزارة وذلك خسب السلطة الحاكمة ، ويمكننا أن نقسمه إلى مرحلتين متمير تين لكل منهما طبيعته وخصائصه .

المرحلة الأولى: وتشمل هذه المرحلة عهد الدولة المرابطية، وذلك منذ أن وطلّد يوسف بن تاشفين سلطانه وانطلق مجهوده الحربية إلى ميدان الأندلس الذي أصبح إقليها خاضعاً للسلطة المركزية في مراكش، ومن هنا اتخذ امراء المرابطين الوزراء.

⁽۱) النويري : نهاية الأرب ج ۲۲ مجلد ۲ ص ۹۸ .

⁽۲) ابن خلدون : بقسدية ابن خلدون : من ۲۳۳ ، الطرطوشي : ١٩٤ مسراج الملوك عس ٥٠ ، د. صبحي المسالح ، النظم الاسلامية من ٥٠ . S.D. Goitien; Studies In Islamic History, P; 170

⁽٣) الماوردي : الأعكام السلطانية من ٢٤ ط ا سنة ١٩٦٠ .

وكان الوزير في أوائل عهد الدولة قائداً عسكرياً (١) وقد تجلى ذلك حين اتخذ يوسف بن تاشفين صهره سير بن أبي بكر وزيراً له (٢) وكان سير من أعظم زعماء لمتونة وقادتها وقد ظهرت براعته العسكرية في موقعة الزلاقة سنة ٤٧٩ هم / ١٠٨٦م (٣) ، وحين عزم يوسف بن تاشفين الاستيلاء على الأندلس أسند مهمة الاستيلاء على مدنها إلى وزيره وقائده سير بن أبي بكر (٤) كذلك استوزر أمير المسلمين على بن يوسف القائد ينتيان بن عمر الذي كان قائداً لفرقة الحشم (٥) وتولى القادة العسكريين منصب الوزارة يرجع إلى قائداً لفرقة الأمر بفكرة الجهاد وكثرة المعارك التي خاضوها في المغرب والأندلس .

وبجانب هذا الوزير كان هناك نوع آخر من الوزراء وهم الوزراء المدنيون ومعظمهم من الفقهاء الدين نالواحظاً كبير آمن الثقافة العربية أمثال مالك بن وهيب وزير على بن يوسف الذي نال حظاً كبيراً من العلم والمعرفة في معاهد قرطبة وأشبيلية وغرناطة وبلنسية وغيرها من العواصم الأندلسية (٢) ومن هنا ساعد أمير المسلمين نوعان من الوزراء:

أولا: وزراء عسكريون من قادة الحيش وهم من قرابة السلطان عادة أو من قبائل لمتونة وصنهاجة التي قامت على أكتافها دولة المرابطين (٧).

ثانياً : وزراء كتاب وهم الفقهاء(^) .

وبجانب هذا التنوع انقسم الوزراء من حيث إقامهم إلى وزراء مركزين يقيمون في مراكش بوصفها عاصمة البلاد^(٩) من أمثال اسحاق بن ينتيان بن

J.F.P- Hopkins; Medieval Muslim, P; 7. (1)

⁽٢) ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ١٢ .

⁽٣) عنان : عصر الرابطين والموحدين التسم الأول ص ٧٣ .

⁽٤) نفس الرجع السابق ص ٧٣ .

⁽٥) د. أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب من ١٥٤

⁽١) محمد عثمان الراكشي : الجامعة اليوسينية ص ١٧٥ .

⁽٧) د. العبادي د راسات في تاريخ المغرب ص ١٥٢ .

⁽٨) نفس المرجع السابق ص ١٥٢ .

⁽۹) ابراهیم جرکات : المغترب عبن التاریخ مِن ۲۰۶ ، د. حسن ابراهیم : تاریخ الاسلام السیاسی ج ۶ ص ۳۳۱ .

عمر (١) ومالك بن وهيب (٢) وزيرى على بن يوسف ، ووزراء إقليميون تابعون للأمراء المحلين (٣) كابن الإمام وزير الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين يقول محمد المرير لا ابن الامام توفى سنة ٢٥٠ ه / ١١٢٦م هو على بن عبد العزيز بن الإمام الأنصارى من أهل سرقسطة ، سكن غرناطة ، وأخد عن شيوخها ، كان أحد علماء عصره متفقها محققاً من أهل البلاغة ، والفصاحة والمكرم ، وكان وزيراً جليلا معظماً ، صاحب معارف ومآثر حمة ، استوزره الأمير أبو الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين صاحب غرناطة فحمدت وزارته وشكرت مقاصده وأعماله ه (٤) ، واتخاذ الأمير أبي بكر بن ابراهيم بن تاشفين وهو ابن عم أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين وزيراً في ولايته سرقسطه الوزير أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة في سنة ٨٠٥ه / ١٩١٤م (٥) ، وقد نال الوزراء مكانة ممتازة في الدولة المرابطية ، إذ كان الوزير هو الشخص المقرّب من السلطان والذي يحضر مجلسه (٢)

المرحلة الثانية : وتشمل عهد عبد المؤمن حتى الناصر الموحدي :

وقد سبق تولّى عبد المومن رئاسة الموحدين وقضائه على المرابطين تنظيما إدارياً ابتدعه ابن تومرت داعية الموحدين ، وذلك لتنظيم شئون الدعوة والإشراف على سير المعارك ، وأشرك في هذا التنظيم أكبر عدد ممكن من زعماء القبائل ، وبذلك يتحقق الدعم والمساندة للدعوة الحديدة وقد قسمهم

⁽۱) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ۱۱ ، ابن عـــدارى: البيان المغرب ج ٤ من ١٠١ ت د، احسان .

⁽٢) محمد عثمان المراكشي : الجامعة اليوسينية من ١٧٥ .

⁽٣) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٠٤ .

⁽٤) محمد الرير : الأبحسات السامية جـ ٢ من ١٥٤ تطوان سسئة

⁽٥) التفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء من ٢٦٥ عد ١ سنة ١٣٢٦ هـ ، عنان : عصر المرابطين والموسدين التسم الأول من ٤٧٠ ، أحبد أمين : ظهر الاسلام جـ ٣ من ٢٣٦ طـ ٢ سنة ٥٩ .

⁽١٦) د، حسن أحمد محمود : قيام دولة الرابطين من ٣٦٢ .

إلى عدة طبقات (١) ويأتى فى مقدمتها طبقة العشرة أو أهل الجاعة ، وهم بمثابة وزراء لابن تومرت (٢) وكان منهم عبد المؤمن بن على خليفة الموحدين فيا بعد ، وتختص طبقة العشرة بالأمور الهامة ويتولى أفرادها الوزارة والقيادة (٣) فلما تولى عبد المؤمن رئاسة الدولة اتخذ هو وأبناؤه من بعده الوزراء وذلك لمعاونتهم فى إدارة شئون البلاد ، وأصبح للخليفة وزير أو أكثر يتولى أعباء الحكم والإدارة بتوجيه الحليفة وإرشاده ويطالعه بمختلف الشئون الهامة (٤) . وقد حدث تطور فى نوعية من يحتل منصب الوزارة ، فبعد أن كان الوزراء ينتمون إلى قبائل مختلفة فى عهد ابن تومرت والذى كون منهم طبقة المعشرة أو أهل الجاعة باعتبار أسبقيتهم فى مبايعة ابن تومرت والالتفاف حوله فانهم فى عهد عبد المؤمن ومن جاء بعده تنوعت شخصياتهم فمهم من كان ينتسب إلى أسرة الحلافة نفسها ومنهم من كان ينتسب إلى أسرة معينة لها مكانها فى الدولة ، وكان غير هم ينتسب إلى قبيلة معينة وأخيراً احتل بعضهم هذا المنصب لمتعه بصفات توهم له لذلك ، وبمكننا أن تحدد هذه النوعيات فيا يلى .

أولا : وزراء ينتسبون إلى أسرة الخلافة :

أما أول من احتل منصب الوزارة من أسرة الخلافة فهو عمر بن عبد المؤمن

⁽۱) ابن القطان : نظم الجمان ص ۲۸ ، المراكشى : المعجب ص ۱۸۸ ، ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ۷۹ ، ۸۸ ، ابن الاثير : الكامل ج ۸ من ۲۹۸ ، العينى : عقد الجمان ج ۲۰ قسم ٤ ص ۲۸۱ ، النويرى: نهاية الارب ج ۲۲ مجلد ۲ ص ۸۹ ،

Julien; Histoire de L'Afrique du Nord, P; 98, 100, J.F.P. Hopkins; Medieval Muslim; P. 85, The Encyclopeadia of Islam, P; 317

⁽٢) أبن التطان : نظم الجمان ص ٧٤ ، د. احمد مختار : دراسات في تاريخ المفرب من ١٥٥ .

⁽٣) ابن التقليب : اللطل الموشية من ٧١ ، اشباخ : تاريخ الاتدلس ج ١ من ٢٠٠ .

⁽٤) عنان : عصر الرابطين والموحدين التسم الثاني من ٢٢١ ، ابن التنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية من ١٠٢ ب محمد الثماذلي وعبد الحميد التركي ، الدار التونسية سنة ١٩٦٨ .

الذى استوزره أبوه فى أخريات أيامه (١) وبذلك اتخذ عبد المؤمن بن على «تاليداً فى اللولة وهو اتخاذ الوزراء من أسرة الحلافة ، وقد سار على بهجه أبناؤه من بعده فالحليفة يوسف بن عبد المؤمن اتخذ أخاه السيد أبا حفص وزيراً فى بدء عهده (٢) ثم اتخذ ابنه أبا يوسف ولى عهده وزيراً له (٣) ، حتى إذا ما تولى المنصور الموحدى الحلافة نراه يسبر على نفس السياسة فاتخذ أخاه أبا عبد الله وزيراً له (٤) واتبع نفس السياسة الناصر الموحدى حين استوزر أخاه ابراهم (٥) والمتأمل فى سياسة تولية الوزراء من أسرة الحلافة بحد أن الهدف من وراء ذلك هو المتكين الأسرة عبد المؤمن فى السلطة حيث تتجمع السلطة العليا فى البلاد من خلافة ووزارة فى يد أسرة واحدة مما يوطئد من نفوذها ، فضلا عن الحبرة المكتسبة من ممارسة الحكم وتوجيه الأمور فى البلاد ، وقد ظهر عن الحبرة المكتسبة من ممارسة الحكم وتوجيه الأمور فى البلاد ، وقد ظهر ذلك واضحاً حين تولى المنصور الموحدى وزارة أبيه ، فانه تمرس بأعباء ذلك و ونظمها ، يقول العينى « ولى وزارة أبيه فبحث عن الأحوال عثا الحكم ونظمها ، يقول العينى « ولى وزارة أبيه فبحث عن الأحوال عثا شافياً وطالع مقاصد العال والولاة وغيرهم مطالعة حسنة ، (١) ومن ثم أفاده شافياً وطالع مقاصد العال والولاة وغيرهم مطالعة حسنة ، (١) ومن ثم أفاده

⁽۱) المراكشي: المعجب ص ۱۹۸ ، ابن صاحب الصلاة: تاريخ الن بالامامة ص ۱۷۲ ، ابن ابي زرع: الانيس ج ۲ ص ۱۷۲ ت النيلالي . ابن التطان: نظم الجمانص ۱۷۳ ، البيذق: اخبار المهدي ص ۱۲۱ لا البيذق: اخبار المهدي ص ۱۲۱ و J F.P Hopkins; Medieval Muslim; P; 153

J.F.P. Hopkins; Medieval Muslim, P'; 153

{ البيان المذب من ٢٤ ، ابن مذارى : البيان المغرب من ٢٠ ، ابن المغرب من ٢٠ من ٢٠ من ١٧٤ من البيللي ، ابن المغرب أبن المغرب أبن المغرب ج ٢ من ١٧٤ من المغيلي ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ من ١٠٤ ، العيني : عقد الجمان ج ١ قسم ٢ من ١٠٢ ، المترى:نفح الطيب ج ٤ أص ١٠٢ .

Meakin; The Moorish Empire, P ; 76.

⁽٤) ابن الخطيب: الحلل الموشية من ١٢١ ، ابن عدارى: البيان

المغرب ج ٤ ص ٧٥ تطوان Hopkins: Medieval Muslim, p: 154, (۵) المراكشي: المعجب على ٣٠٨ ، د. العبادي: دراسنات في تاريخ المغرب من ١٧٢ .

Hopkins : Medieval Muslim, P : 154.

• ٢٣٢ ص ٢ من ٢٦٤ : عقد الجمان ج ١ قسم ٢ ص ٢٣٢ (٦)

هذا المنصب حيث أصبح عالمًا بجزئيات الأمور خبيرًا بها^(١) .

ثانياً : وزراء ينتسبون إلى أسرة معينة :

كأسرة بنى جامع التى تولى أبناوها منصب الوزارة منذ عهد عبد المؤمن واستمروا فى توليها فترات مختلفة حتى عصر الناصر (٢) وترجع هذه الأسرة فى نسبها إلى ابراهيم بن جامع الذى كان من حملة أصحاب ابن تومرث وأصله من الأندلس ورحل إلى المغرب وتعرّف بابن تومرت وصار من أصحابه (٣) وضمة ابن ترمرت إلى طبقة الحمسين (٤) وأنجب ابراهيم ابنا هو أبو العلاء إدريس الذى تولى الوزارة فى عهد عبد المومن (٥) كما تولاً ها فى عهد إبنه الحليفة يوسف بن عبد المؤمن (١) وفى عهد الناصر الموحدى تولى أبو سعيد عبان بن عبد الله بن ابراهيم بن جامع الوزارة (٧) وهكذا شغل بعض أفراد أسرة بنى جامع منصب الوزارة منذ عهد عبد المؤمن .

ثَالِثاً : وزراء ينتمون إلى قبيلة معينة :

وأشهر هذه القبائل قبيلة هنتاته إحدى القبائل المؤسسة للدولة الموحدية والتي لعبت دوراً بارزاً في قيام الدولة ودعمها وفي ذلك يشير ابن خلدون بقوله « وملوك هنتاته هوًلاء من أعظم قبائلهم وأكثر ها جمعاً وأشدها قوة و هم السابقون للقيام بدعوة المهدى والممهدون لأمره وأمر عبد المؤمن من بعد» (٨)

Hopkins: Medieval Muslim, P. 153

⁽١) السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ١٩ .

⁽٢) عنان : عصر المرابطين والموحدين القسم الثاني ص ٦٢١ .

^{&#}x27;(٣) الراكشى: المعجب ص ٣١٠ ، ابن الآبار: الطة السيراء ج ٢ ص ٢٣٩ حاشية د. حسين مؤنس .

⁽٤) ابن القطان : نظم الجمان ص ٣٢ ه.

⁽٥) ابن القطان : نظم الجهان ص ١٧٤ .

⁽٢) ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالامامة ص ٢٣٨ ، الراكشى: المعجب ص ٣١١ ، ابن الآبار: الحلة السيراء جـ ٢ ص ٢٤١ ت د. مؤنس (٧) ابن الآبار: الحلة السيراء جـ ٢ ص ٢٤٠ حاشية د. مؤنس ، د. العبادي: دراسات في تاريخ المغرب ص ١٧٣ .

⁽٨) ابن خلدون : العبر جر ٦ ص ٢٧٥ .

وقد شغل بعض أفرادها منصب الوزارة (١) وتمثّل ذلك في تولى أبي حفص عمر بن أبي زيد الهنتاتي وزارة المنصور الموحدي(٢) وفي تولّي أبي زيد بن يوجان وهو ابن أخ الشيخ أبي حفص زعم هنتاتة وزارة الناصر(٣) ، والقبيلة الأخرى التي تولى بعض أفرادها منصب الوزارة هي قبيلة كومية والتي ينتمي إلىها الحليفة الأول عبد المؤمن بن على، وقد تمثّل ذلك في تولّى عبد السلام بن محمد الكومى منصب الوزارة في عهد عبد المؤمن بن على وهو من قبيلة كومية(١) وأيضاً حن تولى أبو بكر بن يوسف الكومى منصب الوزارة في عهد يوسف بن عبد المؤمن(٥) وهو أيضاً ينتسب إلى قبيلة كومية .

رابعاً : وزراء لهم صفات معينة :

هوًلاء الذين أهلتهم صفائهم ومواهبهم لاحتلال هذا المنصب ومن هوًلاء أبى جعفر أحمد بن عطية الذي سوّدته براعته (٦) وبسبب حذقه ومهارته في فن الكتابة أوثر بالكتابة والوزارة(٧).

وهكذا كان الوزراء منذ عهد عبد المؤمن بن على مختلفين في نوعياتهم ، وإن كان مجمع معظمهم الصلة الوثيقة عوسس الدولة إما بالنسب كأبناء الحلفاء وإما بالإنتماء إلى أسرة معينة اتصل عميدها بداعي الدولة ابن تومرت كأسرة بني جامع وإما قبائل معينة كقبيلة كومية الني ينتمي إلىها الحليفة وقبيلة هنتاته التي شاركت مشاركة فعالة في قيام الدولة . وكان بعض الوزراء

⁽۱) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٣٤ . (۲) المراكثي : المعجب ص ٢٦٢ ، ابن الخطيب : الحلل الموشية

ص 1۷۳

⁽٥) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٧٣ تطوان . Hopkins: Medieval Muslim P: 153

⁽١) ابن الآبار : اعتاب الكتاب ص ٢٢ ت د. صالح الاسترط إن سنة ١٩٦١ دمشق .

⁽٧) أبن الآبار : اعتاب الكتاب ص ٢٢٧ شد. صالح الاشتر ، ابن الخطيب : الاحاطة المجلد الأول من ٢٧٢ ت عنان .

يرتقي في رتبته عن وظيفة الوزارة ، إذ لم تكن الوزارة هي أعلى المناصب في الدولة(١) وبذلك يصبح هذا الوزير الرجل الثاني في الدولة بعد الخليفة(٢) وقد تجلَّى ذلك في الوزير أبي حفص عمر أزناج وزير عبد المؤمن بن على الذي أسندت إليه الوزارة فترة ثم أعنى من منصبه لعلو قدره وفى ذلك يقول المراكشي ٩ . . . وزر له في أول الأمر أبو حفص عمر أزناج إلى أن أستقر الأمر واستقل عبد المؤمن فأجلى أبا حفص عن الوزارة وربا بقدره عنها إذ كان عندهم فوق ذلك، (٣) وهذا يرجع إلى مكانة أنى حفص في الدولة حيث أنه من أهل الخاعة(٤) اللين سارعوا إلى مبايعة المهدى ومؤازرته في نشر الدعوة وتأسيس الدولة كذلك الوزير عمر بن عبد المؤمن أخو الخليفة يوسف بن عبد المؤمن فمّد تولى الوزارة لأخيه ثم ارتقى في رتبته عنها وفي ذلك يقول المراكشي « وزر له أخوه عمر أياماً يسيره ثم ارتفع قدره عن الوزارة إذ رآها دونه ه(٥).

ومن ناحية أخرى فان الوزراء من أسرة الخلافة كانوا يتخذون وزراء يعملون بين أيديهم وذلك لتميير أنفسهم عن سائر الوزراء(٦) ، وقد تجلى ذلك حين اتخذ الوزير أبوحفص ابن الخليفة عبد المؤمن وزيرا بين يديه هو أبوالعلا إدريس بن جامع في عهد الخليفة عبد المؤمن (٧) وكذلك الوزير أبو يعقوب ابن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن حن كان يشغل منصب الوزراء لأبيه فانه اتخذ الوزير أبا بكر بن يوسف الكومي بين يديه (٨) ومن هنا كان هذا الإجراء مهدف إلى الإرتفاع بقدر أفراد أسرة الخلافة عن المساواة ببقية الوزراء

J.F. Hopkins: Medieval Muslim; P: 10 (1)

Julien: Histoire du Maroc, P: 309 **(Y)**

⁽٣) المزاكشي : المعجب ص ١٩٨ .

⁽٤) ابن القطان : نظم الجمان ص ٧٦ .

⁽٥) الراكشي : العجب ص ٢٢١ .

⁽٦) د ، العبادى : دراسات في تاريخ المغرب ص ١٥٧ . .

⁽٧) ابن صاحب الصلاة : تاريخ آلمن بالأمامة ص ٢٢٤ ، ابن ابي تدع : الانيس ج ٢ ص ١٧٢ ت الفيلالي ؛ ابن القطان : نظم الجمان ص ١٧١٤ ، ابن خلدون : قاريخ ابن خلدون خ ٦ من ٢٣٨ .

⁽٨) ابن عذارى : البيآن المغرب ج ؟ ص ٧٣ تطوان ، ابن ابي زرع: الانيس جـ ٢ ص ١٧٤ ت النيلالي، .

وفى نفس الوقت الاحتفساظ بلقب الوزراء ورتبتها فى الأسرة(١) دعما للسلطة وممارسة لتصريف شئون البلاد.

اختصاصات الوزراء وسلطاتهم :

تنوعت اختصاصات الوزراء وسلطاتهم بالمغرب الأقصى وذلك تبعاً للظروف والأحوال التي مرتبها البلاد، ومنذ أن قامت دولة المرابطين وأعقها بعد ذلك دولة الموحدين وموضوع الحهاد والقتال يشغل حيراً كبيراً منجهد الحكام، واستتبع ذلك أن يشغل منصب الوزارة من له خيرة و دراية بالفنون العسكرية ليكون عوناً للحاكم في نشاطه العسكري، ولذا رأينا في عهد المرابطين اتخاذ يوسف بن تاشفين وزيراً من العسكريين وهو صهره سير بن أبي بكر (٢) ذلك الوزير الذي ظهرت براعته ومقدرته العسكرية في معركة الزلاقة (٣) وكذلك فعل ابنه أمير المسلمين على بن يوسف حين اتخذ وزيره ينتيان بن عمر وكان قائداً لفرقة الحشم (٤)، واتبعت الدولة الموحدية نفس ينتيان بن عمر وكان قائداً لفرقة الحشم (٤)، واتبعت الدولة الموحدية نفس النظام وهو اتخاذ وزراء يكون من اختصاصهم تنظيم الحيش (٥) وقد تجلى ذلك حين تولى الوزير أبو يحيى بن أبي حقص الهنتاتي وزير المنصور الموحدي قيادة حين تولى الوزير أبو يحيى بن أبي حقص الهنتاتي وزير المنصور الموحدي قيادة الحين دقي الوزير أبو يحيى بن أبي حقص الهنتاتي وزير المنصور الموحدي قيادة الحين دقي الموحدي قيادة معراً مؤررا (٥).

وكان الوزير في بعض الأحيان يقوم بوظيفة الحاجب ، والحجابة هنا معناها رياسة الوزراء (٢) وقد أشار ابن خلدون إلى أن الوزارة معناها الحجابة في دولة الموحدين حيث يقول في مقدمته « ولما جاءت دولة الموحدين من بعد ذلك أغفلت الأمر أولا للبداوة ، ثم صارت إلى انتحال الأسماء والألقاب

J.F.P. Hopkins: Medieval Muslim p: 9 (1)

J.F.P, Hopkins: Medieval Muslim P: 7 (2)

⁽٣) ابن الخطيب : الحلل الموشية من ١٢ .

⁽٤) د. العبادى : دراسات في تاريخ المغرب ص ١٥٤ .

Terrasse: Histoire du Maroc, P₁: 309

⁽٦) ملين ؛ عصر المنصور الموحدى ص ١٥٠ ، أبن عبود : تاريخ المغرب چ ٥ ص ١٤٣ .

وكان اسم الوزير فى مدلوله ثم اتبعوا دولة الأمويين وقلدوها فى مذاهب السلطان واختاروا اسم الوزير لمن محجب السلطان فى مجلسه ويقف بالموفود والداخلين على السلطان عند الحدود فى تحييهم وخطابهم والآداب التى تلزم من الكون بين يديه (۱) وقد ظهر هذا الاختصاص حين تولى السيد أبوحفص ابن الحليفة عبد المومن وزارة أبيه الحجابة وندبه عبد المؤمن لكى يتولى أمر الوفود ويقودها إلى مجلسه للسلام وتجديد البيعة فأدخلوا بترتيب معين (۲) كذلك فى عهد الحليفة يوسف بن عبد المؤمن حين تولى أخوه السيد أبو حفص وزارة أخيه وحجابته (۳) ، وهنا بجدر الملاحظة أن الوزير الذى يتولى منصب الحجابة مهذا المعنى كان من أسرة الحلافة فى الدولة الموحدية .

وأحياناً كان الوزير بمارس أعمال الكتابة في الدولة وقد سبق أن أشرت إلى اتخاذ المرابطين وزراء كتاب من الفقهاء تجالى ذلك حين اتخذ يوسف بن تاشفين وزيراً كاتباً هو الوزير الفقيه أبو محمد عبد الغفور ، ومن أبرز أعماله كتابته نص ولاية العهد باسم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لابنه على بن يوسف (٤) وفي الدولة الموحدية وجدنا اختلاطاً بين منصب الوزارة والكتابة في عهد عبد المؤمن (٩) وحتى أن بعض الكتاب أطلق اسم الوزير على الكاتب المتصرف يقول أكنسوس « وكذلك أول الدولة الموحدية فانها لم تستمكن في مقام الحضارة الداعية إلى انتحال الألقاب وتميز المراتب والخطط الملوكية إلا في أواسطها لما استفحل أمرها ، فلم يكن عندهم من المراتب إلا الوزير وكانوا يخصون بهذا الاسم الكاتب المتصرف التصرف العام المشارك للسلطان في الرأى الخاص كأبي عطية وعبد السلام الكومي «(٢) ، وقد ظهر ذلك حين في الرأى الخاص كأبي عطية وعبد السلام الكومي «(٢) ، وقد ظهر ذلك حين

⁽۱) عنان : عصر الرابطين والموحدين التسم الثاني ص ۲۲۱ ، Terrasse : Histoire du Maroc, P : 309

⁽٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ٢٤٠ ،

⁽٣) عنان : عصر المرابطين والموحدين القسم الاول من ٣٨٢ .

⁽٤) نفس الرجع السابق: القسم الثاني ص ٦٢١.

⁽٥) د. العبادي : دراسات في تاريخ المفرب ص ١٥٣ .

J.F.P. Hopkins: Medieval Muslim, P: 7.

J.F.P. Hopkins: Medieval Muslim P: 10

⁽٢) اكنسوس : الجيش العرمرم الخماسي لوحة . ٢١ ميكروفيلم .

جمع أبو حفص أحمد بن عطية بين منصب الوزارة والكتابة(١) ثم انفرد بعد ذلك بالوزارة فقط(٢).

وكان الوزير فى بعض الأحيان يختص بالإشراف على الشئون المالية (٣) وما يتبع ذلك من الإشراف على العال والمتصرفين فى أموال الدولة ، وكان لحبرة الوزير بالشئون المالية مع عدله وإنصافه أثره فى رخاء الحياة الاقتصادية وسعة أرزاق الناس وقد ظهر ذلك جلياً حين تولى منصب الوزارة فى عهد الناصر أبوعبد الله محمد بن على بن أبي عمران الضرير وفى ذلك يقول المراكشي و رأى الناس فى أيام وزارته الحصب وسعة الأرزاق وكثرة العطاء مثل الذى رأوا فى أيام أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن أو قريباً منه عن المناس ألى أيام وزارته العصب وسعة الأرزاق و كبرة العطاء مثل الذى

وفى بعض الأحيان كان الوزير يكلّف بالإشراف على نواحى البناء والتعمير الى تقوم الدولة بانشائها وقد ظهر ذلك فى عهد الحليفة يوسف بن عبد المومن حين أسند إلى وزيره أبى العلاء إدريس مهمة الإشراف على أعمال البناء والتعمير وذلك حين كان الحليفة يوسف بن عبد المومن بأشبيلية سنة ٧٦٥ه / ١١٧١م وأمر بيناء قصور البحيرة خارج باب جهور من أشبيليه (٥) وحشد فى سبيل ذلك العال والبنائين من كل مكان وجعل وزيره مشرفاً على أعمال البناء ه وأبو العلاء ادريس الوزير وابنه يحيى ملترمان المخدمة بالحلوس على ذلك من وقت شروق الشمس إلى المساء حتى كمل البناء وانهى غاية الانتهاء (٦) وأيضاً حن قاد المنصور الموحدى وزيره أبا زيد بن يوجان أشغال الرين، يقول ابن عدارى «وفى هذه السنة ـ ٩٣٠ه هـ قلد ـ أى

⁽۱) الراكشى: المعجب ص ۱۹۸ ، د، العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب ص ۱۹۹

Hopkins: Medieval Muslim, P: 10

⁽۲) الراكشى : المعجب من ۱۹۸ ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون جد ٢٣٣ .

⁽۳) القلقشندى : مبح الاعشى جـ ٥ ص ١٣٩ ، حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٩٢ ، الجيلالي : تاريخ الجزائر العام جـ ٢ ص ٢٩١ .

⁽٤) المراكشي : المجب ص ٣١٠ ٠

⁽٥) ابن صاحب الصلاة : تاريخ الن بالامامة ص ٢٦٤ .

⁽٦) نفس الرجع السابق ص ٦٨٤٠

المنصور الموحدى حيثها كان بأشبيليه سنة ٥٩٣هـــ أبو زيد بن يوجان أشغال البرين من الأعمال العلمية والأشغال السلطانية والوزارة وما يتعلق مهامن أشغال الموحدين وملازمة الحدمة فاستقل بذلك كله استقلالا ظهر به صلاح الأجوال ١١٥٨

وكان الوزير فى بعض الأحيان تسند إليه وظيفة النظر فى المظالم وبحث ما تشتكى منه الحاهير (٢) وقد ظهر ذلك فى الدولة المرابطية حين تولى الوزير اسحى بن ينتيان بن عمر فى عهد على بن يوسف النظر فى المظالم فى ذلك يقول ابن الحطيب و ثم بعد ذلك فى آخر مدته — أى مدة على بن يوسف بن تاشفين استوزر اسحى بن ينتيان بن عمر بن ينتيان .. وكان يتوقد ذكاء ونبلا وفهما فأعجب به إعجاباً كثيراً وجعل له النظر فى المظالم والشكايات فانتفع به الناس فى أمورهم وكافة شئونهم ه (٣).

وفى بعض الأحيان كان يسند الحليفة إدارة إقليم من أقاليم الدولة إلى وزيره وذلك لأهمية الإقليم وكثرة الثورات به، وهذا ما حدث في عهد الناصر الموحدى حن أسند منصب ولاية إفريقية إلى وزيره الشيخ أبي محمد عبدالواحد ابن الشيخ أبى حفص وفي ذلك يقول الزركشي « وعزم الناصر على الرحيل إلى المغرب فنظر في من يوليه إفريقية فوقع اختياره على وزيره الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص فعقد له على ذلك سنة ثلاث وسمائة ه (٤).

ومن هذا العرض لاحتصاصات الوزير يتضح أن بعضهم تحمل عبء النشاط العسكرى ، وبعضهم قام بوظيفة الحاجب ، وآخرون قاموا بوظيفة الكتابة ، وبجانب ذلك الإشراف على الشئون المالية بالدولة، وأحياناً يشرف على أعمال الإنشاء والتعمير بها ، وتولى بعضهم النظر في المظالم أو إدارة إقلم من أقالم الدولة .

وقد أطلق لقب وزيعلى بعض من يقومون مخدمة الحليفة ومداواته

⁽۱) ابن عدارى : البيان المغرب ج ٤ من ١٧٤ تطوان سنة ٥٦٠ .

J.F.P. Hopkins: Medieval Muslim P: 7 (7)

⁽٣) ابن الخطيب : الحلل الموسية من ٦١ .

⁽٤) الزركشى : تاريخ الدولتين ص ١٣٠ .

والإشراف على شئونه (١) وقد تجلّى ذلك حين أطلق لقب وزير على ابن زهر الذي خدم عدة سنوات في منصب طبيب البلاط والوزير لعبد المومن مؤسس دولة الموحدين (٢) ، وكذلك الوزير الطبيب أبو بكر بن الطفيل والوزير أبو مروان عبد الملك بن قاسم القرطبي وكلاهما قام مخدمة الحليفة يوسف ابن عبد المؤمن (٣) .

وبعد هذا التنوع في اختصاصات الوزي ، ما مدى سلطة الوزير؟ وبعبارة أخرى : هل كان الوزراء وزراء تنفيذ أم تفويض كما اصطلح على ذلك العلماء(٤) حيث اختص وزير التنفيذ بتنفيذ أوامر الحليفة الذي يشرف على جميع تصرفاته واختص وزير التفويض بتدبير شئون الدولة تبعاً لرأيه (٩) . لقد شهد المغرب الأقصى كلا النظامين ، فني الدولة المرابطية ومعظم من تولوا الوزارة في الدولة الموحدية منذ عبد المومن إلى الناصر كانوا وزراء تنفيذ حيث أحكم أمراء المسلمين من المرابطين وخلفاء الموحدين قبضهم على مقاليد الأمور وأشرفوا بأنفسهم على أحوال البلاد ومن هنا كان الوزراء منفذين لأوامر حكام البلاد (١) ، ، إلا أنه في يعض الاحيان ظهر من الوزراء من تولوا الأمور وأنفذوها برأمهم ، وكان هذا مرجعه لسببن :

السبب الأول:

إما أن يكون هوًلاء الوزراء من أسرة الخلافة الموحدية وُقد أشار إلى إلى ذلك ابن خلدون في تولّى السيد أبي حفص وزارة أخيه الخليفة يوسف

⁽۱) اشباخ : تاريخ الأندلس ج٢ ص ٢٤٢ ٠

⁽٢) نيليب حتى : تاريخ العرب ص ٧٥٠ .

⁽٣) ابن أبي زرع: الأتيس جـ ٢ ص ١٧٦ ت الفيلالي .

⁽٤) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ٢٢ الى ص ٢٩ ط ١ . سنة ١٩٦٠ : ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ٢٣٩ ، د. الريس : النظريات السياسية ص ١٨٠ سنة ١٩٥٢ .

⁽٥) د. عبد المنعم ماجد : تاريخ الصضارة الاسلامية ص ٣٢ ٠

⁽٦) د. العبادى : دراسات في تاريخ المغرب ص ١٥٨ ،

J.F.P. Hopkins: Medieval Muslim P: 11

ابن عبد المؤمن بقوله « واستقل فى رتبة وزارته» (١) وقد أوضح ذلك الاستقلال ابن صاحب الصلاة بقوله « وتوالى استبداد السيد الأعلى أبى حفص على معنى الوزارة والإمارة بانفاذ الأوامر عن أمره على ما كان عليه عند أبيه من الوزارة فى سره وجهره »(٢) ، وكذلك حين تولى المنصور الموحدى وزارة أبيه الحليفة يوسف بن عبد المؤمن وإشرافه على حميع أحوال البلاد مع إشرافه على العال والولاة والقضاة (٣) وفى ذلك يقول المراكشي « ولى الوزارة – أى المنصور الموحدى — أيام أبيه فبحث عن الأمور بحثاً شافياً ، وطالع أحوال العال والولاة والقضاة وسائر من ترجع إليه الأمور مطالعة أفادته معرفة جزئيات الأمور فدبرها بحسب ذلك» (٤).

والسبب الآخر:

حين يستبد الوزراء بهذا المنصب وقد ظهر ذلك في عهد الناصر ومن جاء بعده إذ علا سلطان الوزراء فآذن ذلك بتفكك الدولة (°) وأسباب ذلك ترجع إلى سوء اختيار الناصر لوزرائه (٦) وقد تجلّى ذلك حين اختار الناصر وزيره أبا سعيد بن جامع الذي استبد بالأمور وأقصى شيوخ الموحدين وأعيانهم وذوى الحنكة والرأى عن الاتصال بالحليفة (٧) يضاف إلى ذلك أنه حجب عن الخليفة الكتب الواردة من الأندلس بشرح الأحوال (٨) مما أدى في النهاية إلى هزيمة العقاب التي آذنت بزوال الدولة الموحدية (٩) ولم يكتف وزير الناصر

⁽۱) ابن خلدون : تاریخ ابن خلدون ج ٦ ص ٢٣٨ .

⁽٢) أبن صاحب الصلاة : تاريخ آلمن بالامامة ص ٢٣٧ .

⁽۳) ابن خلکان : ونیات الاعیان ج آ ص ٤ ، العینی : عقد الجمان ج ١ قسم ٢ ص ١٩٨ .

⁽٤) المراكشي : العجب ص ٢٦٢ .

⁽٥) د. أحمد شلبي : التاريخ الاسلامي ج ٤ ص ١٨٩ ط. ٣ سنة ٢٩ .

⁽۲) أشباخ : تاريخ الاندلس ج ۲ ص ١٠٥ . (۷) السلام ي : الاستقمام ۲ م ۷۷۱

⁽V) السلاوى : الاستقصاح ٢ ص ٢٢١ . (A) ابن الخطيب : رقم الحلل ص ٥٩ .

⁽٩) نفس المرجع السّابق ص ٥٩ ، حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٩٣ ، السلاوى : الاستقصا ج ٢ ص ٢٢١ ، د. حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ج ٤ ص ٢٣٢ ، ابن عبود : تاريخ المفسرب ج ١ ص ١٥٦ .

Murphy. The History of Mahometan, P: 134

بالاستبداد بالرأى بل وشارك فى تدبير مؤامرة للقضاء على الحليفة نفسه جين وضع له السم فى الشراب ونجاحه فى الفتك به(١) وفى ذلك يقول ابن القاضى وتوفى ــ أى الناصر ــ سنة عشر وسيائة مسموماً فى كأس خمر بأمر وزيره فى يوم الأربعاء الحادى عشر لشعبان منها بقصره من قصبة مراكش»(٢).

نكبة بعض الوزراء:

لتى بعض الوزراء مصرعهم ، كما عزل بعضهم وأبعد عن البلاد نتيجة المشكوك التى أثيرت حول إخلاصهم ، أو نتيجة المتصرفات السيئة التى ارتكبوها والتى عجلت بهايتهم ، وقد ظهر ذلك واضحاً فى الدولة الموحدية حيث وجدنا أكثر من وزير اعتقل وانتهت حياته إما بالقتل أو بالنبى .

ويأتى فى مقدمة هو لاء الوزراء أبو جعفر أحمد بن عطية وزير عبد المؤمن ابن على وهو من أهل مراكش وأصله القديم من طرطوشة (٣) وقد اشتغل بالكتابة الأمراء المرابطين وكان ذا منر لة رفيعة لديهم (٤) ، حتى إذا سقطت دولة المرابطين دخل فى طاعة الموحدين واستطاع ببلاغته وبراعته فى الكتابة أن ينال الحظوة عند الخليفة عبد المؤمن فيصبح كاتباً ووزيراً لخليفة الموحدين (٥) وقد أثبت ابن عطية كفاءة ومقدرة حين تولى ذلك المنصب بصور ذلك المقرى بقوله وأسند إليه وزارته فنهض بأعبائها ، وتحبب إلى الناس باحمال السعى والإحسان فعمت صنائعه وفشا معروفه ، وكان محمود السيرة ، مبخت المحاولات ، ناجح المساعى ، سعيد الماتحد . . وكانت وزارته زيناً للوقت وكالا للدولة (١) وكان هذا النجاح سبباً فى حسد الحاسدين القريبين من

⁽۱) ابن ابی زرع: الانیس ص ۱۷۵ طبع حجر ، ابن عذاری: البیان المغرب ج ۶ ص ۲۲۶ تطوان ، عباس الراکشی: الاعلام ج ۳ ص ۸۳ ۰ (۲) ابن القاضی: جذوة الاقتباس ص ۱۳۰ ۰

⁽۳) أبن الخطيب: الاحاطة في اخبار غرناطة المجلد الاول من ۲۷۱ ت عنان ، المقرى: نفح الطيب ج ۷ ص ١١٠ ، السلاوى الاستقصا ج٢ من ١٣٠ .

⁽٤) ابن الخطيب : الاحاطة المجلد الاول ص ٢٧١ ت عنان .

⁽٥) أبن الآبار: اعتاب الكتاب ص ٢٧٧ ت د. صالح الاشتر ، المترى: ننح الطيب ج ٧ ص ١١٠ ٠

⁽٦) المترى: نفح الطيب ج ٧ ص ١١٠ ٠

الخليفة فما إن بعثه الخليفة عبد المؤمن في مهمة إلى الأندلس حتى بدأ هؤلاء الحساد في ايغار صدر الحليفة عليه(١) وقد ساعدهم على ذلك صلة ابن عطية القديمة بدولة المرابطين أعداء الموحدين ، يضاف إلى ذلك تزوّج ابن عطية من من أمرة لمتونية لقبت ببنت الصحراوية وهي حفيدة عاهل المرابطين يوسف ابن تأشفين (٢) مع ما أشيع عنه من اصطناع الكثير من اللمتونيين (٣) كل هذه الأمور استغلها أعداوُه أحسن استغلال ، حتى إذا تغيَّب ابن عطية عن العاصمة ـ مراكش بدأوا خطتهم وذلك باطراح بعض الأبيات التي تشر الشكوك حول موقف ابن عطية في مجلس الخليفة عبد المؤمن ومنها :

قــل للإمام أطـال الله مدته قولا تبن لــــــــ لب حقائقه إن الزراجين قوم قد وترتهـــم وطالب الثأر لم تومن بواثقه وللسوزير إلى آرائهم ميسل لذاك ماكثرت فيهم علائقه (١)

وأحدثث هذه الأبيات أثرها المطلوب في نفس الحليفة إذ وغر صدره على وزيره أبى جعفر وأضمر له في نفسه شرًا(°) ومما زاد في موقف أبي جعفر سوءًا ، أن الحليفة أفضى إليه بسرفأفشاه (٦) وبلغت أنباء المؤامرة الوزير ابن عطية في الأندلس فأسرع بالمحيء إلى العاصمة حيث اعتقل ، وجمع الخليفة الناس على طبقاتهم لإبداء رأمهم في الوزير ، فأجاب كل بما اقتضاه هواه (٧) فأمر الخليفة بسجنه وسمن معه أخاه أبا عقيل عطية ، وما إن عاد الخليفة من. زيارته لقىر المهدى حتى أمر بقتلهما وذلك في سنة ٥٥٣هـ / ١١٥٨م(^^) ، هكذا لعبت الشبهات التي أثيرت حول ابن عطية والتي استغلها الحاسدون ،

⁽۱) المقرى: نفح الطيب: ج ٧ ص ١١٠ ، السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ١٣١ . وص ١٣٢ .

⁽٢) د. العبادي : دراسات في تاريخ المغرب ص ١٦٠ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين التسم الأول ص ٣٤٩ . (٣) عباس المراكشي : الأعلام بهن حل مراكش ج ١ ص ٢١٧ .

⁽٤) المترى: نفح الطيب جـ ٧ ص ١١٠ ، السلاوى : الاستقصا ج ۲ ص ۱۳۲ ۰

⁽٥) نفس الرجعين السابقين ونفس الصفحات . (٦) نفس الرجعين السابقين ونفس الصفحات .

⁽V) نفس المرجعين السابقين ونفس الصفحات .

⁽٨) المقرى : نفح الطيب جـ ٦ ص ١١٠ ، السلاوى : الاستقصا ج ۲ ص ۱۳۲ ٠

دورها فى القضاء على ابن عطية وأخيه ويبدو أن الخليفة عبد المؤمن توجس شراً من ابن عطية نظراً لعلاقاته القديمة بالدولة المرابطية مما جعله يستجيب للوشاة والحاسدين حرصاً على أمن وسلامة الدولة .

ولتى نفس المصير الوزير عبد السلام بن محمد الكومى وزير عبد المؤمن وإن اختلفت الأسباب الداعية إلى ذلك ، وكان قد تولّى منصب الوزارة عقب مقتل ابن عطية (١) وهو ينتمى إلى قبيلة كومية وتربطه بالحليفة عبد المؤمن صلة قرابة حتى كان يدعى بالمقرّب (٢) ، هذه المكانة والمرّلة أغرته بالوقوع في كثير من الأعطاء ، وقد ذكرها ابن صاحب الصلاة وتنحصر فيا يأتى :

أولا: إساءته إلى أبناء الحليفة عبد المؤمن حين ادّعى عليهم ارتكابهم البعض الأفعال القبيحة وفى ذلك يقول ابن صاحب الصلاة ووطال السادات وضايقهم ونسب إليهم عند أبيهم قبائح الأفعال من الراحات والبطالات بالنهار وطول الليل ، وقد كان قديماً قبل هذه الحركة المنصورة يقصر بهم ويسىء العشرة معهم ، فرفع إلى أمير المؤمنين رضى الله عنه أنهم يشربون الحمر المحرمة وقرر ذلك وكرر المطالبة لهم هنالك ه (٣) فلما تحرى الحليفة الأمر عن طريق شيوخ الموحدين تبن له كذب وزيره (٤).

ثانياً: وأما الخطأ الثانى حين أرسله الخليفة على رأس حملة إلى قابس فما أتم فتحها حتى استأثر الوزير بالغنائم والأسلاب وفى ذلك يقول ابن صاحب الصلاة و واستبد عبد السلام مجمع الغنائم والأموال وتنفيل ما شاء من الأنفال ولم يعلم بما فتح الله من الآمال وأدل بقرابته ووزارته غاية الإدلال فنسب إليه

⁽۱) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٢٣٧ ، ابن القطان: نظم الجمان ص ١٧٤ حاشية .

⁽٢) ابن الآبار: الحلة السيراء جـ ٢ ص ٢٣٨ ت د. حسين مؤنس ٤ الراكشي: المعجب ص ١٩٨٠.

⁽٣) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامامة ص ١٧٤ .

⁽٤) نفس المرجع السابق ص ١٧٥ .

في الأموال والاحتجان والإنكار والكيّان »(١) وقد عالج أشياخ الموحدين تصرفات الوزير بمطالبة الخليفة تعيين أحد أبنائه وزيراً وأنَّ يكونَ هو الصلة بين الخليفة وبين أشياخ الموحدين وموافقة عبد المؤمن على ذلك واختياره لآبنه أبي حفص وزيراً له(٢) .

ثالثًا: شكوى سكان تلمسان من عمالهم الذين ولاهم الوزير عبد السلام ووصول هذه الشكوى مباشرة إلى الخليفة وذلك حين وصوله إلى تلمسان . هووصل ــ أى الخليفة عبد المؤمن ــ مدينة تلمسان، تشكى أهل العدوة بعمال عبد السلام من حملهم على الرعية وظلمهم وتعديهم ومن كومية أصحابه ووصفوهم باحتجان الأموال والحيانة للأمر في حميع الأعمال وأطنبوا في التشكي والتبكي وأضافوا ذلك كله إلى الرضي من عبد السلام بجورهم (٣) ، وهكذا استغل الوزير قرابته في التعالى على أبناء الخليفة مع الاستئثار بالأموال ، واستغلاله لمنصبه فى تعيين من شاء من أصحابه ورضاه عن ظلمهم ، وقد تجمعت كل هذه الأخطاء لدى الحليفة عبد المؤمن الذي حمع المشتكين وأشياخ الموحدين وطلبة الحضر والقاضي لسماع أقوالهم ، حتى إِذَا انتهى المشتكون من أقوالهم تغيَّر وجه الحليفة وقال « عجباً من هذا الأمر وسعته وعدم المال عند مأمنه ، كانت لمتونة إنما يملكون إلى تلمسان هذه وكانوا ينصفون أجنادهم ونحن الآن قد ملكنا ذلك وزَّاثداً على ماكان بأيديهم : افريقية كلها ولا عندنا ما نعطى للموحدين هذا من عجب العجب، (٤) وهنا أجابه أحد أشياخ الموحدين بقوله ه يا أمير المؤمنين ذلك لتضيع المخازن والدين، (°) فغضب الحليفة غضباً شديداً وأمر بسجنه (٩) ، وقد تلطُّف بعض الموحدين في تخفيف غضب الخليفة بعد ذلك حتى بدا أن الحليفة سيطلق سراحه(٧) إلا أن أعداء الوزير لم يدعوا

⁽١) نفس المرجع السابق ص ١٧٦ .

⁽٢) نفس المرجع السابق ص ١٧٧ . (٣) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

⁽٤) نفس المرجع السابق ص ١٧٨ .

⁽٥) نفس المرجع السابق ص ١٧٩ .

⁽٦) نفس المرجع السابق ص ١٧٩ .

[·] ١٧٩ نفس المرجع السابق ص ١٧٩ .

الفرصة تفلت من أيديهم فأغروا سجانه بوضع السم له فى الطعام فمات من ليلته (١) و هكذا لتى وزيران مصرعهما : ابن عطية وعبد السلام الكوى فى عهد الخليفة عبد المؤمن بن على .

فاذا ما انتقلنا إلى عهد ابنه الحليفة يوسف بن عبد المؤمن نجد أنه عاقب أحد وزرائه وهو أبو العلاء إدريس بن ابراهيم بن جامع ، وإن كان العقاب لم يصل إلى حد القتل كما حدث فى عهد والده ، وكان أبو العلاء ادريس قد تولّى الوزارة فى عهد والده الحليفة عبد المؤمن واستمر فى منصبه حتى سنة معهم / ١١٧٧م (٢) ومكث فى منصبه خسة عشر عاماً (٣) ثم نكبه الحليفة يوسف بن عبد المؤمن ولم تشر المراجع إلى أسباب ذلك ، فقبض عليه وعلى ابنيه واستصفى أموالهم ونفاهم إلى مدينة ماردة بالأندلس فظلوا بها حتى وفاة الحليفة وتولى ابنه الحليفة المنصور الموحدى الذى عفا عنهم (٤) .

وقد اتبع الحليفة المنصور الموحدى نفس سياسة النفى بالنسبة للوزراء وذلك حين نفى وزيره أبا زيد عبد الرحمن بن موسى بن وجان بن محيى الهنتائى وفى ذلك يقول الحميرى « جنجالة : حصن بالأندلس فى شمال مرسية فيها حبس أبو زيد عبد الرحمن بن موسى بن وجان بن يحيى الهنتائى ، الذى كان وزير المنصور من بنى عبد المومن »(٥) ولم تذكر المراجع التى اطلعت عليها سبب هذا النفى .

وربما يلجأ الخليفة إلى تحديد إقامة الوزير وذلك كما فعل الناصر مع وزيره وفى ذلك يقول ابن عذارى «وفى هذه السنة ــ سنة ٢٠٥هـــ قد"م الناصر

1 1

⁽۱) نفس المرجع السابق ص ۱۸۰ ، ابن الآبار : الحلة السيراء ج ٢، ص ٢٣٨ ، ت د ، حسين مؤنس ، ابن أبي زرع : الأنيس ج ٢ ص ١٦٣، ت الفيلالي ،

⁽۲) اس عذاری: البیان المغرب ج ۶ ص ۲۹ تطوان ، ابن الآبار: الحلة السیراء ج ۲ ص ۲۶۰ ت د، حسین مؤنس ، ابن خلدون: تاریخ ابن خلدون ج ۲ ص ۲۶۰ ، الستقصا ج ۲ ص ۱۰۲ .

 ⁽٣) ابن عذاری: البیان المفرب ج ٤ ص ٢٩ تطوان .
 (٤) نئس الرحع السابق می ٢٩ تطوان ، عنان : عصر المرابطین

والموحدين القسم الثانى ص ٩٨ . (ه) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ص ١٧ ت ليفى بروفنسسال سينة ١٩٣٧ .

بعض الولاة على أعماله وأخر اخرين عن أشغاله ، فأخر أبا يحيى بن أبى الحسن ابن أبى عمر ان عن الوزارة وألزمه فى داره وقدم للوزارة أبا سعيد بن أبى اسحق ابن جامع (١).

وبتتبع معاقبة الوزراء نلمح أن عقوبة القتل كانت مصيرهم فى عهد عبد المؤمن ثم النبى والاعتقال فقط فى عهد من جاء بعده وهذا يتمشى مع تطور نمو الدولة واستقرارها حيث كانت الدولة فى أول أمرها محتاجة للدعم والتمكن ومن هنا كان القتل مصير كل من تسوّل له نفسه خيانة الدولة أو استغلال نفوذه وهذا ما حدث فى عهد عبد المؤمن فاذا ما استقرت الدولة وتدعم مركز الحلفاء ، كان النبى والاحتقال مصير الوزراء.

⁽۱) ابن عذارى : البيان المغرب ج ؛ جس, ۲۲۳ تطوان ٠

د _ الكتابة

عرف العالم الاسلامى نظام الكتابة كوظيفة معاونة ومساعدة للسلطة العليا في تصريف شئون البلاد ، وقد عرف المشرق هذه الوظيفة ، واتخذ الحلفاء والأمراء الكتَّاب لمعاونتهم في إدارة شئون الدولة(١) ومنذ أن قامت دولتا المرابطين والموحدين على أرض المغرب الأقصى في القرنين الحامس والسادس من الهجرة ، اتخذ حكامها الكتّاب لمعاونتهم ومساعدتهم في تسجيل المكاتبات الحاصة بشئون الدولة . وقد استعانت الدولة المرابطية منذ نشأتها بطائفة من الكتَّابِ وخاصة بعد أن سيطر المرابطون على الأندلس ، واحتاجت الدولة المترامية الأطراف إلى من محرّر الرسائل المتنوعة عن لسان أمير المسلمين إلى عمال دولته وقوّادها وكبار موظفيها (٢) كذلك كانت خطة الكتابة من الحطط الهامة في الدولة الموحديةحيث حشدخلفاءالموحدين في بلاطهم أقطاب الكتّاب المحيدين ليكونوا لسانآ للخليفة الموحدي وترحمانا له في مخاطبة الولاة والقبائل والكافة سواء بالمغرب أو الأندلس(٣) وخير دليل على إرتقاء وظيفة الكتابة في الدولة الموحدية ذلك العدد الكبير من أئمة البلاغة والأدب والذي خدم في قصور خلفاء الموحدين ، بالإضافة إلى تلك الرسائل الى حمعها ليني بروفنسال تحت عنوان « مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتَّاب الدولة المؤمنية » والى تتناول معظم الأحداث في الدولة الموحدية وهي بقلم أشهر كتَّاب الدولة ، وقد بلغت سبعاً وثلاثين رسالة ، وبقراءة هذه الرسائل بمكننا أن نستخلص مدى إهمام الخلفاء بتسجيل الأحداث الهامة والأوامر والمكاتبات الصادرة من الخليفة الموحدي مما يدل على أهمية وظيفة الكتابة في الدولة .

الكتَّاب: لعبت الأندلس إحدى الأقالم التابعة لدولتي المرابطين والموحدين دوراً كبيراً في تزويد السلطةالعليا بالمغرب بطائفة كبيرة من الكتّاب (٤) وقد

⁽۱) د. صبحى الصالح: النظم الاسلامية نشاتها وتطورها ص ٣٠٣. (۲) د. حسن ابراهيم: تاريخ الاسلام السياسي ج ٤ ص ٣٣١ . (٣) عنان: عصر الرابطين والموحدين القسم الثاني ص ٢٢٢ . (٤) د. حسن اخبد محبود: قيام دولة المرابطين ص ٣٥٩ ، د. حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ج أ ص ٣٦٤ ، عنان : عصر الرابطين والموحدين القسم الثاني ص ٢٢٢ .

J.F.P. Hopkins: Medieval Muslim P: 12 (م ٨ ــ العضارة)

عبر المراكشي عن كثرة كتاب الأندلس في بلاط أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين بقوله و ولم يزل أمير المسلمين من أول إمارته يستدعى أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس ، وصرف عنايته لللك حتى اجتمع له منهم ما لم مجتمع لملك (١).

وبجانب إقليم الأندلس ، قام المغرب الأقصى بدوره فى تخريج مجموعة من الكتّاب المغاربة نتيجة لازدهار الحركة الفكرية وخاصة فى عهد الموحدين وبتصفح تراجم هوًلاء الكتّاب بالمغرب الأقصى يمكننا أن نلمح نوعية هوًلاء الكتّاب :

أولا: كتاب شغلوا هذه الوظيفة بالأندلس خلال حكم ملوك الطوائف ومن هولاء الكتاب ابن عبدون وهو من أهل ياب ة والذى اشتغل كاتباً ليوسف بن تاشفين وكان قبل ذلك يكتب للمتوكل بن الأفطس (٢) وأيضاً الكاتب أبو بكر المعروف بابن القصيرة كاتب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وكان من قبل كاتب ابن عباد في الأندلس (٣) وكان ابن القصيرة من أهل أشبيلية ورأس أهل البلاغة في وقته (٤) وكذلك الكاتب أبو بكر عبدالعزيز ابن سعيد بن عبد العزيز البطليوسي والذي كان كاتباً لعمر المتوكل بن الأفطس ثم بعد ذلك كاتباً في دولة المرابطين (٥) ، ولا شك أن هولاء الكتاب لم يصلوا إلى شغل وظيفة الكتابة في دولة ملوك الطوائف إلا بعد أن أثبتوا جدارتهم الأدبية في عصر بلغت فيه الحياة الأدبية الأوج حيث كان التنافس واضحاً بين ملوك الطوائف في تشجيع الأدباء والكتاب مما أذكي شعلة الأدب حتى

⁽١) المراكشي : المعجب ص ١٧٣ .

⁽٢) نفس المرجع السابق ص ٨٧ ، كنون : النبوغ المغربي ج ١ ص ٧٨ ط ٢ سنة ٦١ .

⁽٣) المراكشى: المعجب ص ١٦٤ ، الحبيرى: صفة جزيرة الأندلس ص ٩١ ،: الفتح بنخاتان: قلائد العتيان ص١٠٨ طا سنة ٣٢٠ ه ابن الآبار: اعتاب الكتاب ص ٨٤ ت د. صالح الأشتر .

⁽٤) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٣٩٥ القاهرة سنة ١٩٥٥ .

⁽٥) ابن الآبار: الطة السيراء جـ ٢ ص ١٠٤ ، ١٠٤ ت د. حسين مؤنس حاشية .

بلغت الذروة في ذلك العصر (١) وبالتالي فقد أضفوا على وظيفة الكتابة بالمغرب القوة والازدهار نتيجة لخبراتهم وتجاربهم السابقة .

ثانياً : كتتاب ولدوا ونشأوا بالأندلس ونالوا حظاً كبيراً من العلم والمعرفة ومن هوًلاء أبى عبد الله بن أبي الخصال الغافق من فرغليط قرية على أ مقربة من شقورة في كورة جيان ، وقد كان أكتب أهل زمانه وأدب أهل الأندلس بالإحماع (٢) وحتى أنه كان يلقب برئيس كتاب الأندلس(٣) وقد اشتغل كاتباً لُعلى بن يوسف بن تاشفين(٤) وكذلك القاسم بن الحد وهو من لبلة وَقد سكن أشبيلية وكان من أهل التفنن في المعارف والتقدم في الآداب والبلاغة والتحق بوظيفة السكتابة لدى أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفن (٥) .

وعلى نفس السياسة سار خلفاء الموحدين في الاستعانة بكتَّاب الأندلس فى شغل وظيفة الكتابة ومعاونة الخلفاء فى المكاتبات الرسمية فقد استخدم الخليفة عبد المؤمن ميمون الهوارى كاتباً له وهو من سكان قرطبة وكان أديباً فقهاً (١) كم استخدم أيضــاً أبا الحسن بن عياش وهو من أهل قرطبــــة(٧) وجرى على نفس السياسة الحليفة يوسف بن عبد المؤمن حين استخدم كاتباً من أهل الأندلس وهو أبو الحسن بن عياش الذي اشتغل كاتباً للخليفة عبد المؤمن من قبل (^) ، كذلك استخدم المنصور الموحدي كتاباً من الأندلس

⁽۱) د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٣٥٩ . (٢) ابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب ص ١٧١ .

⁽٣) آنخل جنثالث: تاريخ الفكر الاندلسي ص ١٧٧ ت د. حسين مؤنس ط ١ سنة ٥ .

⁽٤) نفس المرجع السابق ص ١٧٧ ، الراكشي : المعجب ص ١٧٣ ، د، حسين مؤنس : الثغر الأعلى الاندلسي ص ١٩٣٧ سنة ١٩٤٩ .
(٥) ابن دحية : المطرب من اشعار أهل المغرب ص ١٧٤ ، كنون :

النبوغ المغربي ج ١ ص ٨٦ ط ٢ سفة ٦١ .

⁽٦) أَبُنَ الْقطان : نظم الجمان ص ١٧٦ حاشية ، ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن ص ٢٢٣ هاشية .

⁽٧) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٧٦ حاشية ، ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن ص ١٦٠ .

⁽٨) المراكشي : المعجب من ٢٤٤ ، ابن أبي زرع : الأنيس جـ ٢ م ١٧٥ ت النيلالي ،

وقد ظهر ذلك حين اتخذ المنصور أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عباس من أهل برشانة من أعمال المرية من بلاد الأندلس ، وقد ظل في منصبه كاتباً مدة ولاية المنصور الموحدي وابنه الناصرمن بعده(١) وقد لعب هوُّلاء الكتَّاب دوراً بارزاً في دعم وظيفة الكتابة بما اكتسبوه من خبرة وثقافة ومعرفة من الأندلس.

ثالثًا : كتَّاب من أبناء المغرب وخاصة في فترة حكم الدولة الموحدية ، وكان هذا طبيعياً حيث أن دولة المرابطين التي نشأت في مهذ البداوة والتقشف لم تكن قد وصلت إلى ما وصل إليه إقليم الأندلس من تقدم وازدهار في فن الكتابة في ظل ملوك الطوائف ، ومن هنا استعان المرابطون بعد أن أخضعوا الأندلس بمجموعة كبرة منهم حتى إذا ازدهرت النواحي الثقافية في البلاد قد م المغرب من أبنائه من يضطلع بهذه الوظيفة ، وقد رأينا ذلك حين استخدم ابن تومرت اثنين من أتباعه لشغل وظيفة الكتابة وهما ملول بن ابراهيم بن عيى الصنهاجي وأبو الربيع سليمان بن مخلوف الحضرمي(٢) وكذلك حين استخدم الخليفة عبد المومن بن على : أبا القاسم عبد الرحمن القالمي من أهل مدينة بجاية وكان من نهاء الكتاب (٣) واستخدم أيضاً أبا محمد عبد الله بن جبل من أهل مدينة وهران من أعمال تلمسان (٤) ، واستخدم أيضاً أبا على الأشرى وهو من أهل تلمسان (٥) وكذلك فعل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن . في استخدامه لكتاب من المغرب فقد استخدم أبا الفضل جعفر بن أحمد المعروف بابن محشوة من أهل مدينة مجاية (٦) .

⁽١) المراكشي : المعجب ص ٢٣٦ ، ابن الآبار : أعتاب الكتساب ص ٢٣٠ هاشية ت د، منالع الآشتر .

⁽٢) البيذق : اخبار المهدى ص ٣٩ ، محمد المنوني : العلوم والفنون والآداب ص ۱۸۲ ، ۱۸۶ ،

J.F.P. Hopkins: Medieval Muslim P:13

⁽٣) المراكثي : المعجب ص ٢٠٠ ، الجيلالي : تاريخ الجزائر المام ج ۲ ص ۳۲۲ ۰

⁽٤) أبن القطان : نظم الجمان ، ص ١٧٥ جاشية ، أبن صاحب

الصلاة : تأريخ المن ص ٢٢٣ . (٥) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٧٦ حاشية . (٦) المراكشي : المجب ص ٢٢٤ ابن أبي زرع : الأنيس ج ٢ ص ۱۷۵ . ت الفيلالي .

ثقافة الكتاب:

تزود هولاء الكتاب بقسط وافر من الثقافة العربية التي أعانهم وأهملهم لشغل هذا المنصب حيث حرص هولاء الكتاب على الاغتراف من ينابيع الثقافة العربية ومن ذلك ما وصف به ابن القصيرة الكاتب بأنه و رأس أهل البلاغة في وقته وكان من أهل الأدب البارع والتفنن في أنواع العلم (١) ويصف المراكشي ابن أبي الحصال الكاتب و أحد من انهي إليه علم الآداب وله مع ذلك في علم القرآن والحديث والأثر وما يتعلق مهذه العلوم الباع الأرحب واليد الطولي ه (٢) وابن دحية في وصفه للكاتب أبي القاسم بن الحد وكان من أهل التفنن في المعارف والتقدم في الآداب والبلاغة وله منظ جيد من الفقه والتكلم في الحديث (٣) و بجانب الثقافة العربية العريضة فان بعضهم كان على معرفة بلغات غير العربية ، وقد ظهر ذلك حين طلب يوسف بن تاشفين من كاتب ترحمة كتاب وصله من أهل الأندلس يعلنون فيه طاعتهم وفي ذلك من كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية فعرفه عا في الكتاب فكتب الحواب عا يشرح صدورهم ويطمئن قلومهم (١) واللغة المرابطية هنا المقصود مها لغة البربر التي كانت تتكلم مها القبائل في ذلك الوقت .

اختصاصات الكتاب:

تنوعت اختصاصات الكتاب بالمغرب الأقصى منذ قيام دولة المرابطين فكانت وظيفتهم الأساسية فى الدولة المرابطية كتابة الرسائل والأوامر الخاصة بأمير المسلمين وإرسالها إلى طوائف الأمة وعمال الدولة وكبار موظفها وذلك بعد اعتمادها بخاتم الأمر (٥) وقد ظهر ذلك حين أراد يوسف بن تاشفين اتخاذ لقب أمير المسلمين فانه أمر كتابه بكتابة هذا القرار وإرساله إلى الأشياخ

⁽١) إبن بشكوال: الصلة ج ٢ ص ٣٩٥ .

⁽٢) المراكشي : المعجب ص ١٧٣ .

⁽٣) ابن دحية : المطرب من اشعار أهل المقرب ص ١٧٤ .

⁽٤) العينى: عقد الجمان جـ ٢٠ قسم ٣ ص ٢٠٠٠ .

⁽٥) د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٣٦١ ، د. حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ج ٤ ص ٣٣١ .

والأعيان والكافة فى كل مكان (١)وكذلك قام الكتباب بالرد على المخاطبات الواردة من الخارج وقد تجلى ذلك حين كاتب أهل الأندلس يوسف بن تاشفين يطلبون عونه ونصرته ، فأمر كاتبه بالرد عليهم بما يشرح صدورهم ويطمئن قلوبهم (٢) .

وبجانب قيام الكاتب بتسجيل المكاتبات والرد عليها فانه كان يقوم بدور المستشار لأمير المسلمين نظراً لحبرته ومعرفته وقد تجلى ذلك حين استشار أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كاتبه عبد الرحمن بن أسبط فى العبور إلى الأندلس لنجدة ابن عباد وفى ذلك يقول ابن الحطيب و بعد ذلك خلا أى يوسف ابن تاشفين – بأحد كتابه وهو عبد الرحمن بن أسبط وكان اندلسياً من أهل المرية واستشاره فقال له إن الأمر لله تعالى ولكم فقال له ومع هذا فقل ما عندك (٣) وهكذا كانت معرفة ابن أسبط بأوضاع الأندلس سبباً فى طلب يوسف بن تاشفين مشورته .

حتى إذا تولى عبد المؤمن بن على الحلافة تولى الكتّـاب عبء تسطير أخبار معارك عبد المؤمن ، وأوامره ونصائحه لولاته . وبعض القرارات التى اتخذها من مثل تولية ابنه ولاية العهد وتولية أبنائه الأقاليم المختلفة . وكل ذلك كانت تصدر به رسائل رسمية يكتبها الكتّـاب ويبعثون بها إلى عمال الأقاليم وأعيان الموحدين وطبقات الأمة المختلفة ، وقد جمع ليني بروفنسال مجموعة من هذه الرسائل تحت عنوان و مجموع رسائل موحديه من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، ضمت سبعاً وثلاثين رسالة كتب منها في عهد عبد المؤمن ثلاث وعشرون رسالة .

ثم تحددت اختصاصات الكتاب منذ الخليفة يوسف بن عبد المؤمن حيث أصبح هناك نوعان من الكتاب لكل منهما اختصاصه :

فهناك كتتاب ديوان الانشاء وهؤلاء يتولون كتابة المراسيم السلطانية

⁽١) ابن الخطيب: الحلل الموشية من ١٦ ، ١٧ .

⁽۲) العينى : عقد الجهان جـ ۲۰ قسم ۳ ص ، ۲۰ .

⁽٣) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ٣٢ .

والرسائل الموجهة إلى الولاة والقضاة(١) ويصف ابن عذاري اختصاصهم ا بقوله « يشرفون على كتب التوقيعات وكل ما ترتب عليه وقوع العلامة من وجوه الأوامر ١٣٠١ ومن كتبة الانشاء أبو محمد عباس بن عبد الملك بن عباس وأبو القاسم المعروف بالقالمي وبابن محشوة في عهد الخليفة يوسف بن عبد الموَّمن (٣) أما في عهد المنصور الموحدي فقد تولى كتابة الانشاء ابن محشوة وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عباس(؛) وفي عهد الناصر: أبو الحسن ؛ على بن عباس بن عبد الملك بن عباس وأبو عبد الله محمد بن مخلفتن بن أحمد الفازازي(٥).

وبجانب كتاب الانشاء هناك كتاب الحيش اللين مختصون بالشثون العسكرية (٦) وقد أشار ابن عذاري إلى اختصاصهم بقوله « وانف د أبو عبدالله ابن منيع ـ وهو الكاتب المختص ــ بديوان العسكر وما انضاف إليه من التنفيذات السلطانية وتقييد الحزيات العامة في أنواع النفقات، (٧) ومن كتـّـاب الحيش في عهد الحليفة يوسف بن عبد المؤمن : أبو الحسن الهوزني الأشبيلي وأبو عبد الرحمن الطوسي(٨) وفي عهد المنصور الموحدي : اَلكباشي وأبوالحسن ابن مغن (٩) وفي عهد الناصر أبوالحجاج يوسف المرانى ثم بعده أبوجعفر أحمد بن منيع (١٠).

وقد قام بعض الكتّاب بدور المحققين مع العمال الذين يبلغ الحليفة عنهم سوء تصرفهم واستبدادهم في أعمالهم واسرافهم في أموال الدولة ، وقد حدث ذلك حين وصل الحليفة يوسف بن عبد المؤمن إشبيلية بالأندلس سنة ٥٦٦هـــ

⁽١) حركات : المفرب عبر التاريخ ص ٣٣٣ .

⁽٢) ابن عذاري : البيان المغرب جري ص ٢٢٤ ، ٢٦٣ تطوان .

^{·(}٣) المراكشي : المعجب ص ٢٤٤ .

⁽٤) نفس الرجع السابق ص ٢٦٣ . (٥) نفس الرجع السابق ص ٣١١ ، ٣١٢ . (٦) حركات : المفرب عبر التاريخ ص ٣٣٣ .

⁽٧) ابن عذاري : البيان المفرب ج ٤ ص ٢٢٤ تطوان .

⁽٨) الراكشي : المعجب ص ٢٢٤ .

⁽٩) نفس المرجع السابق ص ٢٦٤ .

⁽١٠) الراكشي : المعجب أس ٣١٢ .

١١٧٠م وحاسب أحد عماله وفي ذلك يقول ابن صاحب الصلاة ﴿ وعندما احتل مها ـ أى نزل الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن بأشبيلية سنة ٥٦٦هـ أخرر محمد بن أبي سعيد المعروف بابن المعلم عن أعمال المخزن بأشبيلية والأندلس وعزله عنها وأمره بالمشي إلى قرطبة لمحاسبته والوقوف على عمله . . وعندما وصل إلى قرطبة جعل لمحاسبته أبوالقاسم بن عساكر ــ أحد الكُنْتاب المرزّزين في البلاط الموحدي ممن كان يعين أحيانًا لمحاسبة المتصرفين في أموال المخزن ـــ وأبو عبد الله بن محسن كاتب العسكرية وأمر بالحضور عَلى تسطير عمله الفقية أبو محمد المالتي والكاتب أبو الحكم بن عبد العزيز يشهدان على كل مايسطره دام ذلك إلى خر شهر ذى الحجة من عام ستة وستين وخمس مائة، (١) وكذلك استخدم المنصور الموحدي كتَّابه في محاسبة عامل أشبيلية حين بلغه ظلمه ، يقول أبن عدارى « فأبرز لمحاسبته – أى محاسبة المنصور الموحدي لعامله داود بن أبي داود ــ أبا محمد عبد الله بن يحيى وأبا عبد الله بن الكاتب وقد كان تحت نظرهما من كتبَّاب الحهات نحو خسين كاتباً ، وأقاموا في نسخ وتقييد وتبيض وتسويد واكباب على محث وتنقيب وتصديق بعض و تكذيب، (٢)

وكانت فصاحة الكاتب وبلاغته توُّهلانه في بعض الأحيان للوقوف خطيباً أمام الخليفة مجانب اختصاصه بوظيفة الكتابة ، وذلك ما حدث في عهد عبدُ المؤمن بن على وكاتبه ابن جبل ، وقد أشار إلى ذلك ابن صاحب الصلاة فى ترحمته لابن جبل بقوله « الفقيه الحطيب أبو محمد عبد الله المعروف بابن جبل ، كان صاحب أبي الحسن الأشبيلي عند الخليفة رضي الله عنه ـــ أي عبد المؤمن بن على ــ يخطب بعده إذا خطب ويحضر إذا حضر فيورى الحطابة والفصاحة من كتب وتتعجب الوفود من بلاغته غاية العجب ۗ (٣).

وكما اتخذ أم اء المسلمين في الدولة المرابطية وخلفاء الموحدين الكتّاب لمعاونتهم في العاصمة مراكش ، كذلك فعل أمراء الأقاليم في اتخاذهم الكتبّاب لمعاونتهم في تحرير الرسائل وما يتعلق بالأعمال الإدارية (عُلَى فقد اتخذُ سير بن

⁽١) ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن ص ٥٣

⁽۲) ابن عذاری : البیان المغرب ج ٤ ص ۱۷۳ تطوان ٠ ، (۳) ابن صاحب الصلاة : تاریخ المن ص ۲۳۱ . (٤) د ، حسن أحمد محمود : قیام دولة المرابطین ص ۳۵۳ .

أبى بكر الذى ولى أشبيلية الكاتب ابن عبدون وظل يكتب له إلى أن اتصل بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين باستدعاء منه (١) وتولى الكاتب محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن عبد المسلام الكتانى من أهل شاطبة وظيفة الكتابة بغرناطة لأبى سعيد بن أبى محمد عبد المؤمن ثم رحل عنه وكتب لأبى سعيد عثمان بن عبد المؤمن والى سبتة (٢) وكذلك الكاتب أبو الحسن بن عباس القرطبى الذى اشتغل كاتباً لأبى حفص وتوجة معه إلى تلمسان وصار في صحبته وكتابته ثم استدعاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ليشغل وظيفة الكتابة لديه (٢).

وهكذا قام الكتبّاب سواء من كان منهم بعاصمة الدولة ويتبعون فى ذلك السلطة العليا فى البلاد ، أو فى أقاليم الدولة المختلفة ويتبعون أمراء الأقاليم بواجباتهم فى معاونة الحكام فى تسيير شئون البلاد .

وهنا بجدر الإشارة إلى العلامة التي اتخذها الكتّاب في رسائلهم الرسمية والصادرة عن السلطة الحاكمة فني الدولة المرابطية كانت علامة الملك و العظمة لله، (٤) حتى إذا جاء الموحدون اتخذوا علامة لدولتهم وهي والحمد لله وحده، (٥) وفي ذلك يقول ابن خلدون وثم نظر الموحدون في موضع العلامات المكتوبات . خط الحليفة فاختاروا الحمد لله وحده لما وقفوا عليها مخط الإمام المهدى في بعض مخاطباته فكانت علامتهم إلى آخر دولتهم ، (١)

⁽۱) الراكشي : المعجب من ۸۷ .

⁽٢) ابن التاضى : جنوة آلاتباس ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

⁽٣) ابن عداري : البيان المغرب ج ٤ ص ٧٣ تطوان .

⁽٤) أبن الخطيب : الملل الموشية من ١٠٠٧ .

⁽٥) ابن التامَيْ عَدُوهُ الاقتباس من ٨٤٣) ابن ابي زرع : الانيس من ١٥٧) طبع حجر ؟ السنلاوي : الاستقصا ج ٢ ص ١٤٧) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٢٣٩ .

م _ المجابة

عاون الوزراء والكتبّاب أمراء المسلمين في الدولة المرابطية وخلفاء الموحدين في تصريف شئون الدولة وتسيير الأمور ثما يحفظ على الدولة تقدمها وازدهارها وبجانب الوزراء والكتاب كان هناك الحجاب الذين ساعدوا الحكام في تنظيم الصلة بينهم وبنن الرعية وكان الحاجب « واسطة بين الناس وبين الخليفة وهو الذي يدرس حواثجهم ويأذن لهم بالمثول بن يدى الخليفة أو يوصى بقضاء حوائجهم فلا تكون هناك حاجة للمثول بين يديه ، أو يرفض الاذن لهم إذا كانت الأسباب للمقابلة غير قوية أو لم توجد أسباب، (١) ، ومن هنا كانت مهمة الحاجب تنظيم مقابلات الحليفة مع العامة والحاصة ، حفظاً لهيبة الحلافة وتنظيا لعرض المسآئل بحسب أهميتها للحاكم الأعلى للبلاد .

وبالنسبة لوظيفة الحجابة في الدولة المرابطية فانني لم أعثر في المراجع التي اطلعت عليها على وجود لهذه الوظيفة سوى إشارة بسيطة أوردها ابن الحطيب في الاحاطة عند ترجمته لتاشفين بن على بن يوسف بقوله « عكف ـ. أي تاشفين بن على ــ على زيارة قبر أبى وهب الزاهد بقرطبة وصاحب أهل الارادة، وكان وطيء الاكتاف سهل الحجاب، يجالسالأعيان ويذاكرهم، (٢) فسهل الحجاب التي وردت في النص لا تكني للتدليل على وجود هذه الوظيفة فى الدولة المرابطية وربما يرجع السبب فى ذلك إلى أن الدولة المرابطية تممرت بالبساطة مع تمكن البداوة منها(٣) مما جعلها لا تتخذ مظاهر الأبهة والملك والتي تستلزم وجود حجاب بين الحاكم والرعية .

فاذا ما انتقلنا إلى الدولة الموحدية فان ابن خلدون ينفي وجود هذه الوظيفة فى بدء قيام الدولة وذلك حين قال فى مقدمته « ولما جاءت دولة الموحدين لم تستمكن فيها الحضارة الداعية إلى انتحال الألقاب وتميير الحطط وتعيينها

⁽۱) د، أحمد شلبى : السياسة والانتصاد من ١٦٢ . (٢) أبن الخطيب : الاحاطة في أخبار غرناطة المجلد الأول من ٥٥٧

⁽٣) اكتسوسُ : الجيش العرمرم الخماسي لوحة ٣١٠ ميكروفيلم ، د. حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ج ؟ من ٣٣٦ .

بالأسماء إلا آخرا ، فلم يكن عندهم من الرتب إلا الوزير ١١، إلا أن جماعة من المؤرخين أشاروا إلى وجود هذه الوظيفة في عهد الخليفة عبد المؤمن حيث اتخذ الحجاب (٢) ووجدنا من وزرائه من يقوم عهمة الحجابة وذلك حين تولى ابنه أبو حفص مهمة الحجابة وفي ذلك يقول النويري ﴿ ثُمُّ مَاتُ عَبِدَالْمُومِّنُ ۗ وكان بسلا ــ فكتموا موته وحمل في محفة من سلا بصورة أنه مريض إلى أن وصل إلى مراكش ، وكان ابنه أبو حفص حاجبًا لأبيه فبقى مع أخيه على مثل حاله مع أبيه يخرج إلى الناس فيقول أمر أمير المؤمنين بكذاً وكذاه (٣)وقام عبد السَّلام الكُّومي وزير عبد المؤمن بمهمة الحجابة وتنظيم دخول الوفود على الخليفة عبد المؤمن وفي ذلك يقول النويري ﴿ وَفَتَحَ – أَيْ عَبِدَ المُؤْمِنَ بِنَ عَلَى سنة ١٥٥٤ ـــ مدينة قابس بالسيف وأتاه تميم صاحب قفصة ومعه جماعة من أعيانها ولما قدموا عليه دخل حاجبه عبد السلام الكرامي ــ وصحتها الكومي ــ يستأذنه عليهم ٥(٤) ، فلما تولى الحليفة يوسف بن عبد المؤمن تولى حجابته أكثر من شخص . وأول هؤلاء الحجاب أخوه أبو حفص الذي اشتغل من قبل حاجبا لوالده عبد المؤمن ، يقول ابن أنى زرع « حاجبه ــ أى حاجب يوسف بن عبد المؤمن ــ الضابط لأمره والقائم بملكه أخوه السيد أبوحفص، (٥) كذلك تولى الوزير إدريس بن جامع في أكثر من مناسبة مهمة تنظيم دخول الوفود وتبليغ الخليفة بحاجيات الحماهير ومن ذلك حين جلس الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن لتلقى بيعة أتباع ابن مردنيش سنة ٧٧هـ ﴿ ١١٧١م ، يقول ابن صاحب الصلاة « فحين جلس الحليفة أمير المؤمنين رضي الله عنه ــ أي أى يوسف بن عبد المؤمن ــ في مجلسه العالى الكريم خرج الوزير أبو العلا ادريس بن جامع وأمرهم بالدخول والمثول بينيديه فدخلوا وستلموا سلام حماعة ثم بايعوا واحداً بعد آخر» (٦) وحين خرج الحليفة يوسف بن عبدالموَّمن

⁽۱) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ۲۶۱ .

⁽٢) أَبِنَ التَنْفُذُ : الفارسية في مبادىء الدولة العقصية ص ١٠٢ ،

⁽٣) النوبرى : نهاية الأرب بد ٢٢ مجلد ٢ مس ٩٨ م.

⁽٤) النويرى : نهاية الأرب ج ٢٢ مجلد ٢ مس ٩٣ .

⁽٥) أبن أبى زرع: الأنيس جـ ٢ مس ١٧٤ ت الفيلالي .

⁽٦) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ٧٧٦ .

لحضور الاحتفالات باستقبال العرب الوافدين من إفريقية سنة ٣٦٥هم/١١٧٠م وذلك بعد شفائه من مرضه ، كان الوزير أبو العلاء إدريس يقوم بمهمة الحاجب خلال الموكب ، وقد أشار إلى ذلك ابن صاحب الصلاة بقوله ﴿ فَاسْتُوى أَمْيِرَ المُوْمَنِينَ عَلَى صَهُوةً فَرَسُهُ الْأَشْقُرِ الْأَغْرُ ، وخرج رَاكباً عليه وهي أول ركبةخرج فمها للقاء أحد أو تشييعه منحينمرضه المؤرخ،والوزير أبو العلا راجلا على قدّميه بين يديه لصق ركابه على حجابه مهما أراد أحد من الرافعين أو المتشكين أو من أهل الحاجات وذوى اللبانات كلاما أو إشارة خرج إليهم مستفهماً كلامه موصلا أعلامه »(١) ومن الأمثلة السابقة نلمس وجَوْد الْحُنْجابِ في الدولة الموحدية منذ تو"لي عبد المؤمن بن على الحكم .

وبجانب هؤلاء الوزراء فان المراكشي أشار إلى وجود حاجب لدى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن من مواليه وهو كافور الخصى « وكان يدعى كافور بغرة، (٢) أما في عهد المنصور الموحدي فقد ذكر المراكشي اثنين منموالي المنصـور توليا حجابته وهما عنىر الحصى ورمحان الحصى (٣) وذكر ابن عذارى حاجباً آخر بدلا من ريحان وهو فضيل(١) ، حتى إذا تولى الناصر الموحدى الحلافة استبد وزيره أبو سعيد بن جامع بمنصب الوزارة والحجابة (٥) ولم تكن الأمور المتعلقة بالدولة تصله إلا بعد جهد ومشقة^(٦) وذلك لاستبداد الحجاب ومجانب تولى الوزير حجابته ، ذكر المراكشي حجاباً له من الموالى يقول المراكشي ﴿ رَبُّمَانَ الْخُصِي وَيَدَّعَى رَبِّمَانَ بَيْنَكُ ، حجبه ريَّمَانَ هَذَا إلى ، أن مات ثم حجبه بعده مبشر الخصى ، يدعى مبشر ولدى فلم يزل مبشر هذا حاجباً له إلى أن توفى أمير المؤمنين رحمه الله »(٧).

⁽١) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ٢٦١ .

⁽٢) المراكشي : المعلجب صن ١٤٤٤ .

⁽٢) نفس المرجع السابق من ٢٦٣٠ .

⁽۱) ابن عذاری : البیان المغرب ج ٤ ص ٧٥ تطوان .

⁽٥) ابن ابي زرع : الأنيس من ١٦٨ طبع حجر .

⁽٦) نتس الرجع السابق ص ١٩٨ ، ابن القاضى : جذوة الانتباس

ص ١٢٩ ، عباس المراكشي ": الاعلام ج ٣ ص ٨١ .

⁽٧) الراكشي : المعجب ص ٢١١ .

الفصل الثالث

النظام الادارى الاالىم الااليم

شهد المغرب الأقصى تقسيا إدارياً لأقاليمه وذلك منذ أن تأسست على أرضه دولة المرابطين ومن بعدها دولة الوحدين ، وتولني إدارة الأقاليم ولاة من قبل السلطة الحاكمة في العاصمة مراكش .

وقد شملت ولايات المغرب الأقصى فى عهد المرابطين ست و لايات عدا العاصمة مراكش وما يتبعها من قرى ، والولايات هى : فاس ـــ وسجلياسة ـــ والسوس وتلمسان ــ والصحراء ــ وسبتة وطنجة تكونان إقابيا و احداً (١).

واتبع الموحدون فى تقسياتهم الإدارية تقسيا إدارياً مشامهاً لنظام المرابطين وإن كانوا قد زادوا عليه إقليم الريف^(۲) مع إدماجهم لولاية الصحراء فيما جاورها من ولايات كاقليم السوس^(۳).

وقد تمتعت بعض الولايات بأهمية خاصة وذلك إما لتاريخها الديني كولاية فاس وأهم مدنها مدينة فاس ، التي كانت عاصمة المغرب الأقصى في عهد دولة الأدارسة وظلت بعد ذلك مركزاً دينياً وثقافياً ، وحتى بعد أن فقدت زعامتها السياسية في عهد المرابطين والموحدين حيث اتخذ المر ابطون و الموحدون مراكش عاصمة سياسية لهم ، فانها ظلت عتفظة بما لها من مكانة وكان أمير المسلمين في دولة المرابطين لا يولي عليها إلا أقرب الناس وأدناهم منه (٤) وإما لموقعها كولاية سحاياسة التي على حدود الدولة الحنوبية (٥).

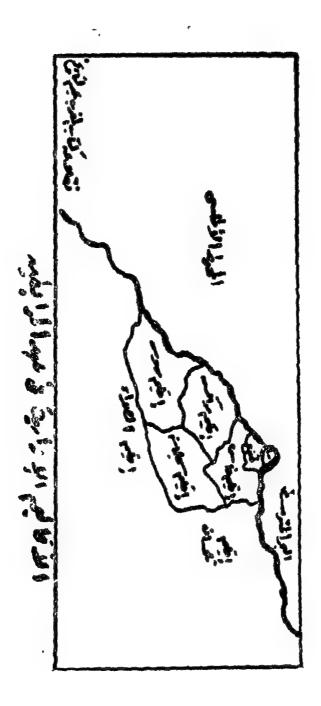
⁽۱) ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ص ۲۱۱ .

⁽٢) نفس الرجع السابق ص ٣٣٦ ،

⁽٣) نفس المرجع السابق ص ٣٢٧٠

⁽٤) د، حسن أحمد محمود : تيام دولة المرابطين صن ٢٥٤ .

⁽٥) نفس الرجع السابق ص ٣٥٥ ٠





سياسة اختيار الولاة:

تولى السلطة بأقاليم المغرب الأقصى منذ أن تأسست دولة المرابطين ولاة من قبل السلطة الحاكمة عمر اكش ، وكانت هناك سياسة مشتركة بن أمراء المسلمين في الدولة المرابطية وخلفاء الموحدين في الدولة الموحدية هي اختيارهم هوٌلاً ع الولاة من الأسرة الحاكمة نفسها ومن ذوى قرباهم أو من القبائل الموسسة للدولة وقد وضح ذلك حين عمد يوسف بن تاشفين إلى توزيع أقاليم المغرب الأقصى على بنيه وذويه ، يقول ابن خللون « ثم أقتسم ــ أيَّ يوسفُ بن تاشفين ـــ المغرب عمالات على بنيه وأمراء قومه وذويه ه (١) وقد تحققت هذه السياسة حين عمد يوسف بن تاشفين سنة ٤٦٧ه / ١٠٧٤م إلى توزيع عماله على أقاليم المغرب الأقصى ، فولى سيرى بن أبى بكر مدائن مكناسة وبلاد مكلاتة وبلاد فازاز ، وولى عمربن سلمان مدينة فاس وأحوازها ، وولى داوود بن عائشة سملاسة ودرعة وولى ولده تمها مدينتي أغمات ومراكش وبلاد السوس وسائر بلاد المصامدة وبلاد تادلا وتامسنا(٢) ، وقد دعم يوسف بن تاشفين اتجاه تعيين أبناء القبائل المؤسسة للدولة في الوظائف الهامة ومنها إمارة الأقاليم حين استَدعى هذه القبائل من مواطنها إلى المغرب الأقصى وذلك بعد أن وطلُّــُـ نفوذه واتسع سلطانه ، يقول ابن الحطيب و بعث أي يوسف بن تاشفين سنة • ٧٧ هـ إلى الصحراء للمتونة ومسوفة وغيرهم يعلمهم بما فتح الله عليه من ملك المغرب وطاعة أهله ويوكد عليهم في القدوم فوفد إليه منهم جموع كثيرة ولآهم الأعمال وصرف أعيانهم في مهمات الأشغال فاكتسبوا الأموال وملكوا رقاب الرجال وكثروا بكل مكان ، (٣) وبذلك صارت القبائل المؤسسة وهي لمتونة ومسوفة وجدالة محتل ابناوُهما المراكز الهامة في الدولة (٤)وكان يوسف بن تاشفين يرمى

⁽۱) ابن خلدون : تاریخ ابن خلدون ج ۲ ص ۱۸۵ .

⁽۲) أبن أبى زرع: آلانيس ج ٢ ص ٥٥ ت الفيلالى ، د. حسن محبود: تيامدولة المرابطين ص ٢٢٩ ، د، السيد عبد العزيز: المغرب. الكبير ص ٧١٤ .

⁽١٣) أبن الخطيب: الحلل الموشية ص ٢٠٠

⁽٤) أشباخ : تأريخ الاندلس ج ٢ ص ٢٣٤ ، د. شعيرة : المرابطون ص ٣٠ .

من وراء ذلك الاحتفاظ بتآلف هذه القبائل وتماسكها مما يدعم السلطة الحاكمة ويحفظ الدولة من خطر التفرق والانقسام(١) .

وسار على نفس السياسة أمير المسلمين على بن يوسف، وقد تجاتى ذلك بعد إتمام بيعته ، يقول ابن عذارى و وبادر — أى بعد تمام مبايعة على بن يوسف — الأمير أبو الطاهر إلى مكناسة بالحيش، والأمير بحيى بن أبى بكر في طاعة أشبيلية بفاس والأمير مزدلى بتلمسان ، وكان الأمير سير بن أبى بكر في طاعة أشبيلية ولحق الأمير أبو بكر بن ابراهيم بغرناطة في ربيع الأول من هذه السنة ، (٢) وحتى في التنقلات التي كان يقوم بها أمراء المسلمين من المرابطين بين ولاتهم كانوا يتبعون نفس السياسة ، فقد ولى أمير المسلمين على بن يوسف ابنه عمر على ولاية فاس في سنة ٤٢٥ه / ١١٢٩م وحين استبد وظلم عزله أمير المسلمين ، وولى مكانه يحيى بن أبي بكر بن تيفلويت بن أخته وكان واليا المسلمين وما وراءها فجمع بين الولايتين (٣).

فاذا ما انتقلنا إلى الدولة الموحدية لمسنا نفس السياسة وهي تعيين أبناء الحلفاء الحكم في أقاليم الدولة المختلفة ، غير أن هذا الإجراء سبقه إعداد وتنظيم من جانب الحليفة عبد المومن حيى يستطيع مواجهة طبقات الموحدين ، إذ أن الحليفة عبد المومن أحس منذ اللحظة الأولى التي تولى فيها خلافة الموحدين مدى نفوذ طبقات الموحدين تجلتي ذلك حين عجز الحليفة عبد المومن في توقيع العقوبة على أحد أفراد أهل الحاعة حين قتل أخاه ابراهيم وذلك لاعتراض أهل الحاعة على ذلك (٤) ومثل آخر ذكره البيذق يشير إلى عجز الحليفة عبد المومن أمام نفوذ أحد أعضاء أهل الحمسين وذلك حين توسل اسحق بن على بن يوسف آخر أمراء المرابطين بعبد المؤمن ليعفو عنه حين اقتحامه مراكش

⁽١) د. حسن أحمد محمود : قيام دولة الرابطين ص ٣٤٧ .

⁽٢) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٨٤ ت د. احسان عباس .

⁽٣) ابن التطان : نظم الجمان ص ١٨٣ .

⁽٤) البيذق: أخبار المهدى ص ٩٣ .

⁽م ٩ ـ الحضارة)

وقد قبل الحليفة هذا التوسل ورفضه أحد أعضاء الحمسين ، يقول البيذق هولم يبق منهم إلا أبو بكر بن تبر مت واسحق وغلامه طلحة ، وكان اسحق يتضرع للخليفة ويقول يا أمير المؤمنين ماله في الرأى شيء فيقول له طلحة اصمت عنا هلى رأيت ملكاً يتضرع لملك مثله فقال أمير المؤمنين لأبي الحسن — وأو الحسن هذا هو أبو الحسن يوكوت بن واكاك من أهل الحمسين من تينملل — اترك هو الاء الصبيان ، ما الذي تعمل بهم فصاح أبو الحسن وقال في صيحته : ويوا ويوا الموحدين ، ارتد علينا عبد المؤمن يريد أن يربي علينا فراخ السبوعة فقام الحليفة غضباناً واتبعه الموحدون إلا أبا الحسن والشيخ أبا حفص فأخذ اسحق وضرب عنقه يه (١) وهكذا عجز الحليفة عبد المؤمن عن حماية من استجار به من المرابطين ، وبالرغم من أن تدخل أبي الحسن لمصلحة الحليفة والدولة به من المرابطين ، وبالرغم من أن تدخل أبي الحسن لمصلحة الحليفة والدولة والنولة الناشئة إلا أن الحليفة عبد المؤمن أحسّ بضرورة الحد من نفوذ طبقات الموحدين وجعلها واتخذ في سبيل ذلك عدة إجراءات منها استقدامه لقبيلة كومية واستعانته بالقبائل العربية في تولية ابنه ولاية العهد ، وتغييره لطبقات الموحدين وجعلها بالقبائل العربية في تولية ابنه ولاية العهد ، وتغييره لطبقات الموحدين وجعلها في ثلاث طبقات .

وقد استعان الحليفة عبد المؤمن فى بداية الأمر بأشياخ الموحدين من أصحاب المهدى والدين ينتمون إلى طبقات الموحدين فى ولاية أقاليم الدولة (٢). وفى نفس الوقت أنشأ مدرسة فى عاصمته مراكش ألحق فيها أبناءه وجمع فيها ثلاثة آلاف طالب من قبائل المصامدة وغيرها من القبائل وزودهم بمختلف العلوم مع تعليمهم إدارة شئون البلاد وتدريبهم على فنون الحرب والقتال (٣) حتى إذا أتم هولاء الطلبة الحفاظ دراساتهم المتنوعة ، بدأ عبد المؤمن الحطوة التالية فى إحلال هولاء الطلبة أماكن شيوخ الموحدين فى تولى السلطة على أقالم الدولة (٤) مستنداً فى ذلك إلى كفاءة هولاء الطلبة فى حمل مسئولية إدارة

⁽۱) البيذق : أخبار المهدى ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

⁽۲) النويرى : نهاية الارب جـ ۲۲ مجلد ۲ ص ۹۳ ، ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ۱۱۶ ، ابن الاثير : الكامل جـ ۹ ص ۵۰ .

⁽٣) اشباخ : تاريخ الأندلس ج ٢ ص ٥١ ، ٥٢ ، الجيلالي : تاريخ الجزائر ج ٢ص٢٥٠ .

⁽٤) الجيلالى : تاريخ الجزائر العام ج ٢ ص ٢٩٥ عنان : عصــر المرابطين والموحدين التسم الاول ص ٤٠٣ .

أقاليم الدولة وقائلا لأشياخ الموحدين « العلماء أولى منكم فسلموا لهم »(١) مع بقاء هو لاء الأشياخ بصفة مستشارين ، وقد قابل أشياخ الموحدين هذا الإجراء بارتياح وذلك لأن أبناءهم كانوا ضمن هو لاء الطلبة (٢) ثم اتحد الحطوة النهائية في سبيل تحقيق هدفه المنشود وهو تولية أبنائه أقاليم الدولة ، وذلك حين دس بين أشياخ الموحدين من يلومهم على استمرار أبنائهم في رئاسة ولايات الدولة وبقاء أبناء الحليفة بدون توليهم لأقاليم الدولة وما في ذلك من أثر سيء في نفس الحليفة (٢) وقد عبر عن ذلك أبن الأثير بقوله « تولى — أى عبد المومن ابن على — أولادهم — أى أولاد أشياخ الموحدين بعد تدريبهم — ثم وضع عليم بعضهم ممن يعتمد عليه فقال إنى أرى أمرا عظيما قد فعلتموه ، فارقتم عليم بعضهم ممن يعتمد عليه فقال إنى أرى أمرا عظيما قد فعلتموه ، فارقتم فيه الحرم والأدب فقالوا وما هو ؟ فقال أولادكم في الأعمال وأولاد أمير المؤمنين ليس لهم فيها شيء مع ما فيهم من العلم وحسن السياسة وإنى أخاف أن ينظر في هذا فتسقط مراتكم عنده فعلموا صدق القائل »(٤) ومن ثم أسرع ينظر في هذا فتسقط مراتكم عنده فعلموا صدق القائل »(٤) ومن ثم أسرع الأشياخ وألحق على عبد المؤمن في تعين أبنائه وهو يتظاهر بالرفض حي أدعن في نهاية الأمر لمطلهم وعين أبناءه مكانهم (٥) .

وما إن تم تعيينهم حتى صدرت رسالة رسمية سنة ٥٥١ ه من رباط الفتح أشار فيها الخليفة عبد المؤمن إلى أن اختيار أبنائه كان نتيجة إلحاح العرب الهلالية وأشياخ الموحدين وذلك حتى لا يتطرق الحلل إلى إدارة الدولة ، وحرص حموع الموحدين على الالتفاف حول أبناء الحليفة (١) ومن هذه المرسالة وما سبقها من تصرفات من جانب الحليفة تشير إلى أن الحليفة لم يكن عقدوره فرض أبنائه على أقاليم الدولة مباشرة خوفاً من اعتراض أشياخ

⁽١) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ١١٤ .

⁽۲) النويرى: نهاية الأرب ج ۲۲ مجلد ۲ ص ۹۳ ، ابن الأثير: الكامل ج ۹ ص ۱۰ .

⁽۳) النویری : نهایة الأرب ج ۲۲ مجلد ۲ ص ۹۳

⁽٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ مس ١٥ .

⁽٥) نفس المرجع السابق ج ٩ من ١٥ ، النويري :نهاية الأرب ج٢٢ مجلد ٢ من ٩١ ، ابن الخطيب : الحلل الموشية من ١١٤ .

⁽٦) مجموع رسائل موحدية ص ٦٦ الى ص ٦٦ ت ليفي بروفنسال (مثبتة بقسم الملاحق) . . .

الموحدين وطبقاتهم ، وذلك بالرغم من استدعائه لقبيلة كومية ليدعم بها سلطته ومن ثم لحاً إلى الحيلة بأن جعل أمر تعيينهم نتيجة رغبة وإلحاح العرب الهلالية والموحدية فى اتخاذ هذه الحطوة وأنه رضخ فى النهاية لمطالبهم .

وهكذا استطاع عبد المؤمن بذكائه ودهائه تولية أبنائه أقاليم الدولة المختلفة ملبيّياً فى ذلك رغبات أشياخ الموحدين فولى ابنه السيد أباحفص تلمسان وأحوازها(١) وولى إبنه السيد أبا سعيد على سبته وطنجة(٢) وولى ابنه أباالحسن على ولاية تلمسان(٣) وولى السيد أبا الربيع تادلا(٤).

وبجانب أبناء الحليفة الذين تولوا السلطة فى أقاليم الدولة ، كان هناك الطلبة الحفاظ وهم خربجو المدرسة التى أنشأها عبد المؤمن ، وقد ولى عبد المؤمن بعضهم أقاليم الدولة ، ظهر ذلك حين انجه عبد المؤمن إلى افريقية وأنقذ المهدية من أيدى النصارى ، فانه ولى على مدينة سوسة أحد الحفاظ وهبو عبد الحق بن علناس الكومى(٥) كما عين الحليفة عبد المؤمن بن على ، على مدينة صفاقس أحد الحفاظ من الموحدين(١) ، وقد اتبع خلفاء الموحدين سياسة الحليفة عبد المؤمن فى تعين الإقارب والحفاظ فى أقاليم الدولة فالحليفة يوسف بن عبدالمو من ولى أخاه أبا على الحسن على سبتة (٧) وكذلك ولى أخاه أبا زكريا يحيى على مجاية سنة ١٦٥(٨) وولى أيضاً أخاه أبا الحسن على إفريقية سنة ٢٥٥(٩).

ابن ابی زرع : الانیس ج ۲ ص ۵۱ ت الفیلالی ، البیدق : أخبار المهدی ص ۱۱٦ ، ابن خلدون : تاریخ ابن خلدون ج Γ ص Γ ۰

⁽٢) ابن ابى زرع: الانيس جـ ٢ ص ١٥١ ت الفيلالى ، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون جـ ٦ ص ٢٣٦ .

⁽٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون به ٦ ص ٢٣٦٠.

⁽٤) البينق : أخبار المهدى ص ١١٧ -

⁽٥) أبو عبد الله محمد بن محمد : الحلل السندسية في الأخبسار التونسية ص ١١٧ ط ١ تونس سنة ١٢٨٧ ه ، ابن سعيد : نزهة الانظار ج ١ ص ١٩٧ .

⁽٣) ابن سنعيد : نزهة الانظار جد ١ صن ١٩٦٠ .

⁽٧) ابن التطان : نظم الجمان ص ١٧١ حاشية .

⁽٨) نفس المرجع السابق ص ١٧١ حاشية ،

⁽٩) نفس الرجع السابق ص ١٧٢ حاشية .

مؤهالت الولاة:

كان الولاة يتمتعون بوضع اجتاعى معين من حيث انتسابهم إلى الأسرة الحاكمة أوالقبائل المؤسسة للدولة، وبجانب ذلك فقد توفرت فيهم عدة صفات مكتنهم من مزاولة أعمالهم، وتحملهم لمسئولية الحكم فى ولاياتهم، وكانت الصفة الأولى لهم فى دولة المرابطين الصفة العسكرية حيث لاحظنا أن كثيراً من هؤلاء الولاة أمثال سيرى بن أبى بكر وداود بن عائشة والأمير مزدلى وغيرهم من القادة العسكريين اللين قاموا بنشاط ملحوظ فى المعارك، وفى نفس الوقت تولوا السلطة فى أقاليم الدولة، وهذا يرجع إلى طبيعة الظروف التى واجهتها الدولة منذ تأسيسها فى صحراء المرابطين، وقيام مؤسسها بنشر أفكارهم ودعوتهم فى أقطار المغرب، ثم عملية الحهاد المستمرة فى إقليم الأندلس والذى أصبح أحد أقاليم الدولة بعد نصر الزلاقة، ومن هنا كان ولاة الأندلس أيضا من العسكريين أمثال أبى بكر بن ابراهيم وعبد الله بن فاطمة وسير بن الى بكر وغير هؤلاء(١) ولهذا ترك هؤلاء القادة الشئون المدنية بالأندلس للأندلسيين واحتفظوا لأنفسهم وهذا ترك والدفاع (٢).

و بجانب هذه الصفة العسكرية فقد حرص كثير من الولاة على النرود مختلف الثقافات العربية حتى يتمكنوا من حمل أعباء المسئولية « فكانوا على شيء كثير من العلم كالمنصور بن الحاج الذي جمع بين الأدب والفقه وتلتى عن علماء أجلاء كأبي على الصدق وأبي بحر الأسدى ووصفه ابن الآبار بأنه فخر صنهاجة ، وكأبي بكر ابن تيفلويت الذي كان أديباً يجمع مجلسه كثيراً من الأدباء والشعراء وعمر بن إمام الصنهاجي الفقيه، (٣).

فاذا ما انتقلنا إلى الدولة الموحدية وجدنا الاهتمام الشديد من الحليفة عبد المؤمن بن على باعداد الولاة ، وقد تمثل ذلك الاهتمام في إنشائه مدرسة

⁽۱) ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ص ۲۱۱ .

⁽٢) دُوْ حَسَّينُ مؤنس : الْتَغَرِ الْأَعلَى الْأَندلَسَى ص ٩٧ ديسـمدر مسيئة ١٩٤٩ .

⁽٣) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢١٣ .

لإعداد هولاء الولاة وحمع فيها زهاء ثلاثة آلاف طالب منأبناء المصامدة والقبائل الأخرى ، وحدَّد لهم منهجاً دراسياً يتقنه كل طالب، وكان المنهج نظرياً وعملياً ، أما النظرى فهو حفظ القرآن الكرىم وحفظ الموطأ ودراسة رسائل المهدى وحفظها عن ظهر قلب ودراسة عدة كتب في إدارة الولايات(١) هذا عن المنهج النظرى ، أما الدراسة العملية فكانت تتعلق بالفنون الحربية من طعن ورمى بالحراب والسهام والمبارزة وركوب الخيل والركض وفن القتال ، ثم السباحة والمعارك البحرية وذلك في محمرة خاصة أنشأها لذلك الغرض على مقربة من قصره، وأعد" فها مجموعة من السفن الكبيرة والصغيرة من كل لون ، ليتمرَّن الطلاب فها على القتال في البحر والتجديف وقيادة السفن والوثب إلى سفن العدو ومزاولة حميع التمارين البدنية التي تقتضمها الخدمة البحرية (٢) وقد بلغ من اهتمام الخليفة عبد المؤمن بهوالاء الطلاب أن نفقتهم من حيث المأكل والمشرب وما يلزمهم ، وكذلك ما يحتاجون إليه من خيل ومعدات وغير ذلك كانتمن مال الخليفة (٣) ومجانب ذلك فقد حرص الخليفة على متابعة دراسهم والإشراف عليها ، ولذا كان مجمعهم يوم الحمعة بعد الصلاة في قصره ويمتحنهم فيا درسوه ويوجه إليهم الأسئلة بنفسه(١) وذلك تشجيعاً لهم على الاجتهاد والاستفادة من هذه الدراسة ، حتى إذا أتموا تدريبهم استخدمهم الحليفة في وظائف الدولة المختلفة وجعل منهم عمالًا على الأقاليم ، وهكذا حمع الولاة فى الدولة الموحدية بين الثقافة الإسلامية والتدريب العسكرى

طريقة تعيين الولاة:

كان تعيين الولاة يجرى وفق مراسم معينة ، وقبل أن يقع الاختيار على وال من الولاة ، كان الخليفة يقوم باستشارة من حوله فى ذلك الاختيار وقد

⁽۱) أشباخ : تاريخ الاندلس ج٢ ص ٥١ ، الميلى : تاريخ الجزائر ج٢ ص ٢٢٤ .

⁽٢) اشباخ : تاريخ الاندلس ج ٢ من ٥١ ، الميلى : تاريخ الجزائر ج ٢ ص ٢٢٤ .

⁽٣) الميلى : تاريخ الجزائر في التديم جـ ٢ ص ٢٢٤ .

⁽٤) أشباخ : تاريخ الانطس ج ٢ ص ٥١ .

تجلَّى ذلك حن استشار الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أخاه في اختيار وال لبجاية سنة ٥٦١ه / ١١٦٥ م ، يقول ابن صاحب الصلاة ﴿ نظر الأمر ـــ أَى الحليفة يوسف بن عبد المؤمن – أولا عشاورة أخيه السيد الأعلى أبي حفص في حديث بجاية وأنظارها إذ كانت دون وال ، وعلى حال إغفال محتاجة للنظر لها بسيد يفتح لهم زهرة الآمال ، فاختاروا لها من الأخوة السيد أبا زكريا يحى بن أمر المؤمنن الخليفة »(١) وكذلك استشار الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن فى اختيار وال لأشبيلية (٢) ، فاذا ماوقع الاختيار على الوالى صحبه من يعاونه فى إدارة الإقليم ، وهذا الإجراء خاص بالدولة الموحدية حيث حرص خلفاء الموحدين على ضم حماعة من أشياخ الموحدين اولاتهم يكونون لهم بمثابة هيئة استشارية ، يقول المراكشي ١ فولي ــ أي عبد المؤمن بن على ــ مدينة أشبيلية وأعمالها ابنه يوسف ، وهو الذي ولى الأمور بعده على ما سيأتى بيانه وترك معه بها من أشياخ الموحدين وذوى الرأى والتحصيل منهم من يرجع إليه في أموره ويعوَّل عليه فيما ينويه، ^(٣) .

وبجانب هذه الهيئة الاستشارية كان هناك الموظفون المساعدون للوالى والمعينون من قبل الحليفة في مراكش ، وقد تجلي ذلك حين وجه الحليفة عبد المؤمن بن على أبناءه لحكم الولايات المختلفة وأصحبهم من يعاونهم من الموظفين فقد ولتي عبد المؤمن ابنه السيد أبا حفص تلمسان وأحوازها واستوزر له أبا محمد عبد الحق ومن الكتاب الفقيه أبا الحسن عبد الملك بن عياش (٤) وولى السيد أبا سعيد سبتة وطنجة واستوزر له أبا محمد عبد الله بن سلبان وأبا عثمان سعيد بن ميمون الصنهاجي واستكتب له أبا بكر بن طفيل القيسى وأبا بكر بن حبيش الباجي(٥)، وولى السيد أبا محمد عبد الله بجاية وأعمالها آ واستوزر له أبا سعيد نخلف بن الحسن (۱).

⁽١) ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن ص ٢٩٣٠

⁽٢) نفس المرجع السابق ص ٢٩٣٠ . (٣) المراكشي : المعجب ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

⁽٤) ابن ابي زرع: الانيس ج ٢ ص ١٥١ ت الغيلالي ، السلاوي: الاستقصا ج ٢ ص ١٢٣٠

⁽٥) نفس المرجعين السابقين ولفس الصفحات .

⁽٦) نفس الرجعين السابقين ونفس الصفحات ،

أما ولاة المرابطين فكانوا يتخلون من أبناء الأقاليم كتَّاباً يستعينون بهم في تصريف شئون ولايتهم كما فعل سير بن أبي بكر وْأْتَخَاذُه عبد الْحَيِدُ بْنَ عبدون كاتباً له(١) وعمد بن الحاج أمير بلنسية واتخاذه ابن أبي الحصال كاتباً له(٢) وأبو بكر بن ابراهيم أمير سبتة وفاس وبلنسية واتخاذه لأبي بكر ابن الصائغ كاتباً له (٣) .

وقبل أن يصل الوالى إلى مقر ولايته كانت تسبقه الرسائل الرسمية من العاصمة تعلن فيها إختيار الوالى وتبيّن لأهلالولاية محاسنه وترغيّهم في طاعته والالتفاف حوله(٤) وهذا ما فعله أمر المسلمين على بن يوسف حين وقع اختياره على الأمر أبي زكريا يحيي بن الأمر أبي بكر ليتولى إقلم سبتة فان أمر كاتبه أبا القاسم بن الحد بكتابة رسالة لأهل سبتة يخبرهم فيها سمَّذًا الاختيار ويطالبهم بالالتفاف حول والبهم الحديد وطاعته ، وقد جاء فيها « وقد رأينا والله بفضله يقرن حميع آرائنا بالتسديد ولا مخلينا في كافة أنحائنا من النظر الحميد أن نولى أبا زكريا يحيى بن أبى بكر محل ابننا الناشيء في حجر نا أعزه الله وسدده فيما قلدناه إياه من مدينتي فاس وسبتة وحميع أعمالها حرسهما الله على الرسم اللَّدى تولاه غيره قبله فأنفذنا ذلك لما توهمناه من مخايل النجابة. قبله ووصٰیناه بما نرجو أنَّ محتذیه ویتمثله وبجری علیه قوله . . فاذا وصل إليكم خطابنا فالترموا له السمع والطاعة والنصح والمشايعة جهد الاستطاعة وعظموا محسب مكانه منا قدره وامتثلوا في كل عمل من أعمال الحق نهيه وأمره ، (٥) .

وكذلك فعلِ الخليفة عبد الموَّمن بن على حين قام بتولية أبنائه أقاليم الدولة إذ أمر كاتبه أبا جعفر بن عطية بكتابه رسالة مطولة إلى الطلبة وَالْأَشياخِ والأعيان والكافة بسبتة يخبرهم فيها بهذا الإجراء ودواعيه، ورغبة الموحدين في

⁽۱) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢١٣ .

⁽٢) نفس المرجع السابق ص ٢١٣٠ .

⁽٣) نفس الرجع السابق من ٢١٣ . (٤) د، حسن أحمد محمود : تيا مدولة الرابطين من ٣٥٧ ،،

⁽٥) المتح بن خاتان : تلائد المتيان من ١١٦ ، ١١٧ ط ١ سنة

هذا الإجراء ومما جاء فيها خاصاً بسبته و ثم تذاكر الطلبة العاملون على سبتة وأعمالها – وفقهم الله – مع إخوانهم فى معنى البحر ومجازه وإتساع النظر فى راسيه وأحوازه ، وكونه رابطاً بين العدوتين . . . وأنه إذا أبتى معه النظر فى أمر محمارة وسائر القبائل إلى سبتة وطنجة والحزيرتين وما لقه وأعمال جميعها ممتاج إلى من يدور عليه ذلك المحيط ويجتمع إليه هذا النظر المؤيد البسيط . . . أنه إن كان هنالك من الأخوة المذكورين من يساعد ويساعد ويعاضد فى أنه إن كان هنالك من الأخوة المذكورين من يساعد ويساعد ويعاضد فى غيرهم فى نهاية رسالته باختياره لأحد أبنائه ومعه جماعة من الموحدين المشاورة والمعاونة (٢).

سلطة الولاة:

تمتع ولاة المغرب الأقصى خلال حكم المرابطين بسلطات واسعة إذ كان من حقهم التصرف في عزل وتعيين من دونهم من الولاة المحليين والقيام بتحركات عسكرية داخل مناطق نفوذهم (٣) وكان هذا راجعاً إلى طبيعة الدولة نفسها إذ أن المرابطين كما يقول د . حسن أحمد محمود « درجوا على نوع من الحكم الإقطاعي ، يولون أميراً من الأمراء على إقليم بعينه ويطلقون يده فيه يتصرف كيف محلو له على ألا ينازع صاحب السيادة حقه في الملك »(١) ومهذا المعنى يكون نوع الإمارة ، إمارة استكفاء وقد عرفها الماوردي بقوله : «إمارة الاستكفاء التي تنعقد عن اختياره على عمل محدود ونظر معهود، والتقليد فها أن يفوض إليه الحليفة إمارة بلد أو إقليم أو ولاية على حميع أهله ونظراً في المعهود من سائر أعماله فيصبر عام النظر فيا كان محدوداً من عمل ومعهوداً من نظر » (٥) وعلى هذا يكون من اختصاصات الوالى تدبير أمر ومعهوداً من نظر » (٥) وعلى هذا يكون من اختصاصات الوالى تدبير أمر الحيش وتقليد القضاة والحكام وجباية الحراج وحماية الساحة والدفاع عها

⁽۱) مجموع رسائل موحدية من ٦٦ الى ٦٦ ت ليفي بروانسال .

⁽٢) نفس المرجع السابق من ٦٦ الى ٦٦٠

⁽٣) حركات : المغرب عبر التاريخ من ٢١٢ .

⁽٤) دء حسن أحمد محمود : تيام دولة المرابطين مس ٢٨٧ .

⁽٥) الماوردي : الأمكام السلطانية من ٣٠ .

وإقامة الحدود والمحافظة على شعائر الدين وغير ذلك (١) .

غير أن أمراء المسلمين من المرابطين لم يتركوا الولاة دون رقابة وإشراف مُهم وذلك حتى لا يستبدُّ أحد الولاة بولايته وينفصل بها عن الدولة ، ومن ` هنا كان أمير المسلمين يرسم لولاته السياسة التي يتبعونها في حكم ولاياتهم ا كما فعل أمير المسلمين على بن يوسف حين وجه كتاباً إلى واليه أبي محمد عبد الله بن فاطمة ـ الذي تولى عدة أقالَم في الدولة المرابطية حيث تولى ولاية بلنسية وشرق الاندلس سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م، ثم ولاية غرناطة في سنة ٥٠٠٣م / ١١٠٩م ثم بعد ذلك والياً على ولاية فاس سنة ٤٠٥٤ / ١١١٠م إلى سنة ٥٠٩ه / ١١١٥م وعاد بعد ذلك إلى الأندلس واليّاً على أشبيلية عِكُمُهَا حَتَى تُوفَى فَي سَنَة ٥١١ هـ / ١١١٧م(٢) وكان الكتاب يتضمن السياسة التي مجب إتباعها في ولايته وتتلخص فما يأتى :

- (١) اتخَاذ الحق منهاجاً وقاعدة في محاسبة القوى والضعيف من رعاياه .
- (٢) ألا مجعل حجاباً بينه وبين الرعية وبذلك يسهل عليه معرفة المظلومين . مم
- (٣) أن يستخدم عمالا عادلين ومن ظلم منهم أو استولى على مال بدون وجه حتى فعليه أن يعزله ويعاقبه (٣) .

وعجانب هذه السياسة المرسومة للولاة كان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يتفقُّد الولايات المختلفة ليلم " بأحوالها والاطلاع على تصرُّ فات عماله (١٠) وقد فعل ذلك حين خرج في سنة \$27ه / ١٠٧١م ليطوف على حميع أعمال المغرب وليتفقّد أحوال الرعية وينظر في سير ولاتهم وعمالهم فيهم (٥) وخرج أيضاً في سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م حيث تفقّد أحوال الرعية ولينظر في أمور

⁽١) محمد المرير : الأبحاث السامية جـ ٢ ص ٧٤ ، ٧٥ .

⁽۲) ابن القطان : نظم الجمان ص ۸ حاشية ت ، د، محمود على مسكى ،

⁽٣) المتسح بن خاتان : قلائد العتيان ص ١١٧ ﴿ مثبتة في تسم الملاحق) ،

Meakins: The Moorish, Empire P: 60 (1)

⁽٥) ابن أبي زرع : الأنيس جـ ٢ ص ٤٤ ت الفيلالي .

المسلمين والسؤال عن سير عماله فى البلاد(١) وبذلك كان الولاة تحت المراقبة المستمرة من جانب السلطة الحاكمة.

وقد اتخذ الموحدون نفس السياسة وهي الإشراف على أعمال ولاتهم وذلك باستدعائهم إلى العاصمة لمحاسبهم على أعماهم ، وقد فعل ذلك الخليفة يوسف بن عبد المؤمن حين استدعى ولاة الأندلس في عام ٢٥ه / ١١٦٨ وذلك للإطلاع على أعماهم ، يقول ابن صاحب الصلاة « وفي هذه السنة أيضاً — أي سنة ٢٥ه — استدعى سيدنا أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ورضى الله عنه أخويه السيدين أبا ابراهيم اسماعيل الوالى بأشبيلية وأبا اسمى ابراهيم الوالى بقرطبة واستدعى معهما الشيخ الحافظ أبا عبد الله بن الشيخ المرحوم أبى ابراهيم الوالى بأغرناطة مع حفاظهم وعمال البلاد ليصلوا إلى المخضرة مراكش حرسها الله فأسرعوا إلى استدعائه العالى ٤٦٠ وكذلك فعل الناصر الموحدى في سنة ٤٠٠ه / ١٢٠٧م حين استدعى العال والكتاب لحاسبهم ، يقول ابن عذارى « ونظر — أي الناصر بعد استقراره في مراكش أثر رجوعة من إفريقية سنة ٤٠٠ه — في وصول العال إلى الحضرة بأعمالهم وكتابهم المقيدين لأشغالهم فبادر من عين الوصول لما أمر به ووصلوا مستعدين على ما حد به فشرع في تصفح بعضها (٣) » .

وفى بعض الأحيان كان الوالى ينتقل من ولايته متوجهاً للعاصمة ليعرض على الخليفة بعض المشاكل التى تواجهه وذلك ما فعله أبو على الحسين بن الحليفة عبد المؤمن حين توجه من ولايته قرطبة فى عام ٥٧٥ه / ١١٧٩م قاصداً العاصمة مراكش واجتمع بالحليفة وعرض عليه غدر صاحب طليطلة للعهد ونقضه للصلح مما دفع الحليفة للاستعداد للقيام بحملة عسكرية بالأندلس(4)

وكان الخلفاء يستفسرون عن ولاتهم عن طريق الوفود القادمة إلى العاصمة وذلك ما كان يفعله المنصور الموحدي مع الوفود القادمة عليه، يقول المراكشي

⁽١) نفس المرجع السابق ص ٦٦ .

⁽٢) ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالامامة ص ٣٩٤، ٣٩٥.

⁽٣) ابن عذاری : البیان المغرب ج } ص ٢١٧ ، ٢١٨ تطوان .

⁽٤) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٣١ تطوان .

وكان - أى المنصور الموحدى - إذا وفد عليه أهل بلد فأول ما يسألهم عن عملهم وقضاتهم وولاتهم فاذا أثنوا خيراً قال : اعلموا أنكم مسئولون عن هذه الشهادة يوم القيامة فلا يقولن امرؤ منكم إلاحقاً ، وربما تلافى بعض المحالس و ياأيها اللين آمنوا كونوا قدّوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربن (1).

وفى نفس الوقت كان خلفاء الموحدين يتفقدون أحوال الأقاليم بأنفسهم والإطلاع على سبر عمالهم وتصرفاتهم ، فحن توجه المنصور الموحدى إلى فاس ترامت إليه الأنباء عن خيانة مشرفها وعمالها المختلفين واختلاساتهم فأمر بالقبض عليهم جميعاً ومصادرة دورهم وأموالهم لحساب المخزن(٢) ونفس العمل قام به الحليفة لمذيه و حين استقر بأشبيلية في سنة ٩٥هم / ١١٩٦م يقول ابن عدارى و وفي مدة ثلاث وتسعين وخمسائة استقر المنصور بحضرة أشبيلية لتفقد أشغاله وتدكمه على خدامه وعماله و(٢).

وكما رسم أمراء المسلمين في الدولة المرابطية السياسة التي يجب على الولاة اتخاذها ، كذلك فعل الخليفة عبد المؤمن بن على في رسالة مطولة وجهها إلى ولاة الأقاليم بالأندلس لتكون دستوراً لهم ولغيرهم من ولاة أقاليم الدولة صادرة من تينملل أثناء زيارته لقبر المهدى في سنة ٤٣٥ه ه / ١١٤٨م (٤) وقد تضمنت الأسس الآتية :

- ١ ــ وجوب إلترام الدقة في تطبيق الأحكام الشرعية .
- ٢ وجوب الكفّ عن اقتضاء أية مغارم أو مكوس لا تبيحها الشريعة
 ولا تتفق مع قواعد العدل .
- ٣ ــ لا يجوز الحكم فى مواد الحدود بالإعدام أو تنفيذه قبل الرجوع إلى
 الخليفة ليصدر هو قراره فى هذا الشأن .
 - وأنه بجب تحريم الحمر ومطاردتها في سائر أنحاء الدولة .

⁽۱) الراكشي : المعجب ص ۲۸۵ ، ۲۸۲ .

⁽٢) عنان : عصر المرابطين والموحدين القسم الثاني ص ١١٥ .

⁽٣) ابن عذارى : البيان المفرب ج ٤ ص ١٧٢ تطوان .

⁽٤) ابن القطان : نظم الجمان من ص ١٥٠ الى ص ١٦٧ .

وأنه يجب حماية أموال الدولة وصونها وعدم التصرف في شيء منها(١)

وحتى يمكن تنفيذ سياسة الحليفة ، واتباع أوامره ، رسم لهم الحليفة طريقة مباشرة الحكم في رسالته بألا بجعلوا وسطاء بينهم وبين الرعية – والامتناع عن الإكثار من الحجاب الذين يمنعون الرعية من عرض مشاكلهم على ولاتهم يصور ذلك ما جاء على لسان الحليفة في رسالته إليهم و ولا شك – والله أعلم في أن أسباب تلك المنكرات ، ودواعي تغيير تلك الأحوال المتغيرات قوم يتوسطون بينكم وبين الناس ويقولون مالا يفعلون ذهاباً إلى التدليس عليكم والإلباس ويجعلون التغير بالظلم والعدوان بدلا من العدل والقول الحميل والإيناس وذلك لغيب المباشرة ومباينتها ، ويعدكم عن مشاهدة الأمور ومعاينتها والتحجب عن مطالعة الأمور داعية كبرى لفسادها واختلالها . . فلا تكلوا النظر فيها إلى أحد سواكم ولا تبعدوا بغلظ الحجاب عما قصدكم من الحير ونواكم وباشروا الأحكام هنالك مباشرة المتعهد المتفقد » (٢) .

و هُكذا كانت السياسة التي ترسمها الإدارة العليا لولاتها وطريقة تطبيق هذه السياسة مع إشرافهم على أعمال الولاة وتصرفاتهم مما حد من سلطانهم وجعلهم دائماً على صلة مستمرة بالإدارة العليا يستمدون منها التوجيه والنصح في تصرفاتهم .

سياسة نقل الولاة ومعاقبتهم:

جرى حكام المغرب الأقصى منذ قيام دولة المرابطين على إجراء سلسلة من التنقلات والتعيينات بين ولاة أقاليم الدولة بحيث لا يستمر الوالى حاكماً لإقليم فترة طويلة من الزمن وكان الدافع وراء ذلك عدة عوامل :

العامل الأول :

إما خوفاً من استبداد أحد العال باقليم من الأقاليم والانفصال به عن الدولة على الدولة الم العلمة حيث الدولة إلى الدولة الم العلمة حيث الدولة الم العلمة الدولة الم العلمة الدولة الم العلمة الدولة الم العلمة العلمة الدولة الم العلمة العل

⁽۱) نفس المرجع السابق من ص ١٥٠ الى ص ١٦٧ ، عنان : عصر المرابطين القسم الثانى ص ٦١٩ (مثبت بعض فقراتها بقسم الملاحق) • (۲) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٥٨ •

كان أمير المسلمين محرص على إجراء تنقلات مستمرة بين ولاة الأقاليم حتى لا يستأثر أمير بالسلطة أو يفكر فى الحروج على ولى الأمر (١) ولذلك وجدنا أحد الولاة وهو محمد بن الحاج يتنقل فى أقل من سنتين بين قرطبة وولاية المغرب عموماً وإقليم بلنسية، كما تنقل أبو بكر بن ابراهيم بين سرقسطة وغرناطة وعبد الله بن فاطمة بين بلنسية وأشبيلية (٢) وكذلك وجدنا الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين يعزله أخوه عن بلاد المغرب فى سنة ٥٠١ه م / ١١٠٧م (٣) ثم يوليه غرناطة وبعد ذلك عزله وولاه تلمسان (٤) وهكذا كان عامل الحوف على أمن الدولة دافعاً لأمراء المسلمين فى إجراء التنقلات بين ولاتهم.

وكان العامل الثانى وراء هذه التنقلات هو تغيير القيادة العليا للبلاد وذلك بوفاة خليفة وتولى خليفة آخر ، وهذا ما حدث فى الدولة الموحدية ، فما إن تولى الحليفة يوسف بن عبد المومن مقاليد الأمور حتى أجرى سلسلة من التنقلات إذ عقد الحليفة على مجاية لأخيه السيد أبى زكرياء وعلى أشبيلية للشيخ أبى عبد الله بن ابراهيم ثم بدّله بأخيه السيد أبى ابراهيم وعقد على قرطبة لأخيه السيد أبى اسحق (٥) كذلك عقد فى سنة ٢٦٥ه / ١١١٦م لأخيه السيد أبى الحسن على سبتة وما حولها (١) ، وحين تولتى الناصر الموحدى فى سنة السيد أبى حفص على مجاية وجهاتها وسائر أنظارها وأقطارها ، وقد م أخاه السيد أبا محمد بن المخليفة وأخرى عنها السيد أبا زيد بن الحليفة (٧) وربما كان هذا الإجراء المقصود منه هو إحلال عناصر جديدة تتميز بالولاء والإخلاص للخليفة الحديد مكان عناصر خدمت فى ظل خليفة سابق .

أما العامل الثالث : فهو تعيين بعض الولاة ممن يساعدون على إنجاح هدف

⁽۱) د. حسن أحبد محبود : قيام دولة المرابطين ص ٣٨٤ .

⁽٢) نفس المرجع السابق ص ٢١١ .

⁽٣) ابن أبي زرع: الأنيس ج ٢ ص ٨٢ ت الغيلالي .

⁽٤) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٥٥ ت د. احسان عباس.

⁽٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون جـ ٦ ص ٢٣٩ .

 ⁽٦) نفس المرجع السابق ج ٦ ص ٢٣٩ .
 ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ١٩٤ تطوان .

معن كما فعل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن حين عزم على القيام بحمله عسكرية كبرى في الأندلس تلك الحملة التي تمت في سنة ١١٨٤ / ١١٨٤م وانتهت باصابة الخليفة إصابة قاتلة عند أسوار شنترين ، فقد عمد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن إلى إجراء حركة تعيينات في مدن الأندلس الهامة فولى أبناء ه الأربعة بها يقول ابن عذارى ﴿ وَفَي يُومِ الْحُمَّعَةِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينِ من شعبان المكرم - سنة ٧٩هـ - ولتى أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف بنيه الأربعة قواعد بلاد الأندلس ، صرف أبا أسمق إلى أشبيلية والياً علما كما كان أولا ، وولى أبا يحيى قرطبة برغبة أبى الوليد ابن رشد وولى أبا زيد الحرضاني غرناطة وولى أبا عبدالله مدينة مرسية، (١) وكان الهدف من وراء ذلك الإعداد للمعركة القادمة وذلك بتوفر المؤن والعتاد للجيوش القادمة من المغرب الأقصى والتي ستعبر للأندلس مع توفير الأمن والحاية لحنود الحليفة .

وبجانب سياسة النقل التي اتخذها ولاة الأمر بالمغرب الأقصى ، فانهم لحأوا إلى سياسة العزل وتوقيع العقوبة على من أخطأ من ولاتهم .

وقد تنوَّعت الأسباب الداعية إلى ذلك فكان بعضها راجعاً إلى عصيان بعض الولاة وتهديدهم لسلامة الدولة ، وهذا ما حدث فى الدولة المرابطية حين ولى أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين ابنه سير ولياً للعهد فلم يرض بذلك أبو بكر بن على بن يوسف وكان أكبر من أخيه وصرح بذلك وأعلن ضيقه وتذمره (٢) ولذلك قرر أمر السلمين على بن يوسف عزله وسحِنه صيانة لأمن الدولة يقول ابن القطان ﴿ وَفَهَا ــ أَى سَنَة ٥٢٢هـــ عزلُ ا على ولده أبا بكر عن أشبيلية وغرّبه مكبولا إلى الصحراء لأمر نسبه إليه ، لأنه لم يرض بيعة أخيه وولتيمكانه بأشبيلية أجداى(٣)، وكذلك فعل المنصور الموحدى ببعض قرابته والذين كانوا بحتلون منصب الإمارة على بعض أقاليم الدولة وذلك لعدم اقتناعهم بتولَّى المنصور وحسدهم له ، يقول ابن عدارى ﴿ كَانَ ابتداء سطوةُ المنصورُ في أوبته ــ أثناء رجوعه من غزو قنصة سنة ١٨٥هـ ١١٨٨م وأنناء نزوله بتلمسان ــ قبل وصوله إلى حضرته ببعض قرابته

⁽۱) ابن عذاری : البیان المفرب ج ٤ من ٥٥ تطوان ٠٠

 ⁽٢) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٠٥ حاشيه .
 (٣) نفس المرجع السابق ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

الحاسدين لبيعته ه(١)وبدأ بمعاقبة السيد أبي اسحاق والى تلمسان بأن طرده من مجلسه وأخذت العامة تسبه وتهينه ولم يلبث إلا يسيراً حتى مات (٢)وكذلك عاقب المنصور عمه أبا الربيع والى تادلا وذلك حين خلع طاعة المنصور وأظهر ما يكننه من حسد وبغض لإبن أخيه الحليفة المنصور ، فأرسل المنصور إليه من يقبض عليه وجئ به مقيداً ونفذ فيه الحليفة حكم الاعدام (٣).

وكان من أسباب العزل تصرف الوالى تصرفات سيئة وظلمه لأهل ولايته مما يدفعهم للعمل على الإتصال بالسلطة الحاكمة ليعرضوا شكواهم ومطالبهم كما فعل أهل مرسية حين ضجوا بالشكوى من ظلم والبهم الرشيد وبلغت هذه الأنباء المنصور الموحدي فاستدعاه معزولا وسحنه سنة ١٨٥ه سوبلغت هذه الأنباء المنصور الموحدي مدينة فاس لتفقد أحوالها في سنة ١١٨٨ وكذلك حين نزل الناصر الموحدي مدينة فاس لتفقد أحوالها في سنة ١٩٦٤ من عامل فاس ووفود أخرى تشتكي من عامل مكناسة يقول ابن عذاري و وفي سنة أربع وسيائة ، فني صدر المحرم منها نزل أي الناصر بظاهر مدينة فاس وفيها تجدد النظر في أشغال العال ووقع البحث عما إلى نظرهم من الأعمال، واز دحمت على باب الحليفة قبائل من أقطار المدينة وأخلاط من الناس مشتكين على باب الحليفة قبائل من أقطار المدينة وأخلاط من الناس مشتكين بعامل فاس وكان أبو الحسن بن أبي بكر ، وبعامل مكناسة أبي الربيع بن أبي عبوساً في بلد عمله ع

وكان الإهمال سبباً من أسباب العزل ففد عزل أحد أبناء عبد المرَّمن عن ولاية مجاية لاهماله يقول المقرى « وذكر السرخسى أيضاً فى رحلة السيد أبا الحسن على بن عمر بن أمير الموَّمنين عبد الموَّمن وقال فى حقه : إنه كان من أهلى الأدب والطرب ، ولى مجاية مدة ثم عزل عنها لإهماله وإغفاله والهماكه فى

⁽۱) ابن عذاری : البيان المغرب ج ٤ ص ١٢٢ تطوان .

⁽٢) نفس المرجع السابق ج } ص ١٢٣ تطوان .

⁽٣) نفس الرجع السابق ج ٤ ص ١٢٥ ، ص ١٢٦ تطوان .

⁽٤) نفس المرجع السابق ج ٤ ص ١٢٣ الى ص ١٢٦ تطوان .

⁽٥) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٤ مس ٢١٥ ، ٢١٦ تطويل .

ملاذه »(١) وقد يلمس الحليفة آثار هذا الإهمال بنفسه مما يؤدى إلى عزل الوالى ومعاقبته وهذا ما فعله الناصر الموحدى حين توجهه إلى الأندلس في سنة ٧٠٩ه ١٢١٠ على رأس جيشه إذ لمس قلة الطعام وارتفاع الأسعار يقول بن عذارى ووسبب سطوته — أى الناصر — في هذه السنة —٧٠٦ هـ أن لتى الناس في هذه الحركة من تنوع المسغبة وإنتشار المجاعة وتعذر الأوطار وعدم الأقوات ما لم يعهده الناس ولا علموه في أسفارهم القاضيات (٢) ومن هنا اشتد غضب الناصر لإهمال عامل فاس فأمر بالقبض عليه وعلى كل من يأتمر بأمره (٣) وكذلك أوقع العقاب بعامل مدينة سبتة لإهماله في توفير المؤن والطعام (٤) وكان عقاب المهملين الإعدام أمام الحموع من الناس حتى يكونوا عبرة لغيرهم من الناس الولاة « فأخرج المذكورون يوم جمعه بعد الصلاة محضور الآلاف من الناس فضربت أعناقهما صبراً عبرة للمعتبرين وذكرى للغافلين» (٥) .

ور بماكان العزل بسبب عجز الوالى عن تحمّل أعباء حكم ولايته وتقديمه استقالته للخلافة وقبولها ذلك ، يقول ابن عذارى و وفي سنة خمس وسهائة وصلت كتب السيد أبى الحسن والى تلمسان بثقل مرضه وتوالى إعتلاله وخوف ضياع ما لديه من الأشغال واضطراب قبائل زناته وإختلافهم وقطعهم السبل .. فأعفى عن ولاية البلد وأذن له في الوصول وعومل بالبر الموصول» (١) وهكذا تنوعت أسباب عزل الولاة ، فبعضها يرجع إلى عصيان الولاة وشهديدهم لأمن الدولة ، أو ظلم الوالى لرعيته وقيامه ببعض التصرفات السيئة ، أو إهماله في إدارة ولايته ، وأخراً عجزه عن إدارة ولايته .

٢ ــ الدواوين

أنشأ ولاة الأمر بالمغرب الأقصى الدواوين منذ أن تأسست دولة المرابطين وذلك لمعاونتهم في تصريف شئون الدولة ، حيث أن الديوان كما يقول الماوردي

⁽۱) المقرى: نفح الطيب ج ٤ ص ١٠٦٠.

⁽٢) ابن عذارى أَ البيان المغرب ج ٤ ص ٢٣٣ تطوان .

⁽٣) نفس المرجع السابق ج ٤ ص ٢٣٤ تطوان .

⁽٤) نفسَ الرَّجْعَ السابقَ جَ ٤ صَ ٢٣٤ تطوانَ . (٥) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٤ ص ٢٤٠ تطوان .

⁽١) نفس الرَجِع السَّابِقَ جَ } من ٢١٩ ، ٢٢٠ تطوان . (٢) نفس الرَجِع السَّابِقَ جَ } من ٢١٩ . (م ١٠ سـ الحضارة)

وموضوع لحفظ ما يتعلق بالسلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من من الحيوش والعمال»(١) ومن هنا كان للديوان أهمية كبرى وخاصة ما يتعلق بأموال الدولة وحقوقها ، وحصر جنودها ومرتباتهم ، ولذا جعل ابن خلدون الديوان ووجوده من الأمور اللازمة للملك يقول في مقدمته ﴿ اعلم أن هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك وهي القيام على أعمال الحبايات وحفظ حقوق الدولة فى الدخل والخرج وإحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في أباناتها والرجوع في ذلك إلى القوانين التي يرتبها قومة تلك الأعمال وقهارمة الدولة وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في اللخل والخرج مبني على جزء كبير من الحساب لا يقوم به إلا المهرة من أهل تلك الأعمال »(٢) ، وكلمة ديوان فارسية الأصل كان معناها في بادئ الأمر السجل الذي يكتب فيه ما نختص بشئون الإدارة ، ثم صار يطلق على المكان الذي يعمل فيه الكتاب(٣) أو أن الديوان بالفارسية اسم لشياطين فسمتى الكتتاب باسمهم لحذقهم بالأمور وقوتهم على الحلى والحنى ومعهم ﻠﺎ ﺷﺬ ﻭﺗﻔﺮﻕ^(١) .

وحين قامت الدولة المرابطية ، اتخذ يوسف بن تاشفين الدواوين سنة ١٠٧١ه / ١٠٧١م يقول ابن عدارى «فدوّن يوسف - أى يوسف بن تاشفىن سنة ٤٦٤هــــ الدواوين ورتَّب الأجناد وطاعته البلاد »(°) وكان من هذَّه الدواوين ديوان الرسائل أو الإنشاء ويرأسه موظف كبير يعرف بالكاتب(٢) وقد سبق أن أشرت في وظيفة الكتابة إلى حرص أمراء المسلمين من المرابطين على حشد أكبر عدد من الكتاب الحيدين في بلاطهم وخاصة بعد أن أصبحت الأندلس إقلما تابعاً للدولة المرابطية وذلك حتى يؤدوا دورهم فى كتابة الرسائل

⁽۱) الماوردي: الأحكام السلطانية ص ۱۹۹ .

⁽٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ٢٤٣٠

⁽٣) نفس المرجع السابق ص ٢٤٣ ، الماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٩٩ _ د. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسسالمية ص ٣٤ ، د. صبحى الصالح : النظم الأسلامية نشاتها وتطورها ص ٣١٢ . (٤) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ١٩٩ .

⁽٥) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٢٣ من د. احسان عاسى.

⁽٦) د. حسن ابراهيم: تاريخ الاسلام السياسي ج ٤ ص ٣٣١٠

والعهود والتوجيهات التى يأمر بها ولاة الأمر فى الدولة المرابطية والتى تجعل أقاليم الدولة على صلة مستمرة بالسياسة العليا للملاد ، وبجانب هذا الديوان كانت هناك الدواوين الحاصة بمالية الدولة ، وكانت موزّعة بين أربعة دواوين يقول الحرارى « وكانت إدارة مالية الدولة موزّعة بين أربعة دواوين مماثلة لدواوين العصر الحاضر :

١ ــ ديوان الغنائم ونفقات الجند . ٢ ــ ديوان الضرائب .

٣ - ديوان الحباية . ٤ - ديوان مراقبة الدخل والحرج ۽ (١).

فاذا ما انتقلنا إلى الدولة الموحدية ، وجدنا اهمام خلفاء الموحدين بانشاء الدواوين المختلفة والتي تخدم احتياجات البلاد ، وفي مقدمة هذه الدواوين ديوان الإنشاء والذي يختص بالمراسيم السلطانية والرسائل الموجهة إلى الولاة والقضاة (٢) وقد حشد فيه خلفاء الموحدين نخبة ممتازة من أدباء الأندلس والمغرب الدين قاموا بكتابة رسائل الخلفاء ، وقد ظهر ذلك جلياً في تلك المحموعة التي جمعها ليني بروفنسال « مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية » تتناول الأمور الهامة في الدولة ، وقد قام بكتابها كتاب الدولة المعينون في ديوان الإنشاء، ومن هنا اكتسب ديوان الإنشاء أهميته إذ أنه الحهة التي تتحدث بلسان الخلفاء . وكان مما يلحق بديوان الكتابة كتب الترقيعات والظهائر وكل ما عهر بالعلامة (٣) .

وبجانب ديوان الإنشاء ، كان هناك ديوان الجيش ، وكان يتفرع إلى ديوانن لكل منها اختصاصه :

أما الديوان الأول فديوان العسكر وهو الذي يختص بالحند النظامى والحرب والعبيد ، ووظيفته إحصاء الحند ، ومعرفة حاجاته المتجددة(٤)

⁽۱) الجرارى : تقدم العرب في العلوم والصناعات ص ١٥٣ ط ١ سنة ٦٣ .

⁽٢) ابراهيم حركات : المغرب عبر الداريخ ص ٣٣٣ .

⁽٣) عنان : عصر المرابطين والموحدين : التسم الثاني ص ٦٢٣ .

⁽٤) ابن صاحب الصلاة : تاريخ الن بالامامة ص ٥٣ حاشية .

ويرأس هذا الديوان رجل من العسكريين حيث يكون ملماً بالشئون العسكرية (١). ويعمل معه كتاب وذلك لمعاونته ومساعدته (٢).

وأما الديوان الثانى فهو ديوان التميير ، وكان التميير عادة جرى عليها الموحدون منذ عهد ابن تومرت وهونظام شبيه بنظام الامتحان ويسمى «التمير» وكل من مير وثبت توحيده عد موحداً وسمل في سجل خاص في العاصمة والنواحي (٣) وكانت عادة التميير تستخدم خاصة قبل القيام بمعركة من المعارك وبجانب اهمام ديوان التميير بتنظيم المشتركين في المعارك المقبلة ، كان يعمل على إيجاد التوافق بين الكتائب وتنسيقها (٤) وكان له كاتب ، وقد أشار إلى اسم كاتب ديوان التميير ابن صاحب الصلاة بقوله وحدثني الكاتب أبو عبد الله ابن عسن كاتب ديوان التميير . . (٥) » وكان لهذا الديوان السجلات التي تكتب فيها أسهاء من يدخلون في الفرق التي ستحارب والتي يقرر لها العطاء وقد أورد أحمد بن القاسم في ترحمته لأبي مدين شعيب أحد المتصوفين بالمغرب والمتوفي سنة ٩٤ه ه انضهامه للجند وتسجيل اسمه يقول أحمد بن القاسم « ثم والمتوفي سنة ٩٤ه ه الضاحلين لأبي مدين — ياهذا أراك تروم أمراً وإن الله تعالى لا يعبد بالحهل ، اذهب إلى الحاضرة لتعلم دينك ، قال : دخلت مدينة عالى لا يعبد بالحهل ، اذهب إلى الحاضرة لتعلم دينك ، قال : دخلت مدينة في ديوانهم فكانوا يأكلون عطائي ولا يعطون إلا القليل » (١).

وهكذا اختص ديوانان بالإشراف على شئون الحند والتعبئة اللازمة لهذا الحيش ، وهذا الاهمام بوجود ديوانين يتمشى مع طبيعة الدولة العسكرية حيث كانت الأعمال العسكرية في المغرب والأندلس تستغرق الحزء الأكبر من اهمام الحلفاء. ومجانب الدواوين السابقة كان هناك ديوان الأعمال المخزنية

⁽١) عنان : عصر المرابطين والموحدين : القسم الثاني ص ٦٣٨ .

⁽٢) عبد العزيز بنعبد الله : تاريخ المفسرب ج ١ ص ١٢٦ الدار. يفسسا ء .

⁽٣) د. حسين مؤندس: عقد بولاية العهد ص ١٥٠٠

⁽٤) ابن صاحب الصلاة : تاريخ الن ص ٢٣٤ حاسية .

⁽٥) نئس المرجع السادق ص ٢٣٦ ٠

⁽٦) احمد بن التاسم : المعزى في اخبار أبي يعزى ص ٦٩ مخطوط.

وهو المختص بالشئون المالية فى الدولة من تحصيل للأموال العامة وإنفاقها وفى رقابة العال والمشرفين ومحاسبتهم (١).

٣ ــ البريد

عرف ولاة الأمر بالمغرب الأقصى نظام البريد كوسيلة سريعة فى توصيل الأوامر والأخبار إلى ولاتهم وموظفهم فى أنحاء الدولة ومن ناحية أخرى تلتى رسائل الولاة . والبريد اصطلاحاً هو أن تجعل خيل مضمرات فى عدة أماكن فاذا وصل صاحب الحبر المسرع إلى مكان مها وقد تعب فرسه ركب غيره فرساً مستريحاً وكذلك يفعل فى المكان حتى يصل بسرعه (٢)وكان للرومان الفضل الأكبر فى معرفة البريد وترتيب نظامه بمعناه الشامل ومن هنا فان كلمة بريد أعجمية فى أصلها وليست عربية (٣) ومسافة البريد تقاس بالأميال أو الفراسخ وكانت مسافة البريد بالمغرب أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال (٤) وكان هناك خط بريدى منتظم بين الاسكندرية وسبتة بالمغرب الأقصى إلا أن هذا الحط توقف قبيل قيام دولة المرابطين فى سنة ١٩٤٨م وذلك لتعدر حماية الأربطة والحصون الواقعة على طول الطريق من غارات البدو (٥)كان يطلق على حامل البريد بالمغرب الرقاص وهو لفظ معروف منذ القدم إلى الآن فى المغرب ويطلق على الشخص الذي يقوم بالبريد (١).

ولم تشر المراجع التي اطلعت عليها إلى وجود ديوان خاص بالبريد في الدولة المرابطية ، وذلك بالرغم من وجود ديوان للإنشاء لكتابة الرسائل وتبادل الرسائل بين العاصمة مراكش وغيرها من أقاليم الدولة وهذا لا يمنع من وجود موظفين ينقلون الرسائل والأوامر إلى جهات الدولة المختلفة، وقد

⁽١) عنان : عصر الرابطين والموحدين النسم الثاني ص ٦٢٣ .

⁽۲) د. نظير حسان سعداوى : نظام البريد في الدولة الاسلمية ص ١٩ سنة ٥٣ مصر ، د. صبحى المسالح : النظم الاسلامية ص ٣٣١ .

⁽۳) نفس المرجع السابق ص ۲۱ · (۶) د نظیر سعداوی : نظام البرید ص ۲۰ ·

⁽٥) لويس أرشيبالد : التوى البحرية والتجارية ص ٣٨٦ ترجمة الحمد عيسم، .

⁽٦) آبن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ١٢٩ حاشية ، ابن القطان: نظم الجمان ص ١٢٢ حاشية .

استخدم المرابطون رجالا من القبائل المختلفة فى وظائف متعددة ومنها البريد (١) ومن أمثلة استخدام المرابطين لرجال البريد حين بعث يوسف بن تاشفين فى سنة ٤٦٦ه /١١٧٣م ، عسكرا إلى المغرب وجعل قائده يطى بن اسهاعيل ولما وصل إلى وادى بهت بعث رقاصاً إلى أمير مكناسة الحير بن خزر الزناتى بأنه قد عفا عنه ، وبعث كتابه إليه بذلك (٢) وكذلك استخدم قائد المرابطين مزدلى الرقاص حين توجه إلى فتح تلمسان فى توصيل عفو يوسف بن تاشفين إلى أميرها إن استسلم بدون قتال (٣) ،

فاذا ما انتقلنا إلى الدولة الموحدية وجدنا اهتمام خلفاء الموحدين بنظام البريد ، فقد نظموا البريد بشكل متقن وسريع وفى الليل والنهار وفى البر والبحر (٤) وكانت وظيفة حمل الرسائل تسند لرجال أقوياء مدرّبين على الركض والعدو وكان فيهم الرقاص العادى ورقاص الشرط وهو ساعى البريد المستعجل بنقله بين المدن على الحيل بمنتهى السرعة ، وكان بجد فى كل محطة حصاناً مسرجاً بمتطيه إلى المحطة التى تلها (٥) وقد أعطانا العمرى وصفاً لطريقة نقل الرسائل فى الدولة الحفصية – وهى إمتداد للدولة الموحدية – تلقى ضوءاً على السلطان ونوابه فأنها إذا كتب الكتاب بجهزم من يقع الاختيار على تجهيزه من نوع النقباء والوصفان وهم عبيد السلطان ويركب ذلك المجهز على بغل من نوع النقباء والوصفان وهم عبيد السلطان ويركب ذلك المجهز على بغل من نوع النقباء والوصفان وهم عبيد السلطان ويركب ذلك المجهز على بغل فاذا عى بغله فى مكان تركه عند الوالى بذلك المكان وأخذ منه بغلا عوضه يعدد الوالى له أو بسخرة من الرعايا لركوبه إلى أن يبلغ جهة قصده ثم يعوده (٢) يعد من المريد السفن فى نقل رسائله وذلك كما فعل الرقاص فى حمله رسائلة من الخليفة عبد المؤمن بن على فى سنة ٥٥ه م ١٦٠٠ إلى ابنه ابنه بنه رسائلة من الخليفة عبد المومن بن على فى سنة ٥٥ه م ١٦٠٠ م إلى ابنه ابنه وقد يستخدم حامل البريد السفن فى نقل رسائله وذلك كما فعل الرقاص فى

⁽۱) د، حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٣٥٨ .

⁽٢) ابن عذارى : البيان المفرب ج ٤ ص٧٧ ت د. آحسان عباس.

⁽٣) نفس المرجع السابق ج ٤ ص ٢٩ ت. د. احسان عباس ٠

⁽٤) ابن ماحب الصلاة : تاريخ الن ص ٦٤ حاشية .

⁽٥) ابن صاحب الصلاة : تاريخ الن ص ١٢٩ حاشية .

⁽٦) المهرى : وصف افريتية والمغرب والأندلس ص ٢٧ ت حسن حسنى عبد الوهاب .

يوسف بن عبد المؤمن بالأندلس يخبره فيها بانتصاراته الحربية وفتحه لمدينة قفصة وركب الرقاص بالحواب المذكور - أى خبر الانتصارات - مركباً من مدينة بجاية سابحاً في البحر في طريق غير يبس ، ويسر الله له - بسعد الأمر العزيز - أن ساعدته الريح بنفس ، وسار أسرع من كوكب إذا خنس وخرج في ألمرية مرساة وحمد سبحه في غدوه وجمساه ووصل أشبيلية وغرناطة في أقرب تاريخ دون تعب في مسراه ، (۱).

وكان للرقاص أهمية خاصة إذ كان يقوم بحمل الأوامر والأخبار من العاصمة إلى ولاة أقاليم الدولة وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بالإعداد لمعركة من المعارك وذلك ما فعله أبو الحسن عم الخليفة المنصور الموحدى وناثبه على مراكش حن أرسل المخاطبات في سنة ٥٨٥ه / ١١٨٩م بالتأكيد على العال في ضرب الآلات وما تحتاج إليه الحيوش من العدد والأقوات(٢) وكذلك الرسائل الصادرة إلى أشبيلية وما حولها فى الاستعداد لاستقبال جيوش المنصور الموحدى في سنة ٥٨٥ه / ١١٨٩م القادمة لنصرة أهل الأندلس على عدوهم (٣) وحتى حن يعمد الحلفاء إلى تشييد بعض المنشآت كانوا يتبادلون الرأى مع سكان الأقاليم عن طريق الرسائل يقول التازى « كما أنهم لا يقومون بتشييد منشآت في الدولة إلا بعد أخذ رأى الأعيان في ذلك وكانت موافقة الشعب على القرارات المتخذة من طرف الدولة تتجلى في شكل رسائل تجهزها الطبقة الواعية في البلاد وتبعث مها إلى السادة»(٤) ومن هنا كان الرقاص أو حامل الىريد له أهمية كبرة في الدولة حيث يعتبر همزة الوصل ببن الحكام وولاتهم وبين الحكام والشعب من جهة أخرى وقد بلغ من اهمّام الشعب بهذه الرسائل نسخهم لهذه الرسائل وحنظهم لها وقد ظهر ذلك حين أرسل الحليفة عبدالمؤمن إلى ابنه بالأندلس رسالة خبره فها بانتصاره وفتحه لقفصة سنة ٥٥٥ه فما إن أذاعه بن الناس حتى « انشر-مت صاور الموحدين ، وتحققوا نصر الله وفتحه

⁽١) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ١٣٠ ٠

⁽٢) أبن عذارى : البيان المفرب ج ٤ ص ١٢٨ تطوان ٠

⁽٣) نفس المرجع السابق ج ٤ ص ١٣٢ تطوان ٠

⁽٤) التازى: محقق كتاب تاريخ المن ص ٥٤٠٠

القريب بأوفى اليقين ، وقرىء على المنابر وتكررت المسار فى الرعايا والعشائر وانتسخ الناس والطلبة والموحدون والعامة نسخاً من الشعر المبشر المدرج المذكور فحفظوه وصانوه وحفظوه ودونوه . . . »(١)

ويبدو أن هوُّلاء الرقاصين قد استغلوا وظيفتهم وأهميتها في الدولة في الحصول على الطعام من السكان بدون وجه حق ، وقد أشار إلى ذلك الحليفة عبد المؤمن في رسالته التي وجهها إلى ولاته بالأندلس في سنة ٤٣هـ / ١٤٨ م والتي يرسم فيها سياسته العامة في الدولة ، ومما جاء خاصاً باستغلال هوُّلاء الرقاصين ۾ وان ممن يسعي في نوع من أنواع الفساد ويستصحب الإضرار بالمسلمين في الاصدار والإيراد هؤلاء الرقاصين الذين يردون بالكتب ويصدرون وبمشون فيما بيننا وبينكم وينفرون فانه ذكر لنا أنهم يأخلون الناس بالنظر فى كلفهم ويلزمونهم فى زادهم من كل موضع وعلفهم وهذا فعل كل فرقة منهم في سيرها ، وسوء رأيهم بذلك في المخازن وغيرها وإن من حملة ما حكى عنهم أنهم يتألفون في الطرق حماعات ومحلون بأفنية الناس حلولا شنيعاً يكلفونهم مؤناتهم تكليف المجرم ويتحكمون عليهم بحكم المغرم ، حتى أنهم لا يرضون في ضيافاتهم إلا بأسمن الحزر وناهيكم بهذا الاجتراء العظيم الضرر ١(٢) ومن هذا النص نستنتج أنهم يسيرون في جماعات ، وأنهم يفرضون أنفسهم على الناس ويستحلون لأنفسهم الحصول على الطعام على حساب الرعية وهذا فيه ظلم وإجحاف بحقوق الناس . ومن هنا رسم الحليفة اولاته العلاج بقوله : وفسارعوا وفقكم الله تعالى ــ إلى حسم هذه العلة من أصلها، وبادروا إلى قطع تلك العادة الذميمة وفصلها ، وتخيروا لرسائلكم إرسالا ، وانتقوا من أهل المقدرة على ذلك والثقة رجالا ، وادفعــوا إليهم زاد ايقوم بهم في المجيء والإنصراف ويقطع شأنهم عن التكليف والإلحاف ، وارجموا لهم أياماً معروفة العدد معلومة الأمد ، لينتهوا بها إلى مواقف رسائلهم ، ويوزعوها على مسافات مراحلهم وحذروهم من تكليف أحد من الناس ولو مثقال ذرة ، وأوعدوا من

⁽١) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامامة ص ١٣٥٠

⁽٢) ابن التطان : نظم الجمان ص ١٦٢ .

تسبب منهم إلى مسلم بمساءة أو مضرة والله تعالى المستعان»(١) ومن النصن؛ مكننا أن نستخلص آراء عبد المؤمن في علاج ظاهرة استغلال حاملي البريد للرعية :

أولا : القضاء على العادات السيئة وذلك باختيار أهل الثقة ممن يشغلون هذه الوظيفة .

ثانياً : تزويدهم بما يلزمهم من الطعام حتى لا يتطفلوا على السكان فى طعامهم .

ثَالِثاً : تعين فَرَة زَمنية محددة فى توصيل الرسائل حتى لا يجد أحد من الرقاصن فرصة فى الإقامة عند أحد الناس.

رابعاً : تحذير وتخويف كل من بحاول مخالفة أوامره .

٤ _ الشرطة

اتخذ ولاة الأمر بالمغرب الأقصى منذ أن تأسست دولة المرابطين الشرطة للمحافظة على أرواح الناس وحماية ممتلكاتهم ، وصيانة حقوقهم ، وقد أطلق على صاحب الشرطة بالمغرب العريف (٢) وقد أشار إلى ذلك التادلى فى تعريف أبى العباس بن العريف أحد متصوفى المغرب بقوله و إن أصل أبى العباس بن العريف من طنجة وإنما سمى والده بالعريف لأنه كان بطنجة صاحب الليله (٣) وكان يطلق عليه أيضاً صاحب الليل (٤) وهذه التسمية ربما تكون راجعة للوظيفة التى يودها من قيامه بالحراسة ليلا ، وبالنسبة لاختصاصات صاحب الشرطة فهى معاونة الحكام وأصحاب المظالم وإقامة الحدود والتعازير وإشخاص الناس لذلك (٥) وقد حدد ابن تيمية وظيفة صاحب الشرطة بالمغرب بأنه منفقل لما يأمر به متولى القضاء (٢) ويضاف إلى هذه الاختصاصات مراقبهم لأبواب

⁽١) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٦٢ ٤ ١٦٣ ٠

J.F.P. Hopkins: Medieval Muslim, P: 46 (7)

⁽٣) التادلي : التشوف الي رجال التصوف ص ٩٧ .

⁽٤) المترى: نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٣ ، عباس المراكشى: الأعلام بهن حل مراكش جـ ١ ص ٢٧٣ .

⁽٥) محمد الرير: الأبحاث السامية جـ ٢ من ٥٧ -

⁽٦) ابن تيمية : الحسبة في الاسلام من ٦ سنة ١٩٦٧ .

المدينة ، وتحصيناتها محيث يحولون دون تسرب المشبوهين والمجهولين إلى المدينة (۱) وقد أشار ابن عبدون إلى بعض التنظيات المتعلقة بصاحب الشرطة ومنها اتخاذه الملاعوان كي يساعدونه في تأدية وظيفته (۲) وقد حد دهم ابن عبدون بألا يزيدوا عن عشرة أعوان لأن بكثرتهم تفسد الأعمال والأحوال (۳) كما حبد بأن توضع لهم علامة حتى يعرفون بها (٤) .

وقد اهتم الموحدون بوظيفة الشرطة فكانت عندهم من المناصب الإدارية الهامة(٥) وفى ذلك يقول ابن خلدون فى مقدمته و وأما فى دولة الموحدين بالمغرب فكان لها – أى وظيفة الشرطة – حظ من التنويه وإن لم يجعلوها عامة وكان لا يليها إلا رجالات الموحدين وكبراؤهم (١) وقد ظهر اهمام الموحدين بالشرطة فى عهد يوسف بن عبد المؤمن الذى زود المدن المغربية بأحسن الرجال الممتازين والساهرين من الشرطة وبدلك اختفى قطاع الطرق من الطرقات (٧).

وكان هناك حراس يطوفون بالليل فى طرقات المدن وذلك لحمايتها من اللصوص ، وهم مسئولون أمام الحليفة عما يحدث من سرقات ، وقد اتضح مدى هذه المسئولية من تلك الحادثة التى وقعت لأحد أصحاب الحوانيت فى مراكش حيث وجد حانوته مسروقاً فاتهم صاحب الليل عند الحليفة الذى بحث الموضوع وأمر بتغريم صاحب الليل ما ضاع من حانوت الرجل وضرب خسائة سوط جزاء إهماله (٨).

⁽۱) روجیة لوتورنو: ناس فی عصر بنی مرین ص ۷۸ ترجمة دانتولاً زیادة سنة ۷۷ .

⁽٢) ابن عبدون : رسالة ابن عبدون في الحسبة ص ١٧ ، الجيلالي: تاريخ الجزائر ج ٢ ص ٢٩١ .

⁽٣) ابن عبدون : رسالة في الحسبة ص ١٧ .

^{﴿})} نفسُ الرجع السابق ص ١٥٠٠٠

⁽٥) محمد المرير : الأبحاث السامية ج ٢ ص ٦٥ ، الجيلالي: تاريخ الجزائر ج ٢ ص ٢٩١ .

⁽٦) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ٢٥٢ .

S.P. Scott: History of Moorish Empire, V.2 P:305 (V)

⁽٨) عُثمان الراكشي: الأعلام جد ١ ض ٢٧٦ ٠

كذلك خصّص للأسواق رجال من الشرطة لحايتها من اللصوص والمتسللين وقد أشار إلى ذلك التادلى فى ترجمته لأبى عبد الله محمد بن حسان التاونتى المعروف بابن الميلى وأصله من تاونت من عمل تلمسان وتوفى فى عام تسعين وخسمائة ، يقول التادلى « إن أبا عبد الله خرج بالليل فقبض عليه حرس السوق مظنوا أنه سارق فأوجعوه ضرباً إلى أن قيل : هذا ولى من أولياء الله تعالى فخلتوا عنه (١) .

⁽۱) التادلي : التشوف ص ۳۷٥ ٠

الفصت ل الرابع

التنظيم القضائي

أ _ القضياء

كان للتنظيم القضائى الذى شهده المغرب الأقصى فى القرنين الحامس والسادس من الهجرة دوره فى الحياة الإدارية ، حيث قام القضاة بالفصل بين الناس وإقرار العدل بين طبقات الأمة مما ساعد على إنتشار الهدوء والأمن فى فى ربوع المنطقة .

ولفظ القضاء معناه انقطاع الشيء وتمامه ، فيقال : قضى الحاكم إذا فصل فى الحكم وقضى دينه أى قطع لغريمه قبله بالأداء ، وقضيت الشيء أحكمت عمله ومنه قوله تعالى « إذا قضى أمراً ، أى أحكمه وأنفذه»(١) .

والقضاء من الوظائف الهامة وقد أشار إلى أهميتها النباهي بقوله و وخطة القضاء في نفسها عند الكافة من أسنى الحطط ، فان الله تعالى قد رفع درجة الحكام وجعل إليهم تصريف أمور الأنام يحكمون في الدماء والأبضاع والأموان والحلال والحرام ، وتلك خطة الأنبياء ومن بعدهم من الحلفاء ، فلا شرف في الدنيا بعد الحلافة أشرف من القضاء» (٢) وقد اعتبرها ابن خلدون من الوظائف الداخلة تحت الحلافة أي أن الأصل أن يتولى الحليفة القضاء بنفسه ، يقول ابن خلدون و وأما القضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت الحلافة لأنه منصب الفصل بين الناس في الحصومات حسما للتداعي وقطعاً للتنازع إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة فكان لذلك من وظائف الحلافة ومندرجاً في عمومها (٣) .

وقد اهم ولاة الأمر بالمغرب الأقصى سد اء أكانوا من المرابطين أم من

⁽۱) النباهى : تاريخ تضاة الأندلس ص ۲ ت بروفنسال ط ۱ دار الكاتب المصرى سنة ۱۹۶۸ .

⁽٢) النباهى : تاريخ تضاة الاندلس ص ٢ ت بروفنسال .

⁽٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون عر ٢٢٠٠٠

الموحدين بالنظام القضائى ، فالمرابطون أقاموا نظامهم القضائى مستندين في ذلك إلى نظام الأندلس القضائي ، ذلك النظام الذي جعله الأمويون محكما وفصلوا بين السلطة الإدارية والقضائية(١) ، وقد أخذ المرابطون كثيراً من النظم القضائية الأموية وطبقوها سواء بالمغرب والأندلس(٢) ، حتى إذا سقطت دولة المرابطين وقامت على أنقاضها دولة الموحدين ، اتخذت نظاماً قضائياً مشاساً للنظام القضائى في الدولة المرابطية(٣) وقد أحاط خلفاء الموحدين النظام القضَّائى بالهيبة والحلال حيث حرص الحلفاء على تعيين كبار القضاة بأنفسهم (١)

وقد استعان ولاة الأمر بالمغرب الأقصى بكثير من القضاة الذين يختلفون فى مواطنهم ، ففي الدولة المرابطية استخدم ولاة الأمر قضاة مغاربة ، تحموسي ابن حماد الصُّهاجي وهو من أهل العدوة ، وقد تولى القضاء بمراكش في عهد أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين وثوفى سنة ٥٣٥ه / ١١٤٠م(٥)، وكذلك القاضى ابن الملجوم من أهل مدينة فاس وتولى القضاء بفاس ومات سنة ٤٣هـ / ١١٤٨م (٦) والقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصىي وهو من أهل سبتة وقد تولى القضاء ببلدة سبنة وتوفى بمراكش سنة ٤٤هم / ۱۱٤٩م (۲) .

كذلك استعان خلفاء الموحدين بقضاة مغاربة ومنهم أبو عمران موسى وهو من أهل تينملل(^) وأبو يوسف حجاج بن يوسف الهوارى وهو من أهل بجاية(٩) وغير هوًلاء من القضاة المغاربة .

⁽١) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢١٥ .

⁽٢) نفس المرجع السابق ص ٢١٥٠ .

⁽٣) نفس الرجع السابق ص ٣٣٧٠

⁽٤) عنان : عصر المرابطين والموحدين التسم الثاني ص ٦٢٨ ٠ (٥) الضبى : بفية الملتمس ص ٤٤١ ، ابن بشكوال : الصلة ج ٢

من ۷۹ه ، ۸۸۰ ، النباهي : تاريخ تضاة الاندلس ص ۹۷ . (۲) النباهي : تاريخ تضاة الاندلس ص ۱۰۲ .

⁽٧) ابن بشكوال : الصلة جـ ٢ ص ٤٠٩ ، ١٠٤ ، الضبى : بغية المتمس ص ٥٤٥ النباهي :تاريخ تضاة الاندلس ص ١٠١٠

⁽٨) أبن مساحب الصلاة : تاريخ المن ص ٢٢٤ ، ابن القطان : نظم الجمان ص ١٧٥ ، ابن أبيزرع : الآنيس ج ٢ ص ١٧٢ ت النيلالي . Terrasse: Histoire du Maroc, P: 309

⁽٩) نفس الراجع السابقة وتفس الصفحات ،

وربما اشتهرت أسرة بالنزاهة ودقة الاجتهاد مما يدفع ولاة الأمر إلى اختيار أفراد منها لتولى منصب القضاء ، وقد ظهر ذلك في الدولة الموحدية حين تولى بعض أفراد أسرة عيسي التادلي منصب القضاء(١) ومن أفرادها عبُّد الله بن محمد بن عيسي التادلي الذي تولي قضاء فاس في عهد يوسف بن عبد المؤمن سنة ٥٧٩ه / ١١٨٣م(٢) ، وكذلك أسرة عيسى بن عمران التازى وهو من أهل رباط تازا من أعمال مدينة فاس ، وكان عيسي له أولاد تولُّوا القضاء في مدن المغربوهم: على الذي تولى قضاء بجاية ثم عزل عنها وولى قضاء مدينة تلمسان(٣) وطلحة ولى قضاء تلمسان (٤)، ويوسف ولى قضاء فاس(٥) وأبو عمران موسى قاضي الحاعة بمراكش (٦) .

كذلك استعان خلفاء الموحدين بقضاة من خريجي مدرسة الحفاظ تلك المدرسة التي أنشأها الحليفة عبد المؤمن لتخريج طبقة من الموظفين الذين شغلوا مناصب الإدارة في الدولة ومن هذه المناصب وظيفة القضاء(٧) وقد تمثُّل ذلك في تولى القاضي أحمد بن عبد الرحمن بن محمد منصب القضاء في عدة جهات في عهد عبد المؤمن بن علي يقول عباس المراكشي ﴿ وَلَمَا تُصَّبُّرُ الأمر للموحدين ألحقه عبد المؤمن يجمله طلبة العلم وتحنى به وقدمه إلى الأحكام بحضرة مراكش ، فقام بها مرة ثم ولاه قضاء غرناطة ثم نقله إلى أشبيلية قاضياً ه (٨).

ومن الطبيعي أن يكون القضاة من أهل البلاد إلا أن ولاة الأمر اتخذوا أيضاً قضاة من الأندلس (٩) كأبي القاسم أحمد بن محمد بن بقي قاضي الجاعة عمر اكش وهو من أهل قرطبة (١٠) والقاضي أبو جعفر أحمد بن مضاء من أهل.

⁽۱) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٣٥ .

⁽٢) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ص ٢٣٦ .

⁽٣) الراكشي : المعجب ص ٢٤٦ ، ٢٤٦ .

⁽٤) نفس الرجع السابق ص ٢٤٦٠

⁽٥) نفس الرجع السابق ص ٢٤٦٠

⁽٢) نفس الرجع السابق من ٢٤٦ .

^{·(}٧) أشباح : تاريخ الأندلس ج ٢ ص ٥٢ . (٨) عباس المراكشي : الاعلام جد ١ مس ٢٢٨٠

Terrasse: Histoire du Maroc, P: 309 (1)

⁽١٠) النباهي : تاريخ قضاة الأندلس من ١١٧ .

مدينة قرطبة وتولى القضاء للخليفة يوسف بن عبد المؤمن في فاس ثم نقل إلى قضاء الحاعة بمراكش(١) وغير هؤلاء من قضاة الأندلس .

وبجانب القضاة المغاربة والأندلسين فقد تولى أحد المصريين منصب القضاء في عهد المنصور الموحدي وهو هبة الله بن الحسن المصرى ويكني أبا المكارم وفى ذلك يقول ابن القاضي « كان من أهل العلم عارفاً بالأصول حافظاً للحديث متيقظاً حسن الصورة دخل الأندلس وولى قضاء أشبيلية وبهصرف أبو القاسم الحولانى وحضر غزوة شنترين ، وكان قدوم أبى المكارم خوفًا من صلاح الدين أيوب وولى قضاء مدينة فاس ثم استصحبه المنصور معه فى غزوه لإفريقية الثانية وولاه حينئذ قضاء تونس وتوفى وهو يتولى قضاء تونس سنة ست وثمانين وخسمائة »(٢).

وهكذا شهد المغرب الأقصى منذ قيام دولة المرابطين العديد من القضاة: أفراداً وأسراً ينتمون إلى المغرب ، وبعضهم ينتمي إلى الأندلس وأخيراً من ينتمي منهم إلى مصر .

أنواع القضاة:

وبجانب هذا التنوّع في موطن القضاة ، كان هناك أيضاً نوعان من القضاة قضاة المدن المغربية ، وقاضي الحاعة في العاصمة ، وكان كل من قاضي مراكش وقاضي قرطبة يدعى بقاضي الحاعة(٣) وهذا اللقب يوازى قاضي القضاة بالمشرق(٤) وقد فسُشر النباهي لفظة حماعة بقوله « وإضافة لفظ القضاء . إلى الحاعة جرى الترامه بالأندلس منذ سنن إلى هذا العهد والظاهر أن المراد بالجاعة جماعة القضاة ، إذ كانت ولايتهم قبل غالباً من قبل القاضي بالحضرة السلطانية كاثنا من كان فبقى الرسم كذلك، (٥) وكان قاضي الحاعة أعظم

⁽۱) المراكشي : المعجب ص ۲٤٧ ، ابن عسداري : البيان المفسرب ج ٤ ص ٧٣ تطـوان ، ابن الآبار : التكمــلة ص ١٠٩ ، ١١٠ ، أبن أبى زرع : الأنيس ج ٢ ص ١٧٥ ت الفيلالى . (٢) ابن القاضى : جذوة الانتباس ص ٣٣٤ .

⁽٣) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢١٦ ٠

⁽٤) التلتشندي : مسبح الأعشى ح ٥ ص ١٤٠ ، عبد العزيز بنعبد اله : المعجم التاريخي ص ٥٥

J.F.P. Hopkins: Medieval Muslim P:120

⁽٥) النباهي : تاريخ تضاة الاندلس ص ٢١٠

رتبة ومنزلة من بقية القضاة إذ كان ولى الأمر يستشيره فى الشئون القضائية (١) وكان يعين مباشرة من رئيس الدولة كما كان يعتبر من كبار موظنى الدولة (٢) وقد بلغ عدد قضاة الحاعة بالدولة الموحدية اثنا عشر قاضياً تولوا قضاء الحاعة بمراكش (٤) ومنهم أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء اللخمى (٣) وكذلك أبو الحسن على بن عبد الرحمن المعروف بابن جنون قاضى الحاعة بمراكش وتوفى سنة ٧٧ه م / ١١٨١م (٥) وأبو موسى عمران وتوفى سنة ٨٧٥ م / ١١٨٨م (١).

صفات القضاة:

حدد الماوردى وغره عدة صفات لابد من توفرها في من يشغل منصب القضاء منها أن يكون رجلا عاقلا حراً مسلماً عادلا والسلامة في السمع والبصر وأن يكون عالماً بالأحكام الشرعية (٧) وقد أوضح النباهي المصادر التي يلجأ اليها القاضي لمعرفة الأحكام الشرعية (العلم بالكتاب والسنة وما وقع عليه إلىما علامة والاجتهاد والمتكلم به عند الفقهاء (٨) وقد رسم ابن عبدون السلوك الشخصي للقاضي بقوله (يجب للقاضي أن يكون مصوناً عند الناس وعند الرئيس والحمهور . ولا يمكن من نفسه ولا ينبسط مع الفقهاء ولا مع الأعوان فان منهم يأتيه الضرر . . . ويتحرز أن لا ينبسط عليه أحد منهم في قول ولا فعل فهون وتنقض أوامره (٩) ويرجع حرص العلاء في وضع

⁽۱) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٣٨ .

J.F.P. Hopkins: Medieval Muslim Pt 124 (7)

J.F.P. Hopkins: Medieval Muslim P: 181-192 (7)

⁽٤) أبن دحية : المطرب ص ٩٤ .

⁽٥) نفس المرجع السابق ص ٤ ، أبي زكرياء : بغية الرواد ج ١ ص ٢٤ .

⁽٦) ابن عداری : البیان المغرب ج ٤ ص ٥٠ تطوان .

⁽٧) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ٦٥ ، ٦٦ ، د. عطيسة مشرفة : القضاء في الاسلام ص ١٥٨ ، ص ١٥٩ ، النباهي : تاريخ القضاة ص ٤ .

⁽٨) النباهي : تاريخ تضاة الاندلس ص ٢٠٦ .

⁽١) ابن عبدون : رسالة ابن عبدون في الحسبة ص ٧ ، ٨ .

الشروط والمواصفات الخاصة بالقاضى وذلك لعظم هذه الوظيفة وتأثيرها المباشر في أوضاع الرعية من حيث العدل وإقامته ، ومذى ثقة الناس واطمئناً شهم في الحصول على حقوقهم ، وبتصفح تراجم القضاة الذين شغلوا منصب القضاء بالمغرب الأقصى منذ قيام دولة المرابطين نجد توفّر كثير من الشروط السابقة فيهم حيث حرص ولاة الأمر على اختيار أكابر العلماء والفقهاء لشغل هذا المنصب فالقاضى موسى بن حماد الصنهاجي الذي تولى القضاء محضرة مراكش وتوفى سنة ٥٣٥ه / ١١٤٠م يصفه ابن بشكوال بقوله وكان فقيها حافظاً للرأى ، عالماً بالمسائل والأحكام مقدماً في معرفتها ، وكان من جلة القضاة في وقته ، وشهر بالفضل والعدل في أحكامه، (١) ويشر النباهي إلى سلوكه بقوله ٥ كان شديداً على أهل الأهواء ، مترفقاً بالضعفاء ، متغاضياً عن هنات الفقهاء »(٢) ، والقاضي محمد بن الحسن الحضرميالذي تولَّى القضاء بأزكى بصحراء المغرب وتوفى سها سنة ٤٨٩ه / ١٠٩٥م يصفه ابن بشكوال بقوله ، كان رجلا نبها عالماً بالفقه وإماماً في أصُول الدين وله في ذلك تواليف حسان مفيدة ، وكان مع ذلك ذا حظ وافر من البلاغة والفصاحة ، (٣) والثماضي أحمد بن مضاء قاضي الحلافة الموحدية والذي توفى سنة ٩٢هـ / ه ١١٩م كان فقها محدَّدُتًّا وإمامًا في النحو (٤) والقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الذي توفى سنة ٤٣هـ / ١١٤٨م كان من أهل التفنن في العلم والذكاء واليقظة والفهم(٥) وكان فقماً محدثاً عارفاً أديباً وله تَاكيف(١) والقاضي أبو محمد عبد الله بن سلمان بن داوود تولى القضاء بسبتة وسلا كان فقها أصولياً نحويا أديباً شاعراً ، ودرس كتاب سيبويه ومستصفى أبي حامد الغز الى وكان عيل إلى الإجهاد في نظره(٧) ومن هذا النماذج يتضح كيف كان القضاة على درَّجة كبيرة من العلم والمعرفة وأنَّ ولاة الأمر لم يكونوا يختارون

⁽۱) ابن بشكوال : الصلة جـ ٢ ص ٧٩ه ، ٥٨٠ •

⁽٢) النباهي : تاريخ تضاة الاندلس من ٩٧٠

⁽٣) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٧٧٥ ٠

⁽٤) الضبى: بغية الملتبس ص ١٩٣٠.

⁽ه) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ١٠٠٠ ٠

⁽٦) الضبى: بغية المتمس ص ٤٤٥ ٠

⁽۷) محمد بوجندار: تعطير البساط بذكر تراجم تضاة الرباط ص٦ المقرى نفح الطيب جـ ٦ ص ٦٦ ، ١٧ ٠ (م ١١ سـ الحضارة)

إلا من كان مبرّزاً في العلم كاملا في أخلاقه(١) .

تعيين القضاة:

اختص ولاة الأمر بالمغرب الأقصى بتعيين قاضى الحياعة بالعاصمة (٢) كذلك قاموا بتعيين القضاة في المدن الكبرى (٣) أما قضاة المدن الأخرى فقد ترك للأمراء المحلين أمر تعيينهم (٤) وقبل اختيار القاضى كان ولى الأمر ية وم باستشارة من حوله في اختيار القاضى حتى إذا أجمع أربعة من الفقهاء على اختياره أصدر ولى الأمر أمره بتعيين القاضى (٥) وفي بعض الأحيان كان الحليفة يستدعى أحد القضاة من مكان عمله ليوليه القضاء بجهة أخرى كما فعل المنصور الموحدى في استدعائه أبي محمد عبد الله بن سليان من الأندلس قضاء أشبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة ، ولما بني الحامع الأعظم بسلا وتمت أبنية الرباط استدعاه السلطان المنصور الموحدى وولاه على العدوتين معا أبنية الرباط استدعاه الشلاث سنن (١).

فاذا تم اختيار القاضى أصدر ولى الأمر مرسوماً بتعين القاضى الحديد وقد أورد النباهى مرسوماً صادراً من أمير المسلمين على بن يوسف بن تأشفين بتعيين القاضى موسى بن حماد فى سنة ٢٤هه/١١٩م ونصه « وبعد فانا قد فرغناك برهة من الدهر لشأنك ، وأرسلنا على جهة الترفيه زماماً من عنانك . خير ناك لحظة القضاء ثانية بزمامك ، وأعدناك إلى سيرتك الأولى من لزامك وقلدناك بعد استخارة الله القضاء بسأهل غرناطة وأعمالها أمنهم الله وحرسها للثقة المكينة بايمانك والمعرفة الثاقبة بمكانك ، فتقلد معانا مسدداً ما قلدناك ، وأمن شهوض مستمل بما حلناك . . وأيس هذه بأول ولايتك لها فنه دىء بوصيتك

⁽۱) الجيلالي : تاريخ الجزائر ج ٢ ص ٢٤٩ .

⁽٧) د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٣٧٣ .

⁽٣) عنان : عصر المرابطين والموحدين التسم الثاني ص ٦٢٨ .

⁽٤) د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٣٧٣ .

J.F.P. Hopkins: Medieval Muslim, P; 131 (0)

⁽٦) بوجندار : تعطير البساط ص ٦ .

. . الى ساست فيها أياما في وشكر فيها مقامك . . ه(١) وهناك صيغة أخرى في ترلية التانسي أوردها د . حسن مؤنس نتلا عن نصوص سياسية عن فترة الانتمال من المراملين إلى الموحدين وهي « كتاب ترفيع واظهار أمر بعقد الرئيس الآجل أمو فلان للفقيه صماحب الاحكام فلان بن فلان تولا فيه شد أرره وعصه أمره ، والإشادة برفعة مكانه والاطلاق من يده ولسانه . . من التناء الزبنهات فلانة وفلانا لينفذ الحقوق غبر مرتاب ومجاهر فها غبزا محاب . . . »(٢) . ثم يستمر الرسوم في بيان الطريقة التي يسير بها وواجب الأدالي في طاعته والامتئال له(٣) .

وفى بعنس الأحيان يترك الوال لسكان إتليمه حرية اختيار القاضي يقول ملىن « واخترار المنصور لقصاته . لم يكن مبنياً إلا على ما يعلمه من كفاءتهم وأست. مقاقهم للتيام خطآهم أحسن قيام ، فاذا لم يتحقق بأهلية أحد لذلك ، ترك للزُّمة نفسها تعيين من ترتضيه حامياً لحقوقها فمن ذلك ما فعل والى أشبيلية إذ كتب إلى أهل شريش أن نجتمعوا على رجل منهم يتولى القضاء فاجتمعوا على ابن أحمد بن لبال الورع الزاهد »(٤) .

طريقة التقاضي:

مارس القضاة اختصاصاتهم في المسجد حيث كان مجلس حكمهم (٥) وقد أورد النباشي في ترحمته للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلمان قاضي مالقة والمتوفى سنة ٥٠٠ه كنيف كان يقضي في مسجد مدينته يقول « وكان قعود القاضي أبي عبد الله المذكور لتنفيذ الأحكام بالمسجد المذكور من داخل مالقة عالى.

⁽۱) النباهي : تاريخ تضاة الأندلس ص ۹۸ ٠

⁽٢) د. حسين مؤنس : نصوص سياسسية عن عترة الانتقال من المرابطين والموحدين ص ١٣٧ مجلة المعهد المصرى ــ مدريد عدد ٣ سنة ه مجلد ۱ ،

٣١) د . حسسين مؤنس : نصوص سسياسة عن غترة الانتقال من المرابعلين الى الموحدين ص ١٣٧٠ . (١) ملين : عصر النصور الموحدي ص ١٠٢٠ .

⁽٥) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢١٧ ، د. عبد النعم ماجد: باريخ الحضاره الاسلامية ص ١٨٠٠

⁽٦) النباهي : تاريخ تضاة الاندلس ص ١٠٠٠

وكان القاضي له حجاب ينظمون دخول المتخاصمن(١).

وبجانب هولاء الحجاب كان له كتتاب يقومون بكتابة ما يأمر به القاضى فقد اتخذ القاضى أبو موسى عيسى بن يوسف بع ملجوم قاضى فاس كاتباً هو حسن بن ابراهيم بن عبد الله بن أبى سهل(٢) كذلك استكتب ابن الملجوم قاضى مكناسة الكاتب محمد بن عيسى بن القاسم الصدفى الذى توفى سنة قاضى مكناسة الكاتب محمد بن عيسى بن القاسم الصدفى الذى توفى سنة 8040 م ١١٣٤ م ٢٩

ومع هو ًلاء الكتاب كان هناك الموثقون وكانوا مكلفين بالإشراف على سير الدعاوى وكتابة الشروط (٤) ومن هو ًلاء الموثقين على بن عبد الله بن ابراهيم بن عبيد الله الأنصارى من الجزيرة الخضراء وكان موثقاً له تأليف عظيم في الوثائق وقد استوطن سبتة وكتب للقاضى أبي موسى عمران بن عمران وتوفى سنة ٥٧٠ ه/ ١١٧٤م (٥) وكذلك الموثق أبو الربيع سليان بن عبدالرحن المقرى الصنهاجي كان موثقاً عدينة سلا وتوفى سنة ٥٧٩ هم / ١١٨٨م (٦).

وكان القضاة فى فترة حكم المرابطين لا يصدرون أحكامهم إلا بعد استشارة أربعة من الفقهاء (٧) وفى ذلك يقول المراكشى « فكان – أى على بن يوسف بن تاشفين – إذا ولتى أحداً من قضاته كان فيا يعهد إليه ألا يقطع أمراً ولا يبت فى صغير ولا كبير إلا بمحضر أربعة من الفقهاء» (٨) وكانت هذه الاستشارة موزعة بن القاضى والمتخاصمين فاثنان من هولاء الأربعة يلازمان القاضى ليستشيرهما فى إصدار الأحكام ، واثنان مختصان باصدار المشورة للمتنازعين والمستشيرين (٩).

⁽۱) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ۲۱۷ .

⁽٢) ابن القاضى : جنوة الاقتباس ص ١١٣ ، ١١٤ .

⁽٣) ابن زيدان : اتحاف أعلام الناس ج ٣ من ٧٧٥ .

⁽٤) روجيه أوتورئو: ناس في عصر بني موين ص ٨٤.

⁽٥) ابن الماضى : جنوة الانتباس ص ٣٠٥ .

⁽٦) نفس المرجع السابق ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .

⁽٧) المراكشي : المعجب ص ١٧١ ، حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢١٦ ، عثمان المراكشي : الجامعة اليوسيفية ص ٩٩ .

⁽٨) المراكشي : المعجب من ١٧١ ٠

⁽٩) حركات : المفرب عبر التاريخ ص ٢١٦ ٠

المتصاصات القامي :

أشار الماوردى والنباهى إلى الأعمال التى يقوم بها القاضى ، والاختصاصات التى يمارسها ، والتى تبنى على قاعدة عامة وهى المحافظة على حقوق الرعية وإقرار العدل والإنصاف بين طبقات الأمة وحاية الاخلاق العامة فاذا ما حاولنا توضيح هذه القاعدة لوجدنا أن القاضى يقوم بالأعمال الآتية : أولا : الفصل فى المنازعات . ثانياً : إرجاع الحقوق إلى أصحابها . ثالثاً : الحجر على السفهاء والمحانين والمفلسين . رابعاً : الإشراف على الأوقاف والأحباس . خامساً : الإشراف على تنفيذ الوصايا . سادساً : تزويج الأيامى بالأكفاء إذا وافقت الإشراف على الآداب العامة فى الشرع . سابعاً : إقامة الحدود . ثامناً : الإشراف على الآداب العامة فى تأدية الطرقات . تاسعاً : الاشراف على معاونيه الذين يقومون بمعاونته فى تأدية وظيفته (۱) .

فاذا ما تصفحنا أعمال القضاة واختصاصاتهم منذ قيام دولة المرابطين بالمغرب الأقصى وجدنا اضطلاعهم بالأعمال السابقة ، بل وأضيف إلى بعضهم بعض الاختصاصات التي زادت من أعبائهم ووسعت دائرة اختصاصهم فيوسف بن تاشفين جعل أحكام البلاد بيد القضاة (٢) ومن هنا أشرف القضاة على الأفراد اللدين بيدهم إصدار الأحكام ومن هؤلاء الفقيه المشاور الذي يختص مخطة الشورى ويتولى صاحها إبداء الرأى والفتوى في مسائل الأحكام (٣) وكذلك أشرف القضاة على خطة الأحكام ويتولاها فقيه بجلس للناس وينظر في مظالمهم ويحكم بينهم ويفض المنازعات (٤) كما كان له النظر في القضايا المتعلقة بالمشون الزوجية والطلاق (٥) وهو بذلك يقوم بالتخفيف عن القاضى الرئيسي في بعض مهامه كذلك القضايا المتعلقة بالمواريث فقد كان يعن لها أحد الفقهاء

⁽۱) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٧٠ ، ٧١٣ ، النبساهي :

تاريخ تضاة الآندلس ص ٥ ، ٣ . (٢) ابن أبي زرع: الانيس ج ٢ ص ٣٧ ت الفيلالي ، ابن المؤتت: السعادة الابدية ج ٢ ص ٨٩ .

⁽۳) د. حسن احمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ۳٦٨ ، عنان: مصر المرابطين والموحدين: القسم الثاني ص ٦٢٨ ، ٦٢٨ .

⁽٤) نفس المرجمين السابقين ونفس الصفحات .

⁽٥) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٢٩٠ .

المتخصصين وذلك تحت إشراف القاضى (١) وقد أشار ابن عبدون إلى أن من حق القاضى تعين قاض خاص بطبقة الصناع (٢) أما القضايا الكبيرة التى تحتاج إلى جرأة وشجاعة فكانت تترك للقاضى نفسه يفصل فيها بين المتخاصمين أيّا كانت رتبتهم ومنزلتهم الاجماعية (٣).

وبجانب المهمة الأساسية للقضاة وهي إقرار العدل بس طبقاب الأمة أضيف لبعضهم بعض المهام المتعلقة بشئون الدولة . فقد أعطى المنصور الموحدي القضاة الحق في مراقبة جميع العال والولاة باعتبار القضاة ممثلين للشريعة وأن على العمال والولاة الخضوع والامتثال لأوامرهم (٤) .

وكان بعضهم يجمع بين وظيفة القضاء ووظيفة المظالم والكتابة كالقاضى أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن فقد تولى قضاء الحاعة بمراكش مضافاً إلى ذلك خطى المظالم والكتابة العليا وكان مولده سنة سبع وثلاثين وخمسائة (°).

كذلك كان بعضهم يجمع بين وظيفتى القضاء بالمغرب والأندلس كالقاضى ابن رشد قاضى الأندلس حين استدعاه الحليفة عبد المومن ليضيف إليه قضاء المغرب بجانب قضاء الأندلس (٦).

وفى بعض الأحيان كان قاضى الجهاعة فى العاصمة يتولى تعيين غيره من القضاة (٧) وقد ظهر ذلك حين قام قاضى الجهاعة أبو يوسف حجاج بن يوسف التجيبي باستدعاء عبد العزيز الباغاني وكان من الصالحين ليوليه قضاء أغمات (٨) كذلك قام أبو منظور قاضى الجهاعة بمراكش بتعيين القاضى

[•] ٦٢٩ ص المرابطين والموحدين التسم الثانى ص ٦٢٩ . J.F.P. Hopkins: Medieval Muslim, P; 124

⁽٢) ابن عبدون : رسالة في الحسبة ص ٢٤ .

⁽٣) د. حسن أحمد محمود : قيام دولة آلرابطين ص ٣٦٩ .

⁽٤) محمد الرشيد ملين : عصر المنصور الموحدي ص ٥٠ ، ٩٩

⁽٥) ابن الآبار : التكلمة لكتاب الصلة ص ١٤١ ، ١٤٢ ، عباس المراكشي ج ١ ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

⁽٦) عباس الراكشي : الأعلام ج ٣ ص ٧٧ ، ٨٨ .

⁽٧) حركات: المغرب عبر، التاريخ ص ٢١٦ ، عباس المراكشي : الاعلام د ١ ص ١٥٣ .

⁽٨) التادلى: التشوف ص ١٨٦ ٠

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن من أهل سبتة والمتوفى سنة ٥١٠ه / ١٠ الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن من أهل سبتة والمتوفى سنة ٥١٠ه /

كذلك قام بعض القضاة بتعيين المحتسبين ومن هؤلاء القاضى أبى يوسف حجاج بن يوسف قاضى مراكش الذى استدعى أحد الصالحين وهو عبد الملك مروان بن عبد الملك اللمتونى من أهل فاس والمتوفى سنة ٧١ه ه ليوليه خطة الحسبة في مراكش (٢).

وتولى بعضهم الإشراف على بيت المال (٣) كالقاضى ابن صقر الذى كان مسئولا عن بيت المال في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (٤).

كذلك اتسعت اختصاصات بعض القضاة حتى شملت الإشراف على بعض أعمال البناء وخاصة ما يتعلق ببناء المساجد فقد أمر يوسف بن تاشفين قاضيه محمد بن عيسى ببناء جامع سبتة سنة ٤٩١ه / ١٩٧٥م (٥) كذلك حين ضاق الحامع الكبير بمدينة فاس عن استيعاب المصلين قام القاضي ابن معيشة قاضي فاس باستشارة أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين في توسعة المسجد، فأعطاه الإذن بذلك ، فقام القاضي بتجهير المال لذلك وأشرف على أعمال البناء بنفسه (٦) وقد عزل القاضي ابن معيشة قبل استكمال البناء فقام بالإشراف على إتمامه القاضي أبو مروان عبد الملك بن بيضا القيسي الذي تولى القضاء بفاس سنة ٧٥ه م / ١١٤٢م (٧) ولم يقتصر إشرافهم على بناء المساجد بل وقام بعضهم بالإشراف على بعض المباني الأخرى كبناء سور مدينة سبتة ، يقول ابن عذارى « وقبل بناء الحامع بأعوام — تم بناء الحامع سنة ٤٩١ه هـ يقول ابن عذارى « وقبل بناء الحامع بأعوام — تم بناء الحامع سنة ١٩٤ه —

⁽١) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٢٦١ .

⁽٢) التادلي: التشوف من ٣٢٢ ، ابن المؤتت: السعادة الأبدية من ١٥٠ ، ١٥١ ، ابن القاضي :جذوة الاقتباس ص ٣٠٩ .

⁽٣) د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٣٧٠ ٠

J.F.P. Hopkins; Medieval Muslims p ;57 (8)

⁽٥) ابن عذارى : البيان الغرب ج ٤ ص ٥٨ ت د، احسان عباس

⁽٦) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١١ ، ٢٢ ، ابن القطان : نظم الجمان ص ٢٢ ، التازى : احد عشر قرنا في جامعة القروين ص ٨ سنة ١٩٦٠ .

⁽٧) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٤٢ ٠

أمر يوسف بن تاشفين ببناء سور الميناء السفلي لسبتة على يد القاضي ابراهيم ابن أحمد (١). وكذلك حين أمر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة ٢٧ه م المناب القاسم أحمد بن محمد الحوفي أن يختط له ما يتصل بالقصور والمباني التي أزمع بناءها بأشبيلية وذلك ليغرس فيها أشجار الزيتون والأعناب والفواكه المختلفة (٢) والسبب في إسناد هذه المهمة لقاضيه معرفته بالمساحة والتكسير والفلاحة فضللا عن أمانته ودينه (٣). وجما سبق يمكننا أن نستنج تذيع اختصاصات القضاة ، فبجانب فصلهم في المنازعات بين المتخاصمين ، كان بعضهم يشرف على بعض النواحي الإدارية والمالية بالبلاد ، كما أن بعضهم قام بالإشراف على أعمال البناء ، وهذا التنوع يشير إلى أهمية منصب القضاء .

نقل القضاة وعزلهم:

جرى ولاة الأمر بالمغرب الأقصى منذ قيام دولة المرابطين على نقل القضاة فى أقاليم الدولة المختلفة ، وذلك تبعاً للظروف المتغيرة واحتياجات كل إقليم لشغل هذا المنصب ، وقد ساعد على هذه التنقلات وحدة التشريع الذى يستى منه هولاء القضاة أحكامهم (٤) والمتتبع لحركات النقل بين القضاة يلحظ أن قاضى الجماعة بمراكش كان فى كثير من الأحيان يتولى قضاء بعض المدن قبل توليه لهذا المنصب فى العاصمة ، فالقاضى عبد الرحمن بن محمد بن عبدالرحمن تولى قضاء الجزيرة الحضراء ثم ولى قضاء مدينة سلا ثم نقل إلى مراكش حيث تولى قضاء الجماعة وقد توفى سنة ٥١٥ه / ١١١٦ م (٥) وكذلك القاضى محمد بن على بن مروان بن جبل الهمدانى الذى ولى قضاء تلمسان ثم نقل إلى قضاء الجماعة بمراكش فى سنة أربع وثمانين وخمسائة (٢) والقاضى نقل إلى قضاء الجماعة بمراكش فى سنة أربع وثمانين وخمسائة (٢) والقاضى

⁽۱) ابن عذاری: البیان المغرب ج ٤ ص ٨٥ تد، احسان عباس.

⁽٢) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ٦٥ ، ٦٦ .

⁽٣) نفس الرجع السابق ص ٢٦٥ ، ٢٦٦

⁽٤) حركات : آلغرب عبر التاريخ ص ٢١٧ .

⁽٥) ابن القاضى: جذوة الانتباس ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

⁽٦) عباس الراكشي: الأعلام جر ٣ ص ٧٠٠

أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن سعيد الذي تولى قضاء مدينة فاس ثم نقل إلى قضاء مراكش سنة ٥٧٨ه / ١١٨٢م(١) والقاضي خلوف بن خلف الله الصنهاجي من البربر يكني أبا سعيد ولي قضاء غرناطة سنة ١٠هـــ ١١١٦م ، وولى قضاء فاس ثم ولى قضاء الحاعة بمراكش(٢) وغير هؤلاء من القضاة.

وسياسة نقل القضاة من المدن المغربية والأندلسية إلى العاصمة وتعيينهم فى منصب قاضى الحاعة يرجع إلى أهمية هذا المنصب باعتباره أعلى مناصب القضاء ، وله الصلة المباشرة بالسلطة العليا في البلاد ، كما أن بعضهم اختسَّص بتعيين غيره من قضاة المدن الأخرى ، فمن هنا كان لابد لهمن الثمرُّس بأعمال القضاء في المدن المختلفة ، حتى إذا أثبت جدارته واستحقاقه ، نقل لشغل وظيفة قاضي الحاعة .

وكثيراً ما كان القاضي يتنقل بن المدن المغربية والأندلسية فالقاضي أبوز محمد عبد الله بن سلمان بن داوود بن عبد الرحمن بن حوط الله الأنصاري ولى القضاء بمدن أندلسية ومغربية ، فولى بأشبيلية وميورقة ومرسية وقرطبة وسبتة وسلا ثم عاد من سلا والياً قضاء مرسية وتوفى بمدينة غرناطة فى شهر ربيع الأول سنة ٦١٢ ه / ١٢١٥م(٣) والقاضي مروان بن محمد بن على بن مروان ولى القضاء بتلمسان وسبتة وغرناطة ومرسية(٤) والقاضي محمد بن داوود بن عطية بن سعد الحراوى استقضى بتلمسان ثم بأشبيلية ثم بفاس وتوفى سنة ٥٧٥ه / ١١٣٠م(٥) والقاضي أبو موسى عيسي بن عمران بن دافال الوردميشي ولى القضاء بأشبيلية ثم بمراكش وتوفى سنة ٥٧٨ه ـــــ ١١٨٢م(٦) وغير هوًلاء من القضاة .

وربما اقتصر نقل القضاة بين مدن المغرب فقط كما حدث للقاضي أبي

⁽١) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٧١ .

⁽٢) أَبِنَ القَاشِيُّ : جُذُوةَ الاقتباسُ صَ ١١٥ ، ١١٦ .

⁽٣) النباهى : تاريخ تضاة الأندلس من ١١٢ .

⁽٤) أبو زكرياء : بغية الرواد جد ا ص ٣٢٠ .

⁽٥) أَبُو زُكْرِياء : بَفَية الرَّواد جُ ١ صَ ٢٥ . (١) ابن القاضي : جذوة الانتباسيٰ ص ١٥٧ .

العباس أحمد بن محمد بن أحمد البكرى وهو من أهل شريش وقد استوطن مدينة سلا وتولى القضاء بها ثم انتقل إلى مكناسة لتولى القضاء بها وقد توفى سنة ٢١١ه / ١٢١٤(١).

أما بالنسبة لعزل القضاة ، فانه بالرغم من حرص ولاة الأمر بالمغرب الأقصى على اختيار أكفأ العناصر من العلماء والفقهاء لشغل هذا المنصب ، وأن بعض خلفاء الموحدين كان يباشر بنفسه الإشراف على أعمال القاضى كما فعل المنصور الموحدى مع أحد قضاته يقول ملين (كان – أى المنصور الموحدى – يتابع عن كثب سيرة قضاته ، فكان قاضيه أحمد بن محمد بن يتى يقعد في موضع بينه وبين الحليفة ستر من ألواح ، فكان يسمع ترافع المتداعين وحكم القاضى فيكون بذاك آمناً على حقوق رعيته ، (٢) إلا أن بعضهم أساء التصرف في أعماله وبذلك استحق العزل ، فالقاضى عتيق بن على بن حسن ابن حفاظ الصنهاجي ولى قضاء الحزيرة الحضراء ولكن لم تحمد سيرته، وأكثر أهلها التشكى منه فصرف عن قضائها وقد توفى بمراكش سنة ٥٩٥ه - المنصور الموحدى خلفاً لقاضها الذي ثارت به العامة نظراً لسوء سيرته وطلبوا المنصور الموحدى خلفاً لقاضها الذي ثارت به العامة نظراً لسوء سيرته وطلبوا من الخليفة عزله فصرف عن القضاء وولى ابن رشد مكانه (٤) .

وربما توجه وفد من أهل البلد إلى الخليفة ليقدموا شكواهم من سوء تصرف قاضيهم وهذا ما فعله أهل المريّة حين توجهوا إلى الخليفة عبد الموّمن يشكون قاضهم أبا محمد عبد الحق بن غالب وينسبونه إلى الزندقة (٥) .

وكان العزل فى بعض الأحيان بسبب إنشغال القاضى بالدرس والتحصيل وهذا ماحدث لابن رشد وفى ذلك يقول ابن التاضى « وفى سنة ثلاث عشرة

⁽۱) 'ابن زیدان : اتحاف اعلام الناس ج ۱ ص ۳۰۳ ط ۱ سسنة ۱۹۲۹ .

⁽٢) ملين : عصر المنصور الموحدي ص ١٠٠٠ .

⁽٣) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٢٧٨ .

⁽٤) عباس المراكشي : الأعلام ج ٣ ص ٨٤ .

⁽٥) الزركشى : ثاريخ الدولتين ص ٦ .

وخسيائة عزل الإمام ابن رشد عنقضاء قرطبة وإنما عزله على بن يوسف بن تاشفين عن القضاء لأنه اشتكى له اشتغاله بالبيان والتحصيل فعزله وولى مكانه أبا القاسم بن حمدين »(١) .

وقد يصحب عزل القاضى رسالة من العاصمة إلى أهل إقليمه توضيح أسباب العزل وقد فعل ذلك أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين حين عزل قاضى المرية أبا الحسن بن أضحى الغرناطى وكتب إلى أهل المرية ومما جاء فيها بعد البسملة «كتابنا زكتى الله أعمالكم وكفر عنكم سيئاتكم وأصلح بالكم من حضرة مراكش حرسها الله بعد أن نمى إلينا وتقرر لدينا أن الحهول ابن اضحى أجهل بأحكام القضاء من العلجوم ، إذ قد أظهر فيكم أحكاماً يترحم فيها على سدوم ، وقد جعلنا شهب العزلة لشياطينه كالرجوم ، وقلدناه خطة الشوم ، ونبذناه دون أن تدركه نعمة من ربه بالعراء وهو مذموم . . »(٢) وكذلك أرسل أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين رسالة يوضح فيها أسباب عزله لقاضى فاس ابن الملجوم سنة ٢٥هه / ١١٣٣م (٣).

⁽۱) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ۲۹۱ .

⁽۲) احمد بن محمد : اخبسار وتراجم انداسسية ص ۷۸ ، ۷۹ عت د. احسان عباس بيروت ط ا سنة ۱۳ .

⁽۳) ابن عـــــذارى : البيـــان المغرب ج ٤ ص ٩٢ ت د . احسان عبـــاس .

ب ـ الظالم

أسهم نظام القضاء في المغرب الأقصى منذ قيام دولة المرابطين في إقرار العدل بين الرعية ، وشارك القضاء في تحقيق هذه الغاية نظام ولاية المظالم وهو لون من ألوان القضاء تمترج فيه سطوة السلطان بنصفة القضاء (١) وبعبارة أخرى هو نوع من القضاء العالى ابتكره الإسلام (٢) ويشبه في وقتنا الحاضر مجلس الدولة أو المحاكم العليا (٣) وكان الهدف من هذا النظام هو تحقيق ما يعجز القضاء عن تحقيقه من أوجه العدل ورد الحقوق إلى أصحابها ومن ذلك محاكمة أصحاب النفوذ في المجتمع أو الولاة أنفسهم أو عمال الدولة من الموظفين إذا اعتدوا على الناس (٤) ولذا كان لمن يتولاها سلطات أوسع من سلطة القاضي.

وفى دولة المرابطين كانت ولاية المظالم من اختصاص أمير المسلمين أو نائبه أو قاضى الحاعة الذي كان يتعين عليه أن ينصف الناسمن ظلم الولاة (°) وقد باشر الأمير تاشفين بن على بن يوسف ولاية المظالم بنفسه حين تولتي إمارة غرناطة في سنة ٢٧٥هم / ١١٢٨م وفي ذلك يقول ابن الخطيب، وواصل أي تاشفين بن على – الحلوس للنظر في الظلامات وقراءة الرقاع ورد الحواب وكتب التوقيعات، (١) وكذلك حين تولتي الوزير اسحق بن ينتيان بن عمر بن ينتيان وزير أمير المسلمين على بن يوسف منصب الوزارة ، قام بالنظر في المظالم والشكايات (٧).

حتى إذا قامت دولة الموحدين ، اهتم خلفاء الموحدين بولاية المظالم وكانوا

⁽۱) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ٧٨ د. عطية مشرفة : القضاء في الاسلام ص ١٧١ .

⁽٢) د. الريس : النظريات السايسية ص ٢٠٦ .

⁽٣) د. صبحى الصالح : النظم الاسلامية ص ٣٢٥ .

⁽٤) د. الريس: النظريات السايسية من ٢٠٦.

⁽٥) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢١٨ .

⁽١) ابن الخطيب : الاحاطة المجلد الأول ص ١٥٨ ت عنان .

⁽V) ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ٦١ .

J.F.P. Hopkins; Medieval Muslim P; 143

يخصصون لها أياماً معلومة من الإسبوع بجلسون فيها إلى الرعية لبحث ظلاما بهم (١) فَالْحَلَيْفَةُ عَبِدُ الْمُوْمَنِ بن على حَيْنُ تُوجِهُ إِلَى جَبِّلَ طَارَقَ سَنَةً ٥٥٥ه / ١١٩٠م لبحث أمور الأندلس مع الأشياخ والقادة ، وفي خلال إقامته التي استمرت شهرين كان ينظر في المظالم ويقضى فيها^(٢) ولم يكن الخليفة عبد المؤمن في خلال محثه ظلامات الناس يتوانى عن توقيع أقسى العقوبات وأشدها على من تثبت إدانته فقد بلغه أن رجلا من التجار ببجاية فقد كمية من بضاعنه فاستدعى التاجر ولما وصل باب قصر الخلافة وجد حماعة كبىرة من المصامدة، وقد التف حولهم الحرس بالرماح المشرعة فلما استفسر الرجل عن ذلك قيل له هم أهل المكان الذي أخذ متاعك منه ، قال التاجر : فدخلت وأنا خائف و جلست بين يدى الحليفة واستدعى مشايخهم وقال لى: كم تكون قيمة بضاعتك؟ فقلت كلَّا وكذا فأمر لى بالمبلغ وقال لى : قم أنت أخلت حقك وبتى حتى وحق الله عز وجل وأمر بآخراج المشايخ وُقتل الحميع ، وقال : هذه طريق شوك أزيلها عن المسلمين ، فأقبلوا يبكون ويتضرُّعون ويقولون: يوُّ اخذ سيدنا الصلحاء بالمفسدين فقال : تخرج كل طائفة منكم من فيها من المفسدين، فصار الرجل يخرج ولده وأخاه وابن عمه إلى أن اجتمع نحو خمسائة فأمر اهلهم أن يتولوا قتلهم ففعلوا ذلك(٣) وهذه الحادثة وإن كان يبدو فيها نوع من المبالغة من حيث حجم من نفذت فيهم العقوبة إلا أنَّها تشير إلى مدى حرص الحليفة عبد المؤمن ، على إرجاع الحقوق إلى أصحامها .

وكذلك الخليفة المنصور الموحدى مارس مهام الوظيفة بنفسه فقد كان يقعد للعامة ولا محجب عنه أحداً من صغير ولا كبير (٤) فأقبل الناس على الخليفة يعرضون عليه ظلاماتهم وشكاواهم حتى اند س في هولاء المشتكين من ليس له حتى وقد صور ذلك ابن عدارى بقوله «كان ـ أى المنصور

⁽۱) محمد المرير : الأبحاث السامية جـ ۲ ص ٣٥ ، حسركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٣٩ ، عبد الله كنون : مدخل الى تاريخ المغسرب ص ١٩٤ م.

⁽۲) عنان : عصر المرابطين والموحدين : التسم الأول ص ٣٨٥ ، ٣٨٦

⁽٣) محمد المرير: الأبحاث السامية جـ ٢ ص ٣٥ ، ٣٦ ،

⁽٤) المزاكشي : المجب ص ٢٨٥ .

الموحدي ـــ ابتداء جلوسه غرة رجب سنة ثمانين المذكور ـــ أي سنة ٥٨٠هـــ في المسجد الحامع المحاور لقصر الحجر أياماً من صلاة الضحى إلى قرب الزوال مع تأنيس الحصوم لاستدعاء ما لديهم من الأموال ، فارتاع الأعيان من حضور ذلك المقام لما فيه من هجوم وخجل وضيق محال المقام ، وتطرّق إلىهم السفتال وأغرموهم حملة الأموال وكل من ادعى شيئاً بشبهة أو دعوى صُولُح مَا يرضيه دفعاً للبلوى ، قال يوسف بن عمر ولقد حضرت لأناس من السوقة والتجار ادعوا على السيد أبى زيد فمنهم من قال : أهديت له فرساً وآخر جارية وشتى دعاوى فكل أرضاه ووفى له ما ادعاه ١١٥ فلما كثرت دعاوى الناس وكانت بعض هذه الدعاوى يسرة ولا تستحق عرضها على الخليفة ، خصص أياماً معلومة وقضايا معينة لا يفصل فها غيره « فقد اختصم إليه رجلان فى نصف درهم فقضى بينهما وأمر الوزير أباّ يحيي صاحب الشرطة أن يضربهما ضرباً خفيفاً تأديباً لهما ، وقال لهما : أما كَانَّ في البلد حكام قد نصبوا لمثل هذا ؟ فكان هذا أيضاً مما حمله على القعود في أيام مخصوصة لمسائل مخصوصة لا ينفذها غيره(٢) » حتى إذا كثر تزاحم الناس في تلك الأيام المخصوصة ، وكان بعضهم يذهب إلى هذه المحالس لروية السلطان لا للوصول لحق واجب امتنع الحليفة عن الحلوس للعامة ^(٣) ولم يكن تولى المنصور الموحدى ولاية المظالم في العاصمة فقط ، بل كان يتلتى الشكاوى في أسفاره ويبحثها ويصدر حكمه فيها فحين استراح الحليفة بمدينة فاس أثناء توجهه إلى غزو قفصة سنة ٥٨٢ ه / ١١٨٦ م اشتكى بعض الناس من أن أبا القاسم بن الملجوم بني غرفة في داره يشرف منها على بعض جبرانه، وجعلها متنزهاً له ولإخوانه فأمر الحليفة بعض أعوانه ببحث ذلك فأخبروه أنها لا تشرف إلا على صحن حمام وسطح بعض أقوام ، فأمر المنصور بهدمها وتغيير رسمها^(٤) وهكذا ساهم خلفاء الموحدين في أقرار العدل بن الناس حين تولوًا خطة المظالم .

⁽۱) ابن عذارى : البيان المفرب ج ٤ ص ٨٠ ، ٨١ تطوان .

⁽١٢) الراكثي : المجب ص ٢٨٥ .

⁽٣) ابن عذاري : البيان المغرب جـ ، ع من ٨١ تطوان .

⁽٤) ابن هذاري : البيان المغرب جـ ٤ ص ١٠٣ تطوان .

طريقة التقاضى أمام والى المظالم واختصاصاته:

كانت للقضايا والشكاوى التي تعرض على ولاة الأمر بالمغرب الأقصى أيام محددة بجلس فيها الخليفة أو الوالى لبحث هذه المظالم فالمنصور الموحدي بعد أن كان يجلس معظم الآيام ، خصّ أياماً محددة لبحث هذه الشكاوي(١) إما إذا كان الموظف المستول عن خطة المظالم مختصاً بهذه الوظيفة فقط فانه بجلس في حميع الأيام (٢) أما المكان الذي تبحث فيه الشكاوي فكان المسجد ألحامع حيث آتخذ المنصور الموحدي مجلسه في المسجد الحامع المحاور لقصر الحُجّر (٣) أو المقر الذي ينرل فيه الحليفة حين يكون على سفر (٤) .

أما كيفية توصيل الظلامة إلى الخليفة أو الوالى فذلك عن طريق عرض الشكوى والتظلم أمامه وربما لا يتيسر للمتظلم الوصول إلى مقر الحليفة ، فيكتنى بالقاء مظلمته على مصلى الخليفة وذلك ما فعلته الشلبية حنن تظلمت من عمال بلدها . يقول المقرى « ومنهم الشلبية قال ابن الآبار : ولم أقف على التمها ، وكتبت إلى السلطان يعقوب المنصور تتظلم من ولاة بلدها وصاحب خراجها:

يا قاضي المصر السذي يرجى به إن قدر الرحمسن رفع كراهية ناد الأميسر إذا وتفت ببساء يا راعيسا إن الرعيسة فانيسة

فيقال أنها ألقيت يوم حمنة على مصلى المنصور ، فلما قضى الصلاة وتصفحها بحث عن القضية فوقف على حقيقتها وأمر للمرأة بصلة »(°).

وكانت المحكمة التي تعقد لبحث المظالم تتكون من خمس حماعات :

الأولى : الحياعة والأعوان للتغلب على من تحدثه نفسه بالالتجاء إلى القوة ا والثانية : الحكام ليرَّدوا الحقوق إلى أصحابها .

والثالثة : الفةيهاء للتشاور معهم .

 ⁽۱) المراكشى : المعجب ص ۲۸۵ .
 (۲) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ۸۰ .

⁽٣) ابن عذاری : البیان المغرب ج ٤ ص ٨٠ تطوان ٠

⁽٤) نفس المرجع السابق ج ٤ ص ١٠٣ تطوان .

⁽٥) المقرى: نفح الطيب جـ ٦ ص ٢٩ ، ٣٠٠

والرابعة : الكتّاب لتدوين ما حدث أثناء الحلسة . والخامسة : الشهود الذين يشهدون بأن ما أصدره القاضى من الأحكام لا ينافى الحق والعدل (١).

وقريباً من هذا التنظيم الذي أشار إليه الماوردي ، كان تنظيم محكمة المظالم بالمغرب الأقصى في عهد الموحدين فقد أورد محمد المرير نظام المحكمة بقوله وجرت عادة من له ظلامة أن يرتقب السلطان في ركوبه في موكبه يعني يوم جلوسه للمظالم فاذا اجتاز به السلطان صاح من بعد لا إله إلا الله ، انصر في نصر ك الله ، فتو خد قصته ، وتدفع لكاتب السر ، فاذا عاد جلس في قبة معينة لحلوسه وبجلس معه أكابر أشياخه مقلدين السيوف ويقف من دونهم على بعد مصطفين متكثين على سيوفهم ويقرأ كاتب السر قصص أصحاب المظالم وغيرها فينظر فيها بما يراه »(٢) .

أما بالنسبة لاختصاصات صاحب المظالم فمتعددة ومتنوعة وبمكن إجمالها فيها يلى : النظر فى تعدى موظنى الدولة على الرعية وتوقيع العقوبة عليهم ورد الحقوق لأصحابها مع إشرافهم على الأوقاف العامة وإقامة الشعائر والعبادات وأخيراً تنفيذ الأحكام التى يعجز القضاة العاديون عن تنفيذها (٣) .

وبتأمل الاختصاصات السابقة نجد أن معظمها يتعلق بتلك القضايا الناشئة عن ظلم السلطة الحاكمة لبعض أفراد الرعية ، والتي تحتاج للبت فيها إلى نوع من القضاء تتوفّر فيه الهيبة والسلطان كأن يكون الخليفة نفسه أو من ينوب عنه وهذا تضطلع به وظيفة المظالم .

ج _ الحسبة

لعبت وظيفة الحسبة دورها بجانب وظيفتى القضاء والمظالم فى إقرار الحق والعدل بين الناس فى المغرب الأقصى ، والحسبة من الوظائف الدينية

⁽۱) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ٨٠ ، د. عطية مشرفة : التضاء في الاسلام ص ١٧٥ .

⁽۲) محمد المرير : الأبحاث السامية ج ۲ ص ۳۹ ، ۶ . (۳) نفس المرجع السابق ج ۲ ص ۲۳ ، ۲۶ ، الماوردى : الاحكام السلطانية ص ۸۰ ، ۸۳ ، ۸۰ ، ۳۲۵ ، ۳۲۵ ، ۳۲۰ ، ۳۲۰ .

من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (١) وهي بذلك معاونة للقضاء إذ هي تسهر على تنفيذ القوانين المتعلقة بالمصالح والآداب العامة ، وتعمل على حماية الحمهور من الغش والاستغلال (٢) ولارتباطها مجاية الحاهير فإن لها صلة وثيقة بالشرطة حيث يعد المحتسب الشرطى المسئول عن الأسواق والآداب العامة (٣) وقد حدد العلماء شروطاً لابد من توفرها فيمن يضطلع بالقيام بوظيفة الحسبة ومنها أن يكون فقيها عارفاً بأحكام الشريعة حراً عدلا ذا صرامة وخشونة في الدين ، غنياً نبيلا ، فطنا لا يميل ولا يرتشى (٤) وحتى يودى المحتسب واجبه على خير وجه فله أن يتخذ الأعوان والغلمان (٥) وهولاء يكونون المحتسب واجبه على خير وجه فله أن يتخذ الأعوان والغلمان (٥) وهولاء يكونون قالوب العامة (٢).

وقد أغفلت المراجع – التى تيستر لى الإطلاع عليها – الأخبار عن المحتسبين بالمغرب الأقصى فى عهد المرابطين سوى ما ذكرته عن داعية المرابطين عبد الله بن ياسين وقضائه على وسائل اللهو وحرقه متاجر الحمر فى مدينة سحلاسة (٧) ويبدو أن البساطة الصحراوية لازمت المرابطين حتى بعد أن كونوا دولة قوية فلم يحفلوا بالتأليف واعتمدوا فى تغيير المنكر والأمر بالمعروف فى الأسواق والطرقات والأماكن العامة على كتب الفروع القديمة وعلى الذوق

Nevill Barbour: Morrocco, P 50

⁽۱) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ٢٤٠ ، ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ٣٢٥ ، د. أحمد شلبى : السياسة والاقتصاد ص ١٧٠ .

⁽٢) د. الريس : النظريات السياسية ص ٢٠٩ .

⁽٣) د. أحمد شلبى : السياسة والاقتصاد ص ١٧٠ .

⁽٤) الشيزرى: نهاية الرتبة ص ٦ ت د. الباز العرينى سنة ٢٦ المالوردى: الأحكام السلطانية ص ١٤ ، ابن عبدون: رسالة في الحسبة ص ٢٠ ، د. عطية مشرفة: القضاء في الاسلام ص ١٧٩ ، محمد المرير: الابحاث السامية ج ٢ ص ١١٥ .

⁽٥) الشيزرى : نهاية الرتبة ص ١٠ ، ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ٢٢٥ .

⁽٦) الشيزرى : نهاية الرتبة ص ١٠٠

۲۰ ابن أبى زرع : الأنيس جـ ۲ ص ۲۰ .

وقوة الشعور الديني (١).

وقد مارس ابن تومرت داعية الموحدين خلال رحلة العودة إلى المغر ب الأقصى وظيفة المحتسب حيث قام بإهراق الخمر التي وجدها بمدينة ملالة يقول البيذق ٥ فلما كان في بعض الآيام دخل المدينة ــ أي دخل ابن تومر ت مدينة ملالة ــ حتى وصل البحر فأهرق بها الخمر وقال المؤمن تمـّار والكافر حمار . . . وقالوا له من أمرك بالحسبة فقال الله ورسوله ثم رجع إلى المسجد المذكور، (٢) كذلك حين وصل فاس واستقر بها بعض الوقت مارس وظيفة المحتسب حيث هاجم هو وتلاميذه حوانيت اللهو ، وقام بتكسير آلات اللهو والطرب(٣) يقول ألبيذق « فخرجنا السبعة ـــ أى ابن تومرت وتلاميذه ـــ وأقبلنا بسبعة مقارع من ذكار (التين) فقالوا لنــا اخفوا مقارعكم وسرنا معه ولا علمنا أين نتوجه حتى وصلناً زقاق بزقالة قال لنا تفرقوا على الحوانيت وكانت الحوانيت مملوءة دفوفآ وقراقر ومزامير وعيدانآ وروطآ وأرببه وكيتارات وحميع آلات اللهو ، فقال لنا المعصوم اكسروا ما وجدتم من اللهو فقام أربامها بالصراخ وساروا شاكين نحو قاضيهم ابن معيشة ، وكان يومئذ قاضها فقال لهم لولا ما أرى في السنة فما كسرها ومزقها مروا فانكم مخالفون للحق(⁴⁾ ، حتى إذا قامت دولة الموحدين برزت وظيفة المحتسب في أكثر من خبر ، فالمنصور الموحدي كان محاسب أمناء الأسواق في كل شهر مرتن يقول المراكشي « وكان ــ أي المنصور الموحدي ــ قد أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين ، يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم، (٥) وأمناء الأسواق كانوا من أعوان المحتسب(٢) كذلك أشار التادلي إلى أن قاضي مراكش أبا يوسف حجاج بن يوسف استدي

⁽۱) موسى لقبسال : الحسبة المذهبية في بلاد المفسرب : نشساتها ونطورها ص ۶۹ ط ۱ سنة ۷۱ الجزائر .

⁽٢) البيذق: أخبار المهدى ص ٥٣ .

⁽٣) نفس المرجع السابق ص ٦٤ ، ٦٥ ، د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٧٧٦ .

⁽١) البيذق : اخبار المهدى ص ١٦ ، ٦٥ .

⁽٥) الراكشي : المجب ص ٥٨٥ ٠

⁽٦) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٣٩ ٠

أحد الصالحين من فاس وهوعبد الملك مروان بن عبد الملك اللمتوني والمتوفى سنة ٧١ه هـ / ١١٧٥ م أو سنة ٧٧٥ هـ / ١١٧٦ م ليتولى وظيفة الحسبة يقول التادلي ﴿ حدثني الثقة أن مروان بعث إليه القاضي أبو يوسف حجاج بن يوسف أن يصل من ماس ليقدمه على خطة الحسبة عراكش »(١) كذلك أشار التادلي إلى تولى" أحد الصالحين وظيفة الحسبة بمدينة داي وكراهيته لذلك يقول التادلي «ومنهم أبويعقوب يوسف بن على المؤذن من أهل داى وبها مات في رمضان عام سُبعة وخمسن وخمسهائة ، كان عبداً صالحاً ورعا كثير البكاء . . وأكره على ولاية الحسّبة ببلد داى ، فلخل على أهله وهو يبكّى ويقول : لو أراد الله بى خيراً ما عرفنى أحد فامتنع من أكل اللحم من السوق إلى أن أعنى من تلكُ الولاية ٣(٢) وقد ترجم ابن القاضي لأحد الصالحين وهو ميمون بن على من مدينة فاس وكيف أنه تولى حسبة الطعام بمراكش (٣) .

وجدير بالملاحظة أن الفقر في تأليف كتب عن الحسبة في عصر المرابطين سرى أيضاً إلى عصر الموحدين بالرغم من وجود وظيفة المحتسب في دولة الموحدين ، وربما كانت هناك مؤلفات وضاعت ، أو أن الموحدين انصرفوا عن التأليف في الموضوع لأنه ارتبط في الأذهان بالمذهب المالكي وبأمهات فروع الفقه وكانت محل مقت وإنكار من الموحدين الذين رفعوا لواء فكرة الرجوع إلى الأصول الحقيقية للتشريع الإسلامي (٤).

وقد أشارت المراجع إلى اختصاصات المحتسب وتنوّعها وتعددها فمنها ما يتصل بالنواحي الدينية كأن يأمر العامة بالصلوات الخمس وإقامة صلاة الحمعة والحاعات (°) ومنها ما يتعلق بالآداب العامة كمراقبة الحامات ومراقبة النساء في الأفراح والمآتم والحبانات وتأديب المحاهرين بالمحرّمات من شرب الحمر والزني والفواحش وكسر آلات الملاهي(١) ومنها ما يتعلق بالناحية

⁽۱) التادلي : التشوف ص ۲۲۳ ه

⁽۲) التادلي : التشوف من ۱۶۲ ، ۱۶۷ . (۳) ابن القاضي : جذوة الانتباس من ۲۰۹ ، ۲۱۸ .

⁽٤) موسى لتبال : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب ص ٤٩ .

⁽٥) ابن تيمية : الحسبة في الاسلام ص ٩ ، ١٠ ، ١١ ٠

⁽١) د. احمد شطبي: السياسة والاقتصاد ص ١٧١ ، روجيه لوتورنو : ماس في عصر بني مرين من ٢٥ ، محمد المريد : الابحسات السامية جـ ٢ ص ١٠٣ .

الاقتصادية والمعاملات من بيع وشراء كمراقبة للموازين والمكاييل ومراقبة الأسواق وما فيها من أنواع المتاجر المختلفة (۱) ويضاف إلى هذه الاختصاصات حقه في الإشراف على التعليم والمعلمين واختيارهم ومنعهم من إيذاء المتعلمين (۲) وحتى يتمكن المحتسب من ممارسة هذه الاختصاصات فقد منح السلطة اللازمة في توقيع العقوبات على المذنبين فكان من حقه أن يطرح الشيء المغشوش أو يتلفه أو إهانة الحاني وتوبيخه ، وكذلك نفيه من السوق ، أو رفع يد الحاني عن الصنعة ، وكذلك سعنه أو ضربه (۳) وبهذه الاختصاصات والسلطات استطاع المحتسب أن يؤدي دوره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

⁽۱) ابن خلدون : متدمة ابن خلدون ص ۲۲۵ ، د، احمد شلبى : السياسة والاقتصاد ص ۱۷۱ ، محمد الرير : الأبحاث السامية ج ۲ ص ۱۱۸ .

⁽۲) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ۲۲۵ ، محمد الرير : الأبحاث السامية ج ۲ ص ۱۰۳ ،

د، ماجد : الحضارة الاسلامية ص ٥٦ .

⁽٣) ممحد المرير: الأبحاث السامية ج ٢ ص ١٢٢٠.

الباب البالث النالي المالية المحياة الاقتصادية

الحياة الاقتصادية:

شهد المغرب الأقدى فترة من الازدهار الاقتصادى منذ أن تأسست على أرضه دولة المرابطين وحتى نهاية حكم الناصر الموحدى ، حيث حرص أمراء المرابطين وخلفاء الموحدين على النهوش بالمنطقة في شتى المحالات زراعية كانت أم صناعية أو تجارية ، وعتم الرخاء السكان وارتفع الدخل المالى للبلاد نتيجة لتلك المساحات الكبرة التي كانت تجبى منها الأموال للحكومة المركزية في العاصمة مراكش ومن ثم رخصت الأسعار ، وقد عتر ابن أبي زرع عن الرخاء الذي كانت تتمتع به البلاد في عهد المرابطين بقوله « وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعانية وأمن ، تناهى الفمح في أيامهم إلى أن بيع أربعة أوسق بنصف مثقال ، والثمار ثمانية أوسق بنصف مثقال والقطاني لا تباع ولا تشترى ، كان ذلك مصطحباً بطول أيامهم . . . وكثرت الحيرات في دولتهم وعمرت البلاد ووقعت الغبطة ولم يكن في أيامهم نفاق ولا قطاع ولا من يقوم عليهم »(١) فهذا الأمن والاستقرار الذي عاشته البلاد في ظل المرابطين أسهم في دفع عجلة الاقتصاد بالبلاد اذ جعل السكان ينصرفون إلى العمل والإنتاج .

وكنموذج لازدهار مدن المغرب الأقصى ، أشار ابن غازى إلى أوضاع مدينة مكناسة فى عهد المرابطين حيث قال « وكانت هذه المواضع كلها فى غاية من الخصب – أى أحياء مدينة مكناسة – وكثرة المياه والأشجار وكان أهلها آمنين مطمئنين فى عيش رغد و نعمة منذ ملك أمراء المسلمين بنو تاشفين بلاد المغرب ، وأخمد الله تعالى بسيوفهم نار الفتنة البربرية فانقطعت مطامع رءوس النفاق من بربر المغرب (٢) » و نتج عن هذا الأمن والاستقرار كثرة الأموال و تو فر المحصولات و صارت رخيصة الثمن بأسعار زهيدة (٢)

وامتد هذا الرخاء إلى عصر الموحدين حيث شهدت البلاد ازدهارآ اقتصادياً ورخاء في عهد خلفائها حتى حكم الناصر الموحدي سنة ٢١٠ هـ.

⁽۱) ابن أبى زرع: الأنيس ج ٢ ص ٩٤ ت الفيلالي .

⁽۲) ابن غازی : الروض الهتون ص ۵ .

Soctt: History of Moorish Empire V 2 P 239-240 (7)

۱۲۱۳م وقد أشار المراكشي إلى مدى الرخاء والازدهار الذي كانت تنعم به البلاد في عهد الحليفة يوسف بن عبد المؤمن بقوله و ولم تزل أيام أبي يعقوب هذا أعياداً وأعراساً ومواسم كثيرة خصب ، وانتشار أمن ، ودرور أرزاق ، واتساع معايش ، لم ير أهل المغرب أياماً قط مثلها ، واستمتر هذا صدراً من إمارة أبي يوسف » (۱) واستمرت فترة الرخاء والازدهار بالبلاد في عهد المنصور الموحدي نتيجة للأمن والاستقرار الذي عاشته المنطقة في عهده حتى النطعنية كانت تخرج من بلاد نول لمطة حتى تصل إلى برقة وحدها لا ترى من يعارضها ولا عسمها بسوء (۲) .

هذا الرخاء الذى شهدته المنطقة منذ قيام المرابطين وحتى حكم الناصر الموحدى كان ناتجاً عن إدارة مالية منظمة فضلا عن إزدهار زراعى وتقدم صناعى ونشاط تجارى .

⁽١) المراكشي : المعجب ص ٢٥٦ .

⁽۲) ابن أبى زرع: الأنيس ص ۱۵۷ طبع حجر ، السلاوى ، (۲) ابن أبى زرع: الأنيس ص ۱۵۷ طبع حجر ، السلاوى ، الاستقصا ج ۲ ص ۱۹۸ ، ابن أبى دينار: المؤنس ص ۱۱۶ ، Budgett Meakins; The Moorish Empire, P; 78

الفصل الأولت النظام المالي

ساهم النظام المالى فى استقرار الأوضاع الإقتصادية بالبلاد وكان النظام المالى وما تضمنه من إدارة مالية مع سياسة مالية خاصة بالمصادر التى تجبى منها الأموال ، وموازنة ذلك بالنفقات التى كانت تشمل أوجه الإنفاق المختلفة وإصدار عملات نقدية تنتظم بها المعاملات بين السكان ، كان لذلك كله أثر كبير فى دفع عجلة الإقتصاد بالبلاد ، إذ أن تنظيم علاقة السكان بولاة الأمر من الناحية المالية ومعرفة كل مواطن ما له وما عليه مما يبث الثقة والطمأنينة فى النفوس وبالتالى يدفعها للعمل والإنتاج فى ظل مبادئ وقوانين يخضع لها الحميع .

أولا: الادارة المالية

حرص ولاة الأمر منذ أن تأسست دولة المرابطين على تنظيم الشئون المالية وفى مقدمة ذلك إعداد الحهاز الذي يتولى النظر في النواحي المالية .

(١) الدواوين المالية:

ومن الخطوات الأولى التي اتخذها يوسف بن تاشفين بنائه لقصبة صغيرة لخزن الأموال والسلاح (٢) ، حتى إذا استقرت الأوضاع واتسعت أعمّال الدولة نرى يوسف بن تاشفين يدوّن الدواوين ، يقول ابن عدارى « فدوّن يوسف – أى يوسف بن تاشفين سنة ٤٦٤ هـ – الدواوين ورتب الأجناد وطاعته البلاد » (١) ومن هذه الدواوين تلك المتعلقة بالشنون المالية و هي:

⁽١) أبن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٣٤٣ .

ه ديوان الغنائم ونفقات الحند ، وديوان الضرائب ، وديوان الحباية و ديوان مراقبة الدخل والحرج ١٥٠٠) .

فاذا ما انتقلنا إلى الدولة الموحدية ، وزادت الأقاليم التابعة للمغرب الأقصى مع انساع في النشاط العسكرى كانت هناك الإدارة المشرفة على النواحي المالية من جباية وإنفاق ، وظهر في هذه الفترة ديوان لم يكن موجودًا" من قبل وهو دبوان التميير ، وكان مختص بالمتطوعين للحملات العسكرية حيث تكتب أسماوهم في سحلات حتى يتقرر لهم العطاء اللازم .

وكماكانت هناك دواوين للمال بالعاصمة، كان هناك ديوان مالى بكل إقليم نختُّص بما ليته كديوان المال بمدينة سبتة حيث أشار أبو عبد الله محمد مؤلفٌ ألحلل السندسية إلى وصول المملوك ناصح صاحب ديوان المال بسبته بالهدايا العظيمة إلى الناصر الموحدي سنة ٢٠٢ هـ / ١٢٠٥ م(٢) .

ويبدو أن الموحدين قد أفردوا داراً أطلق علما دار الإشراف : ويرجح أنها كانت خاصة بالإشراف على النواحي المالية إذ اشتق منها كلمة المشرف وهو من الموظفين المشتغلين بالشئون المالية في دولة الموحدين ويدعّم هذا الترجيح ما ذكره المؤرخون من أخبار عن دار الإشراف واتصالها بشئون المال ومن ذلك تلك الرواية التي وردت عن المتصوف أبي العباسي السبتي والمتوفى بمراكش سنة ٢٠١ ه فحن نزل قحط بأهل مراكش ، توجّه إلى دار الإشراف وكان النظر فها لأبى محيى أنى بكر بن يوسف الكومي وطلب منه معونة ورفض أبى محيى ُّذلكْ فَدْعًا عَلَيه فعزل بعد ذلك (٣) وكان لدار الإشراف مسئول كَأْنِي عَمران موسى والذي ترجم له ابن سعيد بقوله : ابو عمران موسى بن عيسى بن المناصف : ولى دار الاشراف عمراكش فى مدة الناصر » (٤) كذلك كانت هناك دار للإشراف بفاس ، فالناصر الموحدي

⁽۱) الجرارى : تتدم العرب في العلوم والصناعات ص ۱۵۳ . (۲) أبو عبد الله محمد : الحلل السندسية في الاخبار التونسية

⁽٣) عباس المراكشي : الأعلام جد ١ ص ٢٥٧ .

⁽٤) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب جد ١ ص ١٠٧ ت د. شوتي ضيف سنة ١٩٥٣٠ .

حين واجه إرتفاعاً في الأسعار وقلة الأقوات في أثناء توجهه إلى الأندلس سنة ٢٠٧ه ه / ١٢١٠م وتأكد أن ذلك نتيجة إهمال عماله ، أرسل الشيخ أبو محمد بن أبي على مثنى صاحب الأعمال المخزنية لمحاسبة عامل فاس عن ذلك الإهمال ، فتوجه الشيخ أبو محمد إلى هناك وفاجأ العامل بدار الإشراف وألى القبض عليه (١) ومن هذه الاشارات المختلفة يرجت أن دار الإشراف كانت خاصة بما يتعلق بالشئون المالية .

(٢) المستغلون بالشئون المالية:

وكان المشتغلون بالشئون المالية في الدولة المرابطية الكتاب وهم يتومون بتدوين النواحي المالية المختلفة والعمال اللين يقومون بجبايتها ، وقد استخدم أمير المسلمين على بن يوسف الروم في جباية الأموال يقول ابن الخطيب « وهو أي على بن يوسف بن تاشفين – أول من استعمل الروم بالمغرب وأركبهم وقد مهم على جباية المغارم » (٢) وقد ذكر النويري وابن الأثير أن جباة الأموال في عهد على بن يوسف كانوا من الفرنج والروم (٣) وربما كان هذا الاجراء راجعاً إلى أن والدة على بن يوسف كانت أم ولد رومية (١) فتأثير بنشأته الأولى مع كثرة تردد أمير المسلمين على الأندلس في حملاته العسكرية يضاف إلى ذلك ما أثبته هو لاء الحباة من دقة في جمع الأموال ،

فاذا ما انتقلنا إلى الدولة الموحدية وجدنا اشتغال الوزراء والكتاب بالأعمال المالية في عهد عبد المؤمن ويعاونهم الأمناء في حمع الأموال ، فبعد أن فتح الحليفة عبد المؤمن مدينة مراكش أرسل أمناءه إلى المدينة لحصر أموالها يقول البيدق « وأرسل الأمناء – أي أمناء الموحدين بعد فتح مراكش – إلى المدينة مع الوزير وكان السبي يضمون للمخزن أنماه الله ما كان من الحلي والسلاح وما كان بالمدينة كلها رفع للمخزن وابتيع النساء ، ورجع كل شيء

⁽۱) ابن عذاری : البیان المغرب ج ٤ ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ تطوان .

⁽٢) ابن الخطيب :الحلل الموشية ص ٦١ ، ٦٢ .

⁽٣) النويرى : نهاية الأرب ج ٢٢ مجلد ٢ صن ٨٥ ، ابن الأثي : الكلمل في التاريخ ج ٨ ص ٢٩٦ .

⁽٤) ابن أبى زرع: الأنيس ج ٢ ص ٧٨ ت النيلالي ٥٠٠٠

إلى المخزن » (١) كذلك حين استولى الخليفة عبد المؤمن على مدينة تونس سنة ١١٤٨ / ١١٤٨ م واستلم المدينة أرسل أمناءه لاقتسام أموال أهلها (٢).

ثم تطورت الوظائف المالية واتضحت صورتها ، وصار هناك وزير مسئول عن الشئون المالية في الدولة يطلق عليه صاحب الأشغال وقد أشار ابن خلدون إلى مهمته « وأما في دولة الموحدين فكان صاحبها – أي صاحب الأموال والحراج – إنما يكون من الموحدين يستقل بالنظر في استخراج الأموال وجمعها وضبطها وتعقب نظر الولاة والعمال فيها ثم تنفيذها على قلرها وفي مواقيتها وكان يعرف بصاحب الأشغال (٣) ، وكان صاحب الأشغال يتمتع بمكانة ممتازة نظراً للعمل الذي يقوم به ، وقد أشار المقسّري إلى أهمية مكانته بالأندلس قائلا « وصاحب الأشغال الحراجية في الأندلس أعظم من الوزير ، وأكثر أتباعاً وأصحاباً وأجدى منفعة فإليه تميل الأعناق ونحوه تمد الأشخال رؤساء الدواوين المالية بالدولة وهم :

١ – صاحب ديوان الأعمال المخزنية : الذي يراقب إيرادات الدولة ويشرف على الدخل والمنصرف ويراقب العال والمشرفين ويحاسبهم (٥) وكان يعاون صاحب ديوان الاعمال المخزنية المشرفون وقد ذكر ابن الخطيب وجود مشرف بمدينة فاس في حهد المرابطين وهو غير الوالى ، يقول ابن الخطيب لا كان عبد المومن يريد أن يدخلها ... أي مدينة فاس بعد أله حاصرها حصاراً شديداً ... فوقف له أهل فاس على متهدم السور وقاتلوه من خارجها ، ولما طال عليهم الحصار وجه الجيائي مشرفها في خفية لعبد المؤمن فأمنه وأدخله من باب الفتوح وذلك أن واليها من المرابطين طلبه في مال وضيق عليه فلم

⁽۱) البيدق: اخبار المهدى ص ١٠٥ ، ١٠٦ ٠

⁽٢) النويرى : نهاية الأرب جـ ٢٢ مجلد ٢ ص ٩٥ ، أبو عبد الله محمد : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ص ٢٥٠ .

⁽٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ٢٤٥٠

⁽٤) المترى : نفع الطيب جرا ص ٢٠٢٠

⁽٥) عنان : عصر المرابطين والموحدين التسم الثاني ص ١٢٣ ، د. عبد الله على : الدولة الموحدية بالمغرب في عهد المؤمن بن على ص ٢٦٤ دار المعارف سنة ٧١٠ .

يكن في وسعه من أن يعطيه فحين بدأ عمل الحيلة في دخول عبد المؤمن وخرج صاحبها عنها (١) ومن هذا النص يتضح أن المشرف غير الوالى ، وأن الوالى طلب مالا من المشرف فرفض ، ويبدو أن وظيفته كانت الإشراف على العوائد والمكوس(٢) وقد أشار التازى إلى وظيفته بقوله و المشرف بالأسبانية Almojarife كان هو الذى يتوصل بكل الواجبات والحقوق اللازمة عند الإيراد والإصدار للسلع فهو بمثابة المفتش العام للديوانة (٣) وكانت المدن المغربية الأخرى بها مشرفون كتلمسان ومكناسة وتازا(٤) كما أن ابن عدارى أشار إلى وفاة ابن مثنا المشرف بافريقية سنة ٧٩٥ ه / ١١٨٧ م (٥).

وكان المشرف بدوره يعاونه مجموعة من العمال أولهم خازن المال ، والآخر خازن الطعام ، وقد أشار إلى ذلك ابن عدارى حين ذكر معاقبة الحليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة ٧٩ه ه / ١١٨٣م لمشرف فاس وهو عبد الرحمن بن يحيى ومعاونيه من العال يقول ابن عدارى و ثم قبض — أى الحليفة يوسف بن عبد المؤمن — على سائر العال وكان عددهم ثمانية عشر عاملا أولهم مشرف فاس المذكور ، وخازنه على المال الدهبي ، وخازنه أيضاً على الطعام الطرسوقي ١٤٠٥ وكان يعاون المشرف أيضاً المتقبل وهو اللدى يتعامل مع التجار وبحد د مقدار الضرائب المفروضة على بضائعهم (٧) وقد أشار ابن عبدون إلى أن المتقبل لابد أن يكون معه زمام ويكون لهذا الزمام نسخة عند القاضي وأخرى عند المشرف . (٨)

وهكذا كان صاحب ديوان الاعمال المخزنية يشرف على مجموعة من الموظفين فهو يرأس المشرفين وهوالاء يعاونهم خازنو الأموال ، وخازنو الأطعمة والمتقبلون .

⁽۱) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ١٠١ ، ١٠٢ .

J.F.P. Hopkins; Medieval Muslim, P; 52 (7)

⁽٣) التازى: حاشية كتاب تاريخ المن بالامامة ص ١٨٧٠

J.F.P. Hopkins; Medievaluslim, M P; 52 (8)

⁽٥) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٤ ه تطوأن .

⁽٦) نفس المرجع السابق ج ٤ ص ٦٠ تطوان ٠

٣٠ ابن عبدون : رسالة في الحسبة ص ٣٠ .

⁽٨) نفس المرجع السابق ص ٣١ ، ٣٢ .

٢ ــ متولى المجابى:

وهو المسئول عن تحصيل الضرائب والحزيات على مختلف أنواعها وله عمال في مختلف المدن(١).

٣ ـ متولى الستغلص:

وهو المشرف على أموال الخليفة ، والمحافظة علمها وتحميل ما يتعلق مها من مختلف أبواب الدخل(٢) وقد عين الخليفة عبد المُؤمِّن ، ابن ومانون في سنة ٥٤٩ ه على نصيبه من إحدى الحملات وكانت ثمانمائة ناقة (٣) كما أن أبا بكر بن ملول بن ابراهيم بن يحيي الصنهاجي كان أميناً على ضياع وأموال المنصور الموحدي (١) كذلك كان الكاتب يوسف بن عمر ــ بعد انسلاخه من خدمة السادات بني السيد أبي حفص بن عبد المؤمن ــ مستخلصاً بالشرف ومدينة لبلة في سنة ٩٩٣ هـ / ١٩٩٦م (٥) .

وهكذا صارت هناك ثلاث وظائف رئيسية خاصة بشئون المال في الدولة الموحدية :

الوظيفة الأولى : وتتعلق بمراقبة الإيرادات والمصروفات .

والوظيفة الثانية : تتعلق بتحصيل الموارد المالية للدولة .

أما الثالثة : وتتعلق بالإشراف على أموال الخلفاء .

٣ - موعد جمع الأموال:

وبالنسبة لتاريخ حمع الأموال فإنه كان في كل عام وذلك بالنسبة للزكاة والحزية المفروضة على أهل الذمة وذلك ما أشار إليه ابن خلكان وابن الاثير والنويرى بأن جباة الأموال في الدولة المرابطية كانوا يصعدون إلى الحبل في

⁽۱) عنان : عصر المرابطين والموحسدين التسم الثاني ص ٦٢٣ ، د، عبد الله علام: الدولة الموحدية ص ٢٦٤.

⁽٢) عنان: عصر المرابطين والوحسدين التستم الثاني مس ٢٢٤ ،

د، عبد الله علام : الدولة الموحدية ص ٢٦٤ . (٣) البيذق : اخبار المهدى ص ١١٨ .

[﴿]٤) نفس الرجع السابق ص ٤٠ ٠٠

⁽٥) ابن عذاری: البیان المغرب ج ٤ ص ١٧٤ ، تطوان .

كل عام لحباية ما على الرعية من أموال(١) أما بالنسبة لغير ذلك من مصادر ' المال كالغنيمة والعشور فإنبا كانت مرتبطة بظروفها ، أما الحراج الذى فرضه الخليفة عبد المؤمن بالنسبة للمخرب فإن أمواله كانت تجبى سنوياً .

٤ _ المناطق المالية:

لم تشر المراجع التي اطلعت عليها إلى المناطق التي كانت تجبى منها الأموال المستحترة لخزينة الدولة في الدولة المرابطية أما في الدولة الموحدية فقد اختلفت من خليفة لآخر فني عهد الخليفة عبد المؤمن كانت تجبى الأموال من الأقاليم الآتية بالمغرب الأقصى:

تلمسان ، فاس ، تادلا ، سبتة وطنجة ، مراكش والسوس (٢) أما فى عهد الحليفة يوسف بن عبد المؤمن فقد أشار المراكشي إلى هذه المناطق بقوله «وكان يرتفع إليه – أي إلى الحليفة يوسف بن عبد المؤمن – خراج إفريقية وحلمة في كل سنة وقر مائة وخمسن بغلا هذا من إفريقية وحدها ، خلا بجاية وأعملها ، وتلمسان وأعمالها ، والمغرب وحد عمل المغرب عندهم اللين يطلقون عليه هذا الاسم من مدينة تدعى رباط تازا إلى مدينة تدعى مكناسة الزيتون . . ومدينة سلا وأعمالها ، وسبتة وأعمالها وأعمال سبتة هذه في غاية السعة والضخامة . . مضافاً إلى مراكش وأعمالها ، وأعمال مراكش أيضاً في نهاية السعة »(٣) وهي تختلف عن القائمة السابقة في أن المراكش منطقة فاس وتادلا والسوس وجعلهم منطقة واحدة أطلق عليها لفظة المغرب ثم أفرد مدينة سلا ويبدو أن هذه المناطق الضريبية فل معمولا بها في الدولة المريئية والتي قامت على أنقاض دولة الموحدين فأبو الحسن في كتابه الدوحة المشتبكة أشار إلى هذه المناطق الضريبية في سنة ٣٣٧ ه / ١٣٣٥م بقوله « إن المؤتفار التي تجب فيها الأعشار من بلادنا خمسة : حضرة فاس وما والاها من البلاد الى الريف من البلاد من سلا إلى تاز قطر واحد ، وسبتة وما والاها من البلاد إلى الريف

⁽۱) النويرى : نهاية الأرب ج ۲۲ مجلد ۲ ص ۸۵ ، ابن خلكان : ونيات الأعيان ج ٤ ص ١٤٢ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٢٩٦ .

J.F.P. Hopkins; Medieval Muslim, P; 36 (7)

⁽٣) الراكشي : المعجب من ٥٥٥ ، ٢٥٦ .

والهبط إلى قصر كتامة قطرثان ، ومراكش وما والاها من البلاد إلى السوس قطر ثالث ، ودرعة وسجلماسة وما والاهما من البلاد قطر رابع ، وتلمسان وما والاها وما وراءها من البلاد إلى الحزائر قطر خامس »(١) وهذه القائمة تزيد على القائمتين السابقتين ، إقليم درعة وسجلماسة .

مراقبة ولاة الأمر لملادارة المالية:

وكان المشتغلون بمالية الدولة دائماً تحت الراقبة الشديدة ، فالمرابطون كانوا يراقبونهم مراقبة شديدة ويحاسبونهم حساباً عسيراً ، فإذا اعترل العامل الحدمة حاسبوه فاذا وجدوا تقصيراً سجنوه وصادروا أمواله (٢) .

وسار الموحدون على نفس السياسة في محاسبة المشتغلين بالنواحي المالية ، وقد وجد الحليفة عبد المؤمن بعض مظاهر الفساد المالي والمتفشى في البلاد وذلك عن طريق بعض الحباة والعمال الذين يفرضون على الناس المغارم والمكوس ويد عون أنها للمخزن ، لذا أرسل رسالة في سنة ٤٣ هم / ١١٤٨ إلى الأشياخ والطلبة بالأندلس ، يامرهم فيها بقمع هولاء العمال ومعاقبتهم أشد العقاب ومما جاء في الرسالة «ولقد ذكر لنا في أمر المغارم والمكوس والقبالات العقاب ومما جاء في الرسالة «ولقد ذكر لنا في أمر المغارم والمكوس والقبالات من تولاها دماراً وهلكاً ، وأكثرها في نفس الديانة عبئاً وفتكاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، هل قام هذا الأمر العالي إلا لقطع أسباب الظلم وعلقه ؟ وتمهيد سبيل الحق وطرقه وإجراء العدل إلى غاية شأوه وطلقه ؟ »(٢) ثم تعرض الحليفة بعد ذلك لهولاء الذين يفرضون ضرائب جائرة على التجار مدّ عين أنها تخصالدولة «وإن من ذلك الرأى الذميم والسعى المنقوم ماذكر لنا في أمر المسافرين الذين يريدون الرجوع إلى أوطانهم وعمارتها والطوائف المارة على البلاد لمعنى تجارتها ، يتسبب إليهم قوم من هولاء الظلمة الدخلاء الذين يضعون الغش طي ما يوهمون به من النصيحة ويستبطنون المكر في الذين يضعون المخش طي ما يوهمون به من النصيحة ويستبطنون المكر في الذين يضعون المخش في ما يوهمون به من النصيحة ويستبطنون المكر في المناذين يضعون المخش على ما يوهمون به من النصيحة ويستبطنون المكر في المناذين يضعون الخش على المناذة على المناذة على المناذي في المناذين يضعون المناذي المناذي المناذي المناذين المناذي المناذي المناذي المناذي المناذي المناذين المناذي الم

⁽۱) أبو الحسن: الدوحة المستبكة ص ۱۱۹ ، ۱۲۰ ت د، حسين فيس .

⁽٢) د، حسن . احمد محمود : تيام دولة المرابطين ص ١١١ ٠

⁽٣) ابن التطان : نظم الجمان ص ١٥٧ ، ١٥٧ .

تصرفاتهم القبيحة فيقولون للرجل منهم: عندك من حقوق الله كيت وكيت ، وإن للمخزن حميع ما به أتيت ويقرنون بهذا من الوعيد والإغلاظ الشديد ما يرضى له المذكور بالحروج عن حملة ماله ، ويعتقد السلامة من ذلك الظالم الغاصب أعظم مناله وإنها لداهية عاقرة قاصمة للظهر فاقرة »(١) . ولم يقتصر فساد هؤلاء العال على فرض الإتاوات على التجار المسافرين بل كانت تمتد أيديهم إلى أموال الحكومة نفسها ظلماً وعدواناً « وتمتد أيديهم إلى المحازن هنالك فيعيثون فيها ويتحكمون ، ويجرءون في التعدى عليها ملء شأوهم واندوا أنفسهم يظلمون ، فاتقوا الله تعالى فيها فأنها أمواله المخزونة في أرضه وبادروا إلى كف كل معتد وقبضه »(٢) ، وقدهد د الحليفة هؤلاء المارقين أشد تهديد وحدر الشيوخ والطلبة من النهاون في محاسبتهم ومعاقبتهم (٣).

وتابع خلفاء الموحدين سياسة الحليفة عبد المؤمن في محاسبة المشرفين على سوء تصرفهم في النواحي المالية فني سنة ٧٧٥ ه عاقب الحليفة يوسف بن عبد المؤمن ابن فاخر مشرف سعلياسة وسعنه (٤) ، كذلك عاقب الحليفة يوسف ابن عبد المؤمن سنة ٧٩٥ ه / ١١٨٧ م مشرف تلمسان يقول ابن عدارى ابن عبد المؤمن سنة ٧٩٥ ه – كانت السطوة بأبي زكرياء بن حيون شيخ كومية وبابنه على الذي كان مشرف تلمسان وغيره وكان كل يوم يخرج مكبولا للحساب على عمله ثم أخرج ابن حيون المذكور منفياً إلى الحضرة إلى بطليوس وبني على ابنه في السجن إلى خروج أمير المؤمنين في غزوته إلى شنترين ٤(٥) المالية كعبد الرحمن بن يحيى مشرف فاس وأعوانه خازن المال وخازن الطعام على وكذلك ابن عاصم مشرف مكناسة وابن عمر المشرف برباط تازا(١) كذلك عاقب المتصور الموحدي في سنة ٤٨٥ ه / ١١٨٨ م مشرف مرسية وطلب منه

⁽١) نفس المرجع السابق ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

⁽٢) ابن التطان : نظم الجمان ص ١٦٣٠

⁽٣) نفس المرجع السابق ص ١٦٤ .

⁽٤) ابن عدارى : البيأن المغرب ج ٤ ص ٢٩ تطوان .

⁽٥/ نفس المرجع السابق ج ٤ ص ٥٣ تطوان .

⁽٢) نفس الرجع السابق ج ٤ ص ٦٠ تطوأن .

احضار المجابى وأزمتها المحتمع فيها مجملتها وضرب بالسوط حتى مات(١) ربذلك كان المشتغلون بالنواحى المالية تحت الرقابة المستمرة من ولاة الأمر ، فن حاد منهم عن طريق الحق والعدل حوسب وعوقب أشد العقاب .

وهكذا انتظمت الإدارة المالية بالبلاد نتيجة اشتمالها على دواوين ومسئوولين عن الشئون المالية وبجانب ذلك تحدد ت مواعيد وأماكن جمع المال فضلا عن مراقبة المشتغلين بشئون المال ومعاقبتهم عند استغلالهم لأموال الشعب.

⁽۱) نفس الرجع السابق ج ٤ ص ١٢٤ تطوان · (م ١٣ ــ الحضارة)

ثانيا ـ السياسة المالية ومصادن بيت المال

أ _ السياسة المالية:

منذ أن قامت دولة المرابطين على أرض المغرب الأقصى ، وولاة الأمر يؤكَّدون المعنى الديني الذي تأسَّست عليه الدولة ، وأن الهدف الأساسي من قيامها هو القضاء على الضلالات المنتشرة ، والحهل بأحكام الدين ، وقد وضح ذلك منذ اللحظات الأولى فى تأسيس الدعوة حيث قررٌ عبد الله بس ياسن المبدأ المالي الذي ترتكز عليه الدعوة في جبايتها للأموال وهو ما قدّره الشرع : أى كتاب الله وسنة رسوله وما ورد فهما من أحكام بشأن الأموال، وللـا حن افتتح مدينة سحلاسة ألغى كل الرسوم والضرائب والتي لم يرد بها نص من كتاب أو سنة يقول ابن أبي زرع « وأزال المكوس وأسقط المغارم ، وترك ما أوجب الكتاب والسنة تركه وقد"م علمها عاملا من لمتونة وانصرف إلى الصحراء ، (٢)ومن هنا حرص عبد الله بن ياسين على القضاء على تلك الضرائب الحائرة الى كان يفرضها أمراء زناته ، حتى إذا تولى أمىر المسلمين يوسف ابن تاشفين مقاليد الأمور ، حرص على اتباع أوامر عبد الله بن ياسين ومن هنا كانت مصادره المالية هي الزكاة والأعشار وجزية أهل اللمة وأخماس غنائم المشركين (٣) إلا أن هذه المصادر المالية لم تف عاجة الأعمال العسكرية التي قام بها يوسف بن تاشفين وخاصة بعد أن صار إقليم الأندلس تابعاً للمغرب الأقصى واحتياجه المستمر للحملات العسكرية لندافع عنه ضد أطاع الفرنج ومن هنا فرض بعض الإتاوات على أهل المغرب والاندلس(٤) وسوف أتناول أنواع هذه الضرائب حين التحدث عن الحزية والضرائب كمصدر مالي .

فلما تولى أمر المسلمين على بن يوسف بن تاشفين ، إستمر في عمليات الحهاد بالأندلس ، ثم ظهرت في عهده ثورة ابن تومرت ، والنشاط المسلح الذي قامت به الدولة ، بالإضافة إلى أعمال البناء والتعمير التي قام بها ، مما

⁽۱) ابن أبى زرع : الأنيس ج ٢ ص ٢٠ ت النيلالي .

⁽٢) ابن أبى زرع : الأنيس جـ ٢ ص ٣٧ ت الفيلالى . (٢) عنان : عصر المرابطين والموحدين القسم الأول ص ٢٠٠ .

استازم كثيراً من الأموال ، ومن هنا ظهرت بعض أنواع القبالات والضرائب على السلع لم تكن موجودة من قبل ، تلك المكوس والضرائب التى هاجها فيها بعد الحليفة عبد المؤمن بعد سقوط دولة المرابطين في إحدى رسائله سنة فيها بعد الحليفة عبد المؤمن بعد سقوط دولة المرابطين في إحدى رسائله سنة بقوله « ولفد ذكر لنا في أمر المغارم والمكوس والقبالات وتحجير المراسي وغيرها ما رأينا أنه أعظم الكبائر جرماً وإفكاً »(۱) ومن هنا فإن الرواية التى ذكرها ابن أبي زرع والتى يقول فيها « لم يجر في عملهم طول أيامهم – أى ذكرها ابن أبي زرع والتى يقول فيها « لم يجر في عملهم طول أيامهم – أى أيام المرابطين – رسم مكس ولا معونة ولا خراج في بادية ولا حاضرة .. ولم يكن في عمل بلادهم خراج ولا معونة ولا تقسيط ولا وظيف من الوظائف المخزنية حاشا الزكاة والعشر »(۲) مشكوك في صحبها حيث أن الظروف التى أحاطت بعلى بن يوسف ومن جاء بعده الحائمة إلى أنواع من الضرائب سوف أتناولها بالتفصيل في مصدر الحزية والضرائب ..

حتى إذا اندلعت ثورة الموحدين بأرض المغرب الأقصى ، الترم الداعية ابن تومرت فى النواحى المالية ، أحكام الكتاب والسنة ، وكانت مصادره الزكاة وخمس الغنائم ، فلما تولى الحليفة عبد المؤمن وقضى على دولة المرابطين الترم بسياسة ابن تومرت فى الاكتفاء بالمصادر التى حددها الشرع ، حتى إذا كانت سنة ٥٥٥ ه / ١١٦٠ م ، لحأ إلى فرض الحراج على أرض المغرب وبقية المناطق التابعة للدولة ، وهذا الحراج لمصدر جديد للمال لم يكن مفروضاً من قبل فى دولة المرابطين .

ب _ مصادر الدخل المالى:

وبذا أصبحت مصادر المال للدولة : الخراج – الزكاة – الجزية والضرائب الغنيمة – المصادرات :

١ ـ الفراج:

أشارت المراجع إلى ذلك الإجراء الذي اتخذه الخليفة عبد المؤمن بن على

⁽١) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٥٦ ت ، د. محمود مكى ٠

⁽٢) ابن أبي زرع: الأنيس جـ ٢ ص ٩٤ ت الفيلالي .

في سنة ٥٥٥ه / ١١٦٠م وهو المسح الشامل لأراضي المغرب الأقصى وأراضي الشهال الإفريقي حتى برقة طولا وعرضاً بالفراسخ والأميال ، وأسقط ثلث المساحة في مقابل الحبال والأنهار والطرقات وفرض الحراج على ما تبتى من الاراضي (١) وفي ذلك يقول ابن أبي زرع « وفي هذه السنة أمر عبد المؤمن بتكسر بلاد إفريقية والمغرب وكسر ها من بلاد إفريقية من برقة إلى بلاد نول من السوس الأقصى بالفراسخ والأميال طولا وعرضاً فأسقط من التكسير الثابي في الحبال والشعراء والأنهار والسباخ والطرقات والحزون، وما بتى قسط عليه الحراج ، وألزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب ع (١).

وأصبح هذا الاجراء قاعدة سار عليها خلفاء الوحدين من بعد ومصدراً من المصادر الثابتة لحباية الأموال فابن خلكان يصف الحليفة يوسف بن عبد المؤمن جمّاعاً منّاعاً ، ضابطاً عبد المؤمن جمّاعاً منّاعاً ، ضابطاً لحراج مملكته عارفاً بسياسة رعيته »(٢) كذلك اقتنى المنصور الموحدي سياسة أبيه و وسلك في جباية الأموال ما كان أبوه يأخذه ولم يتعده إلى غيره »(٤) وصارت مصادره المالية الحراج والزكاة والأعشار (٥).

والحراج هو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عليها(١)

⁽۱) أبن أبى دينار : كتاب المؤنس ص ۱۱۱ ، السلاوى : الاستقصا ج ٢ ص ١٣٩ عبد العزيز بنعبد الله : مظاهــر الحضارة المغـربية ج ١ مس ١٨٨ ، ٧٩ ، عبد العزيز بنعبد الله : تاريخ المغرب ج ١ ص ١١٨ ، الجيلالى : تاريخ الجزائر العام ج ٢ ص ٣١٩ ، عبد الله كنون : مدخــل الى تاريخ المغرب ص ٧٧ ، حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٧٤ ، الغرب عبر التاريخ ص ٢٧٤ ، الزركلى : الاعلام ج ٢ ص ٢٠٠ سنة ١٩٢٧ .

J.F,P. Hopkins; Medieval Muslim, P; 34, Budgett Meakins; The Moorish Empire, p; 27 Julien, Histoire du L'Afrique, P; 111, 112, Terrasse; Histoire du Maroc, P; 311, 312.

⁽٢) ابن أبي زرع: الأنيس جـ ٢ ص ١٦١ ت الفيلالي .

⁽٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ ص ١٣٠ .

⁽٤) أبن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ١٦٥ .

⁽٥) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٦٧ طبع حجر ..

⁽٦) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ١٤٦ .

والمقصود بالأرض هنا هي تلك الأرض التي استولى علمها المسلمون من المشركين عنوة أو صلحاً (١) وجذا المعنى فإن أراضي المغرب الأقصى وغيرها من الأراضي التي فرض علمها الحليفة عبد الوَّمن بن على الحراج لا مجوز أن يوضع عليها خراج إذ أنها أرض عشر أى أرض أسلم أهلها عليها(٢) ولكن يبدو أن الخليفة عبد المؤمن حين اتخذ هذا الاجراء كان له من المررات ما دفعه إلى تنفيذ هذا العمل ومن هذه المررات :

أولا : نظرة الموحدين إلى المرابطين على أنهم كفرة ومجسمين ومبدُّ لين لأحكام الله ومن هنا ساوى الخليفة عبد المؤمن بين أرض المرابطين وأرض المشركين وفرض عليها الخراج مستنداً في ذلك لرأى الامام مالك في فرض الخراج على أرض المشركين والتي استولى عليها المسلمون (٣).

ثانياً : احتياج الخليفة عبد المؤمن بن على للأموال وذلك اواصلة أعمال الحهاد وخاصة بعد أن أصبحت الدولة مترامية الأطراف تمتد من برقة شرقاً حَى المحيط الاطلسي يضاف إلى ذلك الأندلس ، وما تحتاجه هذه الأقاليم من حماية ورعاية ، وهذا يتطلب الحيوش المعدة والأساطيل المحهزة والقلاع والحصون مع ميل الحليفة عبد المؤمن للبناء والتعمير ، كل ذلك استلزم أموالا كثيرة لا تَعْي بها المصادر الشرعية الأخرى ومن هنا أباح لنفسه إتخاذ هذه الحطوة .

ثالثاً : ربما استند إلى فتوى بعض العلماء المحيطين به أن من حقه فرض الحراج على الأرض التي أسلم عليها أصحابها مستندين في ذلك لرأى الامام أبي حنيفة الذي قرّر أن الامام لمختيرٌ بين أنْ يجعلها خراجاً أوعشراً فان جعلها خراجاً لم بجز أن تنقل إلى العشر وإن جعلها عشراً جاز أن تنقل إلى الخراج. (١)

والواقع أن الخليفة عبد المؤمن بن على لم يتتخذ هذا الإجراء إلا بعد أن استقرت الأوضاع فى البلاد وصار له من القوة بحيث يفرض ما شاء من أنواع

⁽۱) د. صبحى المالح: النظم الاسلامية من ۳۵۹ . (۲) الماوردى: الأحكام السلطانية من ۱۲۷ د. الريس: الخراح والنظم المالية ص ١٣٠ ط ٢ سنة ١٩٦٢ .

⁽٣) الماوردي : الاحكام السلطانية من ١٤٧٠

⁽٤) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ١٤٧٠

الحبايات ولذا لم يتخذ هذه الخطوة إلا سنة ٥٥٥ ه / ١١٦٠ م بعد سقوط دولة المرابطين بأربعة عشر عاماً ، وتمكنن سلطانه فى البلاد وصار لاينازعه أحد ، مع جيوش جرارة تخضع لكلمته وتنفذ أوامره ، ومن ثم فرض الخراج وهو واثق بأنه لن ينازعه أحد فها يتخذه من قرارات .

٢ ــ الزكاة:

اتّخذولاه الأمرمن المرابطين والموحدين الزكاة مصدراً من مصادر الدخل المالى للدولة فابن ياسين منذ اللّحظة الأولى التي فرض فيها سلطانه على بعض المناطق الحنوبية بالمغرب ألغى الضرائب والمكوس السّابقة وفرض الزكاة مستنداً في ذلك إلى الشرع (١) واتبع سياسته من جاء بعده بالنسبة للزكاة .

فلها قامت دولة الموحدين كانت الزكاة أيضاً من المصادر المالية التي لحا اليها ولاة الأمر وحرصوا عليها باعتبارها من الأمور الدينية الواجب تنفيذها ولما كانت دولتي المرابطين و الموحدين قامتا على أساس دعوة دينية وفي هنا احتلت الزكاة منرلة هامة في فرضها وتطبيق أحكامها ، ولذا فإن الخليفة عبد المؤمن أكد هذا المعنى في رسالته التي أرسلها إلى أهل بجاية في ربيع الثاني سنة ٦٦ه ه وهي الرسالة المعروفة برسالة الفصول يقول فها وخذوا إيتاء الزكاة ، وبالكشف عن ما نعها وتشخيص محسكها أو الدر البسير منها ، فالزكاة حق المال ، والحهاد واجب على من منع منها قدر العقال فن ثبت منعه للزكاة فهو لاحق بمن ثبت تركه للصلاة فمن منع فريضة كمن منع الفرائض كلها ومن منع عقالاً فما فوقه كمن منع الشرع كله و(٢) وهكذا منع الفرائض كلها ومن منع عقالاً فما فوقه كمن منع الشرع كله و(٢) وهكذا جعل عبد المؤمن مانع الزكاة كمن منع كل الفرائض وهو يستحق الحرب والنكال .

أما أصناف المال التي تؤخذ منها الزكاة فقد ذكرها القاضي عياض وهو من علماء مدينة سبتة وتوفى بها سنة ٤٤٥ هـ / ١١٤٩ م بقوله (وأما فيم تجب أي الركاة — فالأموال المركاة تمانية النقود من الذهب والفضة ، والحلي المتخذ

⁽۱) ابن ابی زرع: الانیس ج ۲ ص ۲۱ ت الفیلالی ، عبد العزین بنعبد الله: تاریخ الفرب ج ۱ ص ۱۱۰ .

⁽٢) مجموع رسائل موهدية ص ١٣٣ .

منها للتجارة ، وفي معناه النقار والتبر والأنعام وهي الغنم والبقر والإبل ، والحبوب وهو كل مقتاة من الحبوب ، وفي معناها ما له زيت منها والنمار وهي ثلاثة : تمر وزبيب وزيتون ، والعرض المتخذة للتجارة والمعادن من الله هب والفضة والركاز (١) و وهذه الاصناف من المال لا بد أن يحول عليه الحول وذلك ما ذكره الامام مالك « أخبرنا مالك ، أخبرنا نافع عن ابن عمر ، قال لا تجب في مال زكاة حتى يحول عليه الحول (٢) » . وأما مقادير الزكاة فقد حددها القاضي عياض : نصاب النقود والحلي والمعادن من الذهب والفضة عشرون ديناراً ذه أ أو ماثنان درهم فضة خالصين ، ونصاب العروض قيمتها من ذلك ويخرج ربع العشر عن ذلك فما زاد فبحسابه ، إلا الندرة في المعدن ففيها الحمس ، ونصاب الحبوب والنمار أن يرفع من كل نوع منها المعدن ففيها الحمس ، ونصاب الحبوب والنمار أن يرفع من كل نوع منها القطاني ، تجمع كلها على الصحيح من القولين وغرج منها العشر إن كان يستى بالدلو والساقية . واما الركاز بعلا أو يستى سيحاً ونصف العشر إن كان يستى بالدلو والساقية . واما الركاز فيخرج الحمس من قليله وكثيره إن كان ذهباً وفضة واختلف في غيرها وأما الأنعام فتختلف (٣) وقد ذكر أصنافها وزكاة كل صنف .

٣ - الجزية والضرائب:

والمصدر الثالث من مصادر المال كانت الحزية التي جباها ولاة الأمر بالمغرب الأقصى منذ تأسست دولة المرابطين ، وهي ضريبة موضوعة على رووس أهل الكتاب^(٤) هؤلاء الذين يتمتعون بالأمن والحاية في ظل الحكومة الإسلامية وهذه الحزية توخذ من الرجال الأحرار العقلاء ولا تجب على امرأة ولا صبى ولا مجنون ولا عبد لأنهم أتباع وذراري^(٥) وأما مقدارها فني رأى

⁽۱) القاضى عياض : الأعلام بحدود تواعد الاسلام ص ٦٣ تمحمد ابن تاويت الطنجى سنة ١٩٦٤ الرباط .

⁽٢) أبو عبد الله مالك بن أنسَ : موطأ الامام مالك ص١١٥ القاهرة سنة ١٩٦٧ .

⁽٣) القاضى عياض : الأعلام بحدود قواعد الاسلام ص ٦٣ ، ٦٢ مت . الطنحي .

⁽٤) ألمآوردى : الأحكام السلطانية ص ١٤٢ ، د. الريس : الخراج والنظم المالية ص ١٢٢ د. صبحى المتالح : النظم الاسلامية ص ٣٦٣ . (٥) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ١٤٤ .

الامام مالك أنها موكولة لولاة الأمر واجتهادهم (١) وفى رأى آخر له ذكره الطرطوشي و وقال مالك يوخذ من الموسر أربعون درهما ومن الفقير دينار وعشر دراهم (٢) وكان للمرابطين ومن جاء بعدهم مواقف خاصة من أهل الكتاب ومن هذه المواقف تشددهم فى معاملة أهل الكتاب وقد ظهر ذلك حين فرض يوسف بن تاشفين على اليهود فريضة ثقيلة فى سنة ٤٦٤ه/١٠٧م (٣) وقد أشار إلى مقدارها ابن عدارى بقوله و وفيها — أى سنة ٤٦٤هـ افترض على اليهود فريضة ثايلة فى حميع طاعته اجتمع له فيها مائة ألف دينار عشرية ونيف على ثلاثة عشر ألف دينار »(٢).

وأما بالنسبة للضرائب فإن المرابطين فى بدء عهدهم الترموا أحكام الشرع ولم يفرضوا الا ما جاء به الكتاب والسنة وألغوا ما عدا ذلك من الضرائب سواء بالمغرب أوالأندلس (٥) فلما اتسع النشاط الحربى للدولة وما يستلزمه من أموال ونفقات جدت بعض أنواع القبالة (٢) وقد أشار إلى هذه القبالة وتطبيقها على أسواق مراكش الادريسي بقوله « وكانت أكثر الصنع بمراكش متقبلة عليها مال لازم مثل سوق الدخان والصابون والصفر والمغازل ، وكانت القبالة على كل شيء دق أوجل كل شيء على قدره »(٧) وفرضت المكوس على أماكن العبور ، وقد اعترض ابن تومرت على من طالبه بالمكس حن

⁽١) نفس المرجع السابق ص ١٤٤٠

⁽٢) الطرطوشي : سراج الملوك من ١١٣٠.

⁽٣) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ١٣٠٠

⁽٤) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٢٣ تد. احسان عباس.

⁽a) د، حسن أحمد محمود : تيام دولة المرابطين ص ٤٠٤ ، ١٠٥٠ . ٩٠٩ .

J.F.P. Hopkins; Medieval Muslim, P; 41 Lane Pool; The Moors in Spain P; 179.

⁽٦) « القبالة هى فى الأصل الضريبة التى تدفع لبيت المال ، وتد اطلق استعمال هذا اللفظ على الضرائب الزائدة على ما يقضى به الشرع، وكانت هذه الكلمة تستخدم فى المغرب والأندلس للدلالة على الضرائب التى كان يؤديها أهل الحرف أو بائعوا السلع الرئيسية د، محمود مكى : حاشية نظم المجان ص ١٥٦ » .

⁽٧) الادريسي : وصف المغرب والأندلس ص ٧٠ .

أراد عبور وادى أم ربيع ، يقول البيدة ، ثم جد بنا — أى ابن تومرت وصحبه حين توجهوا إلى مراكش — حتى وصلنا وادى أم ربيع وما كنا نعرف أن الامام يتكلم باللسان الغربي فأردنا الجواز فمنعونا حتى نعطى المكس وهو المكرى وقالوا لنا تعطوا على كل رأس كذا وكذا فلم شمعهم المعصوم قال لهم ، و مورن ملولنن أن سوس آواون فاك ، وصاح عليهم ثم جزنا وكان في بعض ما قال لهم إنما السبيل للمسلمين وأنتم تعطونها وهذا غير جائز في الشرع »(١).

وفى بعض الاحيان كانت الدولة تواجه بعض المواقف العسكرية التى تستازم فائضاً من المال ، ومن ثم تلجأ إلى فرضها على الرعية فقد لحاً المرابطون إلى فرض ضريبة تسمى التعتيب أو التعطيب على أهل الأندلس يخصص دخلها لإقامة أسوار جديدة وترميم القديم منها(٢) كما فرض أمير المسلمين على بن يوسف سنة ٩٠٥ ه / ١٩٣٥م على أهل فاس أن يرجموا أسوار المدينة على نففتهم وأن يدفعوا عشرين ألف دينار معونة للجيش(٣) أو تتحمل الرعية تجهير فريق من أبنائها بسلاحهم ونفقاتهم ليشتركوا فى الحيوش المرابطية ضد أعدائهم فأمير المسلمين على بن يوسف حين علم بعزم أبن رذمير غزو بلاد المسلمين سنة ٩٢٥ه / ١٩٢٨ قسط على الرعية سوداناً يغزون فى العساكر يقول ابن القطان « فقسط – أى على بن يوسف – على الرعية سوداناً يغزون فى العساكر ، وكان قسط أهل فاس منها ثلاثمائة غلام من سودانهم بزرقهم وسلاحهم ونففاتهم ، مخرجون ذلك من أموالهم ففعلوا (٤).

حتى إذا قامت دولة الموحدين حرص الحليفة عبد المؤمن على إلغاء الرسوم والضرائب التى تخالف الشرع والتى فرضها المرابطون (*) وصدرت الرسائل الرسمية تعبّر عن رفض الحليفة لكل أنواع المكوس والقبالات التى

⁽۱) البياذي : اخبار المهدى بن تومزت من ۱۷ .

⁽٢) د. المسيد عبد العزيز سسالم : المفرب الكبير ص ٤٧٠ ، . شعرة : المرابطون ص ١٥٢ ،

د. شعيرة : المرابطون من ١٥٢ . (٣) ابن القطان : نظم الجنان من ٢٢٦ ساد، مكى .

⁽٤) ابن العطان : نظم الجمان من ١٠٩٠.

J.F.P. Hopkins; Medieval Muslim, P; 43 (a) S.P. Scrtt, History of Moorish; Empire p; 302.

فرضها المرابطون لمخالفتها للشرع ، ومن هذه الرسائل ، الرسالة الصادرة من تينملل في السادس عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسهائة وهي موجهة إلى حميع الطلبة بالأندلس ومن صحبهم من المشيخة والأعيان والكَّافة وقد جاء فَهَا ﴿ وَلَقَدَ ذَكُرَ لَنَا فِي أَمَّرُ المُغَارُمُ وَالمَّكُوسُ وَالْقَبَالَاتُ وتحجير المراسى وغيرها ما رأينا أنه أعظم الكيائر جرماً وإفكا وأدناها إلى من توَّلاها دمارآ وهلَّكا . . . هل قام هذا الأمر العالى إلا لقطع أسباب الظلم وعلقه ؟ وتمهيد سبيل الحق وطرقه ؟ وإجراء العدل إلى غاية شأوَّه وطلقه ١٥١٪ وفي موضع آخر من الرسالة يذكر أن الباعث على كتابة هذه الرسالة هو ما لمُسه الحليفة بنفسه من أنواع تلك الضرائب الحائرة ﴿ وَكَانَ مُمَا تُعَيِّنُ ــ : ونقكم الله ــ على تنبيهكم وإذ كاركم وايقاظكم للنظر في تلك المصالح وإشعاركم ما ألفيناه محضرة مرَّاكش . حرسها الله ــ من يعض تلك الأنواع مما أحدثه فها بعض أهل الابتداع .كنوع القبالة وما بجرى مجراها في وجوب الإزالة وَالإِحالة ، (٢) ثم يختم رسالته مطالباً إياهم بالاستمساك بكتاب الله وإزالة كل هذه الضرائب و فانظروا هذا ــ وفقكم الله تعالى ــ نظر أولى الألباب ولتسعوا جهدكم فى رفع ذلك المستراب ، ولتُذهبوا إلى إظهار أمر الله سبحانه . على موجب الكتَّاب ٣ (٣) وفي رسالة أخرى أصدرها الخليفة عبد المؤمن في الرابع والعشرين من حمادى الأولى سنة ٤٧هـ / ١١٥٢ م وموجهة إلى أهل قسنطينة يوضح فها موقفه من الضرائب الحائرة يقول فها « وقد كان سهذه · الأصقاع من أثَّار أهل الاختلاف والابتداع ما علمتموه من القبالات والمكوس والمغارم وساثر تلك الأنواع وكان الأشقياء من ولابتها يبرون ابجابها والزامها شرعاً يُلترْمُونُه وواجباً يقدمونه ولا يلتفتون إلى ما أوجب الله من الزكوات ، والأعشار ، بل كانوا يطرحون ذلك إطراح أمثالهم من الفجار، (4) ثم أخبرهم الحليفة بأنه لن يؤخذ منهم سوى ما قرره الشرع ، «وقد قطع الله بفضله أصولهم وفروعهم . . وأجرى الشرع بالأمام المهدى على بابه وأراح حميع

15.7

i i ii i i

⁽١) ابن التطان : نظم الجمان ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

⁽٢) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٦٧ .

⁽٣) نفس المرجع السابق ص ١٦٧٠ .

⁽٤) مجبوع رسائل موحدية ص ٢١، ، ص ٢٢

أهل البلاد والمعمورة بالتوحيد من جميع ما كانوا يكلفونه من المغارم . علا يطلبون إلا بما توجبه السنة وتطلبه ولا يلزمون ومعاذاته مكسا ولا مغرما ولا قبالة ولا سيا مما تسميه الظلمة بأسمائها وتلقبه ، ولكم فى علم ذلك ومعرفته دليل على ما سواه والله يهدى بهداه من اختار وارتضاه »(۱) وهكذا حدد الخليفة عبد المؤمن موقفه من هذه الضرائب بصورة واضحة . وقد اتبع هذه السياسة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن حين خفض الضرائب وأسقط بعضها كإلغاء القبالة على أحد الحسور المقامة بمدينة أشبيلية سنة ٢٥هم/١١٧١ والتي كان يستخدمها السكان في العبور (٣).

ع _ الفنمـة:

شكلت الغنيمة مصدراً هاماً من مصادر الدخل للدولة نظراً للمعارك المستمرة التي خاضها ولاة الأمر في الدولة المرابطية والموحدية ضد الفرنج في الأندلس ، بجانب المعارك التي خاضها الموحدون في الشهال الافريقي حتى صاد خاضعاً لسلطانهم وما حدث في خلال ذلك من ثورات وخاصة ثورة بي غانية فهذا النشاط العسكرى وما تخلله من انتصارات كثيرة نتج عنه مغانم وأموال استولى ولاة الأمر على نصيبهم الشرعي منها وضموه لخزانة الدولة . ومناء اللحظات الأولى في كفاح المرابطين فان عبد الله بن ياسين طبق أحكام القرآن والسنة بشأن المغانم ، فحين استولى المرابطون على سماسة ودرعة طبق هذا المبدأ يقول ابن أبي زرع « فأخد عبد الله بن ياسين أموالهم ودواجم وأسلحهم مع الإبل التي أخذها في درعة فأخرج منه خس حميعه ففرقه في فقهاء سماسة ودرعة وصلحائهم وقسم الباقي على المرابطين » (٤) وأصبح هذا المبدأ مطبقاً في حروب المرابطين (٥) ثم فتحت صفحة جديدة من المعارك في الأندلس ، حروب المرابطين (٥) ثم فتحت صفحة جديدة من المعارك في الأندلس ،

⁽۱) مجموع رسائل موحدية ص ۲۱ ، ۲۲ .

S.P. Scott : History of Moonth Empire V.2, P; 305 (Y)

⁽٣) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ٢٣٤ ، ص ٢٣٥ ، ٣٢٣

⁽٤) ابن أبي زرع: الانيس المطرب جـ ٢ ص ١٩ ، ت . الفلالي .

J.F.P. Hopkins: Medieval Muslim P; 29 (0)

وأحرز المرابطون انتصارات عدة على الفرنج في معارك متتابعة وعلى رأسها معركة الزلاقة ، وبعد ذلك وجه المرابطون نشاطهم العسكرى للقضاء على ملوك الطوائف ، وحصل المرابطون على أموال ومغانم كثيرة ، وقد أشار الأمير عبد الله في مذكراته إلى أنواع المال التي استولى عليها يوسف بن تاشفين من مدينة غرناطة وذلك بعد استسلام أهلها (١) يقول الأمير عبد الله و واستقصى ما كان بالقصر ، فظهر على ما محول الناظر ، ويروع الحاطر من الأعلاق والذخيرة والحلى ، ونفيس الحوهر وأحجار الياقوت وقصب الزمرد وآنية الذهب والفضة وأطباق البلور المحكم والحرجانيات والعراقيات والثياب الرفيعة والأنماط والكلل والستاثر وأوطئة الديباج مما كان في ادخار باديس واكتسابه وأقبلت دواب الظهر من المنكب بأحمال السبيك والمسبوك (٢).

حتى إذا قضى الموحدون على المرابطين وسقطت مراكش ، استولى الحليفة عبد المؤمن على أموالها وسكانها وجعلهم غنيمة للموحدين يقول ابن الحطيب « ولما تم لعبد المؤمن فتح مراكش ودخلها رجع منها إلى محلته وجعل الأمناء على أبوابها مدة من شهرين فاجتمع فيثها وأموالها فقسمه على الموحدين وقسم عليهم ديارهم وبيع عيال مراكش وأولادهم بيع العبيد . . واستولى عبد المؤمن على ذخائر على بن يوسف وذخائر لمتونة مما يقصر على وصفه اللسان ه (٣) ثم واصل الحليفة عبد المؤمن أعماله العسكرية فى الشمال الافريقي واستولى على مدنه حتى برقة ، وجمع أموالا ضخمة من المغانم التى حصل عليه من هذه الاعمال العسكرية ومن ذلك ما حصل عليه من أموال ضخمة عليه أموالا جمة وضايقهم عند فتحه لمدينة تونس يقول الباجي « وأغرم أهل تونس أموالا جمة وضايقهم غند فتحه لمدينة تونس يقول الباجي « وأغرم أهل تونس أموالا جمة وضايقهم غلا في اقتضائها » (٤) و دخل الموحدون في معارك كثيرة مع الفرنج في الأندلس حصلوا منها على أموال كثيرة ، وخرجت الرسائل تبشر ممقدار الغنائم التي

Lane Pool: The Moors in Spaine P; 181 (1)

⁽٢) الأمير عبد الله : مذكرات الأمير عبد الله ص ٢٠٠ ، ٢١٠ مت ليفي بروننسال .

⁽٣) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ١٠٨٠

⁽٤) الباجي : الخلاصة النتية ص ٥٥ .

حصل علمها الموحدون ومنها تلك الرسالة الصادرة من عمر وعثمان ابني الخليفة عبد المؤمن إلى الطلبة والأشياخ بأشبيلية مخبرونهم فيها بما أحرزوه من نصر ومقدار الغنائم التي حصلوا عليها من الفرنج في معاركهم بالاندلس سنة • ١٥٦٦ م و وفي خلال مقام تلك الأيام ، بعثت خيل مباركة من الموحدين والعرب لشن الغارة في الميمنة والميسرة من تلك الأقطار والحهات فاستاقوا من الغنائم من جهة غلَّىرة وقرباقة وبسطة وجبال شقورة عدداً حما وسوائم كثيرة من الدواب والبقر وعشرات الآلاف من الغنم فملأت الوادى واشتملت على كريمتها الأيادى ، وتقلب الموحدون فى نعم لا تحصى عدة تتناسق منها نعم فنعم والشكر لله على ما أولاه «(١) وأيضاً حصلُ الموحدون على كثير من الغنائم وألاموال وذلك بعد أن قضى الحليفة يوسف بن عبد المؤمن على ثورة ابن منغفاد محبل نمارة سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٦م وقد عبّر عن هذه الأموال تلك الرسالة الصادرة من معسكر الموحدين مجبل عمارة باسم الحليفة إلى الموحدين والشيوخ بمدينة غرناطة بالأندلس سنة ٥٦٢ ه / ١١٦٦ م وقد جاء فيها « والذي نفل الله الموحدين أعزهم الله من ضروب المغانم والأنفال ، و ذلك من البقراثنا عشر ألفاً ، ومن الغنم سبعة وعشرون ألفاً وثلاث مائة ، ومن السبي ثلاثة آلاف وست ماثة وسبعة وأربعون ومن الدواب ستماثة وسبعة عشر وهي الآن متصلة متتابعة (٢) ، .

وكانت المعارك الكبرى كالزلاقة والأرك مصدراً ضخماً للمغانم فنى الأرك حصل الموحدون على كثير من هذه المغانم يقول المقرى » وحكى أن الذى حصل لبيت المال من دروع الإفرنج ستون ألفاً ، وأما الدواب على اختلاف أنواعها فلم يحصر لها عدد »(٣) وفى رواية أخرى أن الموحدين غنموا من معركة الأرك : ١٣ ألف أسير ومن الحيام ١٤٣ ألف ومن الحيل ٢٦ ألف ومن السلاح ٧٠ ألفاً (٤) ولا شك أن نصيب خزانة الدولة من هذه

⁽١) أبن صاحب الصلاة: تاريخ المن ص ٢٧٨٠

⁽٢) نفس الرجع السابق ص ٣٢١ •

⁽۲) المترى: ننح الطيب جـ ٦ ص ١١٦٠

⁽٤) محمد الرشيد ملين : عصر المنصور الموحدي ص ١٥٢ ٠

المغانم كثير .

وهكذا كانت المغانم والأموال التي يحصل عليها الوحدون من هذه المعارك تشكل مصدراً هاماً من مصادر الدخل نظراً لكثرة المعارك التي خاضها المرابطون والموحدون .

ه _ المادرات:

كان حزم ولاة الأمر بالمغرب الأقصى ومراقبتهم المستمرة لعالهم ، ومحاسبتهم على ما يجنون من أموال عن طريق غير مشروع سبباً في الحصول على الكثير من الأموال وإضافتها إلى خزينة الدوَّلة فيما يسمى بالمصادرات ، ولم تشر المراجع التي اطلعت عليها إلى وجود هذه الظآهرة بالدولة المرابطية ، حتى إذا قامت دولة الموحدين تتبع خلفاؤها ولاتهم وعمالهم بالمراقبة والمحاسبة فحين أساء مشرف أشبيلية التصرف سنة ٥٧١ه / ١١٧٥م أمر الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن بمعاقبته ومصادرة أمواله يقول ابن عداري 1 وفي سنة إحدى وسبعين وخسائة أمر الحليفة أبو يعقوب بنكبة محمد بن عيسي مشرف أشبيلية في حمادي الآخرة وتولى تثقيف حاله وماله للمخزن يلول بن جلداسن واستصفى مَا كان عنده من المال والعقار بأنواع العذاب وأسوأ العقاب حتى ضرب نفسه بسكين كان فى يده فلم يمت من ذلك ثم عذب وضرب حتى مات، (١) كذلك قام الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة ٥٧٩ه / ١١٨٣م بمحاسبة وزرائه وعمالهومنهم وزيره ادريس بن جامع الذى استصفى أمواله (٢) وْمشرف أشبيلية الذي أمر ْبسجنه والإستيلاء على أمواله(٣) وفي نفس العام سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م حاسب الحليفة يوسف بن عبد المؤمن عمال فاس ومكناسة وغيرهم سواء كانوا ولاة أو مشرفين على الأموال وبعد محاسبتهم ومصادرة أموالهم فرض المحققون عليهم أموالا يدفعونها لخزينة الدولة يقول ابن عذارى و فأستأصل أموالهم ورد للمخزن ضياعهم ورباعهم وتركلكل رجل مهم داراً واحدة وكان الذي قاطعوه على أنفسهم أن يعطوه ويدفعوه أربعائة ألف

⁽۱) ابن عذاری : البیان المغرب ج ٤ ص ٢٣ تطوان .

⁽٢) ابن عذارى : البيان المفرب ج ٤ مس ٢٩ تطوان .

⁽٣) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ٢٢٤ حاشية .

دينار وستين ألفاً يقسطونها على أنفسهم وشهد العدول بذلك عليهم فعمل عليهم الرقباء حتى دفعوا المال المذكور ،(١).

فلما تولى المنصور الموحدي سار على نفس سياسة أبيه من مصادرة الأموال فني سَنة ٥٨٥ﻫ / ١١٨٩ م أمر بالقبض على ابن سنان حين بلغ الخليفة أنه فرَّ في احدى المعارك « فأمر المنصور إذ ذاك باستصفاء أحواله وضّم أمواله » (٢) ، كذلك حن استقر الخليفة المنصور بإشبيلية سنة ٥٩٣ هـ ١١٩٦م وحاسب عماله هناك ومن هؤلاء أبي سليان داود بن أبي داود الذي غرّم مقداراً من المال بلغ خمسن ألفاً واستصفيت أحواله وأمواله(٣) كذلك حاسب الحليفة أبا على عمر بن أبوب « على ما كان تحت نظره وفي اخترانه من أموال النفقات والموقف عنده من ساثر المرتبات عليه مال جسيم واستفهم عنه فلم يوجد له جواب فضم ديونه وحميع أطرافه وحمع تحو الحمسة عشر ألف دينار فقبضت منه وطلب بأستيفاء الباقى فعجز عنه فاعتقل مع أبي سلمان _٩ (٤). '

وقد محدث أن تصادر الحلافة أموال أحد العال ثم تكتشف ظلم هذا الاجراء فترد له أمواله وهذا ما حدث لمحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف من أهل قلعة محصب بالاندلس وقد تولى عدة أعمال للموحدين ثم غضب الخليفة المنصور الموحدي عليه ولما صفح عنه رّد عليه كل ما أخذ منه يقول . عباس المراكشي « فأمر المنصور بالقبض عليه وعلى ابن عمه صاحب أعمال. إفريقية أبى الحسن سنة ٥٩٣ هـ ثم رضي عنهما وأمر محمد بن عبد الملك أن يكتب نخطه كل ما أخد منه فصرفه عليه ولم ينقص منه شيئاً ، (٥).

وهكذا تكوّنت مصادر الدخل المالى من خمسة مصادرٌ : ٱلحرّاج والزكاة والضرائب والغنيمة والمصادرات.

وفرة الدخل المالى:

ساهمت المصادر المالية المتنوعة والتي كان يحصل منها إذلاة الأمر من

⁽۱) ابن عداری :البیان المفرب ج ٤ ص ٥٩ ، ٠٠ تطوان ٠

^{. (}٢) نفس المرجع السابق ج ٤ ص ١٣٩ تطوان ، •

⁽٣) نفس المرجع السابق ج ٤ ص ١٧٣ تطوان . (٤) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ١٧٣ ٤ ص ١٧٤ تطوان (٥) عباس المراكشي : الاعلام ج ٣ ص ٠٤ ، ١٤ .

المرابطين والموحدين على الأموال اللازمة والتي مكتنهم من تحقيق ما كانوا يرجونه من تجهير حملات وإقامة منشآت والإنفاق على أوجه الإصلاح والتعمير في أرجاء الدولة المرامية الأطراف ، وكان الدخل المالى في دولة المرابطين من الكثرة بحيث وفي ما احتاجه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من أموال لإنفاقه على حملاته العسكرية المتعددة وغير ذلك من شئون الإصلاح في البلاد يضاف إلى ذلك أنه ترك في خزينة اللولة بعد وفاته مقداراً كبيراً من المال(۱) وقدرت هذه الثروة بسبعة ملايين ونصف مليون من الفضة وزناً ، وماثة وخسة وعشرين ألفاً من الدهب وزناً (۱) وفي رواية ابن أبي زرع ويقال أنهم وجدوا في بيت المال بعد وفاته أي وفاة يوسف بن تاشفين — ثلاثة عشر ألف ربع من الورق وخسة المطبوعة ، (۲)

فلم قامت دولة الموجدين وامتد نشاط الموجدين العسكرى حتى برقة شرقاً وصارت المنطقة تخضع كلها للسلطة المركزية في مراكش وتجبى إلها الأموال في كل عام ، ازداد الدخل المالى ، وجمعت الأموال الكثيرة (٤) وقد أشار إلى كثرة الحبايات ابن خلدون بقوله « وقطر المغرب وإن كان في القديم دون إفريقية فلم يكن بالقليل في ذلك العصر وكانت أحواله في دولة الموجدين متسعة وجباياته موفورة (٥) ، وهذا يفسر لناكثرة البناء والتعمير والرخاء الذي شهدته البلاد في عهد الموجدين ، وتوفير الأموال في أيدى الناس يقول المراكشي « وكان – أي يوسف بن عبد المؤمن - شديد الملوكية ، بعيد الحمة ، مغباً جواداً استغنى الناس في أيامه وكثرت في أيديم الأموال (٤) وقد

⁽۱) ابن المؤتت : السمادة الأبدية جـ ٢ ص ٨٩ ، السلاوى : الاستنصا جـ ٢ ص ٦٠ ، ابن القاضى : جسنوة الانتبساس من ٣٤٨ ، الميلى : تاريخ الجزائر جـ ٢ ص ٢١٢ .

S,P. Scott; "History of Moorish Empire, V.2, P 239 (1)

⁽٣) ابن ابي زرع : الانيس ج ٢ من ٣٧ ت الفيلالي .

⁽٤) نفس الرجع السابق جـ ٢ من ١٧٣ ت الفيلالي ، ابن خلكان : وهيات الاعيان جـ ٢ ص ١٣٥ ، النويرى : نهساية الارب جـ ٢٢ مجلد ٢ ص ١٠١ .

Hudgett Meakins; The Moorish Empire, P: 76

ه ۱۳۹۷ ابن خلدون: متدمة ابن خلدون ص

⁽٢) المزاكلتي : المعجب من ٢٣٨٠.

أعطانا المراكشي مقدار ما كان بجبي من إفريقية في عهد يوسف بن عبدالمؤمن المتدليل على كثرة الأموال بقوله و وكان الذي يسهل عليه – أي على أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن – بذل ما جبل عليه من ذلك سعة الحراج وكثرة الوجوه التي يتحصل مها الأموال ، كان يرتفع إليه خراج إفريقية وحملته في كل سنة وقر مائة وخسن بغلا ، هذا من إفريقية وحدها ، خلا بجاية وأعمالها ، وتلمسان وأعمالها وألمغرب ومدينة سلا وأعمالها وسبته وأعمالها. وجزيرة الأندلس قاطبة . . مضافاً إلى مراكش وأعمالها . . » (١) واستطاع ولاة الأمر عن طريق هذه الأموال الكثيرة مواجهة أوجه النفقات المختلفة والتي تطلبتها تلك المملكة المترامية الأطراف .

ثالثا ... النفقات وتنوعها:

تعددت أوجه الإنفاق بالمغرب الأقصى فى ظل المرابطين والموحدين ويمكننا أن تجملها تحت بنود أساسية : نفقات الجيش ـــ المرتبات ــ نفقات البناء والتعمير ـــ المنح والهدايا .

٢ ــ نفقات الجيش:

عتل الانفاق على الحنود ومعداتهم سواء كانوا في البر أو البحر النصيب الأوفى من اللخل المالى ، باعتبار أن الحهاد احتل ركناها مامن نشاط ولاة المرابطين وخلفاء الموحدين نظراً للظروف التي أحاطت بهم من مواجهة لعدو متربص بالأندلس محاول الاستيلاء عليها ، ومن هنا تعددت الحملات العسكرية برا وعراً المتجهة إلى الأندلس ، وغير ذلك من الحملات التي اتجهت إلى شرق البلاد ، ومنذ اللحظات الأولى اهم يوسف بن تاشفين بتكوين جيش كبير مزود بكل أنواع السلاح وذلك حتى يدعم مركزه في الحكم ، وفي نفس الوقت في مواصلة علية الحهاد المستمرة في الأندلس ، ومن هنا اشترى الأنواع المختلفة من السلاح ليدعم بها قواته في سنة ٤٧٤ ه / ١٠٨١ م بعث إلى الأندلس بأموال كثيرة ليشترى ما يلزمه من أنواع السلاح المختلفة (٢) وقد

⁽۱) نئس الرجع السابق ص ۲۵۹ ، ۲۵۹ •

⁽٢) ابن الخطيب : الحلل الموشية من ٢٢ . (م ١٤ مـ الحضارة)

تضاربت الأقوال في تعداد جند يوسف بن تاشفين ، فبعض الروايات تذهب إلى أن تعداد جيشه كان يبلغ ماثة ألف مقاتل (١) وبعضها يشير إلى أن عدد جنده كان حوالى أربعن ألف مقاتل (٢) ولا شك أن تعداد الحند مختلف من معركة إلى أخرى بحسب أهمية المعركة وخطورتها ، فني معركة الزَّلاقة كان عدد المتطوعة والمرتزقة في جيش المرابطين عشرين ألفاً (٣) وفي رواية أخرى أنه بلغ تعداد الحِيش الإسلامي ما بين ١٣٠ ألفاً إلى ١٥٠ ألفاً (٤) وهو رقم مبالغ فيه ، ولو أخذنا برواية المراكشي والتي تشير إلى أن عدد المتطوعة كان عشرين ألفاً وأضفنا إلى هذا العدد ما يقاربه من قبائل المرابطين لصار العدد أربعين ألف مقاتل فاذا كان مرتب الحندى كما يقول ابن الخطيب خسة دنانير في الشهر (٥) لصارت مرتبات الحند ماثني ألف دينار ولا شك أن هذا مبلغ كبس سوى ما تتكلفه الحزانة من عتاد وسلاح وموان تزوّد بها جنودها .

فلما تولى على بن يوسف تابع سياسة أبيه من مواصلة الحهاد في الأندلس وتجهير الكتائب لمواجهة ثورة آبن تومرت التي اندلعت في البلاد يقول ابن الخطيب ﴿ وَلَمْ يَزُلُ أُمِّرُ المُسْلَمِينَ عَلَى بَنْ يُوسَفْ يُوالَى الْحَرُوبِ عَلَى أَصْحَابِ المهدى من كل جانب ويبعث لمحاربتهم الحيوش والكتائب . . ويُنْفُقُ علمهم بيوت الأموال رجاء دفع دائهم العضال فدامت أكثر مدته في حروب معهم و کروب ا(۱).

واحتل الانفاق على الأسطول المرابطي جزءاً من النفقات الحربية حيى يتمكن المرابطون من تأمن سواحل المغرب الأقصى والأندلس ضد هجات الفرنجة والقراصنة ، وفي نفس الوقت إقامة جسر بن المغرب الأقصى ﴿ والأندلس لنقل الحنود والمعدات إلى الأندلس ومن هنا صار للأسطول المرابطي شأن كبير مما استلزم معه كثير من النفقات في تشييد السفن وتجهيرُها وقد .

⁽١) اشباخ : تاريخ الانطس هي ١ ص ٧١ ٠

S,P. Scott; History of Moorish Empire, V.2 P; 196.

⁽٢) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٢٣ ٠ ـ

⁽٣) الراكشي : المجب ص ١٣٣٠ . (٤) اشباخ : تاريخ الاندلس ج ١ ص ٨٥ . (٥) ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ٥٥ .

⁽٦) أبن الخطيب : الحلل الموشية ص ٨١ ، ٨٢ ،

أشار ابن خلدون إلى أهمية أسطول المرابطين بقوله « وكان الحانب الغربي من هذا البحر لهذا العهد – أى عهد المرابطين – موفور الأساطيل ثابت القوة لم يتحيفه عدو ولا كانت لهم به كرة »(١).

حتى إذا قامت الدولة الموحدية وجدنا الحيش محظى بإهتمام خلفاء الموحدين من حيث العدد والعدة واستلزم ذلك الكثير من الأموال التى تنفق عليه و ذلك ليتناسب مع النشاط العسكرى الكبير الذى قام به الحليفة عبد المؤمن ومن جاء بعده من أبنائه في ميدان الاندلس وشرق البلاد ، واختلفت أعداد الحند من معركة إلى أخرى فحين عزم الحليفة عبد المؤمن على غزو افريقية اجتمع له من الحند ماثة ألف مقاتل ومن الأتباع والسوقة أمثالهم (٢)ونفس هذا العدد اجتمع له حين عزم على الحروج إلى الأندلس سنة ١٩٥٧ / ١٦٢٦م (٢) وفي رواية أخرى أنه اجتمع له حين عزم على الحروج إلى الأندلس من الموحدين وقبائل زناته أزيد من ثلثائة ألف فارس ومن جيوش المطوعة ألف فارس وماثة ألف راجل (٤) ويشير الميلي إلى أن عدد جند الموحدين أثناء الحرب يبلغ أربعائة ألف فارس عدا المشاة وأن جيش الناصر الذي خرج إلى الأندلس سنة ١٩٠٨ ه بلغ المليون جندى (٥) وبالرغم أن هذه الأرقام يبدو عليها طابع المبالغة إلا أنها تعطينا احساساً عمدى ضخامة جيش الموحدين .

كذلك كان عدد جند الموحدين والذين يرتزقون من وراء انتسابهم المجندية بمدينة مراكش وحدها عشرة آلافجندى تبعاً للإشارة التي ذكرها المراكشي حين قال «ثم من ذكرنا من الموحدين صنفان : فالصنف الأول يدعون الحموع وهم المرتزقة الذين يكونون بمراكش لا يبرحونها والصنف الآخر يدعون العموم وهم الكائنون ببلادهم لا يحضرون إلى مراكش إلا في النفير الأعظم ، وعدد المرتزقة الذين بمراكش من قبائل الموحدين وساثر من ذكرنا من الأجناد على ما صح عندى تلخيصه عشرة آلاف نفس هولاء

⁽١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ٢٥٥ .

⁽٢) السلاوي : الاستقصا هُ ٢ ص ١٣٦ .

⁽٣) ابن صباحب الصلاة: تاريخ المن ص ٢١٨٠.

⁽٤) ابن أبى دينار: المؤنس ص ١١٢ .

⁽٥) الميلي : تاريخ الجزائر ج ٢ ص ٢٢٦ .

الذين بمراكش خارجاً عما في سائر البلاد ومن الموحدين وأصناف الحندي(١) فإذا كان عدد جند العاصمة من المرتزقة والذين لا يبرحونها فضلا عن المدن الاخرى لتبين لنا مدى ضخامة جند الموحدين ، هذه الأعداد الكبيرة كانت لها مرتبات مع ما تأخذه من منح وأموال أثناء القيام بحملة من الحملات ، يضاف إلى ذلك ما يوزع عليها أثناء الاحتفالات العامة ، أما بالنسبة لمرتباتهم فإنها كانت ثلاث مرات سنوياً وذلك بالنسبة لحند الموحدين أما بالنسبة لغيرهم من جنود الغز فإن مرتباتهم كانت شهرية وقد علل المنصور الموحدي ذلك بأن الموحدين لهم الإقطاعات التي تدرٌّ عليهم الأموال يقول المراكشي «فأحسن نزلهم ــ أى أحسن المنصور الموحدى نزل الماليك الغز ــ وبالغ فى تكرمتهم وجعل لهم مزية ظاهرة على الموحدين ، وذلك أن الموحدين يأخذون الحامكية ثلاث مرآت في كل سنة ، في كل أربعة أشهر مرة ، وجامكية الغز مستمرة في كل شهر لا تختل وقال : الفرق بين هؤلاء وبين الموحدين أن هؤلاء غرباء لا شيء لهم في البلاد يرجعون إليه سوى هذه الحامكية والموحدون لهم الإقطاع والأموال المتأصلة، (٢) وفي رواية العمرى أن مرتبات الموحدين في الدولة الحفصية وهي امتداد للدولة الموحدية في افريقية كانت أربع مرات في السنة وهذه البركات تفرّق أربع مرات في كل سنة ، في عيد الفطر تفرقة ، وفي رجب تفرقة وفى ربيع الأول تفرقة وفى عيد الأضحى تفرقة »^(٣) هذا بالنسبة للمرتبات الثابتة الدورية لجند الموحدين ، وإن كانت المراجع لم تعطينا مقدار مرتب كل جندى ، إلا أن المنح التي كانوا يأخلونها عند الحروج إلى المعارك تعطينا صورة تقريبية لمرتب كل جندى ، وقد اعتاد الموحدون عند الخروج إلى معاركهم تميير الحند أى استعراضهم وتفريق الاموال عليهم فالحليفة عبد المؤمن حين عزم على التوجه إلى بجاية مير جيوشه وفرق فيهم الأموال(؛) وكذلك المنصور الموحدي حين وصل من مراكش إلى الأندلس واستقر

⁽١) المراكشي : المجب ص ٣٤١ ٠

⁽٢) الراكشي: المعجب ص ٢٨٩٠ .

⁽٣) العمرى : وصف انريقيسة والمغرب ص ١٨ ت حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس .

⁽٤) أبن أبى زرع: الأنيس ج ٢ ص ١٤٨ ت الفيلالي ، السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ١٢٠ .

بأشبيلية مُثَّر الحند وأعطى البركات (١) وقد أعطانا ابن صاحب الصلاة تصويراً دقيقاً لعملية التمييرُ التي قام بها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن عند الإستعداد للعبور إلى الأندلس سنة ٦٦٥ / ١١٧٠ م وقد بدأ التميير بحشد الأعداد الوفيرة من جند الموحدين وغيرهم وبدأ بترويدهم بالملابس والسلاح يقول ابن صاحب الصلاة ﴿ وَلَمَا كَانَ غَرَّةً حَمَادَى الْأَخْبَرَةُ مِنَ السَّنَةُ المُؤْرِخَةِ ــ سَنَّة ٢٦هـ ــ أمر سيدنا الخليفة بتميير للموحدين علىعددقبائلهم ومنتهى مناولهم ، وتربية صفاتهم فامتثل ذلك وتمادى بتميير هم مدى خمسة عشر يوماً ، وقسم عليهم الحيل المسومة والحياد الروقة على أعدادها المذكورة ، وكذلك على العرب الوافدين وأعطى للجميع الرماح والدروع البيض والسيوف وأنعم علىالحميع يما استعد به لهذه الغزوة الحافلة من الآلات المذكورة ، (٢) حتى إذا فرغ المكلفون بتوزيع السلاح من مهمتهم ، جلس الخليفة ليعاين بنفسه توزيع الأموال والمنح على الحنود وروسائهم « وجلس أمير المؤمنين ــ أي يوسف ابن عبد المؤمن ـــ في مجلسه العالى وأشياخ الموحدين معه وأشياخ طلبة الحضر وأشياخ العرب وأمر وزيره أبا العلا ادريس المذكور أن يأمر الخزانين باحضار الأموال بين يديه من الدنانير والدراهم فأحضرت أمامه وعلت أكداساً ، وجنسها من الذهب والفضة أجناساً ، وقدم الموحدين في تنفيذ البركة لهم ، فخرج للفارس الكامل منهم عشرة دنانير ، ولغير الكامل ثمانية دنانير وللراجل خمسة دنانىر ، ولغير الكامل ثلاثة دنانير ، وأمر للعرب ببركتهم فخرج للفارس الكامل منهم خسة وعشرون ديناراً ، ولغير الكامل خسة عشر ديناراً والراجل سبعة دنانبر وخرج لأشياخ العرب لكل شيخ مهم خسون ديناراً ، ولكل رئيس مهم على قبيلة مائتا دينار ، وكسا حميعهم بالقباطي والقمص والغفاير والعمائم » (٣) ، ومن هذه الأعطيات للجنود ورءوسائهم يتضح ضخامة الأموال التي كان محصل علمها الحنود كمنح أثناء الخروج للمعارك فضلا عن الملابس وأنواع السلاح المختلفة وقد أعطانا ابن عدارى مقدار المنح المالية فى أثناء غزو الخليفة يوسف بن عبد المؤمن لقفصة سنة ٥٧٥ ه / ١١٧٩م ﴿ كَانَ ﴿ أَيُ

⁽۱) الحميرى : صفة جزيرة الانطس ص ١٣ . (٢) ابن صاحب الصلاة : تاريخ الن بالامامة ص ٣٦٦ ، ٣٧٤ .

⁽٣) ابن صاحب الصلاة : تاريخ الن ص ٣٧٤ .

يوسف بن عبد المؤمن يعطى البركة لعساكره فى غزوته لقفصة ألف دينار تمادى فى ذلك مدة غزوته إلى أن انصرف سوى العاوفات والمواسات والمرافق فى كل منزل (١).

وفى الاحتفالات العامة والمناسبات الكبيرة التى يحتفل فيها الخلفاء بالعاصمة كان الحند يحظون بالمنح والأموال ومن ذلك الاستقبال الكبير الذى قام به الحليفة يوسف بن عبد المومن سنة ٥٦١ / ١١٦٥ م فى استقبال أخيه السيد أبى حفص القادم من الأندلس ، وبعد مراسم الاحتفال وإطعام الطعام وزعت الأموال على الموحدين يقول ابن صاحب الصلاة « وأنعم — أى الحليفة يوسف بن عبد المومن — على حميع الناس الغازين والقاطنين وعلى طلبة الحضر وأدرّت عليهم البركة الحافلة من الذهب والدراهم : لكل فارس عشرون ديناراً ، ولأعيان الموحدين وأشياخهم لكل واحد مائة دينار ولأشياخ العرب لكل واحد مائة دينار ولسائر عسكر العرب عشرون ديناراً لكل فارس فاجتمع لحميع الناس السرور والمال الحاضر الموفور » (٢) .

وبجانب هذه الأموال كانت هناك المواساة وهي غلة تفرق عليهم عند تحصيل الغلال التي في المخازن (٢) وكان يخرجها خلفاء الموحدين وقد وصف ابن صاحب الصلاة وابن عذارى الحليفة يوسف بن عبد المؤمن بأنه كان صادقاً رأيه للموحدين بالمواساة في كل شهر وبالبركات مدى الدهر (٤) وقد أشار العمرى إلى أن الموحدين في الدولة الحفصية كانوا يأخذون المواساة في كل سنة ومعها الإحسان وهو مبلغ يفرق عليهم وكلاهما أى المواساة والاحسان من السنة إلى السنة (٥) فالمرتبات والتميير عند المعارك والمنح مع المواساة والاحسان كلها نفقات كان يحصل عليها الحنود من بيت المال.

ومجانب هذا كان هناك الإنفاق على الأسطول وجنوده ، وقد أهمّم

⁽۱) ابن عذاری : البيان المغرب ج ٤ ص ٣١ ، ٣٢ تطوان .

⁽٢) أَبِنَ صَاحِبَ الصَّلَاةَ : يَارِيخُ أَلَنَ صَّ ٢٩١ ، ٢٩٢ .

⁽٣) الْعَمرى: وصف المريقية ص ١٩٥ ت حسن حسني عبد الوهاب،

⁽٤) ابن صاحب الصلاة : تاريخ الن ص ٢٣٣ ، أبن عــذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٧٠ تطوان .

⁽٥) العمسرى : وصف المريقيسة ص ١٩ ت ، حسن حسنى عبد الوهاب .

الموحدون اهتماماً كبىراً بإنشاء الأساطيل المختلفة لتواجه نشاط العدو البحرى ولتحمى تلك الامبراطورية الضخمة ومن هنا اهتم الخليفة عبد المؤمن بإنشاء أسطول ضخم بلغ أربعائة قطعة (١) وفي رواية أخرى أنه بلغ سبعائة قطعة (٢) ولا شك أن هذا العدد الكبير والمتنوع من السفن احتاج للقدر الكبير من المال حتى ممكن تجهره وإعداده ، وقد أشار ابن خلدون إلى ضخامة أسطول الموحدين بقوله ﴿ وَلَمَا استفحلت دولة الموحدين في الماثة السادسة وملكوا العدوتين أقاموا خطة هذا الاسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد ٥(٣) وهذا العدد الكبير من السفن احتاج عدداً كبيراً من الحند المزوّدين بمختلف أنواع الاسلحة ، وكان هؤلاء الحند محصلون على مرتباتهم وأرزاقهم ولا يحرمون المكافآت والمنح إذا أحرزوا نصراً على عدوهم فحين حقق الاسطول الموحدى انتصاراً على أسطول الفرنج في المهدية في عهدُ الحُليفة عبد المؤمن وزع علمهم قدراً من المال(٤) يقول أبو عبد الله محمد « واستولى ــ أي أسطول الموحدين على ثمان قطع منه ــ أى من أسطول الفرنج ــ فاجتمع بقية الأسطول وولوا مُهْزِمَنَ ، فسجد عبد المؤمن شكراً لله تعالى وفرق في غزاة الاسطول اثني عشر ألف دينار مؤمنية ، (٥).

وهكذا كانت نفقات الحرب والحند تشغل حيراً كبيراً من الدخل المالى نظراً لكثرة الحنود والمعارك واهتمام ولاة الأمر بجنودهم .

٢ ـ المرتبات:

شكلت المرتبات والأرزاق المصدر الثاني من أوجه الانفاق من بيت المال

⁽١) عبد العزيز بنعبد الله المظاهر الخضارة المغربية جد ١ ص ١٤٤٠ عبد العزيز بنعبد أله : تاريخ المفرب جدا ص ١١٨ ، أحمد بن عبد السلام : الريخ المزائر ج ۲ ص ۲٫۲۲ .

Budgett; The Moorish Empire P; 74.

⁽۲) ابن أبى دينار : المؤنس ص ۱۱۲ . (۳) ابن خلدون : متدمة ابن خلدون ص ۲۵۵ . (۵) د أحمد مختار العبادى : دراسات فيتاريخ المغرب ص ۲۳۳۵ د السيد عبد العزيز سالم ود العبادى : المبجرية الاسلامية في المغرب والأندلس ص ٢٥٣.

⁽٥) أبو عبد الله محمد : الحلل السندسية : ص ٢٥٢ .

وكان ولاة الأمر فى الدولة المرابطية بجرون المرتبات والأرزاق على الهيئة الادارية بالبلاد ومن هو لاء القضاة الذين كانوا ينالون مرتبات معتادة وقد أشار النباهي فى ترجمته للقاضى أبى محمد عبد الله الوحيدى الذى ولى القضاء برية سنة ١٩٥١ / ١١٣٦ م ثم استشعر من نفسه مللا فاعترل الحدمة وامتنع عن أخذ الحراية المعتادة يقول النباهي و ثم استشعر من نفسه قصور ملالة وفتور شاغة فآلى إلى الزهادة وقبض يده عن أخذ الحراية المتعادة - وصحتها المعتادة - لأمثاله من القضاة ه (١).

كذلك كان للفقهاء والعلماء منزلة كبيرة فى دولة المرابطين ، ومن هنا أجريت عليهم الأرزاق ، يقول ابن القاضى « ورد – أى يوسف بن تاشفين أحكام البلد إلى القضاء وأسقط ما دون الاحكام الشرعية وكان محباً فى الفقهاء والصلحاء ومقرباً لهم صادراً عن رأيهم وأجرى عليهم الارزاق من بيت المال ه(٢).

حتى إذا قامت الدولة الموحدية لمسنا مدى تعدد أنواع المرتبات فالوزراء ورجال البلاط والحشم والقضاة والفقهاء والطلبة كانوا ينالون مرتباتهم من خزينة الدولة (٣)وقد أعطانا القلقشندى مقدار ما كان بأخذه أشياخ الموحدين من مرتبات فى ظل الدولة الحفصبة « لهم س أى أشياخ الموحدين الكبار ب مع ذلك راتب يفرق عليم فى طول السنة يسمونها البركات بمثابة الحوامك بمصر يفرق أربع مرات فى السنة . . نصيب كل واحد منهم من ذلك أربعون ديناراً مسياة ، تكون بثلثائة درهم عتيقة . . فيكون عملة ما لكل واحد منهم فى كل سنة مائة وعشرين ديناراً مسياة عنها ألف وماثنا درهم مغربية ه (١) وهنا خطأ فى الحساب لأن الفرد بحطل على أربعين ديناراً فى أربع مزات يصبح مجموعها مائة وستين ديناراً وليس مائة وعشرين ديناراً ، وهذا ما كان محدث فى الدولة الحفصية ، وقد كانت ولاية موحدية قبل أن ينفصل بها أحد أشياخ اللبولة الحفصية ، وقد كانت ولاية موحدية قبل أن ينفصل بها أحد أشياخ

⁽۱) النباهي : تاريخ تفناة الأندلس ص ١٠٤ ت ليفي برونلسال .

⁽٢) أبن القاضي : جنوة الاقتباس من ٣٤٣ ، ٣٤٣ .

⁽٣) أشباخ :تأريخ الاندلس جـ ٢ ص ٢٤٩ .

⁽٤) التلتشندي : صبيح الأعشى : جاه ص ١٤١ ، ١٤١ .

الموحدين وهو الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبى حفص ، ومن هنا جاز لنا أن نقول أن احمال تشابه مرتبات أشياخ الموحدين في الدولة الحفصية كان مقارباً لما كان محصل عليه أشياخ الموحدين بالمغرب الأقصى . ويلحق مهذا مرتب القضاة في الدولة الحفصية حيث كان قاضي الحاعة محصل على مرتب خمسة عشر ديناراً يقول العمرى « ومبلغ ما لقاضي الحاعة فهو خمسة عشر ديناراً مسمى في كل شهر وكان له معها عليق لبغلته »(١) . وربما كان نظيره في الدولة الموحدية محصل على نفس المرتب الشهرى .

وكان الطلبة ينعمون بالمرتبات والأرزاق ، والطلبة هم أبناء القبائل الذين جمعهم الخليفة عبد المؤمن وأعدهم اعدادا خاصاً في مدرسة أنشأها لهم ليكونوا هم الطبقة الإدارية بالبلاد ، وكانت نفقتهم وسائر مئونتهم من خزانة الدولة (٢) و هم خلفاء الموحدين الذين جاءوا بعد الخليفة عبد المؤمن بالطلبة وأجروا عليهم المرتبات والأرزاق (٣) وقد بينت الرسالة الصادرة من الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن بمراكش سنة ٣٦٥ هم / ١١٦٧م إلى الموحدين بأغرناطة اهمام الخليفة بدفع مرتبات الطلبة بها وقد جاء في الرسالة « وقد خاطبنا المالية يوسف بن عبد المؤمن - الطلبة الذين بأشبيلية أن يدفعوا للموحدين الذين بأغرناطة من البركة - أى المرتبات - مثل ما أخده أهل قرطبة هواك وبرغم ما أجراه الخليفة عبد المؤمن على هؤلاء الطلبة من أرزاق ومرتبات إلا أنه لمس ضيق حال الطلبة الموجودين بعاصمة الخلافة لذا استشار من حوله في إعطائهم قروضاً من بيت المال يقول ابن القطان « ومنها أنه - أى عبدالمؤمن في إعطائهم قروضاً من بيت المال يقول ابن القطان « ومنها أنه - أى عبدالمؤمن أبن على - أحس بضعف طلبة أهل مجلسه المكرم من طلبة الحضرة منهم أبو محمد المالتي وغيره فقال لأشياخ الموحدين أعزهم الله تعالى : هؤلاء طلبة غرباء ضعفاء والإقلال عليهم ظاهر فنرى أن ندفع إليهم مالا نقارضهم فيه ، غرباء ضعفاء والإقلال عليهم ظاهر فنرى أن ندفع إليهم مالا نقارضهم فيه ،

⁽۱) العمرى: وصف انريقية ص ۲۰ ت حسن حسنى عبد الوهاب

⁽٢) محمد المنونى: العلوم والآداب ص ٢٤ ، عنان: عصر الرابطين التسم الأول ص ٤٠٣ .

⁽۳) ابن صاحب المسلاة: تاريخ المن ص ۲۸۲ ، ابنابي زرع: الانيس ص ۱۹۸ طبع حجر ، السلاوي: الاستقصا ج ۲ ص ۱۹۸ ۰

⁽٤) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ٥٦ ٠

ويتجرون به ويردون السلف لنا ، فقالوا : نعم فأسلفهم من مال المخزن ألف دينار لكل واحد فاكتسبوا منها وكانت أصل غناهم ولم يأخذها منهم أبدآ» (١).

وتمتعت الطوائف الأخرى من أطباء ومهندسين وغيرهم من كانوا يعملون بحدمة الموحدين بالأرزاق والمرتبات وقد أشار عباس المراكثي إلى أن ابن طفيل طبيب الخليفة يوسف بن عبد المؤمن كان يأخذ جامكية أى مرتباً مع غيره من الموظفين « وبلغني أنه كان يأخذ الحامكية مع عدة أصناف من الخدمة من الاطباء والمهندسين والكتاب والشعراء والرماة والأجناد إلى غير هؤلاء من العلوائف » . (٢)

وهكذا شملت المرتبات أنواع متعددة من الموظفين والمشتغلين في خدمة

٣ ـ نفقات البناء والتممي:

اهتم ولاة الأمر من المرابطين والموحدين بالبناء والتعمير ، وتنوّعت هذه المبانى وشملت مبان عسكرية كالقلاع والحصون والأسوار ومنشآت عامة كالمساجد والمدارس والمستشفيات والحيامات والفنادق والقناطر والسدود، وهذه المنشآت استلزمت المبالغ الضخمة حتى يتم انجازها ، وكان مصدر ذلك بيت المال ، ولن أتعرض الآن لهذه المنشآت والمبانى فسوف أفرد لها فصلا بإذن الله ، ولكننى سوف أتحير بعض النماذج منها سواء فى الدولة المرابطية أو الموحدية وتكاليفها حتى يتضح مدى ما كان ينفقه ولاة الأمر من أموال على البناء والتعمر .

في الدولة المرابطية حين عزم على بن يوسف على بناء الحامع الكبير بالعاصمة مراكش كلفه ذلك سبعين ألف دينار ، يقول ابن المؤقت و وبني على بن يوسف أيضاً الحامع الأعظم المنسوب إليه اليوم والمنار الذي عليه وأنفق عليه سبعين ألف دينار أخرى "(٣) وقيل أنه أنفق عليه نحو الستين ألف دينار (٤) وحين أراد تسوير مدينة مراكش استجابة لنصيحة ابن رشد خوفاً دينار (٤)

⁽۱) ابن التطان : نظم الجمان ص ۱۳۷ ت. د. محمود مكى .

⁽٢) عباس المراكشي : الأعلام جر ٣ ص ٣٤ ، ٣٥ .

⁽٣) أبن ألمؤقت : السعادة الأبدية ج أ س ١٤ .

⁽٤) عباس الراكشي : الأعلم ج ١ ص ٩٧ .

من هجوم عبد المؤمن بن على فان ذلك كلفه سبعين ألف دينار (١) وفى رواية محمد الشطيبي أن ذلك تكلف ستين ألف دينار يقول محمد الشطيبي و وبويع أبنه على بن يوسف فى مراكش فجاء الإمام أبو الوليد بن رشد من قرطبة لعقد البيعة لعلى ؛ فقال له لا محل لك أن تدع هذه المدينة بلا سور . . فشرع فى بناء السور وانفق عليه ستين ألف دينار أخرى ، (٢).

ونال البناء والتعمير سواء أكان بالمغرب الأقصى أو الأندلس إهمام وعناية خلفاء الموحدين فعبد المؤمن بن على بعد أن اتسعت مملكته وتوطد سلطانه أمر ببناء مدينة الفتح على جبل طارق وانفق في سبيل ذلك الأموال الحسمة يقول الحميرى « وكان أحد خلفاء بنى عبد المؤمن - وهو عبد المؤمن أبن على - أمر ببناء مدينة جبل طارق ، فندب إليها البنائين والنجارين وقطاع الحجر للبنيان والحيار من كل بلدة وخطت فيه المدينة ، وقدم إليها من المال ما يعجز كثرة ، واتخذ فيها الحامع وقصراً له ، وقصوراً تجاوره للسادة بنيه وتولى العمل في ذلك وسميت عدينة الفتح » (٣).

أما الحليفة يوسف بن عبد المؤمن فإنه وجه عنايته واهتمامه للبناء والتعمير سواء فى المغرب أو الاندلس ، وقد حظت الأندلس باهتمامه فنى سنة ٥٦٧ه / ١١٧١م حين توجه إلى أشبيلية أمر بعض العارفين بشئون البناء والغرس ببناء القصور وأن تحاط هذه القصور عساحات واسعة من الحداثق والتي غرس مها الزيتون والأشجار والأعناب وقد تكلف ذلك اموالا طائلة صرفت من خزينة الدولة (٤) وفي نفس العام أمر ببناء الحامع المكرم بأشبيلية وعدة منشآت أخرى وانفق في سبيل ذلك أموالا حمة (٥) .

حتى إذا تولى المنصور إهتم إهتماماً كبيراً بالبناء فقبل توجهه إلى معركة

⁽۱) نفس المرجع السابق جـ ۱ ص ۹۷ .

⁽٢) محمد الشطيبى : كتاب الجمان في اخبار الزمان ورقة '٢١٠ مخطوط .

⁽٣) الحميرى : صفة جزيرة الانطس ص ١٤١ .

⁽٤) ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن ص ٦٤٤ ، ٢٥١ ، ٢٦٦ .

⁽ه) ابن أبي زرع الانيس ج ٢ ص ١٨٦ ت النيلالي ، السلاوي : الاستتصا ج ٢ ص ١٥١ .

الأرام أمر ببناء عدة قصور وجوامع وصوامع بالعاصمة مراكش ، فلما عاد استفسر عن هذه المبانى فوجدها قد تمت على خير ما تكون وأنفق عليها أدوالا كثيرة (١) وأثناء وجوده بأشبيلية تمسم أعمال البناء فى جامع أشبيلية وتشييد منارته وصنع له التفافيح الذهبية التى تكلفت كثيراً وقد بلغ قيمة ما موهت به من الذهب مائة ألف دينار ذهباً (٢) وبنى المنصور الموحدى مستشفى كبيراً عمدينة مراكش وكانت نفقاته اليومية ثلاثين ديناراً (٣) وبذلك يتكلف المستشفى وحده من النفقات سنوياً ما يقرب من أحد عشر ألف ديناراً ، وقد أحس المنصور الموحدى بالندم حين وفاته وذلك لإنفاقه الأموال الكثيرة فى بناء مدينة رباط الفتح يقول ابن أبى زرع ه قال — أى المنصور الموحدى فى مرضه الذى توفى فيه — ما ندمت على شيء فعلته فى خلافتى إلا على ثلاث وددت أن لم أفعلها . . والثانية بناء رباط الفتح أنفقت فيه من بيت المال وهو صعد لا يعمر ه (٤) .

٤ ــ نفقات متنوعة :

لم تكن مصارف بيت المال قاصرة على الحيش والمرتبات والإنشاء والتعمير فحسب ، بل كانت هناك أوجه أخرى للإنفاق لحأ إليها ولاة الأمر بالمغرب الاقصى نظراً لظروف وأوضاع واجهتهم ، ومن ذلك الإنفاق على هؤلاء الأمراء والقادة اللين استولى ولاة الأمر بالمغرب الأقصى على أوطاتهم وممتلكاتهم ، وقد واجه المرابطون هذا الموقف حين قضى يوسف بن تاشفين على دول الطوائف بالأندلس واسئولى على ممتلكاتهم وفى نفس الوقت أرسل بعض هؤلاء الأمراء إلى المغرب الأقصى ليكونوا تحت رعايته ومراقبته ، وقد استلزم ذلك الإنفاق عليهم يقول الأمير عبد الله فى مذكراته « وأمرنا — أى يوسف بن تاشفين بإنزال الامير عبد الله وابن عباد وغيرهم من أمراء

⁽۱) عباس المراكشي : الأعلام جد ١ ص ٩٢ ، ٩٣ ، السلاوي : الاستقصا جد ٢ ص ١٩٥ .

⁽٢) ابن أبى زرع: الأنيس المغرب ص ١٦٦ طبع حجر .

⁽٣) المراكشي : آلمعجب ص ٢٨٧ .

⁽٤) ابن أبى زرغ: الانيس المطرب من ١٦٧ طبع حجر ، السلاوى: الاستقصا جـ ٢ من ٢٠٦ .

الأندلس - أن نستوطن أنحمات فأتيناها ولقينا من أمير المسلمين كل جميل ، وأنزلنا بداره الصغرى فى الحريم ، ولم يزل يفتقدنا من إنعامه كيف ما هيأ الله على يديه » (إ) وفى موضع آخر يذكر الأمير عبد الله أن يوسف بن تاشفين أرسل له مبلغ ثلاثمائة دينار «ثم أنه وافانى من عند السلطان ثلاثمائة دينار أخرى وأنا بمكناسة وخاطبنى بكتاب يعدنى بكل جميل ويقول لى : لا أنساك ما بقيت فسرنى ذلك . . » (٢).

وتحمل بيت المال نفقات أكثر فى ظل الموحدين نظراً لاتساع الدولة مع كثرة من دخل فى طاعة الموحدين ، وكان من يسرع فى مبايعة الموحدين من الأمراء والقبائل والأفراد يتمتع بوضع اقتصادى خاص ، فضلا عن الحوائز والأقطاعات التى يحصل عليها ، فأهل شريش بالأندلس حين دخلوا فى طاعة الموحدين ، أطلق عليهم الموحدون : السابقون الأولون ، وحررت أملاكهم وكانوا مقدمين عند الخليفة على سائر الوفود (٣) كذلك وفد أشبيلية حين أقبل على الخليفة عبد المؤمن يعلن بيعته قوبل بالترحيب ومنحوا الحوائز والإقطاعات على الخليفة عبد المؤمن يعلن بيعته قوبل بالترحيب ومنحوا الحوائز والإقطاعات لحميع الوفد سنة ٤٤٥ ه /١٤٤٧م (٤) وحين استولى الخليفة عبد المؤمن ، على بحاية واستسلم يحيى بن العزيز فإنه أرسل ومن معه من خاصته إلى مراكش حيث عاش فى رغد من العيش وأجريت عليه الأرزاق من بيت المال (٥) . وقد وصف المراكشي الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بأنه كان جواداً سفياً حيث أعطى هلال بن محمد بن سعد — ابن مردنيش — صاحب شرق حيث أعطى هلال بن محمد بن سعد — ابن مردنيش — صاحب شرق الأندلس أثنى عشر ألف دينار فى يوم واحد (٢) وحين التجأ فرنانده رايس

⁽۱) الأمير عبد الله : مذكرات الأمير عبد الله ص ۱۷۱ تحقيق ليفى بروفنسال .

⁽٢) الأمير عبد الله : مذكرات الأمير عسد الله ص ١٦١ ت ليفي بروننسسال .

⁽٣) السلاوى :الاستقصا ج ٢ ص ١١٦ ، ١١٧ .

⁽٤) ابن سعيد: نزهة الانظار ج ١ ص ١٨١ .

⁽٥) العمرى: مسالك الأبصار جـ ١٦ تسعم ٢ ص ٣٢٧ ، النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٢ مجلد ٢ ص ٩٢ ، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون جـ ٦ ص ٢٣٦ ، أبوعبد الله محمد: الحلل السندسية ص ٢٤٦ ابن أبى زرع: الأنيس جـ ٢ ص ١٥١ ت الفيلالى .

⁽٦) المراكشي : المعجب من ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

النصرانى صاحب ترجالة ليكون فى طاعة الموحدين ، فإنه وصل ومن معه إلى مراكش سنة ٥٦٣هم / ١٩٦٧م وقوبل بالإحسان والمبرة يقول ابن صاحب الصلاة و وأقام – أى فرنانده – فى الحضرة العلية خمسة أشهر تحت إحسان من الأمر العالى وامتنان وعطاء جزيل واسكان كفيل وألثف قلبه بالأنعام الحفيل حتى كاد أن يسلم ١٤٠٥ وفى عهد الناصر الموحدى حين دخل يحيى بن غانية فى طاعة الموحدين سنة ٢٠١ه ه / ٢٠٤م فان الناصر وصله و من الصلات النفيسة بما لا قيمة ولا يصل بمثله إلا الحلفاء ١٤٠٥ ولا شك أن أموالا كثيرة صوف فى مواجهة الإنفاق على هؤلاء الامراء والقادة .

وكانت هناك معونات عاجلة تصرف لأهل المدن التي يصيبها العدو بأضرار جسيمة فأهل زويلة وهي مدينة قريبة من المهدية حين استنجدوا بالخليفة عبد المؤمن لما أصابهم على يد الفرنج، وعدهم بالتأييد والمعونة وصرف لهم معونة عاجلة مقدارها ألني دينار (٣) يقول النويرى لا كان الفرنج قد تغلبوا على مدينة المهدية وملكوها في سنة ثلاث وأربعين وخسيائة . . وفعلوا محدينة زويلة الأفعال الشنيعة من القتل والنهب والتخريب فسار أهلها إلى عبد المؤمن وهو بمراكش يستنجدونه ويستخبرونه فأكرمهم وأخبروه بما جرى على المسلمين وأنه ليس في ملوك لإسلام من يقصد غيره فأطرق ثم رفع رأسه وقال أبشروا لا نصر نكم ولو بعد حن وأمر بإنز الهم وأطلق لهم ألني ديناره (١) كذلك حين استغاث أهل قونكة بالأندلس بالخليفة يوسف بن عبد المؤمن وصرف لهم الاعانات العاجلة .

وبجانب أموال الغوث والنجدة ، كانت هناك الأموال التى تفرّق على هيئة منح ومن هذه المنح ما يكون عاماً توزع على الشعب جلباً لمحبته ، وتوددا إليه وخاصة فى مناسبة تولى الحبكم ، فيوسف بن تاشمين حين شرع فى التمكين

⁽١) ابن صاحب الصلاة : تاريخ الن بالامامة ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

⁽٢) المراكشي : المعجب ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

⁽۳) ابن الأثير: الكامل ج ۹ ص ۷۳ ، السلاوى: الاستقصا ج ۲ ص ۱۳۵ .

⁽٤) النويرى : نهاية الأرب جـ ٢٢ مجلد ٢ ص ٩٤ .

لنفسه أرسل في سنة ١٠٧١ م إلى أمراء الغرب وأشياخ القبائل من زناته والمصامدة وغمارة وسائر قبائل الربر لمبايعته فلما تحقق له ذلك وصلهم بالأموال وكساهم جميعاً (۱) ويلحق مهذا تلك الأموال والهدايا الضخمة التي أعطاها لأبي بكر بن عمر حين تنازل الأخير عن الإمارة وكان مقدار المال فيها خسة وعشرين ألف دينار من الذهب (۲) واتبع هذه السياسة وهي سياسة التودد إلى الشعب خلفاء الموحدين ، فالحليفة عبد المؤمن بن على حين زار قبر المهدى بن تومرت بمدينة تينملل فرق في أهلها أموالا عظيمة (۳) وحين تجددت بيعة الحليفة يوسف بن عبد المؤمن فإنه أمر بتفريق الأموال على أهل مراكش يقول ابن صاحب الصلاة « ولما كان البشر العام واليسر على أهل مراكش يقول ابن صاحب الصلاة « ولما كان البشر العام واليسر النام بتجديد البيعة الميمونة . . أمر أمير المؤمنين رضى الله عنه ببركة تعتم الناس محضرة مراكش إيصالا للعفو الذي تقدم واتصالا بتتميم منه الذي النام وفرقها على فقراء البلاد (٥) يقول ابن أبي زرع والسلاوى المال وفرقها على فقراء البلاد (٥) يقول ابن أبي زرع والسلاوى « ولما تمت له البيعة وأطاعته الأمة كان أول شيء فعله أنه أخرج مائة ألف دينار ذهباً من بيت المال ففرقها في الضعفاء من بيوتات بلاد المغرب (٢).

ومن المنح ما كان خاصاً وهى تلك المنح والعطايا التى كانت تمنح للأفراد فأمراء المرابطين كانوا يكرمون العلماء والصالحين ويمنحونهم الأوال والعطايا ، فأبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير وهو من سر قسطة وسكن بمدينة مراكش وتوفى بها سنة ١٤٤٧ كان عالماً زاهدا . . ووفد وقتاً

⁽۱) ابن أبى زرع: الأنيس ج ٢ ص ٤٤ ت الفيلالى ، السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ٢٩ ، ٣٠ ،

⁽۲) ابن عذاری : البیان المغرب ج ٤ ص ٢٦ ت د. احسان عباس

⁽٣) ابن أبى زرع: الأنيس جـ ٢ صن ١٥١ ت الفيلالى .

⁽٤) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ٣٥٣ .

⁽٥) ابن عبود: تاريخ المفسرب ج ١ ص ١٣٦ ، اشسباخ: تاريخ الاندلس ج ٢ ص ٧٧ ، عنان ، عصر المرابطين والموحدين التسم الثاني

Budgett Meakins: The Moorish Empire, P: 77, 78.

⁽۱) ابن أبى زرع: الأنيس ص ۱۵۱ طبع حجر ، السلاوى: الاستقصا ج ۲م س ۱۵۸ و ۱۵۹ .

على السلطان فبعث إليه حملة مال ١٠٥٥ وكذلك حنن زار أمر المسلمين على ابن يوسف مدينة أنحمات وريكة فإنه منح أحد الصالحين وهو أبو محمد عبد الله المليجي ـــ توفى قبل سنة ٤٠٥٠ / ١١٤٥ م ألف دينار (٢) .

وجرى على نفس السياسة خلفاء الموحدين نتيجة لاتصافهم بصفة الكرم وتكريمهم للعلماء والأدباء والشعراء فعبد المؤمن حنن نزل مدينة بحاية سأل عن أهل بيت فأخبروه بوفاة صاحبه وقد ترك امرأة وأربعة أبناء فأمر لهم بأرض للحرث وأعطى كل واحد منهم ألف رأس من الغنم ومثلها من البقر وأربعة آلاف دينار (٣) ، وكان هذا دأبه في العاصمة من الإنفاق على الفقراء والمحتاجين يقول ابن القطان « وكان رضي الله تعالى عنه يتفُّقد من يرتب ببابه الكريم بأن يغلق الباب على غفلة من الناس وبحص من حضر ، فيعطوا على السوية عشرة دنانير ، يفعل هذا في العام مراراً كثيرة وربما والى ذلك في كل شهر» (٤) وعجانب ذلك كان يكترم العلماء والشعراء فقد منح أحد الشعراء ألف دينار على بيت قاله : ما هز عطفيه بن البيض والأسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن على (٥) وحين مدحه أبو القاسم بن مسعدة أمر وزيره بكتابه اسمه وقال له : إنما يكتب اسم هذا في حملة الحساب وأجزل صلته وأمر له بضيعة^(١) .

واتتبع خلفاء الموحدين سياسة الخليفة عبد المؤمن في منح الأموال للفقراء وغيرهم فقد منح الحليفة يوسف بن عبد المؤمن أحد الفقراء بمدينة المهدية ماثتي دينار فضلًا عن ثلاثمائة مثقال لبناته (٦)كذلك أنعم الحليفة يوسف بن عبد المؤمن على كثير من العلماء والكتاب سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م حين شغى من مرضه ومن هؤلاء الكتاب ابن صاحب الصلاة الذي أرّخ لدولتهم (٨) ومنح

⁽١) ابن المؤقت: السعادة الأبدية جـ ٢ ص ١٢٢٠

⁽٢) نفس آلرجع السابق ج ١ ص ٦٣ ، التادلي : التشوف ص

⁽٣) أبن القطان : نظم الجمان ص ١٣٧٠ . (٤) أبن القطان : نظم الجمان ص ١٣١٠ .

النويري : نهاية الأرب ج ٢٢ مجلد ٢ ص ٩٥ ٠

⁽٦) المقرى: نفح الطيب جـ ٤ ص ٣٨٦٠

⁽٧) ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن ص ٥١ ٠

⁽٨) نفس المرجع السابق ص ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٣٠٠ .

المنصور الموحدي أموالا ضخمة للفقراء والمساكين يقول المراكشي « وكان كثير الصدقة ، بلغني أنه تصدِّدق قبل خروجه إلَّى هذه الغزوة – أعني التي كانّت فها الوقعة الكبرى ــ أى غزوة الأرك ــ بأربعين ألف دينار خرج منها للعامة نحو نصفها والباق في القرابة ، أدركتهم وقد قسموا مدينة مراكش أرباعاً وجعلوا فى كل ربع أمناء منهم أموال يتحرون بها المساتير وأرباب السو تاته (١).

ومن هذا العرض للنفقات المتنوعة نرى مقدار ما كانت تتحمله الخزانة في سبيل الصرف على الحماعات والأفراد .

رابعاً: السكة

تسهم السكة في إعطائنا صورة عن الأوضاع الإقتصادية بالبلاد ، إذ هي توضّح مدى التقدم والإستقرار الذي تنعم به وذلك برسم صورة لطريقة التعامل بين أفراد الشعب ، وعن طريق قيمتها نستطيع أن ندرك مدى رواج التجارة أو تدهورها ، ومن هنا كان من الضرورى إلقاء الأضواء على العملة النقدية للمغرب الأقصى في فترة البحث حتى تكتمل الصورة بالنسبة للنظام المالي بالبلاد.

والسكة أشار إلى معناها ابن خلدون بقوله « هي النظر في النقود والمتعامل بها بين الناس وحفظها مما بداخلها من الغش أو النقص إن كان يتعامل بها عدداً أو ما يتعلق بذلك ويوصل إليه من حميع الإعتبارات ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالاستجادة والحلوص برسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد اتخذ لذلك ، ونقش فيه نقوش خاصة به فيوضع على الدينار بعد أن يقدر الضرب عليه بالمطرقة حتى ترسم فيه النقوش وتكون علامة على صورته بحسب الغاية التي وقف عندها السبك والتخليص في متعارف أهل القطر ومذاهب الدولة الحاكمة ١(٢)

وما أن تأسست دولة المرابطين ثم أعقبتها دولة الموحدين حتى اتخذتا عملة نقدية من الذهب والفضة يتعامل بها السكان في انحاء الدولة ، وأنشئت

⁽۱) المراكشى : المعجب ص ۲۸۷ ، ۲۸۷ . (۲) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ۲۲٦ . (م ۱۵ ــ الحضارة)

لذلك الدور لسك النقود ، وقد تعددت هذه الدور في عهد المرابطين فابن عداري أشار إلى أن يوسف بن تاشفين بني داراً للسكة عراكش سنة ٢٤٤ه/ ١٠٧١م . ضرب فيها السكة (١) كما أنه عثر على نقود نقش عليها اسم يوسف ابن تاشفين سنة ١٠٨٧ / ١٠٨٨ م بسجلماسة (٢) وأخرى نقش عليها اسم على ابن يوسفُّ بن تاشفين سنة ٤٣٥ ه / ١١٣٩م وضربت بتلمسان (٣).

ولم تشر المراجع لهذا التعدد في دولة الموحدين ففضلا عن دارسك النقود بالعاصمة مراكش كانت هناك داران لسك النقود عدينة فاس وقد قام الناصر الموحدي بضمهما في دار واحدة يقول أبو الحسن ٩ وكان بمدينة فاس القرويين والأندلسين دارا سكة فنقلهما الخليفة أبو عبد الله الناصر بن المنصور لدَّار أعدها بقصبتها حنن بناها سنة سيائة وأعدها مودعاً للأموال المندفعة بها ولطوام سكتها وأتقن ثقافها على أتم حال » ^(٤).

أنواع السكة ووزيها :

أتخذ المرابطون النقود وذلك لتأكيد سلطانهم السياسي والاقتصادى على البلاد ، وما إن تأسست مدينة مراكش حتى أنشأ فها يوسف بن تاشفين داراً للسكة وأصدر عملة نقدية سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧١م وَقد نقش عليها اسمُ الأميرِ أبو بكر بن عمر (٥) باعتباره الأمير الشرعي للبلاد ، حتى إذا تولى يوسف ابن تاشفين مقاليد الأمور ومكن لسلطانه السياسي أصدر عملة نقدية مدورة الشكل وقد كتب علمها اسمه وكان ذلك في سنة ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م(٦) ثم صارت بعد ذلك العملة تحمل اسماء أمراء المسلمين من بني تاشفين ولقب « الأمير عبد الله العباسي ، وهذا يشمر إلى الصلة الروحية التي كانت تربط امراء المرابطين بالخلافة العباسية كما نقش علمها « لا إله إلا الله ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ، وهذا يؤكد

⁽۱) ابن عذاری : البیان المغرب ج ٤ ص ٢٢ ت د. احسان عباس

⁽٢) الميلى: تاريخ الجرائز في القديم والحديث ج ٢ ص ٢١٦٠. (٣) نفس المرجع السابق ج ٢ ص ٢١٩٠. (٤) أبو الحسن: الدوحة المستبكة ص ٥١ ت د، حسين مؤنس،

⁽٥) أبن عذارى : البيآن المغرب ج ٤ ص ٢٢ ت د. احسان عباس (٦) ابن أبى زرع : الانيس ج ٢ ص ٧٦ ت النيلالى ، السلاوى :

الاستقصا جر ٢ ص ٣٢٠

المبدأ الديني الذي قامت من أجله الدولة مع ذكر تاريخ ضربه ومكانه (١) وقد أشار إلى شكل العملة ابن المؤقت بقوله و وضرب – أى يوسف بن تاشفين – السكة من يؤمئذ وجددها ونقش في ديناره لا اله إلا الله محمد رسول الله وتحت ذلك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وكتب في الدائرة ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل نه وهو في الآخرة من الخاسرين وكتب في الصفحة الأخرى الأمير عبد الله العباسي وفي الدائرة تاريخ ضربه ١٤٠٠. أما بالنسبة لوزن العملة المرابطية فكان الدينار يزن قريباً من أربع جرامات (٣) أي حوالي ٣٩٩٠ جراماً (٤) ويبدو أن العملة المرابطية اكتسبت قيمة مرتفعة نظراً لرواج التجارة بين المغرب وغيره من دول البحر المتوسط وسارت متداولة في بلدان البحر المتوسط وسارت متداولة في بلدان البحر المتوسط حتى وصلت القسطنطينية . (٥).

حتى إذا قامت الدولة الموحدية اتخذت لها عملة نقدية من الدنانير والدراهم وقد أشار إلى ذلك ا بن خلدون بقوله و ولما جاءت دولة الموحدين كان ممن سن لهم المهدى اتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل وأن يرسم فى دائرة الدينار شكل مربع فى وسطه و بملاً من أحد الحانبين تهليلا و تحميداً ومن الحانب الآخر كتبا فى السطور باسمه و أسم الحلفاء من بعده ففعل ذلك الموحدون (١) وقد أشارت بعض المراجع إلى أن ابن تومرت أصدر عملة نقدية تسمى الدرهم المركن أى المربع (٧) يقول أبو الحسن « وذلك أن صاحب الدرهم المركن هو أبو عبد الله المهدى القائم بأمر الموحدين وكانت الدراهم قبل ظهور الدولة

⁽۱) ابن أبى زرع: الأنيس ج ٢ ص ٣٨ ، ٣٩ ت الفيلالى ، أبن عدارى: البيان المفرب ج ٢ ص ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٩ ت الفيلالى ، أبن أبى دينار: البيان المفرب ج ٢٥ ت د. احسان عباس ، أبن أبى دينار: المؤنس ص ١٠٥ عبد الله كتون : النبوغ المفربى ص ١٠٠ مبد الله كتون : النبوغ المفربى ص ١٠٠ مبد الله كتون : النبوغ المفربى ص ١٠٥ مبد الله كتون : النبوغ المفربى ص ١٠٥ مبد الله كتون : النبوغ المفربى ص ١٠٥ مبد الله كتون : النبوغ المفربى ص

⁽٢) ابن المؤتت : السعادة الأبدية جـ ٢ مس ٩٠ .

⁽٣) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٣٠ .

⁽٤) عبد العزيز بنعبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ج ١ ص ٧٥

⁽٥) حركا ت: المغرب عبر التاريخ مس ٢٣١ .

Nevill Barbour: Morocco P: 59

⁽٦) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ٢٦٢ .

⁽٧) أبو الحسن: الدوحة المشتبكة ص ١٥ ، ابن زيدان: اتحاف أعلام الناس ج ٢ ص ١٢ .

الموحدية كلها مدورة فأور المهدى أن تكون دراهم مركنة (١) ، وبتتبع الأحداث السياسية لابن تومرت منذ أن اعلن ثورته بالمغرب الأقصى سنة ٥١٥ه / ١١٢١م حتى وفاته سنة ٢٤٥ هـ / ١١٢٩م لم تشر المراجع إلى إصداره لعملة نقدية فضلا عن أنه لم يفرض سيطرته السياسية على البلاد حتى يتمكن من إصدار عملة تؤكد سلطته إذا أن الدولة المرابطية كانت قائمة تفرض سلطانها السياسي وعملتها النقدية ويرجح أن هذه العملة قام بإصدارها الخليفة عبدالمؤمن ابن على والذي سبت إليه اسم العملة فأطلق عليها العملة المؤمنية (٢) وقد عثر أخيراً في منطقة الريف بالمغرب الأقصى على عملة فضية مربعة الشكل نقش في أحد وجهما « الله ربنا ، محمد رسولنا ، المهدى امامنا وفي الوجه الآخر لا إله إلا الله الأمر كله لله ولا قوة إلا مالله » وهي خالية من التاريخ ويرجح أنها ترجع إلى سنة ٥٥٠ه / ١١٥٥م (٣) كما كانت هناك العملة اليوسيفية وهي منسوبة إلى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (٤) يقول ابن خلكان و والدنانىر اليوسيفية المغربية منسوبة إليه» (٥) كما أن الدنانير اليعقوبية كانت منسوبة إلى يعقوب المنصور (٦) يقول ابن خلكان ﴿ وَإِلَى الْأَمْسِ يَعْقُوبِ ـــ أَى الْمُنْصُورِ الموحدي ــ تنسب الدنانبر اليعقوبية المغربية»(٧) وقد ظهرت في هذه الفترة أيضاً العملة الحشمية تلك العملة التي استخدمها أبو يحيي بن الشيخ ألى حفص والى بطليوس من قبل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة ١١٦٨ / ١١٦٨م في فداء أسرى المسلمين من الفرنج حيث دفع ثلاثماثة دينار جشمية (٨)

⁽١) أبو الحسن : الدوحة المشتبكة ص ٥١ .

⁽٢) أبو عبد الله محمد : الحلل السندسية ص ٢٥٢

J.F.P. Hopkins: Medieval Muslim, P: 99.

⁽٣) أحمد بن عبد السلام : الريف بعد الفتح الاسلامي ص ٥٢ .

⁽٤) العينى : عقد الجمان ج ١ قسم واحد ص ١٣ ، أبن سعيد : نزهة الانظار ج ١ ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، الزركلي : الاعلام ج ٣ ص ١١٨٢ ،

⁽٥) ابن خلكان : ونيات الأعيان جـ ٦ ص ١٣٠ .

⁽۱) ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن ص ١٨٤ حاشية ، أبو الحسن: الدوحة المشتبكة ص ١٥١ ، ابن سعيد: نزهة الأنظار ج ١ ص ١٨٦ ، الزركلي: الأعلام ج ٣ ص ١١٧١ .

⁽٧) ابن خٰلكان : وَمَيات الاعيان ج ٦ ص ١٢ .

⁽٨) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ٣٩٣٠

والدراهم الحشمية تعنى الدراهم الرديئة ويبدو أن بعض خلفاء الموحدين كانوا يصنعون من النحاس ما يعطونه زيفاً اسم الدينار الذهبي (١) .

ولم تكن الدنانير والدراهم هي المستخدمة فقط بل كانت هناك عملات أصغر لسهولة التعامل ، وقد اشتكي يحيى بن العزيز ملك بجاية والمقيم في مراكش بعد فقده لملكه – اشتكي من تعذر الإنفاق لقلة العملات الصغيرة يقول المراكشي « بلغني من طرق عدة أن يحيى بن العزيز كان في مجلس عبد المؤمن يوماً فذكروا تعذر الصرف ، فقال يحيى : أما أنا فعلى من هذا كلفة شديدة ، وعبيدي في كل يوم يشكون إليّ ما يلقون من ذلك ويذكرون أن أكثر حوائجهم تتعذر لقلة الصرف وذلك أن عادتهم في بلاد المغرب أنهم يضربون أنصاف الدراهم وأرباعها وأثمانها والخراريب فيستريح الناس في يضربون أنصاف الدروف في أيديهم فتتسع بياعاتهم (٢) » وقد وعد عبدالمؤمن بتو فهر ذلك (٣) .

أما وزن العملة الموحدية فكانت ٤,٧٢٩ جراماً وهو الوزن الشرعى كما كان أيام سيدنا عمر بن الحطاب (٤) وقد أشار ابن عذارى إلى أن المنصور الموحدى ضاعف وزن الدينار حتى يتناسب مع ضخامة الدولة و ثروتها يقول ابن عذارى و فرأى المنصور الموحدى — أن الدينار القديم يصغر عن مرأى ما ظهر بالمملكة من المنازع العالية وأن جرمه يقل عما عارضه من المناظر الفحمة الحارية فعظم جرمه ورفع قدره بالتضعيف وسومه فجاء من النتائج الملوكية والاختراعات السرية جامعاً بن الفخامة والنماء والطيب وشرف الانتاء (٥) وهذه الزيادة تشر إلى الرخاء الاقتصادى الذي كانت تنعم به البلاد ومن ناحية أخرى إلى وجود الذهب بكثرة حتى يتمكن الخليفة من زيادة وزن العملة .

⁽١) نفس المرجع السابق ص ٣٩٣ حاشية ٠

⁽٢) المراكشي : المعجب ص ٢٧٧٠

⁽٣) نفس المرجع السابق ص ٢٠٧٠

⁽٤) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ٢٩٢ حاشية ، عبد العزيز بنعبد الله : مظاهر الحضسارة المغربيسة جر ١ ص ٧٦ ، عبسد العزيز بنعبد الله : تاريخ المغرب ج ١ ص ١٢٦ .

⁽٥) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٩٧ تطوان ٠

خامساً: المكاييل والموازين

وجما يتصل بالحياة الاقتصادية بالبلاد تلك المكاييل والموازين التي كان يستخدمها السكان في تعاملهم اليوى وفي شراء بضائعهم ومستلزماتهم ، وقله استخدم السكان المد في تعاملهم أشار إلى ذلك ابن صاحب الصلاة حين تحدث عن رخص الأسعار بوادى تنسيفت قريباً من العاصمة مراكش سنة ٢٦هه / ١١٧٠م وأن الشعير خسة وعشرون مداً بدرهم ه(١) وحين غلت الأسعار بالأندلس سنة ٧٥هم / ١١٧١م أثناء حملة الحليفة يوسف بن عبد المؤمن بها بلغ المد المراكثي من الشعير بدرهمين (٢) أما في سنة ٥٨٠ هم / ١١٨٤ م فقد بلغ الشعير اثنا عشر مدا بدرهم والقمح خسة عشر مدا بدرهم (٣) ، فقد بلغ الشعير المدانيوى الذي يزن ٥٠٤ جراماً إذا كان من الشعير ، ٥٢٥ جراماً إذا كان من الشعير ، ٥٢٥ جراماً إذا كان من الشعير ، ٥٢٥ جراماً إذا كان من الشعير ، ٥٤٥ بغانين أوقية يقول البكرى « ومدهم — أى مدّ أهل فاس — ثمانين أوقية يقول البكرى « ومدهم — أى مدّ أهل فاس — ثمانين

واستخدم السكان الوسق في كيلهم وقد أشار ابن أبي زرع إلى الرخاء في دولة المرابطين بقوله و وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن ، تناهى القمح في أيامهم إلى أن بيع أربعة أوسق بنصف مثقال ، والثار ثمانية أوسق بنصف مثقال » (٦) والوسق وسق حمل أي حمل حمل وكان مقداره ستون صاعاً (٧) وبجانب المكاييل المختلفة استخدم السكان الموازين ومنها الأوقية حيث يقول البكري « وجميع المأكولات من الزيت والعسل واللبن والزبيب يباع عندهم — أي عند أهل فاس — بالأواق (٨) » وأشار ابن

⁽١) ابن صاحب الصلاة : تاريخ الن ص ٢٤٢ .

⁽٢) نفس الرجع السابق ص ٥٠٩ ٠

⁽٣) ابن عذاری : البیان المغرب ج ٤ ص ٦٣ تطوان .

⁽٤) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ٥٠٩ حاشية .

⁽٥) البكرى: المغرب في ذكر بلاد العربيتية ص ١١٧٠.

⁽٦) أبن أبي زرع : الانيس المطرب جـ ٢ ص ٩٤ ت الفيلالي -

⁽٧) أبو الحسن : الدوحة الشتبكة ص ٨٦ .

⁽٨) البكرى: المغرب في ذكر بلاد المريتية ص ١١٧ .

صاحب الصلاة إلى أن اللحم سنة ٥٦٦ ه / ١١٧٠م بالقرب من مراكش كان ستين أوقية بدرهم (١) للدلالة على رخص الأسعار والست عشرة أوقية تعادل رطلا (٢).

كما استخدموا الرطل فى أوزانهم حيث بلغ رطل الدقيق بدرهم واحد سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١م (٣) وذلك علامة على غلاء الأسعار والرطل يساوى بالوژن الحالى ٤٠٥ جراماً(٤) .

وهكذا تنوعت المكاييل والموازين حتى تنى بحاجات السكان فى البيع والشراء .

⁽١) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ٢٤٢ .

⁽٢) نفس المرجع السابق ص ٢٤٦ حاشية .

⁽٣) أبن صاحب الصلاة: تاريخ المن ص ٥٠٩ .

⁽٤) نفس المرجع السابق ص ٢٤١ حاشية .

الفصت لالت اني

الزراعة والصناعة أ ــ الزراعــة

تقدمت الزراعة بالمنطقة خلال عهد المرابطين وحتى حكم الناصر الموحدى وزاد الإنتاج الزراعى . وشهدت البلاد وفرة فى المحصولات ، وقد تضافرت عدة عوامل على ازدهار الزراعة منها : النواحى الطبيعية التى تمتعت بها المنطقة يضاف إلى ذلك القوى البشرية والتى اتخذت فلاحة الأرض مهنة لها وأخيراً اهتمام ولاة الأمر بقيام زراعة ناجحة بالبلاد ، وفيا يلى هذه العوامل بشىء من الشرح والتفصيل :

أولاً: نواح طبيعية : تمتعت بها المنطقة حيث ساهم السطح وما يتضمنه من تربة خصبة وأنهار متعددة بالإضافة إلى مناخ متنوع في تقدم الزراعة بالبلاد ، وأما بالنسبة للسطح فقد تمتع المغرب الأقصى بتربة خصبة صالحة للزراعة كوّنتها مجارى الأنهار ، فني ناحية المحيط الأطلسي تنبسط أراضي التبرس السوداء وأراضي الحمرى الكلسية والتي تمتاز بشدة الحصوبة وقابلية الأنتاج بفضل ما تضمه بين جوانحها من مياه وشماد (۱) وقد أشار المراكشي إلى مدى خصوبة تربة المغرب الأقصى قائلا « وهي – أى أرض المغرب المحصب رقعة على الأرض فيما علمت وأكثرها أنهاراً مطردة وأشجاراً ملتفة وزروعاً وأعناباً » (۲) ومجانب التربة الحصبة ، فقد انقسم السطح إلى عدة مناطق وكان لكل منطقة أثرها في النشاط الزراعي والمحاصيل بها والمناطق هي مناطق وكان لكل منطقة أثرها في النشاط الزراعي والمحاصيل بها والمناطق هي جبال الريف وهي تمتد على شكل أقواس مفتوحة نحو جبل طارق (۳) و بمتاز

⁽١) عبد العزيز بنعبد الله : جغرانية المغرب ص ٢٢ .

G.A. Jackeon; Algiers Being Complete, P; 64.

⁽٢) المرأكشي : المعجب ص ٥٥٥ .

۱(۳) أنور الرَّفاعي وأخرون أنه المغرب العربي جغرافيسا ص ٧٣ ، ط ١ سنة ١٩٤٩ .

هذا الإقليم بتربته الحصبة حيث تخترقه عدة أنهار تصب في البحر المتوسط . و بجانب هذا الاقليم كان هناك الاقليم الساحلي على المحيط الاطلسي .

(ب) منطقة الوديان : وهي تلي الإقليم الساحلي وتجرى فيها أهم أنهار المغرب التي يصب بعضها في البحر المتوسط والبعض الآخر في المحيط الاطلسي وقد كوَّنت هذه الأنهار ودياناً وسهولا خصبة تعَّدمن أغنى السهول المغربية (١) وأهم هذه الأنهار :

١ - نهر ملوية : وهو فيا بين تلمسان ورباط تازا ويصب في البحر المتوسط (٣) ويتجه من الحنوب إلى الشمال وينبع من ملتقي الأطلس الكسر والأطلس المتوسط في شرق البلاد من وراء الأطلس المتوسط (٣) .

٢ - نهر سبو : وهو محيط ممدينة فاس من شرقها وغرمها(٤) وينبع نهر سبو من الأطلس المتوسط وبجرى فى سهول تكثر فها الرواسب ويشترك مع وادى فاس فى جعل هذه المنطقة خصبة صالحة للزراعة(٥) ومجاور نهر سبو هذا نهر آخريسمي ورغة وهذان النهران يصبان في البحر المحيط بعد أن يلتقيا بموضع يسمى المعمورة (١) .

٣ ـ نهر أبو رقراق وأم الربيع : وينحدران من الأطلس المتوسط وهما غزيرا المياه ويعتبر نهر أم الربيع من أهم أنهار المغرب الأقصى وذلك لوفرة ماثة وانتظام جريانه النسي (٧) ويصب في البحر المحيط .

٤ - نهرا تانسيفت ونهر السوس الأقصى : وهما يصبان في البحر المحيط (٨).

⁽١) عبد المزيز بنعبد الله : جغرافية المغرب ص ١٢ ط ٢ سلة ٥٦ الدار البيضاء ،

⁽٢) الْرَاكشي : المعجب ص ٣٦٤ ، التلتشندي : صبح الأعشى جه ص ۱۷٥ .

⁽٣) محمد الفاسي : التعريف بالمغرب ص ١٥٠

الراكشي: المجب ص ٣٦٤٠

⁽٥) عبد العزيز بنعبد الله : جغرانية المغرب ص ١٩٠٠ (٦) المراكشي : المعجب ص ٣٦٥ ، ٣٦٥ .

⁽٧) عبد العزيز بنعبد الله : جغرانية المغرب ص ١٩٠٠

⁽٨) المراكشي : المعجب ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

وبجانب هذه الأنهار التي ساعدت على قيام زراعة ناجحة في المنطقة كانت هناك عدة نهيرات تتخلل كثيراً من مدن وقرى المغرب الأقصى والتي أسهمت بدورها في ازدهار الزراعة بالمنطقة ، كذلك النهير الذي يجرى بمدينة فاس والذي قسمها إلى قسمين وهو ينبع من عيون تسمى عيون ضهاجة (۱) وأيضاً النهير الذي يجرى في شرقى مدينة مكناسة (۲) وكذلك ألهير الذي يمر بشرقى مدينة تاورق حيث كان الماء النهير الذي يمر بشرقى مدينة تلمسان (۳) ، ومدينة تاورق حيث كان الماء يأتيها من جوانها من نهر كبر ينقسم في أعاليها (٤) ، وأيضاً مدينة مغيلة حيث كانت المياه تخترق كل جانب منها (٥) ومدينة نفيس وما بها من نهر ات (٦)

هذه الكثرة فى عدد الأنهار واختراقها لمعظم أراضى المغرب الأقصى مع جريانها الدائم نتيجة لسقوط الأمطار منحت أرض المغرب الأقصى كميات وفيرة من المياه الى تستخدم فى زراعة مساحات واسعة من الاراضى .

(ج) جبال درن : وتقع جنوب منطقة الوديان وهي تمثل حاجزاً طبيعياً وقد وصفها ابن خلدون بقوله ١ بقاصية المغرب من أعظم جبال المعمور مما أعرق في الثرى أصلها وذهبت في السماء فروعها ، ومدت في الحو هياكلها ومثلت سياجاً على ريف المغرب سطورها ، تبتدىء من ساحل البحر المحيط عند آسني وما يلها وتذهب في المشرق إلى غير شهاية (٧)» وفي سفوح هذه الحبال كانت المناطق الرعوية أو شبه الصحراوية والتي تكسو هضابها المرتفعة الأعشاب حيث ترعاها الماشية والأغنام كما أن به طائفة من الواحات الغنية وهو إقليم فقير في موارده حيث اعتماد أهله على الرعي (٨)

⁽۱) أبن سعيد : نزهة الانظار ج ۱ ص ۱٦ ، مجهول : الاستبصار ص ١٨٠ ت. د. سعد زغلول، المراكشي : المعجب ص ٣٥٨ .

⁽٢) الادريسى : وصف المغرب ص ٧٧ ت. دوزى .

⁽٣) نفس المرجع السابق ص ٨٠٠ .

⁽٤) ابن سعيد : نزهة الانظار ج ١ ص ١٧ .

⁽٥) نفس المرجع السابق ج ١ ص ١٧٠

⁽٦) مجهول : الاستبصار ص ٢٠٨ ت. د. سعد زغلول .

⁽٧) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٢٣ .

⁽٨) د. حسن أحمد محمود : تيام دولة المرابطين ص ٢٣ .

(د) إقلم الصحراء ويقع جنوب جبال درن .

وبجانب هذا السطح المتنوع وأثره فى اختلاف حاصلات المنطقة كان حمناك المناخ والذي أثر بدوره في الزراعة بالمنطقة ، وقد تنوّع المناخ تبعاً المجمَّة المعرب المختلفة من سهول ساحلية وسلسلة جبال درن ثم إقليم الصحراء ، مُحْجَى السهول الساحلية التي تهطل علمها الأمطار بغزارة وخاصةً على سهول النثماطيء الأطلسي ازدهرت الزراعة وأصبحت هذه الناحية غنية بأنواع أثر راعات المختلفة من قمح وشعير وخضر وفواكه وغيرها(١)وفى نفس الوقت تححول سلسلة جبال درن دون وصول الرياح الحارقة إلى هذه السهول ، أما المتو احي الصحراوية فإن المطر بها قليل ولذا تعتمد زراعتها على الستى عن طريق السواقي من الأنهار ، كما أن الزراع يحصلون على الماء اللازم من الآيار مما يساعد في ستى حقول الزراعة المختلفة (٢) .

ثانياً : قوى بشرية : وهم طبقة الفلاحين الذين نشأوا على أرض المغرب الاً قصى واتخذوا الفلاحة مهٰنة يتوارثونها عن آبائهم وأجدادهم ، وهذه الطبقة أخذت على عاتقها مهمة فلاحة الأرض واستغلال الظروف الطبيعية ف استثمار المحاصيل الزراعية المختلفة فقبائل دكالة امتهنت الزراعة وقامت ير راعة البساتين والحداثق المختلفة (٣) وكذلك كثير من قبائل تامسنا اشتغلت مِا لَرْ رَاعَة وقد وصفهم الإدريسي بقوله ﴿ وقبائلُ تَامَسُنَا شَيَّى مَتَفَرَقَة فَمْهُم يو غواطة ومطماطة وبنو تسلت وبنو يغمران وزقارة وبعض من زناته وبنو محقش من زناتة وكل هذه القبائل أصحاب حرث ومواش وحمال^(٤) » وقمد آشار إلى ذلك أيضاً ابن سعيد^(ه) وقبائل المصامدة وهي تشكل مجموعة كبيرة من سكان المنطقة اهتموا منذ القديم بالزراعة وغرس الأشجار وبفضلهم ار دهرت الفلاحة في البلاد(٢) وعبانب الأيدى العاملة من أهل البلاد فإن

Terrasse: Histoire du Maroc, P: 22.

⁽۱) محمد الفاسى : التعريف بالمغزب ص ۱۲ . (۲) نفس الرجع السابق ص ۱۷ .

⁽٣) مجهول : الاستبصار ص ٢٠٩٠

⁽٤) الادريسي: وصف المغرب والاندلس ص ٧٠ ، ٧١ .

⁽٥) ابن سميد : نزهة الأنظار جد ١ ص ١٤ .

⁽٦) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٧٥٧ .

الهجرات المختلفة التى جاءت من افريقية واستوطنت بعض أقاليم المغرب كإقليم سلا ساهمت فى تزويد سكان البلاد بالحبرات الفلاحية مما أسهم فى تنشيط الزراعة (١) كذلك اقتبس المغاربة كثيراً من العادات الفلاحية من أهل الأندلس وخاصة بعد أن أصبح إقليم الاندلس تابعا للدولة منذ عهد يوسف ابن تاشفين ، إذ اشترك الأندلسيون مع إخوانهم المغاربة فى تبادل الحبرات بشأن تنمية الزراعة والعمل على نهضة ا(١).

ثالثاً: اهيمام ولاة الأمر بالزراعة: ساهم ولاة الأمر بالمغرب الأقصى بجهودهم فى دفع عجلة الإنتاج بالبالد، ومن ذلك اهيمامهم بالزراعة وما يتعلق بها إذ أن المرابطين أخذوا على عاتقهم مهمة توفير الأمن والطمأنينة للسكان والقضاء على الفتن والحروب وبذلك استطاع السكان استيار الأرض (٣) كما أن أمير المسلمين على بن يوسف بنى قنطرة على نهر تانسيفت لتسهم بدورها فى توزيع آلمياه اللازمة للزراعة وفى ذلك يقول الادريسي « وعلى ثلاثة أميال من مراكش نهر يسمى تانسيفت وليس بالكبير لكنه دائم الحرى وزمن الشتاء يحمل بسيل كبر لا يبقى ولا يلر ، وبنى على بن يوسف عليه قنطرة عجيبة متقنة الصنع فجلب إلى عملها صناع الأندلس وحملا من أهل المعرفة بالبناء فشيدوها وأتقنوا بنيانها حتى كملت » (٤) وقد وصف المراكشي هذه القنطرة بانها قنطرة عظيمة (٥) ألا أن هذه القنطرة هدمت فأمر ببنائها الحليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة ٣٥١ه (١) (١).

وكذلك اهتم خلفاء الموحدين بالزراعة وشجعوا المزارعين على استغلال الأرض (٧) وحرصوا على توفير مياه الرى اللازمة للزراعة ، اذ اهتم المنصور

⁽۱) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٥٣ .

[﴿]٢﴾ عبد العزيز بنعبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ج ١ ص ٥٠٠٠ نفس المؤلف : تاريخ المغرب ج ١ ص ١١٠٠ ٠

⁽٣) نفس المؤلف: تاريخ المغرب جد ١ ص ٣٠ ، د. حسن احمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤٢٦ .

⁽٤) الادريسى : وصف المغرب ص ٦٩ ت دوزى .

⁽٥) المراكشي : المعجب ص ٣٦٤ .

⁽٦) ابن أبى زرع: الانيس المطرب ص ٢١٥ طبع حجر.

Julien; Histoire de L'Afrique P; 122. (Y)

الموحدي اهتماماً كبيراً بتوفير مياه الري(١) .

وقد شهدت المنطقة الكثير من الحملات العسكرية التي خرجت للغزو والحهاد نتيجة للظروف السياسية والعسكرية التي مرت بها البلاد ، وقد حرص قادة الحيوش خلال هذه الحملات على حماية المزروعات والحفاظ علمها وقد تجلى ذلك حين حدّر ابن تومرت أتباعه من التعرض بالاتلاف للمزروعات وفي ذلك يقول ابن القطان « وأوصاهم ــ أي ابن تومرتــ في سفرهم إذا مروا على طريق متصل بها زرع نكبوا عنه ودارأوا أهل الفساد عنه (٢) ، كذلك فعل الخليفة عبد المؤمن بن على حن عزم على التوجه إلى أفريقية سنة ١٩٤٩ / ١١٤٩م فإنه أمر جنوده بالرغم من كثرة عددهم بعدم المساس بالمزروعات يقول النويرى « فلما كان في صفر سنة أربع وخمسن وخسمائة سار ــ أي عبد المؤمن بن على ــ يريد إفريقية ومعه من العساكر ماثة ألف مقاتل ومن السوقة والأتباع أمثالهم وبالغ في حفظ العساكر حيى كانوا يسيرون بين الزروع فلا تتأذى لهم سنبلة واحدة، (٣) وإن كان في هذه الرواية شيء من المبالغة ألا أنها تعطينا إشارة لمدى حرص ولاة الأمر على الحفاظ على المزروعات وحمايتها من التلف ، وأيضاً في خلال الحملات العسكرية لم ينس ولاة الأمر واجهم في الإهتمام بشئون الزراعة فالناصر الموحدي بعد أن قضي على الثورات، إفريقية سنة ٣٠٣ه/ ٢٠٢٦م وجه اهتمامه للزراعة وشثوثها يقول ابن عداري « وبعد اياب هذا البعث واستقراره ، وقضاء المرغوب من أوطاره ، أضمر الناصر الحركة إلى المغرب في نفسه – وذلك بعد أن مهد افريةية واسترجع المهدية سنة ٣٠٣ هـ ولم يخل النظر لها في الباطن من فكره. وحسه وأمر بإشاعة الاستقرار بتونس والنظر في اتخاذ المحارث والاتساع في الزارع (٤) .

ولم يكن هذا الاهتمام قاصراً على خلفاء الموحدين وحدهم بل كان السادة من بني عبد المؤمن ولاة نجاية وتلمسان وغيرها يعنون بالغراسة (٥) .

Brelvi; Islam in Africa, P; 137. (1)

 ⁽۲) ابن القطان : نظم الجمان ص ۱۲۸ .
 (۳) النویری : نهایة الارب ج ۲۲ مجلد ۲ ص ۹۶ .

⁽٤) ابن عذاری : البیان المغرب ج ٤ ص ٢١٣ تطوان ٠ (٥) المیلی : تاریخ الجزائر ج ٢ ص ٢٥٢ ٠

وبجانب اهتمام ولاة الأمر بالمزروعات وحمايتها فقد لحاً بعضهم إلى منح بعض الأراضي الزراعية إلى الجنود وغيرهم لزراعتها واستثمارها وذلك على شكل إقطاعات وهؤلاء علوا على استغلالها مما ساعد على ازدهار الزراعة ونموها وقد أشار الماوردي إلى الأقطاع وأحكامه بقوله لا وإقطاع السلطان مختص بما جاز فيه تصرفه ونفذت فيه أوامره ولا يصح فيا تعين فيه مالكه وتميز مستحقه وهو ضربان: إقطاع تمليك وإقطاع استغلال . . ، (١) وكان نظام الإقطاع من أسباب ازدهار الزراعة بالأندلس وذلك حين كانت الأرض بأيدي الأجناد يستثمرونها ويستغلونها ويرفقون بالفلاحين وبذلك كانت الأراضي عامرة (٢) إلى أن كان الأمن في آخر أيام بني عامر فرد عطايا الحند بقبض الأموال وقدم على الأرض جباة بجبونها فأكلوا الرعايا حتى الخند بقبض الأموال وقدم على الأندلس ردوا الإقطاعات كما كانت في الزمان القديم (٢) ويبدو أنهم اتبعوا هذا النظام بالمغرب أيضاً من منح قطع من الأرض لحنودهم لاستثمارها وخاصة جنود لمتونه (٤).

وجرى على نفس السياسة خلفاء الموحدين حين منحوا كثيراً من الأراضي لمن تقرب إليهم أو دخل في طاعتهم فالحليفة عبد المؤمن حين مدحه أحد الشعراء وهو أبو القاسم بن مسعدة الأوسى أجزل صلته وأمر له بضيعة يحرث له بها(٥) واتبع نفس السياسة بالأندلس يقول ا بن خلدون و وكتبوا بالفتح أي جنود الموحدين الموجودين بالأندلس — إلى عبد المؤمن وقدم عليه وفودهم عمراكش يقدمهم القاضى أبو بكر فتقبل طاعتهم وانصر فوا بالحوائز والإقطاعات علميع الوفد سنة ثنتين وأربعين وخسمائة ه(١) كذلك حين دخل ابن همشك لحميع الوفد سنة ثنتين وأربعين وخسمائة ه(١) كذلك حين دخل ابن همشك في طاعة الموحدين وقدم من الأندلس إلى المغرب في سنة ١٧٥ه / ١١٧٥

⁽۱) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ١٩٠٠

⁽٢) الطرطوشي : سراح الملوك ص ١٠٠٠

⁽١) نفس الرجع السابق ص ١٠٠٠

⁽٤) د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٥٠٥ ، ٢٠٥، حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٣٠ .

⁽٥) المقرى: نقح الطيب ج ٤ ص ٣٨٦٠.

J.F.P. Hopkins: Medieval Muslim P; &3.

⁽٦) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون جر ٦ مس ٢٣٤ .

فان الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أقطعه عدة إقطاعات عدينة مكناسة ليستثمرها (١) وكذلك صاحب قفصة حين دخل في طاعة الموحدين سنة ٥٧٥م / ١١٧٩م فان الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أقطعه ولاية كبرة ^(٢) وقد أشار المراكشي إلى تمتع الموحدين بالمرتبات بجانب امتلاكهم الاقطاعات(٣)ولم يكن الموحدون وحدهم هم الذين تمتعوا بهذه الإقطاعات بل وغيرهم ممن دخل فى خدمة الدولة كالغز حيث منح المنصور الموحدي بعض الإقطاعات لهولاء الغز إذ أعطى أعيانهم اقطاعات كإقطاع الموحدين ، يقول المراكشي 1 أقطع رجلا منهم فيها اعرف من أهل إربل يعرف بأحمد الحاجب ، مواضع ليس لأحد من قرابته مثلها واقطع شعبان المذكور بالأندلس قرى كثيرة تغل فى كل سنة نحو من تسعة آلاف دينار (١) . .

وهكذا أسهم ولاة الأمر حنن منحوا بعض الأراضي لأتباعهم على تنشيط عملية الزراعة ، إذ حرص هؤلاء المقتطعين على استبار الأرض حتى تغلّل علمهم أرباحاً وفيرة .

المحاصيل الزراعية:

كانت الأراضي الزراعية بالمغرب الأقصى مصدراً خصباً لكثير من المحاصيل الزراعية ، وشهدت البلاد وفرة في المزروعات حيث قامت كثير من المدن المغربية بزراعة النباتات المختلفة وقد أشارت المراجع إلى تمتع كثير من المدن والقرى المغربية بوفرة في المزروعات ومن ذلك ما تمرنت به مدينة مكناسة من كثرة المزروعات والحدائق^(٥) ومدينة تلمسان وما فمها من الغلات الكثيرة والمزارع الحصبة(٦) وجبال درن حيث جادت فيها الزراعة وكثرت المحاصيل الزراعية (٧) ومدينة نفيس وما تتمتع بهمن كثرة في الأشجار واالثمار (٨)

⁽١) عنان : عصر الرابطين والوحدين : القسم الثاني ص ٥٧ .

⁽٢) النويري : نهاية الأرب ج ٢٢ مجلد ٢ ص ٩٩٠٠

⁽۲) المراكشي : العجب ص ۲۸۹ . (٤) نفس المرجع السابق ص ۲۸۹ ، ۲۹۰ . الفضل المرجع السابق ص ۲۸۹ ، ۲۹۰ .

⁽٥) الادريسي : وصف الغرب ص ٧٧ ابن سعيد : نزهة الانظار

ج 1 ص 17 • (٢) الادريسى: وصف القرب ص ٨٠٠٠

⁽۷) ابن خلدون : تاریخ ابن خلدون ج ۲ ص ۲۳ ۰ (۸) مجهول : الاستبصار ص ۲۰۸ ۰

وأيضاً مدينة مراكش حيث كثر فيها الزرع والضرع (١) ومن المزروعات التي زرعت بالمنطقة وأنتجت محاصيل وفيرة :

(١) القمح : وقد زرع بمناطق متفرقة من أرض المغرب الأقصى فني المناطق الشمالية من البلاد جادت زراعة القمح حيث كانت أكثر مزروعات أهل طنجة من القمح (٢) ومدينة أزيلي كان حظها من القمح وافرا (٣) كذلك مدينة البصرة ومدينة كرت وما سيته كان أهلها يقومون بزراعة القمح (٤) أما فى المناطق الشرقية من البلاد فقد قام الفلاحون بزراعة القمح ففي الطريق المتجه من فاس إلى تلمسان كانت هناك قرى كثيرة ، ومزارع على الصفين زرع سها نبات القمح (٥) فإذا ما اتجهنا إلى جنوب البلاد وجدنا كثيراً من المدن والفرى اهتمت بزراعة القمح فبلاد السوس وهي قرى كثيرة كانت تجود فيها زراعة الحنطة (٦) ومن بلاد السوس هذه مدينة نفيس الحبل وهي مدينة صغيرة وبها الحنطة كثيرة (٧) وكذلك مدينة سحلماسة حيث از دهرت فها زراعة القمح (٨) وقد وصف صاحب كتاب الاستبصار القمح في مدينة سجلماسة بقوله 🛭 وقمحهم رقيق الحب يسع مد النبي صلى الله عليه وسلم من قمحهم ٥٥ ألف حبة ١٥٠).

ويصور لنا مدى وفرة محصول القمح في عهد الموحدين ما شاهده ا بن صاحب الصلاة ورواه عن الكميات الضخمة من القمح والشعير التي أعدها عبد المؤمن لحنوده حين عزم على العبور إلى الأندلس ، يقول ابن صاحب الصلاة ﴿ وَأَعِد ــ أَى عَبِدَ الْمُومَنِ ــ مِنِ القَمْحِ والشَّعْيرِ للعلوفاتِ والمواساةِ للعساكر على وادى سبو بالمعمورة المذكورة ما عا ينته مكَّدساً كأمثال الحبال ،

⁽١) نفس المرجع السابق ص ٢٠٩ .

⁽٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٨٠ بيروت ،

⁽٣) نفس المرجع السابق ص ٨٠ بيروت ٠

⁽٤) نفس الرجع السابق ص ٨٠ .

⁽o) ابن سعيد : نزهة الانظار ج ١ ص ١٨ .

⁽١) نفس الرجع السابق جر ا ص ١١٠ .

⁽٧) نفس المرجع السابق ج ١ ص ١١ . (٨) مجهول : الاستبصار ص ٢٠١ ، أبن ستميد : نزهة الانظار

ج ١ ص ١١ ، القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ١٦٤ .

⁽٩) مجهول : الاستبصار ص ٢٠١ .

بما لم يتقدم لملك قبله ولا سمعنا به فى جيل من الأجيال ، بنى فى ذلك الموضع معداً من عام سبعة وخمسين إلى عام اثنين وستين وخمسائة حتى فنى فى أكداسة وعاد تراباً ورماداً باحتراقة بعضه فى بعض وإفساد الزمان له إفساداً ،(١).

Y — الشعير : وقد ازدهرت زراعته بالبلاد فكان في أكثر من مدينة وقرية فقد كثرت زراعته بمدينة طنجة وأزيلي والبصرة وكرت (٢) وكذلك بلاد السوس في الجنوب حيث أطلق ابن سعيد عليها بلاد حنطة وشعير (٣) وكذلك زرع الشعير بقلعة مزوار وهي قلعة صغيرة في الطريق بين فاس وتلمسان (٤) وقد سبق أن أشرت إلى أن الجليفة عبد المؤمن جمع أكداساً من القمح والشعير ليجهز جيشه في غزو الأندلس (٥) وهذا يبين مدى توفر محصول الشعير بالبلاد .

٣ — الذرة وأنواع أخرى من الحبوب : وقد زرعت الذرة عنطقة سحلماسة (١) كذلك زرع السمسم وغيره من البقول عنطقة أعمات (٧) وأيضاً زرعت الحبوب عنطقة طنجة (٨) وكذلك الأرز وإن كانت زراعته قليلة يقول القلقشندى « أما الأرز فانه عندهم قليل بعضه يزرع في بعض الأماكن من بر العدوة » (٨) وقد زرع بمنطقة السوس (٩) .

القطن : وكان يزرع بالمناطق الوطيئة المنخفضة من سطح المغرب (١٠)
 وقد اهتم العرب اهتماماً خاصاً بإدخال زراعة القطن إلى المغرب ومن هناك

١١) ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن ص ٢١٤ ٠

⁽٢) ابن حوقل : صورة الارض ص ٨٠ ، ٨١ ،

⁽٣) ابن سعيد : نزهة الأنظار چ ١ ص ١١ ٠

⁽٤) نفس المرجع السابق جد ١ ص ١٨٠٠

⁽٥) ابن صاحب الصلاة: تاريخ الن ص ٢١٤ ، ٢١٥٠

⁽٦) ابن رسيته: الأعسلاق النفيسة ص ٣٥٩ ، المتدسى: أحسن التقاسيم ص ٢٣١ ط ٢ سنة ١٩٠٦ م ٠

[·] ١٠ ابن حوال : صورة الأرض ص ٠٠٠ .

⁽٨)، ابن حوقل : صورة الأرض ص ٨٠٠

⁽٩) التلتشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ١٧٥٠

⁽١٠) ابن سعيد : نزهة الانظار ج ١ ص ١١ ٠ (م ١٦ ـ الحضارة)

انتقلت زراعته إلى أسبانيا (١)وقد أشار الأدريسي إلى وجود القطن بمدينتي داى و تادله بكثرة بقوله او يزرع بها۔ أي ممدينة داي ۔ وبأرضها كثير من القطن ولكنه بمدينة تادلة يزرع أكثر مما يزرع بمدينة داى ومن مدينة تادلة يخرج القطن كثيراً ويسافر به إلى كل الجهات، (٢) كذلك زرع القطن بمدينة البصرة وكان من الكثرة محيث كانت تصدر منه كميات كبيرة إلى إفريقية (٣) كذلك زرع القطن بمدينة كرت وماسيتة (٤) وأيضاً زرع القطن بقرية أم ربيعة (٥).

ه ـ قصب السكر : وقد كثرت زراعته بمدن متفرقة من المغرب الأقصى ، فقد زرع بسبتة ولكثرته كان محمل إلى ما جاورها من المدن والقرى(١) ، كذلك أشهرت مدينة أعمات بزراعتها لقصب السكر(٧) وأيضاً بقرية تارودنت من بلاد السوس حيث وصفها صاحب كتاب الإستبصار يقوله « وهي أكثر بلاد الله قصب سكر وفها معاصر السكر كثيرة» (^)وكذلك مدينة أنجلي وهي قاعدة بلاد السوس كثرّت مها زراعة قصب السكر ومها معاصر كثيرة وأكثر شرب أهلها إنما هو ماء قصب السكر (٩) وجادت زراعة قصب السكّر عدينة تغيرا قاعدة دكالة وذلك لكثرة الأنهار التي تجرى مها(١٠)

٦ – الزيتون : وهو من المحاصيل الوفيرة بالمغرب ، وقد اهتم الموحدون بغرسه في أكثر من مدينة حتى سميت مدينة مكناسة عكناسة الزيتون وقد أشار ا بن غازى إلى ذلك بقوله « وإنما عرف هذا البلد مهذه الإضافة لممتاز عن مكناسة تازا وذلك أن من قبائل زناته قبيلا يقال لها مكناسة منهم فخذ بتازا شرقاً من مدينة فاس بينهما سبعة برد ومنهم فخذان بهذا الموضع المزاد غرباً

⁽١) عثمان الكعال : الحضارة العربية في حوض البحر المتوسسط ص ٧٤ .

⁽٢) الادريسي : وصف المغرب والاندانس ص ٧٥ .

⁽٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٨١ . .

⁽٤) نفس الرجع السابق ص ٨١ . (٥) ابن سعيد : نزهة الانظار ج ١ ص ١٤٠.

⁽٦) نفس المرجع السابق ج ١ ص ٢٧ .

⁽V) ابن حرقل : صورة الأرض ص ٩٠ .

⁽٨) مجهول: الاستبصار من ٢١١ ، ٢١٢ .

⁽۹) نفس المرجع السابق ص ۲۱۲ . (۱۰) ابن سعيد المفربي : بسط الأرض ص ٦٦ .

من مدينة فاس وبينهما ثلاثة برد ونصف ومهذا تميزت إحداهما عن الأخرى بما أضيفت إليه» (١) وقد كثر محصول الزيتون عدن مكناسة وفاس ورباط ثازًا وكانهذا راجعاً إلى تشجيع الموحدين على زراعته والاعتناء به(٢) وقد أشار ابن غازى إلى اهتمام أحد ولاة الموحدين بغرس الزيتون ومقدار الأموال الَّتي كانت تجمع من وراء زراعته لا وأما الزيتون فهو فها ــ أي في مدينة مكناسة ــ كثير جداً ولذلك أضيفت إليه واشتهرت به ولما ولى محمد بن عبد الله بن واجاج في أول أيام الموحدين بلاد المغرب سيفاً وعملا غرس بها وبفاس وبرباط تازا بحرات أكثر غراساتها الزيتون فكان حب زيتون بحيرة مكناسة يباع عام الخمس ــ ربما كان المقصود بها سنة ٥٥٥ أى سنة الأخماس ــ بخمسة وثلاثين ألف دينار ونحوها ، وحب زيتون محبرة فاس مخمسين ألف دينار ونحوها ، وحب زيتون محبرة تازة مخمسة وعشرين أَلفَ دينار ونحوها وذلك قبل أن يستولى على الْمُعْرَب تخريب بني مرين، (٣) والبحيرة معناها البستان في لغة المغاربة (٤) كذلك ما رواه عباس المراكشي نقلا عن ابن اليسع عن كميات الزيتون وأثمانها في سنة ١١٤٨ / ١١٤٨م « قال ابن اليسع وما خرجت أنا من مراكش فى سنة ثلاث واربعن وخمسائة إلا وهذا البستان الذى غرسه يبلغ مبيع زيتونة وفواكهه ثلاثين ألف دينار مؤمنية بحسب رخص الفاكهة بمراكش »(°) وقد أشـــار المقدسي إلى كثرة الزيتون في مدينة فاس بقوله 1 وهو بلد كثير الحيرات والتين والزيتون »(٦) كذلك كثرت زراعته ممدينة درعة^(٧).

٧ 🗕 الكتان : ولم يكن محصوله بوفرة بقية المحاصيل وقد زرع بقرية

⁽۱) ابن غازى : الروض الهتون ص ٢ ٠

⁽۲) ابن زیدان : اتحاف أعلام الناس ج ۱ ص ۲۳ ط ۱ سنة ۲۹، ابراهیم حرکات : المغرب عبر التاریخ ص ۳۵۷ ، عباس المراکشی :الاعلام د ۱ ص ۲۵ ، ۲۵ .

ج ۱ ص ۲۶ ، ۳۰ . (۳) ابن غازی : الروض الهتون ص ۳ .

⁽٤) الْسَيني : عقد الجمان ج ٢٠ قسم ٤ ص ٧٨٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٢٩٨ .

⁽٥) عباس المراكشي : الأعلام جد ١ ص ٨٦ ، ٨٧ .

⁽٦) المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢٢٩ -

⁽٧) مجهول: الاستبصار ص ٢٠٦٠

أم ربيعة (١) وكذلك زرع بمدينة كُرت وقد أشار صاحب الإستبصار بأنها كانوا كانت تعرف ببصرة الكتان لأن أهلها كانوا يتبايعون بالكتان (٢) ، .

۸ — الحناء والكمون والكراوية: وقد كثرت زراعته بمناطق درعة وسلماسة، فنى منطقة درعة تكثر زراعته ومنها تجلب إلى جميع البلاد لطيبها وله مزية فى البيع على سواها(٣) وقد أشار ابن سعيد إلى شجر الحناء بدرعة بقوله « والحناء يكبر بها حتى يكون فى قوام الشجر يصعدون إليهومنها يأخلون بلوره ويتجهز به إلى كل الحهات لعدم وجوده بغيرها عندهم »(٤) كما أن شجر الحناء ينبت على جانبى نهر درعة (٥) ومجانب الحناء بدرعة كانت هناك زراعات الكمون والكراوية والنيلج وهو النيلة (١) كذلك تكثر زراعة الحناء والكراوية بمدينة سملماسة ويصدر إلى جهات المغرب المتفرقة (٧).

ومن العرض السابق بمكننا أن نلحظ مدى انتشار المناطق الحصبة بالمغرب الأقصى ، والتى جادت فيها أنواع كثيرة من المزروعات ، وأنتجت لنا محاصيل وفيرة من القمح والشعير والقطن وقصب السكر والزيتون والكتان والحناء والكمون والذرة وغير ذلك من الحبوب .

الفواكه: شهدت منطقة المغرب الأقصى فترة من الازدهار فى زراعة الفاكهة بأنواعها المختلفة ولم تشر المراجع التى اطلعت عليها إلى اهتمام ولاة الأمر من المرابطين بزراعة الفواكه وعلى العكس من ذلك اهتم محلفاء الموحدين بغرس البساتين وزراعة الفواكه بها حيث اهتم الخليفة عبد المؤمن ومن جاء بعده بغرس البساتين المختلفة التى كانت تنتج مختلف الثمار ، فعبد المؤمن غرس بستاناً كبيراً خارج مدينة مراكش يقول البيذق و وفى عام خمسين زار ـــ أى

⁽١) ابن سعيد: نزهة الاانظار جـ ١ ص ١٤.

⁽٢) نفس المرجع السابق ص ٢٠٦ .

⁽٣) مجهول: الاستبصار ص ١٨٩ .

⁽٤) ابن سميد : نزهة الانظار ج ١ ص ١١ .

⁽o) ابن سعيد المغربي : بسط الأرض ص ٥٨ .

⁽٦) ابن سعيد : نزهة الأنظار ج ١ ص ١١ .

⁽٧) أبن سعيد : نزهة الانظار ج ١ ص ١١ .

عبد المؤمن بن على — قبر الامام المهدى وهبط إلى سلا وبتى فيها عامين اثنين ثم رجع إلى مراكش وغرس البحيرة التى يشنطلولية ثم رجع إلى سلا (١) وقد صور لنا ابن الخطيب مساحة هذا البستان ومقدار الفواكه التى ينتجها بقوله ١ وإن الخليفة عبد المؤمن غرس خارج مراكش بستاناً طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منه فيه كل فاكهة تشهيها الأنفس وجلب إليه الماء من أعمات واستنبط عيونا كثيرة (٢) ومجانب هذا البستان كان هناك بستان الصالحة الذى أنشأه الخليفة عبد المؤمن وهو بستان كبير من جملة بستاتين أجدال عراكش ولا زال مشهوراً بهذا الاسم إلى الآن (٣).

فلما تولى الحليفة يوسف بن عبد المؤمن إهتم بغراسة البساتين كوالده يقول صاحب كتاب الاستبصار « وأحدث الحليفة بعده ابنه أبو يعقوب عائر مثلها في الغرس بل أجمل ، وجلب لها المياه وأخذها في صهاريح أعظم من المتقدمة (٤) ».

حتى إذا تولى المنصور الموحدى غرس بستاناً كبيراً طوله اثناعشر ميلا وعلى احدى جانبيه مجموعة كبيرة من أشجار النارنج يبلغ عددها اربعائة شجرة بين كل اثنين إما ليمونة وإما ريحانه (٥) ولم يكن اهمام ولاة الأمر بالغراسة قاصراً على العاصمة وما حولها ، وانحا تعداه إلى المدن المغربية الأخرى فقد كثرت البساتين في مدينة فاس (٢) كذلك مدينة مكناسة يقول صاحب كتاب الاستبصار « وأحدث فيها الأمر العالى – أيد الله دوامه – محاثر عظيمة في نهاية من الاتساع وجلب لها ماء نهرها وأمر بغرسها زيتوناً وكروماً ه(٧) وامتلأت بساتين فاس ومكناسة بأنواع كثيرة من الفواكه الصيفية والحريفية (٨)

⁽۱) البيذق: أخبار المهدى بن تومرت ص ١٢٠٠

١(٢) أبن الخطيب: الحلل الموشية ص ١٠٩ ، ١١٠ .

⁽٣) مُحمد المنوني : العلوم والآداب ص ٢٤٠ .

⁽۱) مجهول: الاستبصار ص ۲۱۰ ۰

⁽٥) معدد المنوني : العلوم والأداب ص ٢٤١ .

⁽٦) حجر ل : النستيصار ص ١٨١ ، ابن غازى : الروض الهتون ص ٣ ، ان سادد : نزحة النظار ج ١ ص ١٦ .

⁽٧) مجهول: الاستبصار ص ۱۸۷ .

⁽٨) ابن غازى : الروض الهتون ص ٣٠٠

هذه البساتين المتعددة أنتجت كميات وفيرة من الفواكه المختلفة من الثمر والعنب والتين والرمان والسفرجل والتفاح على أصناف وكذلك الكمثرى والمشمش والبرقوق والحوخ وغالب ذلك على عدة أنواع والتوت على قلة والجوز واللوز والليمون والنارنج والبطيخ واسمه عندهم الدلاع (١).

فاذا ما حاولنا التعرف على مدن المنطقة وأنواع الفاكهة التى تشتهر بها لوجدنا أن العاصمة مراكش كانت أكثر بلاد المغرب جنات و بساتين وأعناب وفواكه وجميع الثمرات(٢)

كما أن مدينة فاس أنتجت مختلف الفواكه والثمار وكان بها تفاح حلو يعرف بالأطرابلس جليل حسن الطعم والرائحة (٣) كذلك كان بها التين (٤).

أما مدينة مكناسة فقد كثرت فيها زراعة الكروم (٥) وقد أشار ابن غازى إلى تنوع الفواكه في مكناسة بقوله « وهي كثيرة الفواكه والمزارع . . فيها أنواع كثيرة من الهلالج المسمى بقرب الأندلس العبقر ويسمونه البرقوق لا يكاد يوجد مثله في غيرها من البلاد كثرة وطيباً . . وفيها المشمش ألمسمى بالأندلس البرقوق، وفيها أنواع من التماح طيبة من حملتها نوع يسمى الطرابلسي حلو عطر . . وفيها أنواع كثيرة من الأجاص – الكمثرى أو البرقوق على اختلاف – وفيها سفرجل كبير حلو وحامض . . وفيها أنواع من الرمان كثيرة طيبة . . ورمانها القديم منه يقال له القابس وهو جليل شديد الحلاوة وفيها الجوز والحوخ وفيها من أنواع العنب الأبيض والأسود كثير يطبخ وفيها من التين أنواع هرا)

فاذا ما اتجهنا إلى المناطق الشمالية لوجدنا كثرة الفواكه و الثمار . فجبل

⁽۱) التلتشندى: صبح الأعشى ج ٥ ص ١٧٦ ، ١٧٦ ، عبد العزيز بنعبد الله : المعجم التاريخي ص ١٠ ، ١١ ،

⁽۲) مجهول: الاستبصار ص ۲۱۰ ، عباس المراكشي: الاعسلام ج ۱ ص ۲۶.

⁽٣) مجهول: الاستبصار ص ١٨١.

⁽٤) المقدسى : احسن التقاسيم ص ٢٢٩ .

⁽٥) مجهول : الاستبصار ص ١٨٧ .

⁽١) ابن غازى : الروض الهتون ص ٢ ، ٣ .

محمارة كان كثير الأعناب والفواكه(١) أما مدينة سبتة فكانت تصدر الفواكه إلى ما حولها لكثرة ما يغرس بها من أصناف الفواكه المختلفة(٢) أما مدينة نكر وهي تجاور جبل عمارة فإنها كانت كثيرة البساتين طيبة الفواكه لاسها الكثرى والرمان(٣) كذلك مدينة تطوان كانت كثيرة الفواكه والثمار (١).

فاذا ما اتجهنا جنوب العاصمة مراكش لوجدنا مدينة أنحات وما بها من كثرة البساتين والفواكه ومنها الحوز واللوز والبلح(٥) أما جبل درن فقد تنوَّعت فيه الفاكهة وقد أشار الادريسي إلى ذلك بقوله ﴿ وَفِي هَذَا الْحِبْلِ ــ أَي درن ــ من الفواكه التن الكثير الكبير الطيب المتناهي في الطيب البالغ الحلاوة وفيه العنب المستطيل العسلي الذي لا يوجد في أكثره نوى ومنه يتخذ الزبيب الذى عليه يتنقل ملوك المغرب لرقة قشرته وعذوبة طعمه واعتدال غذائه وفيه الحوز واللوز وأما السفرجل والرمان فيكون به منهما ما يباع الحمل منه بقير اط واحد وبه من الآجاص والكمثرى والمشمش كل غريبة وكذلك الإترج والقصب الحلوحتي أن أهل هذا الحيل لا يبيعونه بينهم ولا يشترونه لكثرته وعندهم شجر الزيتون والحرنوب المشهى وسائر الفواكه،(٦) وكان العنب بجبل درن كثيراً حتى أن قبائل المصامدة المقيمة أكثر عيشهم إنما هو من العنب والزبيب (٧) وكذلك مدينة سحلماسة امتلأت بمختلف الفواكه من نخل وعنب ورمان(٨) وقد أشار ياقوت إلى أصناف البلح بمدينة سحلماسة فذكر أن فها ستة عشر صنفاً من البمر ما بين عجوة وغير ذلك(٩) وقد تميرت هذه

⁽١) مجهول: الاستبصار ص ١٩٠٠.

⁽٢) الأدريسي : وصف المغرب والاندلس ص ١٦٧ ، أبن سعيد : أرهة الانظار ج آص ٢٧٠

 ⁽٣) مجهول : الاستبصار ص ١٣٦ .
 (٤) مجهول : الاستبصار ص ١٣٧ .

⁽٥) أبن حوقل : صورة الأرض ص ٩٠ ، جهول : الاستبصار من ۲۰۷ .

⁽٦) الادريسى : وصف المغرب والاندلس ص ٦٤ ، ٦٥ . (٧) مجهول : الاستبصار ص ٢١١ . (٨) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريتيـة ص ١٤٨ ط ٢ ت دى سلان ، أبن حوقل : صورة الأرض ص ٩٠ ، المتدسى : أحسن التقاسيم

⁽٩) ياتوت الحموى : معجم البلدان ج ٣ ص ٥٥ ٠

الأصناف واشهرت محلاوتها يقول ابن سعيد « وبها نخل كثير وأنواع من التمر لا يشبه بعضها بعضاً ، وفيها الرطب المسمى بالبرنى أخضر اللون شديد الحلاوة صغير النوا »(۱) .

أما منطقة السوس وقاعدتها مدينة أيجلى فكانت كثيرة البساتين والتمر وجميع الفواكه (٢) وقد أشار الادريسي إلى تنوع الفاكهة في منطقة السوس بقوله و وبلاد السوس قرى كثيرة وعماراتها متصلة بعضها ببعض وبها من الفواكه الحليلة أجناس مختلفة وأنواع كثيرة كالحوز والتين والعنب العدارى والسفرجل والرمان الأمليس والأترج الكبير المقدار الكثير العدد وكذلك المشمش والتفاح المنهد وقصب السكر الذي ليس على قرار الأرض مثله طولا وعرضاً وحلاوة وكثرة ماء » (٢).

ومن هذا العرض لمدن المغرب الأقصى وما تشهر به من فواكه نلحظ تنوّع الفواكه وكثرتها ، تلك الفواكه التي غطت احتياجات السكان وزاد عن حاجتهم وصارت رخيصة الثمن حتى أن حل التمر فى مدينة امجلى ببلاد السوس ربما بيع بما دون كراء الدابة من الحنان إلى السوق (٤).

وبجانب هذه الزراعات المختلفة كانت هناك أنواع مختلفة من الخضر التى قام الفلاحون بزراعها ومنهذه الخضر الخيار والقثاء واللفت والباذنجان والقرع والحزر واللوبيا والكرنب وغير ذلك من أنواع الخضروات(٥).

الفسابات:

يضاف إلى هذه الثروة الزراعية من المحاصيل والفواكه تلك المعابات التى نبتت فى أجزاء متفرقة من البلاد نتيجة لتنوع السطح والمناخ ، وهذه الغابات أمد"ت البلاد بكميات وفيرة من الأخشاب التى استخدموها فى كثير من

⁽١) أبن ستعيد : نزهة الأنظار جر ١ ص ١١ .

⁽٢) مجهول : الاستبصار ص ٢١٢ .

⁽٣) الادريسي : وصف المغرب والاندلس ص ٦١ ، ٦٢ .

⁽٤) مجهول : الاستبصار ص ٢١٢ .

⁽٥) التلتشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ١٧٦ .

الصناعات ومنها صناعة السفن ، وقد تناثرت هذه الغابات في مناطق متفرقة ، فالعاصمة مراكش قبل بنائها كانت قرية صغيرة في غابة من الشجر (١) وكذلك قرية أم ربيعة وهي تقع في جنوبي أحد أوديّة المغرب الأقصى وكان مجوارها غابة كبيرة ملتفة (٢) كذلك جبل درن وما به من أشجار كثيرة (٢) وأيضاً مدينة نفيس وما مها من أشجار كثيرة(¹⁾ ،

هذه الغابات احتوت على أنواع كثيرة من الأشجار اهمها : أشجار الأرز وهو ينبت بالأطلس المتوسط والريف(٥) والعرعر وهو شجر عظم خشبه جيد وله رائحة طيبة ويستعمل في الصنائع الخشبية ^(١) والزان الاخضر وهو أكثر أنواع شجرً الغابات كذلك شجر البلوط والصنوبر والأركان(٧).

الثروة الحدوانية:

وقد صاحب كثرة الغرس والزراعات المختلفة ، أن حظت البلاد بثروة حيوانية كبيرة نتيجة لاختلاف السطح والمناخ مما نتح عنه أقاليم رعوية كثيرة وخاصة في منطقة الأطلس الأوسط حيث أنه أقل ارتفاعاً من الاطلس الكبير مع وفرة في الأمطار مما نتج عنه انتشار المراعي(٨) وقد أشار ياقوت الحموى إلى المراعي عمدينة البصرة إحدى مدن الشمال بقوله 1 والبصرة مدينة كبيرة وهي أوسع تلك البلاد مرعى وأكثرها ضرعاً ولكثرة ألبانها تعرف ببصرة الذبان ، (٦) كما أشار صاحب كتاب الاستبصار إلى أهل جبل فازاز واشتغالهم بالرعى بقوله 1 ومن الحبال المشهورة ببلاد المغرب فازاز ، وهو جبل كبير تسكنه أمم كثيرة من البربر ويطردهم الثلج عنه فينزلون إلى ريف البحرالغربي وهم أهل كسب من الغنم والبقر والخيل، (١٠) كذلك قرية آ نفال حيث كثرت

ابن سعيد : نزهة الانظار ج ١ ص ١٧٥ ٠

نفس الرجع السابق ج أ ص ١٤٠٠ (٢)

مجهول : الاستبصار ص ٢١١٠ (٣)

نفس المرجع السابق ص ٢٠٨٠ (ξ)

محد الفاسى : التعريف بالمغرب ص ١٨ · نفس الرجع السابق ص ١٩ · (0)

⁽⁷⁾

نفس الرجع السابق ص ١٩ . عبد العزيز بنعبد الله : تاريخ المغرب ج ١ ص ١٢ ٠ (A) (٩) ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ١ ص ١٥٣٠

⁽١٠) مجهول: الاستبصار ص ١٨٧٠

فها المواشي والإبل والبقر نتيجة لخصوبة المرعى سها(١) كما أن المرعى غطت مناطق واسعة في الحنوب فني منطقة أغمات انتشرت المراعي(٢) ، وأيضاً مواطن المثلمين في جنوب تلك الصحراء التي تمتد بين بلاد المغرب الأقصى والسودان فإن سكانها من الملثمين لم يكونوا يعرفون حرثاً ولا زرعاً ولا فاكهة وإنما اموالهم الانعام نتيجة لانتشار المرعى(٣) وهذه المراعي التي انتشرت في انحاء البلاد ضمت بين جنباتها كثيراً من الحيوانات المستأنسة من الحيل والبغال والحمير والابلُ والبقر والغنم (٤) وقد أشار البيذق إلى بعض هذه الحيوانات في إحدى حصون المرابطين والتي استولى علمها الموحدون ﴿ وحصن تافر ككوت في كيك غيفره غزاه البشير مع أصحابه ومات عمر بن يندوك فأخذنا له مائة وفمسين فرساً ومات فيهم خمسائة رجل وغنمنا في غنيمتهم خمسائة حمار دون البقر والغن_{م ۵}(۵) .

وقد اشتهرت المراعى بتلمسان بجودة خيولها حيث كانت تسمى الخيل الراشدية ولها فضل على ساثر الحيول (٦) كما أن جبل فازاز اشتهر بكثرة النتاج في الخيل(٧) وقد وصف صاحب كتاب الاستبصار هذه الخيول بقوله وخيل هذا الحبل من أعتق الحيول لصبرها وخدمتها وهي مدورة القدور حسنة الحلق والاخلاق(٨) ، ومما يدل على كثرة النتاج في الخيل أن الخليفة عبد المؤمن استطاع أن يبعث إلى الأندلس في إحدى الحلات العسكرية اثني عشر ألف حصان وذلك لنجدة قرطبة التي حوصرت في سنة ٥٤٥ هـ / ١١٥٠م بواسطة الفونسو ملك طليطلة (٩) .

لذلك زخرت المراعي بالحمال التي استخدمها السكان في أغراض متنوعة

⁽١) ابن سعيد : نزهة الانظار ج ١ ص ١٤ .

⁽٢) اأبن رسته : الأعلاق النفيسة ص ٢٦٠ .

⁽٣) السلاوى : الاستقصا جـ ٣ ص ٣ . (٤) التلقشندى : صبح الاعشى جـ ٥ ص ١٧٦ . (٥) البيذق : اخبار المهدى ص ١٢٩ .

⁽٦) ياتوت : معجم البلدان ج ١ ص ٨٧١ .

⁽٧) أبن سعيد المفريي : بسط الأرض ص ٧٥ .

⁽٨) مجهول: الاستبصار ص ١٨٧.

Murphy: The History of the Mahometan, P; 131 (4)

كالزراعة والتجارة (١) كما أن المرابطين استخدموا الحال وبأعداد وفيرة في معاركهم يقول ابن الحطيب « وأنهم - أى المرابطين - خرجوا من الصحراء في ثلاثين ألف حمل مسرج ففتحوا سجلماسة سنة ٤٦٠ هـ ١٦٠ كما أن الأعداد الوفيرة من الحال التي استخدمها يوسف بن تاشفين في معركة الزلاقة كان لها دور موثر في نتيجة المعركة لصالح المرابطين (١) يقول ابن سعيد « فلما عبرت جيوش يوسف بن تاشفين عبر في آخرها وأمر بعبور الحال فعبر منها بما أغص الحزيرة وارتفع رغاوها إلى عنان السهاء ولم يكن أهل الحزيرة رأوا حمالا قط ولا كانت خيلهم رأت صورها ولا سمعت اصواتها فكانت تذعر منها وتقلق ١٠٤٠ .

وقد عاش فى جنوب البلاد حيوان اللمط ومن جلده كانت تصنع الدرق اللمطية المستخدمة فى المعارك(٥) وقد وصف البكرى هذا الحيوان بقوله ومما فى هذه الصحراء من الحيوان اللمط وهو دابة دون البقر لها قرون دقاق حادة لذكرانها وإنائها وكلما كبر الواحد طال قرنه حتى يكون أكثر من اربعة أشبار وأجود الدرق وأغلاها ثمناً ما صنع من جلود العواتق مها وهى التى طال قرناها لكبر سنها ه(١).

وبجانب حيوان اللمط الموجود بالصحراء كانت هناك دواب الفنك والكباش الدمانية وقد وصفهما البكرى بقوله (ودواب الفنك أكر شيء في هذه الصحراء ومنها يحمل إلى حميع البلاد وعندهم الكباش الدمانية خلفها خلف الضأن إلا أنها أحمل وشعرها شعر الماعز لا أصواف لها وهي أحسن

G,A. Jackson: Algiers; being a complete, P; 67. (1)

⁽٢) ابن الخطيب: رقم الحلل ص ٥١، ١٥٠٠

⁽۲) د. على محمد حموده : تاريخ الأندلس السياسي والعبراني ص ۲۷۵ ٤

De Gayanos The History of Mohametan Dynasties P; 279

⁽٤) ابن سعيد: نزهة الانظار جرا ص ١٧٠٠

⁽٥) البكرى : المغرب في ذكر بلاد المريقية من ١٧١ ، ابن سعيد :

بسط الأرض ص ٢٦٠٠

⁽٦) البكرى: المغرب في ذكر بلاد المريتية ص ١٧١٠

الغنم خلقاً وألوانا(١). .

وهكذا عاشت في المنطقة أنواع من الحيوانات المستأنسة كالخيل والبغال والحمير والأغنام والحمال واللمط والفنك .

أما بالنسبة للطيور الداجنة فقد ربى السكان أنواعاً كثيرة منهاالأوز والحمام والدجاج (٢) ، وقد اهتم سكان المدن وخاصة مدينة فاس بتربية الدجاج وحمايته فى أقفاص كبىر ة ^(٣) .

وبالنسبة للحيوانات غير المستأنسة فكانت تعيش في الغابات والمناطق الصحراوية والتي كان يقوم السكان باصطيادها واستغلالها ، فمنها الأسود التي سكنت كثيراً من مناطق المغرب الأقصى فني غابات قرية ايكسيس الكثير من الأسود(٤) يقول الادريسي « والأسود فها ــ أي قرية ايكسيس ــ ظاهرة للناس عادية علمم بالليل والنهار لا تستتر في غياضها ومهذه القرية المسهاة ايكسيس بيت متخذ لصيد الأسودحتى أنه ربما صيد منها فى الحمعة الثلاثة والأربعة والأكثر من ذلك والأقل(٥) ، كذلك كان بجوار وادى أم الربيع غيضة كبيرة ويصف الادريسي ما بها من أسود 1 وهي غابة كبيرة ملتفة والأسود مها كثيرة وربما أضر بالمار والحاىء غير أن أهل تلك النواحي لا بهابونها وقد تمهروا في مقاتلتها بأنفسهم من غير سلاح، (٦) وكانت المناطق الحبلية بين فاس وتامسنا ممتلئة بالأسود والَّتي تعوَّد الناس على اصطيادها (٧).

وبجانب الأسود كانت هناك أسراب النعام التي انتشرت في أماكن متفرقة ، وقد عاش النعام ومعه الغزلان في المنطقة الصحراوية التي بنيت عليها مدينة مراكش (٨) وكذلك بقرية أنفال حيث اجتمعت أسراب كبىرة

⁽۱) نفس المرجع السابق ص ۱۷۱ . (۲) التلقشندی : صبح الاعشی ج ٥ ص ۱۷۷ . (۳) د، حسن ابراهیم : تاریخ الاسلام السیاسی ج ٤ ص ۲۳۹ . (٤) ابن سعید : نزهة الانظار ج ۱ ص ۱۲ .

⁽٥) الادريسي : وصف المغرب والاندلس ص ٧٢ .

⁽٦) نفس الرجع السابق ص ٧١ .

Budgett Meakin; The Land of the Moors, P: 53 (V) (۱) ابن عذاری: البیان المفرب ج ٤ ص ١٩ ت د. احسان ٠

من النعام يقول الادريسى « وقبالتها – أى قبالة قرية أنفال – فحص طويل وقد انحشرت إليه طيور النعام فهى فى أكنافه سارحة وعلى مراقبه دارجة وهى آلاف لا تحد ولا تعد وأهل تلك النواحى يصيدونها طردا بالخيل فيقبضون منها حملا كبارا وصغاراً ، وأما بيضها الموجود فى هذا الفحص فلا يحاط به كثرة ولا يحصل ومنه يحمل إلى كل البلاد »(١).

الثروة السمكية .

كان لموقع المغرب الأقصى وامتلاكه لشاطئين احدهما يطل على البحر المتوسط والآخر يطل على المحيط الاطلسي مع كثرة الأنهار التي تخترق وديان المغرب الأقصى ومرتفعاته أثر كبر في تزويد البلاد بثروة سمكية حيث مارست طائفة من سكان البلاد مهنة الاصطياد من شواطىء البحار وعلى ضفاف الأنهار فني الأنهار القريبة من مراكش كان الصيادون يصطادون كميات كثيرة من الأسماك ، يقول ابن المؤقت « وأما الأنهار القريبة منها ــ أى من مدينة مرّ اكش فمتعددة منها النهر المعروف بوادى أسيل بباب الربع وعليه قنطرة وماؤه يخرج من عيون كثيرة من روُّوس الحبال القريبة من المدينة ، ويوجد في هذا النهر من أنواع الحوت شيء كثير وفى كل يوم يحملون منه أحمالاً إلى المدينة، (٢) كذلك النهر الذي يمر بمدينة فاس والمسمى بنهر الحوهر به أنواع كثيرة من الأسماك ذكرها الحزنائي بقوله « وبخرج منها أنواع الحوت مثل اللبن والبورى والسلباح والبوفة ذلك كله حوت لذيذ الطعم كثير المنفعة (٢) ٪ أما وادى سبو فقد تمر بأشماكه ذات الأوزان الكبرة لحتى أن بعض هذه الأسماك تزن الواحدة قنطاراً وأزيد (٤) وقد أشار صاحب كتاب الاستبصار إلى الأنواع المختلفة من الأسماك الموجودة بوادي سبو بقوله لا ويتصيد في هذا الوادي الشابل الكثير ويطلع إلى رأس العنن أو قريب منه ، ويدخل في هذا الوادى الحوت الكثير ، ويتصيد في بعض الأحيان البوري الكبير ، وذكر الثقاة أنه بيع واحد بثلاثة عشر درهماً ورطل كبير منه بدرهم ونصف ويصل إلى المدينة

⁽۱) الادريسي : وصف المغرب والاندلس ص ۷۱ ، ۷۲ .

⁽٢) ابن المؤقت : السعادة الأبدية جرا ص ٢٢ .

⁽٣) الجزنائي: زهرة الآس ص ٢٥٠.

⁽٤) نفس الرجع السابق ص ٢٥٠ .

الحوت الكبير المسمى عندهم بالقرب بحمله الحهار . . وأخبر في الثقات أنه كان مدينة فاس ومكناسة الحوت الذي يسمى بالشوله وهو ألذ مايوجد من أنواع السمك (۱) أما مدينة سلا وما يجرى بجوارها من نهر المعمورة فإنه يتمير بالحوت الطيب المعروف بالشابل (۲) وقد أشار الادريسي إلى كثرة الأسماك بهذا الوادى وكيف أنها لا تباع ولا تشترى لكثرتها يقول الادريسي وفي هذا الوادى أنواع من السمك وضروب من الحيتان والحوت بها لا يكاد يباع ولا يشترى لكثرته وجودته (۳) ، أما مدينة سبتة وهي مدينة ساحلية فقد كثرت بها أنواع الأمماك وقد أعطانا الادريسي وصفاً للطريقة المستخدمة في اصطياد هذه الأسماك يقول الادريسي و مدينة سبتة مصايدللحوت ولا يعدلها بلد في إصابة الحوت وجلبه ويصداد بها من السمك نحو ماثة نوع ، ويصاد بلد في إصابة الحوت وجلبه ويصداد بها من السمك نحو ماثة نوع ، ويصاد بلد في أسنتها أجنحة بارزة تنشب في الحوت ولا تخرج وفي أطراف عصها شرائط القنب الطوال ولهم في ذلك دربة وحكمة سبقوا فها جميع الصيادين من الحرز ويصدر إلى الحارج (٥) .

أزمات اقتصادية :

شهد المغرب الأقصى منذ أن تأسست على أرضه دولة المرابطين حتى نهاية حكم الناصر الموحدى فترة من الرخاء الاقتصادى والانتعاش المادى نتيجة لما تنتجه الأرض من المزروعات والثمار وما صحب ذلك من وفرة فى الثروة الحيوانية والسمكية ، ألا أن هذا لم يمنع من وجود بعض فترات القحط وارتفاع فى الاسعار وقلة فى أنواع الطعام .

وبتتبع العوامل التي أدت إلى حدوث هذه الأزمات لوجدنا أنها ترجع إلى : كوارث طبيعية كالزلازل والفيضانات ، أو نتيجة لاشتعال المعارك

⁽۱) مجهول : الاستبصار من ۱۸۶ ، ۱۸۵ .

⁽٢) نفس المصدر السابق ص ١٤١ ، ابن ستعيد : بسط الأرض ص ٧٢ .

⁽٣) الادريسي : وصف المغرب والاندلس ص ٧٣ .

⁽٤) الادريسي : وصف المغرب والانطس ص ١٦٨ .

⁽٥) نفس المرجع السابق ص ١٦٨٠

والحروب في البلاد وما يصحب ذلك من تدمير وهلاك، أو نتيجة للاستعدادات الضخمة للقيام بحملة عسكرية والتي تستلزم تجنيد ثرواث البلاد من أجل هذا الهدف مما يؤدي إلى قلة المواد وارتفاع في الاسعار وأخيراً إهمال بعض الولاة مما يترتب عليه قلة في المواد الغذائية .

أما بالنسبة للعامل الأول: وهي الكوارث الطبيعية فذلك كالزلزال الذي أصاب المغرب سنة ٤٧٢ بأضرار بالغة يقول ا بن أبي زرع « وفي ربيع الآخر منها ــ أى سنة ٤٧٢هـ كانت الزلزلة العظيمة التي لم ير الناس بالمغرب مثلها هدت البنيان ومات فيها خلق كثير تحت الردم ، ووقعت الصوامع والمنارات ولم نزل الزلزلة تتعاقب وتتكور في كل يوم وليلة من أول يوم ربيع الآخر إلى آخر يوم من حمادى الآخر من السنة المذكورة ،(١) أو تصاب منطقة بسيل جارف يكتسح كل ما يلقاه في طريقه كما حدث بطنجة سنة ٣٢٥/ ١١٣٧م حيث كان السيل العظيم الذي حمل الديار والحدرومات فيه خلق عظم من الناس والدواب(٢) كما أن الفيضانات لعبت دورها في إتلاف كثير من الاراضي الزراعية وما يصحب ذلك من قلة في المحصول وارتفاع في الاسعار كما حدث ذلك في سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م يقول ابن عداري و وفي هذه السنة ــ أى سنة ٣٦هـ ـ أكل وادى فاس باب السلسلة وفتقت جزيرة مليلة وأكل البحر طنجة إلى الحامع الكبر ، وأكل وادى سبو أخبية لمتونة وكان عبد المؤمن إذ ذاك في غياثة وبلغ الشعير في ذلك الوقت ثلاثة دنانير

كما أن الحراد كان يشكل في بعض الأحيان خطراً على المزروعات ، وذلك كما حدث مدينة أغمات وإبادة الحراد لكثير من المحصولات وشكوى أهل أعمات لأحد الصالحين الذي دعا لهم فصرف الله عنهم ذلك الوباء(١) ، كما أن الأوبئة أحدثت قحطاً بمدينة فاس سنة ٧٤ هـ / ١١٢٩م(٥).

⁽١) ابن أبي زرع: الأنيس ج ٢ ص ٩٦ ت الفيلالي .

⁽۲) ابن عداری: البیان المغرب ج ٤ ص ٩٦ ت د. احسان . (۳) ابن عداری: البیان المغرب ج ٤ ص ٩٩ ت. د. احسان

⁽٤) ابن المؤقت : السمادة الأبدية ج ١ ص ٢٦ ٠

⁽٥) أبن القطان : نظم الجمان ص ١٨٣٠

والعامل الثانى: الحروب والثورات وما تحدثه من عدم استقرار بالبلاد وانتهاب للأموال وشيوع للخوف والدمار كل هذا أدتى إلى سو الأحوال الاقتصادية فنى حصار عبد المؤمن بن على لمدينة مراكش قبيل فتحها سنة الاقتصادية فنى حصار عبد المؤمن بن على لمدينة مراكش قبيل فتحها سنة وطال الحصار عليم واشتد الحهد بهم ولكثرة خيلهم ورجلهم نفد طعامهم وفنيت مخازتهم حتى أكلوا دوابهم ومات منهم بالحوع ما ينيف على مائة وعشرين ألفاً ، ولما طال عليهم الحصار واشتدت أحوالهم وهلكوا جوعاً حتى أكلوا الجيف وأكل أهل السجن بعضاً وعدمت الحيوانات كلها والحنطة بأسرها ، واختبرت المخازن فلم يوجد بها شيء وعجزت عساكر والمتونيين حينتذ عن الدفاع والامتناع (۱).

كما أن الغزوة الهلالية لإفريقية واتجاههم إلى أراضى المغرب وما صاحب ذلك من غزو وتخريب كانت له آثاره الاقتصادية السيئة على المغرب الأدنى والأوسط وانعكست هذه الآثار على المغرب الأقصى ، وقد أشار ابن خلدون إلى آثار هذه الغزوة على اقتصاديات المغرب بقوله « وافريقية والمغرب لما جاز إلى آثار هذه الغزوة على اقتصاديات المغرب بقوله « وافريقية والمغرب لما جاز اليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الحامسة وتمرسوا بها لثلثمائة وخمسن من السين قد لحق بها وعادت بسائطه خراباً كلها بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومى كله عمراناً تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمدن» (٢).

⁽١) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ١٠٣ ، ١٠٣ .

⁽٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ١٥٠٠

⁽٣) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٤٩ تطوان .

كذلك حدثت مجاعة بمراكش سنة ٥٩١ه/ ١١٩٤م(١) وهى نفس السنة التى حدثت فيها معركة الارك وانتصار الموحدين فيها على جنود الروم بالأندلس وقد سبق الغزو حشد للجنود واعداد المؤن والطعام وكل ما يلزم المعركة .

والعامل الرابع تمثل: في تقصير الولاة واهمالهم مما تسبب عنه قلة الأقوات وارتفاع الأسعار وهذا ما عاناه الناصر الموحدي هو وجنوده سنة ٢٠٧ه. ١٢١٠ أثناء توجهه إلى الاندلس للغزو ففد قاسي الحنود والناس قلة في الطعام والأقوات نتيجة لإهمال الولاة يقول ابن عذاري وسبب سطوته بعاله في هذه السنة سنة ٢٠٧ه ه/ ١٢١٠م أن لتي الناس في هذه الحركة من تنوع المسغبة وانتشار المجاعة وتعذر الأوطار وعدم الأقوات ما لم يعهده الناس وعلموه في أسفارهم القاضيات ولا عارضهم مثلها فيا ترددوا فيه من زمن الفتن المبرات (٢) وقد أغضب كل ذلك الحليفة الناصر وعاقب كل من تسبب في قلة الأقوات (٢).

و هكذا أحدثت العوامل السابقة بعض الأزمات الاقتصادية والتي تمثلت في قلة الأقوات وارتفاع في الاسعار .

ب ــ الصناعة

لعبت الصناعة دورها فى ازدهار الحياة الاقتصادية بالمغرب الأقصى منذ تأسست على أرضه دولة المرابطين وحتى نهاية حكم الناصر الموحدى ، وازدهرت كثير من الصناعات المختلفة فى ظل حكام المغرب الأقصى ، نتيجة لاستقرار الأوضاع فى البلاد وتوفر المواد الحام التى تقوم علما الصناعة مع وجود الحيرة الصناعية المتمثلة فى الأيدى العاملة والتى دفعت حركة التصنيع فى البلاد إلى الامام ، وهذه الصناعات وإن كانت بسيطة ومتمشية مع ظروف فى البلاد إلى الامام ، وهذه الصناعات وإن كانت تهدف إليه هو سد احتياجات المعصر الذى وجدت فيه إلا أن أول ما كانت تهدف إليه هو سد احتياجات المواطنين من المواد الاستهلاكية وغيرها . وقد ظهرت عدة صناعات منها صناعة السفن وصناعة الزجاج والنسيج وصناعة أدوات النحاس والحديد(٤)

⁽١) نفس المرجع السابق ج ٤ ص ٢٣٣ تطوان ٠

⁽٢) ابن عدارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٢٣٣ تطوان ٠

⁽٣) نفس المرجع السابق ج ٤ ص ٢٣٤ تطوان ٠

Julien; Histoire de L'Afrique du Nord, P; 122. (٤) (م المفارة)

وقد أشار عبد الرحمن بن أبى بكر إلى كثرة المصانع فى عهد الناصر الموحدى حتى بلغ عدد مصانع الصابون سبعة وأربعين مصنعاً ، ومصانع سبك النحاس مائة واثنى عشر مصنعاً ومصانع الغزل مائة وواحد وأربعين مصنعاً وغير ذلك من المصانع (١) . وقد قامت الصناعة فى المنطقة على دعامتين أساسيتين

الدعامة الأولى : توفر المواد الحام فى البلاد وهذه المواد إما معدنية أو نباتية أو حيوانية :

(۱) أما المواد المعدنية فقد تنوعت مادتها وأماكنها ومن هذه المواد معدن الحديد وكانت أماكنه بين سلا ومراكش في موضع يدعي إبسنتار (۲) وكذلك توب مدينة فاس (۳) أما معدن النحاس فقد وجد بمنطقة السوس (٤) وبالقرب من مدينة سحلماسة (٥) و بمدينة داي (١) وقد أشار الإدريسي إلى قيمة هذا النحاس بقوله و ومدينة داي في أسفل جبل خارج من جبل درن وهي مدينة بها معدن النحاس الحالص الذي لا يعدله غيره من النحاس بمشارق الأرض ومغاربها وهو نحاس حلو أونه إلى البياض يتحمل الترويج ويدخل في لحام الفضة وهو إذا طرق جاد ولم يتشرخ كما يتشرخ غيره من أنواع النحاس (٧) أما معدن الفضة وقد اشتغل أهلها باستخراج هذا المعدن من مناحمها (٨) كذلك بعدن الفضة وقد اشتغل أهلها باستخراج هذا المعدن من مناحمها (٨) كذلك حصن وركناس وجد به معدن الفضة (٩) وفي تادلا أيضاً وجد معدن الفضة (١٠)

⁽۱)عبد الرحمن بن أبى بكر : البسستان في أخبار الزمان مخطوط ، ورقمه ۲۹ ، ۳۰ ،

⁽٢) الراكشي : المعجب ص ٣٦٢ .

⁽٣) عبد العزيز بنعبد الله : المعجم التاريخي ص ٢٢ .

⁽٤) الراكشي: المعجب ص ٣٦٢ .

⁽٥) البكرى: المغرب في ذكر بلاد انريتية ص ١٥٢٠

⁽٦) الأدريسى : وصف المغرب ص ٧٤ ، ابن سعيد : نزهة الأنظار ج ١ ص ١٦ .

⁽٧) الادريسي: وصف المغرب والأندلس ص ٧٤ .

⁽٨) الراكشي : المعجب ص ٣٦١ .

⁽٩) نفس المرجع السابق ص ٣٦٢ .

⁽١٠) ابن سعيد : بسط الارض ص ٧٥٠

كما أنه وجد أيضاً بمدينة تامدلت(١) أما معدن التوتيا والمستخدم في صنع النحاس الأحمر وتحويله إلى أصفر ففد كان موجوداً بمنطقة السوس (٢). وبالنسبة لمعدن الذهب فقد أشار المراكشي إلى أنه مستورد من بلاد السودان(٣) غبر أنه وجد ببعض مناطق الحنوب وخاصة في سملماسة (٤) ويبدو أنه لم يكن بوَفرة المعادن الأخرى الموجودة بالبلاد مع سهولة استيراده من أقاليم السودان مما دفع المراكشي إلى القول بعدم وجوده بأرض المغرب الاقصى . ومجانب الذهب كانت هناك بعض أنواع المعادن النفيسة الأخرى والتي قامت علما صناعة الحلى وغيرها من أدوات الزينة كالصدف الثمين والمستخرج من نهر فاس(٥) والياقوت وقد أشار البكرى إليه بقوله « وهماك جبل يقابل جبل هزرجة فيه أجناس من الياقوت المتناهي في الحودة وحسن اللون ١٦٠ وهناك بعض المواد الخام والتي دخلت في صناعة مواد البناء وغيرها وهي الحص والصلصال والرمال المختلفة الأنواع وكانت قريبة من مدينة فاس(٧) ويبدو أن ولاة الأمر كانوا يشرفون على هذه المناجم واستغلالها فيما يعود بالنفع على المواطنين ، فحين بلغ الحليفة يوسف بن عبد ألمؤمن أن السكان المقيمين بهرغة قد استُولُوا على المعدُّن المكتشف بأرنبهم واختصوا به أنفسهم توجه إلى المكان بنفسه وأقام عليه حصناً وحرسا يقول ابن عذارى « وذلك أنه لما صح عند أمر المؤمنين أن المعدن الذي بجبل السوس على مقربة من بلاد هرغة قد أخرج منه شيء لم يعهد في قديم الزمان ولا سلمه قط أهل هذا المكان وظهر أهل هذا الحبل بما تحصل في ايديهم منه واغتصبوه لأنفسهم دون حق منه للخليفة فعسكر في أول صفر منسنة ثمان وسبعين وخمسائة وخرح من حضرة

⁽۱) البكرى: المغرب ص ١٦٣٠

⁽٢) الراكشي : المعجب ص ٣٦٢ ٠

⁽٣) نفس المرجع السابق ص ٣٦٣٠

⁽٤) المتدسى : احسن التقاسيم ص ٢٣١ ، البكرى : المغرب ص ١٥١ .

⁽٥)الجيلاني : رسالة في ذكر كرمن أسس مدينة ماس ص ٥٥ ، الجزنائي : زهرة الآس ص ٢٥ .

⁽٦) البكرى: المغرب ص ١٥٣٠

⁽٧) الجيلاني : رسالة في ذكر من أسس مدينة فاس ص ٢٦ ، الجزناي : زهرة الآس ص ٢٥ ٠

مراكش لتحصينه فوصل إلى المعدن المذكور فنظر الخليفة فى بناء حصن عليه وأسكنه بالأجناد واستعد لتحصينه غاية الاستعداد فلما كمل غرضه أقلع بمحلاته عنه (۱).

(ب) وأما المواد النباتية والتي قامت عليها بعض الصناعات فيأتى في مقدمتها تلك الغابات التي غطت أجزاء من أرض المغرب الأقصى ومنها كانت تؤخذ الأخشاب وخاصة خشب الأرز لصناعة السفن (٢) ومجانب ذلك فقد أقام السكان أنواعا من الصناعات على بعض المحاصيل الزراعية كاستخراج الزيوت من الزيتون وكصناعة الملابس القطنية من محاصيل القطن ، وصناعة السكر من قصب السكر ، وقد سبق أن أشرت إلى وفرة هذه المحاصيل وأماكن زراعها .

(ج) أما الصناعات التي اعتمدت على الحيوانات فيأتى في مقدمتها صناعة دبنج الحلود والتي حصلت على خامة الحلد من الحيوانات المختلفة التي كانت تملأ ألمراعي المنتشرة في البلاد واستخدام أوبار الأغنام في صناعة الملابس الصوفية ، كذلك كانوا يأخذون جلود حيوان اللمط ويصنعون منه الدرق اللمطية وهي خفيفة لينة لا ينفذ فيها النشاب ولا يؤثر فيها السيف وهي من أحسن الترس(٣)

أما الدعامة الثانية: في ازدهار الصناعة فهو توفير الأيدي العاملة المدربة على الصناعات المختلفة والتي انتشرت في انحاء البلاد ، وقد اكتسب الصناع خبرتهم نتيجة للمهارات والحبرات التي تجمعت لديهم عبر السنين والتي توارثها الأبناء عن الأجداد بالاضافة إلى أهمية موقع المغرب الأقصى كهمزة وصل بين المشرق والاندلس فهو في طريق القادم من المشرق قاصدًا الأندلس وبالعكس ، ومنهم من كان يفضل الإقامة في البلاد ، كذلك تلك الهجرات المبكرة من افريقية والتي قصدت المغرب الأقصى في عهد دولة الاداراسة واختلاطهم بالسكان مما نتج عنه تبوع الحبرات .

⁽۱) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٢٤ تطوان ٠

⁽٢) أبن سعيد : بسط الأرض ص ٧٣ .

⁽٣) أبي حامد الأنطسي : تحفة الألبا ص ٤٤ بأريس سنة ١٩٢٥ .

حتى إذا قامت دولة المرابطين وصار إقليم الأندلس خاضعاً لسلطاتهم استفاد ولاة الأمر من خبرات أهل الاندلس فى الصناعة ، فيوسف بن تاشفين حين عمد إلى التوسع فى البناء والتعمير استقدم كثيراً من صناع الأندلس(١).

وجرى على نفس السياسة خلفاء الموحدين من استقدام الصناع المهرة إلى العاصمة وغيرها من المدن المغربية ، وذلك للاستفادة بخيراتهم ، ومن أمثلة ذلك استقدام الحليفة عبد المؤمن الحاج يعيش المالتي والذي أمره بصناعة مقصورة هندسية ميكانيكية بالمسجد الحامع . وقد وضعت المقصورة على حركات هندسية ترفع بها عند خروج الحليفة وتخفض لدخوله (٢) كذلك حن عزم الخليفة عبد المؤمن على كسوة مصحف سيدنا عمان فانه حشد عدداً كبيراً من الصناع من العاصمة وسائر بلاد المغرب والأندلس فاجتمع لذلك حداق كل صناعة من المهندسين والصواغين والنظامين والحلائين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقيِّين والمحلدينُّ وغيرهم (٣) ولا شكُّ أن تشجيُّع ولاة الأمر للصناع الأندلسين على المحيء إنى اللَّاد (٤) قد أثمر تقدماً صناعياً نتيجة الاحتكاك المباشر بن الصناع من البلاد والحرة الصناعية الوافدة من الأندلس ، وحتى في أوقات الحروب وما يصحبًا من سفك الدماء فان الخليفة ـ عبد المؤمن كان حريصاً على حياة الصناع حتى لا تصاب الصناعات باضمحلال وقد ظهر ذلك جلياً حين استولى عبد المؤمن بن على ، على العاصمة مراكش وقضائه على المرابطين ، فانه أبقى على أرواح الصناع وفي ذلك يقول ابن الأثير « لما فتح عبد المؤمن مراكش أقام بها واستوطنها واستقر ملكه ولما قتل عبدالمؤمن من أهل مراكش فأكثر فهم القتل ، اختفى كثير من أهلها فلما كان بعد سبعة أيام أمر فنودى بأمان من بني من أهلها فخرجوا فأراد أصحابه المصامدة قتلهم فمنعهم وقال هؤلاء صناع وأهل الاسواق من ننتفع به ، فتركوا وأمر

⁽۱) الجزنائى: زهرة الآس ص ٣٢ ، ابن القاضى: جنوة الانتباس ص ٢٧ .

⁽٢) ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالامامة ص ١٣٩ حاشية .

⁽٣) المقرى: نفح الطيب ج ٢ ص ١٤١ ، السلاوى: الاستقصا

۰ ۱۲۸ می ۲ ج Nevill: A Survey of North West, P; 135. (٤)

باخراج القتلى من البلد فأخرجوهم» (١) . المراكز الصناعية :

نهضت الحركة الصناعية فى عدة مدن مغربية ، وصارت مراكز صناعية منذ قيام دولة المرابطين .

ويأتى في مقدمة هذه المدن: مدينة فاس التي شهدت تقدماً صناعياً في عهد المرابطين ومن جاء بعدهم من الموحدين وقد وصفها ابن سعيد المغرب بقوله وهي أي مدينة فاس من خواص المغرب الملاء بالحيرات والصنائع الغريبة (٢) وقد أشارت المراجع إلى كثرة المصانع والدور التي تشتغل بالصناعات المختلفة في مدينة فاس (٣) وفي ذلك يقول الحزنائي و والأطرزة وأي دور الأطرزة من الأثارة آلاف وأربعة وتسعن ، ودور عمل الصابون سبعة وأربعين ودور الدباغين ستا وتمانين ، ودور الصباغ مائة وستة عشر ودور تسييك الحديد والنحاس التي عشر ، ودور عمل الزجاج إحدى عشرة . واحجار عمل الكاغيد اربعائة ، كل ذلك بداخل المدينة ، ودور الفخارة مائة وتمانين غارج المدينة ، نقل عن المشرف على بي عمر الأوسى ، قال مائة وتمانين غارج المدينة أيام الناصر بن المنصور» (٤) ، وهذه الاحصائية تعطيبا أنواع الصناعات المختلفة الموجودة بالمدينة ومها الصناعات النحاسية التي برع فها أهل فاس (٥) ومن هذه الصناعات الأنارين والصواني والطسوت والأدوات المزلية وغيرها (٢) كما أن بها دارين لسك النقود احداهما في عدوة القرويين والأخرى بعدوة الاندلسيين وكانت تسبك بهما النقود الذهبية (٧)

⁽١) إبن الأثير: الكامل جر ٨ ص ٣٠١ .

⁽٢) أبن سعيد : بسط الأرض في الطول والعرض ص ٧٤ .

⁽٣) الْجَيلاني : رسالة في ذكر من اسس مدينة ماس مخطوط ص٥٥ ابن القاضي : جدوة الاقتباس ص ٢٨ ، الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ح ٢ ص ٣١٧ ، عبد العزيز بنعبد الله : تاريخ المغرب ج ١ ص ١٢٦ ، ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٥٧ .

^{((}٤) الجزنائي : زهرة الآس ص ٣٣٠

⁽٥) مجهول : الاستبصار ص ١٨١ ، القلقشندى : صبح الاعشى ج ٥ ص ١٥٧ .

⁽٦) احسان حتى : المغرب العربي ص ٢٠٧ .

⁽Y) المنونى : العلوم والفنون ص ٢٥٧ .

وقد أورد أبو الحسن على وهو من فقهاء القرن السابع الهجرى فى كتابه المدوحة المشتبكة الطرق المختلفة والتى كان يتبعها الصاع فى تنقية الدهب والفضة من الشوائب المختلفة حتى يصبح جاهزا لسكه كعملة نقدية (۱) وروايته تعطينا صورة لمدى معرفتهم بالمعادن وطريقة تنقيتها وصوغها ، كذلك برع أدل قاس فى صناعة المنسوجات والملابس وصبغها بالألوان المختلفة (۲) أما صناعة الورق ففد از دهرت وبلغت شأواً عظيا (۳) ونظراً لموقع فاس قريباً من الورق ففد از دهرت وبلغت شأواً عظيا (۳) ونظراً لموقع فاس قريباً من المراضى المزروعة بالزيتون ، فان أحمال الزيتون وتصديره إلى المناطق المتفرقة من البلاد ، كذلك كان لموقع المدينة قريباً من وادى سبو سبباً فى انشاء دار لصناعة القوارب والسفن الصغيرة (٤) وأيضاً دبغ الجلود وصناعها مما اشتهرت به مدينة فاس (٥) .

أما العاصمة مراكش فتأتى فى المركز الثانى من حيث أهميتها الصناعية إذ أنها كانت حديثة البناء حيث بنيت فى سنة ٤٧٩ه / ١٠٨٦م، ولم تكن لها قدم مدينة فاس التى بنيت فى سنة ١٩٣ ه / ٨٠٧م فى عهد إدريس بن ادريس والتى اكتسبت مكانة دينية وثقافية وتجارية عبر السنين، وقد اشهرت مراكش بصناعة الزرابي (٧)

أما المدن الساحلية مثل سبتة وطنجة فقد اشتهرتا بصناعة السفن ، وقد ن نالت صناعة السفن عناية ولاة الأمر لاحتياجهم لها في نقل جنودهم إلى

⁽۱) أبو الحسن : الدوحة المشتبكة ص ۳۶ ، ۳۵ ت د. حسين مؤنس مدريد سنة ١٩٦٠ .

⁽٢) ياتوت الحموى : معجم البلدان ج ٣ ص ٨٤٢ ، عبد العزيز بنعبد الله : جغرانيسة المغرب ص ٥٤ ط ٢ سنة ٥٦ ، روجيه : ناس في عصر بنى مرين ص ٣٢ ، ترجمة د. نتولا زيادة .

⁽٣) محمد المنوئي : العلوم والفثون ص ٢٥٦ .

⁽٤) الجزنائى: زهرة الآس ص ٢٧٠

⁽٥) روجیه : ناس فی عصر بنی مرین ص ۱۳۳ ، ص ۱۳۴ ترجمة د. نقولا زیادة .

⁽٦) د. حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٤٠٦ ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٣٨ .

⁽۷) احسان حتى : المفرب العربي ص ٢٠٨ ، د. زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٣٨٨ ط ١ سنة ٨٨ .

الأندلس وحماية شواطيء البلاد من غارات الأعداء ، وقد أعطانا المؤرخون صورة لمدى استعداد المصانع بكل من سبتة وطنجة فى بناء السفن ذلك أن الخليفة عبد المؤمن حين أمر بانشاء الأساطيل في حميع سواحل بلاده فان سبتة وطنجة أنشأتا مائة قطعة من السفن المختلفة الأشكال والأنواع (١) ومن أنواع هذه السفن : المراكب والحراقات والمسطحات والطرائد والشلنديات وغيرها (٢) وبجانب صناعة السفن التي اشتهرت بها سبتة ، فان أهلها كانوا يستخرُّجون المرجان من البحر ويصنعونه خرزاً وعقوداً ويصدرونه إلى غانة وحميع بلاد السودان(٣) كذلك ازدهرت صناعة الورق ممدينة سبتة(١) ، كما أَنَّ قصر مصمودة وهو يبعد اثني عشر ميلا غرب مدينة سبتة كانت تصنع به المراكب والحراريق التي يسافر فها إلى بلاد الأندلس^(ه) .

أما منطفة السوس: فقد اشهرت بصناعة الحز (٦) وصناعة السكر اللي كان يصدّر إلى بقاع كثيرة من الأرض (٧) كذلك كانت تلمسان ومدينة داى وبلاد ركراكه مراكز لصناعة المنسوجات القطنية والصوفية ^(٨) أما مدينة نول لمطة فقد اشتهرت بصناعة الدرق اللمطية التي تستخدم في الحرب وكذلك السروج واللجم والأقتاب المعدة لخدمة الابل(٩) .

(٢) محمد المنوني : العلوم والفنون ص ٢٥٥ ، ابراهيم حركات :

⁽١) ابن مساحب المسلاة : تاريخ المن بالامامة ص ٢١٤ ، ابن ابي زرع: الانيس المطــرب جـ ٢ ص ١٦٤ ت الفيلالي ، الســــلاوي : الاستقصا ج ٢ ص ١٤٣ ، محمد ياسين الحموى : تاريخ الاسطول العربي ص ١٣٣ ، محمد الرشيد ملين : عصر المنصور ص ٨٤ .

المغرب عبر التاريخ ص ٣٤٣ ، ٣٤٣ . (٣) الادريسي : وصف المغرب والاندلس ص ١٦٨ ، بونيل : الممالك الاسلامية في غرب المريقيا ص ١٠٩ ، ١١٠ ترجمة د. زاهر رياض .

⁽٤) عبد العزيز بنعبد آله : تاريخ المغرب جد ١ ص ١٢٦ ، ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٥٨ .

⁽٥) الادريسي : وصف المغرب والأندلس ص ١٦٨ .

⁽٦) أبي حامد الاندلسي : تحفة الألبا ص ٢١١٠.

⁽٧) الادريسي: وصفّ المفرب والأندلس ص ٢٢.

⁽٨) ان سعيد المغربى: بسط الأرض ص ٥٩ ، أبي زكرياء: بغية الرواد بُ أ ص ٢٢ ، ابن سعيد : نزهة الانظار ج ١ ص ١٦ .

⁽١) الادريسي : وصف المغرب ص ٥٩ ، ألعمري : مسالك الأبصار ج ١ قسم ٢ ص ٣٤٩ ، ابن سسعيد : نزهسة الانظسار ج ١ ص ١٠ ٤ د. شعيرة : الرابطون تاريخهم السياسي ص ١٨ .

أما مدينة أنجلى ففد اشتهرت بسبك النحاس وصناعته وتصديره إلى السودان (۱) وبالنسبة لصناعة السلاح فقد قامت صناعته فى معظم المدن المغربية وذلك لتنى بحاجات الحملات الحربية المتكررة سواء أكانت هذه الحملات متجهة إلى الشرق أم متجهة إلى الأندلس ، ومن هنا كان ولاة الأمر فى حاجة دائمة لأنواع السلاح المختلفة وبكميات وفيرة كما حدث حين أمر الخليفة عبد المؤمن بالاستعداد فى سنة ٥٥ه م / ٢٠١١م لغزو الاندلس فإن مصانع السلاح كانت تنتج له يومياً عشرة قناطير من السهام (٢) مخلاف الأسلحة الأخرى من سيوف وقسى ورماح وخوذات، وغيرها من أدوات القتال . وبالنظر إلى المصناعات السابقة بمدن المغرب الأقصى نجد مدى تنوعها وقيامها بحاجات المواطنين نتيجة لكثرتها وما زاد عن حاجتهم كان يصدر إلى الخارج كصناعة المناحاس والسكر وبعض المنسوجات .

⁽۱) البكرى : المغرب في ذكر بلاد المريقية ص ۱۹۲ ، مجمول : الاستيصار ص ۲۱۲ . (۲) ابن أبى زرع : الانيس ج ۲ ص ۱۹۵ ت النيلالى ، عبد اله کنون : مدخل الى تاريخ المغرب ص ۷۶ ، السلوى : الاستقصا ج ۲ دس ۱۹۳ . Reaé Millet; Les Almohades, P; 93.

الفصل النالث

التجارة الداخلية والخارجية

ا - التجارة الداخلية

شاركت التجارة الداخلية والحارجية في دفع عجلة الاقتصاد بالبلاد منك أن تأسست دولة المرابطين وحتى نهاية حكم الناصر الموحدى ، في هذه الفترة الزمنية شهدت الأسواق التجارية المنبثة في مختلف المدن المغربية حركة تجارية ونشاطاً في البيع والشراء ، وذلك نتيجة للاستقرار السياسي الذي أظل البلاد اذ أصبحت السلطة السياسية في يد أمراء المرابطين ومن جاء بعدهم من خلفاء الموحدين ، وقد حرص ولاة الأمر على استتباب الأمن وإشاعة الهدوء عما سهل الاتصال التجاري بين المدن المختلفة ، كما إن امتداد السلطة السياسية لولاة الأمر حتى حدود طرابلس شرقاً وصحراء المرابطين جنوبا والأندلس شمالا ، هذا الاتساع المكانى أعطى امتداداً للحركة التجارية بين مدن المغرب وغيرها من مدن المغرب الأوسط والأدنى ، وأيضاً مدن الأندلس وشجع التجار الذين كانوا مخضعون في هذه المناطق لحكومة واحدة ، على التنقل محرية تامة مما ساعد على تنشيط البيع والشراء وتبادل المنتجات .

وقد سبق أن أشرت فى الفصل السابق إلى مدى التقدم الزراعى الذى شهدته البلاد مع تنوع فى المحاصيل والمزروعات والفواكه ، وكيف أن الأرض كانت تنتج هذه المحاصيل بوفرة ، وأحدث ذلك رخصاً فى الأسعار وأن هذه المحاصيل كانت تباع فى الأسواق . كذلك تناولت من قبل الحركة الصناعية وكيف أن المواد الحام والأيدى العاملة أنتجتا كثيراً من الصناعات المختلفة ، والتي كانت تباع فى الأسواق ، ولا شك أن ازدهار التجارة يقوم على ما تنتجه البلاد من أنواع البضائع المختلفة ، مع ما يرد إلى أسواقها من المنتجات الحارجية .

وقد وجه ولاة الأمر اهتمامهم للتجارة والعمل على تنشيطها وذلك بتشجيع

التجار على المجيء إلى البلاد(١) كما أن بعضهم كان ينتهز فرصة تولّيه الحكم ويقوم بحركة تنشيط للتجارة وذلك عن طريق إسقاط الضرائب السابقة وتوزيع الأموال مما ينشط حركة البيع والشراء بالبلاد وذلك ما فعله الحليفة يوسف بن عبد المؤمن في سنة ٥٩٦٣م / ١١٦٣م ، يقول ابن صاحب الصلاة « وأمنهم من المخاوف فيها تقيَّد عليهم في الدواوين ـــ وذلك حين أفرج عنالمسجونين مناسبة تجديد البيعة سنة ٦٣٥ه - فزاد الانبساط والنشاط عبد الناس بفضله وصفحه وعدله ، وزادت المخازن أثر ذلك وفوراً ، ونمت الأرزاق ، وعمرت الأسواق بالبيع والتجارة الرامحة ودرّت على الناس بالحرات دروراً واغتبط العالم به وببيعته ، وكثر المال في الأيدى من توالى سمحه وبركته ، (٢) .

كما أن ولاةالأمر وفروا سبلالاقامة للتجار وذلك بانشاء الفنادق فيوسف ابن تاشفين حين دخل مدينة فاس سنة ٤٦٢ ه / ١٠٦٩مم بني الحامات و الفنادق وغير ها (٣) كما أن الموحدين بنو الفنادق في مدن مغربية كثيرة فني مدينة قصر صنهاجة بني الموحدون فندقن يقول صاحب كتاب الاستبصار « وأحدث الأمر العالى في موضعه ـ أي في مدينة قصر صنهاجة - في هذه المدة فندقين عجيبين وتمدّن هذا الموضع وشرف وقصده التجار واستوطنوه (١٠) كذلك المنصور الموحدي أنشأ عدة فنادق بمراكش (٥) وهذه الفنادق كانت تقوم ممهمة مزدوجة فوظيفتها الأولى خزن المتاجر والسلع لتوزيعها بعد ذلك بالحملة والثانية إيواء النزلاء من التجار الوافدين وكلما كانت المدينة عامرة المتاجر كلما ازداد عدد فنادقها .(١)

Budgett; The Moorish Empire. P; 54, (1) Mahmoud Brelvi; Islam In Affrica, p; 187

⁽٢) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامامة ص ٣٤٧ ٠

⁽٣) ابن أبي زرع: الانبس ج ٢ ص }} ت الفيلالي .

Nevill Barbour; Morocco, P; 52

⁽٤) مجهول: الاستبصار ص ١٨٩٠

⁽٥) عباس المراكشي : الاعلام جد ١ ص ٦٤٠

⁽٦) د. السيد عبد العزيز سسالم: تاريخ مدينة المرية الاسسلامية ص ١٦٩ ط ١ سنة ٦٩ دار النهضة .

الطرق التجارية :

ومما ساعد على ازدهار الحركة التجارية تلك الطرق التى كانت تربط معظم المدن المغربية بعضها ببعض وبجانب ذلك تلك المجموعة من الأنهار التى كانت تشق وديان المغرب والتى كانت تزخر بالقوارب والمراكب محملة بالبضائع المختلفة فوادى سبو كانت تسير فيه القوارب والسفن الصغار إلى البحر الأعظم (۱) كما أن وادى أم الربيع كانت تسير فيه المراكب أيضاً (۲) وغير ذلك من الأنهار التى كانت تربط المناطق الداخلية بالسواحل المطلة على المجر المتوسط والمطلة على المجيط الأطلسي .

وبجانب هذه الأنهار كانت هناك طرق الفوافل والتي حرص ولاة الأمر على حراسها وبناء الأحواض على جانبها لخزن المياه اللازمة للقوافل العابرة (٣) وكانت هناك طرق للقوافل ممتدة من الشهال حيث المدن الساحلية سبتة وطنجة وتتصل بالمدن الداخلية (٤) كما أنه كانت هناك طرق متوازية تمتد من الشرق إلى الغرب (٥) وقد أعطانا الادريسي وصفاً لإحدى الطرق التي كانت تقطعها القوافل من شرق البلاد حتى جنوبها يقول « وأما من أراد الطريق من تلسمان إلى مدينة سملهاسة بالقوافل تستير من تلمسان إلى فاس ، ومن فاس إلى صفروى إلى تادلة إلى أعمات ، إلى درعة إلى سملماسة » (١) كما أن ليني بروفنسال أعطانا رسما توضيحياً لشبكة الطرق التي كانت تربط بين مدن المغرب الأقصى خلال حكم الموحدين والتي توضح مدى الارتباط الوثيق بين المدن المغربية .

نشطت الحركة التجارية الداخلية بمدن المغرب الأقصى وذلك نتيجة

⁽۱) الجيلاني : رسالة في ذكر من أسس مدينة غاس ص ٤٨ مخطوط

⁽٢) ابن سعيد: نزهة الأنظار ج ١ ص ١٤ .

⁽٣) أشباح : تاريخ الأندلس ج ٢ ص ٧٧ .

S.P. Scott: History of Moorish Empire, V.2 P; 206.

⁽٤) أحمد بن عبد السلام: الريف بعد الفتح الاسلامي ص ١٥تطوان. سنة ١٩٥٤.

⁽٥) د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين من ٢١ .

⁽٦) الادريسى: وصف المغرب من ٨١ .

للإزدهار الزراعى والصناعى الذى عاشته المنطقة خلال حكم المرابطين والموحدين حتى حكم الناصر الموحدى ، وصارت الأسواق التجارية تموج محركة دائبة فى البيع والشراء ، وفى نقل المتاجر من مدينة إلى أخرى فى ظل الأمن والاستقرار الذى ساد المنطقة .

وفى مقدمة المراكز التجارية العاصمة مراكش والتي حظت باهيمام التجار ياعتبارها عاصمة امبراطورية مترامية الأطراف وأتها التجارات من كل مكان (۱) وصارت مراكش مركزاً للتجارة الداخلية بين مدن الشهال ومدن الحنوب (۲) ، وقد ساعد على از دهارها تجارياً اهمام ولأة الأمر بعارتها والبناء فيها وخاصة فى عهد الموحدين ، فالمنصور الموحدى بنى فيها عدة أسواق وفنادق (۳) ومن هذه الأسواق سوق كبير قصدها التجار من كل مكان ذلك في سنة ٥٨٥ه / ١١٨٩م (٤) وكانت السلعة الرئيسية فى أسواق مراكش هى الزيتون وزيته الذى كان يكنى حاجة أهل المدينة ويصدر إلى غيرها من المدن الأخوى (٥).

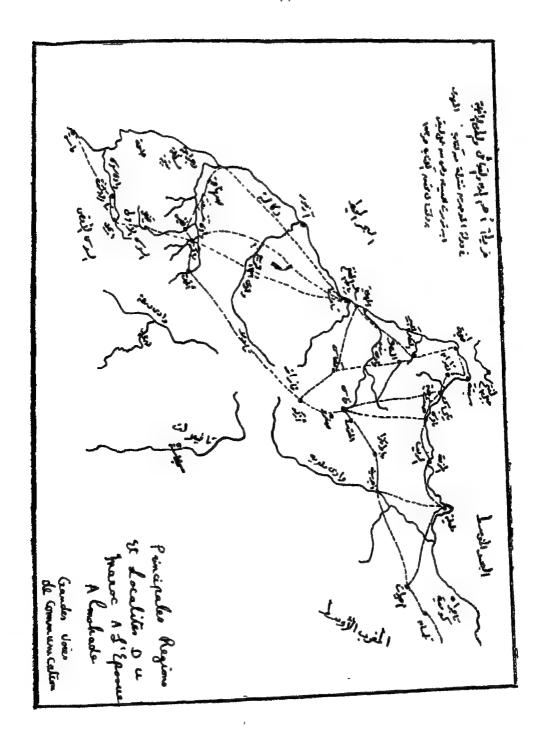
S.P. Scott; History of Moorish Empire, V.2 P; 257 (1)

⁽٢) عبد المزيز بنعبد الله : تاريخ المغرب ج ١ ص ١١٠٠

⁽٣) مجهول: الاستبصار ص ٢١٠٠٠

⁽٤) نفس المدر السابق ص ٢١٠٠

⁽٥) نفس المرجع السابق ص ٢١٠٠



أما مدينة فاس فكانت مركزاً تجارياً هاماً أو كما يقول الادريسي «قطب ومدار لمدن المغرب الأقصى» (١) وهذا يرجع إلى موقعها الممتاز في قلب البلاد مع توفّر المحاصيل الزراعية والصناعات المحتلفة بها مما جعل أسواقها حافلة بأنواع البضائع المختلفة التي كانت تسد حاجة سكان المدينة وقد صور ذلك المراكشي بقوله « ولا أعلم بالمغرب مدينة لا تحتاج إلى شيء يجلب إليها من غبرها إلا ما كان من العطرُ الهندى سوى مدينة فاس فانها لا تحتاج إلى مدينة في شيء مما تدعوا إليه الضرورة بل هي توسع البلاد مرافق وتملوًها خيرآه^(٢) ومع اكتفاء سكان المدينة من السلع الأساسية المتوفرة بمدينتهم ، فان الأسواق كانت تمتلىء بأنواع المتاجر التي كانت تأتيها مع القوافل القادمة من مدن المغرب المختلفة وفي ذلك يقول الإدريسي « ومدينة فاس هي حضرتها الكبرى ومقصدها الأشهر وعلما تشد الركائب وإلها تقصد القوافل ومجلب إلى حضرتها كل غريبة من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة(٣) ، وصارت المدينة تعج بالتجار من مدن المغرب المختلفة الذين اتخذوا في أسواقها متاجر يصرفون فيها بضاعتهم وسلعهم وقد عبر عن ذلك الحيلالي بقوله (وانتقل إلها من حميع البلاد القاصية والدانية فليس من أهل بلد ولا إقليم إلا ولهم بها منزل ومتجر وصناعة ومتصرف واجتمع فيها ما ليس فى مدينة من مدن الدنيا وأتتها التجارات وأهل الصناعات من كُلُّ صقع ، (١) ومن ناحية أخرى فان القوافل التجارية كانت تخرج من مدينة فاس متجهة إلى المدن المغربية الأخرى كمدينة تازا ومكناسة وسلا ومراكش (٥) حيث كان تجار فاس محملون معهم الأقمشة والأحذية وأغطية الرأس(٦) .

⁽۱) الادريسي: وصف المفرب والاندلس ص ٧٩٠

⁽۲) المراكشي : المعجب ص ۲۵۸ ، ۳۵۹ •

⁽٣) الأدريسي : وصف المغرب والأنطس ص ٧٩ ٠

⁽٤) الجيلالي : رسالة في ذكر من أسس مدينة غاس ص ٥١ م

⁽٥) روجیه : غاس فی عصر بنی مرین ص ۱۳۸ ترجمة د، نقولاً زیادة .

⁽٦) إنفس الرجع السابق ص ١٣٨٠

أما مدينة صفروفانها كانت تصدر اللوز إلى مدينة فاس^(۱) كذلك حصن مغيلة ألقاط وكان حصناً كبيراً به سوق حافلة ويحمل منه التين إلى مدينة فاس وغيرها^(۲)

وأيضاً كانت مدينة داى بها سوق حافلة ومحطة لتجار القوافل القادمين من فاس والبصرة وسحلهاسة (٣) .

أما مدينة مكناسة فقد امتلأت بالأسواق العامرة والتجارات المختلفة(١) وقد تقدمت المدينة تجارياً في عهد الموحدين حيث أصبحت محطة للمسافرين يبيعون ويشترون بها وقد أشار إلى ذلك ابن غازى بقوله « وعمرت المدينة ــ أى مدينة مكناسة ــ والحوائر والبسائط ونففت الأسواق وقويت التجارات وصار المسافرون يترلون بالمدينة ويبيعون ويشترون وكانت المدينة بداوة ثم تمدّنت واكتسبت حضارة »(٥).

أما مدينة تادلا فقد ازدهرت تجارياً وصارت بها الأسواق نتيجة اهتمام الموحدين مها^(٦) .

فاذا ما اتجهنا إلى جنوب البلاد لوجدنا عدة مراكز تجارية وفى مقدمتها مدينة أنحات وكانت مركزاً لتجمع التجار المتجهن بتجاراتهم للصحراء وقد أشار إلى ذلك صاحب كتاب الاستبصار بقوله « وأنحات هما مدينتان احداهما تسمى أنحات وريكة والأخرى أنحات هيلانة وبينهما نحو ٨ أميال وبأنحات وريكة يسكن الأعيان وبها ينزل التجار على القديم لأنها كانت دار التجهز للصحراء ٥ (٧) وبعبارة أخرى كانت مدينة أنحات مركزا لتسويق منتجات المغرب وتصديره إلى السودان . ومن ناحية أخرى مركزاً لتلقي تجارات

⁽١) مجهول : الاستبصار ص ١٩٣ .

^{· (}٢) نفس المرجع السابق ص ١٩٣ .

⁽٣) البكرى: المغرب فى ذكر بلاد الهريقيا ص ١٥٤ . الادريسى: وصف المغرب والاندلس ص ٧٥ ، ابن سميد: نزهة الانظار ج ١ ص ١٦ . (٤) الادريسى: وصف المغرب ص ٧٧ ، ابن سميد: نزهة الانظار ج ١ ص ١٧ .

ن (٥) ابن غازى : الروض الهتون ص ٠٢.

⁽٦) مجهول : الاستبصار ص ٢٠٠٠ .

⁽٧) نفس الرجع السابق ص ٢٠٧ .

السودان وتصديره إلى المدن المغربية وغيرها . وقد أشار ابن سعيد إلى أنواع السلع التي محملها تجار أنحمات إلى السودان بقوله « وأهل هذه المدينة – أي أعمات وريكة ــ تجار مياسر يدخلون بلاد السودان بأعداد الحمال الحاملة لقناطير الأموال منأنواع النحاس والأكسية والثياب العايم والمآزروصنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار والعطر وآلات الحريد المصنوع (١).

وقد لعبت سحلماسة نفس الدور حيث كانت مقصد الوارد والصادر (٢) وكانت تصدر إلى المدن المغربية الأخرى بعض المحاصيل الزراعية كالقطن والكمون والكراويا والحناء(٣) كذلك كانت مدينة درعة مركزاً لتصدير بعض الحاصلات الزراعية كالحناء والكمون والكراويا والنيلج إلى ملن المغرب ا نختلفة ^(١) .

الأسواق:

انتظمت الأسواق بالمدن المغربية بطريقة تبدو متشامة حيث انفردت كل صناعة بناحية معينة من السوق كسوق النحاسين وسوق الفاكهة وسوق الزياتين وسوق الأسماك وغير ذلك من الأسواق الى تضم عدة متاجر تتاجر في سلعة واحدة(٥) وقد أشار إلى وجود الأسواق عمدينة فأس ابن القطان حين أشار إلى الحريق الذي حدث بها في سنة ٥٣٣هـ / ١٣٨م بقوله ٩ وفيها – أي سنة ٣٣٥ هـ ــ وقع الحريق في سوق مدينة فاس واحترق من رأس عقبة الخرازين إلى باب . . (بياض) واحترق سوق الثياب والقراقين ــ القراقون هم باعة الاقراق جمع قرق وهو ضرب من الاخفاف أو الصنادل ــ وغير ذلك من الأسواق إلا البقالون » (٦) كما أن هذه الاسواق كانت مسقفة بتقبية

⁽۱) ابن سعيد : نزهة الانظار ج ١ ص ١٢ ٠ (٢) الادريسي : وصف المغرب ص ٦٠ ، المبرى : مسالك الأبصار

ج ا تسم ٢ ص ٣٥٠ ٠

⁽٣) نفس المصدرين السابقين ونفس الصفحات ،

⁽٤) العمرى: مسالك الأبصار جدا قسم ٢ ص ٢٥١٠.

⁽٥) عثمان الكماك : المضارة العربية في البحر المتوسط ص ٢٦٠

مبد العزيز بنعبد الله : جغرانية المغرب ص ١٥٠٠٠

⁽٦) ابن القطان: نظم الجمان ص ٢٤٦٠ (م ١٨ - الحضارة)

الآجر أو بمعروشات العنب (١) وقد أشار إلى هذه السقف ابن عدارى حين تحدث عن الحريق الذى أصاب أسواق مدينة مراكش فى سنة ٢٠٧ هـ . ١٢١٥ بقوله ٥ وفى هذه السنة – أى سنة ٢٠٧ه – كان الحريق الشائع الضرر الحارى بقيسارية مراكش – أى سوق مراكش – وما اتصل بها وذلك ليلة الحميس الثالث عشر لحادى الأولى والناس كما أووا إلى مضاجعهم وسكنوا إلى هدوهم و هجوعهم فتمكنت النار بيابس العيدان وشفوف الثياب وأسرعت كالشهاب فى سقف الأسواق (٢). ونظام الأسواق بهذا الشكل كانت له نظائر فى أسواق المدن الاسلامية الاخرى كالقاهرة و بغداد و الموصل و تونس والحزائر (٢).

وكانت الأسواق في المدن المغربية لها أيام معلومة للسكان يتجهون إليها بسلعهم لبيعها ولشراء ما يلزمهم من الحاجيات ، فبعض الأسواق كان يقام يوم الحمعة من كل أسبوع كالسرق المعقودة على وادى درعة (٤) كذلك السوق المعقودة في قرية نصر بن جرو وهي قريبة من مدينة سبتة كانت تعقد يوم الحمعة (٥) وأيضاً مدينة أصيلة كانت سوقها تعقد يوم الحمعة (١) أما قصر أي موسى وهي قريبة من مدينة مكناسة فكانت سوقها تعقد يوم الحميس (٧)، أما سوق بني مغروات وهو آخر بلد مجكسة بمنطقة عمارة فكانت سوقهم أما سوق بني مغروات وهو آخرات وريكة فكان يوم الأحد (٩). وكانت بعض الأسواق ترتفع فيها حركة البيع والشراء كما كان محدث في سوق أغمات وريكة حيث كان يبلغ ما يذبح في يوم السوق أكثر من مائة ثور وألف

⁽١) عِنْمَانُ الكعاكُ : المضارة العربية ص ٦٦ .

⁽٢) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٢٣٠ تطوان ٠

⁽٣) د. راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ١٨٩ .

⁽٤) البكرى: المفسرب في ذكر بلاد افريقيسا من ١٥٢ ، مجهول: الاستبصار من ٢٠٦ .

⁽٥) البكرى: المغرب ص ١٠٨٠

⁽٦) الأدريسي : وصف آلمغرب والأندلس ص ٧٨ ، ابن سعيد : نزهة الأنظار جـ ١ ص ١٧ .

⁽٧) البكر ي: المفرب في ذكر بلاد انريتيا ص ١٠٧٠

⁽٨) نفس المرجع السابق ص ١٥٣ .

⁽٩) نفس الرجع السابق ص ١٥٣ .

شاة وينفذ فى ذلك اليوم حميع ذلك

وكان التعامل بين المواطنين في الأسواق بالعملة التي كان يصدرها ولاة الأمر وفي بعض الأحيان يكون التعامل بين بعضهم بالأجل وقد أشار ابن أبي زرع إلى أن أحد الصالحين باع شحنة كبيرة من القمح إلى أهل فاس بالأجل و وفيها – أي سنة ٩٥ه ه – توفي الشيخ الصالح الفقيه العالم أبو عبدالله محمد بن ابراهيم المهدوى صاحب كتاب الهداية . . . وأصابت أهل فاس مجاعة كان عنده فيها ألف وسق من قمح فباعه كله من أهل الضعف بوثائق وأخرهم بالثمن (١) .

كما أن الأسواق كانت تحت مراقبة أمناء الاسواق وهؤلاء بدورهم كانوا تحت إشراف ولاة الأمر ، ومحاسبتهم المستمرة وذلك ما كان يفعله المنصور الموحدى « وكان قد أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم (٢)».

ب ـ التجارة الخارجية

كان لازدهار التجارة الداخلية في أسواق المغرب الأقصى ، وامتلاء الأسواق بالبضائع والمنتجات أثر في تنشيط حركة التجارة الخارجية ، إذ أصبحت الأسواق مقصد التجار والقوافل من كل مكان ، يقدمون الها محملين بالبضائع المختلفة ويصدرون عها وقد امتلأت قوافلهم بمنتجات البلاد وقد ساعد على تنشيط حركة التجارة الخارجية تلك المساحات الواسعة التي كانت تخضع سياسياً للمغرب الأقصى مع وجود حكومة مركزية قوية ساهرة على حماية الطرق وتوفير كل ما تحتاجه القوافل ، مما جعل المغرب الأقصى ممراً آمناً للقوافل القادمة من السودان والمتجهة إلى الأندلس وأوربا ، كما أن الأسطول المرابطي الذي تكون في عهد المرابطين ، وزادت قوته في عهد الموحدين لعب دوره في تأمين الموانيء المغربية وحماية طرق التجارة البحرية في البحرية في البحرية في المحرية بين المغرب والأندلس

⁽۱) ابن ابى زرع: الأنيس المطرب ص ٢١٨ طبع حجر .

⁽٢) المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٢٨٥٠

وغيرها من الأسواق العالمية (١) ومن ناحية أخرى فان التخريب والدمار الذي أصاب افريقية على يد عرب بني هلال كانت له آثاره التجارية السيئة على افريقية (٢) ، اذ صرف التجار عن المرور في الطرق المعتادة ، ومن ثم أصبح المغرب الأقصى الطريق المأمون في نقل المتاجر من السودان إلى البحر المتوسط ومنه إلى الشرق وبالعكس .

الطرق التجارية:

ارتبط المغرب الأقصى بمراكز التجارة الحارجية بعدة طرق برية ، كذلك كانت تأتيه البضائع عن طريق السفن التى ترسو فى موانيه حاملة شتى البضائع المختلفة وكان أهم هذه الطرق البرية والتى كانت تقطعها القوافل عمنة بالبضائع ذلك الطريق الذى كان يربط البلاد بمنطقة المستغال والنيجر حيث بمر الطريق بمدن المغرب الأقصى الحنوبية كسجلماسة ودرعة متجها إن أو دغشت ثم منحى النيجر وحتى المناطق الممتدة للغرب (٣) والفترة الزمنية التي يتطعها المسافرون بين سحلماسة وغانة تبلغ نحو الحمسين يوماً (٤) وكان طريق القوافل محفوفاً بالصعاب والشدائد حيث قلة المياه مع هبوب الرياح الساخنة غير أن التجار وأصحاب القوافل تغلبوا على هذه الصعاب باستخدام الحال كمستودعات المياه يقول ابن سعيد لا وأول ما تلقاك من هذا الحزء الحال كمستودعات المياه يقول ابن سعيد لا وأول ما تلقاك من هذا الحزء شجر اليسر التي يقطعها المسافرون ما بين سحلماسة وغانة وهي طويلة عريضة يكابدون فها شدة العطش ووهج الحرور بما هبت فها ريح جنوبية ، وتنشف يكابدون فها شدة العطش وهج الحرور بما هبت فها ريح جنوبية ، وتنشف أفراهها لئلا تأكل شيئاً ، فاذا ينشف الريح مياههم نحروا حملا حملا وشربوا المياه يعنف الأحيان كانت القوافل المارة بهذا الطريق تتعرض ما في بطنه بهذا الطريق تتعرض ما في بطنه المناه ألى بعله المارة بهذا الطريق تتعرض ما في بطنه بالمارة بهذا الطريق تتعرض ما في بطنه بالمارة بهذا الطريق تتعرض ما في بطنه بالمارة بهذا الطريق تتعرض ما في بطنه بالمنه المارة بهذا الطريق تتعرف ما في بطنه بالمارة بهذا الطريق تتعرف ما في بطنون المارة بهذا الطريق تتعرف ما في بطنه بالمارة بهذا الطريق تعرف بالمارة بهذا المارة بهذا المارة بهذا الطريق تعرف بالمارة بهذا المارة بهذا المارة بهذا المارة بهذا الطريق تعرف بالمارة بهذا المارة ا

⁽۱) د. حسن أحمد محمود : تيام دولة المرابطين ص ٤٠١ .

⁽٢) لويس ارشيبالد: التوى البحرية ص ٣٨٥ ترجمة احمد عيسى.

⁽٣) د، شعيرة : المرابطون : ص ٢٠ .

J.D. Fage; An Introduction to the History of West Africa P; 10.

⁽٤) التلتشندي : صبح الأعشى جه ٥ ص ٢٨٤ ٠

⁽٥) ابن سعيد المغربي : بسط الأرض ص ٧٧ .

لهجات اللصوص ، غير أن حزم ولاة الأمر ويقظهم وقمعهم بشدة كل من حاول التعرّض للتجار ، جعل القوافل تزاول نشاطها في نقل المتاجر ، وقد أشار المقرّى إلى ما فعله السيد أبو الربيع والى سجلماسة في عهد الموحدين ببعض اللصوص الذين اعترضوا طريق القوافل يقول المقرى « قال – أى السرخسي في رحلته – لى الفقيه أبو عبد الله محمد القسطلاني : دخلت إلى السيد أبى الربيع بقصر سحلماسة ، وبين يديه أنطاع عليها رؤوس الحوارج الذين قطعوا الطريق على السفار بين سحلماسة وغانة وهو ينكت الأرض بقضيب من الأبنوس ويقول :

ولا غرو أن كانت روّوس عدائه جواباً إذا كان السيف رسائله ومات بعد السيّائة (١) » .

أما الطريق الذي كان يربط المغرب الأقصى بالشرق فكان هناك طريقان: أحدهما يسبر بحذاء الساحل حتى يصل إلى مصر (٢) والطريق الثانى من أودغشت وغانة وسعلماسة ومنها تسبر القوافل في الصحراء حتى الواحات الداخلة في مصر (٢) وقد اتجهت القوافل إلى هذا الطريق وأصبح هو الطريق الرئيسي بين المغرب الأقصى والشرق بعد أن اصاب الطرق الأخرى العواصف الرملية ، وكثرة الفتن وهجات اللصوص ، وقد أشار إلى ذلك ابن حوقل بقوله لا وفنها الطريق من مصر إلى غانة فتواترت الرياح على قوافلهم ومفردتهم فأهلكت غير قافلة وأتت على غير مفردة ، وقصدهم أيضاً العدو فأهلكهم غير دفعة ، فانتقاوا عن ذلك الطريق وتركوه إلى سجلماسة » (٤) وأصبحت سجلماسة مركزاً لتجميع تجار المشرق ومنه يتجهون بتجاراتهم إلى منطقة السودان محملون لتجاراتهم إلى منطقة السودان محملون بضائعهم ، ويعودون بالمال والربح الوفير ، يقول ابن حوقل وكانت القوافل تجتاز بالمغرب إلى سجلماسة وسكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة

⁽۱) المترى : نفح الطيب ج ٤ ص ١٠٤ (أورد المترى البيت هكذا وصحته :

ولا غرو ان كانت رعوس عداته جوابا اذا السيوف كانت رسائله) (۲) د. راشد البراوى : حالة مصر الانتصادية ص ۲۹۰ ۰

⁽٣) أد. راشد البراوى . حاله بعثر المسلوبية في القرن الرابع ج ٢ ص ٤١٣ (٣)

ترجمة د. أبو ريد ه ما سنة ٥٧ . (٤) أبن حوتل : منورة الأرض من ٦٥ .

والبغداديون الذين كانوا يقطعون ذلك الطريق ، فهم وأولادهم رتجاراتهم دائرة ومفردتهم دائمة وقوافلهم غير منقطعة إلى أرباح عظيمة وفوائد جسيمة ونعم سابغة ، قلماً يداينها التجار في بلاد الاسلام سعة حال » (١).

وقد لعب الطريقان: طريق الجنوب وطريق الشرق وارتباطهما ببعض مراكز التجارة فى المغرب الاقصى كدرعة وسحلماسة دورهما فى تنشيط الحركة التجارية بالبلاد، اذ أن هذه القوافل القادمة من الحارج كانت تشق طريقها عبر الطرق الداخلية للبلاد مارة بالمراكز التجارية لتبيع منتجاتها ولتحمل صادرات البلاد إلى المناطق الحارجية مما نتج عنه انتعاشاً ورواجاً فى الحركة التجارية.

الموانى التجارية :

كان الموقع الممتاز الذى تمتع به المغرب الأقصى ، فى الطرف الشهالى الغربى من القارة الافريقية ، وامتلاكه لساحلين أحدهما يطل على البحر المتوسط والآخر يطل على المحيط الاطلسى ، واشتهال هذين الساحلين على عدة موانئ يسترت الاتصال بالعالم الحارجي ، وربطت المغرب الأقصى بالأسواق الحارجية حيث قامت هذه الموانىء بشحن البضائع المستوردة إلى داخل البلاد ، ومن ناحية أخرى فى استقبال البضائع القادمة من السودان ومن مدن المغرب الأقصى وتصديرها إلى الأندلس وأوربا وغيرها من البلاد الحارجية .

وقد تمكنت هذه الموانىء من تأدية دورها فى ظل حماية الأسطول المغربى سواء أكان مرابطياً أم موحدياً ، ذلك الأسطول الذى لم يكن نشاطه قاصراً على عمليات الحهاد وانما أضاف إلى ذلك حماية الثغور من هجات القراصنة (٢) ومن هنا فان الموانىء المغربية أدّت دورها فى تنشيط حركة التبادل التجارى ، ومن هذه الموانىء المطاة على البحر المتوسط ميناء سبتة الذى كان يزخر بالحركة التجارية ، وكان يشبه فى ذلك ميناء الاسكندرية يقول ابن سعيد « وهذه

⁽١) نفس الرجعا لسابق ص ٥٥.

⁽٢) د. أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب ص ٣٤٧، نفس المؤلف ، والدكتور السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية ص ٢٦٣ بيروت سنة ١٩٦٩ ، عبد العزيز بتعبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ج ٢ ص ٩٣ .

المدينة – أى سبتة – بين بحرين وهى ركاب البرين تشبه الاسكندرية فى كثرة الحط والإقلاع وفيها التجار الأغنياء اللدين يبتأعون المركب الكبير بما فيه من بضائع الهند وغيرها فى صفقة واحدة ولا يخرجون صاحبه إلى نقاص، (١) كما أن ميناء طنجة انتعشت به الحركة التجارية فكان يصدر منه الصوف والحلود والفواكه والشمع والعسل وكان يرد إليه الثياب والأسلحة وغير ذلك (١).

أما المحيط الأطلسي ففد زخر بعدة موانيء كانت تستقبل البضائع الأجنبية وفي نفس الوقت تصدّر البضائع المحلية ، وفي مقدمة هذه الموانيء ميناء سلا الذي كان يستقبل السفن المختلفة ، في مقدمتها السفن الأندلسية وفي ذلك يقول الإدريسي « ومراكب أهل اشبيلية وسائر المدن الساحلية من الأندلس يقلعون عها – أي عن مدينة سلا – ويحطون بها بضروب من البضائع وأهل اشبيلية يقصدونها بالزيت الكثير وهو بضاعتهم ويتجهزون منها بالطعام إلى سائر بلاد الأندلس الساحلية » (٣) كذلك كان مرسى فضالة حيث كانت ترد إليه المراكب من بلاد الاندلس فتحمل منه أوساقاً من الشعير والحنطة والفول والحمص وتحمل منه الغنم والمعز والبقر (٤) ومن مرسى فضالة إلى مرسى آنفاً أربعون ميلا وهو مرسى مقصود تأتيه المراكب وتحمل منه بضائعها المختلفة والشعير (٥) أما مرسى آسي فان المراكب كانت تحمل منه بضائعها المختلفة (١) وهذه الكثرة في عدد الموانيء شجعت العديد من السفن المحملة بالمتاجر على الرسو بها مما نتج عنه نشاط في الحركة التجارية .

تنوّعت صادرات المغرب الأقصى وتعددت وذلك خلال فترة البحث ، إذ صارت البلاد تصدّر بعض حاصلاتها الزراعية وما يصنع منها ، وبعضا

الصادرات والواردات :

⁽١) اابن سعيد : بسط الأرض في الطول والعرض ص ٧٣٠

⁽٢) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٥٧ ٠

⁽٣) الأدريسي : وصف المغرب والأندلس ص ٧٣٠

⁽٤) نفس الرجع السابق ص ٧٣ ، ابن سعيد : نزهة الانظار ج ١

من ۱۵ م

⁽ه) ابن سعيد : نزهة الأنظار ج ١ ص ١٥ ٠

⁽٦) نفس المرجع السابق جرا ص ١٥٠٠

من ثروتها الحيوانية، وأخيراً بعض المعادن المصنّعة وغير المصنّعة وفى نفس الوقت استوردت البلاد بعض ما كان يلزمها من المواد الخام والمواد المصنعة.

أما ما كانت تصدره البلاد من حاصلاتها الزراعية :

١ -- القطن وما يصنع منه من المنسوجات القطنية (١).

٢ _ القمح (٢).

٣ ــ السكر المستخرج من قصب السكر والمشهور باسم الطيرزد(٣).

الزيتون والزيت المستخرج منه (٤) .

٥ _ الحنّاء (٥) .

أما صادرات البلاد من الثروة الحيوانية والسمكية فهي :

۱ – دواب الفنك وجلوده (۲). .

٢ ــ الحوت المعروف عندهم بالشابل(٧)

۳ – الأصداف المستخرجة من شواطىء سبتة والتى يصنع منها الحرز والمسابح (٨).

(۱) ابن حوقل: صورة الأرض ص ۸۱ ، ابن سعید : نزهة الأنظار به ۱۳ .

(۲) التلتشندی : صبح الأعشی ج ه ص ۲۱۷ .

(٣) الادريسى : وصف المغسرب والانطس ص ٢٢ ، مجهسول : الاستبصار ص ٢١٢ .

(٤) عباس المراكشي : الأعلام جر ١ ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٥) الادريسى: وصف المفرب ص ٦١ ، ابن ستعيد المغربى: بسط الارض ص ٥٨ ، العبرى: مسالك الابصار ج ١ قسم ٢ ص ٥٠٠٠ ابن سعيد: نزهة الانظار ج ١ ص ١١٠ .

(١) البكرى : المفسرب في ذكر بلاد المريقية من ١٧١ ، مجهول : الاستبصار من ٢١٤ .

· ۷۲ سعيد المغربي : بسط الأرض ص ۷۲ .

(۸) الادريسى : وصف المفرب والأندلس ص ۱٦٨ ، د. ابراهيم طرخان : امبراطورية غانة الاسلمية ص ٦٥ التاليف والترجمة سينة ١٩٧٠ .

أما المعادن المصدرة:

١ _ الملح الذي يصدر إلى غانة (١).

٢ – النحاس المسبوك أى المصنع على شكل أدوات وآلات (٢).

٣ _ النحاس الاصفر الحام كان يصدر في بعض الأحيان (٣).

أما أهم ما كانت تستورده البلاد :

٢ ــ الرئيق (٥) . ١ _ الذهب(١)

٣ _ بعض أنواع الأقطان الحارجية والمنسوجات القطنية (٦) .

ع _ بعض أنواع النسيج البلنسي (^{٧)}

ه ـ العطر الهندي (٨) .

بعض أدوات المأكل المصنوعة من الخشب^(٩).

العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى وجنوب الصحراء :

شكّلت التجارة المتبادلة بنن المغرب الأقصى وجنوب الصحراء والذي يشمل منطقة غانة واقليم السودان خلال فترة البحث ركباً هاماً ومصدراً أساسياً في التجارة الخارجية للبلاد ، ونشطت الحركة التجارية نتيجة لإخضاع المرابطين لأقاليم المغرب الأقصى المختلفة في ظل حكومة واحدة تحرص على استتباب الأمن والنظام مما ساعد على انتظام القوافل التجارية المتجهة إلى جنوب الصحراء والقادمة منه ، كما أن المغرب الأقصى صار معراً لتجارة

⁽۱) البكرى : المغرب في ذكر بلاد المريقية ص ۱۷۱ ، ابراهيم طرخان: المبراطورية غانة الاسلامية ص ٦٥ .

⁽٢) مجهدول: الاستبصار ص ٢١٢ ، البكرى: المغدرب في ذكر بلا انريتية من ١٦٢ •

⁽٣) مجهول : الاستبصار ص ١٨١٠

⁽٤) الرآكشي : المعجب ص ٣٦٣٠

⁽٥) الأدريسي : وصف المغرب ص ٨ ، الراكشي : المعجب : ص ٥) الأدريسي : وصف المغرب ص ٨ ، الراكشي : المعجب : ص ٣٦٣ ، د . أحمد زكي : تاريخ الدول الاسلامية السودانية ص ٨٤ الالف

كتاب سنة ١٩٦١ . (٢) الادريسي :وصف المغرب ص ٧٥ ، الحميري : صفة الجزيرة

الاندلس ص ۲۱ · (۷) المترى : نفح الطيب ج ٤ ص ٢٠٧ ·

⁽۸) المراکشی: المجب من ۳۵۹ · (۱) الحمیری: صفة جزیرة الاندلس من ۱۲۵ ·

الحنوب والمتجهة إلى الأندلس وأوربا والمشرق ، ومن هنا اكتسبت التجارة بين المغرب الأقصى وغانة وأقاليم السودان فى الحنوب أهمية خاصة . وفى مقدمة السلع التى كان يستوردها المغرب الأقصى من الحنوب الذهب حيث كان الذهب السلعة التى اشهرت بها امبراطورية غانه ، وكان الذهب يوجد فى المناطق الحنوبية منها فى منطقة ونقارة (١) وفى مقابل ذلك كانت تنقل إليهم أحمال الملح التى كان السكان فى حاجة إليها ، وكان الذهب المستورد من غانة وجنوبها يستخدم فى صناعة العملة حيث يعود تجار المغرب الأقصى بالذهب إلى دور السكة وهناك يضرب دنانيراً ويتصرفون بها فى التجارات والبضائع (٢)

ولم تكن صادرات المغرب الاقصى إلى مناطق الجنوب الملح فقط بل كان هناك النحاس الأحمر والملون والأكسية وثياب الصوف والعائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار وضروب الأفاوية والعطر وآلات الحديد المصنوع (٣).

كما أن الذهب لم يكن السلعة الوحيدة التي استوردها تجار المغرب الأقصى من الحنوب بل كان هناك الرقيق وقد أطلق عليهم الادريسي والقلقشندى : الحدم (٤) يضاف إلى ذلك الجلود والعاج والكولا والصمغ والعسل والقطن والقمح وجوز الهند (٥).

ويبدو أن هذه السلع المتبادلة كانت بكميات وفيرة مما دعا الإدريسي إلى وصف القوافل الخارجة من أنمات والمتجهة إلى غانة وبلاد السودان بأنها

⁽۱) ده أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي ج ٦ ص ١١١ .

⁽٢) الادريسي : وصف المغرب ص ٨ ، العمري : مسالك الأبصار

ج ١٤ قستم ٢ ص ٢٢٢ القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٦ .

⁽٣) الادريسي : وصف المغرب ص ٦٦ .

⁽٤) الادريسى : وصف المنسرب والاندلس ص ٣ ، القلقشندى : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٨٦ .

⁽٥) د، ابراهیم طرخان: امبراطوریة غانة الاسلمیة ص ۵۵ ال J.D. Fage; An Introduction of the History of West Africa P; 9.

J. Spencer; A History of Islam in West Africa, P; 26.

و بأعداد الحال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس .. »(١) كما أن هذا النشاط التجارى عاد بالربح الوفير على تجار أغمات الذين بعثوا بقوافلهم وعبيدهم إلى غانة وإقليم السودان ، يقول الادريسي « وما منهم رجل — أى من أنحات — يسفر عبيده ورجاله إلا وله في قوافلهم الماثة حمسل والسبعون والثمانون حملا كلها موقرة ، ه لم يكن في دولة الملثم أحد أكثر منهم أموالا ولا أوسع منهم أحوالا وبأبواب منازلهم علامات تدل على مقادير أموالهم»(١) ونفس الرواج حظى به تجار سجلماسة في تعاملهم مع السودان حتى أن أحدهم كان له صك على آخر مبلغه أربعون ألف دينار (٣).

وكانت القوافل التجارية تسترشد بالأدلاء وذللت لحطورة الطريق وبعد المسافة وقد أشار إلى ذلك أبو حامد الأندلسي بقوله لا فيخرجون من بلدة يقال لها سعلماسة آخر بلاد المغرب فيمشون في رمال كالبحار ويكون معهم الأدلاء يهتدون بالنجوم وبالحبال في القهار ويحملون معهم الزاد لستة شهور» (٤) وكان الملح يبادلون بوزنه ذهبا وربما باعوه وزنا بوزنين أو أكثر على قلار كثرة التجار وقلتهم (٥).

وقد أشار بعض الباحثين إلى الطريقة التي كان يتم بها التبادل بين المتجار المغاربة وبين تجار الذهب في حوض السنغال حيث أطلق على طريقة التعامل و بالتجارة الصامئة » وذلك بأن يذهب تجار المغرب الأقصى إلى غانة ويصحبون معهم التجار الغانيين ويتجهون إلى أعالى السنغال وفي أماكن معلومة يضرب التجار بطبولهم إعلاناً عن وصولهم بالبضائع ثم يضعون سلعهم في أكوام أو مقادير معينة على شاطىء النهر ويختفون ، وحينئذ نخرج الزنوج ويضعون بجوار كل كومة أو مقدار من السلع ما يرونه نظيراً لها من اللهب ثم يختنون ويظهر التجار فان اقتنعوا بالقيمة دقوا الطبول إيذاناً

⁽۱) الادريسي: وصف المغرب والاندلس ص ٢٦٠.

⁽٢) نفس الرجع السابق ص ٦٦ ٠

⁽٣) الأعشى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٦٤ ٠

⁽٤) أبو حامد الاندلسي : تحفة الالبا ص ٢٢٠

⁽٥) نفس الرجع السابق ص ٤٢ ، د. أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي ج ٦ ص ١١٣ ط اسنة ٧٢ .

بانصرافهم وإلا اختفوا مرة اخرى فيأتى الزنوج ويزيدون كميات الذهب وهكذا حتى يتم الاتفاق بين الطرفين (١) وكان ولاة الأمر بالمغرب الأقصى محرصون على استمرار العلاقة الحسنة بمناطق الحنوب حتى تظل التجارة مزدهرة بينهما ، ومن هنا أسرع والى سحلاسة السيد أبو الربيع سليان بن عبدالله ابن عبد المؤمن إلى الكتابة لملك السودان ينكر عليه تعويق التجار ومما جاء فيها ه نحن نتجاوز بالاحسان و ان تخالفنا في الأديان ، ونتفق على السيرة المرضية ونتألف على الرفي بالرعية . . وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرّف فيا هم بصدده ، وتردد الحلابة إلى البلد مفيد لسكانها ومعين على النمكين من استيطانها ، ولو شئنا لأحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية لكنا لا نستصوب فعله ولا ينبغي أن ننهي عن خلق ونأتي مثله والسلام ه(٢).

العلاقات التجارية بن المغرب الأقصى والأندلس:

ارتبط المغرب الأقصى بالأندلس ارتباطاً وثيقاً ، حيث لعب الموقع والظروف الحغرافية للمنطقتين دورهما فى التقريب بيهما إذ أنهما يكونان معاً وحدة جغرافية مباسكة الأطراف ويعتقد الحغرافيون أن جبال البرانس هى الحد الفاصل بين بلاد المغرب وأوربا وبذلك اعتبروا شبه جزيرة ايبريا امتداداً لافريقياً (٣) والمسافة التى تفصل بين القطرين لا تتجاوز خسة عشر كيلو متراً فى بعض نواحيها وبذلك كان المضيق الذى يفصل بينهما له أهمية كبيرة ، حتى أصبح تاريخ المغرب الأقصى والأندلس يكاد يتم بعضه بعضاً وأطلق المؤرخون عليهما محق اسم العدوتين (٤).

كما أن الأحداث السياسية أكدت هذه الصلة بين الاقليمين فتارة يبسط

⁽۱) د. ابراهیم طرحان : امبراطوریة غانة الاسلامیة ص ۷۰ ، ۷۱ د. حسن ابراهیم : انتشار الاسلام ص ۹۸ ط ۲ سنة ۲۶ .

⁽٢) المترى : نفح الطيب ج ٤ ص ١٠٣ ، ١٠٣ .

⁽٣) د. ابراهيم العدوى : المسلمون والجرمان ص ١١١ ط أولى سنة ١٩٦٠ .

⁽٤) د. حسن أحمد محمود : تيام دولة المرابطين ص ١٩٠.

الأندلس سلطانه على المغرب الأقصى حين تشتد شوكة أهل الأندلس كما حدث في عهد الدولة الأموية في أيام الناصر والمستنصر (١) وتارة يخضع الأندلس للسلطة السياسية بالمغرب الأقصى كما حدث في عهد المرابطين والموحدين إذ أصبح الأندلس اقليما تابعاً للحكومة المركزية بمراكش . ومن هنا نوثقت العلاقات التجارية واتسع نشاطها بين الإقليمين ، وكانت السفن تسر في قوافل منتظمة تحمل البضائع المختلفة بين المغرب والأندلس(٢٦).

وكان المغرب الأقصى عد" الأندلس بالغلات وأنواع الطعام المختلفة (٣) ومن ناحية أخرى فان الأندلس كان يصدر إلى المغرب الأقصى كثيراً من البضائع المختلفة ومنها الفواكه كالتين والعنب والزيتون(؛) وهذا تخالف ما ذكره المؤرخون من وفرة الفواكه بأرض المغرب الأقصى وقد ذكرت ذلك من قبل ، إلا أنه يبدو أن أنواع التين والعنب والزيتون والتي كانت تزرع بأشبيلية كانت من نوع ممتاز مما دعاً التجار إلى استير اد هذه الأصناف الممتازة وبيعها بأسواق المغرب كذلك الزيت المستخرج من زيتون الأندلس كانت تحمله السفن من أشبيلية إلى ميناء سلا(٥) وكان القطن الحيد والمزروع بأرض أشبيلية من الحاصلات التي كانت تصدّر إلى المغرب الأقصى ، يقول الحميرى (وكل ما استودع أرض اشبيلية نمى وزكى وجل ، والقطن بجود بارضها فيع بلاد الأندلس ويتجهّز به التجار إلى افريقية وسملاسة وما والاها» (٦) وكان معدن الزئبق مما يصدره الأندلس إلى المغرب يقول المراكشي ﴿ وَعَلَى أربع مراحل من مدينة قرطبة موضع يسمى شلون فيه معدن زيبق ، منه يفترق على حيع المغرب، (٧) أما الحصا الملون فان الأمراء والرؤساء بمراكش

⁽۱) نفس الرجع السابق ص ۳۰ ، د. العدوى : المسلمون والجرمان

⁽٢) ابن خلكان : ونيات الأعيان ج ٦ ص ١١٨٠ (٣) أبن حوقل : صورة الأرض ص ٨٢ ، أبن سعيد : نزهة الأنظار

⁽٤) ابن خلكان : وقيات الأعيان ج ٦ ص ١١٨ ، ابن سعيد : نزهة الانظار ج ١ ص ١٧٢ ٠ (٥) ابن سعيد ؛ نزهة الانظار ج ١ ص ١٤٠ ٠

⁽٦) الْحبيري: صفة جزيرة الاندلس ص ٢١٠

⁽٧) المراكشي :المجب ص ٣٦٣٠

كانوا يستوردونه من المرية ليرينوا به بعض أدوات الطعام (١) بالإضافة إلى آلات الحديد من السكاكين والأمقاص المذهبة وغير ذلك من آلات العروس (٢) كذلك كان حصن قيشاط بالأندلس يصدر الأدوات الحشبية إلى المغرب الأقصى يقول الحميرى « قيشاط حصن بالأندلس كالمدينة بينه وبين شوذر اثنا عشر ميلا . . وعليها جبل يقطع به من الحشب الذي تخرط منه القصاع والأطباق وغير ذلك مما يعم بلاد الأندلس وأكثر بلاد المغرب (٣) » وأما مدينة بلنسية فأنها اشتهرت بمنسوجاتها والتي كانت تصدرها إلى المغرب (١) .

وأصبح المغرب الأقصى همزة الوصل بين اقليم السودان فى الجنوب حيث تجارة الذهب والصمغ وغيرها وبين الأندلس وما بها من الصنائع ومنها إلى أسواق أوربا وقد أشار البكرى إلى أن الصمغ كان يحمل من أو دغشت إلى الأندلس عبر المغرب الأقصى (٥).

وكانت الظروف السياسية تلعب دورها فى منع التبادل التجارى بين المغرب الأقصى وبين أحد أقاليم الأندلس ، وذلك ما حدث لمدينة مالقة التى امتنعت عن الدخول فى طاعة الموحدين ومن هنا اتخد الحليفة عبد المؤمن قراره بقطع العلاقات الاقتصادية معها وذلك فى رسالة أرسلها إلى الطلبة – وهم الحيثة الإدارية – بمدينة سبتة يأمرهم فيها بمنع التجار من التعامل مع سكان أهل مالقة ويندرهم بأشد ألوان العقاب وقد صور ذلك أبو جعفر بن عطبة كاتب الحليفة عبد المؤمن فى رسالة رسمية صادرة من مراكش إلى الطلبة كاتب الحليفة عبد المؤمن فى رسالة رسمية صادرة من مراكش إلى الطلبة الذين محملون المرافق إلى ما لقه وأمثالها فلتنظروا نظراً أكيداً فى قطعهم وردعهم ولا سبيل لأحد من خلق الله أن بمد أحداً من تلك الأصناف بمادة حتى يتضح وجه ما ادعوه وتعرفوا بذلك ليرسم لكم ما تعتمدون عليه ، وكل

⁽۱) المقرى: نفح الطيب ج ٤ ص ٢٠٦ ٠

⁽٢) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية ص ١٧١ .

⁽٣) الحبيرى: منفة جزيرة الاندلس ص ١٦٥٠

⁽٤) القرى: نفح الطيب جـ ٤ ص ٢٠٧٠

⁽٥) البكرى: المغرب في ذكر بلاد العربية ص ١٥٨ ، ١٥٨ .

من أخذ حاملا إليهم مادة فالسيف جزاؤه ، والقتل من تلك العادة دواؤه (۱) ولم يذكر فى الرسالة تاريخ إصدارها ولكن من المرجح أنها كانت قبل سنة ٧٤٥ه / ١١٥٢م حيث أن مالقة خضعت لحيش الموحدين فى هذا الناريخ (٢)

الىلاقة التجارية بين المغرب الأقصى وأوربا :

انتظمت التجارة بين المغرب الأقصى وأوربا منذ أن استقرت الأوضاع السياسية بالمغرب الأقصى بقيام دولة المرابطين وضمتها لإقليم الأندلس ثم زادت العسلاقات التجارية ازدهارا وقوة في عهد الموحدين حيث امتد سلطانها السياسي على الشاطىء الشهالى لإفريقية حتى طرابلس ، وصدار لها أسطول قوى في الدحر المتوسط يحمى طرق القوافل الدحرية ، ويدافع عن الموانئ البحرية التي كانت تستقبل السفن الأجنبية المحميلة بالبضائع المختلفة ، وتعود محملة ببضائع المغرب المتنوعة .

وقد قامت هذه العلاقات بن المغرب الأقصى وجنوة وبره وصقلية وفلورنسة وانجلترا وفرنسا(۳) وكان فى مقدمة السلع التى صدّرها المغرب الغنم والشمع وكان يستورد من أوربا الثياب والمنتجات الشرقية (٤) وكانت هذه التجارة مزدهرة بين سواحل أوربا والمغرب مما دعا حكومة جنوة إلى انشاء مدرسة لتعليم اللغة العربية فأنشئت فى سنة ١٢٠٧م / ٢٠٤ه(٥) وذلك حتى يتمكن تجار جنوة من التعامل والتخاطب مع تجار المغرب . وانتظمت العلاقة التجارية عن طريق التسهيلات التى أعطاها ولاة الأمر من المرابطين والموحدين للتجار بحرية المرور وإقامة الفنادق لراحتهم مما شجعهم على التعامل التجارى(٢) .

كما أنه عقدت معاهدات تجارية بين ولاة الأمر بالمغرب الأقصى

⁽١) مجموع رسائل موهدية ص ١١ ، ١١ تحقيق ليفي بروفنسال،

⁽٢) عنان : عصر المرابطين والموحدين : القسم الأول ص ٣٣٦٠

⁽٣) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣١٦٠

⁽٤) نفس المرجع السابق ص ٣٥٨٠

⁽٥) لويجى رينالدى : المدنية العربية في المغرب ص ١٧ ترجمسة طه نوزى .

⁽٦) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣١٧٠٣١٦ ٠

والموانئ الإيطالية ، فقد وقع آل ماندويل بمرسيليا فيما بين أعوام سنة ١٢٤٦ سنة ١٢٤٦ عشرين عقداً يبيعون بمقتضاها لبجاية وسبتة ووهران وتلمسان قطعاً من النقد العربي ضربت في مونبيلية (١) كذلك أبرمت معاهدة تجارية بين مدينة جنوة ودولة الموحدين في سنة ١٤٥٨ / ١١٥٣ م ولم تشر المراجع التي اطلعت عليها إلى نصوص المعاهدة ثم أوفدت جنوة سنة ٥٥٥ه / ١١٠٨ قنصلها فقابله عمال عبد المؤمن بالاجلال أينما حل حتى قابل الحليفة عبد المؤمن وأمضى معه معاهدة تضمن خرية التجارة لرعايا جنوة براً وبحراً (٢) وتحددت الرسوم الحمركية على البضائع الواردة من جنوة وصار ت عشرة في المائة بالنسبة لواردات مجاية وثمانية بالنسبة لغيرها (٣).

علاقات المغرب الأقصى بالمشرق:

امتد النشاط التجارى للمغرب الأقصى تجاه المشرق إذ استقبلت الموانئ المغربية السفن القادمة من إفريقية ومصر وبلاد الشام محملة بالبضائع حيث قام التجار المغاربة في الموانئ المغربية بشراء ما تحتاجه الأسواق المحلية وتصدير منتجات البلاد وقد أشار ابن سعيد إلى التجار الاغنياء بمدينة سبتة وشرائهم للسفن الكبيرة بما فيها من بضائع هندية يقول ابن سعيد « وفيها — أى مدينة سبتة — التجار الأغنياء الذين يبتاعون المركب بما فيها من بضائع الهند وغيرها في صفقة واحدة » (٤).

ومن ناحية أخرى تقوم السفن بشحن المحاصيل والمنتجات التي تحتاجها بلدان المشرق ، حيث كانت السفن تشحن بالحنطة من ميناء ماسة قاصدة ميناء الأبلة ومنها إلى الصين (٥) ، وقد شجّع عملية التبادل التجارى بين مصر والمغرب أن مصر كانت في طريق قوافل الحجاج المسافرة لتأدية فريضة الحج

Julien; Histoire de L'Asrique du Nord, P; 123-124.(1)

⁽٢) الميلى : تاريخ الجزائر في التديم والحديث ج ٢ ص ٢٥٠ ٤ الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ج ٢ ص ٣٢٠ .

⁽٣) الميلي : تاريخ الجزائر ج ٢ ص ٢٥٠ ، د. راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٢٥٠ .

⁽٤) ابن سميد المغربى: بسط الأرض صن ٧٣ .

⁽٥) أبن رسته: الأعلاق النفسية ص ٣٦٠ .

فى كل عام والتى كانت فى كثير من الأحيان تضم بعض أنواع المتاجر التى تحتاجها المدن المشرقية (١) وقد أشار ابن القاضى فى جذوة الاقتباس إلى احدى هذه القوافل والتى خرجت من وادى سبو ومتجهة إلى المشرق قبل سنة ١٠٥هـ هذه القوافل والتى خرجت من وادى سبو ومتجهة إلى المشرق قبل سنة ١٩٠٥هـ (٢) .

كما أن المدن المغربية وخاصة ما يقع منها فى جنوب البلاد كسجلماسة وأغمات كانت مراكز تجارية لتجار المشرق ، حيث قصدها التجار من الكوفة وبغداد والبصرة وأقاموا بها وذلك للإشراف على قوافلهم المتجهة إلى غانة وبلاد السودان لتحمل الذهب وغيره من منتجات الحنوب وتعود متجهة إلى المشرق ، يقول ابن جوقل د وكانت القوافل تجتاز بالمغرب إلى سيلماسة وسكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغداديون الذبن كانوا يقطعون ذلك الطريق، فهم وأولادهم وتجاراتهم دائرة ومفردة دائمة وقوافلهم غير منقطعة إلى أرباح عظيمة وفوائد جسيمة ونعم سابغة ، قلما يداينها التجار فى بلاد الاسلام سعة حال ٤(٥).

كما أن وفرة المحاصيل والمنتجات بالمعرب الأقصى ساهم فى تصدير هذه المنتجات إلى افريقية وغيرها من البلدان جهة الشرق فالقطن كان يصدر من مدينة البصرة بالمغرب الأقصى إلى افريقية (٤) كذلك السكر والمعروف بالطبرزد كان يصدر إلى إفريقية (٥) وكانت مصر تستورد من المغرب الحرير (٦) كما كانت تستورد أيضاً زيت الزيتون (٧) وأيضاً كان المغرب يقوم بتصدير المرجان والذى كان أيكثر صيده بسواحل سبتة وطنجة آلى يقوم بتصدير المرجان والذى كان أيكثر صيده بسواحل سبتة وطنجة آلى

⁽۱) روجیه : ناس فی عصر بنی مرین ص ٥٠ ترجهه د٠ نتولاً زیادة ٠

⁽٢) ابن القاشي : جذوة الاقتباس ص ٣٥١ ، ٣٥٢ .

⁽٢) ابن حوتل : منورة الأرض ص ١٥٠ .

^{﴿ })} ابن حوتل : صورة الأرض ص ٨١ ٠

⁽٥) مجهول: الاستبصار ص ٢١٢ ٠

⁽٦) د. راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ١٢٥ ، ٢٦١:٠٠

⁽V) تفس المرجع السابق ص ١٨٠ ، ٢٦١ · (م ١٩ ـ الحضارة)

مصر (١) كما أن البلّور والحديد أيضاً كانت تستورده مصر من المغرب (٢) ، وكان المغرب الأقصى يستورد بعض منتجات المشرق وفى مقدمتها العطر الهندى(٢) .

ونتيجة لهذا التعامل التجارى صار للتجار المصريين أصدقاؤهم من التجار المغاربة وصارت بينهم علائق مودة ومراسلات ومن ذلك أن أحد تجار الاسكندرية كتب رسالة إلى صديقه التاجر بالقاهرة نخبره فيها أن صديقه التاجر بمدينة فاس قد أرسل إليه قضيباً من الذهب بهدف بيعه وشراء حرير الناجر نحسابه (٤) .

⁽۱) د. راشد البراوى : حالة مصر الاقتصائية ص ٢٥٣ د. حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطبية ص ٢١٥ ط ٢ سنة ٨٥٠.

^{* .} ١ (٢) - نفس المرجع النسابق ص ١٠٠٢ ، ٢٥٥٠ . "

⁽٣) الراكشي : المعجب ص ٣٥٩ ،

S.D. Goiten: Studies In Islam History P; 298. (8)

الباحالثاك

الحياة الاجتماعية

الفصل الأوك

عناصر تكوين المجتمع

شهد المسرح الحذ أفي للمغرب الأقصى في القرنين الخامس والسادس من الهجرة عناصر متعددة من السكان ، وجنسيات مختلَّفة ، وفي مقدمة هذه العَّناصِر قبائل البربر وهم السواد الأعظم من السكان ، وأصحاب البلاد الأيصليين وعاش معهم العرب الذين لعبوا دوراً واضحاً في الأحداث وصار لهُمَ دور مؤثر في عهد الموحدين وبجانب البربر والعرب كانت هناك أقليات من السودانيين والروم والأتراك .

1 - البربر:

فاذا ما تناولنا عنصر البربر باعتبارهم الغالبية العظمى من السكان ، ومِيْهُم تأسست أكبر دولتين شهدهما المغرب الأقصى في العصور الوسطى وهما دولِتا المرابطين والموحدين لوجدنا اختلاف المؤرخين في أصل نسهم فابن حرِّمِ الْأَنْدَلْسَى يَذَكُر أَقُوالا مُخْتَلَفَة فَى نَسْبُهُم ﴿ قَالَ قُومُ أَنَّهُمْ مَنْ بَقَايَا وَلَدُ حام بن نوح عليه السلام ، وادَّعت طوائف منهم إلى اليمن إلى حمير ، وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان» (١) وقد أشار العمرى إلى هذا الاختلاف بقيوله ﴿ وَأَمَا البربر فقد اختلف فيهم اختلافاً كثيراً فقيل أنهم من ولد فارق لبين بيصر بن حازم ، والبربر يزعمون أنهم من ولد قيس عيلان وصنهاجة من البربر يزعمون أنهم من ولد افريقش بنصيفي الحميري» ^(٢)وقد رجح ابن زيدًانْ أنهم من ولد كنعان وأنه لما قتل ملكهم جالوت الفلسطيني وتفرقت بنو كنعان قصدت منهم طائفة بلاد المغرب وسكنوا تلك البلاد وهم البربر (٣) وقد برّر بعض المؤرخين سبب نزوحهم من الشام بأن بني حام تنازعوا مع بغى سام فانهزم بنو حام أمامهم إلى المغرب وتناسلوا به واتصلت شعوبهم

⁽۱) ابن حزم الاتدلسى : جمهرة أنساب العرب ص ٢٦ ت ليفى بروهنسال ط . دار المعارف بمصر . (۲) العمرى : مسالك الابصار ج ١٤ قسم ٢ ص ٢٢٣ . (٣) ابن زيدان : أتحاف أعلام الناس ج ١ ص ٢٢ ط ١ سنة ٢٩ .

من أرض مصر إلى آخر المغرب إلى تخوم السودان ، وكان بسواحل المغرب الأفارقة والأفرنج . فكانت ذرية حام فى المداشر والخيام والأعاجم الأول فى البلدان (١) وقد تناول ابن خلدون هذا الموضوع بالتفصيل فى كتابه العبر وأشار إلى زعم بعض المؤرخين فى إرجاع نسب البربر إلى العرب قائلا « نسابة البربر يزعمون فى بعض شعوبهم أنهم من العرب مثل لواته يزعمون أنهم من حمير ، ومثل هواره يزعمون أنهم من كندة من السكاسك ، ومثل زناتة تزعم نسابتهم أنهم من العالقة فروا أمام بنى إسرائيل ، وربما يزعمون فى هؤلاء كلهم نسابتهم أنهم من حمير ، (١) .

ومع تضارب هذه الروايات ، يمكننا أن نستخلص أن جيل البربر كغيره من الأجيال التي عمرت الأرض والتي انساحت في أرجائه طلباً للرزق وأنها انحذت لها موطناً في أرض المغرب عامة حيث تناسلت وتكاثرت وتكونت تلك المحاميع الهائلة من السكان والتي اتحذت شكل قبائل نتيجة لتنوع البيئة بالإضافة إلى الأحداث التي مرت بها المنطقة ، أما ادعاء النسابين أنهم ينتسبون نقيس عيلان فلم يكن له أبن يسمى بر (٣) كذلك لم يكن هناك لحمير طريق إلى بلاد البربر (٤).

البر والرانس: ثم وجدنا النسابين يقسمون الربر إلى شعبين عظيمين هما البر والرانس فيقول ابن خلدون وغيره «وأما شعوب هذا الحيل وبطوتهم فان علماء النسب متفقون أنهم يجمعهم جلمان عظيان وهما برنس ومادغيس ويلقب مادغيس بالأبر فكلك يقال لشعوبه البر ويقال لشعوب برنس الرانس وهما معا أبنابر »(٥) على أن هذا التقسيم حدث أيضاً بعد مجئ العرب إلى المنطقة إذ أن الرومان والبر نطيين لم مهتموا مهذا النظام القبلي اللي كان سائداً بلاد المغرب. وبعد أن قسم النسابون البربر إلى شعبين عظيمين وجدناهم

⁽۱) محمد الشطيبي: كتاب المجان ورقة ١١٩ السلاوى: الاستقصاح ١ ص ٥٣ .

⁽r) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٩٧ .

⁽٣) أبن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢١٦ .

⁽٤) نفس المرجع السابق ص ١٦٤٠

⁽٥) ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٨٩ ، مؤلف مجهول : نبذقتاريخية في أخبار البربر ص ٦٩ تحقيق ليني بروننسال ، رباط النتح سنة ١٩٣٤

يختلفون في أنساب كل منهما والراجع أنهما من أصل واحد وأن الحميع من ولد مازيغ ومازيغ من رئد كنعان بن حام(١) .

وكلا الفريقين : البتر والبرانس عاش على أرضُ المغرب الأقصى متأثرًا بالأحداث التي مرّت مها المنطقة ومؤثراً فها فقد قامت قبائل العرائس ومنها صنهاجة ومصمودة بدور مهم في توجيه سبر الأحداث في القرنين الحامس والسادس من الهجرة ، إذ على أكتاف صَّهاجة قامتُ دولة المرابطين ، وعلى أكتاف المصامدة قامت دولة الموحدين ومن هنا يتبين مدئ أهمية إلقاء الأضواء على صفات تلك القبائل التي شاركت في صنع الأحداث التي

قبائل صنهاجة : ويأتى في مقدمة القبائل قبيلة صنهاجة لواما ينذرج تختها من القبائل ، ولم تكن صنهاجة مجرد قبيلة بل كانت شعبًا عظما (٢) حتى أنه لا يكاد مخلو قطر من أقطار المغرب من بطونه وأفراداه يڤول ابن لخلدون ه هذا القبيل من أوفي قبائل العربر وهو أكثر أهل الغرب لهذا العهد وما يعده لا يكاد قطر من أقطاره مخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط حيى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أول البرير (٣) ، وقد أشار بعض المؤرخين إلى انتساب صنهاجة للعرب(٤) وفي ذلك يقول انهن أبي زرع « وصماحة فخد من ولد عبد شمس بن وائل بن حمر» (٥) وقدا رجمع ابن خلدون هذه النسبة حين قال ، « لا خلاف بين نسابة العرب أن شعوب النربير الذي قدمنا ذكرهم كلهم من البربر إلا صنهاجة وكتامة فان يبن نسابة العرب خلافاً والمشهور أنهم من اليمنية وأن افريقش لما غزا افريقية أنزلهم بها ١٦)

⁽۱) السلاوى: الاستقصا ج ۱ ص ۷٥ .

⁽١١) : د حسن محمود : تيام دولة الرابطين ص ٣٦. ٠

⁽٣) أبن خلدون : العبر جـ ٦ ص ١٥٢ .

⁽٤) ابن سسعيد : بسسط الأرض ص ٥٨ ، ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ٧ ؟ ٨ ؟ ابن الخطيب : أعمال الاعسلام : القسم الثالث ص ٢٢٥ ت العبادي ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٦ ص ١٢٨ ، السلاوي: الاستقصا ج ٢ ص ٣٠

⁽٥) أنن أبي زرع: الإنيس ج ٢ ص ٣ ، ٤٠) أه ت الميلالي .

١٦) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٩٧ .

وربما يرجع السبب في محاولة النسّابين جعل أنساباً عربية لصهاجة وغيرها من القبائل ، هو التشابه في حياة العرب والبربر في كثير من أو-يه الحياة مع حرصهم على الانتساب إلى الشعب العربي مهد النبوة وصانع الفتوحات العظيمة التي عمت المشرق والمغرب ، يضاف إلى ذلك رغبتهم في المساواة بلعرب اللدين جاءوا البلاد فاتحين.

وقد احتلت قبائل صهاجة مساحات شاسعة من المغرب إذ امتدت من نول لمطة فى جنوب المغرب الأقصى إلى القيروان فى افريقية حيث أقاموا فى المناطق الصحراوية (١) وخاصة صهاجة المغرب الأقصى والذين أطلق عليهم الملثمون وذلك لاتخاذهم اللثام على وجوههم ، وقد علل ابن خلدون سبب هجرتهم للمدن وميلهم إلى سكنى الصحراء بأن ذلك راجع إلى طبعهم ابتعاداً عن الاختلاط بالناس وفراراً من الغلبة والقهر (٢) .

وقد ضمنت صهاجة مجموعة كبيرة من القبائل بلغت السبعين قبيلة (٢) ومن هذه القبائل لمتونة وكدالة ومسوقة ولمطة ومسراته ، وتكلاته ومنداسة وغيرها من القبائل (٤) ولا يتسع المجال لتناول كل هذه القبائل بالشرح والتفصيل و لكن بهمنا تلك القبائل التي انتقلت مجموعها من جنوب الصحراء متجهة إلى المغرب الأقصى حيث شاركت في بناء الدولة الرابطية ، وصارت

⁽۱) این ابی زرع : الانیس ج ۲ ص ۲ ، ابن خلکان : و فیسسات الاعیان ج ۲ ص ۱۲۸ ، ابن الخطیب : اعبسال الاعلام القسم النسالت ص ۲۲۵ : ت العبادی ، ابن ابی دینساز : المؤنس ص ۱۰۱ ، د . حسن محمود : قیام دولة المرابطین ص ۶۶ ، د . السید عبد العزیز سالم : المغرب الکبیر ص ۱۹۰ .

J.spencer; A History of Islam ig West Africa, P; 20

• ۱۸۱ من خلدون : العبر ج ۲ ص ۱۸۱ ، (۲)

⁽۳) ابن ابیزرع: الأنیس ج ۲ ص ۲ ، السلاوی: الاستقصا ج۲ ص ۳ ، السلاوی: الاستقصا ج۲ ص ۳ ، السلاوی: الاستقصا ج۲ ص ۳ ، عبد العزیز بنعبد الله : تاریخ المفرب ج ۱ ص ۱۰۰ د، حسن الحمد محمود: قیام دولة المرابطین جی ۴۹ ،

لها مكانة متميرة في مجتمع المغرب الأقصى بسبب انهاء الطبقة الحاكمة لها وهي أسرة بنى تاشفين الذين أقاموا ملكهم في المغرب الأقصى والأندلس على أكتاف هذه القبائل ومن هنا حرص بنو تاشفين على استدعائهم من مواطنهم والاعتهاد عليهم في توجيه الأمور وقد أشار إلى هذه الحقيقة ابن الخطيب حين ذكرا استدعاء يوسف بن تاشفين لهذه القبائل وما نالته من مكانة وثروة يقول و وبعث - أى يوسف بن تاشفين سنة ٢٠٤ ه - إلى الصحراء للمتونة ومسوفة وجدالة وغيرهم يعلمهم بما فتح الله عليه من ملك المغرب وطاعة أهله ويؤكد عليهم في القدوم فوفد إليه منهم حموع كثيرة ولا هم الأعمال وصرف أعيانهم في مهمات الأشغال فاكتسبوا الأموال وملكوا وقوت والزمان وكثروا بكل مكان وساعدهم الوقت والزمان وكثرت حموعهم وتوفيرت عساكرهم ١٤ وقد سبق هذا الاستدعاء تلك الأعداد الكبيرة من نفس هذه القبائل والتي صعبت يوسف بن تاشفين كجند أثناء اخضاعه للمغرب الأقصى والتي اتخذت المغرب الأقصى لها مستقرآ ، وهذه القبائل هي لمتونة وكمالة ومسوفة ولمطة .

قبيلة لمتونة : وهي إحدى قبائل صنهاجة (٢) وكانت تتمتع بمكانة مرموقة بين القبائل الأخرى ، اذ كانت لها الزعامة والسيطرة على غيرها من القبائل (٣) حتى إذا جاء عبد الله بن ياسين إلى المنطقة ، و دخلت لمتونة في طاعته اكتسبت الدعوة الحديدة قوة مكتنها من مواصلة كفاحها. وقد سبق أن أشرت إلى أن عبد الله بن ياسين نقل زعامة المرابطين من جدالة إلى لمتونة حتى تتمكن الدعوة الناشئة من تثبيت أقدامها ، وظلت هذه الزعامة موجودة في لمتونة متمثلة في أسرة يوسف بن تاشفين حتى انتهت دولة المرابطين .

وأبناء لمتونة ظوا عن رحالة في الصحراء ما بين السودان وبلاد الاسلام (١)

⁽١) ابن الخطيب: الحلل الموشية من ٢٠ ١٠

⁽۲) البكرى : المغرب في ذكر بلاد المريقية ص ١٦٤ ، الادريسي : وصف المغرب ص ٥٧ ، ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ٦ ، مجهول: الاستبصار ص ٢١٣ .

⁽٣) ابن ابي دينار : المؤنس ص ١٠١ .

⁽٤) ابن الخطيب: الحلل الموشية من ٢ ، ٧ .

وقد حد د أماكنهم الدكتور حسن محمود بقوله و تمتد من منطقة تلى منطقة لمطة وجزولة وتمتد من وادى نون على المحيط الأطلسي حتى رأس بوجادور الحالية وإلى الشرق من وادى نون تقع مدينة أزكى على مسيرة سبعة أيام من وادى نون ، وهي حصن لمتونة ومعقلها ، ويبلو أن هذه القبيلة توغل فى الصحراء شرقاً حتى تدرك الطريق الموصل بين غانة وصلماسة (۱) ، وكان أبناء القبيلة يشتغلون بالرعى ورأس مالهم الأغنام ويعيشون على لحوم وألبان الأغنام التي يرعونها (۲) يقول صاحب كتاب الاستبصار « ومن هذا الحبل الدخل إلى بلاد لمتونة وهم من صنهاجة وأكثر لمتونة إنما هم رحالة، ولا يستقر بهم موضع ولا يعرفون الحرث ولا الزرع ولا الحبر وانما لهم الأغنام الكثيرة فيعيشون من لبنها ولحمها » (۳) .

فلما انتقلت القبيلة من مواطنها الأولى إلى المغرب الأقصى أقاموا بالمدن واحتلوا أرفع المناصب إذ حرص امراء المسلمين من بنى تاشفين على أن يولوا مناصب الدولة من أبناء القبائل المؤسسة وعلى رأسها قبيلة لمتونة ، وشاركوا في الحياة الإجتماعية بالبلاد ، وصاروا يزاولون أنواعاً مختلفة من النشاط سواء أكان زراعياً أم صناعياً وتجارياً في يضاف إلى ذلك انخراطهم في الحياة العسكرية وقيامهم بعبء كبير في النشاط العسكري الذي قام به المرابطون سواء أكان بالمغرب أو الأندلس .

قبيلة جدالة : وهي إحدى قبائل صهاجة (٥) وقد شاركت قبيلة لمتونة في أن أبناءها رحل ينتجعون المراعى ويقيمون بالصحراء (١) وكانت مضارب للقبيلة تمتد حتى مصب نهر السنغال متخذة مدينة أوليل مركزاً لها حيث يكثر

⁽۱) د. حسن احمد محمود : تيام دولة المرابطين ص ٥٥ . (۱) البكرى : المغرب في ذكر بلاد المريقية ص ١٦٤ ، ابن أبي دينار: المؤنس ص ١٠١ .

S.P. Scott; History of Moorish Empire, V,2 P; 189-190

• ۲۱۳ مجلول : الاستيمار ص ۲۱۳

⁽٤) د. حسس احمد محمود : تيام دولة الدابطين من ١١٣ ٠

⁽٥) ابن الخطيب: الحلل الموشية من ٦ ، ابن الخطيب: اعسال الاعلام التسم الثالث من ٢٠٥ ت العبادي ٠

⁽٦) ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ٦ ٠

الملح الذي تحمله القوافل إلى الشهال والحنوب (١) ، وقد تحمث لمت قبيلة جدالة عبء الدعوة المرابطية في مراحلها الأولى حين قام يحيى بن إبراهيم الحدالى باصطحاب عبد الله بن ياسين إلى قبائل الصحراء لتعليمهم شئون دينهم ثم انتقلت الزعامة منها إلى قبيلة لمتونة بعد ذلك ، وصارت قبيلة جدالة تتمتع عركز ممتاز بين القبائل المؤسسة لدولة المرابطين وصار أبناؤها محتلون الوظائف والمراكز الحامة في الدولة (٢) كما أنها تحملت عبئاً كبيراً في الكفاح المسلح الذي قام به المرابطين و

قبيلة مسروفة: وهي إحدى قبائل صنهاجة (١) وكانت مضاربها بالصحراء تمتد في منطقة قاحلة مجدبة تقع بين سجلماسة في الشهال وأو دغشت في الحنوب وكانت بعض بطونها توغل شرقاً حتى تصل إلى تاد مكة وكوكو (٥) وكانوا يعملون بالرعى واعتادهم في معيشتهم على لحوم الأغنام وألبانها (١) وبجانب ذلك كانت تسيطر على التجارة المارة بين أو دغشت في الحنوب وسجلماسة في الشهال (٧) حتى إذا انضمت إلى دعوة عبد الله بن ياسين ، وشاركت في عمليه الحهاد ، صارت لها مكانة ممتازة في المحتمع الحديد ، إذ شغل أبناوها بعض المراكز القيادية في دولة المرابطين (٨).

قبيلة لمطة : وهي إحدى القبائل الصنهاجية (٩) وقد الحثلب المنطقة الممتدة من جبال درد حتى وادى نول القريب من المحيط الأطلسي (١٠)وقد سميت

⁽١) د، حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٢٦ .

⁽٢) اشباخ : تاريخ الاندلس في فهد المرابطين والموحدين جـ ٢ ص ٢٣٥ ، ٢٣٥ ،

⁽٣) د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٣٧٧ .

⁽٤) مجهول : الاستبصار ص ١٧٩ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الثالث ص ٢٢٥ ت العبادي .

⁽٥) د. حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص ٢٦ .

⁽١) مجهول: الاستبعسار ص ١٧٩٠ .

⁽٧) د. حسن محمود : قيام دولة الرابطين من ٢٦ .

⁽٨) د. شعيرة : المرابطون تاريخهم السياسي من ٣٠

⁽۹) ابن حوقل : صورة الأرض ص ۱۰۱ ، ابن أبى زرع : الأنيس ج ٢ ص ٢ ، ابن خلدون : العبر ج٦ ص ١٥٢ ، ابن خلدون : العبر ج٦ ص ١٥٢ .

⁽١٠) د، حسن محبود : قيام دولة المرابطين ص ٤٤ .

مدينة نول باسم القبيلة و ومن مدينة نول إلى وادى درعة نحوثلاث مراحل، وإنما شميت نول لمطة لأن قبيلة لمطة يسكنوها وما وراءها وهى آخر بلاد السوس أ(١) وهذه القبائل الأربع كانت عماد قوة المرابطين فى زحفهم من الحنوب فى الصحراء وانطلاقهم إلى الشمال فى المغرب الأقصى حيث استطاع ولاة الأمر، صهر القبائل الوافدة مع غيرها من القبائل المقيمة بالمغرب الأقصى ومن أهمها قبائل مكناسة ومغراوة وبنو يفرن فى ظل مجتمع المرابطين

المصامدة: حتى إذا انهارت الدولة المرابطية على يد الموحدين ، وجدنا قبائل أخرى تحتل مركز الصدارة بالمغرب الأقصى باعتبارها القبائل المؤسسة للعهد الحديد ، والقسم الكبير من هذه القبائل كان يطلق عليه المصامدة سكان البلاد الأصليين . واعتبر أبن خلدون ديارهم وأماكنهم هى حدود المغرب الأقصى وذلك لكثرتهم وافتراشهم لمنطقة المغرب الأقصى ، يقول ابن نخلدون « فأما المغرب الأقصى منه وهو ما بين وادى ملوية من جهة الشرق إلى آسنى حاضرة البحر المحيط وجبال درن من جهة الغرب فهى فى الأغلب ديار المصامدة من أهل درن وبرغواطة» (٢) وأشار إلى مواطنهم المراكشي بقوله « فحد بلادهم – أى المصامدة – النهر الأعظم اللهى يصب من جبال صنهاجة وينتهى إلى البحر الأعظم عر اقيانس ، يدعى هذا النهر أم ربيع . وآخر بلادهم الصحراء التى تسكنها لمتونة ومسوفة . . فهذا حد بلاد المصامدة عرضاً ، وحدها طولا من الحبل المعروف بدرن – جبال أطلس – إلى البحر عرضاً ، وحدها طولا من الحبل المعروف بدرن – جبال أطلس – إلى البحر الأعظم المسمى أقيانس » (٣).

والمصامدة يشكلون أعداداً كبيرة من السكان « وقبائل المصامدة أمم لا محصيهم إلا خالقهم» (١) وهم ينتسبون لايلان بن مصمود بن يازيغ (٥) وقد أقاموا بالمنطقة أحقاباً طويلة حيث شاركوا غيرهم في صنع تاريخ المنطقة يقول ابن خلدون « ولم تزل مواطنهم بالمغرب الأقصى منذ الأحتاب

⁽۱) مجهول: الاستبصار ص ۲۱۳ .

⁽٢) ابن خلدون : المبر ج ٢ ص ١٠١ ٠

⁽٣) المراكشي : المعجب ص ٢٤٠٠

⁽٤) ابن خلدون : المبر ج ٦ ص ٢٢٣ .

⁽٥) محمد الشطيبي : كتاب الجمان ورقه ٢٢٠ .

المتطاولة وكان المتقدم فيهم قبيل الإسلام وصدره برغواطة ، ثم صار التقدم بعد ذلك لمصامدة جبال درن إلى هذا العهد ، وكان لبرغواطة في عصرهم دولة ولأهل درن منهم دولة أخرى ١٥(١).

وقد حرص المرابطون منذ اللحظة الأولى لبدء دعوثهم على كسب ود المصامدة باعتبارهم يشكلون الغالبية الكبيرة لسكان المغرب الأقصى ، فعبد الله بن ياسين داعية المرابطين حين اجتمع لديه المال من الزكاة والأعشار بعث مقداراً كَبيراً منه إلى طلبة بلاد المصامدة وقضاتها (٢) اكتساباً لودهم واستمالتهم للدعوة الحديدة ، وقد أثمرت هذه السياسة نتائجها إذ أن هذا التودد مع كراهية المصامدة للزناتيين جعلت المصامدة لا يقاومون جيوش المرابطين القادمة من الحنوب بل أيدوهم وحالفوهم ضد حكام المنطقة من الزناتيين (٣).

وسار على نفس السياسة يوسف بن تاشفين إذ ضم مجموعة كبيرة منهم لحيشه (¹⁾ وبذلك مكّن لهم من الاشتراك الفعلى في تأسيس صرح الدولة . وعند بناء العاصمة مراكش كان مكان البناء بجوار مواطنهم كسبآ لودهم وفى نفس الوقت مراقبة لتحركاتهم خوفاً من انقلابهم على الدولة . وقد أشارًا ابن خلدون إلى مدى تأثير قوة المصامدة في المنطقة بقوله « لم يزل أمر هؤلاء المصامدة بجبال درن عظيا وجماعتهم موفورة وبأسهم قويآ وفي أخبار الفتح من حروبهم مع عقبه بن نافع وموسى بن نصير حتى استقاموا على الإسلام ما هو معروف مذكور إلى أن أظلتهم دولة لمتونة فكان أمرهم فيها مستفحلا وشأتهم على أهل السلطان والدولة مهما حتى لما اختطوا مدينة مراكش أنزلهم جوار مواطنهم من درن ليتمير وا عمن سواهم ويذلاوا من صعابهم » ^(ه) وظل هذا الاهمام من ولاة المرابطين تجاه المصامدة خشية قوتهم وبأسهم ولذا حين أوصى أمر المسلمين يوسف بن تاشفين ولى عهده على ، ذكره بألايسيء إلى المصامدة ، يتمول ابن الخطيب « نلما قربت وفاته ــ أى وفاة يوسف

⁽١) أبن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٢١٦ .

⁽۲) أبن أبى زَرع : ألآنيس ج ۲ ص ١٥ ت الفيلالى ، د. حسن محمود : قيام دولة الرابطين ص ١٥٨ . (٣) د. حسن محبود : قيام دولة الرابطين ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

⁽٤) ابن الخطيب: الحلل الموشية من ٢٠ .

⁽٥) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٢٥ .

ابن تاشفين ـــ أوصى ابنه ولى العهد بعده أبا الحسن على بثلاث وصايا أحدهما ألا يهيج أهل جبل درر ــ وصحتها درن ــ ومن وراثه من المصامدة وأهل القبلةُ ﴾(١) وهذا كله يؤكد حقيقة القوة والنفوذ الذي كانت تتمتع به قبائل

والمصامدة على عكس قبائل اللثام من حيث أسلوب الحياة فبينما كان أهل اللثام يعتمدون في حياتهم على الرعى وانتجاع الكلأ وعماد حياتهم الأنعام كان المصامدة على العكس من ذلك ، قد استقروا بالمنطقة واتخلوا المعالل والحصون وشيدوا المبانى والقصور (٢) والمتهنوا الرراعة وفلاحة الأرض (٣) ولم يحاولوا الهجرة من أرضهم بل ودافعوا عنها ضد محاولات الاستيلاء علمها (٤) وقد سبق أن أشرت في فصل الزراعة إلى قيام المصامدة بدور واضح في النشاط الفلاحي بالبلاد .

وأما القبائل التي اندرجت تحت اسم المصامدة فكثيرة منها هرغة وهنتاتة وتينملل وكيدموية وكنفيسة ووريكة وهزمىرة ودكالة وحاحة وغبرها من القبائل (°) وقد عد " المراكشي قبائل صنهاجة ولمطة من المصامدة (١) وقد سنبق أن أشرت إلى أن صنهاجة ومنها قبيلة لمطة تكوّن شعباً كبيراً من البربر له خصائصه وممرأته وأن صبهاجة المغرب الأقصى كانت مواطَّها بالصحراء في الحنوب وليست في مواطن المصامدة ، وأن قبائل صنهاجة انتقلت للشمال نتيجة لتغمّير الأوضاع السياسية بقيام دولة المرابطين بالمغرب الأقصى .

وقد نالت بعض قبائل المصامدة مكانة ممتازة نتيجة انضمامها وتأييدها لدعوة ابن تومرت وأطلق عليهم أهل السابقة وهم الذين انضموا للدعوة قبل الاستيلاء على مراكش ، وصار ابناوُها يكوّنونْ طبقة ممتازة في الإدارة

⁽١) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ٦٠٠

⁽۲) ابن خلدون : العبر ج \tilde{r} ص \tilde{r} . (۳) (۳) . (۳) د. حسن حبود : تيام دولة المرابطين ص \tilde{r} . Terrasse; Histoire du Maroc P; 22,

⁽٤) نفس الرجمين السابتين ونفس الصفحات . (٥) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٣٢٣ ، عباس المراكشي : الأعلام

ج ۱ ص۱۵۳ ۰ (٦) المراكشي: المعجب ص ٣٤٠٠

ووظائف الدولة ، يقول ابن خلدون ﴿ وخص ۖ أَى ابن تومرت – بالمزية مَن دخل في دعوته قبل تمكنها وجعل علامة تمكنها فتح مراكش فكان إنما الختص مهذا اللقب أهل السابقة قبل ذلك الفتح ، وكان أهل تلك السابقة قبل فتح مراكش ثمانى قبائل سبعة من المصامدة هرغة وهم قبيلة الامام المهدئ وهنتاتة وتينملل وهم الذين بايعوه مع هرغة على الحرابة والحاية وكنفيسة وإهرزجة وكدميوه ووريكة وثامنة قبائل الموحدين كومية قبيلة عبد المؤمن كُبير صحابته . . فاختص . . هؤلاء القبائل بمزية هذه السابقة واشمها وأقاموا التَّبِيرِ وحملوا سريره (١) ومن النص السابق نتبين أن سبع قبائل من المصامدة المختلت مكان الصدارة في مجتمع المغرب الأقصى نتيجة انضهامها للدعوة الموخدية يضاف إليها قبيلة كومية والتي ينتسب إليها عبد المؤمن بن على ومن هنه القبائل:

هرغة : وهي قبيلة الإمام المهدى(٢) وهي قليلة العدد بالنسبة لغيرها من فبائل الموحدين(٣) إلا أنها احتلت مكانة مرموقة في مجتمع الموحدين وذلك ُلانتساب المهدى بن تومرت داعية الموحدين إلها.وقد دُخل بعض أفرادها فَى مجلس الحمسن ذلك المحلس الذي كوَّنه ابن تومرت لبحث شئون الدولة وهو يلي هيئة العشرة أهمية ، ومن هؤلاء المنضمين لمحلس الخمسين : أبوزكريا يخيى بن يومور ، وأبو مروان عبد الملك بن يحيى وأبو زيد عبد الرحمن بن سيمان وغيرهم (١) .

هنتاتة : وهي قبيلة ضخمة وفي بعضها رياسة وشرف في الدهر القديم^(ه) وتمد وصفها ابن خلدون بأنها من أعظم قبائل المصامدة وأكثرها جمعاً وأشدها قرية (٦) وما إن جاء ابن تومرت بدعوته إلى أرض المغرب الأقصى حتى سارعت قبيلة هنتاتة في الانضام إليه وقد أعطانا ابن القطان وصفآ لطريقة السمام هنتاتة للدعوة الموحدية بقوله ، ثم أن هنتاتة لما سمعوا بالإمام المهدى

^{, (}١) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

⁽٢) نفس الرجع السابق ج ٦ ص ٢٦٧ . (٣) المراكشي : المعجب ص ٣٣٩ .

⁽٤) ابن المطّان : نظم الجمّان ص ٣٠ .

⁽٥) الراكشي : المعجب ص ٣٤٠٠ .

⁽٦) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٧٥ .

رضي الله تعالى عنه وبأخباره اجتمعوا على أبي حفص عمر بن يحيي تر. . وساثر أشياخ هنتاتة ، فتذاكروا خبر الإمام المهدى وما جاء به وما هو غليه من الخير والوعظ ، فأرادوا تحقيق ذلك فوجهوا أيا يعقوب إسحاق بن عمر ليسبر أمره ومخبر رجاله وتواصوا هم وطالب لهم يقال له سكاتوا بوصايا في كيفية لقائه له رأوا أنها تنفعهم فتوجه إسحاق بن عمر والموحدون أعزهم الله تعالى فى ثلاثة آلاف راجل وثلثَّاثة فارس يقدمهم البشير وتطلع ورأى وعمل حبيع ما أوصوه به ، واجتمع بالأمام المهدى ثم انْصِرفُ إلى تيفنوت فاجتمع بالذين أرسلوه وعرَّفهم بما هو عليه الإمام المهدى من رفع المظالم وألمناكر والمغارم وقال لهم باللسان الغربي : النور النور في بلاد هرغة وأنتم في الظلمة ياهنتة ، فصنعوا طعاماً واجمعوا عليه وتعاهدوا وتوجهوا بأجمعهم ال(١).

ومنذ انضامهم للدعوة الموحدية صارت لهم مكانة مرموقة ، وأصبح زعيم هنتاتة الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى من العشرة ^(٢) وهم المقرىون للمهدى والدِّين يبحثون الأمور الهامة المتعلقة بالدعوة ، وبجانب ذلك كان لهم أعضاء في مجلس الخمسين ومنهم أبو يعقوب يوسف بن وانودين وداود بن عاصم وغيرهم (٣) حتى إذا توفى المهدى لم يستطع الخليفة عبد المؤمن بن على بالرغم من ترشيح المهدى له ، أن يستقر في الحكم ويأخذ بيعة الموحدين إلا بموافقة ومساندة الشيخ أبي حفص زعيم هنتاتة (٤) وصار ابناؤه من بعده يتولون العظيم من الأمور حتى انتهى مهم المطاف إلى الاستقلال بافريقية وتأسيس الدولة الحفصية .

أهل تينملل : وهم قبائل شي بجمعها اسم هذا الموضع (٥) وترجع أهميها لانضامها للدعوة الحديدة وإقامة المهدى بين ظهرانهم واتخاذه مسكنه ومسجده في منطقتهم ، ومن هنا اكتسبوا منزلة أبين قبائل المصامدة يقول ابن لحلدون أ

٠ ٨٨ ، ٨٧ ص التطان : نظم الجمان ص ٨٧ ، ٨٨ .

⁽۲) ابن خلدون : العسر ج ٦ ص ٢٧٥ . (٣) البيذق : اخبار الهدى ص ٣٤ ، ابن القطبان : نظم الجمان

ص ۳۱ ۰

⁽٤) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٢٧٥ ،

⁽٥) المراكشي : المعجب ص ٣٤٠ ٠

﴿ رَكِدًا تَيْنَمَلُلُ أَخُوتُهُمْ ﴿ أَى أَخُوهُ قَبِيلَةً هَرَغَةً ﴿ فَى الْتَعْصِبُ عَلَى دَعُوهُ المهدى والاشتمال عليه والقيام بأمره حتى تحر إلهم وبني داره ومسجده بينهم فكان يعطيهم من الفيء بقدر عظمهم من الابتلاء ، (١) وقد انضم بعض أهل تينملل لمجلس الحمسين ومنهم أبو عمران موسى سليان القاضى وأبو عيدِ الرحمن وسوجات بن يحيى وأبو بكر بن يزمارن وغيرهم (٢) .

جنفيسة : وهي قبيلة عزيزة منيعة ^(٣) وقد اشترك بعض أفرادها في عجلِسَ الخمسين ومنهم أبو اسماعيل وأبو زيد عبد الرحمن بن رجو وعبد اللهبن ألخاج وأبو سعيد مخلف بن الحسن (٤) .

كدميوه : وفي رواية أخرى جدميوه (٥) وكانت تبعاً لهنتاتة إذ أن مواطنهم كانت قريبة من مواطن هنتاتة (٦) وكان لها أعضاء في مجلس الخمسين ومِنْهُم أَبُو محمد العيش بن تمارى ، وأبو على كنون بن تمارى وغير هم (٧).

وأما وربكة : فهم مجاورون لهنتاتة وبينهم فتن قديمة وحره ب متصلة حتى انتصرت علمهم هنتاته (١٠).

وبجانب هذه القبائل ، كانت هاك قبائل مصمودية أيضاً إلا أنها لم تكن في حملة القبائل التي سارعت عبايعة المهدى والتي عاشت على صفحة المغرب الاَّقصى ، وكانت لها قوة ومنعة ومنها قبيلة هسكورة وقد وصفهم ابن خلدون بقوله و وأما هسكورة وهم لهذا العهد في عداد المصامدة وينسبون إلى دعوة الموحدين وهم أثم كثيرة وبطون واسعة ومواطنهم بجبالهم متصلة من درن إلى تادلا من جانب الشرق إلى درعة من جانب القبلة (١) ».

⁽۱) ابن القطان : نظم الجمان ص ٣٠ ، البيذق : اخبار المهدى (٢) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٦٧ .

⁽٣) المراكثي : المعجب من ٣٤٠ . (٤) ابن القطان : نظم الجمان من ٣١ ، البيدَق : أخبار المسدى . صن ۳٤ .

⁽٥) الراكشي : المعجب ص ٣٤ . (٦) ابن خلدون : المبر ج ٦ ص ٢٧٠ .

⁽٧) البيذق : أخبار المدى ص ٣٤ .

⁽٨) ابن خلدون : آلعبر جـ ٦ ص ٢٧١ .

⁽٩) نفس المرجع السابق ج ٦ ص ٢٠٣٠.

يضاف إلى هذه القبائل المصمودية قبيلة كومية والتي لعبت الظروف السياسية دورها في انتقال كثير من أبنائها من مواطنهم بالمغرب الأوسط والهجرة إلى المغرب الأقصى في عهد عبد المؤمن بن على(١) وكومية تنسب إلى قبائل البتر وهم يعرفون قديماً بصطفورة بطن من بني فاتن بن تامصيت بن ضرى بن زجيك ٰ بن مادغيسُ الأبتر وهم أبناء عم زناتة (٢) وأما مواطنهم فكانت بالمغرب الأوسط ^(٣) بين تلمسان والبحر المتوسط حيث المنطقة الحبلية الغنية بغاباتها (٤).

وكانوا أصحاب فلاحة ورعاة غنم وأصحاب أسواق يبيعون فها اللبن وسوى ذلك من سقط المتاع (٥) ثم تبدأت أحوالهم حين هاجروا إلى المغرب الأقصى وصاروا فى خدمة خلفاء الموحدين .

وأما سبب استدعائهم من مواطنهم فان الخليفة عبد المؤمن بن على الذي ينتمي إليهم شعر بحرج مركزه بين قبائل المصامدة ، وخاصة بعد محاولة اغتياله من جانب بعض الموحدين ، ومنهنا أحس بضرورة إحضارهم حتى يكونوا له عوناً وسنداً في مواجهة عصبيات القبائل الأخرى وفي ذلك يقول ابن أبي زرع « وفي خلال ذلك ـ أي في خلال استعداد عبد ا ومن لغزو الأندلس سنة ٥٥٥ه ٪/ ١١٦١م – ورد على أمير المؤمنين قبيلة كومية في جيش عظيم من أربعين ألف فارس ، والسبب في قدومهم أنه لما همت الطائفة من الموحدين بقتله وقتلوا الشيخ الذي بات عكانه ، وتحقق ذلك منهم جاء بهم لأخذ ثأره منهم محيلة لكونه غريباً بين قبائلهم ليس له عشيرة يستند إليها ولا قبيلة يثق بها ويعتمد عليها ٥ (١) ولذا أرسل إليهم خفية الأموال

⁽۱) ابن أبي زرع : الأتيس جـ ٢ ص ١٦٥ ، ١٦١ ، ١٦٧ ، الميلي : تاريخ الجزائر ج ٢ ص ١٥٤ ، عبد العسزيز بنعبد الله : وحدة المغسرب العربي ص ٥٤ مجلة تطوان عدد ١ سئة ٥٦ .

J.F.P. Hopkins: Medieval Muslim, P; 91.

⁽٢) السلاوى : الاستقصا ج ٢ ص ٩٩ ٠

⁽٣) ابن خَلَدُون : العبر جر ٣ ص ١٢٦ . (٤) ليفي بروفنسال : الاسلام في المغرب ص ٢٧٤

⁽٥) الرآكشي : المعجب ص ٣٣٩ .

⁽٦) ابن أبي زرع : الأنيس ج ٢ ص ١٦٥ ت الغيلالي . (م ٢٠ ــ الحضارة)

والكساء وأمرهم بالقدوم عليه حتى إذا جاءوا تظاهر الخليفة بعدم معرفته سبب قدومهم وأرسل الشيخ أبا حفص لاستقبالهم ومعرفة سبب قدومهم الأمرالشيخ أبا حفص أن يخرج إليهم في جاعة من الموحدين وأشياخهم ليتعرفوا خبرهم فسارحتى تلقاهم بوادى أم الربيع فقال لهم: أسلم أنتم أم حرب، فقالوا: بل نحن سلم، نحن قبيل أمر المؤمنين عبد المؤمن بن على، نحن كومية الزناتيون، قصدنا زيارته والتسليم عليه فرجع أبو حفص وأصحابه فعرف أمير المؤمنين مخبرهم فأمر عبد المؤمن جميع الموحدين أن يخرجوا إلى لقائهم. . وكان بمراكش يوم دخولهم عيد من الأعياد (١).

وقد أحلهم الحليفة منزلة طيبة إذ جعلهم بطانته وحرسه الذى يلتف حوله ويمشون بين يديه إذا خرج (٢) وهكذا شكل البربر بقبائلهم المتعددة الغالبية العظمى من سكان المنطقة .

واختلفت أوضاع القبائل تبعاً للسلطة الحاكمة ، فحين صارت مقاليد الأور بيد المرابطين ، فإن قبائل صنهاجة وعلى رأسها قبيلة لمتونة التي انتقلت من مضاربها في الحنوب ، واستقربها المقام في المغرب الأقصى احتلت قبائلها مكانة ممتازة بن سواها من القبائل الأخرى .

فلما سقطت دولة المرابطين ، وقامت دولة الموحدين على أكتاف المصامدة أصبحت هذه القبائل لها الصدارة في احتلال المناصب والمراكز القيادية بالبلاد .

ب ــ العسرب

هم العنصر الثانى من سكان المغرب الأقصى والذى شارك البربر فى الاقامة بالمنطقة ، ولم تكن صلة المغرب الأقصى بالعرب كموطن لهم قاصراً على القرنين الحامس والسادس من الهجرة ، وإنم كانت ذلك منذ اللحظات الأولى التى وطأت فيها أقدام موسى بن نصير أرض المغرب الأقصى غازياً فى أواخر سنة ٨٦ ه وأخضع المنطقة المسلطة المركزية فى دمشق ، وفي سبيل

⁽۱) ابن ابي زرع: الانيس ج ٢ ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

⁽٢) نفس الرجع السابق ج ٢ ص ١٦٦ ت الفيلالي .

تشر الإسلام فإن موسى بن نصير ترك مجموعة من العرب تعرف سكان أ البلاد قواعد الدين الإسلامي وتنشر تعاليمه بينهم (١) ، ومن هنا بدأ مجتمع المغرب الأقصى يتطعم بعناصر جديدة من العرب التي أقامت في رءوع البلاد تؤدى وظيفتها التي أُقبلت من أجلها ، وصار المغرب الأقصى موطناً لمن يفضلون الإقامة في ربوعه من العرب وملجأ وملاذا لأصحاب الدءوات الخارجية والفارين من وجه الخلافة ، أولئك الذين وجدوا في أرضه تربة صالحة لنشر أفكارهم ومبادئهم بعيداً عن بطش الحلافة وسلطان ولاتها . حتى إذا قامت دولة الأدارسة سنة ١٧٢ هـ/٧٨٨م شجع أثمتها العرب على الإقامة بالمنطقة واتخذوا منهم الوزراء والكتاب فضلا عن أنشاء عاصمتهم فاس لتضم المهاجرين العرب الذين وفدوا على المنطقة ، ومن ثم زاد العصر العربي في المنطقة واختلطوا بسكان المنطقة مكوّنين معهم شعب المغرب الأقصى .

حتى إذا أطل القرن الحامس الهجري على الشمال الافريقي شهد هجرة عربية كبرى تغزو المغرب عامة ، وتظهر آثارها واضحة في عهد ا!وحدين وهي الغزوة الهلالية ، وهذه الغزوة أو الموجة تختلف في دوافعها وأهدافها عن المحموعات العربية الأولى التي واكبت الفتح الإسلامي .

وهؤلاء العرب يطلق عليهم لفظ الهلالية من باب إطلاق اسم الحزء على المكل حيث أن بني هلال والذين أطلق اسمهم على باقى القبائل العربية إنما يكونون إحدى القبائل العربية التي غزت المغرب وهذه القبائل هي بنو سليم وبنو هلال وأحلافهم من جشم والخلط والمعقل(٢) وهذه القبائل تجتمع ما عداً المعقل في منصور ابن عكرمةً بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر ، وأما المعقل فينسبون أنفسهم إلى جعفر بن أبي طالب أما نسابة بني هلال فيعدونهم فى بطونهم (٣) وأما مواطنهم فكانت بأرض الحجاز حيث كان ينو سلم مما يلي المدينة المنورة ، وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف(؛) ثم بعد ظروف سیاسیة مروا بها استقر بنو سلم وبنو هلال بصعید مصر ا^{۱۵۱} ، حتی

⁽١) ابن خلدون : العسر ج ٦ ص ١١٠ م

⁽٢) الميلي : تاريخ الجزائر ج ٢ ص ١١٤ ٠

⁽٣) نفس المرجع السابق بد ٢ ص ١١٤ ٠ (٤) السلاوي: الاستقصا ج ٢ ص ١٦٣ ٠

⁽٥) نفس المرجع السابق ج ٢ ص ١٦٤. •

إذا انتقل العبيديون إلى مصر بدأت الخطوات الأولى فى تهجير القبائل العربية إلى الشال الافريتي وذلك إثر خلاف سياسى حدث بين المعز بن باديس وبين العبيدين فى مصر ، وذلك حين خالف المعز الدعوة الفاطمية ودعا للخلافة العباسية ومن هنا لم تر الخلافة الفاطمية من عقاب سوى تسليط القبائل العربية على افريقية والمغرب وذلك للقضاء على دولة بنى زيرى (١) ويبدو أن أعدادهم كانت ضخمة بلغت ماثتى ألف نفس (٢) وأنها اتخلت شكل موجات متتابعة بدأت بالدفعة الأولى التى شجعها الفاطميون على غزو افريقية ثم تلتها هجرات عربية أخرى حتى يشاركوا فيا ناله من سبقهم من افريقية ثم تلتها هجرات عربية أخرى حتى يشاركوا فيا ناله من سبقهم من افريقية ناراً (١) وقد أحدثوا آثاراً مدمرة و بعبارة ابن تحلدون فإنهم أضرموا افريقية ناراً (١) وامتدت أيدى الأعراب إلى المدن بالتخريب والتدمير . وافسدوا المزارع واقتلعوا أشجار الزيتون وأفسدوا الحقول وأقاموا على هذه الأنقاض إمارات عربية صغرى يقاتل بعضها بعضاً (٥) .

العرب الهلالية في عهد المرابطين: أغفلت المراجع التي تيسرلي الاطلاع عليها الإشارة إلى أي نشاط للعرب الهلالية في المغرب الأقصى ، إذ أن موعهم لم تكن وصلت بعد إلى أراضي المغرب الأقصى ، وربما يرجع هذا لانشغالها بنشاطها الحربي في افريقية من ناحية ومن ناحية أخرى فإن القوة الفتية المتمثلة في المرابطين حفظت المغرب الأقصى من تطلع العرب الهلالية لغزو المنطقة بالإضافة إلى ذلك فإنهم وضحوا حامية قوية بتلمسان وقاموا

⁽۱) النويرى: نهاية الأرب ج ۲۲ مجلد ۱ ص ۲۲ مخطوط ، ابن خلدون: العبر ج ٤ ص ۲۲ ، د، عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ ص ۲۸ جامعة القاهرة سنة ١٥٦ ، د، أحمد شلبى: التاريخ الاسلامي ج ٤ ص ١٦٤ ط ٣ سنة ٢٠ ، د، حسن ابراهيم: تاريخ الدولة الماطمية ص ٢٥٤ ط ٢ سنة ٥٨ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ١٨٤ ط ١ سنة ٤٩.

⁽۲) دونالدویدنر : تاریخ انریقیا جنوب الصحراء می ؟ ۲ ترجمة د. راشد البراوی .

⁽٣) ده عبد الحميد يونس : الهلالية في التاريخ ص ٦٨ .

⁽٤) ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ٦٢ .

⁽٥) د. حسن محبود : الاسلام والثقائة العربية في المريقيا ج ١ ص ١٧٥ ط ٢ سنه ٦٣ .

بتحصين المنطقة (١) كل ذلك قضى على كل تطلعات العرب الهلالية في مواصلة عملية الغزو بالنسبة للمغرب الأقصى .

إلا أنه وردت إشارة في نظم الحمان تفيد اشتراك العرب في عملية الجهاد التي كان يقوم بها المرابطون في الأندلس ، فني وقعة إقليش بالأندلس سنة ٢٠٥ ه / ٢٠١٩م والتي انتصر فيها المرابطون على الفرنج ، ذكر ابن القطان استشهاد بعض العربان في المعركة و واستشهد في هذه الوقيعة الإمام الحزولي وكان رجل صدق وحماعة من الأعيان والعربان رحمهم الله تعالى ١٤٥ و هذه الرواية تفيد اشتراك العرب في معركة الجهاد ، وربما كان هؤلاء العرب من المقيمين أصلا بالمغرب الأقصى أو المتطوعين من افريقية واللدين توجهوا إلى الأندلس للمشاركة في عملية الجهاد ، ويؤكد عملية تطوع العرب في جيش المرابطين ما أورده ابن أبي زرع والسلاوي من اشتراك المتطوعة العرب العرب في جيش المرابطين في سنة ١١٩هم / ١١١٩م و جاز – أي على بن يوسف بن تاشفين سنة ١١٥ه حين شمع بأفعال ابن رذمبر – إلى الأندلس برسم الجهاد وإصلاح أحوال بلادها وضبط ثغورها وهو جوازه الثاني ، فجاز معه خلق كثير من المرابطينوالتطوعين والعرب وزناته والمصامدة وسائر قبائل البربر ١٠٤٠).

العرب الهلالية في عهد الموحدين: اختلف وضع العرب بالمغرب الأقصى في عهد الموحدين عنه في عهد المرابطين ، فبينا لم يظهر لهم نشاط بارز في الحهد المرابطين اللهم إلا الاشتراك في بعض الحملات العسكرية المتجهة إلى الأندلس بهدف الحهاد ، إذ نراهم في عهد الموحدين يظهرون على مسرح ألا الاحداث إما صراعاً ضد الموحدين أو جنوداً لهم في معاركهم الحربية ، الأحداث إما صراعاً ضد الموحدين أو جنوداً لهم في معاركهم الحربية ، وما تخلل ذلك من محاولات نقلهم إلى المغرب الأقصى إما محد السيف وإما بالرغب والعطايا .

⁽۱) د. حسن محمود : تيام دولة المرابطين ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ •

⁽٢) ابن القطان : نظم الجمان ص ٩ ، ١٠ ٠

⁽٣) ابن ابی زرع: الأنيس جـ ٢ من ٨٩ ت الفيلالی ، السلاوی : الاستقصا جـ ٢ من ٦٧٠

وقد بدأت صلة الموحدين بالعرب منذ عهد عبد المؤمن حين أذاع بين الناس نسبه العربي (١) وقد ذكر نسبه المراكتي ١ وعبد المؤمن هذا هو عبد المؤمن بن على بن تملوى الكومى ، أمه حرة كومية أيضاً ، من قوم يقال لهم بنو مجبر ، مولده بضيعة من أعمال تلمسان تعرف بتاجراً ، وقيل أنه كان يقول إذا ذكر كومية : لست منهم وإنما نحن لقيس عيلان بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان ، ولكومية علينا حق الولادة بينهم والمنشأ فيهم وهم الأخوال ، (٢) واتخذ عبد المؤمن ومن جاء بعده من هذا النسب وسيلة لاسمالة العرب الموجودين في افريقية للاشتراك معهم في عمليات الجهاد بالأندلس ، وكانت سياسة الموحدين تقوم على دعامتين :

الأولى : تهجيرهم من افريقية إلى المغرب الأقصى ، وبذلك يتخلص الموحدون من ثوراتهم .

والثانية : استخدامهم فى عمليات الجهاد بالأندلس يوضّع ذلك مانصح به الخليفة عبد المؤمن أبناءه « وينقل من وصاة عبد المؤمن على الرحلة إلى افريقية لبنيه . . وأخل افريقية من العرب وأجلهم إلى بلاد المغرب وادّخرهم لحرب ابن مردنيش ان احتجت لذلك »(٣).

وقد جاء العرب الهلالية إلى المغرب الأقصى نتيجة لعاملين :

العامــل الأول: فهو انهزامهم فى المعارك التى خاضوها ضد الموحدين وما ترتب على ذلك من ترحيلهم إلى المغرب الأقصى ، وكانت أولى هزائمهم أمام الحليفة عبد المؤمن حين توجه إلى المغرب الأوسط وبعد استيلائه على بجاية سنة ٧٤٥ه / ١١٥٢م ، دخل فى معركة مع العرب انتهت بهزيمتهم ونقل نسائهم وأبنائهم إلى مراكش (أ) وكان الصدام الثانى حين توجه إلى افريقية وبعد استيلائه على المهدية دخل فى معركة مع العرب انتهت بهزيمتهم افريقية وبعد استيلائه على المهدية دخل فى معركة مع العرب انتهت بهزيمتهم

⁽۱) البيذق: أخبار المهدى ص ۲۱ ، ۲۲ ، أبن أبى زرع: الأنيس ج ٢ ص ١٢٦ ، ١٢١ ت الفيلالي.

⁽۲) الراكشي : المعجب ص ١٩٦٠ ، ١٩٧ .

⁽٣) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٧٦ .

⁽٤) الميلي : تاريخ الجزائر ج ٢ ص ٢٤ .

سنة ٥٥٥ه ومن ثم نقل مجموعة كبرة من النساء والأولاد إلى العاصمة وعاملهم معاملة حسنة مما دفعت كثيراً من العرب الفارين اللحاق بأسرهم بالعاصمة (۱) يقول النويرى « والتي الحمعان / أى العرب والموحدين واقتتلوا أشد قتال وأعظمه فانجلت المعركة عن هزيمة العرب وذلك فى يوم الحميس عشر من صفر وتركوا أموالهم وأهاليهم وأولادهم ونعمهم فأخذ الموحدون حميع ذلك وعادوا به إلى عبد المؤمن فقسم الأموال فى عسكره ، وترك النساء والأولاد تحت الاحتياط ووكل بهم الحصيان مخلمونهم وأمر بصيانتهم ونقلهم معه إلى مراكش فأنزلهم المساكن الفسيحة وأجرى عليهم النفقات الواسعة »(٢) ويبدو أن أعداد العرب التي رجع بها الحليفة عبدالمؤمن كانت كبيرة حتى أن ابن صاحب الصلاة عبرعن ذلك بقوله « وقد استاق — كانت كبيرة حتى أن ابن صاحب الصلاة عبرعن ذلك بقوله « وقد استاق — أى الحليفة عبد المؤمن — فى اتباعه من العرب من رياح وبنى جشم وبنى عدى من بنى هلال وقبائلهم ما يضيق بهم الفضاء ، على عدد الذباب وعدد الحصى » (٣) وفى رواية أخرى أنه نقل من كل قبيلة ألفا بعياً لامهم وأبنائهم (١٤)

وفى سنة ٤٧٥ه / ١١٧٨م تم ترحيل جماعة من عرب رياح إلى مراكش وذلك بعد انهزامهم أمام الموحدين فى قفصة (٥) حتى إذا أقبلت سنة ١٩٨٦ وذلك بعد انهزامهم أمام الموحدين فى قفصة فى مدينة قفصة ، وتزعم الثورة بنو غانية ، وانضمت إليهم القبائل من جشم ورياح الأثبج مما اضطر معه الحليفة المنصور إلى تجريد حملة كبيرة وخرج على رأسها وأخضع القبائل

⁽۱) البيذق: اخبار المهدى ص ۱۲۰ ، ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن ص ١٤٤ ، النويرى: نهاية الأرب ج ٢٢ مجلد ٢ ص ٩٣ ، الميلى: تاريخ الجزائر ج ٢ ص ٢٤٢ ، د. السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير مدد المنام عمد المعرب الكبير سالم عمد المعرب الكبير الكبير الكبير الكبير الكبير مدد المعرب الكبير الكب

Nevill Barbour. Morocco P: 78.

⁽۲) النویری : نهایة الأرب ج ۲۲ مجلد ۲ ص ۹۳ مخطوط .

⁽٣) ابن ماحب الصلاة: تاريخ المن بالامامة ص ١٤ .

أبى دينار : المؤنس ص ١١٢٠ • (٥) عبد العزيز بنعبد الله : تاريخ المغرب ج ١ ص ١٢٠ •

الثائرة ، ونقل الكثير من العرب إلى المغرب الأقصى سنة ١٩٨٤ م (١) فلما تولى الناصر الموحدى ، صرف جزءاً كبيراً من طاقته وجهده فى فترة زمنية استغرقت ست سنوات منذ سنة ١٩٥٩ هم ١١٩٩ إلى سنة ٢٠٢هـ ٥٠٢١م فى سبيل محاولة القضاء على بنى غانية فى افريقية ومن انضم إليهم من قبائل بنى هلال وقد نجح فى ذلك (٢) وهكذا شغل الموحدون بالمعارك ضد العرب منذ أن تولى عبد المؤمن الحلافة حتى الناصر ، وترجع أهمية تلك المعارك فى أن حموعاً غفيرة من العرب انتقلوا من افريقية والمغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى وأقاموا بالمنطقة .

العامل الثانى: في سبب مجىء الفبائل العربية إلى المغرب الأقصى فهو استدعاء خلفاء الموحدين لهم للاشتراك في عملية الجهاد، ومن ذلك ما فعله الخليفة عبد المؤمن حين عزم على العبور إلى الأندلس فإنه استنفر هم للمشاركة في الجهاد، يقول المراكشي و وقد كان – أي عبد المؤمن — حين أراد العبور إلى جزيرة الأندلس استنفر أهل المغرب عامة فكان فيمن استنفره العرب الذين كانوا ببلاد يحيى بن العزيز – أي مملكة بني حماد بافريقية... فكتب إليهم رسالة يستنفرهم إلى الغزو بجزيرة الأندلس وأمر أن تكتب في الحره أبيات منها:

بنى العم من عليه هلال بن عامر وما جمعت من باسل و ابن باسل تعالوا فقد شدت إلى الغزو نبية عواقبها منصورة بالأوائل(٢)

ومن النص نرى حرص الحليفة عبد المؤمن على تذكيرهم بصلة القربى التي تربطه بهم مع مدحهم بالشجاعة والبسالة أليحتى يستجيبوا لندائه .

وسار على نفس السياسة الحليفة يوسف بن عبد المؤمن في استدعاء

⁽۱) ابن أبى زدع: الأنيس ج ٢ ص ١٥٧ ت الفيلالى ، أبن خلدون: العبر ج ٦ ص ٢١٤٠ ، ابن أبى دينار : المؤنس ص ١١٤ ، عبد العزيز ينعبد الله : تاريخ المغرب ، ج ١ ص ١٢٢ ، الميلى : تاريخ الحزائر ج ٢ ص ٢٤٣ .

⁽۲) ابن مسذاری : البیان المفسرب ج ۶ ص ۱۹۶ الی ص ۲۱۲ تطوان .

⁽٣) المراكشي : المعجب من ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

القبائل العربية وقد تم ذلك فى سنة ٣٦٥ه هين استدعى قبائلهم للمشاركة فى عملية الحهاد(١) يقول ابن خلدون و وخاطب _ أى يوسف بن عبد المؤمن _ العرب بافريقية يستدعيهم إلى الغزو ويحرّضهم وكتب إليهم فى ذلك قصيدة ورسالة مشهورة بين الناس وكان من احافلهم ووقورهم عليه ما هو معروف،(٢)

وأحياناً كانوا يقبلون من أنفسهم طمعاً فى العطاء والأموال التى محصلون عليها من الاشتراك فى المعارك فنى سنة ٢٩٥٨م وفد على الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن أبو سرحان مسعود بن سلطان الرياحى فى جيش عظيم من وجوه رياح برسيم الحدمة (٣) كذلك اشترط العرب على أنفسهم فى سنة ٢٥٥٨ ما ١١٨٣م ، الاشتراك فى الحملة الكبرى التى أعدها الحليفة يوسف بن عبد المؤمن بمائة وثلاثين ألف فارس بين فارس وراجل (٤) وحضر وفد كبر منهم فى سنة ٨٨٥ه / ١١٩٢م من عرب سليم ورياح ووجوه أنجادهم للانضهام إلى جنود الحليفة المنصور الموحدى (١).

وهكذا اشترك عامل الهزيمة وعامل الاستدعاء ورغبهم في الأموال والعطاء في إقبال أعداد كبرة من العرب إلى المغرب الأقصى واقامتهم في أماكن متفرقة من البلاد حيث قام الحليفة عبد المؤمن بتوزيع العرب على مناطق متفرقة من البلاد يقول البيذق و وأقبل إلى المغرب – أى الحليفة عبد المؤمن — مع سادة العرب بأجمعهم وأولادهم وعيالهم فوصل أمر المؤمنين إلى سلاوقسم العرب على البلاد ومشى إلى مراكش ع(١) بل وقام الحليفة بمن عاعات منهم بالأندلس وذلك حين دعاهم إلى الجهاد فعبروا معه إلى الأندلس في سنة ٥٥٥ه / ١١٥٩م ، وأقام الحليفة بجبل الفتح يرتب شئون الأندلس ومن ذلك ترك هماعات من العرب عدن الأندلس (٧).

⁽۱) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ٣٦٨ ، ١١١ ، ١١٧ ، ابن خلدون : المبر ج ٦ ص ٢٣٩ .

⁽٢) ابن خلدون : العبر ج ٦ من ٢٣٩ ٠

⁽٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب جـ ٢ من ١٨٩ ت الفيلالي .

⁽٤) ابن عدارى : البيان الغرب جـ ٤ ص ٦٠ تطوان ٠

⁽٥) ننس الرجع السابق ج ٤ ص ١٥١ ، ١٥٢ تطوان -

⁽٦) البيدَّق : اخبار المهدى ص ١٢٠ ٠

⁽٧) المراكشي : المعجب ص ٢٢٦ ٠

وتابع نفس السياسة أبو يعقوب وأبو يوسف فى تهجير جماعات منهم إلى الأندلس و فبالجزيرة اليوم سنة ٢٢١ هـ من العرب من زغبة ورياح وجشم ابن بكر وغيرهم نحو من خسة آلاف فارس سوى الرجالة ١٥٠٥ وهذا يتفق مع سياسة الموحدين فى محاولة نقلهم من مواطنهم فى افريقية والمغرب الأوسط مع شغلهم بالحرب والجهاد حتى لا يتفرغوا لإحداث فتن بالبلاد .

وفى عام سنة ١٩٥٤ / ١١٨٨م قام المنصور الموحدى بتحديد أماكن معينة لإقامة بعض القبائل العربية كقبائل جشم وبنو رياح من بنى هلال حيث أنزلهم بسهول المغرب المحاذية للمحيط الأطلسى : بنو جشم ببلاد تامسنا ما بين سلا ومراكش وهو أوسط بلاد المغرب الأقصى ، وأنزل بنى رياح من بنى هلال بناحية الغرب فيا بين القصر الكبير وساحل المتوسط (٢) وبذلك يكونون تحت رقابته المستمرة يقول ابن خلدون « فنفاهم – أى المنصور الموحدى – إلى المغرب الأقصى وأنزل جشم بلاد تامسنا ورياحاً ببلاد الهبط وأزغار مما يلى سواحل طنجة إلى سلا » (٣).

وقد أقام هؤلاء العرب بهذه المناطق واستقروا بها ومن ثم كانت عليهم الترامات تجاه الدولة ، ومن هذه الالترامات دفع الضرائب باعتبارهم كغيرهم من المواطنين مع المساهمة بعدد من أبنائهم في الحملات العسكرية التي يقوم بها ولاة الأمر (٤) يقول ابن خلدون « وكان — أي بعض القبائل العربية — موطنهم بسيط تامسنا وكانت للسلطان عليهم عسكرة وجباية » (ه) .

⁽١) المراكشي : المعجب ص ٢٢٦ .

⁽۲) ابن خلاون: العبر جآل ص ۲۱ ، ابن زیدان: اتحاف اعسلام الناس ج ۲ ص ۱۲۸ ، السلاوی: الاستقصا ج ۲ ص ۱۲۸ ، ۱۲۹ ، ابن عبود: تاریخ المغرب ج ۱ ص ۱۵۲ ، حرکات: المغرب عبر القاریخ ص ۲۸۳

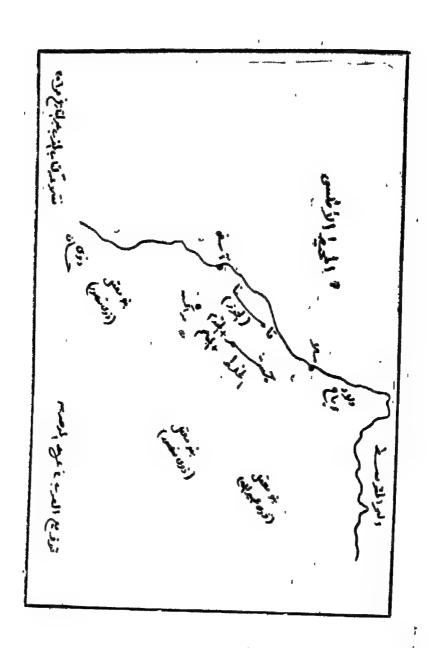
Nevill; A Survey of North West Africa, P; 84.

⁽١) ابن خلدون : العير 'جُ ٦١ صُ ٢١ .

⁽٤) نفس الرجع السابق ج ٦ ص ٣١ ، السلاوى : الاستقصا ج ٢ ص ١٧٠ ،

Julien; Histoire de L'Afrique du Nord P; 112.

⁽٥) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٣١ .



ومن ناحية أخرى فإنهم كانوا يتمتعون بما يتمتع به غيرهم من جند الموحدين فقد أقطعهم ولاة الأمر بعض الأراضي (١) وذلك حتى بهيئوا لهم فرصة للاستقرار وعدم التحرك بالفتنة ، كما كان الخلفاء ينفقون علمهم النفقات الواسعة (٢) ، بالإضافة إلى ذلك كانت توزع عليهم الأموال في الحملات العسكرية المختلفة فحين أمر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بتميير الحند سنة ٥٦٦ه / ١١٧٠م أمر للعرب وروسائهم بالأموال والكساء والعلاج يقول ابن صاحب الصلاة ﴿ وأمر ــ أَى الْحَلَيْفَةُ يُوسُفُ بن عبد المؤمن --للعرب ببركتهم فخرح للفارس الكامل منهم خسة وعشرون ديناراً ، ولغير الكامل خسة عشر ديناراً ، والراجل سبعة دنانبر ، وخرج لأشياخ العرب لكل شيخ منهم خسون ديناراً ، ولكل رئيس منهم على قبيلة ماثتا دينار وكسا جميعهم بالقباطي والقمص والغفاير والعائم وأعطاهم السيوف المحلاة والدروع السابغات والبيض والقنا من الرماح الطوال وأمر لهم بثلاثة آلاف فرس قسموها على قبائلهم وأتباعهم ورجالهم ٣٥) ويلاحظ من أقوال ابن صاحب الصلاة في هذه المناسبة أن الحليفة يوسف بن عبد المؤمن قد فضل جند العرب على جند الموحدين في العطاء فبينها أعطى للفارس الكامل من الموحدين عشرة دنانير ، أعطى نظيره من العرب خسة وعشرين ديناراً ، ولغير السكامل من الموحدين ثمانية دنانبر أعطى نظيره من العرب خسة عشر ديناراً وللراجل من الموحدين خمسة دنانير أعطى نظيره سبعة دنانير (٤) وهذا يشير إلى حرص الموحدين على استمالة العرب وكسبُّ ودهم .

آثار العرب الهلالين في المحتمع المغربي :

كان مجيء قبائل العرب الهلالية إلى المغرب الأقصى ، وإقامتهم بالمنطقة واختلاطهم بالسكان ذا آثار متعددة ، إذ قاموا بنشاط ملحوظ في مجالات المحتمع المختلفة إدارية كانت أم عسكرية أم اقتصادية أم اجتماعية .

⁽١) نفس المرجع السسابق جـ ٦ ص ٤١ ، د. السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكثير ص ٧٩٤ .

⁽۲) النويري : نهاية الأرب ج ۲۲ مجلد ۲ ص ۹۳ ، ابن عداري : البيان المفرب جَدَع من ١٥٢ تطوان . (٣) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ٣٧٠ .

⁽٤) نفس المرجع السابق ص ٤٣٧٠

فني المحال الإداري استعان بهم الحليفة عبد المؤمن بن سي في التأثير على غيرهم من الموحدين في اختيار ابنه محمداً وليا للعهد ، وقد سبق ذلك محاولات ألخليفة عقد صلة مودة بين ابنه محمد المرشح لولاةية العهد وبين زعماء القبائل العربية ، حين قام محمد بإرسال الخطابات إليهم يخبرهم فيها أن من أسر من أبنائهم ونسأتهم تحت الرعاية والصون ، حتى إذا تثبُّت زعماء العرب من ذلك شعروا بالمودة والتقدير لابن الخليفة(١) ، يقول النويري ه وأمر عبد المؤمن ابنه محمد بمكاتبة العرب ويعلمهم أن نساءهم وأولادهم تحت الاحتياط والحفظ والصيانة وأمرهم أن يحشروا لتسليمهم إليهم فلمأ وصل كتابه إليهم سارعوا إلى المسير إلى مراكش فأعطاهم عبد المؤمن نساءهم وأولادهم وأحسن إليهم ووصلهم بالأموال الحزيلة فأسر قلومهم بذلك *(٢) ثم أتبع ذلك بأن دس لزعماء العرب من يأمرهم بمطالبة الحليفة بتولية ابنه عُمداً ولياً للعهد ، ومحاولة الخليفة الامتناع إكراماً لأبي حفص عمر ولكنه رضخ في النهاية وخاصة بعد أن خلع أبو حفص نفسه من ولاية العهد(٣) حتى إذا تم " تولية ابنه محمداً وذلك بفضل مطالبة العرب ومساندتهم ، أرسل الخليفة رسائله إلى أنحاء دولته يعلن فها الخطوات التي تمت ومبايعة ابنه بولاية العهد وقد جاء فها « وكانت هذه العشائر العربية الهلالية والقبائل الشرقية والصهاجية ومن معها من حاضرة وبادية من أهل اقليمها وذوى ألبامها وحلومها يشرون إلى ذلك على انتر احهم، ويعلمون بأنه غاية اقتراحهم ومادة نفوسهم وأرواحهم ولم تزل مخاطباتهم في ذلك تتر دد حيناً بعد حين ورغباتهم تتأكد بما كان عندهم فيه من ثلج ويقمن ، فلما اتفق محمد الله وصولهم في هذه الوفادة . . . صرحوا لأول لقائمهم بمآ أضمروه وأبدوا سرهم المكنون وأظهروه وأعلموا أن محمدآ وفقه الله هو الذي ارتضوه لحمل عبئهم وتخبروه ورغبوا في تقديمه على بلادهم وانفاذه معهم على قصده في توليتهم ومرادهم (٤) وقد ترتب على ذلك الإجراء

⁽١) ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص ١١٠٠

⁽۲) النويرى : نهاية الأرب ج ۲۲ مجلد ۲ ص ۹۳ ٠

⁽۳) النویری: نهایة الارب ج ۲۲ مجلد ۲ ص ۹۳ ، ابن الاثیر:

الكامل ج ٩ ص ٥٠ الميلى : تاريخ الجزائر ج ٢ ص ٢٢٤ ٠ (٤) مجموع رسائل موحدية ص ٥٧ ، ٨٥ ٠

أن صارت خلافة الموحدين محصورة فى أبناء عبد المؤمن يتوارثونها فيم بينهم وكان ذلك بمساندة العرب وتعضيدهم .

حتى إذا كثرت القبائل العربية بالمغرب الأقصى وأصاب الضعف والتخاذل ولاة الأمر من الموحدين ، تدخل العرب فى شئون الدولة وذلك منذ وفاة المستنصر سنة ٦٢٠ ه / ١٢٢٢م وقاموا بعزل وتولية بعض ماوك الموحدين وكان بنو جابر والحلط أكثرهم كيداً للملوك(١).

أما النواحي العسكرية فقد سبق أن أشرت إلى اشتراكهم في جند المرابطين برغبة الحهاد في الأندلس ، فلما قامت دولة الموحدين صاروا يشكلون عنصراً هاماً من عناصر الحيش الموحدي ، وذلك نتيجة حرص الحليفة عبد المؤمن ومن جاء بعده على ضمهم إلى الحيش (٢) يقول البيدق « وجاز الحليفة إلى سلا وقال ليوسف بن سليان ركتب لى العرب، ركتب لى منهم أربعة عشرالفاً وأعطيك البشارة ، فركها حتى تخاطفت العرب على الحليل ودخل عليه يوسف بن سليان بالبشارة » (٣) وأصبح لكل قبيلة قائدها الحاص وذلك لأن للوحدين تركوا القبائل تحارب كل منها كمجموعة ضمن المجموعة الكبرى فيهم للجيش فكانت قيادة القبائل العربية يتولاها رؤساء البيوتات الكبرى فيهم كبي جرمون في قبيلة سفيان وهلال بن حميدان في قبيلة الحلط (٤).

فاذا ما تناولنا النواحى الاقتصادية لوجدنا الآثار المدمرة التى أحدثها القبائل العربية فى افريقية نتيجة لتخريب المدن وحرق المزارع فى هجمات متلاحقة اتلفت التقدم العمرانى الذى كانت تنعم به افريقية (٥) يقول ابن خلدون و واضطرب أمر افريقية وخرب عمرانها وفسدت سابلتها ه(١) ، حتى

⁽١) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٠٦ .

⁽۲) المراكشي : المعجب ص ۲۲۲ ، ابن خلدون : العبر ج <math>7 - 7 - 7 - 7 ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص 7 - 7 - 7 - 7 - 7 - 7

⁽٣) البيذق: أخبار المهدى ص ١٢١ .

⁽٤) حركات : الغرب عبر التآريخ ص ٣٤٣ .

⁽٥) الميلى تاريخ الجزائر ج ٢ ص ١٢٠ ، ريمون غيرون : الصحراء الكبرى من ٧٣ ترجيبة د. جمال الدين الديناصورى سنة ٦٣ ، لويس ارشيبالد : القوى البحرية ص ٣٦٤ ترجية أحمد عيسى .

⁽٦) ابن خلدون : المبر ج ٦٠ ص ١٦ ٠

إذا انتقلوا إلى المغرب الأقصى مارسوا مهنة الرعى التى نشأوا عليها والتى تتفق مع طبيعتهم البدوية حيث أنهم بداة ظواعن يسكنون بيوتاً يستخفونها يوم ظعنهم ويكسبون الحيل لركوبهم والأنعام لحمل أثقالهم والتغذى بألبانها واتخاذ الملابس والأثاث من أوبارها وأصوافها وأشعارها ينتجعون بها الصحراء شتاء والتل صيفاً (۱) فلما نقلهم المنصور الموحدى إلى السهول الأطلسية واستقروا بها ، انصرفوا مع الزمن إلى الفلاحة حتى أن أخصب أراضى البادية على ألحيط الأطلسي حتى الآن بأيدى أعقامهم (۲).

وقد نتج عن إقامتهم بالمنطقة واختلاطهم بسكان البلاد أن تعرّب قسم من سكان البلاد نتيجة للتراوج وصلات القرابة التي تمت على مر الأيام وامتراج السلالتين بالدماء العربية (٣) فإذا ما أخذنا بالرواية التي تقدّر عدد العرب الداخلين إلى الشهال الافريق بما يقرب من ربع مليون عربي (٤) وأن هذا العدد أقام بالبلاد لتبين لنا مدى الأثر الحنسي على السكان الاصليين للبلاد ، وحتى أن سواحل المحيط الأطلسي التي كانت تزدح بالمصامدة شهالا وصنهاجة جنوباً تعرّبت بعض قبائلها كلية كدكالة (٥) وقد ساعد على هذا الاختلاط والامتراج التشابه بين حياة العرب الهلالية وبعض قبائل البربر وخاصة التي تمتهن الرعى منها بالإضافة إلى اتفاقهم في الصفات الحلقية كالشجاعة وعزة النفس وإباء الضيم وحفظ العهد وحسن الحوار وغير ذلك

يضاف إلى التعريب الحنسي أيضاً التعريب اللغوى نتيجة للاختلاط

⁽۱) الميلى : تاريخ الجزائر ج ٢ ص ١٢٣ -

⁽٢) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٨٣٠

⁽٣) عبد العزيز بنعبد الله : تاريخ المغرب ج ١ ص ٣١ ، حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٠ ، د. عبد الحميد يونس : الملالية في التاريخ ص ٧٠ ، ١٧ ، ١٠ ، ١٧ ،

J. Spencer; A. History of Islam in West Africa P; 19. J.D. Fage; An Introduction to the History of West (1)

Africa, P; 13.

⁽٥) حركات : المفرب عبر التاريخ ص ٣٠٧٠

⁽٦) الميلي: تاريخ الجزائر ج ٢ ص ١٢٥٠

والمعايشة اليومية ومن ثم تعلم البربر سكان البلاد الاصليين لغة الوافدين وهي اللعة العربية وانتشرت في أجزاء كثيرة من البلاد . وبذلك ساعد العرب على نشر الثقافة العربية بالمنطقة بعد أن تعلم كثير من أهل البلاد العربية على يد هؤلاء الأعراب (١) .

وعلى الرغم من محاولات خلفاء الموحدين التقرب والتودد إلى العرب تارة بالعطاء والأموال وتارة بالتهديد والحرب والعقاب إلا أن هؤلاء قد أحدثوا بعض القلائل وهم فى ذلك يصدرون عن طبيعة تعشق الحرية المؤدية إلى الفوضى وترفض الانقياد والطاعة مع ميل إلى الشغب وسرعة الإثارة ، ولذا حين استسلموا للخليفة عبد المؤمن ووافقوا على النهوض معه للجهاد بالأندلس نكثوا عهودهم ، يقول الزركشى « وأحضر – أى عبد المؤمن ابن على – أمراء العرب وأحلفهم فى مصحف عمان بن عفان على السمع والطاعة والسير معه إلى الأندلس لقتال العدو فلما ساروا نكثوا أيمانهم » . (٢)

كذلك كانوا يميلون إلى الشغب وإثارة الفتن أما فيا بينهم كما حدث في سنة ٢٩٥٨م حين خرجوا في جيش الحليفة يوسف بن عبد المؤمن للجهاد بالأندلس فانهم اقتتلوا في الطريق يقول ابن صاحب الصلاة « فنرل للجهاد بالأندلس فانهم اقتتلوا في الطريق يقول ابن صاحب الصلاة « فنرل الى يوسف بن عبد المؤمن – في داره المكرمة أيضاً على قرب من القنطرة المذكورة وأمر لكل من الموحدين بيوم من الأيام ، يجوزون فيه حدراً من الزحام ، فتغرق القنطرة المذكورة فأجازوا عليها وتزاح العرب في الإجازة حتى تقاتلوا وقتل واحد منهم الآخر ، فعزموا على الفتنة بينهم فارتفع الحبر إلى أمير المؤمنين فوداه من ماله وسكنت فتنتهم (٣) أو يقتلون مع غيرهم من الموحدين وذلك ما حدث في نفس العام سنة ٢٦هه/ يعمور ذلك ابن صاحب الصلاة « ولما كان في أحد الأيام – وهي تلك الأيام

⁽۱) عبد العزيز بنعبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ج ۱ ص ٢٥٠ حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٤٩ ، رابح بونار : المغرب العربى تاريخه وثقافته ص ٢٨٣ الجزائر سنة ٦٨ .

⁽۲) الزركشى : تاريخ الدولتين ص ٩ .

⁽٣) ابن صاحب الصلاة: تاريخ الن ص ٢٤٣ .

التى خصصها الحليفة يوسف بن عبد المؤمن لاطعام العرب الوافدين منى افريقية لمساعدته سنة ٣٦٥ه . حدث بين صبيان الموحدين الذين يمسكون دوابهم خارج البحيرة وبين أتباع العرب كلام ونزاع ودفاع بهوشة وقعت بين الفريقين أدت إلى اختطاف الثياب واستلاب الحلباب وتحزّب الجهال من الأعراب بالاحزاب . . واتصل الحبر لسيدنا أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين أيدهم الله فأقلقه التعدى في باب سدته ولصق حضرته فأمر برفع الطعام ثلاثة أيام عتباً على العرب بسبب جرأتهم على سوء الأدب (١) وقد انهي هذا النراع باعتذار العرب للخليفة يوسف وقبوله ذلك الاعتذار .

ثم تطور الأمر بالعرب إلى أن صار بعضهم يقطع الطريق على المارة يسلبونهم أموالهم وثيامهم وقد ورد فى ترحمة أبو يلبخت المتصوف والمتوفى بحبل هسكوره سنة ٢٠٢ه / ٢٠٠٥ م على لسانه « قال لى أبو محمد عبد الحق: أتيت مرة من الفحص إلى أهلى فلقيت العرب في طريقي وهم يعيثون في الناس بميناً وشهالا ، وأنا راكب على دابتي فحفظني الله منهم ولم يتعرضوا لى حتى وصلت أهلى ولم أحدث بذلك أحداً ، ثم إنى زرت أبا يلبخت ، فجالست معه نتحدث إلى أن وصلته حماعة من المريدين من أهل تامسنا فقالوا : أردنا أن نستسمى فخرجنا إلى المسجّد الفلاني فجردنا العرب فقال لهم أبو يلبخت : أعرف رجلا من أبناء هسكورة اجتاز بالعرب فلم يتعرضوا له . . ، (٢) ومن هذا النص يتضح محاولات الأعراب سلب المارة ونهيهم، وقد زاد هذا التصرف حين دخلت الدولة في مرحلة الضعف ، وأصبح ولأة الأمر لا يستطيعون كبخ جماحهم حيث كانوا يغيرون على المزارع والقرى الآمنة(٣) وقد أدرك ولأة الأمر طبيعة القبائل العربية وحبها للمغامرة والسلب وما محدثه وجودها بالبلاد من قلاقل وفتن ، ومن ثم صرّح المنصور الموحدي ــ وقد دخل في عهده أعداد كبيرة منهم _ بالندم على إدخال العرب إلى بلاده يقول ابن أبي ذرع والسلاوي لا دخل المنصور إلى قصره ــ و ذلك بعد اتمام بيعة الناصر ــ فلزمه وبدأبه المرض الذي توفي منه ولما اشتد به المرض قال ما ندمت على شيء

⁽١) ابن صاحب الصلاة : تاريخ الن ص ٤٣٣ ، ص ٤٣٤ .

⁽٢) الْتَادلي : التشوف ص ٣٨٩ ٠

⁽٣) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٥٥ .

فعلتِه فى خلافتى إلا على ثلاث وددت أنى لم أفعلها : أولها ادخال العرب من ِ افريقية إلى المغرب لأنى أعلم أنهم أهل فساد . . » (١) .

ج ـ أجناس أخرى

وجدت أقليات صغيرة من السودانيين والروم والصقائية والغز بالمغرب الأقصى منذ قيام دولة المرابطين بجانب سكان البلاد الأصليين من البربر ، وما انضاف إليهم من حموع العرب ، وكان موقع المغرب الأقصى وتوسطه بين السودان في الحنوب والأندلس وأوربا في الشمال أثر في تسهيل عملية انتقال هذه الاقليات إلى المغرب الأقصى ، إما بقصد الاتجار والاستقرار ، وخاصة بعد أن نعمت البلاد بالاستقرار في عهد المرابطين والموحدين ، وأما بالشراء حيث كان ولاة الأمر يشترونهم للاستعانة بهم .

السودانيون :

استخدمهم المرابطون في جيوشهم وتنظياتهم العسكرية وصاروا يكونون فرقة من فرق الحيش (۲) وقد بدأ هذا الإجراء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حين عزم على توطيد سلطانه ودعم نفوذه فاشترى مجموعة من السودانيين بلغوا ألفين ليكونوا حرسه الحاص (۳) ويبدو أن أعدادهم تزايدت وتكاثرت بالمدن المغربية ، حتى أن أمير المسلمين على بن يوسف حين عزم على تجهير حملة كبيرة لمواجهة ابن رذمير بالأندلس فرض على المدن المغربية المختلفة أن مجهزوا عدداً من أبناء السودان بسلاحهم للاشتراك في الحرب يقول ابن القطان و وفي هذه السنة سهم على الحروج إلى بلاد المسلمين أبن تكون حركته التي كانت في سنة عشرين ، فقسط على الرعية فخشي أن تكون حركته التي كانت في سنة عشرين ، فقسط على الرعية

⁽۱) ابن أبى زرع: الانيس ص ١٦٧ طبع حجر ، السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ٢٠٥ .

⁽٢) الميسلى : تاريخ الجزائر ج ٢ ص ٢١٢ ، الجيسلالى : تاريخ الجزائر العام ج ١ ص ٤٠٢ ، حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٢٢ ، د. حسن محمود قيام دولة المرابطين ص ٣٧٨ .

J.F.P. Hopkins; Medieval Muslim, P; 73.

. ١٣ الحلل الموشية ص ١٣ (٣)

سوداناً يغزون فى العساكر ، وكان قسط أهل فاس منها ثلاثمائة غلام من سودانهم بزرقهم وسلاحهم ونفقاتهم ، يخرجون ذلك من أموالهم ففعلوا (١) ومن هذا نستنتج أن عدداً لا بأس به من السودانيين قد تحملته مدينة فاس فضلا عن المدن المغربية الأخرى ، وذلك للمشاركة فى أعمال الجهاد وهذا يؤكد كثرة عددهم وانتشارهم بمدن المغرب الأقصى . كذلك استخدم الموحدون السودانيين فى جيوشهم (٢) .

وبجانب اشتراك السودانيين في الحيش ، فقد كانت نساوهم ماهرات في طبخ الطعام ، ولذا كان سكان المغرب الأقصى يقومون بشرائهن للاستفادة من مهارتهن يقول صاحب كتاب الاستبصار في وصف مدينة أو دغشت ه وبجلب منها سودانيات طباخات عسنات تباع الواحدة بمائة دينار كبار وأزيد ، بحسن عمل الأطعمة ولا سيما أصناف الحلاوات مثل الحوزنيقات والوزينجات والقاهريات والكنافات والقطائف والمشهيات وأصناف الحلاوات فلا يوجد أحدق بصنعتها منهن (٢) يضاف إلى ذلك استخدامهن كجواروذلك لحالمن وإعتدال أجسامهن (٤).

الروم والصقالبة :

عاشت طائفة مهم بأرض المغرب الأقصى ، نتيجة للمعارك التى خاضها, المرابطون والموحدون بالأندلس والتى أسفرت عن كثير من الأسرى, استخدمهم ولاة الأمر فى خدمهم بالمغرب الأقصى وخاصة بالجيش حتى, يستفيدوا من خبرتهم العسكرية فى مقاتلة فرنج الأندلس (٥).

وقد بدأت صلة الروم والصقالبة بالمغرب الأقصى كجاعة فى أوائل عهد المرابطين حين عمد يوسف بن تاشفين إلى شراء حماعة منهم بلغت ماثنين

⁽١) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٠٩ .

J.F.P. Hodkins; Medieval Muslim P; 73. (7)

⁽٣) مجهول الاستبصار ص ٢١٦٠

⁽٤) نفس الرجع السابق ص ٢١٥ .

⁽٥) حركات : المغسرب عبر التاريخ ص ٢٢٣ ، الجيلالي : تاريخ الجزائر ج ١ ص ٤٠٧) د . حسن محبود : تيسام دولة المسرابطين ص الجزائر ج ١ ص ٤٠٧) د . حسن محبود : تيسام دولة المسرابطين ص

وخمسن فارساً ليكونوا حرساً خاصاً له (١) ثم زادت أعدادهم بعد ذلك نتيجة للمعارك ، ويبدو أن يوسف بن تاشفين اتخذ منهم الحواري والإماء حتى أن إحداهن صارت أم ولده وولى عهده على بن يوسف بن تاشفين يقول ابن أبي زرع في التعريف بأمير المسلمين على بن يوسف ابن تاشفين « كنيتة : أبو الحسن ، أمه أم ولد رومية ، التمها قمر وتكني أم الحسن » (٢) .

حتى إذا تولى على بن يوسف بن تاشفين توسع فى استخدام الروم مما دفع ابن عدارى إلى القول بأن على بن يوسف هو أول من استعملهم يقول ابن عدارى و وو _ أى على بن يوسف بن تاشفين ــ أول من استعمل الروم وأركبهم في المغرب وجعلهم محقدون على المسلمين في معامرتهم ، ويأخلون منهم في نفقاتهم وأكثر ما بجب عليهم ٥(٣) وقد سبق أن أشرت إلى استخدام يوسف بن تاشفين للروم كحرس خاص له ، وربما كان ابن عذارى يقصد التوسع فى استخدامهم وليس هو البادىء فى ذلك .

ولم يصبح استخدامهم قاصراً على الحراسة والعمل بالحيش وإنما تعدى ذاك إلى الوظائف المدنية حن استخدمهم أمر المسلمين على بن يوسف في جياية الأموال يقول ابن الأثَّىر ﴿ وَكَانَ لأُمَرُّ المُسلِّمِينَ ﴿ أَي عَلَى بن يُوسَّفُ ابن تاشفين ــ عدة كثيرة من الماليك الفرنج والروم ، يغلب على ألوانهم الشقرة وكانوا يصعدون الحبل في كل عام مرة ويأخذون مالهم فيه من الأموال المقررة من جهة السلطان ، (٤) .

وقد دخل الصقالبة في خدمة خلفاء الموحدين وقد أشار ابن القاضي في ترجمته لأبي محمد يشكر بن موسى الحراوى خطيب مسحد فاس والمتوفى سنة ٥٩٨ه / ١٢٠١م ٥ أن أحد عمال الموحدين كتب لمراكش أن أبا محمد يشكر لا يدعو للخليفة فوصله ذاك . . فبعث من حينه بأن يشخص إليه وكان من الواقفين بين يديه أحد الصقالبة وبيده آلة من الحديد فأخذها من يده

⁽١) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ١٣٠.

⁽۲) ابن ابی زرع: الاتیس ج ۲ ص ۷۸ ت النیلالی . (۳) ابن عذاری: البیان المغرب ج ٤ ص ۱۰۳ ، ۱۰۳ ت د.احسات

⁽٤) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٢٩٦

وقال لمن حضر بهذا أقتله . . »(١) كما أن المنصور الموحدي قام في سنة ١١٩٠ / ١١٩٠ م بتغريب أهل قصر أبي دانس من غرب الأندلس إلى مراكش وهم ينتهون إلى الروم والصقالبة وغير ذلك من سكان البلاد ، يقول الحميرى ﴿ ثُمْ تحرك – أى النصور الوحدى حين بلغه سقوط شلب سنة ٥٨٥ ه في يد الروم فجهز الحيوش وعبر إلى الأندلس سنة ٨٦هـ من أشبيلية إلى قصر أبي دانس من غرب الأندلس فنراوا على حكمه فاحتملهم إلى م اکش ۱ (۲).

الغز :

وهم جنس من الترك بلادهم في أقصى المشرق على تخوم الصين (٣) وذله استعان بهم المرابطون في جيوشهم (٤) حتى إذا قامت دولة الموحدين أقلت طائفة منهم إلى المغرب الأقصى (٥) يقول المراكشي ﴿ وَفِي أَيَامُ أَنَّى يَعْقُوبُ وَرَدَّ علينا المغرب أول من وردها من الغزو ذلك في آخر سنة ٧٤ ــ أي سنة ٧٤هـ علينا المغرب وما زالوا يكثرون عندنا إلى آخر أيام أبي يوسف ٦٠٣) .

حتى إذا تولى المنصور الموحدى زادت طائفتهم وخاصة بعد المعارك التى دارت بنن الموحدين وبنن الثوار بافريقية وانضهام الغز للثوار ووقوعهم في الأسر نتيجة هزيمتهم ونقلهم إلى العاصمة مراكش(٧) وقد كان هناك مايميزهم عن سكان البلاد إذ كانوا يضفّرون شعورهم كالنساء^(٨) .

⁽۱) ابن القاضى : جذوة الانتباس ص ۳۳ . (۲) الحسيرى : صفة جزيرة الاندلس ص ۱۰۷ .

⁽٣) الراكشي : العجب من ٢٢٨ عاشية .

⁽٤) ابن آبى زرع: الأنيس ج ٢ ص ٤٠ ت النيلالى ، حركات: المغرب عبر التاريخ ص ٢٢٣ ،

J,F.P. Hopkins; Medieval Muslim, P; 73. (٥) الراكشي : المعجب ص ٢٥٦ ، حركات : المغرب عبر التاريخ ص ۴٤٩ ک

Budgett Meakins; The Moorish Empire, P; 76.

⁽٦) المراكشي: المعجب ص ٢٥٦٠

⁽٧) ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ١٧١ ، ١٧٢ ، ملين : عصر المنصور الموحدي ص ۲۱۱ ، ۱۲۲ ، ۱۲۹ .

⁽٨) التادلي: التشوف ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

⁽٩) الراكشي : المعجب ص ٢٨٩ ٠

وقد انضم هؤلاء الغز إلى جيش الموحدين وصارت لهم الأ-والمرتبات الشهرية ، وقد تميرُوا عن غيرهم من جنود الموحدين المراكشي « فأحسن نزلهم - أي أحسن المنصور الموحدي نزل الماليك ال وبالغ في تكرمتهم وجعل لهم مزية ظاهرة على الموحدين وذلك أن المو-يأخذون الحامكية ثلاث مرات في كل سنة ، في كل أربعة أشهر م وجامكية ألغز مستمرة في كل شهر لا تختل »(١)وقد علل المنصور المو. ذلك « بأن هؤلاء غرباء لا شيء لهم في البلاد يرجعون إليه سوى هذه الحا والموحدون لهم الأقطاع المتأصلة (٢) » ولم يكتف المنصور بإعطائهم المر بل وأقطع يعضهم بعض الإقطاعات « أقطع رجلا منهم فيا أعرف من أربل يعرف بأحمد الحاجب ، مواضع ليسَ لأحد من قرابته مثلها ، و شعبان المذكور بالأندلس قرى كثيرة تغل في كل سنة نحو من تسعة آ دينار (٣) ، .

وهكذا تمتع الغز في عهد المنصور الموحدي بعدة مزايا مالية انضهامهم للجيش الموحدي ، ولم ينس المنصور الموحدي أن يوصي وفاته بالاستمرار في معاملة الغز معاملة طيبة ، يقول ابن عذاري « ثم ة أى المنصور الموحدي في مرض وفاته ــ رضي الله عنه وهؤلاء الأ أمرتا لهم سهذه العركة يأخذونها فاتركوها على ما رتبنا وربطنا ٣(٤).

عدد السكان:

لم تهتم المراجع بذكر عدد السكان بالمغرب الأقصى وإن كانت تش أن عدد السَّكان كان كبر أ(٥) وقد أشارت بعض المراجع إلى أن عدد الـ بالعاصمة مراكش في عهد على بن يوسف كان قريباً من المليون (١) ر

⁽١) الراكثي: العجب ص ٢٨٩٠.

⁽٢) نفس ألرجع السابق ص ٢٨٩٠

⁽۳) نفس المرجع السابق ص ۲۸۹ ، ۲۹۰ . (۶) ابن عداری ، البیان المغرب ج ٤ ص ۱۸۷ تطوان .

⁽٥) الْجَزْنَائِي : رُهْرُةُ الأس ص ٢٩ ، عبد العزيز بنعبد الله : الحضارة المغربية ج اص ١٠٤ ، عبد العزيز بنعبد الله : وحدة الم العربي من ٥٩ مجلة تطوان عدد ١ سنة ٥٦ .

^{1.} Jackson; Algiers, P; 81.

⁽٦) د، شعيرة: المرابطون من ٦٨

طابع المبالغة على هذا الرقم ، وهناك رواية أخرى تقول أن عددهم فى نفس العهد بالعاصمة بلغ مائة ألف نسمة (١).

ولا شك أن الاستقرار والازدهار الاقتصادى ساعدا على نمو العدد السكانى بالبلاد وحتى أن العاصمة مراكش فى عهد الخليفة عبد المؤمن احتوت مائة قبيلة (٢) وقد استطاع الخليفة عبد المؤمن أن يجمع فى سهول سلا ثلاثمائة ألف من المقاتلين مهدف الحهاد (٣).

إلا أن هذه الضخامة في عدد السكان واجهت تناقصاً ملحوظاً نتيجة للمعارك والمذابح التي شهدتها البلاد وخاصة في فترة الانتقال بين دولة المرابطين ودولة الموحدين حيث أسرف الموحدون في سفك الدماء رغبة في دعم سلطتهم وهيبتهم في النفوس. وقد أظهر الخليفة عبد المؤمن بن على قسوة بالغة في اقتحامه لمدن المغرب الأقصى ، فحن حاصر مدينة فاس ودخلها عنوة أعمل السيف في رقاب أهلها وقتل منهم عدداً كبيراً (٤) ، ونفس المصر واجهته مدينة مراكش عند حصار الموحدين لها ، إذ قاسى أهلها ضراوة الحصار ومات منهم عدد كبير جوعاً (٥) . حتى إذا استسلمت المدينة أعمل عبد المؤمن سيفه فيمن بتى من أهلها (١) وبذلك مات كثير من سكان العاصمة نتيجة للمعارك الدموية التي حدثت عند استيلاء عبد المؤمن علها .

وكما اتخذ ابن تومرت عملية التميير في القضاء على كل معارض ومتشكك في دعوته فإن الحليفة عبد المؤمن عمد إلى طريقة مشابهة ، واستغل غدر أهل مكناسة ببعض اوحدين وكتب صحفاً بأسماء القبائل المختلفة ومن فيها من المنافقين وأمركل قبيلة أن تتخلص من المنافقين بنفسها يقول البيذق بعد أن ذكر حادثة غدر

⁽١) عبد العزيز بنعبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ج ١ ص ١٠٤٠

S.P. Scott: History of Moorish Empire, A.2 P; 279 (1)

⁽٣) عبد العزيز بنعبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ج ١ ص ١٠٤٠

⁽٤) النويري : نهاية الأرب ج ٢٢ مجلد ٢ ص ٨٩٠٠

⁽٥) ابن المُطيب : الحلُّل المُوشية ص ١٠٣ ٠

⁽٦) أبن دحصة : المطرب من ٣١ ، النويرى : نهاية الأرب ج ٢٢ مجلد ٢ ص ٩٠ ، عباس المراكشي : الاعلام ، ج ١ ص ٢٣٠ ، ابن الخطيب: الاحاطة المجلد الاول ص ١٩٢ س عنان ،

S.P. Scott; History of Moorish Empire, V.2. P; 279.

أهل مكناسة و فخرج الحليفة للموحدين وعمل لهم المجلس ووعظهم وقال لهم الشارب إذا منع اللبن والماء ما جزاؤه فقالوا له يقصص قال أحسنم فيا قلتم ثم دخل الحليفة وكتب الحرائد لهم بالوعظ والاعتراف وقسمها لأشياخ الموحدين وأمرهم بالسيف ، فبدأ بهم من باب مراكش وأعطى جريدة لأيوب آكدم ، ويحيي بن كروط وضها هزميرة إلى رباطهم وقتلا مهم خسمائة من أهل التخليط . . ه (١) وقد قمت محصر عدد من قتل من القبائل تنفيذاً لهذه الحطة فوجدت عددهم يقرب من ١٠٠٠ ثلاث وعشرين ألف نسمة (٢) وهذا رقم مبالغ فيه وذلك بالرغم من أن راوى الحبر هو البيذق التلميذ المخلص لابن تومرت وأحد أنصار الدعوة الموحدية المقربين من الحليفة عبد المؤمن ، إذ من الصعب أن تتخلص القبائل من مثل هذه الأعداد الغفيرة وخاصة أن الدولة في مرحلة التمكين والدعم .

وهكذا أحدثت المعارك بالمغرب الأقصى ، ومعاقبة الخليفة عبد المؤمن لبعض القبائل فضلا عن الحنود الذين اشتركوا فى معارك الأندلس وافريقية وقتلوا ؛ أثرها فى نقص عدد السكان .

⁽١) البيدق: أخبار المهدى ص ١١٠ .

⁽٢) نفس المرجع السابق من ١١٠ .

الفصل المنانى طبقات المنانى طبقات المجتمع وطوائفه

شهد مجتمع المغرب الأقصى منذ منتصف القرن الحامس وحتى نهاية القرن السادس من الهجرة تنوعاً في طبقاته وطوائفه نتيجة للظروف السياسية والانجاهات الدينية والثقافية التي مرت بها المنطقة ، يضاف إلى ذلك تنوع نشاط السكان مما أسفر عنه تعدداً في أصحاب المهن والحرف التي قامت بهذا النشاط ، وكانت طبقات المحتمع تتكون من طبقة حاكمة لها السيادة والسيطرة على البلاد ، وطبقة الفقهاء والعلماء والقضاة والتي احتلت مكانة ظاهرة في المحتمع المغربي ، ثم طائفة التجار والصناع وأصحاب المهن ، وبجانب ذلك كانت هناك المرأة المغربية ونشاطها الملحوظ في المحتمع وأخبراً أهل الذمة .

١ ــ الطبقة الحاكمة

تناولت في الفصول السابقة كيف أن السلطة في دولة المرابطين انحصرت في يوسف بن تاشفين وبنيه من بعده وأن السلطة في دولة الموحدين انحصرت في عبد المؤمن وأبنائه من بعده ، ومن هنا أصبحت الأسرتان تتمتعان بمكان السيادة والرئاسة في المحتمع المغربي ، وكان بعض الوزراء وهم أعضاء في السلطة الحاكمة ينتمون إلى ولاة الأمر ، وذلك ما فعله يوسف بن تاشفين حين اتخذ سير بن أبي بكر وزيرا له (١) يضاف إليهم وزراء من قبيلة لمتونة ، وأصبحت قبيلة لمتونة تتمتع بمكانه مرموقة حيث أن الطبقة الحاكمة في البلاد تنتمي إليها ، وصارت لها الزعامة على غيرها من القبائل (٢) وقد شارك قبيلة لمتونة هذه المكانة بقية قبائل صهاجة والتي على أكتافها قامت دولة المرابطين وأهمها جدالة ومسوفة ولمطة ، وقد أشار إلى الامتياز الطبق الذي تمتعت به القبائل الحمالة ومسوفة ولمطة ، وقد أشار إلى الامتياز الطبق الذي تمتعت به القبائل الحمالة أبي المحراء للمتونة ومسوفة وجدالة وغيرهم يعلمهم بما فتح الله عليه من ملك المغرب وطاعة أهله ويؤكد عليهم في القدوم قوفد إليه مهم المتونة وعليه من ملك المغرب وطاعة أهله ويؤكد عليهم في القدوم قوفد إليه مهم المتونة وعسوفة وجدالة وغيرهم يعلمهم مما فتح

⁽١) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ١٢٠

⁽٢) أبن أبي دينار : المؤنس ص ١٠١٠

جموع كثيرة ولا هم الأعمال . وصرف أعيانهم فى مهمات الأشغال فاكتسبوا الأموال وملكوا رقاب الرجال وكثروا بكل مكان وساعدهم الوقت والزمان وكثرت جموعهم وتوفيرت عساكرهم (١)» .

ولم يكن هذا الوضع الطبق المتمير قاصراً على العاصمة وإنما تعداه إلى بقية مدن المغرب الأقصى وذلك حين عمد ولاة الأمر بالعاصمة إلى تعين أبنائهم بأقاليم الدولة المختلفة ، وبذلك تمتع أبناء الاسرة بوضع السيادة في المدن المغربية ، وقد تأكد ذلك حين عمد يوسف بن تاشفين إلى توزيع أقاليم المغرب على بنيه وأمراء قومه ، يقول ابن خلدون (ثم اقتسم – أى يوسف ابن تاشفين – المغرب عمالات على بنيه وأمراء قومه و ذويه ، (٢) .

واتبتع الموحدون نفس السياسة حيث أستأثر بنو عبد المؤمن بالحلافة وشغل بعض أفراد الأسرة منصب الوزارة . فقد اتخذ عبد المؤمن ابنه عمر وزيرآ له (٣) وسار على نهجه أبناؤه الحلفاء في اتخاذ وزراء من أسرة الحلافة وقد سبق أن أشرت إلى ذلك .

كما أن قبيلة كومية – وهى القبيلة التى ينتسب إليها الحليفة عبد المؤمن بعد انتقالها من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى صارت بطانة للخليفة يعتر بأبنائها ويقومون على حراسته والمشى بين يديه (٤) وأصبحت من أعظم قبائل الموحدين واحتلت مكان الصدارة وذلك لانتاء ولاة الأمر لها (٥) وقد أشار المراكشي إلى ماضي القبيلة ثم حاضرها في ظل خلافة عبد المؤمن بقوله ه ثم قبيلة عبد المؤمن تسمى كومية وهي قبيلة كثيرة العدد حمة الشعوب لم يكن لها في قديم الدهر ولا في حديثه ذكر في رياسة ولا حظ من نباهة ، إنما كانوا أصحاب فلاحة ورعاة غم وأصحاب أسواق يبيعون فيها اللبن والحطب وسوى ذلك من سقط المتاع فتبارك المعن المذل المعطى المانع ، فأصبح القوم وليس ذلك من سقط المتاع فتبارك المعن المغل المانع ، فأصبح القوم وليس

⁽١) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ٢٠٠

⁽٢) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ١٨٥ .

⁽٣) ابن صاحب الصلاه : تاريخ الن ص ٢٢٤ ، الراكشي : المجبع ص ١٩٨ .

⁽٤) ابن أبى زرع: الأنيس جـ ٢ ص ١٦٦ ت الفيلالي .

⁽٥) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ١٢٦ .

فوقهم أحد ببلاد المغرب ولا تطاول أيديهم يدبكون عبد المؤمن منهم ه(١) وقد اتخذ عبد المؤمن منهم وزيراً له هو عبد السلام بن محمد الكومى(٢) وكذلك الخليفة يوسف بن عبد المؤمن اتخذ له وزيراً من كومية هو أبوبكر ابن يوسف الكومى(٣). وهكذا كانت قبيلة الخلافة لها مكانتها في مجتمع المغرب الأقصى.

طبقة الطلبة : وهى طبقة مستحدثة فى دولة الموحدين ولم تكن موجودة من قبل فى الدولة المرابطية ، وقد اختلف مدلول كلمة الطلبة فى عهد ابن تومرت فنى بدء الدعوة كان يسمى أصحابه : الطلبة وباقى الداخلين فى دعوته بالموحدين (٤) يقول ابن خلدون « ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدى وكان لقبه قبلها الإمام وكان يسمى أصحابه الطلبة وأهل دعوته الموحدين »(٥) ومن هذا النص نستخلص أن لفظ الطلبة قد أطلق على أصحابه الذين سارعوا عبيعته والالتفاف حوله ومؤازرته ، ومن هنا صاروا يتميزون عن غيرهم ، كما أن لفظ الطلبة يوحى بأنهم فى مرحلة التلقى من أستاذهم ابن تومرت حيث قام بتعليمهم وتلقينهم مبادىء الدعوة الحديدة .

حتى إذا انتشرت الدعوة وكثر أفرادها وبايعوه على أنه المهدى عمد ابن تومرت إلى تقسيم أصحابه وأتباعه إلى طبقات متميرة وصار فى مقدمة الطبقات : العشرة ويعنى بهم أهل الحاعة ، ثم أهل خسين ثم أهل سبعين ثم الطلبة ثم الحفاظ وهم صغار الطلبة (١) ثم تأتى بعد ذلك بقية الطبقات وقد سبق الإشارة إليها ومن هذا التقسيم نستخلص أن جماعة العشرة وهم أصحاب ابن تومرت وأقرب الناس إليه كانوا بالأمس يطلق علهم لفظ طلبة أما فى

⁽۱) الراكشي: المعجب ص ۳۲۹ ٠

⁽٢) البيدَق : اخبار المهدى ص ١٢٠ ، ابن القطان : نظم الجبان ص ١٧٣ .

⁽۳) ابن عذاری : البیان المغرب ج ٤ ص ٧٣ تطوان ٠

⁽٤) عباس المراكشي : الاعلام جـ ٢ ص ٣٦٧ ، السلاوي : الاستقصا - ٢ ص ٨٦ .

⁽a) ابن خلدون : العبر جـ ٢ ص ٢٢٨ ٠

⁽٦) ابن القطان : نظم الجمان ص ٢٨ ، ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ٧٩ .

التقسيم الطبقى الحديد فصاروا أهل الجماعة ، وصار لفظ الطلبة يطلق على الطبقة الرابعة والخامسة أى بعد المجلسين الاستشاريين وهما مجلساً الخمسين والسبعين.

وقد حدد ابن تومرت اختصاصات كل طبقة وصار الطلبة والحفاظ يكونون هيئة الدعاة بالنسبة للدعوة الموحدية حيث الهم ابن تومرت بتعليمهم وتربيتهم وإعدادهم لحمل مسئولية نشر الدعوة بين القبائل المختلفة ومن هنا كان دور الطلبة هو تلتى العلم والمبادئ التى ينادى بها ابن تومرت (١) وبتث هذه التعاليم بين سكان المغرب الأقصى .

حتى إذا تولى الحليفة عبد المؤمن بن على صار الطلبة يشكلون طبقة متميرة تحظى باهمام خلفاء الموحدين ورعايتهم وصارت كلمة طلبة تطلق على ثلاث فئات لكل فئة وظيفتها ودورها.

الطلبة الحفاظ: وهم الذين جمعهم الحليفة عبد المؤمن بن على من مختلف القبائل وأنشأ لهم مدرسة خاصة بمراكش لتعليمهم وتثقيفهم بالعلوم الدينية وأسس الدعوة الموحدية مع تدريبهم على فنون القتال ، والشئون الإدارية وكان عددهم ثلاثة آلاف طالب(٢) ، حتى إذا أتم هؤلاء الحفاظ دراساتهم إو تدريباتهم وزعهم على الوظائف الإدارية بالدولة ، وكان الهدف من ذلك هو القضاء على نفوذ أشياخ الموحدين الذى استفحل في عهده، وولى عبدالمؤمن بعضهم أقاليم الدولة فقد ولتى أحد الحفاظ وهو عبد الحق بن علناس الكومى مدينة سوسة (٣) كما عين على مدينة صفاقس أحد الحفاظ من الموحدين (٤) وهم بهذه الصفة يتصلون بالطبقة الحاكمة حيث أنهم شغلوا بعض الوظائف الإدارية في الدولة .

⁽۱) ابن الخطيب: رقم الحلل ص ٥٧ ، ابن عبود: تاريخ المفسرب ج ١ ص ١٢٨ حركات: المغرب عبر التاريخ ص ٣٢٩ ،

⁽۲) الغويرى : نهاية الأرب ج ۲۲ مجلد ۲ ص ۹۳ ، ابن الخطيب:
۱۱ ، الجيلالى : تاريخ الجزائر ج ۲ ص ۱۱۶ ، الحلل الموشية من ۱۱۶ ، الجيلالى : تاريخ الجزائر ج ۲ ص ۱۱۶ .

J.F.P. Hopkins : Medieval Muslim, P; 107.

⁽٣) أبو عبد الله مُحمد بن محمد ؛ الطل السندسية في الاخبار التونسية

ص ١١٧ ، ابن سعيد ؛ نزهة الانظار جر ١ ص ١٩٧ ،

⁽٤) ابن سميد: نزهة الانظار جد ١ من ١٩٦٠

طلبة الموحدين وهم طلبة المصامدة (١) : والمشتغلون بالدعوة دراسة وفهما وحفظا ثم قيامهم بعد ذلك بالدعوة في مختلف أقاليم الدولة وبمكننا أن نسمهم رجال الدعوة وقد أوضحت وظيفتهم تلك الرسالة التي أرسلها الخليفة عبد المؤمن إلى طلبة مجاية سنة ٥٦٦ هـ/١١٧م وجاء فيها ﴿ ولتقدمُوا طلبة أمناء من قبلكم يعلمون الناس قراءة توحيدهم وحفظه وحَفظ أم القرآن وما تيسر معها من السور ويأخذونهم بمداومة ذلك ومعاهدته وحفظة . . . وليكن حميع ما تأتونه وتدرونه وتقدمونه في هذا المقصد وتؤخرونه جارياً على حكم الإمام المعصوم والمهدى المعلوم رضى الله عنه مستندآ إليسه ، ففعله هو الذي نقتدي به ونستمسك بسببه ونمضيه على وجهه ونجريه على ر شمه ۱۱ (۲)

وكانت الرسائل الصادرة من السلطة الحاكمة إلى مدن المغرب والأندلس تضع الطلبة في مقدمة من تخاطبهم ومن ذلك الرسالة الأولى وهي موجهة إلى طلبة سبتة ومن فيها من الموحدين (٣) . والرسالة الثالثة موجهة إلى الطلبة الذين بصنهاجة تاسغرت والمشيخة والأعيان(١) والرسالة الخامسة موجهة إلى طلبة سبتة ومن معهم (٥) وهكذا معظم الرسائل التي صدرت عن الحلافة كانت أول ما تخاطب فئة الطلبة وهنا يقصد بهم الطلبة الحفاظ الذين يشغلون وظائف إدارية ومعهم طلبة الموحدين الذين يشرفون على شئون الدعوة ونشرها .

طلبة الحضر : وهم المشتغلون بالعلم والذين يحضرون إلى العاصمة باستدعاء من ولاة الأمر وقد أشار إلى ذلك المراكشي بقوله ﴿ وقد جرت عادتهم – أى عادة الموحدين ــ بالكتب إلى البلاد واستجلاب العلماء إلى حضرتهم من أهل كل فن وخاصة أهل علمالنظر وسموهم طلبة الحضر فهم يكثرون أفي بعض الأوقات ويقلون » (٦)و هؤلاء الطلبة سوأء طلبة الموحدين أو طلبة الحضر

⁽١) المراكشي: المعجب ص ٢٠١ •

مجموع رسائل موحديه ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

نفس الرجع السابق ص ١ ٠

⁽٤) نفس الرجع السابق ص ٥ · (٥) نفس الرجع السابق ص ١٠ ·

⁽٦) المراكشي : المعجب س ٣٤٢ .

كانوا يحضرون المجالس العامة أو الخاصة التي يحضرها الحليفة (١).

وصارت طبقة الطلبة تتمتع بامتيازات مالية إذا كانت تصرف لهم المرتبات والأعطيات من خزانة الدولة (٢) ، وحين أحس الحليفة عبد المؤمن بانخفاض المستوى المادى لفئة الطلبة أمر بإقراضهم الأموال حتى يظلوا فى مستوى مادى لائق بهم يقول ابن القطان « ومنها أنه - أى عبد المؤمن بن على أحس بضعف طلبة أهل مجلسه المكرم من طلبة الحضر منهم أبو محمد المالقي وغيره ، فقال لأشياخ الموحدين أعزهم الله تعدالى : هؤلاء طلبة غرباء ضعفاء والإقلال عليهم ظاهر فنرى أن ندفع إليهم ما لا نقارضهم فيه ، ويتجرون به ويردون السلف لنا ، فقالوا نعم فأسلفهم من مال المخزن ألف دينار لكل واحد منهم ، فاكتسبوا منها وكانت أصل غناهم ولم يأخذها منهم دينار لكل واحد منهم ، فاكتسبوا منها وكانت أصل غناهم ولم يأخذها منهم ولاة الأمر بهم .

وهذا المستوى المادى والرعاية التى نالها الطلبة ، قد احفظت كثيراً من الموحدين عليهم ، وجعلهم ينقمون عليهم هذه المنرلة مما جعل المنصور الموحدين ، يصور ذلك المراكشي الموحدين يدافع عنهم ، وموجها حديثه إلى الموحدين ، يصور ذلك المراكشي بقوله لا ونال عنده أى عند المنصور الموحدي — طلبة العلم ما لم ينالوا في أيام أبيه وجده وانتهى أمره معهم إلى أن قال يوماً محضرة كافة الموحدين يسمعهم وقد بلغه حسدهم للطلبة على موضعهم منه وتقريبه إياهم وخلوته بهم دونهم — يا معشر الموحدين ، أنتم قبائل فن نابه منكم أمر فزع إلى قبيلته وهؤلاء يدى يا معشر الموحدين ، أنتم قبائل فن نابه منكم أمر فزع إلى قبيلته وهؤلاء يدى الطلبة لا قبيل لهم إلا أنا فهما بابهم أمر فأنا ملجؤهم وإلى فزعهم وإلى ينته ون عظم منذ ذلك اليوم أمرهم وبالغ الموحدون في برهم وإكرامهم » (٤) . ولم ينس الحليفة المنصور أن يوصى بهم قبيل وفاته حين قال في مرض وفاته ينس الحليفة المنصور أن يوصى بهم قبيل وفاته حين قال في مرض وفاته

⁽١) نفس المرجع السابق ص ٣٤٢.

⁽٢) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ٢٨٦ ، البيذق : اخبار المهدى ص ١٨٨ عنان :عصر المرابطين والموحدين القسم الاول ص ٤٠٣ .

⁽٣) ابن القطان: نظم الجمان ص ١٣٧٠

⁽٤) المراكشي : المعبّ من ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

و هؤلاء الطلبة يعني السادات إن أمكنكم ألا تصرفوا أحداً منهم فهو الأختى لهم ولكم » ^(۱) .

ويتصل بهذه الطبقة منصب شيخ الطلبة الذي احتل مكاناً بارزاً في عهد خلفاء الموحدين وهو المتحدَّدث في مجالس الحلفاء ، والمتحدث بلسان الطلبة أمام الخلفاء المدافع عن حقوقهم وقد أشار ابن صاحب الصلاة في ترحمته لأنى الحسن الأشبيلي شيخ طلبة الحضر إلى هذه المهام حن قال و الفقيه الخطيب أبو الحسن بن الأشبيلي شيخ طلبة الحضر ، هو الحطيب المصقع بن يدى الخليفة . . . عند حضور الوفود . . فصار عند الخليفة في العلوم والمذاكرة أول داخل وآخر خارج . . . فإذا خرج منه تذاكر مع طلبة الحضر بما وعي من الخليفة من علم المهدى وبيّن لهم ما ناله من العلم النبوى . . . ووصل لحميع غرباء الناس بخبراته ، يوصل عنهم كل خير ، ويدفع عنهم كل ضير يشفع فيهم عند الأمر العالى فيشفع ويتكلم فيصغى لكلامه ويستمع ١٤٠٠.

وصار شيخ الطلبة في مستوى الوزراء لعلو شأنه ومكانته فني مرض الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في سنة ٥٦٥ه / ١١٦٩م لم يكن يدخل عَلَى الخليفة سوى الأطباء ووزيره أبو العلاء أدريس والفقيه أبو محمد عبد الله المالتي شيخ طلبة الحضر وقد علم ذلك ابن صاحبالصلاة بأنه كان في مرتبة وزير « وكذلك يدخل معهم أي مع الأطباء والوزير – أبو محمد عبد الله المالتي إذ كان عنده في مسلاخ ـ يعني في رتبة ـ وزير وأمن بتشيخه عَلى طلبة الحضر ٥ (٣).

و نتيجة لهذه المنزلة لدى ولاة الأمر فإنه نال دنيا عريضة وأصبح ذاأموال كثيرة ﴿ الله عضرته الوفاة أسرع الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في حضور. إجنازته يقول ابن أبي زرع « وفي سنة ثلاث وسبعين وخسمائة توفي الفقيه العالم أبو محمد عبد الله إبن المالتي شيخ طلبة الحضر في وقته وكانت في ذي

⁽١) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ١٨٦ ، ١٨٦ تطوان .

⁽٢) أبن صاحب الصلاة : تاريخ الن بالامامة ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

⁽٣) نفس المصدر السابق ص ٤١٠ . (٤) ابن المؤتت : السسعادة الأبدية ج ٢ ص ١٢٥ ، ١٢١ ، بلجا التنبكتي : نيل الابتهاج ص ١٣٤ ط ١ سنة ١٣٥١ مصر ٠

الحُنجة منها وشهد جنازته أمير المؤمنين يوسف» (١) وأيضاً أبو جعفر أحمد ابن عتيق المعروف بابن الذهبي صار ذا منزلة ومكانة بعد توليه رئاسة الطلبة (٢).

وهكذا كان الطلبة طبقة متميزة فى مجتمع الموحدين وذلك لصلها بالطبقة الحاكمة ، إما لاشتغال بعض أفرادها بالوظائف المختلفة فى الدولة ، وأما بقيام بعضهم بنشر الدعوة والإشراف على شئونها والاشتغال بالعلم المتصل أيضاً بالدعوة في عاصمة الحلافة.

٢ - طبقة الفقهاء والعلماء

احتلت طبقة الفقهاء والعلماء منزلة رفيعة فى مجتمع المغرب الأقصى منذ قيام دولة المرابطين ، وظهر للفقهاء والعلماء نفوذ فى مجريات الأمور وخاصة فى دولة المرابطين ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن الدولتين المرابطين والموحدية قامتا على أساس دينى ودعوة اصلاحية نادت بها كل من الدولتين.

الفقهاء والعلماء في الدولة المرابطية :

فالدولة المرابطية قامت على دعوة عبد الله بن ياسين الإصلاحية في صحراء المرابطين ، والقادة الأوائل للدولة تربوا في رباط عبد الله بن ياسين حيث درسوا أسس الدين الصحيحة ومبادئه القويمة ، ومن هنا كان المبدأ الديني هو القاعدة الأساسية التي ترتكز عليها الدولة في سياستها ، وبالتالى فإن القائمين على شئون الدين والمشتغلين بعلومه احتلوا مكانة مرموقة في المحتمع المغربي ، وبجانب ذلك فإن التكريم والتقدير من جانب أمراء المسلمين في دولة المرابطين راد من مكانتهم ونفوذهم فأمير المسلمين يوسف بن تاشفين كان مجاً للعلماء معظماً لمكانتهم (٣) يقول ابن أبي زرع « وكان — أي يوسف

⁽۱) أبن أبى زرع: الانيس من ٢١٧ طبع حجر.

⁽٢) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ج ٢ ص ٣٢١ .

⁽٣) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ٥٩ ، ابن الخطيب: اعمال الاعلام التسم الثالث ص ٢٣٤ ت العبادى ١٩ ابن المؤتت: السعادة الابدية ج ٢ ، ص ٨٩ ، ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٢٤ ت د احسان ابن القاضى: جــذوة الاقتباس ص ٣٤٣ ، حركات: المغرب عبر التاريخ ص ٢٤٥ .

ابن تاشفين ـــ محباً للفقهاء والعلماء الصلحاء مقرباً لهم صادراً عن رأيهم متكرّماً لهم »(١).

ولم يكن التكريم والترحيب قاصراً على علماء المغرب الأقصى وفقهائهم بل رحب بكل العلماء وخاصة علماء الأندلس الذين سارعوا إلى عاصمة المرابطين ليكونوا في ظل ورعاية أمير المسلمين يقول المراكشي « فانقطع إلى أمير المسلمين ـــ يوسف بن تاشفين ـــ من الحزيرة من أهل كل علم فحوَّله ، حتى أشبت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم ١(٢).

واتبع نفس السياسة أمر المسلمين على بن يوسف إذ كان محباً للعلماء والفقهاء مكرماً لهم (٣) يقول المراكشي « واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين ، (١) وكان يخرج بنفسه لزيارة العلماء وتكريمهم ودلك حين خرج لزيارة ابن يلارزج أحد علماء المالكية وكان عبداً صالحاً ومات بمسكورة سنة ٥٤٠ هم ١١٤٥م (٥).

وهذا التكريم والتقدير زاد الفقهاء والعلماء نفوذًا وسيطرة ، وأصبحوا يؤثرون في مجريات الأمور بالدولة ، وقد ظهر ذلك في عدة مجالات .

فني المحال السياسي لعبوا دوراً هاماً في استيلاء المرابطين على الأندلس ففقهاء الأندلس هم الذين شرحوا أحوالهم لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين وضرورة الاستيلاء على الأندلس يقول الأمبر عبد الله ﴿ وجعلوا – أَى سَكَانَ الأندلس ــ في شكاويهم فقهاءهم وسائط يقصدون نحوهم مهم الفقيه ابن القليعي قد صار خباوه بتلك المحلة مغنطيساً لكل صادر ووارد ، بجد مهم السبيل إلى الطلب للقدر الذي قدره الله »(٦) ولم يشرع يوسف بن تاشفين في تنفيذ خطة القضاء على ملوك الطوائف إلا بعد استفتائه للفقهاء ، والعلمَّاء في

⁽۱) ابن أبى زرع: الانيس جـ ٢ ص ٣٨ ت الفيلالى . (٢) المراكشى: المعجب ص ١٦٣ .

⁽٣) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ٦٢ ، التادلي: التشوف ص ١٣١

⁽٤) المراكشي: المعجب ص ١٧١ .

⁽o) النادلي: التشوف ص ١٣١٠. (٣) الأمير عبد الله: مذكرات الأمير عبد الله ص ١٠٩ تحقيق ليني

بروقنسسال ،

⁽م ۲۲ ــ الحضارة)

ذلك (١) حتى إذا اطمأن إلى موافقتهم شرع فى القضاء عليهم ، وبعد أن أخضع يوسف بن تاشفين الأندلس عسكرياً، أخبره علماء الأندلس وفقهاوها أن طاعته غير واجبة حتى يأتيه التقليد من الحليفة العباسى ببغداد (٢) . يقول النويرى «كان الفقهاء بالأندلس قالوا لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين أنه لا تجب طاعتك على المسلمين حتى يكون لك عهد من الحليفة» (٣) وهكذا لعب فقهاء المغرب والأندلس دوراً بارزاً فى أهم الأعمال التى قام بها المرابطون وهو استيلاؤهم على الأندلس وما ترتب عليه من نتائج بالنسبة للمغرب والأندلس .

وصار للفقهاء تدخيّل في كل شئون الدولة ، يقول المراكشي « واشتد إيثار – أى على بن يوسف – لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمراً في حميع مملكته دون مشاورة الفقهاء » (٤) وكان القضاة لا يصدرون أحكامهم الا بمشورة أربعة من الفقهاء (٥) ومن ثم صارت لهم مكانة ونفوذ في المجتمع ، وحين أحس الفقهاء بالنيل من مكانتهم ومنزلتهم في كتاب الأحياء للإمام المغزالي أشاروا عليه بحرقة فأمر بحرقه في جميع أنحاء مملكته .

وهكذا أصبح الفقهاء طبقة مرهوبة الحانب مسموعة الكلمة ، وكانت منزلتهم وما وصلوا إليه من سيطرة على مقاليد الأمور عاملا من العوامل التي دعت ابن تومرت لمهاحمتهم ومحاربة الحمود الفكرى الذي كان يختم عليهم ومن ثم رماهم بكل النقائص وظل يحاربهم حتى سقطت دولتهم على أيدى الموحدين .

الفقهاء والعلماء في دولة الموحدين :

لم يبلغ الفقهاء والعلماء في الدولة الموحدية نفس المستوى من النفوذ الذي كانوا يتمتعون بمه في الدولة المرابطية . وذلك لأن الدولة الموحدية قامت على

⁽۱) أبن الخطيب : إعمال الاعلام القسم الثالث ص ٢٥٠ ، بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ١٨٥ .

⁽٢) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ١٤٣ .

⁽٣) النويري : نهاية الأرب ج ٢٢ مجلد ٢ ص ٨٢ .

⁽٤) المراكشي : المعجب ص ١٧١ .

⁽٥) نفس الرجع السابق ص ١٧١ .

أساس محاربة تسلط الفقهاء وجمودهم العقلي ، كما أن ابن تومرت عمد منذ المرحلة الأولى في حياة الدعوة إلى توزيع السلطات والمسئوليات على هيئة الطبقات التي ابتكرها ومن ثم لم يدع فرصة للعلماء وغيرهم من فرض نفوذهم وسيطرتهم علي شئون الدعوة .'

وهذا لم يمنع العلماء والفقهاء من التمُّتع بمنزلة كريمة في ظل الموحدين باعتبار أن الدولة قامت على أكتاف داعية ديني وهو المهدى بن تومرت ، وأن البرامج الدينية والمبادئ الموحدية احتلت ركناً هاماً وبارزاً من حياة الموحدين ، ومن ثم فإن القائمين على شئون الدعوة والمشتغلين بمذهب الدولة كانت لهم مكانتهم ومنزلتهم ، وقد سبق أن أشرت إلى مَا كَان يتمتع به علماء المصامدة وعلماء الحضر وهم الطلبة من منزلة ومكانة فضلا عن المنح المالية التي كان العلماء يحظون بها مما دفع الموحدين للنقمة عليهم . وكان الخلفاء الموحده ن يسبغون رعايتهم على العلماء فالخليفة عبد المؤمن كان يقدر العلماء وينر هم منازلهم اللائقة بهم (١)وكان يؤرثهم على غيرهم يقول المراكشي « وكان عبد المؤمن مؤثراً لأهل العلم محباً لهم ، محسناً إليهم ، يستدعيهم من البلاد إلى الكون عنده والحوار محضرته 🕯 (٢) .

وسار على نفس السياسة الحليفة يوسف بن عبد المؤمن فى تكريم العلماء والعناية بهم فقد كان حريصاً على مجالسة الفقهاء ومحادثتهم(٣) وكان مهمًا بجلب العلماء إلى عاصمته والاستفادة من علمهم يقول المراكشي (ويبحث -أى يوسف بن عبد المؤمن ــ عن العلماء وخاصة أهل علم النظر إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله من ملك - ربما يقصد ملوك - المغرب المعرب ومن مظاهر تقديرُه واحترامه للعلماء أنه حين قصد إلى الأندلس سنة ٥٨٠ ه / ١١٨٤م وقصد أشبيلية ، وخرج الناس لاستقباله وروثيته فما أن أبصر الحليفة : العالم ابن الحد حتى ترجُّل عن فرسه وأقبل عليه وتعانقا (٥) .

⁽١) ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ١١٣ ، عنان : عصر المرابطين القسم الأول ص ٤٠٢ .

⁽١) المراكشي: المعجب ص ٢٠٠٠ ٠

⁽۳) ابن أبى زرع: الأنيس ج ٢ ص ١٨١ ، ١٨٢ ت النيلالى . (٤) المراكشي: المعجب ص ٢٣٩ .

⁽٥) ابن عذارى : البيان الغرب ج ٤ ص ٦٠ تطوان ٠

ونفس المنزلة تمنتع بها العلماء والفقهاء في عهد المنصور الموحدي حيث كان يكرَّمهم ويشهد جَنائز هم ^(١) يقول ابن أبى زرع 1 محباً ــ أى المنصور ـــ فى العلماء وقضاتهم صادراً عن رأيهم . . . يشهد جنائز الفقهاء والعلماء ويزورهم ويتبرك بهم . . . وأكرم الفقهاء وراعى العلماء والفضلاء ،(٢) وكان يستُدعي العلماء إلى حاضرته فقد استقدم أحد علماء تلمسان وهو محمد ابن أحمد بن محمد اللخمى حيث نال منزلة كريمة لديه وعند أبنائه من بعده (٣) وهكذا نال العلماء والفقهاء منزلة مرموقة فى مجتمع الموحدين .

المستوى المادي للفقهاء والعلماء:

احتأل الفقهاء والعلماء منزلة مرموقة فى المغرب الأقصى خلال حكيم المرابطين والموحدين ، ومما وطَّـد هذه المكانة ودعمها تلك الأموال التي حصلواً عليها ، والتي كان يغدقها علمهم ولاة الأمر من المرابطين والموحدين ، فأمير المسلمين يوسف بن تاشفين أُغدُق عليهم الأموال والأرزّاق من بيت المال(أ) يضافٌ إلى ذلك تلك الهبات والأعطياتُ التي كان بمنحها ولاة الأمر كما فعل آمير المسلمين على بن يوسف حين بعث حملة من المال إلى أحد العلماء وهو أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير والمتوفى بمراكش سنة ٧٠هـ ١١٢٥م وذلك حن وفد إلى العاصمة مراكش (٥).

واتَّبع هذه السياسة خلفاء الموحدين في الإنفاق على العلماء والفقهاء . وقد سبق آن أشرت إلى أن الحليفة عبد المؤمن كان بجرى المرتبات والأرزاق على طلبة الحضر شهريا من بيت المال ومجانب ذلك كَّان بمنح الأموال والهبات للعلماء ، فالعالم أحمد بن عبد الرحمن المعروف بابن أبي الصَّقَر ، كان إذا وفد على الخليفة عبد المؤمن وصله في المرة الواحدة خسائة دينار (٦) ونفس هذا

⁽۱) ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ١٦٥ ، الميلى : تاريخ الجزائر ج ٢ ص ٢٣٠ ، أشياح : تاريخ الاندلس ج ٢ ص ٧٧ .

⁽۲) ابن ابی زرع: الاتیس ص ۱۵۱ ، ۱۵۷ طبع حجر . (۳) ابو زکریاء: بغیة الرواد ج ۱ ص ۲۷ . (۱) ابن المؤتت: السعادة الابدیة ج ۲ ص ۸۹ ، ابن القاضی: جدوة الاقتباس ص ٣٤٣ ، ابن ابى زرع : الانيس ج ٢ ص ٣٤٣ ت الفيلالى . (٥) ابن المؤمت : السعادة الابدية ج ٢ ص ١٢٢ .

⁽٦) عباس المراكشي : الاعلام بد ١ ص ٢٣٢ .

العالم عرض عليه أحد سراة لمتونة من قبل أن يصحبه إلى مقر عمله بدكالة وذلك لنبوغه وغزارة علمه وأن يعطيه ألف دينار ذهباً مرابطية فامتنع رغبة في الاستمرار في مصاحبة أهل العلم ومتابعة دراساته بمراكش(۱). وقد أشار ابن صاحب الصلاة إلى الهبات والعطايا التي نالها هو وغيره من العلماء حين التي بالحليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة ٢٦٥ه/ سنة ١٦٧٠م(٢) وأجرى المنصور الموحدي الأرزاق والأموال من بيت المال على العلماء والفقهاء (٣).

وتحولت حال الكثير منهم من الفقر والضنك إلى اليسر والرخاء نتيجة اتصالهم بالحلفاء والأمراء فالعالم أبو القاسم السهيلي والمتوفى بمراكش سنة ١٨٥ه / ١١٨٥ أم نال دنيا عريضة يعد اتصاله بالحلفاء (٤) والعالم أحمد بن عتيق ابن الحسن المتوفى سنة ٢٠١ه / ٢٠٤٢م نال مخدمة السلطان دنيا عريضة (٥) وكذلك العالم أبو بكر بن خلف الأنصارى الفقيه والمتوفى بمدينة فاس سنة ١٩٥ه / ٢٠٢٢م جمع أموالا جليلة نتيجة اتصاله بولاة الأمر بمراكش (٦) وغير هؤلاء نالوا الحاه والثراء بعملهم واتصالهم بولاة الأمر .

هذا المستوى المادى الذى حققه الفقهاء والعلماء وخاصة من اتخذ علمه وسيلة للتكسب وجمع المال ، كان موضع نقد وهجوم من الشعراء ، وذلك ما فعله الشاعر ابن البنى حين هاجم أحد قضاة قرطبة (٧) يقول المراكشي وفي ذلك – أى مهاجمة الفقهاء نتيجة لمكاسبهم المادية يقول أبو جعفر أحمد ابن عمد المعروف بابن البنى من أهل مدينة جيان من جزيرة الأندلس . أهل الرياء لبستمو ناموسكم كالذئب أدلج في الظلام العاتم

⁽۱) نفس المرجع السابق ج ۱ ص ۲۳۱ ، ابن المؤتت : السعادة الأبدية ج ۲ ص ۱۲۳ ، ۱۲۳ ه

⁽٢) ابن صاحب الصلاة: تاريخ الن ص ٢٨٤ ، ٢٩٩ ٠ ٣٠٠ ٠

⁽٣) ابن أبى زرع: الانيس ص ١٥٧ طبع حجر ٠

⁽٤) ابن دحية : المطر بس ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٢ ٠

⁽٥) ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة ص ١١٧٠

⁽٦) نفس الرجع السابق ص ٢٦١ ، ٢٦٢ -

⁽٧) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ١٩٤ ، د. يحيى هويدى : تاريخ فلسفة الاسلام في القارة الافريقية جـ ١ ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٣ النهضة سسنة ١٩٦٥ ، عنان : مصر المرابطين والموحدين القسم الاول ص ٤١١ ، ٤١٢ ،

ــ وابن القاسم من مشاهير علماء المالكية ــ

وإنما عرّض أبو جعفر هذا فى هذه الأبيات بالقاضى أبى عبد الله محمد أبن حمدين قاضى قرطبة وقد كان المقصود بهذه الأبيات » (١) وهذه الأبيات تعتبر عن مدى ضيق الشاعر برياء العلماء ونفاقهم .

طبقة القضاة : ويتصل بطبقة الفقهاء والعلماء فئة القضاة إذ كانوا يختارون من العلماء ورجال الدين ، وكانوا يشكلون طبقة متميرة لاختصاصهم بتنفيذ أحكام الدين على سائر الرعية ، وقد سبق أن أشرت فى فصل القضاء تعدد اختصاصات القضاة ، وأشرت إلى مدى السلطة التى كان يتمتع بها القضاة إذ أن يوسف بن تاشفين ومن جاء بعده جعل أحكام البلاد بيد القضاة (٢) ومن هنا اكتسب القضاة نفوذاً وسيادة فى المجتمع المغربي ، وصارت كلمتهم مسموعة لدى ولاة الأمر فحين أشار القاضى ابن رشد على أمير المسلمين على ابن يوسف بتسوير مدينة مراكش أسرع أمير المسلمين بتنفيذ نصيحته (٣) بل ابن يوسف بتسوير مدينة مراكش أسرع أمير المسلمين بتنفيذ نصيحته (٣) بل على مدينة المرية وقف سداً منيعاً ضد رغبة يوسف بن تاشفين فى فرض أموال على مدينة المرية كمعونة ومساعدة ، وبعد مراسلة بينهما خضع أمير المسلمين لرأى القاضى ولم يستطع أخذ المعونة التى طلها (٤).

وهناك موقف آخر لأحد القضاة وهو موقف القاضى عياض ؛ قاضى سبتة حين أعلن العصيان والتمرّد ، وقاد مدينة سبتة ضد الخضوع للموحدين ومعلناً طاعته للمرابطين ، حتى إذا سقطت المدينة في يد الموحدين ، عفا

⁽۱) المراكشي : المعجب ص ۱۷۱ ، ۱۷۲ .

⁽٢) ابن أبى زرع: الأنيس جـ ٢ ص ٣٨ ت الفيلالى ، ابن المؤتت: السعادة الأبدية جـ ٢ ص ٨٩.

⁽۳) ابن عذاری : البیان المغرب ج ۶ ص ۷۳ ت د ، احسان عباس ، حرکات : المغرب عبر التاریخ ص ۲۱۵ ، ۲۱۹ .

⁽٤) ابن سعيد: نزهة الانظار ج ١ ص ١٧٢ ، السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ٥٩ محمد عثمان المراكشى: الجامعة اليوسينية ص ٨٠ ، ٨٠ .

الخليفة عبد المؤمن عن القاضى عياض وأسكنه مدينة مراكش(١) وهذا يشير إلى مدى النفوذ الذي كان يتمتع به القضاة في نفوس سكان البلاد .

ومما دعتم هذه المكانة تلك الأموال الكثيرة التي كانوا يحصلون عليها من ولاة الأمر مما حفظ مكانهم وهيبهم في المجتمع المغربي فبالإضافة إلى المرتبات التي كانوا يحصلون عليها ، كانت هناك المنح والعطايا مما هيأت لهم حياة كريمة فالقاضي أبو بكر بن خلف الأنصاري قاضي فاس والمتوفى بها سنة ٩٩ه فالله دنيا عريضة لاتصاله بالحلافة بمراكش (٢) كذلك القاضي محمد بن عبدالله ابن طاهر وهو من ولد الحسن بن على بن أبي طالب ولى قضاء الجاعة بمراكش سنة ٧٨ه هم / ١٩١١م نال أموالا ضخمة نتيجة اتصاله بالحلافة الموحدية (٣) يقول المراكشي و اتصل أي محمد بن عبد الله بن طاهر بأمير المؤمنين أبي يوسف شهور سنة ٧٨ه ه فحظي عنده وكانت له منه منزلة ، سمعت أبا عبد الله الحسيني هذا يقول وأنا عنده في بيته : حملة ما وصل إلى من أمير المؤمنين أبي يوسف منذ عرفته إلى أن مات تسعة عشر ألف دينار خارجاً عن المؤمنين أبي يوسف منذ عرفته إلى أن مات تسعة عشر ألف دينار خارجاً عن المؤمنين أبي يوسف منذ عرفته إلى أن مات تسعة عشر ألف دينار خارجاً عن المؤمنين أبي يوسف منذ عرفته إلى أن مات تسعة عشر ألف دينار خارجاً عن المؤمنين أبي يوسف منذ عرفته إلى أن مات تسعة عشر ألف دينار خارجاً عن المؤمنين أبي يوسف منذ عرفته إلى أن مات تسعة عشر ألف دينار خارجاً عن المؤمنين أبي يوسف منذ عرفته إلى أن مات تسعة عشر ألف دينار خارجاً عن المؤمنين أبي يوسف منذ عرفته إلى أن مات تسعة عشر ألف دينار خارجاً عن كان يتمتع به القضاة .

٣. -- أصماب المهن ا

١ - التجـار:

قامت طائفة التجار بالمغرب الأقصى خلال فترة البحث بدورها الملحوظ في دفع الحركة الاقتصادية بالبلاد ، كما أن أفرادها كونواطبقة اجتماعية ، حيث كانوا همزة الوصل بين الإنتاج والإستهلاك ، فعن طريقهم يتم البيع والشراء، وبجد السكان عندهم حاجياتهم ، وقد زخرت المدن المغربية كمراكش وفاس وطنجة وسبتة وتلمسان وأغمات وسجلماسة وغيرها من المدن المغربية بالمشتغلين بالتجارة .

⁽۱) السلاوى : الاستقصا ج ۲ ص ۱۱۳ ، ۱۱۹ ، ۱۱۹ ، احمد بن عبد السلام : الريف بعد المتح الاسلامى ص ، ٤ ، ٢٦ ، ٤٧ ، ٨٨ . (٢) أبن القاضى : جذوة الانتباس ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

⁽۲) ابن القاضى ، جدوم المبياس ص ۱۰۱ - ۱۰۰ . (۳) مجهول : الذخيرة السنية ص ٥٠ عباس المراكثي : الاعلام ج ۳

۱۱) مبهون د الصبير الصبي على دد الله کارو الله کارو الله کارو الله کارو الله کارو کارو کارو کارو کارو کارو کارو (۱) المراکشی : المعجب من ۳۱۲ ، ۳۱۳ ،

وهؤلاء التجار لم يكونوا بمعزل عن الأحداث التى تمر بها البلاد ، فهم من سكان البلاد يتأثرون كما يتأثر غيرهم من طبقات الشعب بما بمرّ بالبلاد من أحداث ومن هنا وجدناهم يشاركون فى الدفاع عن مدينتهم أتحات سنة على ٥ هـ / ١١٢٩م ضد الموحدين يقول ابن القطان تحت عنوان الهزيمة على أعمات : « وخرج يوم الأربعاء حميع أهل اغمات حتى التجار فتناوب الموحدون أعزهم الله على القتال » (١). وهكذا اشترك التجار فى الدفاع عن مدينتهم و يمكننا أن نقسم التجار إلى فئتين رئيسيتين : تجار الحملة وهم أولئك الذين يقومون بشراء ما تنتجه البلاد من مواد وتصدرها إلى الحارج ، وفى نفس الوقت استيراد ما تحتاجه البلاد من بضائع وبيعها إلى تجار التجزئة .

وقد سبق أن أشرت إلى العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى وغيرها من البلدان وفى مقدمتها منطقة جنوب الصحراء ، وكان هناك التجار الذين يستوردون الذهب والحلود والعاج وغيرها من بضائع غانة ، ويصدرون اليها الملح والنحاس المسبوك والأصداف وآلات الحديد المصنوع (٢) وكانت البضائع بكيات وفيرة مما عاد بالأموال الطائلة على هؤلاء التجار ، وقد وصف الإدريسي مدى ثراء أهل أغمات في ظل المرابطين بقوله « وما مهم رجل – أى من أغمات – يسفر عبيده ورجاله إلا وله في قوافلهم الماثة حمل والسعون والثمانون حملا كلها موقرة ، ولم يكن في دولة الملثم أحد أكثر منهم اموالا ولا أوسع منهم أحوالا وبأبواب منازلهم علامات تدل على مقادير أموالهم » (٣) وشاركهم تجار سعلماسة هذا الثراء والغني حتى أن أحدهم كان له صك على آخر مبلغه أربعون ألف دينار (٤) وقد أطلق على هؤلاء التجار المدوراء يقول الذين يقومون بالتصدير والاستيراد من مناطق الحنوب بتجار الصحراء يقول ابن القاضي في ترجمته لمحمد بن الحسن اليصلوتي « من أهل سعلماسة نزل مدينة فاس وكان من أولياء الله تعالى ، كان في ابتداء أمره من تجار الصحراء

⁽۱) ابن التطان : نظم الجمان ص ۱۱۲ ، ۱۱۷ ت د . مكى .

⁽٢) الادريسى : وصف المغرب ص ٦٦ ، العمرى : مسالك الابصار ج ١٤ مسم ٢ ص ٢٢٢ .

⁽٣) الادريسي : وصف المعرب والاندلس ص ٦٦ .

⁽٤) التلقشيدي : صبح الاعشىٰ جه ٥٠ص ١٦٤ .

وتوفى سنة ٥٩٥ه » (١) كذلك اشتهر تجار مدينة سبتة بالخنى والثراء يقول ابن سعيد المغربى « وفيها – أى مدينة سبتة – التجار الأغنياء الذين يبتاعون المركب الكبير بما فيه من بضائع الهند وغيرها فى صفقة واحدة » (٢).

وبجانب تجار الصحراء كان هناك التجار الذين يتعاملون مع الأندلس وأوربا والمشرق في التصدير والاستيراد ، وقد عقد تجار الحملة صلات مع تجار الحملة الغرباء في مدن المغرب الأقصى ، وأيضاً مع غيرهم في البلاد الأخرى ، فتجار المشرق من أهل البصرة والكوفة وبغداد والذين أقاموا بالمراكز التجارية بجنوب البلاد كأنمات وسعلماسة (٣) قامت بينهم وبين تجار البلاد الأصليين صلات حين اشترك الفريقان في تجارة الصحراء وقد سبق البلاد الأصليين صلات حين اشترك الفريقان في تجارة الصحراء وقد سبق أن أشرت إلى الصلات التي كانت بين أحد تجار فاس وتاجر القاهرة (٤) هذه الصلات المتنوعة مع ازدهار حركة التجارة الخارجية أكسبت تجار الحملة مركزاً مالياً مرموقاً في عجمع المغرب الأقصى .

و بجانب تجار الحملة كان هناك تجار التجزئة هؤلاء الذين يبيعون بضائعهم في متاجرهم أو عن طريق التجوّل ، وبذلك يسدون حاجة السكان من مطالبهم اليومية وقد سبق أن أشرت إلى نظام الأسواق في مدن المغرب ، وكيف أن عدة متاجر تتجمع في مكان واحد للاتجار في سلعة واحدة كسوق الحزارين وسوق الثياب وسوق الأقراق وسوق العطارين وغير ذلك مما محتاجه السكان ، وهم بذلك يكونون طوائف صغيرة تندرح تحت تجار التجزئة .

وكان هناك باعة الطعام الذين يبيعون الطعام فى متاجرهم للسكان كبائع السمك وكان يعرف بالحوّات فى ترجمة أبى ابراهيم اسحاق بن محمد الهزرجى أحد المتصوفين بمراكش والمتوفى سنة ٨١ه ه أنه قال لأحد تلاميذه « اذهب إلى أحمد الحوّات و قل له أن يبعث لنا الليلة حوتاً طيباً مثل الحوت الذى كان بعث لنا ، يأكله الليلة أبو حسون »(٥) وكان هناك بائع السمن ويقال له

⁽١) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١٧٠ ٠

⁽٢) ابن سعيد المغربي: بسط الأرض من ٧٣ .

⁽٣) ابن حوقل: صورة الأرض ص ٦٥٠

S.D. Goiten: Studies In Islam Hitsory, P; 298 (8)

⁽٥) التادلي: التشوف ص ٢٣٠٠

السيان (۱) . وكان هناك الحزار والدقاق اللذان يبيعان ما يحتاجه الناس من اللحوم والقمح وغير ذلك وقد ورد في ترجمة أبي محمد يشكر بن موسى الحراوى والمقيم بفاس وبها مات سنة ٩٥ه / ١٢٠١م أنه كان لا يأكل مما يبيعه الحزارون والدقاقون خشية الوقوع فيا حرمه الله ومن هنا عاب عليه أحد أصحابه بقوله لا لم يفعل هذا والحلال بفاس ممكن ؟ هذا فلان الحزار لا يشترى لغنم إلا من قوم عرف طيب مكسبهم وفلان الدقاق لا يشترى القمح إلا من قوم عرف طيب مكسبهم وكان غيرهم من التجار يبيعون المريسة والاسفنج (۳).

وكان بعضهم يبيع بضاعته متجولاً فى الطرقات كأبي محمد عبد الواحد ابن تومرت الهسكورى من أهل مراكش والذى استشهد بغزوة الأرك سنة ١٩٥ه/ ١٩٥٩م كان يبيع الباقلاء ويحمله على رأسه متجولاً وغير هؤلاء من طبقة التجار الذين يقومون ببيع ما تحتاجه الأسر والأفراد من ضروربات الحياة ومستلزماتها .

وكان هؤلاء التجار يصابون فى بعض الأحيان بكوارث تقضى على تجاراتهم وتتبدل أحوالهم من الرخاء واليسر إلى الفقر والاحتياج ومن ذلك ما حدث سنة ٩٣٥ / ١١٣٨م بمدينة فاس حيث وقع حريق كبير بسوق المدينة دمترت فيه النبران كثيراً من أقسام السوق كسوق الثياب والقراقين وغير ذلك من الأسواق (٥) ونتج عن ذلك افتقار أصحاب المتاجر التي احترقت يقول ابن القطان و فتلفت فيه أموال جليلة وافتقر فيه خلق كثير ه (١٢١٥ كذلك الحريق الضخم الذي حدث بسوق مراكش سنة ٧٠٧ه ه / ١٢١٠م وأتت فيه النبران على كثير من المتاجر مما أصاب أصحابها بالفقر والاحتياج يقول

⁽١) ابن القاضى: جذوة الاقتياس ص ٢٣٥.

⁽٢) التادلي : التشوف ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

 ⁽٣) نفس المرجع السابق ص ٢٢٨ ، ابن المؤتت : السعادة الأبدية
 ج ١ ص ١٢٤ .

⁽١٤) التاملي : التشوف ص ٣٦٢ .

⁽٥) ابن القطان : نظم الجمان ص ٢٤٦ .

⁽٦) نفس المرجع السابق ص ٢٤٦ .

ابن عذارى « وذهب فى هذه الكائنة ... أى الحريق ... للتجار الواردين والقاطنين والقاصيين والدانيين من الأموال الحسيمة مالا محص وافتقر فيها أمة من ذوى اليسار وأصبحوا يتكففون الناس حيارى على الأقطار ، (١).

٢ - الصناع:

سبق أن أشرت إلى الإزدهار الصناعي الذى شهدته البلاد خلال فترة البحث ، وأن هذا الازدهار قام على أكتاف طبقة الصناع الذين انتشروا فى أرجاء البلاد وكونوا طائفة لها أهميتها ووزنها بين طبقات المجتمع الأخرى.

وقد أحسّ ولاة الأمر بأهميتهم ومدى احتياج البلاد لهم ، ومن هنا وفى خلال المذابح الدموية التي حلّت سكال مراكش عند استيلاء الموحدين عليها ، حرص الحليفة عبد المؤمن على الابقاء على حياة الصناع وذلك لاحتياج الدولة لهم يقول ابن الاثير « ولما قتل عبد المؤمن من أهل مراكش فأكبر فهم القتل اختفى كثير من أهلها ، فلما كان بعد سبعة أيام ، أمر فنودى بأمان من بتى من أهلها ، نخرجوا فأراد أصحابه المصامدة قتلهم فمنعهم وقال هؤلاء صناع وأهل الأسواق من ننتفع به فتر كوا» (٢) وقد شملت طبقة الصناع عدة طوائف وفي مقدمتها :

(۱) طائفة الفلاحين أو طبقة الفلاحين وهم الذين عاشوا فى الأراضى الزراعية واشتغلوا بزراعة الأرض واستخراج ما فى بطنها من مختلف المزروعات والثمار ، وقد انتشروا فى كثير من مناطق المغرب فالمصامدة كانوا زراعاً وكذلك قبائل تامسنا وغيرها من القبائل التى امتهنت الزراعة وهؤلاء عماد حياتهم زراعة الأرض وبيع محاصيلهم وفى بعض الأحيان كان الزراع يعانون من ظلم جباة المحاصيل وجامعى الضرائب كما حدث بالنسبة لزراع مكناسة ومن هنا لحاً ولاة الأمر معهم إلى نظام المقاطعة تخفيفاً عليهم (٣).

(ب) طائفة صانعي الثياب ، وتضم عدة حرف تقوم على تحويل المواد الحام إلى ملابس قطنية وصوفية وغيرها من أنواع الملابس ، ومن هذه

⁽۱) ابن عذاری: البیان المغرب ج ٤ ص ٢٣١ تطوان ٠

 ⁽۲) أبن الأثير : الكابل ج ٨ ص ٣٠١ .
 (٣) ابن غازى : الروض الهتون ص ١ ، ٢ ٠

الطوائف الحلاجون وهم الذين يقومون على حلج القطن وكان منهم أبو عمر ان موسى بن يدراس الحلاج وكان يعيش بفاس ويمتهن صنعة الحلاجة (۱) و من الصناع من يشتغل بنسج المادة الحام ومن هؤلاء أبى الربيع سليان بن عبدالرحمن ابن المعز الصنهاجى المعروف بالتلمسانى وكان زاهداً ورعاً سكن سلا يحتر ف النسج ولا يقبل فيه سوى قيمة الغزل (۲) ثم يأتى بعد ذلك صانعوا الثياب وهم الحاكة ومنهم أبو العباس الحباب الذى كان يعمل خياطاً بمدينة مراكش وتوفى سنة ١٩٥٨هـ ١١٩٦م (۲)

(ح) طائفة البنائين : وقد اشتغل فى البناء جماعة كبيرة من الصناع نتيجة للحركة العمرانية التى شهدتها البلاد من كثرة فى بناء المساجد والمدارس والمنازل والمقصور مما استلزم معه جماعات متنوعة تقوم بعمليات البناء و من هؤلاء صانعو الآجر ، ومنهم صانعو الفخار المتعدد الأنواع لاستخدامه فى جلب المياه ، وكذلك الزليج لتبليط العرصات ومنهم الكلاسون لصناعة الكلس وغيرهم ممن يسهم فى عملية المناه (٤) ،

(د) صانعوا الأدوات المتركية : وهم الذين يقومون بسد احتياجات السكان مما يلزمهم من أدوات ، ومن هؤلاء الصناع صانعوا القدور كأبي زكرياء ويحيى بن ميمون الصنهاجي والمتوفي عمراكش سنة ٢٠١ه / ٢٠٤م كان يصنع القدر ويبيعه للناس (٥) وصانعوا الأطباق كأبي الحسن على بن زكريا الأسود من تاد لا كان يعمل الأطباق ويبيعها (١) ، وأيضاً صانعو الارحاء كأبي سعيد عبان من دكالة كان يصنع الأحجار ومات في سنة ، ٥٥ هو المرحاء كأبي سعيد عبان من دكالة كان يصنع الأحجار ومات في سنة ، ٥٥ هو السكان من المصنوعات الحشبية وكان بعضهم يصحب الحيوش المحاربة للقيام السكان من المصنوعات الحشبية وكان بعضهم يصحب الحيوش المحاربة للقيام

⁽۱) التادلي : التشوف ص ٣٣٠ .

⁽٢) أبى زكرياء: بغية الرواد ج ١ ص ٣٨ .

⁽٣) التادلي : التشوف ص ٢٨٩ .

⁽٤) روجيه لوتورنو: ناس في عصر بني مرين ص ١٣١ ، ١٣٢ .

⁽٥) التادلي : التشوف ص ٤٢٩ .

⁽٦) نفس الرجع السابق ص ٢٥٩ .

⁽٧) نفس المرجع السابق ص ٣١٦ .

مما تحتاجه من أشغال النجارة فعند حصار الخليفة يوسف بن عبد المؤمن لأسوار شنترين سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م أمر النجارين بعمل السلالم (١).

(ه) صانعو الحبر: ويدخل ضمن دؤلاء من يطحن الحب ويتموم على إعداده للخبر ثم يقوم الحبازون في الأفران المختلفة بخبره، وكانت النساء يقمن بخبر الدقيق في بيوتهن ثم يأتى من بحمله إلى الأفران ليقوم الحبازون بخبره (٢).

(و) صانعو السلاح ، هؤلاء كانت لهم أهمية خاصة فهم الذين يقومون بإعداد السلاح لولاة الأمر والحيش ، وقد سبق أن أشرت إلى كثرة المعارك التي خاضها ولاة الأمر من المرابطين والموحدين واحتياجهم المستمر للبسلاح وبكميات وفيرة حتى أن الحليفة عبد المؤمن حين جهز جيشه سنة ١٥٥٨ / ١١٦١م لغزو الأنداس فإن مصانع السلاح كانت تنتج له يومياً عشرة قناطير من السهام (٣) مخلاف الأسلحة الأخرى من سيوف وقسى ورماح وخوذات وغيرها وهذا يشير إلى كثرة العال الذين قاموا بهذا العمل الكبير ويشترك مع هؤلاء صانعو السفن سواء أكانت حربية أم تجارية .

(ز) صانعوا الورق والصابون والحلود وغيرهم من الصناع الذين انتشروا فى أنحاء متفرقة من البلاد ، ولا شك أن هؤلاء الصناع كانوا عصب الحياة ، وكونوا حماعات كبيرة بين سكان البلاد .

٣ ــ أصحاب مهن متنوعة :

هؤلاء يشكلون حماعات صغيرة بمدن المغرب الأقصى ، ويسهمون مع طبقة التجار والصناع في تيسير متطلبات الحياة اليومية للسكان ولا يتسع مجال البحث لاستقصاء كل أصحاب المهن التي وجدت نتيجة لحاجيات السكان ولكن مكننا الإشارة إلى بعضهم ومن هؤلاء :

(١) المنادى: ويقوم بمهمة الإعلان عن الأوامر والأحكام التي يصدرها ولاة الأمر وإذاعتها بين الناس(٤) وحين دخل ابن تومرت مدينة أكرسيف

⁽۱) ابن عذاری : البیان المغرب ج ٤ ص ٦٣ تطوان ٠

⁽٢) التادلي: التشوف ص ١٨١ ٠

⁽٣) ابن ابى زرع: الانيس ج ٢ ص ١٦٥ ت الفيلالى ، السلاوى: Ren - Millet; A Imohades P; 93 : ١٤٣ ت الاستتصا ج ٢ ص ١٤٣ : (٤) روجيه: فاس في عصر بنى مرين ص ٨٠ ت نتولا زيادة .

عند عودته من رحلته ، لحأ الناس إليه ليشكونه ظلم الوزيرومن هنا ذهب ابن تومرت لأمير المؤمنين وكان يدعى يحيى بن فانو فأرسل المنادى يعلن من كانت عنده مظلمة عند الوزير فليقبل على دار الأمير (١) ، وبجانب ذلك كان المادى يقوم بالاعلان عن المتوفين من أهل المدينة (٢).

(ب) الحال: وهو ذلك الشخص الذي يقوم بنقل البضائع من مكان إلى آخر إما فوق أكتافه أو على دابة تحمل المنقولات، وكانوا يستخدمون الأكياس لحاية ثيابهم ، والحبال لربط المنقولات (٣) وفي نفس الوقت فكانوا تحت رقابة المحتسب ، وقد أشار ابن عبدون إلى الطريقة التي يجب أن يسير بها العال في الطرقات ولا يمشى حمال إلا أمام دابته ويده في رسنها لينذر الناس ، ويحذر العميان وذوى الخفلة والأعذار ، وبجب أن يكون للحمالين في كل صنعة موقف معروف لا يتعداه ، (٤).

(ح) السقاء: وهو الذي يقوم بتوصيل المياه إلى المنازل والدور وكان عليه حمل الماء لسد متطلبات الأسر والأفراد ، وكذلك كان يقدم الماء للمارة في الأماكن العامة والتجمعات وذلك لإرواء عطشهم . وكانوا بحملون الماء في قرب مصنوعة من الحلد ، ويصبون الماء في أكواب يقدمونها للمارة ، أما في المنازل فكانت هناك (براميل) ضخمة تمتلي بالماء ويحملونها على ظهور الحمير لتوصيلها إلى المنازل (٥) وقد اشتغل ممهنة السقاية أبو الحسن على بن عبد الرحمن المعروف بابن الدلال والمقيم بمراكش (١) . وقد أشار ابن عبدون إلى ضرورة نظافة الماء الذي بجلبه السقاء يقول « بجب أن يحد لهم موضع لأنفسهم يصنعون فيه قنطرة من ألواح آخر ما يحصر إليه النهر ، ولا يترك أحد من المعدين يشاركهم . . . ويحد لهم المحتسب أن لا يستقي من بين أرجل الدواب على الحمأ والماء المكدر . . . بجب أن يمنع النساء أن يغسلن بالقرب

⁽۱) البيذق: أخبار المهدى ص ٦٢.

⁽٢) السلاوى : الاستقصا ج ٢ م ٧٦ ، ٧٧ ، ابن عدارى : البيان المغرب ج ٤ ص٢٧ تطوان .

⁽٣) روجيه : ناس في عصر بني مرين ص ٨١ ، ٨٢ .

⁽٤) ابن عبدون: رسالة في المسية من ٤١ .

⁽٥) روجيه : فاس في عصر بني مرين ص ٧٧ ، ٧٤ .

⁽٦) التادلي: التشوف ص ٢٤٢٠

من موضع السقاية . . . يجب أن يمنع هرق الزبول والأقذار على ضفة الوادى لكن خارج الأبواب . . . ، (١)

(د) السدلال : وهو الواسطة بن البائع والمشترى حيث يقوم بعمل المزاد لبعض السلع وعرض أسعارها على المشترين ، وكان عدد الدلالين يتوقف على نوع السلعة المباعة ، فقد كان الدلالون عن الأقمشة والبضاعة الحلدية في مدينة فاس أكثر من غيرهم في البضائع الأخرى^(٢) وقد أشار التادلي إلى أحد تجار فاس وافلاسه واشتغاله دلالا بسوق مراكش ^(٣).

(ه) البوابون : وهم القائمون على أبواب المدن ، حيث كان النظام المتبع في بناء المدن وجود عدة أبواب لها ، وهذا ما سوف أتناوله بإذن الله في فصل البناء والتعمر ، وكان لهذه الأبواب قائمون على فتحها صباحاً وغلقها مساء فالمراكشي أشار إلى وجود بواب لأحد أبواب مدينة تلمسان وكيف أن ابن تومرت دقّ على بابه ليلا ليفتحه ففتحه رهبة منه (^{١)} ، كذلك أبواب فاس كان لها بوابون يشرفون على غلقها وفتحها (٥) وكذلك أبواب مراكش (٦) وقد حدد ابن عبدون بعض واجباته بقوله ٥ مجب أن يبكر بفتحها ، ويوقف البواب من مخرج عليه في ذلك الوقت لئلاً مخرج عليه سرقة أو شيء من الأعمال السوء إلى أن ينكشف النهار فيعرفه ، وبجب أن يؤخر بغلقها لمن عسى أن يجيء من مسافر يريد الدخول والمبيت في المُدينة ، (٧).

(و) الصيادون : وهؤلاء عاشوا قريباً من شواطىء البحار والأنهار حيث مصادر الأسماك ، وقد سبق أن أشرت إلى وفرة الأسماك بالمغرب الأقصى نتيجة للموقع الذي يطل على البح المتوسط في الشال والمحيط الأطلسي في الغرب ، بالإضافة إلى الأنهار المتعددة والتي كانت تشق سهول ووديان المغرب

⁽١) ابن عيدون: رسالة في الحسية ص ٣٢ .

⁽٢) روجيه : ماس عصر بني مرين ص ١٥٦٠

⁽٣) النادلي : التشوف ص ٢٠٦ ، ٢٠٣ ٠

⁽٤) الراكشي : المعجب ص ١٨٣ -

⁽٥) التادلي : التشوف ص ٣٠٦ ٠

⁽٦) نفس المرجع السابق ص ٢٩٨ ، ٣٠٠ . (٧) ابن عبدون : رسالة في الحسبة ص ٣٣ ،

الأقصى ، ومن هنا اشتغلت طائفة من السكان بصيد الأسهاك وبيعه فى الأسواة وقد اشتغل أبو جعفر محمد بن يوسف الصنهاجى الأسود والساكن بتاغزرت على وادى وانسيفن من تادلا والمتوفى سنة ٢٠٨ هـ بصيد الأسهاك (١).

(ز) الغاسل: وهو الذي يقوم على تجهيرُ الميت وقد أشار التادلي إلى أد أبا على سالم بن سلامة المتصوف والمتوفى بأعمات سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٤م حير مات أرسل أهله إلى الغاسل لكي يقوم بتجهيرُه للدفن (٢).

(ح) الحسلاق : وهو الذي يقوم بتجميل السكان وقص شعورهم وقد أشار التادلي بوجود حلاق بمدينة سبتة (٣) هذه الحرف المتعددة شاركت بطوائفها بجانب غيرهم في دفع عجلة الحياة بالمغرب الأقصى .

3 - المسراة

احتلت المرأة مكانة مرموقة فى المجتمع المغربى منذ قيام دولة المرابطين وصارت لها مشاركة واضحة فى كثير من المجالات، وذلك بجانب وظيفه الأولى وهى تربية النشىء والإشراف على إدارة المرل .

المرأة في الدولة المرابطية :

وقد ظهر دورها بارزاً في عهد المرابطين ، حيث كانت المرأة تتمته بوضع كريم في القبيلة الصهاجية إذ كانت تشترك في مجلس القبيلة وتشارل في الأمور الهامة (٤) وكانت للمرأة سيطرتها ونفوذها على الرجل ، وقد بلغ من احترامهم لها أن كثيراً من قادة المرابطين وامراء الدولة كانوا يلقبولا بأسهاء امهاتهن تقديراً لدور المرأة في مجتمع المرابطين يقول النويري واستقامت له الأمور – أي ليوسف بن تاشفين – وتزوج زينب بنت ابراهيم زوجة ألي بكر بن عمر ، وكانت حظية عنده وأمرة عليه، وكذلك حميع الملثمين ينقادولا بكر بن عمر ، وكانت حظية عنده وأمرة عليه، وكذلك حميع الملثمين ينقادول ابن فلانة ولا يقولون ابن فلان وهو أخ فلان » (٥) ومن هنا وجدنا أبا عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين وهو أخ

⁽۱) التادلي : التشوف ص ١٥٤ .

⁽٢) التاطي : التشوف ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

⁽٣) التاطي : التشوف ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

⁽٤) د، حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص ٥٢ .

⁽٥) النويرى: نهاية الأرب ج ٢٢ مجلد ٢ ص ٨٠ .

لأمير المسلمين على وكان من أعظم قادة المرابطين يعرف بابن عائشة (١)وكذلك عبد الله بن فاطمة من أبرز قادة المرابطين و دخل في كثير من المعارك بالأندلسع وأحرز فيها عدة انتصارات كان معروفاً بابن فاطمة (٢) وأيضاً محمد ويحيى ابنا على بن يوسف المسوفى ، وقد تزوج والدهما على بامرأة تسمى غانية فنسبا إلى أمهما(٣) وعرفا ببني غانية وقد كانت لهما مكانتهما في الدولة ' المرابطية ثم تزعمهما لثورة مسلحة ضد الموحدين استغرقت وقتاً كبيراً وجهداً. عظيما من خلفاء الموحدين ، و داعية الموحدين محمد بن تومرت اشهر بنسبته : ابن تومرت وهو اسم امرأة ، وربما كان هذا اسم احدى جداته أطلق عليه ومن ثم اشتهر به (٤) وهذا كله يشير إلى مكانة المرأة واعتراز الرجال بانتحال أسهاء أمهاتهم .

وكانت المرأة تتمتع بقسط وافر من الحرية حتى أنها كانت تختلط بالرجال في الأماكن العامة والمناسبات المختلفة ، مما جعل ابن تومرت عند عودته من إ رحلته يستنكر هذا الوضع في أكثر من مكان ، فعند نزوله ببجاية في عيد" الفطر وجد اختلاط الرجال بالنساء مما دفعه للتفريق بينهم بعصاه (٥) يقول ابن القطان « ثم حضر ــ أي ابن تومرت ــ عيداً فرأى فيه من اختلاط ً الرجال بالنساء والصبيان المترينين المتكحلين ما لا يحل فزجرهم وغير ذلك عليهم ، فوقعت لأجل ذلك نفرة استطال فيها الشر وسلبت النساء حلَّمها وقام ' الهرج فسأل العزيز عن سبب ذلك فعرف بأنه لا سبب له إلا الفقيه السوسي، (١) وبدلك دافع المحتمعون من الرجال والنساء عن عادة متأصلة بينهم حتى أنهم قاوموا فعلّ ابن تومرت . كذلك حين نزل ابن تومرت بتلمسان وجد النساء

⁽١) أبن القطان : نظام الجمان ص ٨ حاشية .

⁽٢) ابن القطان : نظم الجمان ص ٨ حاشية .

⁽٣) أبن الآمار : الحلة السيراء جـ ٢ ص ٢٠٥ حاشية د. حسين **مۇنس .**

⁽٤) ليفي بروننسال : الاسلام في المغرب والاندلس ص ٢٦٥ ت د.

محمود السيد سالم . (٥) البيذق : اخبار المهدى ص ٥٢ ، مجهول : نخب تاريخية ص ٣٦ ، ۳۷ ت لیفی بروفنسال . ،

⁽٦) ابن القطان : نظم الجمان ص ١ ٤ ت د ، مكى . (م ٢٣ ـ الحضارة)

يستقين الماء وبالقرب منهن الرجال يتوضؤن فقال ه أليس هذا منكر النساء مع الرجال مخلوطين ه(۱) وحين نزل بناحية قلال وهي إحدى الأماكن الى عبرها في طريقه سمع صراخ الرجال والنساء نتيجة اللهو واللعب فلما نهاهم عن ذلك كان جوابهم ه هكذا السيرة عندنا ه(۲) ولما وصل إلى مكناسة شهد اجتماع الرجال والنساء تحت شجرة لوز فقام المهدى بتفريقهم (۳) وهذا كله يشير إلى تمتع المرأة في مجتمع المرابطين بحرية الاختلاط ومشاركة الرجال في المناسبات.

ويتصل مهذا موضوع سفور المرأة وحجامها ، ويبدو أن المرأة المرابطية بجانب تمتعها بحريتها كانت أيضاً سافرة إذ اتخذ الرجال اللثام بينها النساء ظلان سافرات (٤) ويبدو أن عادة سفور المرأة المرابطية نشأت معهن في مواطنهن الأولى في الصحراء وما زالت إلى الآن في مجتمع الطوارق (٥) ومن هنا حين عاد ابن تومرت اعترض على سفور أخت أمير المسلمين على بن يوسف حين قابلها في إحدى طرقات مراكش ومعها جواربها ، وكلهن سافرت نزجرهن ووضعهن على هذا الصنيع (١) يقول النويرى و ولم يزل المهدى يلازم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن وصل إلى مراكش وهي دار مملكة على بن يوسف بن تاشفين فرأى فها من المنكرات أكثر مما عاينه في طريقة إذ رأى أخت أمير المسلمين في موكها ومعها عدة من الحوارى الحسان ، وهن أخت أمير المسلمين في موكها ومعها عدة من الحوارى الحسان ، وهن وأمرهن بستر وجوههن وضربهو وأصحابه دوامهن فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابتها فرفع أمره إلى أمير المسلمين على بن يوسف على بن يوسف عن دابتها فرفع أمره إلى أمير المسلمين على بن يوسف على بن يوسف العمرى أن التي قابلها ابن تومرت هي زينب ابنة أمير المسلمين على بن يوسف بن يوسف العمرى أن التي قابلها ابن تومرت هي زينب ابنة أمير المسلمين على بن يوسف العمرى أن التي قابلها ابن تومرت هي زينب ابنة أمير المسلمين على بن يوسف العمرى أن التي قابلها ابن تومرت هي زينب ابنة أمير المسلمين على بن يوسف العمرى أن التي قابلها ابن تومرت هي زينب ابنة أمير المسلمين على بن يوسف

⁽١) البيذق: أخبار المهدى ص ٦١ .

⁽٢) نفس المرجع السابق ص ٦٢ ، ٦٣ .

⁽٣) نفس الرجع السابق من ٥٠ .

⁽٤) حركات : المغرب عبر التاريخ من ٢٣٣ .

⁽٥) د. يحيى هويدى : تاريخ فلسفة الاسلام في القارة الافريقية جر ١ س ٢١١ ، ٢١١ .

⁽٦) العينى : عقد الجمان ج ٢٠ قسم ٤ ص ٧٧٣ ، ابن خلدون : العبر د ٦ ص ٢٧٧ ، السلاوى : الاستقصا ج ٢ ص ٨٧ .

رود النویری: نهایة الارب جـ ۲۲ مجلد ۲ مس ۸۸ . (۷) النویری: نهایة الارب جـ ۲۲ مجلد ۲ مس ۸۶ .

ابن تاشفين (١) واعتراض ابن تومرت يشير إلى أن موضوع السفور لم يكن عاماً بالنسبة لنساء المحتمع وإلا ما كان هناك وجه للاعتراض عليه . وربما كان هذا خاصاً بالمرأة المرابطية إذ أن هذا شيء مألوف لديها ومن هنا كان نقد ابن تومرت وهجومه على نساء المرابطين دون غيرهن من نساء المجتمع .

المرأة في عهد الموحدين :

لم تتمتع المرأة بمثل النفوذ والحسرية التي كانت تتمتع بها أختهسا في الدولة المرابطية ، وقد سبق أن أشرت إلى تشدد ابن تومرت داعية الموحدين في منع اختلاط الرجال والنساء والحد من حريبهم ومنع سفورهن في الطرقات العامة مما يدل على اتباع الموحدين لأحكام الدين بشأن صيانة المرأة وحمايتها ، إلا أن هذا الحد من الحرية لم يمنع الموحدين في مناسبات مختلفة من إظهار تقديرهم واحترامهم للمرأة فني إحدى معارك الموحدين ضد المرابطين سقط كثير من الأسرى في يد الموحدين ومهم عدد كبير من النساء وقد قامت إحداهن وهي تاماكونت ابنة ينتيان بن عمر بالتحدث مع عبد المؤمن بن على وتذكيره بصنيع أبيها مع المهدى حين تشفع فيه عند أمير المسلمين على بن يوسف فأطلق سراحه ، وهنا أمر عبد المؤمن بإطلاق سراحها ، فرفضت حتى يطلق معها كل النساء وكان عددهن أربعائة ، فامتثل عبد المؤمن لها وأمر باطلاقهن معززات حتى معسكر المرابطين (٢) وكذلك حين استشفع أبو شعيب المتصوف عند الخليفة عبد المؤمن في اطلاق سراح نساء على بن يوسف ونساء أولاده فاستجاب (٣) وفي بعض الأحيان اتخذ الموحدون من السبايا زوجات لهم يقول البيذق « وقسّم الخليفة الغنائم ــ بعد انتصار الموحدين على المرابطين في إحدى المعارك ـــ وأخذنا فها ماثة بكر وكن عندنا مؤمنات فقسمهن الخليفة على الموحدين وتزوجوهن ، وبقيت فاطمة بنت يوسف الزناتية وبنت ماكسن ابن المعز صاحب مليلة فرى الحليفة القرعة مع أبى ابراهيم على فاطمة فأخذها أبو إبراهيم وأخذ الحليفة بنت ماكسن بن المعز أم الأمير إبراهيم والأمير

⁽۱) العبرى: مسالك الابصار جه ١٥ ص ٣٩ ٠

⁽۲) البينق: اخبار المهدى ص ۸۸ .

 ⁽٣) احمد بن القاسم : المفزى في اخبار أبي يعزى ص ١١ مخلوط .

اسماعيل (١) » كذلك أكرم الناصر الموحدى سبايا ميورقة حين أمر باطلاق سراحهن ومساعدتهن بالأموال على الزواج (٢) ونفس التكريم وجده نساء العرب الهلالية حين وقعن فى الأسر من الحليفة عبد المؤمن فقد وكتل بهن الحدم لحدمتهن حتى وصلن إلى مراكش فأنزلهن المساكن الفسيحة وأجرى علمن النفقات الواسعة (٣).

إلا أن هذا لم يكن دأب الموحدين فى تكريم السبايا فقد يحدث أن يبعن كما تباع السلع والأمتعة وهذا ما حدث لنساء كزولة ولمطة اللاتى وقعن فى أسر الموحدين حيث باعهن الموحدون على أحد أبواب مراكش(٤).

ويبدو أن بعض تجار اارقيق لا يلترمون بأحكام الشرع ويسرعون في بيخ النساء ، ومن هنا صدرت رسالة من الخليفة عبد المؤمن سنة ٤٤٥ه / الم الم تشير إلى هذا الخطأ حين قال و وأنه أعلمنا بأن من يرضى تلك القواحش بما يرضاه ويستبيحه ولا يبالى أحسن الفعل فعله أم قبيحه يبتاع المرأة ويبيعها دون استبراء ويعبث فى ذلك بكل إقدام على الله تعالى واجتراء ولا يتحفظ من مواقعة الزنا المحض ومخالفة الواجب مع الفرض (٥) » وقد بين الخليفة علاج ذلك بقوله و فلا سبيل لأحد ممن هنالك أن يبتاع شيئاً منهن أو يبنغ حتى يستأذن الحاكم لأمره منكم والشيوخ لئلا يذهب الحق فى ذلك ويضيع ينغ حتى يستأذن الحاكم لأمره منكم والشيوخ لئلا يذهب الحق فى ذلك ويضيع حتى تخاطبون بأصل أمرهن وكيفيته ، وتعلمونا من ذلك بجليته لنرسم لكم حتى تخاطبون عليه اعتماد كم وبجرى إليه اقتصاد كم »(١).

ب وقد اشهر المنصور الموحدى بإنصافه للمرأة يقول ابن خلكان في صفات المنصور « ويقف للمرأة والضعيف ويأخذ لهم بالحق »(٢) ومن هذا يتضح

⁽١) البيذق: أخبار المهدى ص ١٤ .

⁽٢) الراكشي: المعجب ص ٣١٥.

⁽٣) ابن الأثير: الكامل جـ ٩ ص ٤١ .

⁽٤) البيذق: أخبار المهدى ص ١١٨٠

⁽٥) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٦٠ .

⁽٦) نفس المرجع السابق ص ١٦٠ .

⁽٧) ابن خلكان : ونيات الاعيان ج ٦ ص ١٠٠٠

أن المرأة تمتعت بمكانة طيبة ونالت التقدير والاحترام من ولاة الأمر بالمغرب الأقصى .

ثقافة المرأة: لم تشر المراجع التي تيسر لى الاطلاع عليها إلى موقف عامة النساء من الثقافة المحيطة بهن ، والمستوى العلمي الذي وصلن إليه ، وإنما أشارت فقط إلى بعضهن من بيت الحكم والسلطة في الدولة المرابطية وحصولهن على قسط وافر من الثقافة ، فني الدولة المرابطية كانت هناك تميمة بنت يوسف بن تاشفين أخت على بن يوسف بن تاشفين وتكتني أم طلحة وكانت راجحة العقل مشهورة بالأدب والكرم (١) وأيضا حواء بنت تاشفين — وكان تاشفين أخا ليوسف بن تاشفين لأمه — كانت أديبة بنا شاعرة جليلة ماهرة ، وكانت تحضر المجالس الأدبية وتجمع الشعراء والكتاب وتحادثهم (٢) .

وبجانب الثقافة والمعرفة فإن بعض الأميرات قد تدربن على الضرب والطعن حتى أن إحداهن وهى فانو بنت عمر بن ينتيان ظلت تقاتل الموحدين على أسوار مراكش حتى قتلت ، وقد أعجب الموحدون بشجاعتها وصمودها يقول البيدق « فاستفتحت ودخلت بالسيف وكان القتال على القصر حتى الظهر ، ولم يدخل حتى ماتت فانو بنت عمر بن ينتيان وكانت ذلك اليوم تقاتل الموحدين في هيئة رجل ، وكان الموحدون يتعجبون من قتالها ومن شاة ما أعطاها الله من الشجاعة وهى بكر فلما ماتت حينئذ دخل القصر ولم يعرف الموحدون هل هي امرأة أم لا حتى ماتت » (٣) .

فإذا ما انتقلنا إلى الدولة الموحدية وجدنا اشتغال كثير من النساء بالعلوم المختلفة ، وفي فترة نشر الدعوة شاركت المرأة في الاستماع إلى كلام ابن تومرت ونصائحه فحين أحس ابن تومرت بدنو أجله ، جمع الرجال والنساء للاستماع إلى نصائحه ووعظه يقول ابن القطان « وذلك أنه لما تمادى مرضه – أى مرض ابن تومرت – خرج راكبا على بغلته وجمع الناس ليسمعهم كلامة

⁽۱) ابن القاضى : جدوة الاقتباس ص ١٠٦ ، ١٠٦ .

⁽٢) ابن عذارى : البيان المغرب ج } ص ٥٧ تحقيق د. احسان عباس.

⁽٣) البيذق: اخبار المهدى ص ١٠٣٠

ووداعه وأمر أن يكون الرجال أمامه والنساء خلفه ليسمع كلهم كلامه . . ، (١٦)

ومن بنات الحلفاء المثقفات التي أشارت إلهن المراجع الأميرة زينب بنت الحليفة يوسف بن عبد المؤمن درست علم الأصول على أبي عبد الله بن إبراهيم وكانت عالمة صائبة الرأى فاضلة (٢) ومن الشهيرات حفصة بنت الحاج الركونية وهي من شاعرات الأندلس وقد مدحت الحليفة عبد المؤمن بن على (٣٦) ثم قامت بالتدريس في قصر الحليفة المنصور الموحدي لنساء القصر ، وأم خبرونه الفاسية التي كانت تحضر مجلس عمان السلالحي إمام أهل فاس في الأصول وقد اقترحت عليه تأليف كتاب في مذهب الأشاعرة فألف العقيدة البرهانية (٤) وكذلك فاطمة بنت عبد الرحمن فقد درست أصنافاً مختلفة من الكتب إذ حفظت القرآن بقراءة نافع وكتاب شهاب الأخبار في الحكم والأمثال وفي الترب للقاضي محمد بن سلامة وعدة كتب في اللغة وصحيح مسلم في الحديث وفي التاريخ سيرة ابن اسحق وفي الأدب الكامل للمبرد (٥) وغير هؤلاء من النساء اللاتي حرصن على الترود من العلوم الاسلامية والدراسات الأدبية المنتشرة في ذلك العصر .

نفوذ المرأة: أسهمت المرأة المرابطية بذكائها ونصائحها في تأسيس الدو لة المرابطية والسيطرة على ولاة الأمر بها. وقد سبق أن أشرت في الفصل الثاني إلى الطريقة التي توصّل بها يوسف بن تاشفين إلى الحكم ومنها نصائح زوجته زينب النفزاوية ومشورتها ، وذلك لأنها كانت تتمتع بعدة صفات طيبة إذ كائها كانت امرأة حازمة لبيبة ذات رأى وعقل ومعرفة بالأمور (١) ولفرط ذكائها "

- ابن القطان : نظم الجهان ص ١٢٦ .

⁽٢) عبد العزيز بنعبد الله: مظاهر الحضارة المغربية ج ٢ ص ٩ - ١ ع

المنونى : العلوم والآداب ص ٣٣ ، كنون : النبوغ المغربي ج ١ ص ١٤٤ .

⁽٣) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب ج ٢ ص ١٣٨ ، المتسرى : نقح الطيب ج ٥ ص ٣٠٣ .

⁽٤) عبد العزيز بنعبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ج ٢ ص ١٠٩ ٤ المنونى : العلوم والآداب ص ٣٥ .

⁽٥) ملين : عصر المنصور الموحدي ص ١٦٩ ٠

⁽٦) ابن ابی زرع: الانیس ج ۲ ص ۳۲ ت الفیلالی ، السلاوی تا الاستقصا ج ۲ ص ۲۱ .

أطلقوا عليها الله الساحرة (١) وقد أشارت المراجع إلى النصائح التى أسدتها زينب إلى زوجها يوسف بن تاشفين مع المعونات المادية التى قدمتها له حتى استطاع أن يثبت أقدامه فى مقعد الحكم واستطاعت زينب هذه الوسيلة أن تتمكن من قلب زوجها وتصير لها الكلمة فى البلاد (٢) وكان يوسف بن تاشفين يعتر بها ويصرح فى مجالسه عكانتها وفضلها يقول ابن عدارى و وفى هذه السنة سنة ٢٦٩هـ ولد للأمير يوسف بن تاشفين ولده الفضل من زوجته زينب النفزاوية وكانت أحب ما لديه ، أمرأة غالبة عليه ، ليس . . . (٣) ولا كان أمر إلا أمرها ، وكان يقول لبنى عمه إذا خلا بهم وورد ذكرها : إنما فتح البلاد برأمها ه (٤).

وقد برز مدى سلطة زينب أنها أمرت بعزل أحد القضاة لأنه مدح حواء زوجة سبر بن أبى بكر بالحال وفضلها على سائر النساء ، فجاءها الرجل مستعطفاً وظل على بابها أياماً ، باع كل ما يملك لينفق منه ، إلى أن سمحت له بالمثول بن يديها يقول النويرى « قالت – أى زينب لحادمها – فأتنى به الساعة فأحضره إليها فقالت له تمدح زوجة سسر وتفضلها على سائر النساء وخرجت في وصفك لها عن الحد ، وزعت أن ليس في الأرض أحل منها ، وما هذه منزلة القضاء ، ولا يليق بك أن تترك نفسك في هذه المنزلة فقال المتعالى المتعالى

أنت بالشمس لاحقه وهي بالأرض لاصقة في الله من سير طالقة

فقالت له ياقاضي طلفتها منه قال نعم ثلاثة وثلاثة ، فضحكت

⁽۱) نفس المرجعين السابقين ونفس الصفحات ، مجهول : تواريخ مدينة فاس ص ٢٤ .

⁽۲) ابن أبى زرع: الأنيس ج ٢ ص ٣٣ ، ٣٤ ت الفيلالى ، ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٢٢ ت د. احسان عباس ، ابن الخطيب: أعمال الاعلام: القسم الثالث ص ٢٣٢ ، ٣٣٣ ت العبادى ، ابن خلدون: العبر ج ٧ ص ٢٦ .

⁽٣) بياض الأصل .

حتى افتضحت وقالت والله لا شم لها قفا أبداً وكتبت إلى يوسف برده إلى القضاء فرده (1) وهكذا لعبت الغيرة دورها في عزل القاضي ثم رده بعد ذلك أختى إذا تولى أمير المسلمين على بن يوسف ، ازداد نفوذ النساء وصارت لهن السيطرة على الحياة العامة في البلاد يصوّر ذلك المراكشي بقوله و واستولى النساء على الأحوال وأسندت إليهن الأمور وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل ، وصاحب خمر وماخور ، وأمير المسلمين في ذلك كله يتريد تغافله ويقوى ضعفه (٢) وصارت زوجة أمير المسلمين تتدخل في عزل الولاة ، وذلك ما فعلته والدة سير في عزل تاشفين عن تولى إمارة الأندلس يقول ابن عذارى و وذكروا أن والدة سير هي التي غارت بأخيه تاشفين لئلا يكبر على ابنها ويتملك في بلاد الأندلس فكانت سبب عزلته ووصوله — أي إلى مراكش (٢) فلما بلاد الأندلس فكانت سبب عزلته ووصوله — أي إلى مراكش (٢) فلما وكان هذا من تأثير قمر والدة سير ، فلما مات ابنها سير وكان ولياً للعهد وحالت نقل ولاية العهد إلى اسحق دون تاشفين ولم يتحقق لها ذلك بسبب صغر صفر استى استق النها ولاية العهد إلى استق دون تاشفين ولم يتحقق لها ذلك بسبب صغر سن استق ما مع اختيار الناس لتاشفين ولم يتحقق لها ذلك بسبب صغر سين استق (٥) مع اختيار الناس لتاشفين ولم يتحقق لها ذلك بسبب صغر سين استق (٥) مع اختيار الناس لتاشفين ولم يتحقق لها ذلك بسبب صغر

وكان هذا التدخل في شئون الدولة مع ضعف أمير المسلمين على بن يوسف أمام سيطرتهن عاملا من عوامل ضعف الدولة المرابطية ثما أدى بها إلى الانهيار والسقوط (٢) وقد أشار المراكشي إلى أن من عوامل إختلال أحوال الأندلس في أواخر أيامهم سيطرة النساء على مقاليد الأمور « فأما أحوال جزيرة الأندلس فإنه لما كان آخر دولة أمير المسلمين أبي الحسن على ابن يوسف ، اختلت أحوالها اختلالا مفرطاً ، أوجب ذلك تخاذل المرابطين

⁽۱) النويرى: نهاية الأرب ج ۲۲ مجلد ۲ ص ۸۰ ٠

⁽٢) الراكشي : المجب ص ١٧٧ .

⁽۳) ابن عذاری : البیان المغرب ج ؟ ص ۹۷ ت د. احسان عباس -

⁽٤) نفس المرجع السابق ج ٤ ص ٩٧ .

⁽٥) نفس الرجع السابق ج ٤ ص ٩٧ .

⁽٦) حركات : المفرب عبر التأريخ ص ٢٣٥ ، د. احمد شلبى : التاريخ الاسلامي ج ٤ ص ١٨٣ ، كنون : النبوغ المغربي ج ١ ص ١٠٣ .

وتواكلهم ، وميلهم إلى الدعة وإيثارهم الراحة وطاعتهم النساء فهانوا على أهل الحزيرة وقلّوا في أعينهم ، واجترأ عليهم العدو » (١).

حتى إذا قامت الدولة الموحدية لم يكن للمرأة في المجتمع الموحدي نفوذ مثيلتها في الدولة المرابطية ، وتدخلها في الشئون السياسية بذلك الشكل الواضح وقد وجدنا منها مشاركة في الشئون السياسية حين حضرت مبايعة القبائل لعبد المؤمن بن على يقول البيذق : « وصاح بالقبائل – أى عبد المؤمن بن على بعد رجوعه من غزو كزولة – وضم الموحدين وجعل المحلس فاستعمل ركائز وحال بين الرجال والنساء ثم وعظ الناس وقال لهم في آخر كلامه بني عندكم عهد بيعة المهدى . . . (٢) » ولم توضّح الرواية هل قام النساء بالمبايعة أيضاً ؟ وإنما اكتفت الرواية « فحد يده وبايعوه – أى أصحابه – ثم تبعه سائر الناس حتى الليل وكانت البيعة ثلاثة أيام متوالية . . » (٣) ويرجح الناس التي وردت في النيع خامة تشمل الرجال والنساء .

واحتلّت زوجة الحليفة يوسف بن عبد المؤمن من نفسه مكانة طيبة ، وهي ابنة عدوه محمد بن سعد أحد المتغلبين على شرق الأندلس وذلك بعد دخوله في طاعة الموحدين ، فأكرمه الحليفة يوسف بن عبد المؤمن وتزوج من ابنته ، واستطاعت هذه الزوجة أن تتغلب عليه حتى كان الناس يضربون المثل محب الحليفة بالزرقاء المردنيشية (٤) واستطاعت مهذه المنزلة أن تشير على زوجها بتعيين بعض قرابتها في بعض المناصب يقول لسان الدين بن الحطيب « واتفق لقومها من البخت بسبها ما لم يتفق لثائر ولا مخالف ملك من إعادته إلى ملكه فأنفذ تقديم الأمير أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش على بلنسية وجهاتها وقدم غائم بن محمد على أساطيل العدوة بسبة مردنيش على بلنسية وجهاتها وقدم غائم بن محمد على أساطيل العدوة بسبة

⁽۱) المراكشي : المعجب ص ۲۰۸ .

⁽٢) البيذق: أخبار المهدى ص ٨٥.

⁽٣) نفس المرجع السابق ص ٨٥ .

⁽٤) ابن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الثاني ص ٣١٢ ، ٣١٢ ت ليني بروننسال .

وأمسك هلالا بحضرته أثير الرتبة لديه »(١) غير أن هذا النفوذ للمرأة الموحدية. لم يبلغ الدرجة الّي وصلت إليها المرأة في العهد المرابطي .

بعض الأعمال التى اشتغلت بها المرأة: قامت المرأة فى مجتمع المغرب الأقصى خلال فترة البحث بدورها الأساسى وهو رعاية الأسرة والإشر أف على شئون الييت وتربية الأبناء ، إلا أنه مجانب ذلك اشتغل بعضهن بيحض الأعمال رغبة فى الكسب ، وفى بعض الأحيان يكون هذا ناتجاً عن حادة متأصلة فى بعض القبائل وهى دفع النساء للعمل كنساء أهل السوس وأعمات ، يقول البكرى « وأهل السوس وأعمات أكثر الناس تكسباً وأطلبهم للورق يكلفون نساءهم وصبيانهم التحرف والتكسب » (٢).

وقد اشتغل بعضهن بغزل الصوف يقول ياقوت « ونساوهم أى فساء سلماسة — يد صناع فى غزل الصوف فهن يعملن منه كل حسن بديع من الأزر يفوق القصب الذى بمصر ، يبلغ ثمن الإزار خمسة وثلاثين دينار آ أو أكثر »(٣) كذلك نساء فاس كن يشتغلن بالتطريز وحياكة الملابس (٤) . كذلك قامت بعض النساء ببيع اللن فعند مرور ابن تومرت فى طريق عودته بإحدى القرى وجد النساء مترينات يبعن اللن (٥)

ونتيجة لحصول بعضهن على ثقافة عالية ، كالعالمة حفصة بنت الحاج الركونى ، وكانت أستاذة وقتها فإنها قامت بالتدريس لنساء المنصور الموحدى في قصره وتوفيت بحصرة مراكش سنة ٥٨٠ه / ١١٨٤م أو سنة ١٨٥هم / ١١٨٥م أو منه ١٠١٥هم مراكب ومنهن أخت الطبيب أبو بكر بن زهر وابنتها إذ كانتا بارعتين في الطب وكانتا تداويان قساء

⁽۱) ابن الخطيب: أعمال الاعلام القسم الثاني ص ٣١٢ منه ليقي بروةنسسال .

⁽٢) البكرى: المغرب في ذكر المريتية ص ١٦٣ .

⁽٣) ياتوت الحموى : معجم البلدان جـ ٣ ص ٤٩ .

⁽٤) روجيه : قاس في عصر بني مرين ص ١٣٤ ترجمة د ، نتولا زيادة .

⁽٥) البيذق: اخبار المهدى ص ١١ .

⁽٦) ابن الخطيب: الاحاطة المجلد الاول ص ٤٩٩ ، ١٠٥ ت عنات .

المنصور الموحدى (١) يقول ابن أبي أصيبعة « وكانت أخته – أى أخت أبي بكر ابن زهر – وابنتها عالمتين بصناعة الطب والمداواة ولهما خبرة جيدة ما يتعلق ممداواة النساء وكانتا تدخلان إلى نساء المنصور ولا يقبل – تتولى قبالة نساء أهله أى توليد هن – للمنصور وأهله ولدا إلا أخت الحفيد أو بنتها لما نوفيت أمها (٢) وهكذا لم يكن نشاط المرأة محصوراً في أعمال البيت وإنما تعداه إلى الحياة العامة حيث شاركت المرأة في بعض الأعمال.

ه -- أهسل الذمسة

عاشت جاليات من اليهود والنصارى على أرض المغرب الأقصى متخذة من أرضه وطناً لها ، فقد اعتنق بعض سكان المنطقة الديانة اليهودية وقد علل ابن خلدون ذلك بقوله « ربما كان بعض هؤلاء البربر دانو بدين اليهودية أخذوه عن بنى اسرائيل عند استفحال ملكهم لقرب الشام وسلطانه كما كان جراوة أهل جبل أوراس قبيلة الكاهنة . . . وكما كانت نفوسه من برابر المغرب المؤيقية وفندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة وبنو فازاز من برابر المغرب الأقصى » (٣).

كذلك اعتنق فريق من السكان الديانة المسيحية بعد أن دخلت المسيحية إلى المغرب عن طريق رهبان مصر فى القرن الثانى الميلادى (٤) وكانت تتركز حموعهم فى المدن الساحلية والسهل الساحلي حتى إذا دخل الإسلام المنطقة واعتنق أهل البلاد الإسلام، كفل ولاة المسلمين الحرية الدينية لهذه الطوائف، ومن ثم عاشوا ينعمون بعدالة الإسلام بين سكان البلاد ، ووجدت مهم حماعات متفرقة فى القرنين الحامس والسادس من الهجرة فني تلمسان وجدت

⁽۱) عبد العزير بنعبد الله: الطب والاطباء بالمغرب ص ٣٠ الرباط سنة ١٩٦٠ ، د. احمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ١٦ دمشق سنة ١٩٣٩ ملين: عصر المنصور الموحدي ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، المنوني: العلوم والآداب ص ١٢٨ .

⁽٢) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء وطبقات الاطباء ص ٢٥٥ بيروت سنة ١٩٦٥ .

⁽٣) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١٠٧ ٠

⁽٤) د. حسين مؤنس : نتح العرب للمغرب ص ٢٨ مطبعة مصر سنة ١٩٤٧ .

جالية مسيحية يقول البكرى « وفيها — أى تلمسان — للاول آثار قديمة وبها بقية من النصارى إلى وقتنا هذا ولهم بها كنيسة معمورة » (١).

كذلك اليهود عاشوا فى أكثر من مكان ففى مدينة فاس كانت توجد جالية كبيرة من اليهود (٢) كذلك عاش اليهود بأعداد كبيرة بإحدى قلاع جبل فازاز يقول صاحب كتاب الاستبصار « وفى هذا الجبل ــ أى جبل فازاز ــ قلعة كبيرة تنسب للمهدى ابن توالى الحيفشى . . . وكان اليهود فى ذلك التاريخ أكثر سكانه لأنهم سوقة فيلجئون للحصن حيطة على سلعهم» (٣) واتخذ الهود مدينة أغمات ايلان مقراً لهم (٤).

أهل الذمة في عهد المرابطين :

سبق أن أشرت إلى وجود جاليات من أهل الذمة فى نواحى متفرقة من البلاد فلما قامت دولة المرابطين استظل أهل الذمة كغيرهم من طبقات وطوائف. المحتمع بنظام الحكم الحديد . وقد اختلفت أوضاعهم نتيجة للأحداث الى مرت بها المنطقة ويبدو أن طائفة اليهود كانت على قدر كبير من الثراء مما دفع ابن تاشفين إلى فرض أموال كثيرة عليهم ليستعين بها فى دعم مركزه (٥) يقول ابن عذارى و وفيها – أى سنة – ٤٦٤ه – افترض على اليهود فريضة تقيلة فى حميع طاعته اجتمع له فيها مائة ألف دينار عشرية ونيف على ثلاثة عشر ألف دينار ١٥٠ وهو مبلغ كبير يدل على ما كان يتمتع به اليهود من الثراء ، حتى إذا صارت الأندلس إقليا تابعاً للمغرب الأقصى زاد سكان المنطقتين : المغرب الأقصى والأندلس إتصالا ، وخاصة بعد المعارك المتصلة المنطقين : المغرب الأقصى والأندلس مسيحيين أو يهود إلى المغرب الأقصى ، إلا أن بعض الأحداث السياسية دفعت أمير المسلمين على بن يوسف

⁽۱) البكرى: المغرب ص ٧٦.

⁽٢) نفس الرجع السابق ص ١١٥٠

⁽٣) مجهول : آلاستبصار ص ١٨٧ .

⁽٤) ابن سعيد: نزهة الانظار جـ ١ ص ١٣٠

⁽٥) أبن الخطيب : الحلل الموشية ص ١٣ . '

⁽٦) ابن عذاری : البیان المغرب ج ؟ ص ٢٣ تحقیق د، احسسان. عبساس .

إلى تغريب عدد كبير من النصارى إلى المغرب الأقصى ، وكان السبب فى ذلك أن نصارى مدينة غرناطة تعاونوا سرا مع ابن ردمير عدو المسلمين وزيّنو اله اقتحام مدينة غرناطة مما نتج عنه كثير من الأضرار التى لحقت بسكان المدينة ومن هنا عبر ابن رشد إلى أمير المسلمين على بن يوسف وأحاطه علماً بما حدث وأفتاه بتغريب هؤلاء النصارى وغيرهم ممن يمالؤن مع العدو(١) يقول ابن الحطيب « وفى سنة تسع عشرة وخمسائة جاز القاضى أبو الوليد بن رشد إلى مراكش فتلقاه أمير المسلمين على بن يوسف بالمبرة والكرامة وبيّن له القاضى أمر الاندلس وما أصيبت به من النصارى المعاهدين مها وما جروة ذلك من نقض العهد والحروج عن الذمة ، فلتى نظره بالقبول وأفتاه بتغريبهم وإجلائهم عن أوطانهم وهو أخف ما يؤخذ به فى عقامهم ، ونفذ عهده إلى معيع بلاد الاندلس بإزعاج المعاهدين إلى ناحية مكناسه وسلا وغيرها من يلاد العدوة ه (٢) وهكذا كانت خيانهم ونقضهم للعهد سبباً فى نقلهم من أوطانهم إلى المغرب الاقصى .

و مجانب هذا الإجراء ، كان هناك إجراء وقائى من أمير المسلمين على بن به يوسف بالنسبة لليهود ، إذ حرم عليهم المبيت بمدينة مراكش وسمح لهم فقط بالعمل فيها نهاراً والانصراف منها ليلا (٣) يقول الادريسي و وأعمات إيلان مدينة صغيرة في أسفل جبل درن المذكور . . ومهذه المدينة يسكن يهود تلك البلاد وهي مدينة حسنة كثيرة الحصب كاملة النعم ، وكانت اليهود لا تسكل مدينة مراكش عن أمر أمرها على بن يوسف ولا تدخلها إلا نهاراً وتنصرف وعنها عشية ، وليس دخولهم في النهار إليها إلا لأمور له وخدم تختص به ومتى عنها عشية ، وليس دخولهم في النهار إليها إلا لأمور له وخدم تختص به ومتى

⁽۱) ، ابن عذارى : البيان المغرب جري ص ۷۲ تحقيق د . اهسسان عباس ، النباهى ؛ تاريخ قضاة الاندلس ص ۹۹ ، ابن الخطيب : الاحاطة . في اخبار غرناطة المجلد الاول ص ۱۱۹ ، ۱۲۰ ، عباس المراكشي : الاحلام ج ۲ ص ۳۵۸ ارنست رينان : ابن رشد والرشدية ص ۳۲ ، ۳۳ ترجسة ، عادل زهيتر سبة ۵۷ ، اشباخ : تاريخ الاندلس ج ۱ ص ۱۵۷ ،

De Gayangos; History of Mohamedan. V.2 P; 306.

⁽٢) ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ٦٦ ، ٦٦ .

عثر على واحد منهم بات فيها استبيح ماله ودمه ، فكانوا ينافرون المبيت فيها حياطة على أموالهم وأنفسهم »(١).

وهذا الإجراء مع دفعهم أموالا ضخمة ليوسف بن تاشفين من قبل يضاف إلى ذلك تغريب النصارى من الأندلس ، دفع بعض الكتاب إلى القول بأن أهل الذمة عاشوا فى اضطهاد فى دولة المرابطين وأنهم لم يتمتعوا محريتهم الدينية ، يقول فيليب حتى « إزداد الحماس الدينى — أى فى دولة المرابطين — حتى أخذت الاضطهادات فى أوائل القرن الثانى عشر تنصب على المسيحيين واليهود (٢) ويقول بروكلمان « فلما تم السلطان للمرابطين انهى اليهود إلى حال من العسربالغة (٣) وتبعهم فى هذا الاتجاه بعض الكتاب (١) وقد أسرف هؤلاء الكتاب فى لوم المرابطين واتهامهم وبمناقشة ما فعله المرابطون مكننا أن نستخلص ما يلى :

أولا: أن أخذ يوسف بن تاشفين أموالا من اليهود لم يكن إجراء قاصراً على طائفة اليهود بل إن ولاة المرابطين فرضوا بعض المعونات على جميع طبقات المجتمع في حالة احتياجهم للمال ، وقد سبق أن أشرت إلى أن على الهن يوسف فرض معونات على أهل المدن المغربية لتساعده في حملاته العسكرية ومن ذلك ما فرضه على أهل فاس سنة ٥٣٠ه من معونة تقدر بعشرين ألف دينار كمعونة للجيش (٥).

ثانياً: مسألة تحريم المبيت على اليهود بالعاصمة مراكش ، كان إجراء وقائياً ضد احتمالات التجسس التي يمكن أن يقوم بها اليهود ، أو عمليات التخريب وخاصة أن عهد على بن يوسف شهد معارك متعددة في أكثر من

 ⁽۱) الادریسی : وصف المغرب والاندلس ص ۱۹ ت دوزی .

اً (۲) نیلیب حتی : تاریخ العرب ص ۲۰۶ ترجمة مبروك نانع ط ۳ سننة ۲۰ .

^{. • (}٣) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ١٨٠ ترجمة فبيه فارس ومنير البعلبكي .

⁽٤) عَنَانَ : عَصَرَ المرابطينِ والموحدينِ النسم الأول ص ٤٢٠ ، د. لطفى عبد البديع : الاسلام في اسبانيا ص ٣٤ ، ٣٥ ط ٢ سنة ٦٩ ،

S.P. Scott History of Moorish Empire P: 247.

⁽٥ ابن القطان: نظم الجمان ص ٢٢٦ .

جبهة فى الأندلس ضد النصارى ، وفى المغرب الأقصى ضد ثورة ابن تومرت ومن هنا كان لا بد له من الاحتياط فى عاصمته مقر إدارة الدولة وتجمعات الحند وما يتصل بذلك من خطط وتحركات عسكرية .

ثالثاً: أن تغريب النصارى من الأندلس كان إجراء عادلا نتيجة لنقضهم العهد وخيانتهم للمواثيق باتصالهم بالعدو واطلاعهم على عورات المسلمين ومن هتا كان القرار الحاسم ، وهو شل حركتهم وإبعادهم عن مواطن الإتصال بالمعدو ونقلهم إلى المغرب ليكونوا تحت سمع وبصر أمير المسلمين .

رابعاً: أن الفترة الزمنية التي وقعت بها هذه الأحداث كانت تشهد حرباً طاحنة في المشرق أعلنها الصليبيون للاستيلاء على ثرواث المشرق مستترين تحت شعار الصليب، ومن هنا كان من حق أمراء المرابطين اتخاذ كل ما يرونه من احتياطات بشأن معاملة أهل الذمة.

خامساً: أظهر ولاة الأمر تساعاً حين استخدموا النصارى والهود في عدة وظائف بالدولة وفي مقدمة ذلك إشراكهم في جيش البلاد^(۱) يقول ابن عدارى و وفي سنة أربع وثلاثين وخسيائة خرج تاشفين بعسكر كبير من لمتونة والحشم وزناته لقتال الموحدين ومعه جمع من النصارى مع قائدهم الربرتير فبتي يحاربهم نحو شهرين ثم رجع إلى مراكش (۲) بجانب ذلك كانوا يكونون الحرس الحاص لأمير المسلمين على بن يوسف (۲) ، يضاف إلى يكونون الحرس الحاص لأمير المسلمين على بن يوسف (۳) ، يضاف إلى ذلك اشتراكهم في جباية الأموال الدولة (٤) ، وقد شارك الهود النصارى في وظيفة جباية الأموال (٥) .

⁽۱) اشباخ: تاريخ الاندلس ج ۲ ص ۲۳۹ ، د. حسن محمود: تيام دولة المرابطين ص ۳۸۰ ، لينى بروننسال: الاسلام فى المغرب والاندلس مس ۲۵۳ ، ۲۵۳ ت د. السيد محمود سالم ، الصديق بن العربي: طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب ص ۱۵۶ مجلة تطوان عدد ۱ سنة ۵۲ ، J.F.P. Hopkins; Medieval Muslim, P; 69.

⁽۲) ابن عذاری : البیان المغرب ج ۶ ص ۹۸ ت د. احسان عباس ۱۰ (۳) اشباخ : تاریخ الاندلس ج ۱ ص ۱۲۲ ۰

⁽١) المباع ، عربي المعلق بالمرب عبر التاريخ من ٢٢٩ ، د، حسن محمود ، المام دولة الرابطين ص ٢١١ ، ليني بروننسال : الاسلام في المغرب والاندلس ص ٢٤٧ سند ، السيد محمود سالم ،

⁽٥) أشباخ : تاريخ الاندلس ج ٢ مس ٢٣٨ ٠

سادساً: اشتغال كثير من الهود في بعض الحرف في المدن المغربية كاشتغالهم بصناعة القناديل وزخرفة المعادن وصناعة الحلى وغيرها بمدينة فاس (١) كما أن بعضهم اشتغل محرفة البناء في مدينة سملماسة (٢) ولا يتسى لهم إحتراف هذه الأعمال إلا إذا كانوا يعيشون في ظل من الأمن والطمأنينة.

سابعاً : تمتع علماء اليهود بالمغرب والأندلس بحرية الكتابة والبحث ، يقول اشباخ و فمنذ القرن الحادى عشر وضع يهوذ شويج الفاسي قاموساً عبرياً ومباحث قيمه عن الإنشاء والترقيم فى اللغة العبرية ولم يطبع منها شيء حتى وقتنا . وفي القرن الثاني عشر از دهرت المباحث العلمية المهودية في أسبانيا بنوع خاص (٣) ، ولو كان البهود يعيشون في اضطهاد لما تسنَّى لهم التفكير فضلا عِن الكتابة والبحث في ديانتهم .

ومن هذا كله يمكن أن نستخلص أن أهل الذمة كغيرهم من طبقات المجتمع عاشوا يتمتعون بعدالة ولاة الأمر .

ن أهل الذمة في عهد الموحدين :

واجه أهل الذمة موقفاً صعباً في عهد الخليفة عبد المؤمن ، إذ تشير بعض الروايات إلى أن الخليفة عبد المؤمن خير أهل الذمة بين الإسلام أو ترك البلاد أو القتل ومن ذلك ما رواه النويري ٥ وكان عبد المؤمن لا يداهن في دُولتهُ ويأخذ الحق من ولده إذا وجب عليه قال ولا مشرك في بلاده ولا كنية في نفعه منها ، لأنه كان إذا ملك بلداً إسلامياً لم يترك فيه ذمياً إلا عرض عليه الإسلام فمن أسلم سلم ومن طلب المضى إلى بلاد النصارى أذن له فى ذلك ومن أبي قتل فجميع أهل مملكته مسلمون لا يخالطهم سواهم، (٤) وتطبيقاً لهذه القاعدة فإن كابراً من البود والمصارى غادروا البلاد فراراً بحياتهم (٥) وفي ذلك يقول القفطي و ولما نادي عبد المؤمن بن على الكومي البربري المستولى

⁽١) روجية : نماس في عصر بني مرين ص ١٣٩٠.

۲) البكرى: المفرب ص ۱٤٩ ، ۱٤٩ .

⁽٣) اشباخ : تاريخ الاندلس ج ٢ ص ٢٥٦ . (٤) النويري : نهاية الأرب ج ٢٢ مجلد ٢ ص ٩٨ .

⁽٥) د. محمد بحر عبد المجيد: اليهود في الأندلس ص ٨٨ المكتبة الثقامية عدد ۲۳۷ سنة ۱۹۷۰ .

على المغرب فى البلاد التى ملكها بإخراج الهود والنصارى منها وقدر لهم مدة وشرط لمن أسلم منهم بموضعه على أسباب ارتزاقه ما للمسلمين وعليه ما عليهم ومن بتى على رأى أهل ملته فإما أن يخرج قبل الأجل الذى أجله وإما أن يكون بعد الأجل فى حكم السلطان مستهلك النفس والمال ، ولما استقر هذا الأمر خرج المخفون وبتى من ثقل ظهره وشح بأهله وماله وأظهر الإسلام وأسر المكفر ه(١) وممن تظاهر بالإسلام ثم فر بعد ذلك موسى بن ميمون حيث لحأ إلى مصر واستقر بالفسطاط (٢).

وقد أشارت المراجع إلى اتخاذ الحليفة عبد المؤمن موقفاً صريحاً فى فرض الإسلام على أهل الذمة فى تونس حين تم فتحها (٢) يقول ابن الآثير و وتسلم البلد ــ أى تونس ــ وأرسل إليه من يمنع العسكر من الدخول وأرسل أمناءه ليقاسموا الناس على أموالهم وأقام عليها ثلاثة أيام ، وعرض الإسلام على من بها من اليهود والنصارى فمن أسلم سلم ومن امتنع قتل ٤. (٤)

وقد أحاطت عدة ظروف بالحليفة عبد المؤمن دفعته لمثل هذا الإجراء: فالتشدد الديني الذي صاحب قيام الدولة ، وإنهام كل من يخالف مذهبه بالكفر ، مع استمرار الصراع المسلح في الأندلس ومساندة النصاري لأبناء دينهم ، واستمرار الحملات الصليبية وشرورها في المشرق مع خوف عبدالمؤمن من دسائس وخيانات أهل الذمة وقد عايش ذلك بنفسه طبقاً للرواية التي تشير إلى أن جنود النصاري في جيش المرابطين هم الذين خانوا سادتهم وفتحوا أحد أبواب مراكش وبذلك مكتنوا الموحدين من احتلال المدينة (٥) وأنه حين فرض الإسلام بحد السيف على أهل الذمة في تونس ، إنما كان في طريقه لتخليص المهدية من يد الفرنج ومن يساعدهم من أهل الذمة ، ومن

⁽۱) التغطى: اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٠٩ ط ١ سنة ١٣٢٦ه. (۲) نفس المرجع السابق ص ٢٠٩ ، د، محمد بحر عبدالجيد: اليهود في الاندلس ص ٨٨ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين القستم الاول ص ٤٠٤ (٣) النويرى: نهاية الأرب ج ٢٢ مجلد ٢ ص ٩٥ ، الباجي: الخلاصة

⁽۳) النويرى ، نهايه الارب ج ٢١ مجدد ١ ص ١٠٥ ، الباجي ، الله النقية ص ٥٥ ، ابن سميد : نزهة الانظار ، ج ١ ص ١٩٥ ، ابو عبد الله محمد : الحلل السندسية ص ٢٥١ .

⁽٤) ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص ٦٣٠

⁽٥) أشباخ : تاريخ الأنطس ج ١ ص ٢١٢ ٠

⁽م ٢٤ _ الحضارة)

ثم أراد أن يؤمن خطوطه الحلفية ، كل هذه الظروف هي التي أدت في النهاية إلى هذا التصرف من جانب الحليفة عبد المؤمن ومع ذلك فهذا الموقف لايقره الإسلام ، إذ أن القرآن يذكر صراحة الآية الكريمة التي تقرر « لا إكراه في الدين » ومن ثم فإن ولاة الأمر من المسلمين لا يسمح لهم بفرض الإسلام بالقوة.

ويبدو أن تصرفات الحليفة عبد المؤمن دفعت المراكشي إلى أن يصرح بخلو المغرب الأقصى من أهل الذمة في عهد الموحدين يقول و ولم تنعقد عندنا ذمة ليهودي ولا نصراني منذ قام أمر المصامدة ، ولا في جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعة ولا كنيسة إنما اليهود عندنا يظهرون الإسلام ويصلون في المساجد ويقرثون أو لادهم القرآن جادين على ملتنا وسنتنا والله أعلم بما تكن صدورهم وتحويه بيوتهم و(١) ومن هذا النص نفهم إسلام أهل الكتاب أو تظاهرهم بالإسلام ومن ثم فلم يكن هناك أهل ذمة في دولة الموحدين ، غير أن الأحداث والنصوص تشر إلى عكس ذلك ومنها :

أولا: أن فرض الإسلام على أهل اللمة بتونس كان مرتبطاً بافتتاح المهدية وما فيها من الفرنج ، ولم تشر المراجع التي اطلعت عليها أن الخليفة عبد المؤمن أرغم أحداً من أهل اللمة في المدن المغربية الأخرى على إعتناق الإسلام . '

ثانياً: استخدام الموحدين للنصارى فى جيوشهم كما فعل المرابطون^(٢) وقد استتبع ذلك وجود أحياء فى مراكش لإقامتهم ^(٣) .

ثالثاً: ومما يؤكد وجودهم بالعاصمة مراكش أنه حين حدث قحط في عهد المنصور الموحدى خرجت طوائف المدينة كلها ومها الهود والنصارى للاستسقاء والدعاء يقول عباس المراكشي في ترحمته لأبي العباسي السبي المتوفى سنة ٢٠١ه ه ومن بركاته رضي الله عنه ، أن أهل مراكش قحطوا

⁽١) المراكشي: المجب ص ٣٠٥ .

⁽Y) الصديق بن العربى : طوائف وشخصيات مسيحية بالغرب ص ١٥٤ مجلة تطوان عدد ١ سنة ٥٦ ،

⁽٣) حركات : المفرب عبر التاريخ ص ٣٦٦ .

فى زمان يعقوب المنصور رحمه الله تعالى فأمر الناس بالحروج حتى لم يبق فى المدينة أحد وخرج إليها اليهود والنصارى والبهائم والنساء وأولادهم . . ، (١).

رابعاً : لم يكن وجودهم قاصراً على العاصمة ، بل كانوا في أماكن متفرقة من البلاد فقد كانت هناك جالية يهودية تعيش في إحدى قلاع جبل فازاز (٢).

خامساً: وجود طائفة منهم تشتغل بالبناء في مدينة سجلماسة (٢) وكانوا يشكلون طبقة غنية في مدينة فاس سنة ٥٨٢ه / ١١٨٦م يقول صاحب كتاب الاستبصار و وأما الآن — سنة ٥٨٦ه ه — فهم تجار أهل هذه البلاد كلها وأغنياؤها وخاصة بمدينة فاس فإني عاينت منهم من يقال أن عنده المال الممدود ورجالا كثرين ه (٤).

سادساً: أن المنصور الموحدى أصدر أوامره بتغيير زى البود المقيمين في البلاد (٥) يقول المراكشي لا وفي آخر أيام أبي يوسف أمر أن يمير البود اللذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم وذلك بثياب كحلية ، وأكمام مفرطة السعة تصل إلى قرب من أقدامهم ، وبدلا من العائم كلوتات على أشنع صورة كأنها البراديع تبلغ إلى تحت آذانهم فشاع هذا الزى في جميع يهود المغرب ولم يزالوا كذلك بقية أيامه وصدراً من أيام ابنه أبي عبد الله ه (١) وبطبيعة الحال لا يمكن أن ينفذ هذا القانون ويطبق هذا الزى إلا في إناس يعيشون في البلاد ويراد تمييزهم عن غيرهم من بقية طوائف الشعب .

وهكذا مما سبق نستخلص أن أهل الذمة من المسيحيين واليهود عاشوا في البلاد في ظل الموحدين وأنهم واجهوا في عهد الخليفة عبد المؤمن تشدداً نتيجة للظروف والأحداث التي كانت تمر بها البلاد .

⁽١١) عباس الراكشي : الأعلام جـ ١ ص ٢٧٨ .

⁽٢) مجهول: الاستبصار ص ١٨٧٠

⁽٣) مجهول: الاستبصار ص ٢٠٢٠

⁽٤) مجهول : الاستبصار ص ٢٠٢ ٠

⁽٥) ابن عدارى : البيان المغرب جـ ٤ ص ١٨٠ ، ١٨١ تطوان -

⁽٢) المراكشي: المعجب ص ٣٠٤٠

الفصّل التالِث البنساء والتعمير

شهد المغرب الأقصى حركة كبرة فى ميدان البناء والتعمير مند قيام دولة المرابطين حى عهد الناصر الموحدى ، وقد شملت حركة البناء والتعمير تنوعاً وكثرة فن بناء مدن – ويأتى فى مقدمتها مدينة مراكش عاصمة المرابطين والموحدين – إلى منشآت عسكرية من حصون وقلاع وأسوار ، وبجانب ذلك تلك المنشآت العامة التى انتشرت فى أنحاء البلاد كالمساجد والمدارس والمستشفيات والحمامات والفنادق والقناطر وغير ذلك من المنشآت .

وقد حظت بعض المدن المغربية بكثرة المبانى العامة التي أنشئت فيها ومن هذه المدن مدينة فاس التي امتلأت بكثير من المنشآت العامة (١) حيث بلغ عدد المساجد بها سبعائة وخمسة وثلاثين ، ودور الوضوء اثنين وأربعين والسقايا ثمانين والحامات ثلاثة وتسعين (٢) كذلك الطريق الموصل بين تلمسان وفاس ومقداره عشرة أيام ، هذه المسافة كانت كلها عمائر متصلة (٣) وهذا يشير إلى الازدهار العمراني الذي شهدته البلاد ، ويعلل ذلك باهمام ولاة الأمر من المرابطين والموحدين بحركه البناء والتعمير . مع توفير الأموال والحبرة المعارية ، كل هذا أسهم فيا حققته المنطقة من تقدم عمراني .

وكان لولاة الأمر دور هام فى تشجيع البناء والتعمير ، فأمير المسلمين يوسف بن تاشفين بدأ نشاطه فى التعمير والبناء ببناء عاصمته مراكش ، شم. واصل بعد ذلك نشاطه فى تنمية حركة البناء بالبلاد (٤) وواصل أمير المسلمين

⁽۱) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ۲۸ ، عبد العزيز بنعبد الله: تاريخ المغرب ج ۱ ص ۱۰۳ د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ۷۰۸ .

⁽٢) الجيلالي : رسالة في ذكر من أسس مدينة ماس ص ٥٧ ، الجزنائي: زهرة الآس ص ٣٣ .

⁽٣) مجهول : الاستبصار ص ١٨٦ .

⁽٤) مانویل جومیث : النن الاسلامی فی اسبانیا ص ٣٣٧ ورجهة د. لطنی عبد البدیع ــ الترجمة والنشر ، عبد العزیز بنعبد الله : تاریخ المندب ج ١ ص ٢٣٩ ، المغرب ج ١ ص ٢٣٩ ،

على بن يوسف اهتمامه بالبناء كانشائه لمسجد تلمسان والتوسعة فى جامع القرويين (١).

حتى إذا قامت الدولة الموحدية ، شهدت البلاد اهتماماً بالغاً من خلفاء الموحدين في الإنشاء والتعمير سواء في المغرب أو الأندلس ، وحظيت مراكش والرباط وغيرها من المدن المغربية بكثير من المنشآت الموحدية (٢) وقد أولى الحليفة عبد المؤمن إهتمامه بالبناء والتعمير ومن ذلك إنشائه لمدينة الفتح وبجانب ذلك إنشائه لكثير من المساجد والقصور في أنحاء مختلفة من الملاد (٣).

واقتدى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بوالده فى الاهتمام بالبناء والتعمير وخاصة بالأندلس (٤) فلما تولى المنصور الموحدى كان مولعاً بالبناء والتعمير وشهدت البلاد فى عهده حركة كبيرة فى البناء استمرت طيلة عهده ، وفى ذلك يشير المراكشى بقوله « كان مهتما بالبناء وفى طول أيامه لم يخل من قصر يستجده أو مدينة يعمرها (٥) ، ونالت العاصمة مراكش نصيباً كبيراً من الإنشاء والتعمير فى عهد ه مجانب المدن الأخرى (٢) وقد أشار ابن أبى زرع إلى بعض هذه المنشآت بقوله « وكان – أى أبو يعقوب المنصور – لما جاز

Budgett meakins; The moorish Empire, P; 53-54

⁽١) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٣٩٠

⁽٢) المنوني: العلوم والفنون ص ٢٤٣ ه

⁽٣) ابن عبود: تاريخ المغرب ج ١ ص ١٣٣ ، عبد العزيز بنعبد الله: المعجم التاريخى ص ٧٤ ، د السنيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٨٣٥ ،

Budgett Meakins; The moorish Empire, P; 73.

⁽٤) الميلى : تاريخ الجزائر جـ ٢ ص ٢٢٩ ، اشباخ : تاريخ الأندلس جـ ٢ ص ٢٥٤ ، د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٨٣٦ .

⁽٥) الراكشي: المجب ص ٢٩٢٠

⁽٢) العمرى : مسالك الأبصار ج ٣ ، ق ١ ص ١٣٢ ، ابن المؤقت: السعادة الأبدية ج ١ ص ١٤ .

إلى الأندلس لغزاة الأرك المذكورة أمر ببناء قصبة مراكش وبناء الجامع المكرم الذى بإزاء القصبة وصومعته ، وببناء منار الكتبيين ، وببناء مدينة رباط الفتح من أرض سلا وبينا جامع حسان ومنارته . . . »(١) وهكذ كان المهام ولاة الأمر من المرابطين والموحدين دافعاً قوياً فى دفع عجلة البناء والتعمير فى أرجاء البلاد .

طابع البناء: كان لموقع المغرب الأقصى والظروف التى مربها ، دور واضح فى تأثره بالطرق المختلفة فى التشييد والبناء ، فنذ أن صار إقليما إسلاميا وتأسست على أرضه دولة الأدارسة ، حتى أصبح مقصداً للأسرات العربية الواهدة من القيروان بالإضافة إلى الواهدين من مدن المشرق ، وقد حمل الواهدون معهم خبراتهم فى طريقة البناء ، ومن ثم ظهرت المؤثرات الشرقية فى عمليات البناء فى هذه الفترة فى بناء المساجد والحامات وغيرها من المنشآت العامة .

حتى إذا قامت دولة المرابطين وأصبح الأندلس إقليا تابعاً للمغرب الأقصى ، شاهد أمراء المرابطين تلك المهارة الفائقة التى تمير بها عمال البناء بالأندلس ، والتى تجلت فى تلك المنشآت من قصور ومساجد وحمامات وغيرها، ومدى ما وصلت إليه تلك المبانى من إحكام فى الصنعة ، وُدقة فى التشييد ، ومن ثم قرر ولاة الأمر الاستعانة بخبراء البناء فى الأندلس ليسهموا فى حركة التعمير بالمغرب الأقصى (٢).

وقد قام يوسف بن تاشفين بإحضار المهندسين وعمال البناء من الأندلس

⁽١) ابن ابي زرع: الأنيس المطرب ص ١٦٦ طبع حجر.

⁽۲) م، س ديماند: الفنون الاسلامية ص ۱۱۳ ، ۱۱۶ ، ترجمة احمد عيسى ، السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص ۷۶۷ ، محمد الشابى: الضواء على الآثار الاسلامية ص ۲۰ تونس سنة ۱۹۲۹ ، د. زكى محمسد حسن: فنون الاسلام ص ۱۷ ، ۱۸ ، ط ۱ سنة ۸۶ ،

Julien; Histoire de L'Afrique du Nord, P; 88

ليستعين بهم فى حركة البناء التى قام بها بمدينة فاس (١) ، كذلك أمير المسلمين على بن يوسف الذى استعان بخبراء الأندلس فى بناء قنطرة على وادى تنسيفت (٢) .

وجرى خلفاء الموحدين على نفس هذه السياسة وهي الاستعانة نخبرة أهل الأندلس وبرزت بعض الأشماء الأندلسية المشهورة كأحمد بن بأسة الذي استعان به الموحدون في كثير من أعمال البناء (٣) والحاج يعيش المالتي الذي اشترك في بناء حصن جبل طارق (٤) وكان المنصور الموحدي يستخدم أسرى الأندلس في أعمال البناء بعاصمته (٥) يقول الحميري و ثم رجع المنصور بعد انتصاره في الأرك ــ إلى أشبيلية ظافراً وأقام مدة ثم غزا بلاد الحوف فحاصر ترجالة ونزل على بلنسية ففتحها عنوة ، وقبض على قائه ــدها يومئد مع مائة ترجالة ونزل على بلنسية ففتحها عنوة ، وقبض على قائه الحامع الكبير مع وخسين من أعيان كفارها ، ووجههم إلى خدمة بنساء الحامع الكبير مع أساري الأرك » (٥).

وأثمرت الخبرة الأندلسية ثمرتها بأرض المغرب الأقصى ، وظهرت فى تلك المنشآت والأبنية كجامع القرويين بفاس وجامع تلمسان(١) ثم فى جامع

⁽۱) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٤٠ ، عبد العزيز بنعبد الله: تاريخ المغرب ج ١ ص ١١١ ، مانويل جوميث : الفن الاسلامي ص ٣٣٧ ترجمة د. لطفي عبد البديع .

⁽٢) د. السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص ٧٤٨ ، عبد العزيز بنعبد الله : تاريخ المغرب ج ١ ص ١١١ .

⁽٣) ابن صاحب الصلاة: تاريخ الن ص ١٣٩ حاشية ، عنان : عصر المرابطين والموحدين التسم الثاني ص ٧١ ٠

⁽٤) د. السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبي ص ٨٣٥ ،

De Gayangos; The H.story of mohamedan, V.2 P; 315 ابن المؤتت: الانبساط بتلخيص الاغتباط ص ٢، ٧، مطبعة الطبي المابئ ١٣٤٧ هـ ،

Budgett meakins; The moorish Empire, P; 80

⁽٥) الحبيرى: صفة جزيرة الأنطس ص ١٣٠

⁽٦) م.س ديماند: الفنون الاسلامية ص ١١٤ ، مانويل جوميث: الفن الاسلامي ص ٣٤٢ ، حركات: المفرب عبر التاريخ ص ٢٣٩ ، د. حسن محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤٥٢ .

الكتبية وجامع القصبة بمراكش وجامع حسان برباط الفتح وقصبتها (١).

وبحرور الزمن لم يعد المغرب الأقصى مقتصراً على استقبال عمال البناء من الأندلس، بل صار أبناؤه بعد الاحتكاك والممارسة لأعمال البناء يشاركون في أعمال البناء في الأندلس فضلا عن أعمال البناء بمدن المغرب نفسها، أى صار المغرب الأقصى مؤثراً بعد أن كان متأثراً فقط، وقد ظهر ذلك حين عزم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على بناء الجامع الكبير بأشبيلية إذ استعان بناء هذا البناء في مراكش وفاس وأهل العدوة بالإضافة إلى الأندلسيين في بناء هذا الجامع الكبير (٢) يقول ابن صاحب الصلاة و وفي هذه السنة سينة ٢٥ه هـ في شهر رمضان ابتدأ أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن باختطاط موضع هذا الجامع العتيق إلأنيق، فهدمت الديار داخل القصبة، باختطاط موضع هذا الجامع العتيق الأنيق، فهدمت الديار داخل القصبة، أشبيلية وحميع عرفاء أهل الأندلس ومعهم عرفاء البنائين من أهل حضرة أشبيلية وحميع عرفاء أهل الأندلس ومعهم عرفاء النائين من أهل حضرة مراكش ومدينة فاس وأهل العدوة، فاجتمع بأشبيلية منهم ومن أصناف النجارين والنشارين والفعلة لأصناف البناء أعداد من كل صنف صناع مهرة في كل فن من الأعمال (٣)».

وقد امتازت مبانى المرابطين بالضخامة والقوة والاتساع مع الإقلال من الزخرفة (٤) وهذا يتمشى مع المبدأ الديبى الذى نشأوا عليه مع ميلهم إلى البساطة وقد حظيت المساجد باهمامهم ، حيث حرص أمراء المسلمين على بنائها فى أنحاء البلاد ، نشراً للدعوة الإصلاحية التى ينادون بها وقد تميرت هذه المساجد بأنها « فسيحة ضخمة الأبنية ذات رحبات فسيحة مكشوفة تحيط بها أروقة ذات عقود مستديرة بسيطة الإتساع ، كل رواق مها بلاطة واحدة

⁽١) د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٨٣٢ ،

Nevill; a Surver of North africa, P; 25.

⁽۲) د. السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور ص ٥٨ سلسلة الدرا ٩٠ سنة ٥٨ عنان: عصر المرابطين والموحدين القسم الثاني ص ٧٢.

⁽٣) ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن ص ٧٤ ، ٧٥٠ .

⁽٤) د. حسين مؤنس : تطور العمارة الاسلامية في الأندلس ص ٢١٦ جامعة مؤاد سنة ١٩٥١ ، حركات : المفرب عبر التاريخ ص ٢٣٩ .

تقوم على دعامات ضخمة قصيرة الحذوع والقواعد و لاتيجان لها ، وتمتاز كا كذلك بصحون فسيحة تقوم على عمد من نفس الطراز السالف ، ومآذنها منفصلة عنها تقوم إلى جانبها أشبه ما تكون بالمائر العالية ،(١).

ومع عدم ميل المرابطين إلى الزخرفة ، إلا أنهم أباحوا ذلك في بعض مساجدهم وذلك ما حدث في جامع القروبين بفاس أثناء توسعته سنة ٣٣ههـ مساجدهم وذلك ما حدث في جامع القروبين بفاس أثناء توسعته سنة ٣٣ههـ (١٣٨١م حيث زين محرابه وقبته بأنواع مختلفة من الزخرفة والنقش (١ وقد وصف الحزنائي ألوان النقش والزخرفة التي صنعت بالمسجد بقوله و وأخذ في عمل القبة التي بأعلى المحراب وما محاذبها من وسط الملاطين المتصل بهما فعل ذلك بالحص المقربس الفاخر الصنعة والنقش فيه على المحراب ، ودائرة القبلة التي عليه ، ورقش ذلك كله بورقة الذهب واللازورد وأصناف القبلة التي عليه ، ورقش ذلك كله بورقة الذهب واللازورد وأصناف والوانه على أحسن ما أريد ثم أخذ في تغشية بعض أبواب الحامع بصفائح والنحاس الأصفر بالعمل المحكم والشكل المتقن (٣) » .

غير أن هذه ازخرنة وجدت إعراضاً من الحليفة عبد المؤمن في بدء عهده اقتداء بتعاليم ابن تومرت الدينية في البعد عن النقش والزخرفة ، ومن هنا حين دخل عبد المؤمن مدينة فاس حرص أهلها على تغطية النقوش من الزخرفة التي بجامعها خوفاً من بطش عبد المؤمن (أ) يقول الحزنائي «ويذكر أن النقش والتدهيب الذي كان بأعلى الحراب ودائر القبة التي عليها غطى ذلك بالكاغيد وعمل عليه الحيص حين عزم الحليفة عبد المؤمن بن على الدخول لفاس والصلاة في الحامع المذكور لأن ذلك كان مشغلا للمصلين (٥) الا أنه بعد أن استتب الأمر للخليفة عبد المؤمن أخذ بأسباب الزخرفة في المباني ،

⁽١) الجزنائي: زهرة الآس ص ٨٨٠

⁽۲) المنوني : العلوم والفنون ص ۲۹۷ ، د. حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ج ٤ ص ٦٢١ .

Nevill Barbour; morocco P; 76.
Julien; Histoire de L'afrique, P; 120.

⁽٣) الجزنائي: زهرة الآس ص ٨٥٠

⁽٤) المتونى : العلوم والفنون ص ٢٦٧ .

⁽٥) د. حسين مؤنس: تطور العمارة الاسلامية ص ٢١٧ ه

واتبعه ابناؤه من الحلفاء وخاصة بعد اتصالهم بالأندلس واستعانتهم بخبراء الأندلس في البناء وصارت مبانيهم ناطقة بذوقهم في الزخرفة التي تجمع بين رقة الأندلس مع الفخامة والقوة (١) وقد تجلى ذلك في مسجد الكتبية عراكش عنارته العالية ذات الطبقات الهرمية والشرفات المتوالية (٢)

المسدن:

تأسست عدة مدن على أرض المغرب الأقصى خلال حكم المرابطين والموحدين وقامت هذه المدن بدورها الحضارى فى تقدم المنطقة ، حيث قام ولاة الأمر بانشاء العديد من المنشآت فى هذه المدن ، وقصدها الكثير من سكان البلاد ، وأقاموا بين جنباتها يمارسون نشاطهم ، مما ساهم فى دفع عجلة التقدم بالبلاد ويأتى فى مقدمة هذه المدن مدينة مراكش عاصمة المرابطين والمى حدين والى ما زالت تحتل مركزاً ممتازاً بين مدن المغرب الأقصى .

مراكش اتخد المرابطون ومن جاء بعدهم من الموحدين مدينة مراكش عاصمة لهم نلك المدينة التي أنشئت في عهد المرابطين ، وقبل إنشائها أتخد المرابطون مدينة أعمات عاصمة لهم (٣) واختلفت الدوافع في بناء العاصمة الحديدة :

المرابط المراجع تشير إلى ازدحام مدينة أعمات بقبائل المرابطين القادمين من الحنوب مما جعل أهلها يشتكون لأبى بكر بن عمر الذى أخد يبحث عن مدينة جديدة تضم الوافدين الحدد⁽³⁾ وقد نجحت تلك المساعى فى اختيار المكان الحالى بمدينة مراكش ووضع أساس المدينة (°).

٢ - و بعض المراجع يشير إلى أن الهدف من بنائها كان هدفاً استر اتيجياً

⁽١) ابن القاضى : جنوة الاقتباس ص ٢٤ .

⁽٢) د. حسين مؤنس: تطور العمارة الاسلامية ص ٢١٧ .

⁽٣) ابن سعید : بسط الارض ص ٥٩ ، العمری : مسالك الابصار چ ٣ تسم أول ص ١٤١ ، رابح بونار : المغرب العربی ص ٢٣٨ .

⁽٤) ابن عذارى : البيان المفرب ج ٤ ص ١٩ ، اشباخ : تاريخ الأندلس ج ١ ص ٧٠ ، لسان الدين بن الخطيب : الحلل الموشية ص ٥ .

⁽٥) نفس المرجع السابق ص ٥ ، ٦ ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ١٩ بيروت .

عسكريا إذ أن موقعها كان في مفترق طرق الأطلس والصحراء فهي قريبة من مواطن المصامدة الذين يشكلون غالبية السكان وفي نفس الوقت أكثرهم قوة ومن هنا كان اختيار العاصمة بجوار ديارهم لمراقبة تحركاتهم وقمعها قبل استفحالها ، وبجانب ذلك فهي قريبة من صحراء المرابطين ومواطن لمتونة حيث الامدادات العسكرية تصلها في سهولة ويسر وفي وقت قصير (۱) يشير إلى ذلك المراكشي بقوله « ولم تتخذ لمتونة ، المصامدة – أي المرابطين والموحدين مدينة مراكش وطنآ ولا جعلوها دار مملكة لأنها خير من مدينة فاس في شيء من الأشياء ، ولكن لقرب مراكش مي جبال المصامدة وصحراء لمتونة ، فلهذا السبب كانت مراكش كرسي المملكة » (۲) .

س ــ وبعض المراجع يشير إلى أن الدوافع وراء اختيار العاصمة الحديدة هو از دياد نفوذ يوسف بن تأشفين وذيوع صيته وكثرة جنده وحاشيته مما استلزم معه اتخاذ عاصمة جديدة تتناسب مع قوة الدولة النامية (٣).

وهذه الأهداف المختلفة بمكن أن تتجمع وتصب فى وعاء واحد هو حاجة المرابطين لمدينة جديدة ، فازدحام مدينة أعمات بالسكان مع حرصهم على مراقبة قبائل المصامدة يضاف إلى ذلك از دياد نفوذ يوسف بن تاشفين مما جعلهم يبحثون عن عاصمة جديدة لهم .

وتختلف المراجع في تحديد السنة التي بدأ المرابطون فها تأسيس عاصمهم فلسان الدين بن الخطيب محدد تآريخ بنائها بسنة ٢٠٤ه(٤) بينما ابن عدارى محدد تاريخ البناء بسنة ٢٠١ه (٥) أما صاحب كتاب الاستبصار

⁽۱) مجهول: الاستبصار ص ۲۰۹ ، النویری: نهایة الأرب ج ۲۲ مجهول : الاستبصار ص ۲۰۹ ، النویری: نهایة الأرب ج ۲۲ مجلد ۲ ص ۷۹ ، عبد العزیز بنمبد الله: تاریخ المغرب ج ۱ ص ۱۰۲ ، الجزنائی: زهرة الآس ص ۳۰ ، عباس المراکشی: الاعلام ج ۱ ص ۳۰۳ ، ۲۶ ، ۳۵۸ ، (۲) المراکشی: المعجب ص ۳۵۸ ،

⁽۳) ابن أبى زرع: الأنيس ج ٢ ص ٣٩ ت النيلالى ، ابن المؤتت: السبعادة الأبدية ج ١ ص ١٧٥ ، ابن سبعيد نيزهة الانظار ، ج ١ ص ١٧٥ ، السبعادة الابدية ج ١ ص ١٧٥ ، السبعادة الابدية ج ١ ص ١٧٥ ،

⁽٤) لسان الدين بن الخطيب : الحلل الموشية ص ٦٠

⁽٥) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ١٩ بيروت ٠

فيشير إلى أن تاريخ تأسيسها كان فى سنة ٤٥٩ه / ١٠٦٧ (١) بينما ابن أبي زرع وابن خلدون وغيرهما من المؤرخين يشيرون إلى أن بناءها تم فى سنة عديم (٢٠١٥ م (٢) و بمناقشة التواريخ المختلفة نجد أن سنة ٢٠٤ه لم تكن قد تأسست بعد قوة المرابطين فى صحراء لمتونة فضلا عن تولى أبى بكر بن عمر إمارة المرابطين فقد تولاها سنة ٤٤٨ه / ٢٠٥٦م ، أما تاريخ سنة ٤٦١هـ إمارة المرابطين فقد تولاها سنة ٤٤٨ه / ٢٠٥٦م ، أما تاريخ سنة ٤٦١هـ اشتكوا لأبى بكر بن عمر از دحام المدينة (٣) فنى هذه الفترة كان أبو بكر قد ترك المغرب الأقصى متجها إلى الحنوب للإصلاح بين القبائل المتنازعة ، وفى ترواية أخرى أنه توجه لحهاد الكفار فى إقليم السودان ، وقد سبق الإشارة إلى ذلك ، وتبقى بعد ذلك رواية صاحب كتاب الاستبصار وهى سنة ٤٥٩هـ ذلك ، والتى انفرد بها (٤) ومعها رواية مجموعة من المؤرخين وهى سنة ٤٥٤ه.

وأعتقد أن تاريخ سنة ٤٥٤ه / ١٠٦٢م هو الأرجح لاتفاقه مع سير الأحداث ، فأبو بكر بن عمر حين اتجه إلى الصحراء كان ذلك في سنة ٤٥٦هـ الأحداث ، ويبدو أن شكوى أغمات بدأت قبيل هذا التاريخ مما استلزم معه المحث عن مكان ، وما إن شرع في انتخطيط له حتى جاء للأمير أبي بكر شكوى أهل الصحراء ، ومن هنا ترك يوسف بن تاشفين مكانه وطلب منه مواصلة المشروع يؤيد ذلك ما ذكره ابن عذارى بقوله « لما توجه الأمير أبو بكر بن عمر إلى الصحراء ولاه مكانه ، وترك معه الثلث من لمتونة الحوانه أبو بكر بن عمر إلى الصحراء ولاه مكانه ، وترك معه الثلث من لمتونة الحوانه فاشتغل ببناء مراكش وتحصيها . . . وكان يكاتب الأمير أبا بكر بكل ما يصنع فاشتغل ببناء مراكش وتحصيها . . . وكان يكاتب الأمير أبا بكر بكل ما يصنع

⁽۱) مجهول: الاستبصار ص ۲۰۸ .

⁽۲) ابن أبى زرع: الأنيس ج ٢ ص ٣٩ مت الغيلالى ، ابن خلسدون : العبر ج ٦ ص ١٨٤ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص ٢٣٤، ٢٣٥ ت العبادى ، السلاوى : الاستقصا ج ٢ ص ٢٤ .

⁽٣) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ١٩ بيروت .

⁽٤) د. السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص ٧٠٢.

⁽٥) لسان الدين بن الخطيب: أعمال الاعلام القسم الثالث من ٢٣١ ت العبادى .

فيشكر» (١) إذن محاولات البحث والتخطيط كانت سنة ٤٥٧ه /١٠٦٠م سنة انتقال أبى بكر إلى الصحراء ، ثم بدأ تنفيذ المشروع سنة ٤٥٤ / ١٠٦٢م ، وهي السنة التي أشار إليها ابن أبي زرع وابن خلدون وغيرهما إلى أن تأسيس المدينة كان سنة ٤٥٤ه / ١٠٦٢م .

أما اسم المدينة وهو لفظة مراكش فقد عللها السلاوى وابن عبود بأن معناها فى لغة المصامدة : امش مسرعاً حيث أن المكان الذى أنشئت فيه كان مكمناً للصوص فكان المارة يقولون لرفقائهم تلك العبارة فعرف الموضع بها(٢) أما المراكشي فقد أشار إلى أن مراكش هي اسم لعبد أسود كان يقيم فى المنطقة ويقطع الطريق على المارة (٣).

وقد بدأ البناء بالمدينة متواضعاً وشارك في أعمال البناء يوسف بن تاشفين يقول ابن أبي زرع والسلاوى « فسكن – أي يوسف بن تاشفين – الموضع نحيام الشعر وبني فيه مسجداً للصلاة ، وقصبة صغيرة لاختران أمواله وسلاحه ولم يين على ذلك سوراً ، وكان رحمه الله لما شرع في بناء المسجد يحترم ويعمل في الطين والبناء بيده مع الحدمة تواضعاً منه ه (٤) وربما كانت مشاركة يوسف في أعمال البناء تشجيعاً لمن حوله على المساهمة في ذلك وبذلك تتأسس المدينة في وقت قصير ، فلما تولى أمير المسلمين على بن يوسف بني فيها قصره المعروف بدار الحجر وأدار عليه الأسوار (٥) .

حتى إذا قامت دولة الموحدين ، شهدت العاصمة ازدهاراً وتقدماً فى ظل خلفاء الموحدين الذين اهتموا بها اهتماماً كبيراً ، وذلك ببناء الكثير من المنشآت بها ، وقصدها الناس من كل مكان ، وذلك ليعيشوا فى العاصمة ينعمون بما

⁽۱) ابن مذاری : البیان المغرب ج ٤ ص ٢١ ، ٢٢ بيروت ٠

⁽٢) السلاوى : الاستقصا ج ٢ ص ٢٤ ، ابن عبود : تاريخ المغرب ج ١ ص ١١٤ .

٣) المراكشي : المجب ص ١٠٠٠ •

⁽۶) ابن ابى زرع: الأنيس ج ٢ ص ،٤ ت الفيلالى ، السلاوى: الاستقصا ج ٢ ض ٢٠٠٠

⁽٥) الادريسى : وصف المغرب ص ٦٧ ، ابن سنعيد : نزهة الانظار هِ ١ ص ١٧٥ ، مجهول : الاستبصار ص ٢٠٩ ، ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١٨٤ ، د . أحمد شلبى : التاريخ الاسلامى ج ٤ ص ١٨٢ .

تنعم به العاصمة من ازدهار وتقدم حتى اكتظت العاصمة بسكانها مما دفح الحليفة يوسف بن عبد المؤمن إلى انشاء مدينة أخرى تكون امتداداً للعاصمة مراكش ١٢) وفى ذلك يقول ابن عدارى « وفى سنة تسع وسبعين وخسيائة أمر الحليفة أبو يعقوب رحمه الله بتوسعة مدينة مراكش وهدم سورها الأولى وأقاموا سورا آخر ، وذلك لما دانت لأمير المؤمنين المغرب والأندلس وإفريقية انجلى الناس إلى مراكش من كل مكان وتفاخروا فى سكناها بحسب القدرة منهم والإمكان . فضاقت بالناس فلم بجدوا موضعاً للبناء ولا محلا للسكنى ، وكان الأمير أبو يعقوب أمر القبائل هسكورة وصنهاجة أن يرتحلوا من بلادهم إلى سكناها بأهليم وبنيهم فامتثلوا ذلك ووصلوا ولم يجدوا حيث يتركون فشكوا ضيقهم وحيرتهم ١٥ (٢) ومن هنا اضطر الحليفة يوسف بن عبدالمؤمن الى تكليف ابنه المنصور بالإشراف على هذا المشروع (٣) فلما توفى الحليفة يوسف بن عبد المؤمن وتولى خلفا له المنصور الموحدى سنة ١٨٠٠ه م ١٨٨٤ من واصل مشروعه فى البناء وحشد له الحبراء والصناع والآلات وأمرهم ببذل واصل مشروعه فى البناء وحشد له الحبراء والصناع والآلات وأمرهم ببذل كل جهد وفن فى سبيل اتقان بنائها وسهاها الصالحة (٤) وضمت العديد من القصور والأسواق والفنادق (٥) .

وهكذا شهدت عاصمة المرابطين والتي بناها يوسف بن تاشفين تطور آ ضخماً منذ إنشائها حتى عهد الناصر الموحدى ، إذ صارت كعبة للناس من كل مكان تزخر بالمنشآت والمبانى المختلفة حافلة بمختلف أنواع النشاط مما دفع صاحب كتاب الاستبصار إلى وصفها بقوله و ومدينة مراكش اليوم من أعظم مدن الدنيا بهجة وحمالا بما زاد فيها الخليفة الامام وخليفته أمير المؤمنين أبو يعقوب وخليفتهما أبو يوسف رضى الله عنهم (١).

Terrasse; Histore du maroc, p: 333-334 (1)

⁽٢) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٥٠ ، ١٥ تطوان ٠

⁽٣) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ من ٥١ تطوان .

⁽٤) نفس المرجع السابق ج ٤ ص ٨٢ .

⁽٥) مجهول: الاستبصار ص ٢١٠ .

⁽١) مجهول: الاستبصار ص ٢٠٩٠.

مدينة تاقررت أو تامسان الحديثة : وقد أنشأها الملثمون ، لتكون مقرآ للادارة العسكرية للمنطقة وليشرفوا منها على ما حولها من المناطق(۱) وقد وصفها ياقوت بقوله « تلمسان بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة وبعضهم يقول تنمسان بالنون عوض اللام وهما مدينتان متجاورتان مسورتان بينهما رمية حجر إحداهما قديمة والأخرى حديثة والحديثة اختطها الملثمون ماوك المغرب واسمها تاقررت فيها يسكن الحند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس واسم القديمة أقادير يسكنها الرعية فهما كالفسطاط والقاهرة من أرض مصر » (٢).

مدينة تاودا : وقد أنشأها الملثمون لتكون قاعدة يراقبون منها قبائل نحمارة وكان يقيم فيها الحاكم العسكرى للمنطقة ومعه جنوده ، وقد حفلت بالمبانى والقصور (٣) وقد وصفها الادريسي بقوله : « والطريق من مدينة فاس إلى بنى تاودا مرحلتان وهذه المدينة بناها أمير من قبل الملثم ، وكانت مدينة قائمة بداتها لكثرة زرعها ومفيد غلاتها وغزر ألبانها وسمنها وعسلها وأسواقها عامرة وخيراتها وافرة ، وكانت على مقربة من جبل غمارة ، وكانت بمكانها شبه الثغر سداً مانعاً من طغاة عمارة العابثين بتلك النواحي المغيرين على جوانها (٤)

مدينة القصر : وقد بناها أحد أمراء الملثمين لتكون مقرآ له وبني فها قصراً لسكناه وأسرته ولم تكن مزدهرة كغيرها من المدن (٥) وقد وصفها الادريسي بقوله « وهذه المدينة — أى مدينة القصر — بناها أمير من أمراء الملثمين وجعل لها سوراً حصيناً وبني بها قصراً حسناً ، ولم تكن بها أسواق كثيرة ولا طائل تجارات وإنما كان ذلك الأمير يسكنها مع جلة بني عمه . ، ١٥)

⁽۱) عبد العزيز بنعبد الله: تاريخ المغرب ج ١ ص ١٠٤ (١) Terrasse; Histoire du maroe, p; 256

Murphy; The History of the mahometan, p: 125

⁽٢) ياتوت : معجم البلدان ج ١ ص ٨٧٠ ٠

⁽٣) مجهول: الاستبصار ص ١٩٠٠

⁽٤) الادريسى: وصف المغرب والاندلس ص ٨١ .

⁽٥) ابن سعيد: نزهة الانظار ج ١ ص ١٧٠

⁽١) الادريسي: وصف المغرب ص ٧٧ ، ٧٨ .

رباط الفتح : اهمّ خلفاء الموحدين بالبناء والتعمىر ، وكما نجح المرابطون فى تخليد ذكراهم ببناء العاصمة •راكش التى ما زالت تؤدى دورها الحضارى بالمغرب الأقصىٰ، فإن الموحدين بنوا مدينة رباط الفتح ، والتي أصبحت الآن · عاصمة المغرب الأقصى .

وتقع مدينة رباط الفتح بالقرب من مدينة سلا ، وقد سميت في بادىء الأمر بالمهدية تيمنا باسم المهدى ابن تومرت ، واتحذها عبد المؤمن في بادىء الأمر كقاعدة عسكرية لتجهير جنوده (١) ، ثم شيد بها بعض المنشآت وسكنها الناس سنة ٥٤٥ه / ١١٥٠م (٢) .

وهكذا بدأت المدينة كمعسكر لاستقبال جند الخليفة عبد المؤمن ، ثم أمر الخليفة بتطويرها ومدها بالمياه ، وإقامة الأسوار ، ومن ثم بدأت القصبة · تستقبل أفواجاً من الناس ، وتصبح نواة لمدينة كبيرة ، حتى إذا تولى الحليفة ﴿ يوسف بن عبد المؤمن ، اهتم بتوسيعها والزيادة فيها ، حيث بدأ ببناء أسوارها من جهة الشمال والغرب (٣) غير أن المنية عاجلته وتولى خلفاً له المنصور : الموحدى الذي أقام فمها عدة منشآت ، وشهدت المدينة على يديه تقدماً وازدهارآ(٩) يقول المراكشي ۵ وأما المدينة ــ أي رباط الفتح ــ فتمت في حياة أبى يوسف ، وكملت أسوارها وأبوالها وعمر كثير منها ، وهي مدينة كبىرة جداً تجيء في طولها نحواً من فرسخ وهي قليلة العرض ، ثم خرج بعد . أنَّ رتب أشغال هذه المدينة ، وجعل علمها من أمناء المصامدة من ينظر في أمر نفقاتها وما يصلحها فلم يزل العمل فيها وفى مسجدها المذكور مدة ولايته إلى سنة ١٩٥٤ ه (٥).

⁽۱) ياتوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ١٠٩ . (٢) ابن صاحب الصلاة : تاريخ الن ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

⁽٣) نفس الرجع السابق ص ٤٤٦ . (٤) مجهول : الاستبصار ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، المراكشي : المعجب ص ٣٥٩ ، أبن المؤمن : الانبساط بتلخيص الاغتياط ص ٦ ، ابن التنفذ: الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية ص ١٠٣ ، مجهول : تواريخ مدينة فاس ص ١٤٤) ابن الاثير : الكامل ج ٩ ص ١٤٥ .

Terrasse: Histoire du Maroc, P; 333-334, Budgett: The Land of the Moors, P: 167.

⁽٥) الراكشي : المعجب ص ٢٢٦ .

وقد جاء بناء المدينة مشامهاً لمدينة الاسكندرية من حيث اتساع الشوارع وحسن التقسيم ، واتساع البناء وتحسينه وتحصينه وبناها على البحر المحيط (١).

وقد احتلت مدينة رباط الفتح مكانة طيبة من نفس المنصور الموحدي ، حتى أنه عزم على الانتقال إلها وجعلها عاصمة البلاد إلا أن المنية عاجلته (٧) يقول ابن عداري 1 ثم تمكنت صحته ـ أي صحة المنصور الموحدي ـ واستقامت راحته فتروح إلى رباط الفتح فاغتبط بسكناه وعزم على الانتقال الكلى إليه، (٣) وقد أنفق المنصور الموحدى أموالا طاثلة فى توسيع مدينة رباط الفتح وإقامة منشآتها (١).

(نظام المدن :)

وجه ولاة الأمر من المرابطن والموحدين عنايتهم واهتمامهم تجاه المدن المغربية حتى تيسر سبل الحياة ومتطلباتها لسكان هذه المدن ، وفي مقدمة ما اهِتم بِهِ وِلاةِ الأمر ، توفر المياه اللازمة ليشرب منها الناس والدواب واستخدامها في مصالحهم الأخرى ، وفي مقدمة هذه المدن العاصمة مراكش حيث حفرت فها الآبار ليشرب منها الناس ، وذلك في بدء بنائها ، يقول ابن أبي زرع « ولم يكن مها ماء فحفر الناس مها آباراً فخرج لهم الماء على قرب فاستوطنها الناس» (°). ثم وفد على المدينة عبد الله بن يونس – ولم تشر المراجع إلى جنسيته ــ والذي استطاع عمهارته أن يوفر الماء لسقى البساتين التي انتشرت بسبب الطريقة التي ابتكرها (١) وقد أشار الادريسي إلى هذه الطريقة بقوله ووماو ها ــ أى ماء مدينة مراكش ــ الذي تستى به البساتين مستخرج بصنعة

⁽١) ابن سعيد : نزهة الانظار ج ١ ص ١٨٤ . ابن سعيد المغربي: بسط الأرض ص ٧٢ •

⁽٢) آبن سعيد : بسط الأرض ص ٧٢ .

⁽٣) ابن عدارى : البيان المغرب ج ٤ ص ١٥٢ تطوان ٠

⁽١) ابن ابى زرع : الانيس ص ١٦٧ طبع حجر ، السلوى : الاستقصا ج ٢ ص ٢٠٦ .

⁽٥) أبن أبي زرع: الانيس ج ٢ ص ٠٤ ت النيلالي ، السلاوي :

الاستقصا ج ٢ ص ٢٥٠٠ (٦) ابن سعيد : نزهة الانظار ج ١ ص ١٢ ٠

Neiviell Barbour : Morocco, P: 51.

⁽م ٢٥ _ الحضارة)

هندسية حسنة استخرج ذلك عبد الله بن بونس . وذلك أن هذا الرجل المذكور وهو عبيد الله بن يونس جاء إلى مراكش فى صدر بنائها وليس بها إلا بستان واحد لأبى الفضل مولى أمير المسلمين . . فقصد إلى أعلى الأرض مما ساقية على البستان فاحتفر فيه بئراً مربعة كبيرة التربيع ، ثم احتفر مها ساقية متصلة الحفر على وجه الأرض ومر محفر بتلويح من أرفع إلى أخفص متدرجاً إلى أسفله عيران حتى وصل الماء إلى البستان وهو منسك مع وجه الأرض يصب فيه فهو جار مع الأيام لا يتغير . . » (١) ثم قام السكان وصنعوا مثله في استخراج المياه حتى كثرت البساتين والحنات (٢) .

وقد بدأ فى عهد أمير المسلمين على بن يوسف جلب الماء إليها من عين خارج المدينة تبعد عنها عدة أميال ولكن المشروع لم يتم إلا فى عهد الموحدين (٣)

حى إذا تولى الموحدون اهتموا بتوفير الماء بالعاصمة حيث بنى الحليفة عبد المؤمن صهر يجين كبيرين لتجميع المياه ومنهما توزع المياه على المدينة (٤) فلما تولى الحليفة المنصور الموحدى أنشأ سقاية كبيرة وذلك فى سنة ٥٨٥هـ مامولانا أمير المؤمنين أبو يوسف حضرته المكرمة أن أرسل فى وسط المدينة ساقية ظاهرة ماوها ، ماء قصره المكرم ، تشق المدينة من القبلة إلى الحوف وعلمها السقايات لستى الحيل والدواب واستقاء الناس ه (٢).

وهكذا شهدت العاصمة اهتماماً كبيراً من حيث توفير المياه ، وذلك مما ساعد على استقرار الحياة بها وازدهارها .

⁽۱) الادريسي: وصف المغرب والأندلس ص ٦٧ ، ٦٨ .

⁽٢) نفس المرجع السابق ص ١٨٠٠

⁽٣) الادريسى: وصف المغرب ص ٦٨ ، ٦٩ ، ابن سعيد: نزهة الأنظار ج ١ ص ١٣ ، عباس المراكشى: الأعلام ج ١ ص ٦٨ ، حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٤١ .

⁽٤) مجهول :الاستبصار ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ،

⁽a) ابن أبى زرع: الأنيس من ٢١٨ طبع حجر ، السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ١٨١ .

⁽٦) مجهول: الاستبصار ص ٢١٠٠

وتمتعت باقى المدن المغربية بوفرة الماء بها فمدينة فاس كانت تتمتع بموقع ممتاز حيث كان يشقها نهر فاس إلى مدينتين صغيرتين : عدوة القرويين وعدوة الأندلسين ، وكان الماء بكثرة في عدوة القرويين مما جعل المياء متوفرة في منازل عدوة القرويين(١) وقد حظيت فاس باهتمام الناصر الموحدي حيث أمر سنة ٢٠٤ه / ١٢٠٧م بعمل سقاية بعدوة الأندلس وجلب إليها الماء من عين خارج المدينة (٢) .

وأما مدينة سلا فقد اهتم الحليفة عبد المؤمن بادخال الماء إليها عن طريق القنوات المتصلة بإحدى العيون المائية وذلك سنة ١٥٥٥ / ١٥٠ أم حَى يوفر مياه الشرب للناس والحيوانات وستى الأرض(٣) إلا أن الاهمال أصاب مشروع المياه وقد ظهر ذلك واضحاً حين زار الخليفة يوسف بن عبد المؤمن مدينة سلا سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م إذ رأى الماء فسد جريه ، وأسن ماؤه وانتشر في البطاح ومن هما أمر بتجديد المشروع وأضاف إليه صهريجاً يتجمع فيه الماء ومنه يأخذ الناس مياه الشرب لهم ولدواسهم (١٠٠٠).

أما مدينة مكناسة فان الموحدين قد جلبوا لها الماء من عين خارجها يقورل ابن غازى « وجلب إليها – أى إلى مدينة مكناسة – الماء على ستة أميال من عين طيبة الماء عجيبة القدر بموضع يقال لها تاجما وأجرى الماء إلى الــاب الحوفى من أبواب الحادم وسمى باب الحقاوة ٥(٥) و هكذا بذل ولاة الأمر حهدهم في سبيل توفير المياه في العديد من المدن المغربية .

ومما يتصل بنظام المدن ، تلك الطرق التي كانت تشق أحياءها وقدل أقيمت على جوانبها المازل والحوانيت ، وكانت هذه الطرق ملتوية ومتعرجة

⁽١) ابن سعيد : نزهة الانظار ج ١ ص ١٦ ، حركات : المفسرب

عبر التاريخ من ٢٣٢ الادريسي :وصف المغرب من ٧٥ ، (٢) الجزنائي: زهرة الآس ص ٨٢ ، حركات: المغرب عبر التاريخ

ص ۳۷۲ ، أبن أبى زرع : الأنيس ص ١٦٩ طبع حجر . (٣) البينق : اخبار الهدى ص ١١٣ ، أبن صاحب الصلاة : تاريخ

الن ص ٨٨٤ السلاوي : الاستقصاح ٢ ص ١١٩ .

⁽٤) ابن صاحب الصلاة: تاريخ الن ص ٢٤٩٠.

⁽٥) ابن غازى : الروض الهتون ص ٢ ٠

بفاس (۱) ، أما مدينة مراكش فقد حرص ولاة الأمر على جعل طرقها واسعة يقول الإدريسي و وكان بها – أى مدينة مراكش – أعداد قصور لكثير من الأمراء والقواد وخدام الدولة وأرقبها واسعة ورحابها فسيحة (۲) وهذا الاتساع في الطرقات كي يتناسب مع مركز مراكش كعاصمة للبلاد حيث الاستقبالات والمواكب وغير ذلك مما يقتضي معه اتساع الطرقات . كذلك مدينة رباط الفتح والتي حاول المنصور جعل تنظيمها على نمط مدينة الاسكندرية إذ حرص على جعل طرقاتها واسعة مستقيمة (۲).

وكذلك مما يتصل بنظام المدن تلك الأبواب التي أنشئت في الأسواق المحيطة بالمدن ، إذ تعددت هذه الأبواب ، وقد ذكر القلقشندي أن عدد أبواب فاس القديمة أي في عهد المرابطين والموحدين؛ والحديدة في عهد ببي مرين بلغت ثلاثة عشر باباً (٤) وقد أنشئت بعض الأبواب في عهد المرابطين والموحدين ومن ذلك باب الشاعين بمدينة فاس سنة ١٩٥٨ / ١١٢٤م (٥) وأيضاً الباب الذي أنشأه المنصور الموحدي باب اكناور بمدينة مراكش (١) وكانت هذه الأبواب تغلق ليلا ومن هذه الأبواب أبواب مدينة مراكش (٧) وأبواب تلمسان (٨) وأبواب سحلماسة (٩) وغير ذلك من أبواب المدن .

المنازل والقصور:

شهدت المدن المغربية توسعاً فى بناء المنازل والقصور . وذلك منذ أن تأسست دولة المرابطين ، وكان ذلك نتبجة طبيعية للاستقرار السياسى الذى أشهدته البلاد وما صحبه من ازدهار اقتصادى مما دفع الكثير إلى استيطان المدن،

⁽۱) روجیه : قاس فی عصر بنی مرین ص ۱۷ .

⁽٢) الأدريسي : وصف المغرب ص ٦٨ .

Budgett makins: The moorish, P; 81. (7)

⁽١) التلتشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ١٥٦ .

⁽٥) الجيلاني : رسالة في ذكر من اسس مدينة ماس ص ٥٥ .

⁽٦) السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ١٩٤ .

⁽Y) التادلي : التشوف ص ٣٠٠٠ .

⁽٨) المراكشي : المعجب ص ١٨٣ .

⁽٩) التادلي : التشوف ص ١٦١ : ١٦٢ .

وهذا أدى بدوره إلى كثرة المنازل ، يضاف إلى ذلك تشجيع ولاة الأمر من المرابطين والموحدين على بناء القصور التي زخرت بها المدن المغربية ، فالعاصمة مراكش زخرت بقصور الأمراء والقادة وكبار رجال الدولة(١) يقول الادريسي « ومدينة مراكش في هذا الوقت من أكبر مدن المغرب الأقصى لأنها كانت دار إمارة لمتونة ومدار ملكهم وسلك جمعهم ، وكان بها أعداد قصور لكثير من الأمراء والقواد وخدام الدولة (٢) ومن هذه القصور ، قصر الحجر الذي بناه أمير المسلمين على بن يوسف (٣) .

حتى إذا سقطت دولة المرابطين ، وقامت على أنقاضها دولة الموحدين ، حظيت العاصمة مراكش باهمام خلفاء الموحدين فى بناء القصور ، فالحليفة عبد المؤمن شيد الكثير من القصور (٤) يقول المراكشي (وأقام عبد المؤمن رحمه الله بمراكش مرتباً للأمور المختصة بالمملكة من بناء دور واتخاذ قصور واعداد سلاح . . ه (٥) .

فلما تولى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ، وازدهرت البلاد اقتصادياً وكثر المال بأيدى الناس ، أقبل الناس على بناء المنازل والقصور يقول ابن صاحب الصلاة « واغتبط العالم به ـ أى بتجديد مبايعة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن — وببيعته ، وكثر المال فى الأيدى من توالى سمحه وبركته وابتنوا عمراكش الديار العتيقة واغترسوا خارجها ، أينع حديقة . . ه(٢) وقد ابتنى

⁽١) ابن سعيد: نزهة الأنظار ج ١ ص ١٣ ، عباس المراكشي: الأعلام ج ١ ص ٩٨ ٠

S P Scott: History of moorish Empire, V'2. p;195

⁽٢) الادريسي : وصف المغرب والاندلس ص ٦٨ ٠

⁽٣) نفس الرجع السابق ص ٦٧ ، عبد العزيز بنعبد الله : تاريخ

المغرب ج ا ص ۱۱۱ . (٤) العمرى: مسالك الأبصار ج ۱۱ قسم ۲ ص ۲۲۹ ، حركات: المغرب عبر التاريخ ص ۳۷۱ .

S.p.Scott History of moorish p; 298.

⁽٥) الراكشي : المعجب ص ٢٠٧ ٠

⁽٦) ابن صاحب الصلاة: تاريخ الن ص ٣٤٧٠

الخليفة يوسف بن عبد المؤمن القصور على الطريق من مراكش العاصمة حتى مدينة سلا قاعدة الحيوش الموحدية المتجهة إلى الأندلس (١).

ثم تابع الخليفة الموحدي سياسة والده في الإنشاء والتعمىر ، وقد سبق أن أشرت إلى أن الحليفة المنصور بني ضاحية امتداداً لمدينة مراكش ومها عدة قصور ومنشآت أخرى وذلك لتتناسب مع عظمة الدولة واتساعها مع حبه للبناء ذلك الحب الذي وصفه المراكشي بقوله (فإنه ـ أي المنصور الموحدي ـــ كان مهتماً بالبناء وفي طول أيامه لم مخل من قصر يستجده أو مدِّينة يعمرها ، زاد في مدينة مراكش في أيامه زيادة كثيرة يطول تفصيلها ، (٢).

وشاركت مدينة فاس أختها مراكش في كثرة بناء المنازل والقصور (٣) يقول الادريسي 🛚 وبمدينة فاس ضياع ومعايش ومبان سامية و دور وقصور ولأهلها اهتمام محوائجهم ومبانيهم وحميع آلاتهم، (٤) .

وقد اختلفت طرق البناء من مدينة إلى أخرى وذلك محسب الامكانيات والظروف الطبيعية المحيطة بالمدن ، فمدينة مراكش كانت منازلها في بادئ الأمر مبنية من الطين والطوب المصنوع من التراب(٥) فلما أراد أمير المسلمين على بن يوسف بناء قصره استخدم الحجر المحلوب من جبل امجلىر القريب من مراكش(٦) أما مدينة فاس فقد استخدم أهلها الحجر والآجر والكلس فى أبنيتهم مع أسقف خشبية لمن<u>ازلهم (٧)</u> ، .

وكان الطابع العام في تنظيم البيت : باب يؤدي إلى دهلير يتناسب مع حجم البيت ومن الدهلير إلى صحن البيت حوله الغرف ، وقد تكون الدار أرضية أو ذات طابقين ، وإذا كانت دار كبيرة فقد يكون لها أمام الغرف أروقة

⁽١) نفس الرجع السابق ص ٢٤٢ ، ٣٤٣ ، ٢٤٦ .

⁽٢) المراكشي : المعجب ص ٢٩٢ .

⁽٣) ابن سعيد : نزهـة الإنظار ج ١ ص ١٦ ، حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٣٢ .

⁽٤) الادريسي : وصف المغرب والاندلس ص ٧٦ .

⁽٥) نفس الرجع السابق ص ٦٧٠

⁽۱) ننس المرجع السابق ص ۹۷. (۷) التلقشندی: صبح الأعشی ج ه ص ۱۵۵.

تدفع عنَّها حر الشمس ومطر الشتاء ، وإذا توفرت المياه بالمدينة وذلك متا مدينة فاسى ۽ فإن الباس يصنعون فوارة في صحن الدار (١) .

وقمد تكون طريقة البناء مشابهة لمبانى إحدى المدن الشرقية كتشابه أبنية معلماسة بمساكن الكوفة ، يقول ابن حوقل ، وأبنيها ـ أي سحلماسة ـ كأبنية الكوفة إلى أبواب رفيعة على قصورها مشيدة عالية ،(٢) وهذا يرجم إلى وجود كثير من التجار الوافدين من الكوفة وغيرها من مدن المشرق وإقامتهم بسجلماسة للاشراف على تجارتهم مع غانة وغيرها ومن هنا نقلوا معهم نظامهم في البناء.

وكانت بعض المنازل تؤجر لمن لا مملك منرلا خاصاً به ، فأبو عبد الله محمد بن اسهاعیل الهواری من أهل أنمات وریکة وقد توفی سنة ۸۱ه. ه١١٨٥م بمراكش كان يؤجر منزلا بأنمات (٣).

أما القصور فقد امتازت بالسعة والضخامة واشبالها على كل ما نحتاجه صاحب القصر يقول المنوني (ويكني أن كل قصر من قصورها ــ أي قصور مراكش ـــ مستقل بالديار والبساتين والحمام والاصطبلات والمياه وغير ذلك . حتى يغلق الرثيس منهم بابه على حميع خوله وأقاربه وما محتاج له أمر إلى خارج داره و لا يشتري شيئاً من السوق لمأكل ولايقرىء أولاده في مكتبخارج، (^{؛)}

أما القصور التي بناها المنصور الموحدي ، فكانت مزودة بكل ما بلزمها هذات أسوار عالية ومها مقر الحلافة بالإضافة إلى عدة ديار منها دار البلور ودار الرمحان فكل دار محاطة بالبساتس ، وأمام الخلافة والديار رحبة عظيمة تحمل طراد الخيل ، وفي رحبة القصر دار الكرمة والأضياف ، وفي هذه الرحية المدرسة وهي مكان جليل به خزائن الكتب، ومنها دار مخصصة لاورارة

⁽١) عد العزيز بنعبد الله : تاريخ المغرب هـ ١ ص ١٣ ، احسان حتى : المفرب المربى ص ٢٦٣ ، روجيله : الماس في عصر بني مرين

⁽٢) ابن حوتل : صورة الأرض ص ٩٠٠

⁽٣) التادلي : التشوف ص ٢٦٠ ، ٢٦١ · (٣) المنوني : العلوم والآداب ص ٢٤٩ ·

وفى ناحية من الضاحية المنشأة مقابر أكابر رجال الدولة ، كذلك كانت الرحبة بها أبواب تؤدى إلى عدة قاعات لرجال الدولة من أصحاب المهدى بن تومرت وأهل خمسين والطلبة ، وكذلك قاعات لاجتاعات القمائل على اختلافها »(١).

وهكذا شهدت العاصمة وغيرها من مدن المغرب توسعاً فى بناء الدور والقصور نتيجة للازدهار الاقتصادى وتشجيع ولاة الأمر للبناء .

منشآت عسكرية:

الحصون والقلاع :

أقام المرابطون والموحدون على أرض المغرب الأقصى سلسلة من القلاع والحصون وذلك لاحكام سيطرتهم على مناطق المغرب الأقصى ، ومراقبة القبائل حشية عصيانها وتمردها، وانتشرت هذه القلاع والحصون من مراكش في الحنوب حتى مدينة فاس في الشمال ومن تلمسان في الشرق إلى طنجة في الغرب(٢)

وقد حرص المرابطون منذ أن سيطروا على المغرب الأقصى على إقامة هذه الحصون في أماكن متفرقة من البلاد وخاصة فوق جبل درن وذلك لمراقبة المصامدة الكثرة الغالبة من سكانه (٣) ولذا بلغ عدد الحصون والقلاع فوقه ما يزيد على سبعين حصناً (٤) يضاف إلى ذلك مراقبة بقية القبائل التي كانت تعيش على أرض المغرب الأقصى كقبائل زناتة وقبائل برغواطة ، وبجانب ذلك فإن انشغال المرابطين بمعارك الأندلس ، استلزم معه تأمين ظهرهم بسلسلة من الحصون تأخذ على عاتقها مهمة مراقبة السكان في غياب

⁽۱) نفس المرجع السابق ص ٤٩١ ، ٥٥٠ ، حسر كات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٧١ .

⁽٢) د. حسن محمود : تيام دولة المرابطين ص ٢٢٨ .

⁽٣) ابن خلدون: العبر ج ٦ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، عباس المراكشي ، الأعلام ج ١ ص ١٥٣ .

⁽٤) ابن سسعید: نزهة الانظسار ج ۱ ص ۱۱ ، الادریسی: وصف المغرب ص ٦٤ .

الحيوش المرابطية المحاربة في ميدان الأندلس(١) .

وقد زادت حاجة المرابطين لهذه الحصون والقلاع حين اندلعت ثورة المهدى بن تومرت وتحركت قوات الموحدين للاستيلاء على مناطق المغرب الاقصى ، ومن هنا زاد أمير المسلمين على بن يوسف هذه الحصون والقلاع وشحنها بالمقاتلين لمراقبة تحركات الموحدين يقول البيذق « أخذ المحسمون _ أى المرابطين _ الحصون وبنوها في مواضع دارت بها الحبال من جميع الحهات المكى يتتصروا بها على الموحدين أعزهم الله . . » (٢).

وكانت هذه الحصون تشيد من الحجارة والطوب ذات جدران شميكة وتتخللها أبراج نصف دائرية للمراقبة (٢) وكان يقم بهذه الحصون قوة عسكرية ومعها المؤن والعتاد ، ومن أشهر هذه الحصون : حصن امرجوا وهو على جبل مرتفع يشرف على وادى ورغة وهو مبنى بالحجارة والحبر (٤) وقلعة تاسخيموت التى بناها ميمون بن ياسين وكانت بها قوة تقدر عائنى فارس وخمياتة من المشاة وهى على ثلاث كيلو مترات جنوب شرقى مراكش (٥) وغير ذلك من القلاع والحصون .

فلما نادى ابن تومرت بدعوته لم يجد مكاناً آمناً سوى إحدى الحصون الطبيعية وهو تينملل الذى وجد فيه ابن تومرت موطناً حصيناً ، وموقعاً ممتازاً لينشر منه دعوته وتنطلق منه قواته دون أن يتمكن المرابطون من الوصول إليه وقد وصف ابن الحطيب مدى حصانته بقوله « ولا يعلم مدينة أحصن من تيمال لا يدخلها الفارس إلا من شرقها أو من غربها ، فأما يغربها وهو

⁽۱) . حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص ٣٩٨ .

⁽٢) البيذق : أخبار المهدى أَسُ ١٢٨ ،

⁽٣) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٤٤) د. حسن محمود : قيام دولة الرابطين ص ٤٥٣ .

⁽٤) مجهول : الاستبصار ص ١٩٠ ، د، السيد عبد العزيز سالم: المغرب المكبير ص ٧٦٤ ، عبد العزيز بنعبد الله : تاريخ المغسرب ج ١ ص ١١ ٠

^{. (}٥) البيذق : اخبار المهدى ص ١٢٨ ، د. السيد عبد العزيز سالم: الكبير ص ٧٦٥ .

الطريق إليها من مراكش بطريق أوسع ما فيه أن يمشى عليه الفارس وحده موسعاً ، وأضيقه أن ينزل من على فرسه خوفاً من سقوطه وذلك شرقيها إلا أن الطريق مصنوعة فى نفس الحبل ، تحت راكبها حافات وفوقه حافات وفيها مواضع مصنوعة بالخشب إذا أزيلت منها خشبة لم يمر عليها أحد ومسافتها على هذه الصفة نحو مسرة يوم »(۱) ثم زاد ابن تومرت فى تحصينه (۲) . واتخذ الحصن عاصمة للدولة حتى سقوط مراكش ، وصار مكاناً مقدساً حيث دفن فيه المهدى والحليفة عبد المؤمن وابناؤه وهكذا لعب حصن تينملل دوراً بارزاً فى استمرار دعوة الموحدين وبقائها .

وبنى الموحدون عدة حصون ولكنها لم تكن بالكثرة التى شيدها المرابطون وذلك لانضام المصامدة وكانوا يشكلون غالبية السكان فى المنطقة إلى الدعوة الموحدية فى بدء عهدها ، ومن الحصون التى شيدها الموحدون ، قصبة المهدى التى بناها عبد المؤمن سنة ٥٤٥ه / ١١٥٠ م عند مصب وادى أبى الرقراق (٣).

كذلك الحصن الذى بناه الموحدون قريباً من تلمسان (٤) وأيضاً بنى الحليفة يوسف بن عبد المؤمن حصناً بالسوس الأقصى للاشراف على معدن الفضة الذى ظهر بالمنطقة وحمايته من استيلاء السكان عليه (٤) و هكذا بنيت عدة حصون وقلاع وذلك تأكيدا لسلطة ولاة الأمر من المرابطين والموحدين . (٥)

الأسوار : لعبت الأسوار دورها في حماية المدن المغربية وخاصة في فترة الانتقال بس المرابطين والموحدين حيث حرص المرابطون على بناء الأسوار

⁽١) ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ٨٣.

⁽۱) أالادريسي : وصف المغرب من ٦٤) ابن سعيد : نزهة الانظار ج ١ ص١٢ .

 $^{(\}tilde{\mathbf{r}})$ أحمد مختار العبادى : دراسات في تاريخ المغرب ص $(\tilde{\mathbf{r}})$ د. العبادى : البحرية الاسلامية في المغرب ص $(\tilde{\mathbf{r}})$.

⁽٤) الادريسى: وصف المفرب ص ٨٠ ، أبن سعيد: نزهة الأنظار ج ١ ص ١٩ .

⁽ه) ابن أبى زرع: الأنيس ج٢ ص ١٨٩ ت الفياللي ، السلاوى : الاستقصاء ج ٢ ص ١٥٣ .

حول المدن الهامة كمدينة مراكش وفاس وغيرها من المدن خوفاً من سقوطها في يد الموحدين ، وقد تميزت أسوار المرابطين ، بأنها كثيرة الزوايا الداخلية والحارجية حيث يتخذ السور شكلا متعرجاً بما يساعد المدافعين على الفتك باعدائهم (۱) ومن الأسوار الهامة ذلك السور الذي أنشأه أمير المسلمين على بن يوسف حول مدينة مراكش (۲) وكان بناء السور نتيجة نصيحة الوليد بن رشد لأمير المسلمين على بن يوسف وذلك حين اندلعت ثورة الموحدين بالبلاد يقول ابن الحطيب « وكان الذي أشار عليه بتسوير مراكش القاضي أبو يقول ابن الحطيب « وكان الذي أشار عليه ببلاد المغرب » (۳) وكان ذلك في الوليد بن رشد حين ظهور المهدى عليه ببلاد المغرب » (۳) وكان ذلك في أخرى أنه أنفق عليه سبعن ألف دينار (۱) .

وحظيت مدينة فاس باهمام المرابطين ، حيث هدم أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين السور الفاصل بين عدوة القروين والأندلسيين وجعلها مدينة واحدة ، ثم بنى على بن يوسف سور القوارجة أبن باب الحيسة وباب أصلتين (٧) . فلما استولى الموحدون علما هدم أسوارها الحليفة عبد المؤمن

(٣) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ٧٠ .

Budgett; The Land of the moors, p; 289. Julin; Histoire de L'Afrique, p; 89.

(٥) أحمد الشطيبي : كتاب الجمان ورقة ٢١٠ .

⁽۱) د. السيد عبد العزيز سالم: المساجد والتصور ص ١٣٥ (٢) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ٧٠ ، محمد الشطيبي: كتاب الجمسان ورقة ٢١٠ ، ابن أبي زرع: الانيس ج ٢ ص ٤٠ ت الفيسلالي ، السلاوي: الاستقصا ج ٢ ص ٢٥ ، ابن المؤقت: السعادة الأبدية ج ١ ص ١٤ ، ابن القطان: نظم الجمان ص ١٠٧ .

⁽٤) ابن آبى زرع: الأنيس ج ٢ ص ٤٠ ت الفيلالى ،السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ٢٥٠٠

⁽٢) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٠٧) ابن الحطيب : الحلل الموشية ص ٧١) ابن المؤقت : السعادة الأبدية ج ٢ ص ١٨٥٠) عساس المراكشي : الأعلام ج ١ ص ٩٧ .

⁽V) الجدائي : رسالة في ذكر من اسس مدينه ماس ص ٥٥ مخطوط الجزنائي زهرة الآس ص ٣٧) ابن القاضي : حدوة الاقتباس ص ٢٧ (القوارجة عبارة في الأصل عن ركن في الجدار يبرز عن الحصن لحمساية منطقة في حالة حصار يوجد فيها بئر يستمد ماءه من وادى مجاور لاغاثة الذين قد يهددهم التطويق ابن صاحب الصدادة : تاريخ المن ص ٣٩٢ حاشية) .

قائلا « انما اسوارنا أسيافنا » (١) حتى إذا تولى المنصور الموحدى بدأ فى بناء أسوارها وأكملها ابنه الناصر (٢) وفى رواية أخرى أن الناصر هو الذى بنى أسوارها (٢) .

كذلك شيد الموحدون الأسوار على بعض المدن . ومن ذلك ما أمر به الناصر سنة ١٠٢ه / ١٢٠٤م من تسوير بعض المدن « وفى سنة إحدى وسيائة بنى يعيش عامل أمير المؤمنين الناصر الموحد على بلاد الريف سور مدينة بادس وسور المزمة وسور مليلة خوفاً عليهم من فجأة العدو النصراني » (٤) ، وهكذا تأسست عدة منشآت من قلاع وحصون وأسوار نتيجة للظروف السياسية والعسكرية التي مرت بها المنطقة في ظل المرابطين والموحدين .

منشآت عامية:

الساجسد:

قامت دولتا المرابطين والموحدين على أساس دعوتين دينيتتين : دعوة ابن ياسين ودعوة ابن تومرت . وكان الطابع الديني يسود الحياة العامة في البلاد ومن هنا كان اهتمام ولاة الأمر من المرابطين والموحدين ببناء المساجد وتعميرها باعتبارها مركز الاشعاع الفكرى للدعوة المرابطية والموحدية ، فضلاً عن . تأدية المروض وتنفيذ تعالم الدين .

وقد شهدت العاصمة مراكش اهماماً بالغاً بانشاء المساجد فيها والعناية بها . وعندما شرع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في بناء العاصمة بدأ في بنا ، مسجدها الكبير (٥) فلما تولى ابنه أمير المسلمين على بن يوسف اهم

⁽١) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٢٧ .

⁽۲) الجيلاني : رسالة في ذكر من أسس مدينة غاس ص ٥٥ ك الجزنائي : زهرة الآس ص ٢١٤ ه

⁽٣) ابن ابى زرع: الانيس من ١٦٨ طبع حجر ، السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ٢١٤ .

⁽۱) مجهول : الذخسيرة السنية ص ٣٩ ت محمسد بن أبى شنبه سنة ١٩٢٠ .

⁽٥) الادريسى: وصف المغرب ص ٦٨ ، ابن سعيد: نزهة الأنظار ج ١ م ١٣ .

بالزيادة في البناء فني مئذنته وقد كلفه ذلك سبعين ألف دينار (١) .

حتى إذا استولى الموحدون على العاصمة مراكش ، استشار الموحدون الفقهاء في موقفهم من مساجد المرابطين فأفتوهم بهدمها لأنها في رأيهم منحرفة عن القبلة (٢) يقول البيذق « وبقيت مراكش ، وذلك بعد أن فتحها الموحدون لم يدخلها داخل ولم يحرج منها خارج ثلاثة أيام وكانوا يتشاورون على سكناها فامتنع الموحدون أنَّ يسكنوها فقام إليهم الفقهاء فقالوا لهم لأى شيء لا تسكنوها فقال لهم الموحدون ، امتنع المهدى من ذلك ولا سيا تشريق مساجدها عن القبلة المستقيمة التي لا عوج فيها ولا تحريف لأمة محمد صلى الله عليه وسلم والتشريق لغيرهما من اليهود وغيرهم ، فقال الفقهاء تطهر وتسكنونها فقالواً لهم وما تطهيرها فقال الفقهاء تهدم جوامعها وتبنى جوامع أخرى ، فهدمت فيها جامع على بن يوسف ولم يهدموه كله بل هدموا بعضه ، (٣) وكاتت نصيحة الفقهاء تحقيقاً لرغبة الموحدين في هدم آثار المرابطين وطمس معالمهم ،، ، وفي رواية أخرى أن مسجد على بن يوسف ظل مغلقاً ومعطلا لا تقام فيه الشعائر واستعيض عنه ببناء جامعُ آخر بناه الموحدون (١) .

ثم شرع الخليفة عبد المؤمن في بناء جامع كبير هو جامع الكتببين وذلك في سنة ٣٥٥ه / ١١٥٧م وحشد له مجموعة كيبرة من الصناع وتم بناؤه في فترة قصيرة (°) وقد وصفه المقرى بقوله « أمروا ــأى الموحدون ـــ ببناء المسجل

⁽١) ابن المؤتت : السعادة الأبدية جـ ١ ص ١٤ -

⁽٢) أبن الخطيب : الحلل الموشية من ١٠٨ ، ابن المؤتت : السعادة الأبدية جد ٢ من ١٨٤ ، مسانويل جوميث : النن الاسسسلامي من ٣٥٣ ، د. السيد عبد العزيز سالم : المفرب الكبير ص ٧٠٦ ٠

S.P. Scott; History of moorish Empire. V.2, P; 279

⁽٣) البيذق : اخبار المهدى ص ١٠٥ ٠

⁽٤) الأدريسي : وصف المغرب ص ١٨ ، ابن سعيد : نزهة الانظائي، ج ۱ ص ۱۳۰

⁽٥) التلتشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ١٦٢ ، حركات : المغرب عبر التاريخ من ٣٦٥ ، د. السيد عبد العزيز سالم : للفرب الكبير من -٨٤٢ ، ٨٤٨ .

الحامع بحضرة مراكش فبديء ببنائه وتأسيس قبلته في العشر الأول من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسائة ، وكمل منتصف شعبان المكرم من العام المذكور ، وعلى أكمل الوجوه ، وأغرب الصنائع ، وافسح المساحة ، وأبعد البياء والنجارة ، وفيه من شمسيات الزجاج ودرجات المنبر والمقصورة ما لو عمل في السنن العديدة لاستغرب تمامه فكيف في هذا الأمد اليسر الذي لم يتخيل أحد من الصناع أن يتم فيه فضلا عن بنائه ؟ وصليت فيه صلاة الحمعة منتصف شعبان المذكور» (١). وقد سمى مجامع الكتبيين نسبة إلى باعة الكتب الذين كانوا يروجون بضاعتهم بجانب المسجد(٢) ثم أمر المنصور الموحدي في سنة ١٩٥١ ببناء مثذنة كبيرة له وجعل طولها ماثة ذراع وعشرة أذرع بالصنع الأنيق(٣) ومجانب بناء منارة ضخمة لمسجد الكتبيين فُإنه أمر ببناء مسجد كبير بالضاحية الحديدة التي جعلها إمتداداً لمدينة مراكش وكان ذلك سنة ١٩٥٦م/ ١٩٩٥م (٤) .

أما مديبة فاس فقد شهدت اهتماماً بالغاً من ولاة الأمر ببناء المساجد والزيادة فيها والعناية بها ، وقد بلغ من اهتمام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ببناء المساجد مها أن أمر سكان كل شارع ببناء مسجلة في لا يتعرضوا للعقاب وكان ذلك سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م(٥) وحين كُمَاق أجامع القرويين بالمصلين ، التجأ الفقهاء إلى أمر المسلمين على بن يوسف مطالبين بتوسعة المسجد فأمر بالزيادة فيه (٦) وقد بلغت الزيادة في مساحته خمسين وثمانمائة

⁽۱) المقرى : نفح الطيب ج ٢ ص ١٤٥ .

⁽۲) حركات : المفرب عبر التاريخ ص ۳۹۳ . ٢ السلاوى : (۲) ابن المؤتت : السعادة الأبدية ج ۲ ص ۱۸۲ الله السلاوى : الاستقصا ب ٢ ص ١٩٤ .

⁽٤) أبن المؤقت : السمادة الأبدية جـ ٢ ص ١٨٤ ، عباس المراكشي: الأسملام جـ ا ص ۱۲ ،

Terrasse: Histoire du Maroc, P: 333-334

⁽٥) أبن أبي زرع: الأنيس جـ ٢ ص ٤٤ ت الفيلالي ، السلاوي : الاستتصاح ٢ ص ٢٩ . (١) الحيلاني : رسسالة في ذكر من أسس مسدينة غاس ص ٩٨ ،

الدزنائي : زهرة الآس ص ٥٧ ، ابن القاضي : جدوة الانتباس ص ١١ ، ٢٤٠٠ د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٧٤٩ .

وألف متر مربع^(١) .

وتوالى اهتمام ولاة الأمر بمسجد القرويين فصنع له منير جديد تكلف ثلاثة آلاف دينار وثمانمائة دينار وسبَّعة أعشار دينار فُضة وكان ذلك في سنقر ٥٣٨ه / ١١٤٣ (٢) أما جامع الاندلسين فإنه لتى اهماماً خاصاً من الناصر الموحدي حيث أمر بادخال عدة تحسينات عليه ومنها بناء باب جديد له كما أمر ببناء سقاية للوضوء وبيت لصلاة النساء وكان ذلك سنة ٢٠٤ هـ/ ١٢٠٧م (٣)

وامتد اهتمام ولاة الأمر إلى المدن المغربية الأخرى وبناء المساجد فها وقد ظهر ذلك واضحاً حن أمر الحليفة عبد المؤمن ببناء المساجد في حميع أرجاء البلاد « ثم دخلت سنة خمسن وخسائة فها أمر أمير المؤمنين عبد المؤمن باصلاح المساجد وبنائها في حميع بلاده ، (١) ، ومن ثم رأينا مسجداً ضخماً في مدينة رباط الفتح (٥) يصفه المراكشي بقوله « وبني ــ أي الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ــ فها مسجداً عظيماً كبر المساحة واسع الفناء جداً لا أعلم في مساجد المغرب أكبر منه وعمل له مأذنة في نهاية العلو على هيئة منار الاسكندرية يصعد فيه بغير درج، (١) كذلك بني الخليفة عبد المؤمن مسجد مدينة تينملل (٧) أما المسجد الكبير عدينة سبتة فقد بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين (^).

⁽١) عبد الهادي التازي : احد مشر ترنا في جامعة القروينس ٨

⁽٢)١ الْجِرْنَائِي : زهرة الآس ص ٢٤٦٠ . (٣) عبد الرحمن بن أبي بكر : البستان في أخبار الزمان ورقة ٢٤٩ . ابن القاضي جنوة الاقتباس ص ٠٠٠٠ ، مجهول : النخيرة السنية ص ٠٠٠٠ ، الجزنائي : زهرة الآس ص ٨٢٠ ، ابن أبي زرع : الآنيس ص ١٦٩ طبع

⁽³⁾ ابن أبى زرع: الانيس ج ٢ ص ١٥٤ ت النيلالي ، السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ١٢٦ ٠

^{. ·} Terrasse: Histoire du Maroc. P: 333-334-

⁽٥) حركات : المفرب عبر التاريخ ص ٣٦٦ ، ملين : عصر المنصور الموحدي ص ۹۷

⁽٦) المرّاكشي : المعجب ص ٢٦٦٠

⁽٧) أبن أبي زرع : الأنيس ج ٢ ص ١٥١ ، السلاوي : الاستقصا ج ٢ ص ١٢٢ ، حركات : المفرب عبر التاريخ ص ٣٦٤ ، د، السيد عبد العزيز سالم : آلمفرب الكبير ص ٨٤٠ .

⁽٨) أبن الخطيب : الحلل الموشية من ٥٢ .

وقد أدخلت عدة تجديدات على بعض هذه المساجد ، ومن ذلك اتخاذهم المقصورة المتحركة في مسجد مراكش ، وقد أشار ابن خلده ن إلى أن الموجدين لم يتخلوا المقصورة إلا في عهد المنصور الموحدي (١) إلا آن بعض المراجع أشارت إلى إنشاء عبد المؤمن للمقصورة أثناء بنائه لمسجد الكتبيين ، وكانت مقصورة متحركة لم تعرفها المساجد من قبل (٢) وقد وصفها ابن الخطيب بقوله لا وصنع – أي عبد المؤمن – مقصورة من الحشب لها ست أضلاع تسع أكثر من ألف رجل وكان المتولى لصنعها رجل من أهل مالقة يقال له الحاج يعيش . . . وكيفية هذه المقصورة أنها وضعت على حركة بعد رفع البسط عن موضع المقصورة فتطلع الأضلاع في زمان واحد لا يفوت بعضها بعضاً بدقيقة ، وكان باب المنبر مسدوداً ، فإذا قام الخطيب ليطلع عليه انقتح الباب وخرج المنبر في دفعة واحدة ولا يسمع له حس ولا يرى قديم قدير ها(٢) ه .

كذلك تميرات مآذن الموحدين بالشكل المربع ومنه انتقلت إلى باقى مآذن المغرب (٤) وكانت بعص المساجد تنار ليلا وخاصة فى ليالى رمضان وذلك كدحدث فى مساجد فاس (٥).

وهكذا شهد المغرب الأقصى منذ قيام دولة المرابطين اهتماماً بالغاً من ولاة الأمر ببناء المساجد والاعتناء بها وإدخال التحسينات علميها.

المبدارس:

وجه ولاة الأمر بالمغرب الأقصى اهتمامهم إلى التعنيم ونشأ عن ذلك أن بنوا

⁽۱) إبن خلدون : متدمة ابن خلدون ص ۲۲۹ .

⁽٢) أشباخ : تاريخ الأنطس ج ٢ ص ٢٥٣ ، د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٨٤٤ ، عنسان : عصر المرابطين القسم الاول ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

⁽٣) ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ١٠٩ .

⁽٤) عثمان الكماك : الحضارة العربية من ٥٨ ، د، زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ١١٤٤ .

Renê millet; Les A'mohades, P; 120

⁽٥) الحيلاني : رساة في ذكر من اسس مدينة تماس ص ٩٠٩ .

عدة مدارس في أجزاء متفرقة من البلاد ، وذلك لتخريج المتعلمين .

وكانت أولى المدارس التي انشئت في عهد يوسف بن تاشفين تسمى مدرسة الصابرين ولم تذكر المراجع مكان بناثها(١) كذلك اهتم الموحدون ببناء المدارس وأول من فعل ذلك الحليفة عبد المؤمن بن على حين بنى مدرسة ملحقة بقصره لتخريج الحفاظ وكمدرسة الأوداية لتخريج ضباط البحرية (٢) أما المنصور الموحدي فإنه بني عدة مدارس في أنحاء متفرقة من البلاد(٣) . يقول ابن أبى زرع ، « وبنى – أى المنصور الموحدي – المساجد والمدارس في بلاد إفريقية والمغرب والأندلس x (٤) ومن هذه المدارس مدرسة المهدية بمدينة المهدية يقول العيني و توفى السلطان يعقوب بن يوسف صاحب بلاد المغرب والأندلس عدينة سلا وكان قد ابتني عندها مدرسة مليحة سماها المهدية ، (°) أما الناصر الموحدي فقد بني عشرين مدرسة (٦).

وبالنسبة لنظام بناء المدارس فكانت من طابقين وفي وسطه صحن مكشوف فيه فسقية أو حوض ماء ، وكانت بعض المدارس متصلة بالمساجد المحاورة لها بينًا كان البعض الآخر مستقلا يضاف إلى ذلك أنها كانت تشتمل غالباً على عدة غرف وعلى قاعة كبيرة للدرس (٧).

الستشفيات:

لم تشر المراجع التي اطلعت علما إلى إنشاء المرابطين لمستشفيات عامة يتوجه إلىها المرضى للعلاج .

⁽١) عبد الله كنون: النبوغ المغربي ج ١ ص ٧٥ ، محمد عبد الرحيم غنيمه : تاريخ الجامعات الاسلامية ص ٤٣٠

⁽٢) حَرَكَاتُ : المغرب عبر التاريخ ص ٣٦٨ ٠

S.P. Scott: History of Moorish Empire, V 2. P; 297.

⁽٣) السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ١٩٨ ، الزركلي: الأعلام ج٣

⁽٤) ابن أبى زرع : الأنيس ص ١٥٧ طبع حجر ٠

⁽٥) العيني : عقد الجمان ج ١ قسم ٢ ص ٢٣٥٠ .

⁽٦) عبد الرحمن بن أبي بكر : البستان في أخبار الزمان ورقه ٢٠ (٧) د. زكى محمد حسن : فنون الاسسلام ص ١١٣ ، محمد

عبد الرحيم غنيمه : تاريخ الجامعات ص ٢٩٩٠ (م ٢٦ ــ الحضارة)

فلما قامت دولة الموحدين ، اهتم المنصور الموحدى بانشاء مستشفى كبير وجهزه بكل أنواع العلاج وحشد له مجموعة من الأطباء وذلك للسهر على راحة المرضى (۱) وقد وصفه المراكشى بقوله « وبنى — أى المنصور الموحدى عدينة مراكش ببيارستانا ما أظن أن فى الدنيا مثله ، وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع فى البلد ، وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه فاتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخاريف المحكمة ما زاد على الاقتراح وأمر أن يغرس فيه مع ذلك من حميع الأشجار المشمومات والمأكولات وأجرى فيه مياها كثيرة تدور على حميع البيوت ، زيادة على أربع بوك فى وسطه ، احداها رخام أبيض ، ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصدف والكتان والحرير والأديم وغيره ما يزيد على الوصف ويأتى فوق النعت (٢) » .

الحامسات:

انتشرت الحيامات فى أجزاء متفرقة من البلاد ، ووجه ولاة الأمر اهمامهم لبناء الحيامات وقد ظهر ذلك حين دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس فإنه أمر ببناء الحيامات (٣) . وقد بلغت الحيامات فى مدينة فاس نحو عشرين حماماً (٤) .

فلما قامت دولة الموحدين ، اهتم الموحدون ببناء الحامات وقد أنشىء منها الكثير في عهد الناصر الموحدي يقول عبد الرحمن بن أبي بكر ، « وبني

⁽۱) ابن أبى زرع: الأنيس ص ۱۵۷ طبع حجر ، عباس المراكشى: الأعلام ج ۱ ص ٦٥ ، د، أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

S.P. Scott; History of moorish Empire, V.2, Budgett meakins; The moorish Empire, P: 81.

⁽٢) الراكشي : المعجب ص ٢٨٧ .

⁽٣) الجيلائي: رسالة في ذكر من اسس مدينة غاس ص ٥٥ ، التلتشندى: صبح الأعشى ج ٥ ص ١٥٣ ، السلاوى: الأستقصاء ج ٢ ص ٢٩ ، ابن أبي زرع: الانيس ج ٢ ص ٤٤ ت النيلالي .

⁽٤) البكرى: المغرب ص ١١٥.

أى الناصر الموحدى — من الحيامات ثلاثاً وتسعين وثلثماثة . . (١) وهو رقم يبدو عليه طابع المبالغة ، أما مدينة مكناسة فكان عدد الحيامات بها في عهد الموحدين ثلاث حمامات يقول ابن غازى و وكان بهذه المدينة في أيام الموحدين ثلاث حمامات البالى والحديد والصغير وهي باقية لهذا العهد (٢).

أما النظام المتبع فى بناء الحمامات ، فكان قوام الحمام قاعة رئيسية لحلع الملابس ، وفيها قبة تقوم على أعمدة ، وهناك قاعتان أخريان إحداهما للماء المتوسط الحرارة ، والأخرى للماء الحار أما سقف كل منهما فكان على هيئة قبو نصف إسطوانى وفيها فتحات صغيرة ينفذ منها الضوء(٣).

الفنسادق:

ارتبط بناء الفنادق بالحركة التجارية بالبلاد ، حيث قامت الفنادق بدور كبير فى الحياة الاقتصادية بالمغرب⁽¹⁾ إذ بجانب وظيفتها الأساسية فى إيواء الغرباء والتجار الوافدين على البلاد كانت مخزناً ومكاناً لبيع السلع والمواد التجارية المختلفة⁽⁰⁾.

وقد اهتم ولاة الأمر بالمغرب الأقصى بإنشاء العديد من الفنادق فى أنحاء متفرقة من البلاد ومن ذلك ما أمر به أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ببناء الفنادق بمدينة فاس سنة ٤٦٧ه / ١٠٧٠م يقول ابن أبى زرع والسلاوى و وبنى الحامات والفنادق والأرحاء وأصلح أسواقها وهذب بنائها . . (٢).

كذلك تأسست عدة فنادق عمدينة مراكش وذلك حين أمر الخليفة

⁽١) عبد الرحمن بن ابى بكر : البستان في أخبار الزمان ورتة ٢٩

⁽٢) ابن غازى :الروض الهتون ص ٢ ٠

⁽٣) د. زكى محمد : فنون الإسلام ص ١٢٠ ٠

⁽٤) عثمان الكماك : الحضارة العربية في البحر المتوسط ص ٦٤ . (٥) نفس المرجع السابق ص ٦٤ ، ليوبولدتريس : الأبنية الأسبانية الاسلامية ص ١١٨ ترجمة علية ابراهيم ، مجلة المعهد المصرى للدراسات عدد ١ سنة اولى سنة ٥٣ ، د. السيد عبد العزيز سالم : ناريخ مدينة

المرية ص ١٦٩ ٠ (٦) ابن أبى زرع: الأنيس ج ٢ ص ٤٤ ت الفيلالى ، السلاوى : الاستقصا ج ٢ ص ٢٩ ٠

المنصور الموحدي بإنشاء العديد من الفنادق والأسواق والتي قصدها التجار من كل ناحية(١) أما مدينة رباط الفتح والتي وضع نواتها الحليفة عبد المؤمن وأكملها ابنه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن فقد أنشئت بها الفنادق(٢) . أما مدينة قصر صنهاجة والتي تعرف بقصر عبد الكريم وموقعها في شمال البلاد فقد أنشىء فها فندقان وقصدها التجار ومن ثم ازدهرت فيها الحركة التجارية(٣) .

أما في عهد الناصر فقد بلغ عدد الفنادق والتي أنشثت للتجار سبعة وستين وأربعمائة(١) وهذا يشير إلى ارتباط حركة بناء الفنادق بالنشاط التجاري بالبلاد ومدى الازدهار الذي شهدته البلاد .

وكان الفندق يقسم إلى عدة أمكنة ، فهناك مكان للنوم والراحة وآخر لعقد الصلات التجارية من عقود وبيوع وغيرها (٥).

وفي بعض الأحيان كان يطلق على الفندق اسم السلعة التي تباع فيه (٦) ومن ذلك ما ورد في ترحمة أبي موسى الدكالي أحد المتصوفين في مدينة سلا أنه كان يقيم بفندق الزيت(٧)وكان بعضهم يتخذ الفندق مكاناً لإقامته الدائمة كأبي العباس السببي والمتوفى بمراكش سنة ٦٦٠ه / ١٢١٣م فإنه كان يسكن أحد فنادق مراكش^(٨) .

القناطر:

أقام ولاة المغرب الأقصى منذ قيام دولة المرابطين عدة قناطر على أنها ر المغرب الأقصى ، وذلك لربط المناطق بعضها ببعض مع استغلال مياه الأنهار

⁽۱) مجهول : الاستبصار ص ۲۱۰ ، عباس المراكشي : الأعلام

⁽٢) نفس الرجع السابق ص ١٨٩ • (٣) مجهول : الاستيمبار ص ١٤٠ • (٤) عبد الرحين بن أبي بكر : البستان في أخبار الزمان ورقة ٢٩. (٥) عثمان الكماك : الحضارة العربية ص ١٤٤ ٢٥ •

⁽٦) ليوبوآدتوريس : الأبنية الاسبانية من ١١٨ ترجمة علية ابراهيم

⁽٧) التادلي : التشوف ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

⁽٨) بابا التنبكتي : نيل الابتهاج ص ٢١ ط ١ سنة ١٣٥١ .

فى رى الأراضى الزراعية وقد أشار ابن أبي زرع إلى أن هدف المنصور الموحدي من بناء القناطر هو جلب الماء في النرية (١).

وقد بني المرابطون عدة قناطر بالمغرب ومنها قنطرة تانسيفت نسبة إلى نهر تانسيفت وقد بناها أمير المسلمين على بن يوسف (٢) أما طولها فقد بلغ أربعمائة متر وبنيت بالأجر والحبر (٣) .

وقد استعان أمير المسلمين على بن يوسف في بنائها ببنائين من الأندلس ومن المغرب(٤) . إلا أن هذه القنطرة لم تلبث إلا أعواماً يسبرة حتى هدمت بتأثير السيول(٥) . وكذلك اهتم الموحدون ببناء القناطر ، وشيد الحليفة عبد المؤمن قنطرة بن سلا والمهدية إلا أنها تهدمت بتأثير قوة التيار في الشهر المقامة عليه القنطرة(٢) لذا حن زار الحليفة يوسف بن عبد المؤمن المنطقة أمر بإقامة جسر آخر إلى جانبه (٧) . أما قنطرة تانسيفت والتي هدمت بفعل السيول فقد أمر الحليفة يوسف بن عبد المؤمن بتجديد بناتها(^) كذلك وجه المنصور الموحدي اهتمامه لبناء القناطر « وبني الصوامع والقناطر لحلب الماء في العرية واتخذ علما المنازل(١٠)، . وهكذا وجه ولاة الأمر اهمَّامهم إلى بناء القناطر بجانب اهتمامهم بإقامة المنشآت الأخرى .

⁽۱) ابن أبى زرع: الأنيس من ٢١٥ طبع حجر ٠

⁽٢) المراكشي : المعجب ص ٣٦٤ ، ابن سمعيد : نزهمة الأنظان ج ١ ص ١٣ ، عبآس المراكشي : الاعلام ج ١ ص ٢٩ ، د. حسن محمود: تيام دولة الرابطين ص ٤٥٣

Julin; Histoire de L'Afrique du Nord P; 89.

⁽٣) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٤٤ ٠

⁽٤) الادريسي : وصف المغرب والاندلس ص ٦٩ ٠

⁽٥) نفس المرجع السابق ص ٢٩ (٦) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ٤١٦ ، ٥٠٠ .

⁽٧) نُفُسَ الرجع السابق ص ٤٤٦ ، ٤٥٠ .

⁽٨) ابن أبى زرع: الأنيس ص ١٥٧ طبع حجر ٠

⁽٩) نفس المرجع السابق ص ١٥٧ طبع حجر ٠

الفصت ل الراسع

العـــادات والتقاليد

عاش سكان المغرب الأقصى منذ أن تأسست على أرضه دولة المرابطين فى ظل عادات وتقاليد موروثة ، بعضها ورثه عن الأجيال السابقة ، وبعضها استخدثت خلال هذه الفترة نتيجة لظروف سياسية ودينية مرت بها المنطقة ومن ثم فإننا سنتناول فى هذا الفصل ؛ الأسرة وما تتضمنه من زواج وعادات متعلقة بذلك ، والصحة ومدى اهتمام ولاة الأمر بالشئون الصحية بالبلاد ومظاهر ذلك ثم التعرض بعسد ذلك للمجالس وأنواعها ، والاحتفالات وألوانها ، والمواكب وأنظمتها ثم وسائل التسلية المتنوعة ، ويلى ذلك المأكولات والمشروبات وأنواعها وأخيراً الملابس وتنوعها .

أولا: الأسسرة

كانت الأسرة نواة المجتمع المغربي ، وهي تتكون عادة من الزوج والزوجة وأبنائهما ، وكان الزوج أن يتروج بأكثر من واحدة طبقاً المشريعة الإسلامية ، على ألا يتجاوز العدد أربع زوجات ، إلا أن بعض رؤساء جدالة ولمتونة كانوا يتروجون بأكثر من العدد الشرعي وذلك قبل مجيء عبد الله بن ياسين إليهم ، ومن هنا أمر داعية المرابطين الاقتصار على أربعة طبقاً الأحكام الدين ، يقول ابن أبي زرع « وكان يحيي قد أنزله معه ـ أي أنزل معه ابن ياسين – فوجد عنده تسع نسوة فسأله عنهن ، فقال هن زوجاتي ، فقال له الفقيه ، هذا شيء لا يجوز في دين الإسلام وإنما بجوز في ذلك أربع ، ففارق خساً ، فأجابه بالسمع والطاعة وفارقهن ثم قال إن جميع الرؤساء من كدالة ولمتونة على مثل حالى فأنلرهم وعرفهم حكم الله يه (١) ويبدو من النص أن هذا الوضع والعرف كان متبعاً بن الرؤساء دون العامة ، وقد غير ابن ياسين هذا الوضع

⁽١) أبن أبي زرع: الأتيس ج ٢ ص ١١ ت الفيلالي .

وأرشدهم إلى أحكام الدين في ذلك(١) .

وكان بعض الرجال يتروجون نساء من جنسيات أخرى تخالف جنس البربر كزواج الوزير ابن جامع من تركية (٢) كما أن المصامدة كانوا يعتبرون الزواج من الحبشيات عاراً في الحوار الذى دار بين أنى مدين أحد المتصوفين بالمغرب وبين أبي محمد عبد الرازق الحزولي تلميذه ما يفيد استنكار المصامدة للزواج من الحبشيات حيث قال أبو مدين لتلميذه ١ أو تفعل ذلك – أى الزواج من حبشية - ونكاح الحبشية عند المصامدة عار؟ (٣) ، ولعل هذا يرجع إلى نظرة المصامدة للحبشيات واعتبارهن أقل منهم من لة .

وكان بعض الرجال لا يتروجون إلا ممن تيسرت أحوالهن المالية ، ولذا اشتكت امرأة لابي العباس السببي المتصوف والمتوفي بمراكش سنة ١٢ه / ١٢١٣م بأن لديها أربع بنات لا يتروجن وقالت له (عندي أربع بنات بالغات قادرات على الزواج وليس لهن أب ولا مال والناس لا يتروجون بنات بالغات قادرات على الزواج وليس لهن أب ولا مال والناس لا يتروجهن إلا من كان له مال وأنا فقيرة (٤) ولذا أخذ أبو العباس على عاتقه تزوجهن ومشاركة غيره من الصالحين في جمع المال وإنفاقه على تزوج الفقيرات ، ومن هؤلاء محمد بن أحمد بن محمد اللخمي – أحد الصالحين بتلمسان والمولود بها سنة ١٩٥٨م / ١٢١٧م والمتوفى سنة ١١٤٤هم / ١٢١٧م وكان فا حظوة عند خلفاء الموحدين – كان يتصدق بما يحسنون به إليه ويجهز منه ضعيفات البنات (٥).

وكان الرجال يدفعون مهورا لزوجاتهم ومن ذلك ما دفعه أبو عبد الله ابن أبي إبراهيم والى غرناطه من مهر للسيد أبى حفص للزاوج من ابنته أثناء

⁽١) نفس الرجع السابق ص ٦٩ ، ابن سمعيد : نزهة الانظار

⁽٢) عباس المراكشي: الأعلام جدا ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

⁽٣) أحمد بن القاسم: المعزى في أخبار أبى يعزى ص ٦٣ مخطوط التادلي: التشوف ص ٣٢٦ ٠

⁽٤) عباس الراكشي : الأعلام جدا ص ٢٧٦٠

⁽٥) أبي زكرياء: بغية الرواد ج ١ ص ٢٧٠

مقامه بمراكش سنة ٣٦٤هـ / ١١٦٨ م(١)كذلك حين عقد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قرانه على ابنة ابن مردنيش سنة ٥٧٠ هـ /١١٧٤ دفع لها مهرا خسن دينارا وأرسل لها هدية الف دينار (٢).

وكان عقد الزواج يتم عادة فى المسجد(٣) ومن ذلك ما ذكره التادلى فى ترجمته لابن النحوىالمتصوف والمتوفى سنة ١١٥ ه / ١١١٩م بسجلماسة « وكانت عامة أهل البلدان يعقدوا أنكحتهم بالمسجد (٤)» .

فإذا تم عقد القران أقيمت الأفراح ابتهاجاً بهذه المناسبة السعيدة فالحليفة يوسف بن عبد المؤمن حين تزوج ابنة محمد بن سعيد بن مردنيش صنع مهرجاناً عظيا يقصر اللسان عن وصفه (٥) وكان المغنون يشتركون في إحياء حفلات الزواج وقد أشار التادلي إلى كثير من هؤلاء المغنين الذين أقلعوا عن الغناء في الأفراح وانصرفوا إلى العبادة ، ومن هؤلاء أبو اسماق إبراهيم ابن عبد الصمد الصهاجي من أهل فضالة من عدوة وادى آزمور وأقام عراكش « وكان في حداثته محباً في اللهو يغني في الأعراس ويضرب الدف (١) وأبو عبدالله محمد بن موسى الأزكاني وكان مقيا بصفرو ومات بعد سنة ، ٥٩ه ه كان مبدأ أمره أنه كان في شبيبته يلعب ويغني في الأعراس » (٧) وأبو ولحوط تونانت بن وجرام الهزميري من أهل بلدة نفيس من عمل مراكش ومات سنة ، ١٩٥٨ كان في حداثته يغني في الأعراس (٨).

ومن هذا نلمس اشتغال الرجال بالغناء فى الأفراح و بجانب الغناء ومن هذا للمرة ببعض الألعاب إدخالا للسرور على الحاضرين ومن ذلك ما تعوده أهل قرية تاورا إحدى قرى مدينة مكناسة فى أفراحهم حيث كان

⁽١) إبن مباهب المبلاة : تاريخ الن من ٢٩٧ .

⁽٢) أبن عذارى: البيان المفرب ج ٤ ص ٢٢ ، ٢٣ تطوان .

⁽٣) عُثْمَانُ الْكَمَاكُ : مُحَاضِرات في مراكر الثقافة ص ٥٣ .

⁽٤) التادلي: التشوف ص ٥٥ .

⁽٥) ابن أبي زرع: الانيس ج ٢ ص ١٨٨ ت الغيلالي .

⁽٢) التادلي : التشوف ص ٣٠٧ .

⁽٧) نفس الرجع السابق ص ٣٦٩ .

⁽٨) نفس الرجع السابق ص ١١٢ .

السودانيون يلعبون الثقاف بالحديد ويرقصون ونساؤهم يضربون آلة اللعب ويغنين والزامر يزمر لهم(١) وأحياناً تزف العروس وهى راكبة على سرج ويحيط بها المغنون ووسائل اللهو المختلفة فى موكب كما فى أفراح تلمسان(٢).

ومما يتصل بالأسرة ، عادة استنها الخليفة المنصور الموحدى وهو جمع الأطفال في العاصمة مراكش كل عام وتختينهم وصرف دينار من الذهب ودرهم من الفضة لمكل واحد منهم وذلك لنفقات العلاج وثمرة ليأكلها أثناء عمليسة التختين لتخفيف آلامه يقول ابن عدارى « وفي سنة خمس وتسعين وخمس مائة أمر المنصور بإعدار الأطفال بمراكش وأن يجعل في يد كل واحد منهم دينار من الذهب ودرهم من الفضة وحبة من الفاكهة الخضراء ليشغل بها الطفل عن ألمه ويصرف الدينار في مداواته فكان يذهب في ذلك كله فوق الألف ألف ما بين ذهب وفضة فكان هذا من مكارمه الذي لم يسبقه أحد إليها من ملوك المتقدمين (٣) وقد حدد المراكشي نوعية هؤلاء الأطفال بأنهم الأيتام المنقطعون حيث كان يجمعهم في موضع قريب من قصره وتجرى لهم عملية التختين (٤) ويبدو أن بعض الأسر كانت تحتفل من قصره وتجرى لهم عملية التختين (٤) ويبدو أن بعض الأسر كانت تحتفل من قصره وتجرى لهم عملية التختين (٤) ويبدو أن بعض الأسر كانت تحتفل من قصره وتجرى لهم عملية التختين (٤) ويبدو أن بعض الأسر كانت تحتفل من قصره وتجرى لهم عملية التختين (٤) ويبدو أن بعض الأسر كانت تحتفل من قصره وتجرى لهم عملية التختين (٤) ويبدو أن بعض الأسر كانت تحتفل من قصره وتجرى لهم عملية التختين وعودة الأصدقاء من الحران لحضور

ثانياً: الصحة

لقى سكان المغرب الأقصى رعاية واهتماماً فى النواحى الصحية من ولاة الأمر منذ قيام دولة المرابطين ، وقد تجلى ذلك فى إقامة مستشفى المنصور الموحدى وتشجيع الأطباء على القدوم إلى المغرب والأندلس غيرها من

⁽١) ابن غازى : الروض الهتون ص ٤ ، البيذق : اخبار المهدى ص ٦٠

⁽٢) عبد العزيز بنعبد الله : المعجم التاريخى ص ٩ ، ملين : عصر المنصور الموحدى ص ٢٥٩ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين القسم الثاني ص ٢٣٤ .

⁽٣) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ١٨٠ تطوان ٠

⁽٤) المراكشي: المعجب ص ٢٨٧٠

⁽٥) التادلي : التشوف ص ٣٨٩ ٠

البلدان ، وتبعاً لذلك از دهرت العلوم الطبية مما عاد على السكان بعظم الفائدة وقد حفلت كتب الطبقات بكثر من الأطباء الذين خدموا في بلاط ولاة الأمر من المرابطين والموحدين وعلى رأسهم أسرة بني زهـر .

وقمد تعرضت البلأد في بعض الأحيان للاوبثة والتي شكلت خطراً كبيراً على حياة السكان حيث راح ضحيتها الكثير من الناس ففي سنة ٢٤هـ .. ١١٦٨م تلوث هواء مراكش بميكروب سبب المرض لكثير من سكان مراكش (۱) . كذلك الطاعون الذي أصاب مراكش سنة ٧٠١٥ / ١١٧٥م أودى محياة كثير من الناس حتى بلغ الموتى في كل يوم ماثة وتسعين شخصاً واستمر ذلك سنة كاملة(٢) وطبقاً لهذه الرواية يكون ضحايا هذا الطاعون ، ٦٩,٣٥٠ شخصاً ، أما ابن أبي زرع فقد جعل الضحايا عراكش ألفاً وسبعاثة رجل(٣) وربما كان العدد الأول هو مجموع الضحايا في المغرب الأقصى كله ، وقد مات في هذا الطاعون عدد من أُسَرة الحلافة(؛) ، ﴿ ومات فيه _ في الطاعون ــ من أولاد الخليفة عبد المؤمن السيد أبو عمران ثم أخوه السيد أبو سعيد ، ثم أخوهما السيد أبو زكريا وصاحب بجاية والشيخ أبو حفص عمر بن محيي الهنتاتي جد الملوك الحفصيين . . ٣ (٥) يضاف إلى ذلك عدد ممن كانوا نخدمون فى قصور الأمراء بلع ثلاثين شخصاً يومياً (٦) .

ونتيجة لانتشار الوباء لحأ الناس إلى حمل بطاقات فيها بيانات عنهم حيى إذا فاجأ الموت أحدهم تعرفوا على أسرته « وكان الناس بموتون فيه من غير مرض فكان الرجل لا يخرج من منزله حتى يكتب اسمه ونسبه وموضعه في براءة بجعلها في جيبه فإن مات حمل إلى موضعه وأهله »(٧).

⁽١) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ٣٩٥ .

⁽۲) ابن عذاری : البیان المغرب ج ؟ ص ۲۶ ، ۲۰ تطوان . (۳) ابن ابی زرع : الانیس ص ۲۱۲ طبع حجر .

⁽٤) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٢٥ تطوان ، ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٢٤٠ ، السلاوى : آلاستقصا جـ ٢ ص ١٥١ .

⁽٥) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ١٢٠ .

⁽٦) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٢٥ تطوان .

⁽٧) ابن أبى زرع: الانيس ص ٢١٦ طبع حجر .

وسائل العلاج :

عرف الشعب المغربي كثيراً من ألوان العلاج ومن ذلك أنهم اتخذوا وسيلة العزل كوقاية من العدوى والإصابة بالأمراض الحطيرة كالحذام ، فقد أفردوا مكاناً خاصاً خارج العاصمة يعيش فيه الحذماء لا يختلطون بغيرهم ومن هؤلاء المرضى لا أبو عصفور يعلى بن وين يوفن الأجذم تلميذ أبي يعزى وأصله من مكناسة نزل حارة الحذماء خارج حضرة مراكش وبها مات عام ثلاثة وثمانين وخسمائة (١)وأبو يعقوب يوسف بن على وكان محارة الحذماء ومات في شهر رجب عام ثلاثة وتسعين وخسمائة (١).

وهكذا عرف سكان المغرب نظام العزل وتخصيص أماكن بعيدة لإيواء ذوى الأمراض الحطرة .

كما أن السكان حاولوا الاستفادة من البيئة وما ينمو فيها فى مداواة أمراضهم وعن طريق تجاربهم صارت لهذه الحدمات الطبيعية مفعولها فى علاج كثير من الأمراض ومن ذلك مياه أحد أنهار فاس حيث كانت تفتت الحصى الذى يتكون فى المثانة كما أنه يقضى على حشرات الرأس(٣) وكذلك العيون الساخنة كعين خولان وحمة وشتاته كلها عيون ساخنة يستحم فيها الناس للتداوى(٤) وقد نبتت بجبل فازاز بعض النباتات التى تستخدم كدواء لعلاج الأمراض(٥) وبمدينة أيجلى شجرة تشبه شجرة الكثرى وثمرته تشبه الاجاص ، يجمعونه ويتركونه حتى يذبل ثم يضعونه فى مقلاة فخار على النار فيستخرج دهنه وهو جيد فى علاج الكلى وإدرار البول(٢).

وهكذا استغل السكان البيئة المحيطة بهم فى علاج أمراضهم .

⁽۱) التادلي : التشوف ص ۲۰۸ .

⁽٢) نفس المرجع السابق ص ٣٠٨ ، ابن المؤقت : السعادة الأبدية ج ١ ص ٢٤ .

⁽٣) الجيلاني: رسالة في ذكر من أسس مدينة غاس ص ٥٠٠٠

⁽٤) نفس المرجع السابق ص ٧٧ مخطوط ، عبد العزيز بنعبد الله المعجم التاريخي ص ٨ ٠

⁽٥) مجهول: الاستبصار ص ١٨٧٠٠

⁽٦) نفس المرجع السابق ص ٢١٢٠

وبجانب العلاج الطبيعى ، كانت هناك المستشفيات وأهمها تلك المستشفى التى بناها المنصور الموحدى وقد سبق الاشارة إليها ، وقد جعل المنصور العلاج بها حتاً لكل مواطن سواء أكان غنياً أم فقيراً (۱) وجهزه بكل ما يلزمه من وسائل العلاج وأجرى الإنفاق عليه من بيت المال (۲) وقد أشار المراكشي إلى تجهيزات المستشفى بقوله « وأجرى له ثلاثين ديناراً في كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة ، خارجاً عما جلب إليه من الأدوية وأقام فيه من الصيادلة لعمل الأشربة والأدهان والأكحال، وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء » (۳) وممن التحق بالحدمة في هذه المستشفى أبو اسحق ابراهيم الدائي وأصله من بجاية وكانت له عناية بالغة في صناعة الطب وقد عينه المنصور أميناً المستشفى وكذلك ولداه (٤) ومان المحور يتعهد المستشفى بزيارته الأسبوعية حيث يطمئن على صحة المرضى وسعر العمل بالمستشفى (٥).

ولم يكن الإشراف على المرضى قاصراً على المستشفى بل تعداه إلى معاونتهم فى حياتهم بعد مغادرتهم المستشفى وهو ما يعرف بنظام التأهيل فى عصرنا الحاضر فكان يصرف لكل مريض فقير مقدار من المال يعيش منه ريثما يتمكن من العمل والكسب و فإذا نقه المريض فإن كان فقيراً أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل وإن كان غنياً دفع إليه ماله وترك سببه (١)

وبجانب المؤسسات العلاجية كان هناك الأطباء ، ومنهم من كان يعالج العامة حيث يقصدونه بمرضاهم ويدفعون أجر العلاج ومن هؤلاء الطبيب ابن افلاطون بمدينة فاس ويبدو أنه نال مكانة طيبة وسمعة عريضة

⁽۱) الراكشي : المعجب ص ۲۸۸ .

⁽۲) ابن ابی زرع: الانیس من ۱۵۷ طبع هجر ، السلاوی: الاستقصا ج ۲ من ۱۹۸ ، ملین: عصر المنصور من ۲۲۰ .

S.P. Scott; History of Moorish Empire, V.2, P; 306.

⁽٣) الراكشي: المعجب ص ٢٨٧ .

⁽٤) ابن أبى أصييعه : عيون الانباء ص ٣٤ه وأحمد عيسى : تاريخ البيمار ستانات ص ٢٨٢ .

⁽٥) المراكشي: المعجب ص ٢٨٨٠

⁽٦) نفس المرجع السابق ص ٢٨٧ .

ومن ثم أصبح أجره مرتفعاً ، فقد مرضت أخت لعلى بن عبد الكريم وهو من سكان مكناسة فجهز مبلغ مائة دينار وتوجه بها إلى ابن افلاطون فى فاس لعلاجها(١) ، كذلك الطبيب ابراهيم بن أبى الفضل بن صواب المجرى من أهل شاطبة ، أقام بطنجة لعلاج المرضى ثم استقر بمدينة فاس وتوفى سنة أهل شاطبة ، أقام بطنجة لعلاج المرضى ثم استقر بمدينة فاس وتوفى سنة محمر ١١١٢٧م(٢) .

وبجانب أطباء الشعب ، كان البلاط المرابطي والموحدي يزخر بنخبة من الأطباء وفي مقدمة هؤلاء أسرة بني زهر التي خدم بعض أفرادها في البلاط المرابطي ثم الموحدي ومن هؤلاء أبي العلاء زهر بن أبي مروان عبدالملك وكان مشهوراً بالحذق والمهارة وله علاجات مختارة وله عدة مؤلفات طيبة وقد خدم في بلاط المرابطين ونال منزلة رفيعة (٦) واشتغل ابنه أبو مروان عبد الملك في خدمة الحليفة عبد المؤمن وألف للخليفة البرياق السبعييي مع عدة مؤلفات أحرى ونال مكانة رفيعة لدى الحليفة (١) فلما توفى الحليفة عبد المؤمن التحق أبو مروان محدمة الحليفة يوسف بن عبد المؤمن ثم ابنه المنصور من بعده (٥).

وبجانب أسرة بنى زهر كانت هناك مجموعة من الأطباء المشهورين أمثال أبى بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة والذى اشتغل بالطب فى دولة المرابطين (٦)وابن طفيل طبيب الحليفة يوسف بن عبد المؤمن والمتوفى سنة ١٨٥ هـ/١١٥ م(٧)وابن رشد وهو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن

⁽۱) التادلي : التشوف ص ۲۵۹ ، ۲۲۰ ،

⁽٢) ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة ص ١٧٢٠

⁽٣) أبن أبى اصيبعه : عيون الانباء ص ١٧٥ بيروت سنة ١٩٦٥ ؟ آنخل جنثالث: تاريخ الفكر الاندلسي ص ٤٧١)عبد العزيز بنعبد الله : الطب والاطباء في المغرب ص ٣٠٠ .

⁽٤) ابن أبى أصيبعه: عيون الأنباء ص ٥٢٠ ، ٥٢١ ،

⁽٥) نفس الرجع السابق ص ٥٢١ ٠

⁽٦) التفطى: أخبار العلماء ص ٢٦٥ ، عبد العزيز بنعبد الله: الطب والاطباء بالمغرب ص ١٠٠٠

⁽٧) ابن أبى زرع: الانيس ج ٢ ص ١٧٦ ت الفيلالى ، عباس المراكشي الاعلام ج ٣ ص ٣٤٢ تا ظهر الاسلام ج ٣ ص ٢٤٢ ط ٢ سنة ٥٩

رشد والذى نال حظوة ومكانة لدى الخليفة المنصور الموحدى (١) وغير هؤلاء ممن حفلت المرجع بتراجمهم ويضيق المجال عن ذكرهم ، وهذا يشير إلى ارتقاء شأن الطب والأطباء في هذه الفترة ، وما صاحبه من كثرة المؤلفات الطبية مما ارتفع بالمستوى الصحى للسكان .

ثالثا: المحالس

تهد المجتمع المغربي كثيرا من المجالس المتنوعة والمتعددة التي كان يعقدها الحلفاء في قصورهم ، وبجانب ذلك مجالس الوعظ التي انتشرت في الأماكن العامة يضاف إلى ذلك تلك الحجالس العامة التي كان يعقدها علية القوم من الأمراء وغيرهم وقد أثمرت هذه المجالس وما فيها من مناقشات علمية وأدبية ، ازدهاوا في الحركة الفكرية بالبلاث ، وارتقاء للنواحي الثقافية وفي مقدمة هذه المجالس :

مجالس الحلفاء:

حرص أمراء المسلمين من المرابطين وخلفاء الموحدين على حمد الجلسات والتي كانوا يشهدونها بأنفسهم ، ويشاركون فيها بالحوار والمناقشة ، فأمير المسلمين تاشفين بن على بن يوسف كان يجالس الأعيان ويذاكرهم (٢) وكان هذا أثناء ولايته للأندلس ، وممن كان يحضر مجلسه القاضي أبو القاسم اخيل بن ادريس الرندى وكان أديبا(٣) .

أما فى الدولة الموحدية فقد كثرت هذه المجالس التى كان يحضرها الحلفاء وقد أشار ابن صاحب الصلاة ، وكان يعيش فى عصر الحليفة يوسف بن عبد المؤمن إلى عادته فى التوجه إلى مجلس الحليفة فى داره حيث قال و كنت – أى ابن صاحب الصلاة – صبيحة يوم الأحد الذى وصات فيه هذه البشرى الفاتحة – وهى انتصار الموحدين على ابن مردنيش فى الأندلس – فقد بكرت على العادة إلى منتقيمي دار الحليفة رضى الله عنه

⁽۱) أبن أبى أصيبعه : عيون الانباء ص ٥٢٥، ، ٢٥٥ ، أرنست رينان : أبن رشد والرشدية ص ٣٧ ، أحمد أمين : ظهر الاسلام ج ٣ ص ٢٤٦ . (٢) أبن الخطيب : الاحاطة ج ١ ص ٤٥٧ ت عنان .

⁽٣) أبن سعيد المفربي : المفرب في حلى المفرب ج ١ ص ٣٣٦ .

جالسا مع طلبة الحضر أشياخ أهل الأندلس نتطلع الأخبار وقد بعد زمانها وتوقف الواصلين بها ...(١٠)، وهذا الخبر يفيد تعود الخليفة على الحلوس في داره مع طلبة الحضر ، هم طائفة العلماء وأشياحُ الأندلس .

وكانت هذه المجالس تضم العلماء والأدباء ورجالات الدولة ، ومن هؤلاء الذين ضمتهم مجالس الموحدين في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الحافظ أبو بكر بن الحد ، والفقيه القاضي أبوعبد الله بن الصقر ، وغير هؤلاء من العلماء (٢)أما في عصر المنصور الموحدي فكان مهم أبو الحجاج المفسر وعبد الله بن سلمان بن حوط وابن زهر الأديب الطبيب وابن رشد(٣) والقاضي الشقندي وكان عالمسا متبحرا في العلسوم (١) ومجانب هؤلاءكان هناك طلبة المصامدة وهؤلاء كانوا يشهدون كل مجالس الحلفاء ، يقول المراكشي « وصنف آخر ممن عني بالعلم من المصامدة يسمون طلبة الموحدين ولا بد فى كل مجلس عام أو خاص بجلسه الحليفة منهم من حضور هؤلاء الطلبة الأشياخ منهم (°)».

وكان لهذه المحالس في عهد الموحدين نظام خاص تتبعه ، فكان الخليفة يتصدر المحلس ، فخطيب الحماعة ، ثم قاضي الحماعة بمراكش فرئيس الأطباء فأكبر علماء الحضرة فباقى الأعلام الحاضرين على اختلاف مراتبهم (٦)ثم تدار المناقشة حول مسألة علمية يلقيها الحليفة بنفسه أو أحد العلماء الحاضرين بعد استئذان الخليفة '، ويناقش الحاضرون المسألة ، ثم تختم الحلسة بالدعاء للخليفة (٧).

ومن الموضوعات العلمية التي كانت تعرض في المحالس العلمية الموطأ الذي ألنه ابن تومرت حيث عرضه أبو يعقوب يوسف بن وانودين في أحد

⁽١) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ٢٧٥ ج

⁽٢) ابن ابى زرع: الانيس جـ ٢ ص ١٨١ ت الفيلالى ، السلاوى: الاستقمىسا ج ٢ ص ٢٠٢٠

⁽٣) ملين : عصر المنصور الموحدي ص ١٦٤ .

⁽٤) ابن سعيد: المغرب في على المغرب ج ١ ص ٢١٣٠

⁽٥) المراكشي : المعجب ص ٣٤٢ . (٦) ابن اصيبمه : عيون الانباء ص ٢٩٥ ، المنوني : العلوم والفنون ص ۹۹ ، ۶۰ ه

⁽٧) المراكثي : المجب ص ٣٤٢ ٠

مجالس الخليفة عبد المؤمن في جمع من أشياخ الموحدين (١).

ومجانب هذه المحالس العلمية التي كان يشهدها الخلفاء ، كانت هناك المحالس التي يتبادلون فها الحديث عن مشكلة تهم الدولة ، وكانت الأندلس تعتل مكان الصدارة في المشكلات التي واجهت ولاة الأمر من المرابطين والموحدين حيث أن الحطر كان قائما في كل لحظة من هجوم الأعداء على أرض الأندلس ومحاولة الاستيلاء علما ، ومن هنا كانت بعض المحالس تدور فها المناقشات حول الأندلس ومن ذلك ما كان يتحدث به يوسف بن تاشفين في مجالسه يقول المراكشي ٩ ويوسف بن تاشفين في ذلك كله يمدهم - أى بمد أهل الأندلس - في كل ساعة بالحيوش بعد الحيوش ، وَالْحَيْلُ أَثْرُ الْحَيْلُ ، ويقول في كل مجلس من مجالسه : إنما غرضنا في ملك هذه الحزيرة أن نستنقذها من أيدى الروم لما رأينا استيلاءهم على أكثر ها(٢). وكذلك الحليفة عبد المؤمن ومناقشته لأحداث الأندلس في مجالسه « ومنها أنه ــ أى عبد المؤمن بن على ــ تذاكر يوما حال الأندلس مع الروم المفاتنين فجرى ذكر وقعه أقليش التي هزم فيها الطاغية وقتل ولد أذَّفونش ، فقال لوزيره أبي جعفر بن عطيه اخرج إلى أشياخ الخند وسلهم هل بتي أحد ممن حضر وقعة اقليش ففعل ... فسر بأن بتي من محدثه بصفة تلك الحروب وأمر بادخالهما إلى مجلسه العالى ، وأمر بأن محضر معهما أشياخ الحند فكان ذلك ، وسألهما عما شاهداه من تلك الحروب فحكياها من أولها إلى آخرها ، وعند تمام حكايتها أعطى لابن ريدون خسائة دينار ولابن تورزجين مثل ذلك ..(٣)، وهكذا احتل موضوع الأندلس وأخبارها مكانا في المُناقشات الدائرة في مجالس ولاة الأمر .

وفى بعض الأحيان كانت المشاكل اليومية التي يواجهها الناس تثار في عجلس الخليفة ومن ذلك أن يحيى بن العزيز – وكان ملكا لبنجاية قبل استيلاء عبد المزمن عليها ثم أحضره معه إلى مراكش – كان في مجلس عبد المؤمن

⁽۱) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٣٠ ت د. احسان عباس ٠

⁽٢) المراكشي : المعجب ص ١٦٢ .

⁽٣) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٣٩ .

يوما فذكر الحاضرون تعذر الصرف وشاركهم القول في ذلك محي من َأنه ﴿ يعانى من ذلك أيضا لأن خدمه لا مجدون العملات الصغيرة متوفرة ، فلما سمع الحليفة ذلك أمر بتحقيق مطلهم وتوفير العملات الصغيرة للتداول (١٦

مجالس وعظ :

ونوع آخر من المجالس شهده المجتمع المغربي ، وهو مجالس الوعظ التي يتولى الحديث فها العلماء والصلحاء حيث يعظون الناس ويرشدونهم ، وُقله تجلى ذلك فى طريقة ابن تومرت وجمعه للأتباع حيث كان يجلس إلى النابس يعظهم ويعلمهم أمور دينهم (٢) .

وبعضهم كان يتخذ من الأسواق والطرقات مكانا ليعظ فيه كأبي العباس السبتي المراكشي والمتوفى سنة ٢٠١ ه ، كان مجلس حيث أمكّنه الحلوس من الأسواق والطرقات فيحض الناس على الحبر (٣).

وبعضهم كان محدد أياما في الأسبوع لمحالس وعظه كالعالم محمد بين أحمد بن محمد اللخمى وكان يقيم بمراكش وله مجالس وعظ في يؤجى الاثنين والحميس من كل أسبوع (٤)وبمن اشتهر بالحديث في مجالس الوعظ أبو "مدين المتصوف والمتوفي سنة ٤٩٥ هـ/ ١١٩٧ م حيث كان الناس يقصدونه من كل مكان (٥).

مجالس عامة:

وهي تلك المجالس التي كان يعقدها الأمراء وأكابر رجال الدولة في قصورهم ومنتدياتهم ويحضرها الأدباء والشعراء ، وكان ذلك نتيجة الاحتكاك . المباشر بين المغرب الأفصى والأندلس في عهد المرابطين ، وإقبال العلماء والشعراء الأندلسين على المغرب والالتفاف حرل الأمراء في المدن المغربية كمراكش وفاس وتلمسان وساثر المدن الأخرى ، وخاصة أن الولاة كأنوا

⁽١) المراكشي: المجب من ٢٠٧ .

⁽۱) ابن القطان: نظم الجبان ص ٩٤ . (٣) عباس المراكشي: الاعلام ج ١ ص ٢٤٦ . (٤) نفس المرجع السابق ج ٣ ص ٨٧ . (٥) أحمد بن القاسم: المعزى في أخبار أبي يعزى ص ٧٧ مخطوط . (م ۲۷ ـ الحضارة)

يتنقِلون بين مدن المغرب ومدن الأندلس وما يصحب النقل من انتقال حاشية المرابع معه (١).

و بجانب هذه المجالس ، كانت هناك المجالس الفقهية التي كان يعقدها العلماء في المدن المغربية كسبته وفاس وغيرها للمناظرة والبحث والمدراسة (٢) ومن المجالس الأدبية التي كانت تعقد في العاصمة مراكش ، مجلس حواء بنت تاشفين – وكان تاشفين أخا ليوسف بن تاشفين لأمه – حيث كان يحضره الكتاب والشعراء وكانت تحاضرهم فيه وجمن كان يحضر هذه المجالس ابن المرخى وابن القصيرة وغيرهم من الأدباء والشعراء (٣).

واشترك أمراء الموحدين في المحالس في ولاياتهم حيث كانت تعقد تخت إشرافهم ويشاركون فيها بالمناقشة والحوار ، ومن ذلك المحلس الذي كان يعقده أبو يحيي بن أبي زكرياء الموحدي أمير سبتة ويحضره العلماء وملهم أبو إلوليد إساعيل بن محمد المعروف بالشقندي وأبو يحيى بن المعلم الطنجي (٤)

رابعا: الاحتفالات

ر شهد سكان المغرب الأقصى العديد من الاحتفالات والتي كانت تقام في المدن المغربية نتيجة لمناسبات مختلفة ، وقد اشترك أبناء الشعب في هذه الاجتفالات معبرين عن شعورهم وعاطفتهم ازاء هذه الاحتفالات

يُ ويمكننا أن نقسم هذه الاحتفالات باعتبار بواعثها ودوافعها إلى أنواع ثلاثة فهناك الاحتفالات الدينية وأخرى عسكرية ، وأخيرا الاحتفالات المتعددة .

الاحتفالات الدينية:

أئم وهذه ارتبطت بالمناسات الدينية المتكررة كصلاة الجمع والأعباد

⁽١) د ، حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٢٣ ٤ .

⁽٢) رابح بونار : المغرب العربي ص ٣٣٥ .

⁽٣) ابن عدارى : البيان المفرب ج ٤ ص ٥٧ بيروت .

⁽٤) المنوني : العلوم والفنون ص ٤١ ، آنظل جنثالث : تاريخ الفكر الاندلسي ص ٢٩٩ .

والليالي الدينية ، وقد كان لحلفاء الموحدين احتقال خاص بصلاة الحمعة ،. حيث يخرجون في موكب من كبار رجال الدولة ، قاصدين المسجد الكميير بالعاصمة ، وهناك بجلس الخليفة ثم تبدأ الشعائر الدينية من قراءة للقرآب وآذان المؤذنين ثم خطبة الحمعة وبعد الفراغ من الصلاة يعود الخليفة فى موكبه راجعاً إلى قصره(١)ولا شك أن ذلك يصحبه خروج الناس لمشاهدة الموكب ومشاركتهم في الصلاة مع الحليفة وما يصحب ذلك من مظاهر الفرح والسرور بروّية موكب الخليفة .

. وكان لشهر رمضان مكانة خاصة . حيث محتفل به الشعب في كمِلْ مكان بإقامة الأذكار وقراءة القرآل وتأدية الصلُّوات بالمساجد ، وكان الخلفاء محتفلون بذلك الشهر وذلك بالقراءة فى مصحف سيدنا عُمَّان رضي الله عنه (٢)وكان الحليفة عبد المؤمن قد أحضره من الأندلس ونقله إلى قصوه بمراكش وجمل له أغطية من الحلد المرصع بالأحجار الكريمة (٣).

أما أفراد الشعب فكانوا محتفلون لهذا الشهر في المساجد والحلقات الدينية (٤) وقد اختص المغاربة ليلة السابع والعشرين بالتعظيم والتكريم (٥). وفى رواية أخرى أنها ليلة التاسع والعشرين(١)حيث كانوا يقيمون الاحتفالات اعتقادا بأنها ليلة القدر وهي ليلة معظمة عند سائر المسلمين ، كذلك ليلة عاشوراء حيث كان بعض الصالحين يعدون الطعام ويدعون الناس لتناوله احتفالا سهذه الليلة (٧).

أما الأعياد فكان الخليفة يخرج لتأدية صلاة العيد في موكب من كيارُّ رجال الدولة ، وبعد انقضاء الصلاة يتقدم كبار رجال الدولة لتحية الخليفة وتهنأته ويدءو لهم ثم يذبح كبش بين يديه في عيد الأضحى ، وفي الهوم

⁽۱) المراكشي : المعجب ص ٣٤٣ . (٢) التنسي : الدر والعتيان ورقة ٥٥ مخطوط .

⁽٣) نفس آلمرجع السابق ورقة ٥٤ مخطوط .

⁽٤) أحمد بن القاسم : المعزى في اخبار أبي يمزى ص ٧ مخطوط .

⁽٥) ابن الأثير: الكالم ج ٨ ص ٢٩٩ . (٦) العمرى: مسالك الإبصار ج ١٦ قسم ٢ ص ٢٦٨ .

⁽٧) التادلي: التشوف ص ٢٨٢ ٠

التألى يجلس الحليفة فى قصره وتأتيه الوفود وفى مقدمتها أشياخ الموحدين وأبناء الحماعة وطلبة الحضر والفقهاء والقضاة والكتاب على ترتيبهم ثم بقية الوفود وذلك للهنئة بالعيد (١).

ر. وفى بعض الأعياد كان الحليفة يفرق الأغنام على من حوله وذلك ما فعله الحليفة يوسف بن عبد المؤمن فى عيد الأضحى لسنة ٢٥ه هـ ١٧٧١ م حين وزع كباشا على اخوته وأشياخ الموحدين ووجوه دولته (٢) وقلة بلغ عدد الأغنام التى فرقها المنصور الموحدى فى عيد سنة ٤٩٥ هـ الأبدا م ثلاثا وسبعين الف شاه من ضأن وماعز وزعها على الأمراء والحند ولالفهراء (٣).

... وكان القادرون من أفراد الشعب يشترون الكباش كى يضحوا بها فى عيُدَ الأضحى (٤) وكمظهر من مظاهر الاحتفال بالعيد ، كان الناس يلبسون الملابس الحديدة مع التجمل والترين فى أيام العيد (٥).

رومما يلحق بالاحتفالات الدينية تلك الاحتفالات التي ممترج فيها الحزن بالمشاعر الدينية ، حيث كان الناس بحرجون في شبه مظاهرة دينية للمشاركة في جنازة أحد الصالحين من العباد والمتصوفين والذين امتلأت بهم المدن المعتربية في القرنين الحامس والسادس من الهجرة ، فابن العريف المتصوف والمتوفى بمراكش سنة ٥٣٦ه هم/ ١١٤١ م حين مات احتفل الناس بجنازته (٦) وهجو يعقوب يوسف بن عبد الله بن مصباح التادلي المعلم من داى من بلاد تادلة ونزل مراكش وبها مات سنة ٧٧٥ هم/ ١١٧٦ م ، فحين مات لم يعلم عوته يسوى نفر قليل من حوله ، فلما خرجوا بجنازته من باب الدباغين أتى موته يسوى نفر قليل من حوله ، فلما خرجوا بجنازته من باب الدباغين أتى

⁽۱) ابن صاحب الصلاة : تاريخ الن ص ٧٥٧ .

⁽٢) نفس المرجع السابق ص ١١٥ .

⁽٣) المترى : نفح الطيب ج ؟ ص ١٠١ .

⁽٤) التادلي : النشوف ص ٢٦٦ ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس ص ١٣٧ .

⁽٥) أبن القطان : نظم الجمان ص ٤١ ، ليفي بروفنسال : نخب تاريخية من ٣٦ .

⁽٦) ابن خلكان : وهيات الاعيان ج ١ ص ١٥٢ .

الناس إليها من كل جهة واحتفلوا بجنازته وحضرها خلق كثير (۱)وكذلك أبو إبراهيم إسحق محمد الهزرجي والمتوفى بمراكش سنة ۸۸۱ه ه/۱۱۸۸ م (۲)، وأيضا حين مات المتصوف أبو واجاج عفان بن إسهاعيل المطماطي بمراكش سنة ٢٠٤ هـ، احتفل بجنازته ودفن خارج باب أغمات (۲)وهكذا كانت وفاة العباد والصالحين فرصة ينهزها أبناء الشعب للاحتفال بجنائزهم وذلك للتعبير عن تقديرهم واحترامهم للصالحين من أبناء الأمة.

احتفالات عسكرية :

شهدت المدن المغربية منذ قيام دولة المرابطين كثيرا من الاحتفالات العسكرية والتي كان يخرج فيها الناس لمشاهدة عرض عسكرى استعدادا لحملة أو خروج ولى الأمر على رأس جنوده إلى معركة من المعارك ، وما يصحب ذلك من مظاهر الفرح والابتهاج التي كانت تعم السكان .

وقد تعود ولاة الأمر استعراض جنودهم قبل الحروج إلى المعارك وذلك باستعراض كتائب الحيش وألويته والسلاح والعتاد أمام مرأى من الناس ، وقد استعرض تاشفين بن على جنوده فى تلمسان سنة ٣٥٥ هـ/١١٤٣ م(٤).

واتبع الموحدون عادة العرض العسكرى ، وكانت من الأشياء المحبة إلى نفس الحليفة عبد المؤمن أن مجلس ويستعرض جنوده وكتائبه (٥)، وكان الناس يخرجون لمشاهدة مواكب الحند وحشودهم وقد استمر العرض العسكرى بمراكش سنة ٥٧٩ هـ/١١٨٣ م شهرا وذلك حين جهز الحليفة يوسف بن عبد المؤمن جنوده للعبور إلى الأندلس والناس يشهدون هذا العرض يقول ابن عدارى « وفيه ـ أى سنة ٥٧٩ ـ أمر أمير المؤمنين أبو يعقوب بتميير الموحدين والعرب والقبائل للغزو .. وذلك التبريز تخارج

⁽١) ابن المؤقت: السعادة الابدية جـ ١ ص ١٢٨ .

⁽۲) التادلي : التشوف ص ۱۵۲ .

⁽٣) نفس المرجع السابق ص ٤٢١ ، ٤٢١ .

⁽٤) عبد العزيز بنعبد الله : تاريخ للغرب ج ١ ص ١١٠٠

⁽٥) الراكشي: المعجب ص ٢٠١٠

مراکش والناس ینظرون فی ذلك كل يوم ، دام هذا الحال شهر جمادی کله س۱).

ولم يكن الاحتفال بالعرض العسكرى قاصرا على العاصمة ، ولكنه كان يشمل كل المدن التي يمر بها الحيش في طريقه إلى المعركة ، ويأتى في مقدمة هذه المدن مدينة تينملل العاصمة الأولى للموحدين ، حيث تعود خلفاء الموحدين زيارة قبر المهدى ومن دفن فيها من خلفاء الموحدين ثم التوجه بعد ذلك إلى المعركة (٢) وما يصحب هذه الزيارة من دخول مواكب الحليفة مدينة تينملل وخروج الناس لاستقبالهم والترحيب بهم يقول ابن عذارى، هوفي هذه الحركة أي خروج المنصور الموحدي سنة ٨٦ هم إلى قفصة اخرى آفراك المعد لنزوله في غاية الحسن والحمال وقدم الارتقاء إلى تينملل لزيارة قبر المهدى على جرى عوائد سلفه في تيمنهم بتقديمه وقضاء حقه وتعظيمه و٣).

ثم تستمر الاحتفالات في سائر المدن التي يحل بها جيش الحليفة ، ففي مدينة فاس خرج الناس للاحتفال مجيش المنصور الموحدي سنة ٥٨٢ هـ/ ١١٨٦ م ، ونصبوا الموائد لإطعام الحند (٤).

وكانت مواكب الموحدين ونظمها وما يصحبها من دق للطبول ، ونشر للألوية سببا قويا في احتشاد الناس لروية هذه المواكب والاحتفال بها وتوديعها أو استقبالها عند عودتها .

ولم تشر المراجع التى اطلعت عليها إلى النظام الذى اتخذه المرابطون فى مواكبهم ، وربما يرجع هذا إلى ميل المرابطين للبساطة وبعدهم عن كل مظاهر الفخامة ، مع طمس الموحدين لأخبارهم .

أما مواكب الموحدين فقد وضع نظامها وطريقة سيرها داعية الموحدين

⁽۱) ابن عذاری : البیان المفرب ج ٤ مس ٥٥ ، ٥٥ تطوان ٠

⁽٢) نفس المرجع السابق ج ٤ ص ٢٤ تطوان ، عنان : عصر المرابطين والموحدين التسم الثاني ص ١٥٩ .

⁽٣) نفس الرجع السابق ج ٤ ص ١٠١ ، ١٠٢ تطوان ،

⁽٤) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٤ ص ١٠٣ تطوان ٠

أبن تومرت وقد أشار إليها ابن القطان بقوله (وعلم - أى ابن تومرت - الناس الحركة كيف تكون ، فأمرهم إذا عزموا على الركوب أن ينادى منادى : الاستخارة بالله والتوكل عليه ، وإذا تحركوا أن يقدموا أمامهم لواء أبيض مع عدد من الرجالة يكون بينه وبين الأمير مقدار ربع ميل ، ويكون الأمير متقدما على الناس خلف اللواء المذكور في جملة من يختص به يحفون به ، ثم تتبعهم الرايات الكبار ، والطبول والعسكر المعروفون بالساقة ، ثم كل قبيل على ترتيب وحسن هيئة معه علاماته ، (١).

وقد الترم الموحدون بهذا النظام وأضافوا إليه وضع مصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه -- وذلك بعد احضاره بواسطة الحليفة عبد المؤمن من الأندلس -- مع مؤلفات المهدى محمولة على دابة مزينة بالأقمشة الفاخرة (٢).

وقد أعطانا ابن صاحب الصلاة وصفا تفصيليا لأحد مواكب الحليفة يوسف بن عبد المؤمن حين عزم على العبور إلى الأندلس سنة ٥٦٦هم/ ١١٧٠م وذلك بعد إعداد جنده ، خرج الموكب في صباح يوم السبت الرابع من شهر رجب الموافق الثالث عشر من شهر مارس سنة ٥٦٦هم/ ١١٧٠م ، من باب دكاله ، وقد اجتمع الناس واحتشدوا لتوديع الحليفة الذي ملأت جنوده ساحة العرض ، فسارت كوكية من الحند بأعلامها البيضاء ، ثم الحليفة ووراءه الأعلام والطبول ، وأمام الحليفة مصحف سيدنا عبان محمولا على جمل مرتفع وقد غطى بكلة حمراء تصونه ، وقد وضع في حفاظ مرصعة بالحوهر النفيس والياقوت الأحمر والأصفر والأخضر والزمرد ، وأمام هذا المصحف مصحف مصحف المهدى بن تومرت ، وسار خلف الحليفة كبار برجال الدولة من أمثال الوزير أبي العلاء ادريس بن أبي إسحاق بن جامع والشيخ أبي محمد عبد الواحد بن عمر صاحب المهدى ومن أولاد الحماعة والشيخ أبي عمد عبد الله المالتي شيخ أبي عبد الله المالة شيخ

⁽١) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٢٧ .

⁽۲) التنسى : الدر والعتيان ورقة ٥٥ مخطوط ، المراكشى : المعجب ص ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤١ ، الحلل الموشية ص ١١٥ ، ١١٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٥٦ تطوان .

طلبة الحضر وقاضى الحماعة ، ثم بعد ذلك سائر الحند على ترتيب قبائلها ومر لها(١) وكانت أغلب هذه المواكب تخرج فى شهر صفر حيث كان الموحدون يفضلون السفر فى هذا الشهر (٢) إلا إذا دعت الظروف للخروج فى غير هذا الوقت فإنهم كانوا يخرجون.

ومما زاد فى جمال هذه المواكب ، تلك الرايات والاعلام مع الطبول الضخمة التى كانت تصحب هذه المواكب ، فأما الرايات فلم يختص المرابطون بلون معين حيث استخدموا الرايات البيضاء والحمراء وغيرها من الألوان (٣)أما رايات الموحدين فكانت الراية الأساسية بيضاء وقد كتب عليها فى عهد ابن تومرت « الواحد الله محمد رسول الله ، المهدى خليفة الله ، على جانب منها ، والحانب الآخر : وما من إله إلا الله ، وما توفيقي إلا بالله ، وأنوض أمرى إلى الله » (٤)، واستمر اللون الأبيض مع بقية الحلفاء، مع اتخاذهم لأعلام ملونة أخرى حمراء وصفراء وغير ذلك من الألوان (٥) ولاشك أن هذه الأعلام بألوانها المختلفة كانت تهج الناس وتسرهم .

و بجانب ذلك كانت هناك دقات الطبول ذات الأصوات الضخمة وقلم استخدمها المرابطون فى جيوشهم (١) واتبعها الموحدون وجعلوا عدد الطبالين سبعة (٧) ولم رئيس ينظم ضرباتهم وكان رئيسهم فى عهد المنصور الموحدى يسمى خمادا (٨) وكان من اختصاص الحليفة وحده أن يأمر بدق الطبل وليس

⁽١) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ٢٦٨ الى ص ٤١١ .

⁽۲) ابن خلکان : ونیات الاعیان ج Γ ص Λ ، ابن الاثیر : الکامل ج Γ ص Γ ، السلاوی : الاستقصا ج Γ ص Γ ، السلاوی : الاستقصا ج Γ

⁽٣) ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ٩١ ، ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ٢٥٩ .

⁽٤) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٢٨ ، ١٢٨ .

⁽٥) ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن ص٢٥) ، التسى : الدر والعتيان ورتة ٥) ، ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٥٦ تطوان ، الجيالالى تتاريخ الجزائر ج ٢ ص ٢٩٢ .

⁽١) د. حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص ٣٨٣ .

⁽٧) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ٢٥٩ .

⁽٨) العينى: عقد الجمان ج ١ قسم ٢ ص ٢٣٣ .

لسواه ذلك (١)وهذا يرجع إلى أن دقات الطبل بمثابة الأوامر حيث أن دقائها تشير إلى بدء حركة الجيش أو توقفه وبدء المعركة وكلها من الأمور الخطيرة . وكانت علامة المسير في مواكب الموحدين ثلاث دقات تسمع على مسيرة نصف يوم (٢).

ومما يلحق بهذه المواكب العسكرية احتفالات النصر بمعركة من المعارك ، حيث كانت الفرحة تعم البلاد ويخرج الناس الأموال تصدقا على الفقراء وشكرا لله كما حدث في نصر الزلاقة (٢). وتدق الطبول ابتهاجا بالنصر ، ويجلس الخلفاء في مجالس النهئة ، وما يصحب ذلك من توزيع الأموال ويجلس الخلفاء في مجالس النهئة ، وما يصحب ذلك من توزيع الأموال وإقامة الحفلات حيث يقوم الفرسان بتقديم بعض الألعاب العسكرية ومن ذلك ما حدث بأشبيلية يوم أن دخلها المنصور منتصرا سنة ٥٨٥ ه/١١٨٩ م وفي يوم هذا الوصول نزل—أى المنصور الموحدي — على أشبيلية في غاية الحفل ، وركب السودان على النجب البيض وبأيديهم الدرق وعلى رووسهم طراطير الطيلسان الشديدة الحمرة ، وصدور النجب منظومة بجلاجيل على شكل السفرجل والأغزاز بضروب الحلل ، فظهر مرأى تحار فيه الأبصار وتذهل الخواطر والأفكار »(٤). وهكذا كان الاحتقال بالحروج للغزو والسرور .

احتفالات متنوعة :

وهى الاحتفالات التى كانت تقام فى العاصمة وغيرها من المدن المغربية بسبب حدث هام أو مجىء وفد أو تشييد إحدى المنشآت، ويأتى فى مقدمة الأحداث الهامة التى كانت تمر بها البلاد، تولى أحد خلفاء الموحدين منصب رئاسة الدولة فهذا يعنى مجىء كثير من الوفود المبايعة إلى العاصمة والاحتفال

⁽١) نفس المرجع السابق جد ١ تسم ٢ ص ٢٣٣ ٠

⁽٢) اشباخ : تاريخ الاندلس ج ٢ ص ٥٥ ، الميلى : تاريخ الجزائر ج ٢ ص ٢٢٧ .

⁽٣) ابن ابى زرع: الانيس ج ٢ ص ٦١ ، ٦٢ ت الفيلالى ، السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ٤٦ .

⁽٤) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ١٣٨ تطوان •

عبايعة الحليفة الحديد ، وبجانب ذلك كانت توزع الأموال ويصدر العفق عن المسجونين وما يصحب ذلك من فرحة وسرور تعم أرجاء البلاد^(۱)يقول ابن أبي زرع و ولما تمت له – أى للخليفة المنصور الموحدى – البيعة وأطاعته الأمة ، كان أول شيء فعله أنه أخرج مائة الف دينار ذهبا من بيت المال ففرقها في الضعفاء من بيوتات بلاد المغرب ، وكتب إلى جميع ولاته في تسريح السجون ورد المظالم التي فعلها العمال في أيام أبيه ه^(۲)ولاشك أن الإفراج عن المسجونين وتفريق الأموال محدث موجة من البشر والفرح في نفوس المواطنين .

ومن الأحداث الهامة التي تقام فيها الاحتفالات ، استقبال الخليفة لوفاه من الوفود حيث كانت تقام الاحتفالات ويجلس الخليفة لاستقبال الوفود القادمة ، وما يصحب ذلك من القاء القصائد والخطب في الحشود المحتمة (٣) وقد أعطانا ابن صاحب الصلاة وصفا شائقا للاحتفالات التي أقيمت في العاصمة مراكش بمناسبة استقبال الخليفة يوسف بن عبد المؤمن وفود العرب القادمة لمبايعته سنة ٥٦١ هم/ ١١٧٠ م فما أن وصلت الأنباء باقتراب وفود العرب من العاصمة حتى صدرت الأوامر لحميع الموحدين أن يستعدوا العرب من العاصمة على صدرت والرماح والدرق والأسلحة والكسوات والرايات ، فلما كان يوم السبت وهو موعد اقتراب العرب من العاصمة ، والرايات ، فلما كان يوم السبت وهو موعد اقتراب العرب من العاصمة ، بكر جميع الناس من الحفاظ والطلبة من الموحدين وجميع القبائل من العسكر وتوجهوا إلى باب قصر الخلافة ، وأحضرت معهم الطبول المربعة الأشكال وكان عددها مائة طبل ، فلما علم الخليفة باستكمال أسباب الاحتفال ، وكان عددها مائة طبل ، فلما علم الخليفة باستكمال أسباب الاحتفال ، وكان عددها مائة طبل ، فلما علم الخليفة باستكمال أسباب الاحتفال ، وكان عددها مائة طبل ، فلما علم الخليفة باستكمال أسباب الاحتفال ، وكان عددها مائة طبل ، فلما علم الخليفة باستكمال أسباب الاحتفال ، وكان عددها مائة طبل ، فلما علم الخليفة باستكمال أسباب الاحتفال ، وكان عددها مائة طبل ، فلما علم الخليفة باستكمال أسباب الاحتفال ، وكان عددها مائة طبل ، فلما علم الخليفة باستكمال أسباب الاحتفال ، وكان عددها مائة طبل ، فلما علم الخليفة باستكمال أسباب الاحتفال ،

⁽۱) ابن صاحب الصلاة: تاريخ الن ص ۳٤٧ ، ٣٥٣ ، ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ١٥٨ ، السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ١٥٨ ، ابن عبود: تاريخ المغرب ج ١ ص ١٣٦ ، ملين: عصر المنصور الموحدى ص ٩٦ .

S.p. Scott: History of Moorish Empire. V.2, p; 77.

⁽٢) ابن أبي زرع: الانيس ص ١٥٦ ، ١٥٧ طبع حجر .

⁽٣) نفس المرجع السابق ج ٢ ص ١٨٥ ت الفيلالي ، السلاوي : الاستقصا ج ٢ ص ١١٩ .

وقريب من الخليفة أبناء الخليفة وساثر كبار رجال الدولة ، وخلف هؤلاء ست عشرة راية من البنود المصنوعة المعدة لهذا الغرض ، وبيد كل رجل من أعيان الموحدين راية ، وعليه درع سابغة تلمع لمعان اللجين الخالص في شعاع الشمس ومن معه يلبس درعا سابغة ، وكذلك ساثر الأجناد من الحشم والروم والعبيد والحميع من الناس .

وخرج هذا الموكب والطبول تدق من باب الشريعة أحد أبواب مراكش إلى ساحة واسعة خارج العاصمة ، وأقيم للخليفة خباء نزل فيه هو وكبار رجال الدولة ثم أمر الخليمة بأن يقام عرض تبرز فيه ألوان المهارة فى الطعن والضرب بن جند الموحدين وجند العرب .

وأقيم العرض ، وقد أعجب الحاضرون من تنوع الألعاب والمهارة في تأديتها ثم سمح الحليفة للقادمين بالاقتراب والسلام ، فجاءوا على ترتيب ، وقد تولى الوزير ترتيب دخولهم على الحليفة ، ثم أمرهم الحليفة بدخول العاصمة والنرول في الأماكن المخصصة لهم ، وعاد الخليفة في موكبه إلى العاصمة (١).

أما في اليوم الثاني فقد أذن لهم في الدخول على الخليفة في قصره لمبايعته وأخذ العهد عليهم(٢)ثم أمر الحليفة بعد ذلك باقامة الموائد لاطعام العرب والناس الوافدين إلى البحيرة (٣)خارج مراكش مدة خسة عشر يوما ، يدخل البحيرة في كل يوم أزيد من ثلاثة آلاف رجل(٤).

وهكذا شهد سكان العاصمة موكب الخليفة ، والعرض الذي قدمه فرسان الموحدين والعرب وموائد الطعام التي مدت لاطعام القادمين ، وما تخلل ذلك من مظاهر الفرح والسرود .

⁽١) ابن صاحب الصلاة: تاريخ الن ص ٣٠٤ الى ص ٣٣٤ .

⁽٢) نفس المرجع السابق ص ٤٣٣٠ . (٣) (البحيرة : عرفت البحيرة في مراكش منذ أواخر أيام المرابطين فكانت ملتقى لمركة بين عبد المؤمن والرابطين ، لكن الموحدين عنوا بها كامل العناية واتخذوا منها مكانا لتجمعهم ، وهي تعنى نسيحا يحتوى على بركة مائية واسعة تحيط بها الخضرة الاضافة الى اروة قياوى اليها رجال الحكم: أبن صاحب الصلاة : تاريخ الن ص ٣٣٤ حاشية) .

⁽٤) أبن صاحب الصّلاة : تاريخ المن ص ٣٣١ ٠

كذلك الاحتفال الكبير الذى أقامه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن عند استقبال أخيه السيد أبى حفص فى العاصمة مراكش حيث خرج فى موكب ضخم ، وأقيمت فى الساحة المعدة لاستقباله أنواع الألعاب المختلفة مع دق الطبول واحتشاد الناس لروية هذا الاستقبال الكبير (١).

ومن الاحتفالات التى شهدتها العاصمة مراكش مناسبة شفاء الخليفة يوسف بن عبد المؤ من وجلوسه للناس الذين اقبلوا من كل مكان لروية الخليفة والاطمئنان عليه وما صحب ذلك من احتفالات وتفريق الأموال(٢).

يضاف إلى الاحتفالات السابقة تلك الاحتفالات التي كانت تقام ابتهاجا باتمام بعض المنشآت، ويأتى في مقدمة تلك الاحتفالات؛ الاحتفال الكبير الذي أقيم بجبل الفتح بعد إنشاء مدينة عليه بأمر الحليفة عبد المؤمن، وكان الاحتفال سنة ٥٥٥ ه/ ١١٥٩ م حيث جلس الحليفة، وأتته الوفود من جميع أرجاء البلاد ومعهم الشعراء والأدباء حيث ألقيت الحطب والقصائد ابتهاجا بهذا العمل العظيم والحليفة يوزع الأموال بهذه المناسبة السعيدة (٣) وهكذا شهد الشعب المغربي العديد من الاحتفالات والتي شارك فيها معبرا عن فرحته وسعادته.

خامسا : وسائل التسلية

استمتع أفراد الشعب فى المغرب الأقصى بأوقات فراغهم بوسائل التسلية المختلفة ، وذلك ترويحا عن أنفسهم من عناء العمل وتجديدا للنشاط وبعثا للحيوية والقوة ، ومن هذه الوسائل ارتياد الحداثق والمنترهات ، وسهاع الموسيقى والعناء وغير ذلك من ألوان التسلية وشغل الفراغ .

١ - المنترّهات :

انتشرت فى كثير من المدن المغربية الحداثق والبساتين ، والتى اتخذها ولاة الأمر والناس مكّانا للتنزه والترويح ، ويأتى فى مقدمة هذه الحدائق تلك

⁽۱) نفس المرجع السابق ص ۲۸۹ الى ص ۲۹۱ .

⁽٢) نفس الرجع السابق ص ١٩٤ الى ص ٢١١ .

⁽٣) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ١٤٨ الى ١٥٩ ، ابن الخطيب: الاحاطة : القسم الاول ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ت عنسان .

الحديقة الكبيرة التي انشأها الحليفة عبد المؤمن وتعهدها الحلفاء من بغده وغرس فيها أنواعا كثيرة من الثمار (١)وكذلك المنتزهات التي انشألها الملوحدون بمدينة سلا (٢)وحدائق سبتة والتي وصفها العمرى بقوله « وفي بهر العدوة أماكن للفرجة متعددة آخذ هكذا بمجامع القلوب ، وأزمة الأبصلا ببلونش متنزهه بظاهر سبتة على البحر في نهاية من حسن الوضع واتحدال المياه التي لها على الصخور دوى والتفاف الأشجار .. ه (٣)واشتهر جبل غمارة مكثرة المتنزهات (٤).

وكانت هذه المترهات مقصدا لحلفاء الموحدين وعامة الناس سم فالمنصور الموحدى كثيرا ما تريض في البستان الكبير بمراكش مراكش أوقد ألحقت بهذه المترهات البرك المائية الكبيرة التي كان يتعلم فيها الطلبة الحفاظ السباحة ، بجانب أبناء الشعب وقد أشار صاحب كتاب الاستبصار إلى ألمه كان يسبح في هذه البركة « وبني فيها ... أي عبد المؤمن على ... وخارجها صهر بجن عظيمين كنا في تلك المدة نعوم فيهما فلا يكاد القوى منا يقطع الصهر يج إلا عن مشقة وكنا نتفاخر بذلك » (١).

وهكذا كان أبناء الشعب بجدون وسيلة للتسلية وذلك بالسباحة في بركة البستان ، يضاف إلى ذلك أن الناس كانوا يستخدمون فها الزوارق للترتقة في والتسلية (٧)وفي مترهات سلا أعدت أماكن خاصة للخليفة وحاشيته ، حيث كانوا بجلسون لمشاهدة الزوارق وهي ممتلئة بركابها وقد أحاطت بهم مختلف الأشجار والثمار وقد وصف ذلك المكان صاحب كتاب الاستبصار بقوئه و وناهيك من ساحل طوله نحو الميلين وعرضه نحو الميل مملؤ بالبشر والزوارق *

⁽۱) مجهول : الاستبصار ص ۲۰۹ ، ابن المؤتت : السعادة الابدية م ۲ ص ۱۹۰ .

⁽٢) مجهول: الاستبصار ص ١٤١٠

⁽٣) العمرى: مسالك الابصار جـ ٣ قسم أول ص ١١٧٠.

⁽٤) مجهول: الاستبصار ص ١٩٠٠

⁽٥) ابن عدارى : البيان المغرب ج ٤ ص ١٨٨ تطوان ، ابن المؤقنة : السعادة الابدية ج ٢ ص ١٩٠٠ .

⁽١) مجهول : الاستيصار من ٢٠٩ ، ٢١٠ ٠

⁽٧) اكتسوس : الجيش العرمرم الخمساسي لوحة ٢٠٢ ، عبستهيء المراكشي : الاعلام جر ١ ص ١٠٣ .

في إلوادي بركامها ، والمنارة المطلة ، وعلاقات الثمار وعقد الزيتون ، وجدر الكرُ مات وقبب الحلوس للسادات أيدهم الله ظاهرة »(١) وهذا النص يشير إلى تَه هاب الناس إلى الشواطيء للاستجمام .

كما كان يلجأ بعض الأفراد إلى إنشاء حديقة صغيرة ، فوق سطح منزله وُ ذلك ليقضى فها وقته مع أصحابه ﴿ فرفع إلى المنصور -- أثناء وجوده بفاس مُنْ ١٨٥ هُ أَنْ أَبَا القَاسَمُ بن الملجوم بني غرفة في داره يشرف منها على بعض جبرانه وجعلها متنزها له ولاخوانه ، (٢).

٢ – الموسيق والغناء ;

حن أقبل المرابطون إلى المغرب الأقصى ، حرص داعية المرابطين على القضاء على وسائل اللهو وحرق متاجر الحمر وذلك ما فعله عمدينة سجلماسة (٣) مُتبعًا في ذلك التعاليم الدينية التي يدعو إليها ، إلا أن هذه الشدة في بدء قيام اللَّمُولَةُ ، أَخَذَتَ تُخُفُّ حَدَّبُهَا بَعْدُ ذَلِكُ ، وصارت هناك بَعْضُ الحواري اللائي بحسن الغناء مما مكن يوسف بن تاشفين من إهداء المعتمد بن عباد جارية مغنية ^(٩).

تُم مال المرابطون إلى ألوان الترف وذلك بعد احتكاكهم بالأندلسين واطلاعهم على أساليب الحياة في المدن الأنداسية مما جعلهم يتأثرون محيّاة الرَّفاهية والمتعة التي كان عياها أبناء الأندلس ، وصارت هناك المحالس التي يحضرها المغنون والشعراء (ع)، وأصبحت أدوات اللهو والغناء متوفرة في الملان المغربية مما جعل ابن تومرت ينقم على المرابطين تهاونهم في محاربتها ، ررأبخذ على عاتقه تكسرها ، فحن دخل مدينة فاس وجد زقاقا به حوانيت امتلأت بالأنواع المختلفة من أدوات الموسيقي والغناء فكسرها هو وأصحابه (٦)

Nevill Barbour; morocco p 50

⁽١) مجهول: الاستبصار ص ١٤١ .

⁽٢) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٤ ص ١٠٣ تطوان .

⁽٣) ابن أبي زرع : الانيس ج ٢ ص ٢٠

⁽٤) الترى : نفح الطيب ج ٦ من ١٢ . (٥) د، حسن محبود : تيام دولة المرابطين ص ٤٢٣ ، ٤٢٣ .

⁽٢) ابن ابي زرع : الانيس ج ٢ ص ١٠٨ ت الفيلالي ، د. السيد ، هبلاً المزيز سالم : المفرب الكير ص ٧٧٦ ، د ، يحيى هويدى : اعز ما يطلب مس ٣٧٦ مجلد } عدد ٥ تراك الانسانية سنة ١٩٦٦ .

يقول البيذق « فقال لنا – أى ابن تومرت الأصحابه – خفوا مقارعكم وسرنا معه ولا علمنا أين يتوجه حيى وصلنا زقاق بزقالة ، قال لنا تفرقوا على الحوانيت ، وكانت الحوانيت مملؤة رفوفا وقراقر ومزامبر وعيدانا وروطا وأرببة وكيتارات وجميع اللهو فقال لنا المعصوم اكسروا ما وجدتم من اللهو ... (1).

واقتنى الخليفة عبد المؤمن سياسة المهدى فى محاربة وسائل اللهو والبغنام ومحاربة المغنين وأخذ أصحابه بأحكام الدين يقول النويرى « ولا لهو ولا بهزّ أبج تحت أمره – أى أمر عبد المؤمن بن على ، بل تلاوة كتاب الله العزيز ، ومدارسة الأحاديث الصحيحة النبوية ، والاشتغال بالعلوم الشرعية وإنّام الصلوات فهذا كان دأب أصحابه »(٢).

إلا أن هذا التشدد من جانب الحليفة وأصحابه لم يجد استجابة كاملة من الشعب ، حيث وجدت أنواع الملاهى المختلفة في المدن المغربية بما دفع الحليفة 1 عبد المؤمن إلى إصدار منشور عام إلى أهل بجاية وغيرهم من سكان المكرن، المغربية سنة ٥٥٦ ه/١١٦٠ م يتضمن عدة أوامر ومنها محاربة أصحابية الملاهى ومصادرة آلاتهم ، ومما جاء فيها « وآمر بالكشف عن التلصص والحرابة ، والتوليج في مكان الريب والغواية ، والاجتماع على السير الحاهلية والملاهى على فنونها وأنواعها وضروبها واختلاف آلاتها ، وما يتبعها بمن المناكر الناشئة عن أصل الحهالة .. فاكشفوا عن هذه الأصناف وأثيروهم عن مكامهم .. ه(٣).

وقد كرر المنصور الموحدى نفس أسلوب جده فى محاربة المغنيين حيث انتشروا فى كل مكان ومن ثم أمر بالقبض عليهم ومصادرة آلاتهم فى سنة ٥٧٥ هـ /١١٨٤ م « ثم أمر أى المنصور الموحدى – بقطع الملهين والقبض على من شهر من المغنيين فثقف من وجد منهم بكل مكان ، فغيروا هيئاتهم

Julien: History de L'Afrique, p; 120, S.p. Scott; History of Moorish Empire P: 293.

⁽١) البيذق: أخبار المهدى ص ٦٤ ، ٦٥ -

⁽۲) النويرى: نهاية الارب جـ ۲۲ مجلد ۲ ص ۱۸ ٠

⁽٣) مجموع رسائل موحديه ص ١٣٣ ، ١٣٤ ت ليني بروننسال

وَثُفِرَقُوا عَلَى الأُوطَانَ وَبَارَتَ سُوقَ القيانَ وَزَهَدَ كُلُّ الرَّهَدُ فِي هَذَا الشَّانَ ﴾ (١) وَتُعْكَذَا لَعْبَتَ الْمُبَادَىء الدينية التي قامت عليها الدولة دورها في محاربة المُغْنَثَنَ » .

٣.٠٠ ـ وسائل تسلية أخرى :

كانت بركة الماء التى انشأها الحليفة عبد المؤمن فى بستانه ، مكانا يسبح فيه أبناء العاصمة ، وقد سبق أن أشرت إلى ذلك ، ومجانب ذلك كانت هناك رجلات الصيد التي يخرج فيها الناس لصيد الحيوانات المختلفة من الغابات المنتشرة فى أرجاء البلاد ، فابن حماد صاحب مجاية ، حين استقر بمراكش بعذ أنتراع ملكه كان يشغل نفسه بالصيد مستخدما فى ذلك شباك الحديد ، وفي بعض الأحيان كان يهدى ما يصطاده للخليفة عبد المؤمن (٢).

بهر بوقد يفد على البلاد صاحب ألعاب ، ليعرض فنونه على الناس ، ومن أب ذلك ما رواه العيني من أنه في عصر المنصور الموحدي قدم إلى مراكش رجل يوقض الدب ومعه امرأته ليعرض ألعابه (٣).

سادسا: الطعام والشراب

أنفن سكان المغرب الأقصى فى صنع كثير من ألوان الطعام ، وصارت مواثله محافلة بالأنواع المختلفة من الأطعمة والحلوى والأشربة وذلك خلال فترة البحث وقد ذكر مؤلف كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس وهو معاصر لدولة الموحدين أكثر من خسمائة لون من ألوان الطعام ، وقد اختلفت طريقة صنعها ، كما أن بعضها يعطينا صورة لمدى الثراء والرفاهية التي كان يعيبش فيها بعض أفراد المحتمع .

. وإذا تتبعنا ألوان الطعام بالمغرب الأقصى منذ قيام دولة المرابطين لوجدنا أن القبائل القادمة من جنوب الصحراء وهي لمتونة ومسوفة وغيرها من القبائل الصنهاجية ، والتي كانت تمتهن الرعى ، اتخذت من لحوم الأغنام

⁽۱) ابن عذاری : البیان المغرب ج ٤ ص ٨١ تطوان .

⁽٢) ابن الخطيب: الحلل الموشية من ١١٣ ، حركات: المغرب عبر التاريخ من ٣٥٥ .

⁽٣) العينى : عقد الجمان ج ١ قسم ٢ ص ٢٣٤ .

وألبانها طعاما لها (١)، وقد يأكلون الحير في بعض الأحيان وذلك عن طريق القوافل التي تمر بهم وتهدمهم الحير والدقيق (٢).

فلما انتقلت هذه القبائل إلى المغرب الأقصى واختلط أبناؤها بسكان البلاد بدءوا يأكلون مما يأكل منه بقية الناس غير أن أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين ظل متمسكا بعاداته الأولى التي ترتى علمها في الصحراء وذلك أ برغم اتساع ملكه وسلطانه فقد ظل طعامه الشعير ولحوم الإبل وألبائها (٣) ﴿ وَأَكُلُهُ ــ أَى يُوسُفُ بِنُ تَاشَفَينَ ــ الشَّعِيرِ وَلَّحُومُ الْإِبْلُ وَأَلْبَانُهَا مُقْتَصِرًا عَلى ذلك لم ينتقل عنه مدة عمره ١ (٤).

وقد اشتهرت بعض المدن بألوان معينة من الطعام كطعام حصحصت المعروف بمراكش وهو لحم مخلوط ببعض التوابل(٥)وكاشتهار سكان مراكش وسكان تارودنت بأكل الحراد^(٦).

وكان هناك طعام وطنى يأكلونه فى المناسبات الهامة ، هو طعام آسهاس ولم تشر المراجع إلى مكوناته سوى ما ذكره البيذق من أن ابن تومرت حين صنع لأصحابه طعام آسماس وضع الملح بيده ، وأنه أكل من ذراع كبش كان في الطعام ممما يفيد أنه يتكون من كبش أضيف إليه الملح . وقد أكله جنود الموحدين بعد إحدى معاركهم مع المرابطين (٧)وحين انضم أحد زعماء

S.p. Scott; History of moorish Empire, V.2, p; 189. (٢) مجهول الاستبصار ص ٢١٣ ، ٢١٤ ، ابن أبي زرع : الانيس ۲ ص ۲ ت الفیلالی .

(٤) ابن أبي زرع: الانيس ج ٢ ص ٣٦ ت الغيلالي .

⁽۱) البكرى: المغرب في ذكر بلاد الريقية ص ١٦٤ ، ابن خلدون: متدمة ابن خُلدون ص ٨٧ ، مجهول : تواريخ مدينة ماس ص ٢٧ . Nevill Barbour; morocco, p; 50,

مجهول الاستبصار ص ٢١٧ . (٣) ابن الخطيب : اعمال الاعلام التسم الثالث ص ٢٣٤ ت العبادي، ابن أبي دينار : المؤنس ص ١٠٤ ، ابن المؤتت : السعادة الابدية ج ٢ ص ٨٩ Budgett; The moorish empire, p; 53.

⁽٥) مجهول : كتآب الطبيخ في المغرب والاندلس ص ٨٧ ، ت ميراندا مدرید سسنة ۲۰

⁽٦) الادريسي : وصف المغرب ص ٦٩ ، ٧٠ ، د. شمعيرة : المرابطون من ۱۸ ۰

⁽Y) البيذق : اخبار المهدى من ٧٣ .

⁽م ۲۸ سـ الحضارة)

المرابطين إلى الدعوة الموحدية وهو يحيى الصحراوى ، فرح الخليفة عبد المؤمن بانضامه وصنع لهم طعام آسماس (١) وعندما تولى الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن الحكم صنع للناس طعام آسماس وأكلوه (٢) وهكذا كان طعام آسماس هو الطعام المفضل في مثل هذه المناسبات السعيدة .

وهناك بعض ألوان الطعام المنسوبة إلى بعض الفثات والأشخاص ، ومن ذلك طعام الخاصة والمسمى بالصنهاجي الملوكي وهو مكون من لحوم البقر والغنم والدواجن ويستعمله الحاصة (٣) وطعام الأمخاخ وهو خاص بالملوك والرؤساء ويتكون من أمخاخ ما يذبح من الحيوانات والطيور (٤).

وبعض الأطعمة تطلق عليها اليهودية ومنها الفروج اليهودي (٥) والحجلة اليهودية (٢) وطعام الأحرش ، وكان يصنع للسيد أبي الحسن حفيد الخليفة عبد المؤمن والوالى على إقليم مراكش سنة ١٨٥ (٧) وكان يصنع له أيضا طعام الثومية (٨) أما الوزير سعيد بن جامع فكان يصنع له مجبنة البيض وهي من اختراع موسى بن الحاج يعيش المحتسب بمراكش (٩) وأبو العلاء ادريس أحد إخوة الخليفة يوسف بن المؤمن وكان وأليا على سبتة فكان يصنع له بطريقة خاصة عجل مشوى (١٠) وطريقة صنعه تدل على مدى الرفاهية التي كان يصنع له سنبوسك خاص بالقصر (١١).

وهناك أطعمة منسوبة في طريقة صنعها إلى بعض البلدان الأخرى فمنها

⁽١) نفس المرجع السابق ص ١٤ .

⁽٢) نفس الرجع السابق ص ١٢٠ .

⁽٣) نفس المرجع السابق ص ١٢١ .

⁽٤) مجهول : كتّاب الطبيخ ص ٢٤ .

⁽٥) نفس المرجع السابق ص ٣٥ ، ٣٦ .

⁽٦) نفس المرجع السابق ص ٦٨ •

⁽٧) نفس المرجع السابق ص ٦٧ ، ٧٠ .

⁽٨) نفس المرجع السابق ص ٢٢ .

⁽٩) نفس الرجع السابق ص ٢٦ .

⁽١٠) نفس المرجع السابق ص ٢٠٠ .

⁽١١) نفس الرجع السابق ص ٣٢ ، ٣٣ .

أطعِمة مصرية كاللون المصرى(١)والمرزونة المصرية(٢)والفروج المصرى(٣).

ومنها ماينسب إلى الدولة العباسية كالدجاجة العباسية(١)والبرمكية(٠) والبورانية منسوبة إلى بوران بنت الحسن بن سهل(٢).

ومنها ماينسب إلى الأندلس ومنها الحوت المروج (٧)وطعام المجبنة(٨) ومنها ماينسب إلى أهل افريقية ومنها القرصة التونسية(٩)والمعسل المستخدم في الولائم(١٠).

وهناك أطعمة تصنع بحسب فصول السنة ، فنى الصيف كان طعام الفروج بالقرع وطعام السكباج (١١) أما في الخريف فكانت أنواع اللحوم المصنعة في برَّمة (١٢)، أما في الشتاء فاللحم السمين مضافا إليه بعض المواد(١٣).

وهكذا حفلت المائدة المغربية بأصناف الطعام والتي اختلفت محسب المكان والزمان والطوائف والأشخاص وتنوع الأطعمة يشير إلى الرخاء الاقتصادي مع الرفاهية التي كان يحياها الشعب في هذه الفترة ، مع الاستقرار الذي أتاح لهم التفنن في اختراع واقتباس كل هذه الطرق في صنع الطعام . وكان أكثر من صنف ولون يقدم على موائد كبار رجال الدولة ، في نظام وترتيب(١٤)وهذا يدل على مدى التمدن الذي وصل إليه أبناء المغرب .

⁽١) مجهول: كتاب الطبيخ ص ٢١٣ ٠

⁽٢) نفس الرجع السابق ص ٢٥٠

⁽٣) مجهول : كتاب الطبيخ ص ١١ ٠

⁽٤) نفس المرجع السابق ص ٧٢ ٠

⁽٥) نفس المرجع السابق ص ١٥ • (٦) نفس المرجع السابق ص ١٨ •

⁽٧) نفس الرجع السابق ص ١٦٤ ٠

⁽٨) نفس الرجع السابق ص ١٧٦٠

⁽٩) نفس الرجع السابق ص ١٩٩٠

١٠١) نفس المرجع السابق ص ٢٠٦٠

⁽١١) نفس المرجع السابق ص ٢١٥٠

⁽١٢) نفس المرجع السابق ص ١١٠ ، ١١٢ •

⁽١٣) نفس المرجع السابق ص ١١٢ ٠

⁽١٤) نفس المرجع السابق ص ١١٢ •

أما الأشرية المشهورة والتي كان يقبل عليها أبناء الشعب فمنها شراب الرب وكان أكثر شراب المصامدة (١)وحين نصب الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الموائد لإطعام العرب سنة ٥٦٠ ه/١١٧٠ م صنع لهم نهرا من رب مزوجا بالماء لشربهم (٢)أى صنع لهم كميات ضخمة من شراب الرب تكفي هذه الحموع الكثيرة والرب هو الطبيخ الخائر من عصير العنب (٣)وكانوا يشربونه لأنه يبعث الحرارة في أجسامهم وبذلك يتحملون شدة برد جبل درن (٤).

ويبدو أن الناس أسرفوا في تخميره حتى صار مفعوله مفعول الحمر مما دفع الحليفة عبد المؤمن إلى إصدار رسالة سنة ٥٥٦ هـ/١١٦ م يأمر فيها بالكشف عن شراب الرب وصانعيه ومدى مطابقته للشرع وقد جاء فيها و وآمر بالنظر في الربوب وتمييزها والهجوم على بائعها ومدمني شربها ومستعملها فيراق مسكرها ، ويقطع منكرها ، وليعمد إلي من عمل المسكر الحرام عامدا ، وشربه مدمنا عليه ومعاهدا ولم تردعه الحدود .. فيمحي أثره ، ومحذف خبره ه(٥).

إلا أن بعض أفراد الشعب استمر فى اتخاذ الرب كمادة مسكرة وذلك بزيادة تخميره مما دفع المنصور الموحدى سنة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤ م إلى تحريمه نهائيا وذلك عن طريق رسالة أصدرها من العاصمة تحمل هذا الأمر و فان تجوزوا فى أمر الرب تجوزا أغفلوا فيه الاجتهاد ، ورتعوا حول حماه أوقعهم فيه .. ولم يزل الاشتداد فى هذا الأمر القائم بالحق ... يتناولهم بأبلغ الزجر والقمع والاحتساب ... والحال اللميمة يزداد بهم تماديها ... والذى أطلقه هذا الأمر العزيز منه وأجاز فيه مباح البيع والشراء ما أنهى طبخه غاية

⁽١) مجهول: الاستبصار ص ٢١١ .

⁽٢) ابن صاحب الصلاة : تاريخ الن ص ٤٣٣ .

⁽٣) نفس المرجع السابق ص ١٧٤ حاشية .

⁽٤) جهول: الاستبصار ص ٢١٢.

⁽٥) مجموع رسائل موحدیه ص ۱۳۳.

الأنهاء ، وصير جرمه فى قوام الطلاء كما فعل عمر رضى الله عنه ... ولما تقرر عندنا من الالتباس فى ذلك ما تقرر .. رأينا والله المستعان .. أن قطعه بالكلية أخلق بالاحتياط لدينهم وأجدر ... فإذا وا فاكم كتابنا هذا محول الله عز وجل فاقطعوه جملة وتفصيلا ولا يوجد أحد إلى بيعه سبيلا واشتدوا فى ذلك اشتدادا ... وعاقبوا من تجدونه عنده أشد عقوبة 10.

وهكذا حرم مشروب الرب حين تغالى الناس فى طبخه فصار مسكرا كالحمر ومن هنا صار محرما .

وكان المصامدة يشربون أيضا شراب آنزيز وهو حلو وله تأثير شديد كالحمر (٢)أما طريقة صنعه فانهم يأخذون عصير العنب الحلو فيطبخونه بالنار إلى أن يذهب منه الثلث ويزال عن النار ويرفع ويخلطونه بما يماثله من الماء ثم يشربونه (٣)، أما قبائل صنهاجة فكانوا ينقعون الزبيب في الماء ويشربون صفوه نقيعا حلوا(٤)وهكذا تعددت الأشربة وتنوعت .

سابعا: الملايس

انتشر استخدام الملابس الصوفية بين السكان في عهد المرابطين وأصبح أكثر الناس يلبسون الأكسية الصوفية والعمائم على رووسهم ، وهذا يرجع إلى وفرة الأغنام التي كانت ترعى في سهؤل المغرب وهضابه ومن جلودها تؤخذ الأصواف اللازمة لصنع الملابس ، بالإضافة إلى أن كثيرا من القبائل التي انتقلت من الجنوب وأقامت بالمغرب الأقصى كانت ملابسها مصنوعة من الصوف ، فملابس لمتونة ولمطة كانت أكسية الصوف وعلى رووسهم عمائم الصوف المسهاة بالكرازى (٥) وقد ظل أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين مستمسكا بملابسه الصوفية ، بالرغم من اتساع سلطانه وعظم

⁽۱) مجموع رسائل موهديه ص ١٦٤ الى ص ١٦٧ .

⁽٢) الأدريسي : وصف المغرب والاندلس ص ٦٢ .

⁽٣) الادريسي: وصف المغرب من ٦٣ .

⁽٤) نفس المرجع السابق ص ٥٩ ، ابن سعيد : نزهة الانظار

٠١٠ ١٠ ٩

⁽٥) الادريسى: وصف المغرب ص ٨٨٠.

نفوذه (۱)، و لباسه – أى يوسف بن تاشفين – الصوف لم يلبس قط غيره (۲) وكانت ألوان ملابسهم متنوعة ، وقد غلب عليها اللون الأسود وخاصة بعد اتصالم بالخلافة العباسية مستمدين منها الصفة الشرعية لحكم البلاد ، ومن هنا كانت أعلامهم وملابسهم سوداء (۳) ويجانب ذلك كانت الألوان الأخرى من ملابس كحلية اللون (٤) أو الملابس الصفراء والبيضاء (٥).

أما الحندى المرابطي فكال يترى باللثام والغفارة القرمزية وهي نوع من الكساء والعمامة ذات الذوابة (٦).

ومما يتصل بملابس المرابطين اتخاذهم اللثام على وجوههم ، وصار هذا اللثام علامة مميزة لهم حتى نسبوا إليه وأطلق عليهم الملثمون وقد وصف البكرى طريقتهم فى اتخاذ اللثام « وجميع قبائل الصحراء يلتر مون النقاب وهو فوق اللثام حتى لا يبدو منه إلا محاجر عينيه ولا يفارقون ذلك فى حالة من الأحوال ولا يميز رجل منهم وليه ولا حميمه إلا إذا انتقب ، وكذلك فى المعارك إذا قتل منهم القتيل وزال قناعه لم يعلم من هو حتى يعاد عليه القناع وصار ذلك لهم ألزم من جلودهم »(٧).

وقد اختلفت الآراء في سبب اتخاذهم اللئام :

فهناك رأى يشير إلى أن مرد ذلك إلى ظروف الطقس التي كانوا

⁽۱) ابن الخطيب: أعمال الاعلام القسم الثالث من ٢٣٤ ت العبادى؛ ابن المؤتت: السعادة الأبدية جـ ٢ ص ٨٩ ، ابن أبي دينار: المؤنس ص ١٠٤،

Budgett Meakins; The Moorish Empire, P; 53

Nevill: A Survey of North West Africa, P: 24

⁽٢) ابن أبي زرع: الانيس ج ٢ ص ٣٦ ت النيلالي .

⁽٣) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٣٦ ، د. السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ص ٧١٧ ، د. أحمد مختار العبادى : دراسات مى المغرب ص ١٠٠٠ .

S.P Scott: History of Moorish Empire, Vol, 2 P: 180

⁽٤) أبن خُلدون : العبر ج ٦ ص ٨٩

⁽٥) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١٤٥ .

⁽٦) ابن غازى : الروض الهتون ص ٦ .

⁽٧) البكرى: المفرب في ذكر بلاد المريقية ص ١١٠٠ . .

يعيشون فيها من شدة الحر والبرد ومن هنا لحأوا إلى اللثام لحماية وجوههم (١) وهناك رأى يشير إلى حادثة وقعت لنساء المرابطين أثناء هجوم العدو على مضاربهم فى غيبة رجالهم فتلثموا وقاتلوا ، وقد استحسن الرجال اللثام ليبخدعوا به العدو ، ومن ثم أصبح اللثام لهم عادة (٢).

ورأى آخر يشر إلى اعتقاد قبائل صنهاجة بأن الفم عورة يستحق الستر ومن هنا اتخذوا اللثام (٣).

ويبدو أن الرأى الأول هو أرجح الآراء حيث أن مواطن قبائل المرابطين كانت الصحراء بمناخها المتطرف ، ومن ثم اتخذوا اللثام وقاية لوجوههم من شدة الحر في الصيف وشده البرد في الشتاء ، وقد أصبح لهم عادة نشأوا عليها ، وقد خدمتهم هذه العادة في بعض أعمالهم العسكرية ، ومن هنا أبقوا عليها حتى بعد نزوحهم إلى المغرب الأقصى .

وأصبح اللثام يشير إلى وضع اجماعي متمير إذ أنه علامة لولاة الأمر وكبار رجال الدولة وأبناء القبائل المرابطية ، وهو سهذا يشير إلى معى الزعامة والسيادة ، ومن هنا حين عزم أبو إسحاق باران بن يحيى المسوفي وهو من زعماء المرابطين اتخاذ التصوف طريقا له في الحياة ، أمره الشيوخ بأن ينزع اللثام وأن يذهب إلى السوق ، ويأتي حاملا طبقا على رأسه علامة على الإنكسار والخضوع وقد نفذ ذلك وصار من المتصوفين (٤).

وقد اتخذ بعض العامة اللثام زيا لهم تطاولا على الناس وترفعاً ومن هنا حتم ابن عبدون بأن اللثام لابد أن يكون خاصًا بالصنّهاجي أو اللمتونى أو اللمطى

⁽۱) العینی: عقد الجمان ج ۲۰ قستم ۳ ص ۵۹۸ ، ۹۹۰ ، النویری: (۱) العینی: عقد الجمان ج ۲۰ می ۷۹ ، ۹۹۰ ، النویری: نهایة الارب ج ۲۱ مجلد ۲ ص ۷۹۰ ، ابن خلکان: وفیسات الاعیان ج ۲ می ۱۹۰ ، می ۱۲۸ ، د. یحیی هویدی: تاریخ المبنغة الاسلام ج ۱ می ۱۹۰ ، S.P. Scott : History of Moorish Empire, V.2 P; 170.

⁽۲) النويرى : نهاية الارب جـ ۲۲ مجلد ۲ ص ۷۹ ، ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ۸ ، ابن خلكان : وغيات الاعيان جـ ۲ ص ۱۲۹ ، د، حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص ۰۰ .

⁽٣) ابن حوقل: صورة الارض ص ٩٩٠

⁽٤) التادلي : التثنوف ص ٢٤١ ، ٢٤٢ •

بالأندلس^(۱)وهو يريد بذلك أن يسد الباب على العبيد والحشم وغيرهم ممن يستثرون وراء اللثام طلبا للرفعة والمكانة بين الناس ^(۲).

وقد عاب ابن تومرت اتخاذ المرابطين هذا اللثام وهاجم أمير المسلمين على بن يوسف حين التي به في صلاة الجمعة بالمسجد الجامع ورد على من طالبه بتحية أمير المسلمين قائلا ، « وأين الأمير إنما أرى جوارى منقبات فلما سمع ذلك على بن يوسف حط النقاب عن وجهه وقال لم صدق (٣) » وهي رواية مشكوك في صحبها وخاصة من حيث الاستجابة السريعة لأمير المسلمين وخلعه للنقاب ، إذ أن هذه عادة متوارثة كما أن الذي أورد هذا الجبر هو البيذق تلميذ ابن تومرت.

وقد أورد ابن تومرت فى كتابه أعز ما يطلب بابا فى وجوب مخالفة المرابطين فى زيهم وتحريم الاقتداء بهم ومن ذلك قوله « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة أهل الباطل فى زيهم وأفعالهم ... وكذلك المحسمون أى المرابطون – الكفار وهم يتشهون بالنساء فى تغطية الوجه بالبتلم والتنقيب ويتشبه نساؤهم بالرجال فى الكشف عن الوجوه بلا تلثم ولا تنقيب والتشبه بهم حرام » (ف) وهكذا اتخذ ابن تومرت من اللثام مادة لمهاجمة المرابطين والتقليل من شأنهم .

فإذا ما انتقلتا إلى الدولة الموحدية وجدنا المصامدة وهم القبائل المؤسسة للدولة وغالبية سكان المنطقة ملابسهم من الصوف ومحترمون في أوساطهم عازر صوف ويسمونها أسفاقس مع ترك رووسهم عارية (٥) وقد حث ابن تومرت أتباعه على التقشف في إرتداء الملابس والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن (٢)، وضرب لهم المثل في ذلك حين ارتدى عباءة مرقعة

⁽١) أبن عبدون : رسالة في الحسية ص ٢٨ .

⁽٢) نفس المرجع السابق ص ٢٨٠.

⁽٣) البيذق: أخبار المهدى ص ٦٧ ، ٦٨ .

⁽٤) إبن تومرت : أعز ما يطلب ص ٢٦٣ .

⁽٥) الْآدريسَى : وصف المغرب من ٦٣ ، ابن سعيد : نزهة الانظـار ج ١ ص ١١ .

⁽٦) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٢٩٦.

زهدا في الغالى من الثياب (١).

وقد اقتدى به خليفته عبد المؤمن ، فكان يلبس ثياب الصوف المكونة من قميص وسروال وجبة (٢) وذلك برغم اتساع سلطانه والأموال الكثيرة التي تدفقت على خزانة الدولة ، غير أن هذا التقشف والزهد في ارتداء الملابس الغالية لم يستمر عقب الخليفة عبد المؤمن ، إذ أقبل أفراد الشعب ورجال الدولة على ارتداء الملابس الحريرية المطرزة ، وقد غالوا في ذلك مما دفع الخليفة المنصور الموحدى إلى إصدار أمر ببيع مافي خزائن الدولة منها ، وطالب الرعية بالتخفيف من إرتداء هذه الملابس مع التقليل من تطريزها ، يقول ابن عذارى «ثم أمر – أى المنصور الموحدى سنة ، ٥٨ هـ بقطع لباس الغالى من الحرير والاجتراء منه بالرسم الرقيق الصغير ، ومنع النساء من الطرز الخفيل وأمر بالاكتفاء منه بالسادج القليل ، وأمر باخراج ما كان في المخازن الخفيل وأمر بالاكتفاء منه بالسادج القليل ، وأمر باخراج ما كان في المخازن من ضروب ثياب الحرير والديباح المذهب فبيعت منه ذخائر لا تحصى بأثمان من ضروب ثياب الحرير والديباح المذهب فبيعت منه ذخائر لا تحصى بأثمان من ضروب ثياب الحرير والديباح المذهب فبيعت منه ذخائر لا تحصى بأثمان ملابس خاصة في مواكبه وأثناء جلوسه للناس وهي عبارة عن غفارة زبيبة وهي نوع من الكساء مع برنس مسكي أى رداء متصل بغطاء للرأس في لون المسكن ٥٠.

أما جنود الموحدين فقد أشار ابن صاحب الصلاة إلى نوع الثياب التى كانت توزع عليهم من قبل الخلافة فنى سنة ٥٥٨ هـ/١١٦٢ م وزع الخليفة عبد المؤمن على جنوده الثياب والكساء والعمائم والبرانس (٢)وفى سنة ٥٦١ هـ وزع عليهم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن كسوة تامة لكل جندى وهى

⁽۱) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٢٩ ، الزركشى : تاريخ الدولتين

ص ٥٠ . (٢) ابن القطان: نظم الجمان ص ١٣٢٠.

⁽٣) ابن عذارى : البيأن المغرب ج ٤ ص ٨١ تطوان ٠

⁽٤) العينى: عقد الجمان ج ١ قسم ٢ ص ٢٣٢٠

⁽۵) ابن عذاری: البیان المغرب ج ٤ ص ١٠٤ ، ١٠٤ تطوان .

⁽٦) ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن ص ٢١٥٠

مكونة من غفارة وعمامة وكساء وقبطية وشقة^(١)وفى سنة ٥٦٦ هـ/١١٧ م وزع على الموحدين نفس الثياب وزاد عليها مقطعين مهدويين ^(٢).

وكان اللون الغالب على ملابسهم اللون الأبيض وهم فى ذلك مقتدين بداعية الموحدين ابن تومرت الذى كان يقتدى بسنة النبى صلى الله عليه وسلم فى أفعاله وأقواله ، ومن ناحية أخرى فان اللون الأبيض مخالف لملابس أعدامهم المرابطين التي كان يغلب عليها اللون الأسود .

وقد حدد المنصور الموحدى للبهود زيا خاصا يتميزون به بين طوائف المحتمع وذلك حتى يمكن التمير بينهم وبين غيرهم من المسلمين وخاصة بعد ادعائهم الإسلام ظاهريا $^{(7)}$ وقد وصف ابن عدارى هذا الزى « فجعل -- أى المنصور - لهم صفة كحداد ثكلى المسلمين أردان قمصهم طول ذراع فى عرض ذراع زرق وبرانيس زرق وقلانس زرق وذلك فى خمس وتسعين المؤرخة سنة ٩٥٥ ه $^{(4)}$ ويبدو أن البهود قد عانوا من هذا الزى معاناة شديدة ومن ثم توسلوا للخليفة الناصر فى تغيير هذا الزى حتى سمح لهم بارتداء ثياب صفر وعمائم صفر (٥).

⁽¹⁾ نفس المرجع السابق ص ٢٦١ (الغفارة : كسناء يلبس فوق آخر ، والتبطية هي ثوب أبيض رتيق من الكتان ، والشبقة وهي ما شبق من الثياب هلي شبكل مستطيل هاشية ص ٢٩١ تاريخ الن) .

⁽٢) نفس المرجع السابق ص ٥٠٠ (المقطع المهدوى يغلب أن يكون تميما يلبس تحت الملابس حاشية تاريخ الن ص ٤٥٠) .

⁽٣) المراكشي : المعجب من ٣٠٤ ، الزركِشي : تاريخ الدولتين من ١١٠ ملين : عصر المنصور الموحدي من ٢٥٦ .

⁽٤) ابن عدارى : البيان المفرب ج ٤ ص ١٨١ تطوان ،

⁽٥) الراكشي : المعجب ص ٣٠٤ ٠

الفصت ل الخامِسُ

الحياة الفكرية

عاش المغرب الاقصى فى ظل نهضة فكرية أظلته منذ قيام دولة المرابطين وهذا يرجع إلى إزدهار الحياة الدينية بما تضمنته من دعوتين دينيتين : دعوة المرابطين ودعوة الموحدين وما دار حولهمها من صراع فكرى واتجاهات دينية ، ونتج عن ذلك تنوع فى الدراسات الدينية .

و بجانب الحياة الدينية الحافلة ، كانت هناك الحياة الأدبية من أدب ولغة والحياة العلمية من فلسفة وطب وعاوم اجتماعية وغيرها ، وصارت المدن المغربية تزخر بطلاب العلم في العلوم المختلفة ، ونشطت حركة التأليف، وصار للمغرب الأقصى دوره الواضح في تغذية شريان الثقافة الإسلامية ، بما قدم من علم وعلماء .

وقد تضافرت عدة عوامل على دفع الحركة الفكرية بالبلاد ، ويمكننا أن نجملها فيما يأتى :

أولا: استقرار الأوضاع بالبلاد: استقرت أوضاع المغرب الأقصى مند أن استولى عليها المرابطون، حيث استطاءوا توحيد مناطقه المختلفة فى ظل حكومة مركزية واحدة، وكذلك فعل الموحدون وأحس السكان يخزم ولاة الأمر وسيطرتهم على انحاء البلاد، وتمخض هذا عن استقرار وطمأنينة عمت السكان.

وفى مناخ الاستقرار نمت الحركة الفكرية وترعرعت فروعها حتى صارت وارفة الظلال تعطى أطيب الثمار ، وقد صاحب هذا الاستقرار امتداد سلطة أبناء المغرب الأقصى إلى خارج حدودهم ، فصارت في عهد على بن يوسف من سجلماسة في الحنوب إلى شمال بلاد الأندلس(١) أما في دولة الموحدين فقد امتدت حدودهم شرقا إلى افريقية وهي تشتمل على

⁽١) ابن أبي زرع: الانيس ج ٢ ص ٧٨ ، ٧٩ ت الفيلالي .

معظم الشهال الإفريتي بالإضافة للاندلس وقد صاحب ذلك تدفق الأموال على عاصمة الخلافة وازدهار في الحياة الاقتصادية مما ساعد على استقرار أوضاع البلاد ، وهذا بدوره يهيىء المناخ العلمي الذي يدرس فيه الطلمة ويجعلهم يقبلون على البحث والتحصيل يضاف إلى ذلك اضطراب الأوضاع في افريقية خلال حكم المرابطين نتيجة للغزوة الهلالية المدمرة مما دفع الكثير من علماء افريقية إلى الهجرة إلى المغرب الأقصى والأندلس(١).

ثانيا: تشجيع ولاة الأمر للعلم والعلماء: فالدولتان المرابطية والموحدية قامتا على مبدأ دبنى وقد نشأ يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين وعبد لمؤمن بن على مؤسس دولة الموحدين فى مهاد دعوتين دينيتين ، وتتلمذا على عالمين: ابن ياسين وابن تومرت ، ومن جاء بعدهما من ولاة الأمر نهاوا من العلوم الدينية (٢) فكان من الطبيعي أن يشجعوا العلماء ويقربوا إلهم رجال الدين والأدب.

وقد سبق أن تناولت كيف أن ولاة الأمر في الدولة المرابطية ، كانوا يخضعون لسلطة الفقهاء ، وأوضحت مدى تغلغل نفوذهم في الدولة المرابطية وخاصة في عهد على بن يوسف بن تاشفين ، ومنذ الفترة الأولى لدولة المرابطين وجدنا يوسف بن تاشفين محبا للعلماء والفقهاء ، مقربا لهم صادرا عن رأيهم (٣)وكيف أن العلماء في كل فن توجهوا إلى العاصمة ليحظوا بمنزلة التكريم التي كان يسبغها يوسف بن تاشفين عليهم (١)وكذلك أمير المسلمين على بن يوسف في تكريمه للعلماء والفقهاء حتى صارت أحكام البلاد راجعة إليهم صادرة عنهم (٥).

وكذلك الشأن في الدولة الموحدية حيث كرّم الخليفة عبد المؤمن العلماء

⁽۱) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون من ٢٣١ ، د. حسن محبود : الاسلام والثقافة في الريقية جد اص ١٧٩ طد ٢ سنة ٦٣ ، د. حسن محبود: قيام دولة المرابطين ص ١٨ ، ١٩ ، حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٧٢ شيام دولة المرابطين على ١٠٥ ، حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٠٠ .

⁽٣) ابن أبى زرع: الانيس ج ٢ ص ٣٨ ت الفيلالى ، ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ٥٩ ، ابن المؤتت: السعادة الابدية ج ٢ ص ٨٩ .

⁽٤) الراكشي : المعجب ص ١٦٣ .

⁽٥) نفس الزجع السابق ص ١٧١ .

عارفا بأقدارهم (١) مما دفع الكثير من العلماء إلى التوجه إليه والانضواء تحت لوائه (٢) وكذلك الخليفة يوسف بن عبد المؤمن وابنه المنصور الموحدى الذى قرب العلماء إليه وأحبهم وشاورهم وجعلهم أهل خدمته وخاصته (٣)..

ومن هذا نرى أن حب ولاة الأمر للعلماء ، جعلت العلماء ينصرفون إلى البحث والتحصيل وخاصة أن ذلك سيعود عليهم بالمرلة السامية فى الدولة فضلا عن الغنى والثراء .

وقد سبق أن أشرت إلى مدى ما كان يتمتع به الفقهاء والعلماء من ثراء وغنى فى عهد المرابطين والموحدين ، يضاف إلى ذلك الحماس الذى أبداه ولاة الأمر فى بناء المؤسسات التعليمية من مساجد ومدارس وغير ذلك ، مما كان له أثر بالغ فى دفع الحركة التعليمية بالبلاد ، وقد تمير العهد الموحدى بالحرية الفكرية إذ سمحوا بدراسة بعض العلوم والتى لم يكن مسموحا بها من قبل فى عهد المرابطين كعلم الكلام والفلسفة .

ثالثا: الصلة الوثيقة بين المغرب والأندلس: وقد تحققت هذه الصلة الوثيقة منذ أن أصبح الأندلس إقليا تابعا للمغرب الأقصى في عهد يوسف بن تاشفين وأطلع أمراء المرابطين وقادتهم على الحركة الفكرية المزدهرة في مدن الأندلس المختلفة مما دفعهم للاستفادة منها في المغرب، وقد رأينا كما سبق أن أوضحت كيف أن ولاة الأمر من المرابطين ومن جاء بعدهم من الموحدين كانوا يرحبون بالعلماء والأدباء الأندلسين ، ويغدقون عليهم الصلات ، ويتخذون منهم الوزراء والكتاب والقصاة وغير ذلك في مناصب الدولة المختلفة .

يضاف إلى ذلك هجرة الكثير من العلماء فرارا من المعارك الطاحنة

⁽١) ابن الخطيب: الحلل الموشية ص ١١٣ ، ١١٤ .

⁽٢) المراكشي: المعجب ص ٢٠٠٠ .

⁽٣) ابن الاثي : الكامل ج ٩ ص ١٦٥ .

التي شهدتها منطقة الأندلس خلال حكم المرابطين والموحدين ضد الفرنج مما دفعهم إلى الانتقال إلى المدن المغربية لينعموا بالاستقرار والطمأنينة فضلا عن التكريم والترحيب من ولاة الأمر والشعب المغربي ، وإن من أعظم الآثار التي نتجت عن إخضاع الأندلس للمرابطين والموحدين ، ذلك الانفتاح الفكرى الأندلسي على المغرب حيث تدفقت الثقافات الأندلسية المتنوعة على المغرب الأقصى ، وانتقل أبناء المغرب الأقصى من قادة ورعية لينهلوا من علوم الأندلس دون قيد على حركتهم ، وأثمر كل هذا ثورة ثقافية بالمغرب الأقصى أحدثتها تلك الصلة الوثيقة بالأندلس.

رابعا : رغبة الكثير من أبناء المغرب في طلب العلم : في ظل الاستقرار الذى ساد البلاد ، مع تشجيع ولاة الأمر للعلم والعلماء وبنائهم للمؤسسات التعليمية المختلفة ، وما صاحب ذلك من مجيء الكثير من علماء الأندلس وإفريقية إلى المغرب الأقصى ، كل هذه العوامل أذَّكت رغبة التعلم لدى أبناء المغرب الأقصى ودفعتهم إلى الاسترادة منه والحرص عليه ، وخاصة أن مناصب الدولة ووظائفها كانت قاصرة على المتعلمين والمثقفين . وقد سبق أن أشرت كيف أن الخليفة عبد المؤمن أسس مدرسة خاصة لتخريج طائفة من الإداريين جمع فيها ثلاثة آلاف من أبناء القبائل المختلفة ووضع لهم برنامجا تعليميا خاصا ،

هذه الحركة العلمية دفعت الكثير من أبناء المغرب للارتحال لطلب العلم من منابعه المختلفة سواء أكانت في المشرق أو الأندلس ، وبأتى في مقدمة ا هؤلاء ابن ياسين داعية المرابطين حيث أمضى سبع سنوات في الأندلس ينهل من العلوم المختلَّفة وجمع منها الكثير (١) كذلك داعية الموحدين ابن تومرت، وقد سبق أن أشرت إلى رحلته في المشرق والتي التتي فيها بكثير من العلماء ثم عاد إلى المغرب الأقصى وأحدث ثورته الفكرية والعسكرية ، وأيضا أبو موسى الجزولى عيسى بن عبد العزيز من مراكش وتوفى بها فى سنة ٦١٠ هـ وقد قام برحلة إلى مصر لتلتى العلم ثم عاد ليدرس بمدن المغرب المختلفة(٢)

⁽۱) ابن عذاری: البیان المغرب ج ٤ ص ١٠ بیروت . (۲) حرکات: المغرب عبر التاریخ ص ۳۹۲ .

وكذلك القاضى عياض إمام وقته فى الحديث وعلوم النحو واللغة وكلام العرب ، رحل إلى الأندلس طلبا للعلم(١).

ومن ناحية أخرى كان المغرب الأقصى مقصدا لمطلاب العلم ، حيث أقبل الطلبة من أماكن متفرقة يطلبون العلم على يد علمائه وأساتذته ومن هؤلاء ابن دحية والمولود في بالأندلس سنة ٤٧٥ ه/١١٥٢ م حيث رحل إلى مراكش طلبا للعلم ومكث فترة في مدن المغرب المختلفة لتلتى العلم (٢)وقد حفلت كتب الطبقات بأسهاء هؤلاء الذين تلقوا العلم في الحارج وهؤلاء الذين قصدوا المغرب الأقصى لتلتى العلم .

وهكذا تضافرت العوامل السابقة على دفع الحركة الفكرية فى البلاد ، وساعدت على نموها وازدهارها .

المراكز الفكرية:

نشطت الحركة الفكرية بالبلاد ، وأصبحت المدن المغربية تعج بطلاب العلم والعلماء ، وصارت المساجد والمجالس وغيرها تشهد المناقشات الفقهية واللغوية والأدبية وغير ذلك مما حفلت به الحياة الفكرية في البلاد ، وصارت المدن المغربية نجوما تتلألاً بما فيها من معارف وعلوم .

ويأتى فى مقدمة هذه المدن عاصمة البلاد مراكش حيث كان العلماء يشدون إليها الرحال من الأندلس وغيرها ، ليعيشوا فى كنف ولاة الأمر الذين شجعوا العلماء على البقاء بجوارهم لتردان بهم عاصمتهم وليستريدوا من علومهم ومعارفهم ومن هنا صارت العاصمة مهبطا لرواد الثقافة من أعلام الفكر بالأندلس (٣)وحتى أصبحت مراكش تضاهى بغداد فى ازدهار العلوم وكثرة العلماء ، يقول ابن المؤقت « وبنى يوسف بن تاشفين مدينة الحلفاء من أهل بيته ، مراكش شاهى بغداد فى العظم بكثرة الروساء والعلماء والأدباء » (٤).

⁽١) ابن خلكان : ونيات الاعيان ج ٣ ص ١٥٢ •

⁽٢) ابن دحية : المطرب ص ه متدمة المحتق .

⁽٣) عبد العزيز بنعبد الله: تاريخ المغرب ج ١ ص ١١٠٠٠

⁽٤) ابن المؤتت : السعادة الابدية ج ١ ص ١٥٠

وشاركتها مدينة فاس ، تلك المدينة التي أسسها ادريس بن عبد الله لتكون عاصمة لدولته والتي صارت لها مكانتها الدينية في تاريخ البلاد ، حتى جاء المرابطون والموحدون فأولوها اهتمامهم وعنايتهم بالبناء والتعمير ، وأصبحت فاس كعبة للعلماء من كل مكان ، حيث ازدهرت فها العلوم الدينية في مساجدها المتعددة وخاصة في مسجدها الكبير جامع القرويين الذي ظل مركز ا اشعاع علمي يقصده الكثير من طلاب العلم(١)وأبو مدين شعيب المتصوف والمتوفى سنة ٩٤٥ ه/١١٩٧ م حين أراد أنْ ينهل من العلوم الدينية ويتروه منها نصحه الكثير بالتوجه إلى مدينة فاس ، وهناك وجد أبو مدين بغيته حيث مجالس العلم المتعددة^(٢)وصارت مدينة فاس نجما يتألق بما فيها من تيارات ثقافية وبما نموج بداخلها من حركة علمية مما دفع المراكشي إلى وصف مدينة فاس بقوله و ومدينة فاس هذه هي حاضرة المغرب في وقتنا هذا ــ يقصل حاضرته العلمية ـــ وموضع العلم منه ، اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة ، إذ كانت قرطبة حاضرة الأندلس كما كانت القبروان حاضرة المغرب ، فلمه اضطرب أمر القىروان بعيث العرب فها واضطرب أمر قرطبة باختلاف بني أمية بعد موت أبى عامر محمد بن أبى عامر وابنه ، رحل من هذه وهذه من كان فهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة ، فرارا من الفتنة ، فأرْل أكثر هم مدينة فاس فهي اليوم على غاية الحضارة ٣^(٣).

وكذلك مدينة سبتة ، حيث أدى موقعها إلى أن تكون ملتى لكثير من المؤثرات الأندلسية والمغربية (٤)ومن اشتهر بالتدريس فيها القاضى عياض وعمر ابن عبد المحيد الرندى والعالم أبو على بن عاشر قريعات وغيرهم من كبار العلما(٥).

و مجانب مراكش وفاس وسبتة كانت هناك مدن مغربية أخرى كتلمسان ومكناسة وسجلماسة حفلت بالنشاط العلمي .

⁽۱) عبد الهادى التازى : احد عشر ترنا في جاسعة الترويين ص ۱ ۶ که د. احمد شابى : موسوعة التاريخ الاسلامي ج ٦ ص ١٧٤ .

⁽٢) التاملي : التشوف ص ٣١٦ ، ٣١٧ .

⁽٣) الراكشي : المعجب ص ٧٥٧ ، ٨٥٣ .

⁽٤) د، حسن أحمد محمود : قيام دولة الرابطين من ٣٢٤ .

⁽٥) ملين : عصر المنصور الموحدي ص ١٦٦ .

وقد استمدت الحركة الفكرية بالبلاد علومها ومباحثها من مصدرين أساسين : أولا : الحياة الدينية ، وثانيا الحياة الأدبية والعلمية .

أولا: الحياة الدينية

لعبت الدعوتان المرابطية والموحدية دورا هاما في تغيير وجه الحياة بالمغرب الأقصى خلال فترة البحث ، إذ ترتب على نشر الدعوتين بين سكان المغرب الأقصى ، أن تغيرت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمنطقة ، وقد سبق أن تناولت في فصول الكتاب استناد الدولة المرابطية إلى دعوة ابن تومرت ، لذا وجب التعرض لهاتين الدعوتين وتطورهما خلال فترة البحث ، مع دراسة المدهب المالكي والذي استمدت الدعوة المرابطية أصولها منه ثم الإشارة إلى منهج المرابطين والموحدين في التطبيق العملي لاحكام الدين مع ذكر جهود منهج المرابطين والموحدين في التطبيق العملي لاحكام الدين مع ذكر جهود المرابطين في نشر الإسلام ، وبجانب ذلك سوف أتناول دور المتصوفين في المغرب الأقصى وأثر ذلك في حياة السكان ، ومن هذه النقطة يكون المنطلق للمراسة مدى تأثر المغاربة بالغيبيات والتبرك في التفكير المغربي ، وأخيرا التعرض للعلوم الدينية والمؤلفات فها .

الدعوة المرابطية:

وهى دعوة إصلاحية استمدت تعاليمها وأحكامها من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نادى بها عبد الله بن ياسين بين قبائل الملثغين حين وفد مع يحيى بن إبراهيم الكدالى إلى قبائل الصحراء جنوب المغرب الأقصى ، وذلك ليخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان والمعرفة ، وحين وفد إليهم وجد أكثرهم لا يصلون ولا يدفعون الزكاة ولا يعرفون من الإسلام سوى الشهادة مع انتشار الجهل بينهم (١)وما إن شرع في تبديد ظلام الجهل ونشر مبادىء الدين الصحيحة حتى وجد مقاومة من بعض قبائل المرابطين مما اضطر معه إلى اتخاذ رباط في جزيرة منعزاة ليعلم فيها أصحابه المبادىء الدينية الصحيحة فصار يعلمهم كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه المبادىء الدينية الصحيحة فصار يعلمهم كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه

⁽۱) أبن أبى زرع : الانيس ج ٢ ص ١٢ ت الفيلالي . (م ٢٩ ــ الحضارة)

وسلم والوضوء والصلاة والزكاة وما فرض الله عليهم من ذلك(١)حتى إذا اجتمع الأنصار والاتباع أطلق عليهم لقب المرابطين لملازمتهم الرباط المذى انشأه (٢)أو لشدة صبرهم وحسن بلائهم في قتال المشركين (٣).

وانتقل بالدءوة من دور التلتى والتعليم إلى دور نشرها بالسيف عن طريق الحهاد وذلك في خطاب وجهه إليهم قائلا « يامعشر المرابطين ، إنكم جمع كثير وأنتم وجوه قبائلكم وروِّساء عشائركم ، وقد أصلحكم الله تعالىٰ وهداكم إلى صراط مستقيم فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم وتأمروا بالمعروفُ وتنهوا عن المنكرُ ، وتجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ٥(١٤).

وهكذا أصبحت الدعوة قائمة على كتاب الله وسنة رسوله ، متخذة مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غاية والحهاد المسلح وسيلة ، وكان إنطلاقهم إلى المغرب الأقصى تحقيقا لهده الغاية وهي القضاء على المنكر الذي انتشر في المدن المغربية فحين استدعى فقهاء سجلماسة ودرعة المرابطين لبوا النداء وذلك ليطهروا بلادهم مما هي فيه من المنكرات وشدة العسف وألحور (٥)

ثم انطلق المرابطون تجاه المغرب الأقصى واستولوا على مناطقه ، وفى خلال ذلك كانوا يطبقون مبادىء الدعوة وصار دستورهم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستمدين أحكامهم من مذهب الإمام مالك ، وقد سبق أن أشرت إلى مدى نفوذ الفقهاء والعلماء والمطبقين لأحكام المدين من منزلة ونفوذ في اللولة المرابطية ، وكيف أن أحكام البلاد وأمورها كانت بيد هذه الطبقة مما يشر إلى آثار هذه الدعوة في حياة السكان.

إحراق كتب الإمام الغرالى : ومما يتصل بالحياة الدينية في هذه الفترة إحراق المرابطين لمؤلفات الإمام الغزالي . وكان الاحراق من الأحداث الهامة التي شغلت ولاة الأمر والرعية في هذه الفترة فني سنة ٥٠٣ ه/١١٠٩ م

⁽۱) نفس المرجع السابق ج ٢ ص ١٣ ت الفيلالي .

⁽٢) نفس المرجع السابق ج ٢ ص ١٣ ت الفيلالي ، ابن ابي دينسار : المؤنس ص ١٠٢ .

⁽٣) أبن الخطيب: الحلل الموشية ص ١٠٠

⁽٤) ابن أبى زرع: الانيس ج ٢ ص ١٤ مت الفيلالى . (٥) ابن أبى زرع: الانيس ج ٢ ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ت الفيلالى .

صدرت أوامر أمير المسلمين على بن يوسف بحرق كتاب الاحياء للإمام الغزالي في كافة مدن المغرب والأندلس(١)وفي رواية المراكشي أن الإحراق كان بالنسبة لكتب الغزالي(٢)أي جميع مؤلفاته ، وتم حرقه في أفنية المساجد الكبيرة بكل من قرطبة ومراكش وغيرها من مدن المغرب(٣)يقول ابن القطان ﴿ فِي أُولَ عَامَ ثَلَاثَةً وَخَسَمَاتُهُ عَزَّمَ عَلَى بَنْ يُوسَفَ عَنْ إِجْمَاعَ قَاضِي قرطبة أبى عبد الله محمد بن على بن محمدين وفقائها على إحراق كتاب أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى المسمى بالاحياء فأحرق في رحبة مسجدها على الباب الغربي على هيئته مجلوده بعد إشباعه زيتا وحضر لذلك جماعة من أعيان. الناس ، ونفذت كتبه إلى جميع بلاده آمرا بإحراقه وأخذت منه نسخ من أيدى أصحامها ١(٤).

واستمرت الدولة في سياستها بالنسبة لمؤلفات الغزالي ، ومتابعتها بالمصادرة والحرق طيلة عهدها ، وقد أكد هذه السياسة تلك الرسالة الصادرة من تاشفين بن على بن يوسف في سنة ١١٤٣/٥٣٨ م أثناء مقامه بكرنطة وهو جبل صغير في سلسلة المرتفعات بين تلمسان وسبتة وموجهة إلي أهل بلنسية بالأندلس ويحدد لهم فيها مناط الفتيا ومصدر الأحكام هو مذهب الإمام مالك ، ومحاربة البَّدع وكُتبها وأصحابها وخاصة كتب الإمام الغزالى ومما جاء فها ﴿ ومَّى عَبْرتُم عَلَىٰ كَتَابِ بِدَعَةً أَو صَاحِبِ بِدَعَةً وَخَاصَةً وَفَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ كتب أبى حامد الغزالى فليتتبع أثرها وليقطع بالحرق المتتابع جزها ويبحث عليها ، وتغلظ الايمان على من يتهم بكتمانها ،(٥)ومن هذا النص وتاريخه نستنتج مدى حرص الدولة حتى في أواخر أيامها على محاربة مؤلفات الغزالي واعتبارها من الكتب الضالة .

⁽١) أبن القطان: نظم الجمان ص ١٤ ، ١٥ ، السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ٧٥ ، ابن ابي دينار : المؤنس ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، ابن زيدان : اتحاف اعلام الناس ج ١ ص ٨٨٠

⁽٢) المراكشي : المعجب ص ١٧٣ . (٣) السلاوي : الاستقصاج ٢ ص ٧٥ ، الكتاني : الغزالي والمغرب ص ٧٠٧ ، ابن عبود : تاريخ المغرب ج ١ ص ١١٨ .

⁽٤) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٤ ، ١٥٠٠ . (٥) د.حسين مؤنس : نصوص سياسية عندترةالانتقال بين الراسطين والوحدين ص ١١٣ مجلة المهد المصرى بمدريد مجلد أول عدد ٣ سنة ٥٥ .

وقد استند الفقهاء فى تبرير ذلك إلى احتوائه على علم الكلام والفلسفة(١) وكراهية المالكية لهده العلوم ومن ثم طالبوا ولى الأمر بمصادرة كتبه ، و له استجاب لهم وأمر بحرقها .

غير أنه مجانب هذا السبب الظاهري للإحراق كانت هناك أسباب خفية تتعلق بهؤلاء العلماء الذين طالبوا بإحراق كتب الغزالى ، ومن ذلك ما وجدوه فى كتاب الاحياء من هجوم على طبقة العلماء والفقهاء الذين يتخذون من العلم والدين مطية لتحقيق أطماع دنيوية من ثراء وجاه وأموال وقد أورد صفاتهم الإمام الغزالى فى كتابه الاحياء حين وصفهم بأنهم علماء السوء يقول الإمام الغزالى α الباب السادس فى آفات العلم وعلامات الآخرة والعلماء السوء ، وقد ورد فى العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الحلق عذابا يوم القيامة .. ونعنى بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الحاه والمنزلة عند أهلها ... ه(٢)ثم تعرض للصفات المحمودة فى العلماء وهي عدم الميل إلى الترف والاقتصاد فى المأكل والمشرب ومتطلبات الحياة والتشبه بالسلف الصالح (٣)قاذا ما طبقنا هذه الأحكام على بعض علماء وفقهاء المغرب والأندلس وجدنا أن كثيرا منهم كونوا طبقة لها نفوذها وسلطانها وثراءها في المغرب والأندلس مما دعاً أحد الشعراء لمهاجمتهم وقد سبق أن أوضحت ذلك ، ومن هنا كان كتاب الاحياء وما نضمنه من مهاجمة لعلماء السوء ، خطرا على حياتهم ووضعهم الإجماعي ، يضاف إلى هذا السبب ، أن كتاب الاحياء إنما هو مناصر للتصوف وأهله . وقد صار للمتصوفين مكانة متميرة فى مجتمع المغرب الأقصى ،وكانت هناك الماوة من بعض الفقهاء للمتصوفين فاذا ما انتشر كتاب الاحياء بين الناس كان ذلك سندا وقوة لأهل التصوف بالبلاد وهذا مالا يرغبه الفقهاء ومن . ثم استغل بعض الفقهاء نفوذهم وخضوع أمير المسلمين على بن يوسف لرأيهم وأشاروا عليه بإحراق كتب الإمام الغزآلي ."

⁽۱) أبن زيدان: اتحاف اعلام الناس ج ۱ ص ۸۸ ، الكتانى: الغزالى والمسرب ص ۷۱ ، كنون: النبوغ المغربى ج ۱ ص ۸۹ ، ۱۹ .

(۲) الامام الغزالى: احياء علوم الدين ج ۱ ص ۸۸ ، ۹۵ الطبعة

⁽٣) الامام الغزالي : احياء علوم الدين ج. ١ ص ٦٦ -

إلا أن عملية الإحراق وجدت معارضة من بعض العلماء والمتصوفين ومهم أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بالنحوى وقد أقام بسجلماسة وفاس ومات سنة ١١٩/٥١٣ م فقد أعلن رأيه ببطلان فتوى إحراق كتب الغزالي(١) يقول التادلي « ولما وصل إلى فاس كتاب على بن يوسف بالتجريح على كتاب الاحياء وأن يحلف الناس بالأعمان المغلظة أن الاحياء ليس عندهم ، ذهبت إلى أبي الفضل أستفتيه في تلك الاعمان فأفني بأنها لا تلزم ، وكانت في محمله أسفار فقال لى ، هذه الأسفار من كتاب الاحياء ، وودت أنى لم أنظر في عمرى سواها ، وكان أبو الفضل قد انتسخ الاحياء في ثلاثين جزءا ، فاذا دخل شهر رمضان قرأ في كل يوم جزءا» (٢) كذلك العالم أبو محمد عبد الله المليجي من أغمات وريكة ومات بها قبل سنة م قال عن الذين أفتوا بإحراق كتب الغزالي ، فكل ما سمى له واحد دعا عليه ثم قال ؛ : لا يصلح هؤلاء الأشقياء ابدا فما انقضي ما سمى له واحد دعا عليه ثم قال ؛ : لا يصلح هؤلاء الأشقياء ابدا فما انقضي موضوع حرق مؤلفات الإمام الغزالي ما بن مؤيد ومعارض .

الدعوة الموحدية :

خلال حكم أمير المسلمين على بن يوسف ، شهد المغرب الأقصى هزة فكرية جديدة متمثلة فى الدعوة الدينية التى نادى بها ابن تومرت ، وبثها بين أتباعه ومريديه ، ومحاربا بها الدعوة المرابطية ، وهذه الدعوة هى خلاصة دراساته التي قام بها فى المغرب واالأندلس ثم فى المشرق حيث التي بكثير من أثمة الفكر والدين (٤) فلما عاد إلى المغرب أخذ ينشر مذهبه ودعوته .

وقد استمدت الدعوة مكوناتها من مذاهب متعددة ، فقد نادى بالإمامة

⁽۱) ابن مريم: البستان في ذكر الاولياء ص ٣٠١ ، ابن التاضى: جنوة الاقتباس ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

⁽۲) التادلي : التشوف ص ۷۳ .

⁽٣) نفس المرجع السابق ص ١٢٤ ، ابن المؤتت : السعادة الابدية ج ١ ص ٦٣٠ .

⁽٤) ابن أبى زرع: الانيس ج ٢ ص ١٠٥، ت الفيلالى ، السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ٩٠، العلقشندى : صبح الاعشى ج ٥ ص ١٩١٠

وبعصمة الإمام على مذهب الشيعة ، ويقول بالظاهرية ويكره التأويل على رأى داود وابن حزم ، ويتشدد في العقيدة تشدد الحنابلة ، ويفهم التوحيد فهم المعترلة ويذهب في كثير من المسائل على مذهب الأشاعرة (١) وأطلق على دعوته دعوة التوحيد وسمى أتباعه الموحدين، وفي ذلك نفى للتجسيم وتعريض بالمرابطين الذين وصفهم بالمحسمين (٢).

فاذا ما حاولنا التعرف على الملامح البارزة لدعوته وجدنا أنه أعجب بأثمة الأشعرية بالمشرق ، ومن هنا أخذ عهم واستحسن طريقتهم فى الانتصار للعقائد السلفية والذب عها بالحجج العقلية (٣)وهو بذلك كان مخالفا لما تعود عليه أهل المغرب من ابتعاد عن التأويل وإقرار المتشامهات والاقتداء بالسلف فى ذلك (١) إلا أنه لم يأخذ بالمذهب الأشعرى كله بل خالفه فى إثبات الصفات (٥) يقول المراكشى : و وكان – أى ابن تومرت – على مذهب أبى الحسن الأشعرى فى أكثر المسائل إلا فى الصفات » (١) وفى ننى الصفات عن الله وتنربه تنربها مطلقا عن أى شائبة ومناداته بالعدل والتوحيد إنما كان متأثرا بأفكار المعترلة فى وافق – أى ابن تومرت – المعترلة فى بأفكار المعترلة فى عنوب المعترلة فى عنها أى ننى الصفات وفى مسائل قليلة غيرها» (٨) ، وقد أفرد بابا فى كتابه أعز ما يطلب وهو يتضمن آراء ابن تومرت المذهبية – عن التوحيد و باب فى أن التوحيد هو أساس الدين الذى بنى عليه وأن فروعه إنما تثبت بعد العلم فى أن التوحيد هو أساس الدين الذى بنى عليه وأن فروعه إنما تثبت بعد العلم

⁽۱) د. حسين مؤنس: عقد بولاية العهد ص ۱۶۸ ، د. عبد الله علام: الدعوة الموحدية ص ۱۵۹ ، د. احمد مختار العبادى: دراسات في تاريخ المغرب ص ۱۱۰ ، د. حسن ابراهيم: تاريخ الاسلام ج ٤ ص ۲۷۷ في تاريخ الاخرب ص ۱۱۰ ، د. حسن ابراهيم: Terrase: Histoire du Maroc, P: 268-869.

⁽٢) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٢٦٦ .

⁽٣) نفس المرجع السابق ج ٦ ص ٢٢٦ .

⁽٤) نفس الرجع السابق جـ ٦ ص ٢٢٦ .

⁽٥) المراكشي : المجب ص ١٨٤ ، ملين : عصر المنصور ص ٢٤١. (٦) المراكشي : المجب ص ١٨٨ .

⁽٧) د، عبد الله علام : الدعوة الوحدية ص ١٥٩ ، د. حسن محمود: قيام دولة المرابطين ص ١٨٤ ، د. أحمد مختار العبادى : دراسات في تاريخ المفسرب ص ١٠٧ .

⁽٨) المراكشي: المعجب ص ١٨٨٠.

بثبوته .. »(١)وتأثر بالشيعة حين تعرض لموضوع الإمامة والعصمة والمهدية ، وهذا يرجع إلى أنه كان يبطن شينا من التشيع كما يقول المراكثي (٢)وقد بين ابن تومرت ضرورة وجود الإمام وأن وظيفته ركن من أركان الدين يقول في كتابه « هذا باب في العلم وهو وجوب اعتقاد الإمامة على الكافة وهي ركن من أركان الدين وعمدة من عمد الشريعة ولا يصح قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب اعتقاد الإمامة في كل زمان ومكان من الأزمنة إلى أن تقوم الساعة ، ما من زمان إلا وفيه إمام لله قائم بالحق في أرضه من آدم إلى نوح ومن بعده إلى إبراهم (٣)، واشترط في الإمام العصمة و ولا يكون الإمام إلا معصوما من الباطل ... وأن يكون معصوما من الضلال .. وأن يكون معصوما من الحور .. وأن يكون معصوما من البدع وأن يكون معصوما من الكذب .. وأن يكون معصوما من العمل بالحهل .. ، وأن يكون معصوما من العمل بالحهل. المنتظر ويعدد صفاته وهي متوفرة فيه ومن ثم بايعه أصحابه على أنه المهدى(٥) وصار يخطب له على المنابر بالإمام المعصوم والمهدى المعلوم(٢)واستند إلى مذهب ابن حزم حين الترم بنص القرآن والسنة وإجماع المسلمين وجعل أسماء الله الحسني التي أوردها القرآن الكريم هي الأسماء التي نجب على المسلمين إلىرامها(٧).

وهكذا مزج ابن تومرت دعوته بكثير من الآراء والأفكار واستطاع بما أوتى من ذكاء وحيلة أن ينشر أفكاره وآراءه وأن مجمع حوله الكثير من

۱۱) ابن تومرت : أعز ما يطلب ص ۲۷۱ .

⁽۲) المراكشي : المعجب ص ۱۸۸ .

⁽٣) ابن تومرت : أعز ما يطلب ص ٢٤٥ .

[﴿]٤) نفس المرجع السابق مِن ٢٤٥ ه

⁽٥) النويرى: نهاية الارب ج ٢٢ مجلد ٢ ص ٨٥ ، ٨٥ ، ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٦٨ بيروت .

⁽ في سُوْال وجهته الى آلاستاذ عبد الله كنون عن مكرة المهدية في دولة الموحدين اجاب سيادته : أدخل ابن تومرت مكرة المهدية والعصمة متاثرا في ذلك بالشيعة في هذه الآراء وذلك ليعضد من مركزه السياسي والديني) .

⁽٦) المهرى: مسالك الابمنار جـ ١٥ ص ٣٧ ٠

⁽٧) د. عبد الله علام : الدُمُوة الموحديه ص ١٥٩ ، انخل جنثالث : تاريخ المنكر الاندلسي ص ٢٣٨ ،

سكان المغرب الأقصى فى فترة وجيرة لم تتجاوز التسع سنوات ، وهنا يجدر بنا أن نتناول تلك الأساليب المختلفة فى سبيل تثبيت أفكاره فى مجتمع كان لا يستسيغ كل هذه الآراء بل وكان يحاربها تمسكا بمذهب الإمام مالك وابتعادا عن المذاهب الكلامية ، ويمكننا أن نلخص وسائله فى الخطوات التالية :

أولا: استخدامه لسلاح الجدل والمناقشة ببراعة ودهاء ، ساعدته فى ذلك رحلته المشرقية وتزوده بالعلوم الكلامية ، وفى الجهة المقابلة ، ناظر مجموعة من العلماء جمدت معارفهم وعلومهم على الفروع نتيجة إهمالهم لعلم الأصول ، ومن هنا كان من السهل الانتصار عليهم ، وكان ذلك دأبه فى المدن التى مر بها حيث حرص على فضح العلماء وبيان مدى جهلهم وقلة بضاعتهم فى العلوم الدينية ومن ذلك ما حدث بمراكش (١) وقد صور ذلك البيدق بقوله و ثم خرج منها – أى ابن تومرت – لمسجد عرفة فمكث فيها أياما عديدة وذلك أن على بن يوسف بعث إلى العلماء حتى وصلوا من كل جانب ومكان فذا كرهم المعصوم فأفحمهم ... ه(٢).

ثانيا: انتسابه لبيت النبوة: وقد ذكر كثير من المؤرخين انتسابه إلى بيت النبوة (٣)وأشار إلى هذا النسب البيذق بقوله لا ينقل من يوثق من قرابته وغير هم محمد بن عبد الله بن وكليد بن يامصل بن حمزة بن عيسى بن عبد الله ابن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا نسبه الصحيح ه(٤)غير أن بعض المؤرخين تشكك في هذه النسبة مما دفع ابن خلدون للدفاع عن نسبته لبيت النبوة في مقدمته (٥) وسواء أكانت هذه النسبة صحيحة أم غير صحيحة فإنه النبوة في مقدمته (٥)

⁽۱) ابن أبى زرع: الانيس ج ٢ ص ١٠٩ الى ١١١ ت الفيسلالى ٤ السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ٢٢٧ ٤ ابن خلدون: العبر ج ٦ ص ٢٢٧ ٤ عباس الراكشى: الإعلام ج ٢ ص ٣٦٥ .

⁽۲) البينق : اخبار المهدى مس ٦٨ . (٣) الراكشي : المعجب مس ١٧٨ ، العيني : عقد الجمان ج ٢٠ قسم ₹

ص ٧٦٩ ؛ ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٢٦ .

⁽٤) البيذق: أخبار المهدى ص ٢١٠

⁽٥) ابن خلدون : مقدمته ص ٢٦ ، ٢٧ .

استغلها أحسن استغلال فى ادعائه بانه المهدى المنتظر إذ أخذ يذكر لاصحابه صفات المهدى ويشوق إليه ويذكر الأحاديث الدالة عليه (١)حتى إذا استقر ذلك بنفوسهم وقف فهم خطيبا ومما قاله « الحمد لله الفعال لما يريد القاضى عما يشاء ... وصلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدى الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا .. مكانه المغرب الأقصى ، وزمنه آخر الزمان واسمه اسم النبي عليه الصلاة والسلام ونسبه نسب النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام المقربون عليه السلام ، وقد ظهر جور الأمراء وامتلأت الأرض بالفساد وهذا آخر الزمان والاسم الاسم والنسب النسب والفعل الفعل الأومن بم أسرع الموحدون بمبايعته على أنه المهدى ، وبذلك استطاع بدهائه استدراجهم التحقيق ما يريد من ادعاء أنه المهدى المنتظر وأخذ يدعم هذه الفكرة فى أذهان أصحابه بضرورة وجود المهدى وأن طاعته واجبة ومطالبة أصحابه بنشرها بين الناس (٣).

ثالثا: اسمالته للأحداث وذوى الغرة من قومه وبدلك يسهل التأثير فيهم والسيطرة عليهم يقول ابن خلكان « وكان – أى ابن تومرت – يستميل الأحداث وذوى الغرة ، وكان ذوو الحكم والعقل والحلم من أهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من إتباعه ويخوفونهم من سطوة الملك .. »(*).

رابعا: البرنامج الديني الذي وضعه لأتباعه ، حيث استخدم لغة البربر مجانب اللغة العربية وذلك لاستمالة أكبر عدد ممكن من سكان البلاد^(ه). ثم ألف لهم عقيدة تسمى المرشدة وجعل فيها الأعشار والأحزاب والسور ، وأمرهم محفظها ومن لم يحفظها عد كافرا لا تجوز إمامته ولا تؤكل ذبيحته (٢)

⁽۱) المراكشي : المعجب ص ۱۸۷ •

⁽٢) ابن القطان: نظم الجمان ص ٧٥٠

⁽٣) ابن تومرت : أعز ما يطلب ص ٢٥٢ .

⁽٤) ابن خلكان : وهيات الاعيان ج ٤ ص ١٤٢٠

⁽ه) ابن أبي زرع: الانيس ج ٢ ص ١١٥ ت الفيلالي ، السلاوي: الاستقصا ج ٣ ص ٩٢ ٠

⁽٦) نفس المسدرين السابقين ونفس الصفحات، ابن القنفذ: الفارسية في مبادىء الدولة الحنصية ص ١٠١ ، ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٢٩٦ (كتاب المرشدة مثبت بقسم الملاحق) .

وصار هذا الكتاب معظما لديهم ويضاف إلى ذلك تلك التعاليم التى تلزمهم بطاعة الإمام والانقياد له مما نتج عنه تعظيمهم لابن تومرت وقد بلغوا فى ذلك درجة لو أمر أحدهم بقتل أبيه أو أخيه أو أبنه لبادر إلى ذلك من غير إبطاء (١).

خامسا: إدعائه لبعض الكرامات ، واستغلاله لسداجة من حوله في إقناعهم ، وقد سبق أن أشرت كيف استغل ابن تومرت خدعة أبي محمد البشير في قتل الكثير من معارضيه في عملية التميير والتي راح ضحيتها الكثير من الأنفس البريثة سنة ١٩٥ ه/١١٢٤ م وغير ذلك من الحيل التي زادت من مكانته في قلوب أتباعه (٢).

معارك كلامية :

في هذه الفترة التي كان ابن تومرت يبث فيها دعوته ، شهد سكان المغرب الأقصى نوعن من الحروب : الحرب المسلحة والتي تهدف إلى القضاء على سلطة المرابطين في البلاد و دفاع المرابطين عن بلادهم ، والحرب الدعائية التي أعلنها ابن تومرت ضد المرابطين محاولا هدم دعوتهم ، وبث الوهن والضعف في نفوس أتباعهم ، ورد المرابطين على هذه الحملات الكلامية التي شنها ابن تومرت ، وقد استغل ابن تومرت بعض صفات المرابطين وأطلق عليهم عدة تسميات ، فهم المحسمون الأنهم عدلوا عن التأويل وقبلوا النصوص على علاتها وأقروا الصفات لله تعالى (٣)، ولقبهم بالزراجنة ، والزرجان طائر أسود البطن أبيض الريش والمرابطون يشبهون طائر الروجان في أن قلوبهم سوداء وملابسهم بيضاء (٤) وأخيرا لقبهم بالحشم طائر الزرجان في أن قلوبهم سوداء وملابسهم بيضاء (٤) وأخيرا لقبهم بالحشم

⁽۱) المراكشي : المعجب ص ۱۹۱ .

⁽۲) ابن أبى زرع: الانيس ج ٢ ص ١٢٤ ت الفيلالى ، السلوى: الاستقصا ج ٢ ص ٩٦ .

⁽۳) البيذق : اخبار المهدى ص ۷۷ ، ابن القطان : نظم الجمان ص ۸۵ ، ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٢٩ ، د. يحيى هويدى : تاريخ فلسفة الاسلام ج ١ ص ٢٠٨ .

⁽٤) أبن القطان : نظم الجمان ص ٨٥ ، ابن الابار : الحلة السيراء ج ٢ ص ٢٢٦ ، د. حسين مؤنس حاشية .

لارتدائهم اللثام كما تفعل النساء المتحشيات (١).

ومجانب هذه التسميات ، كانت هناك المحاضرات والمناظرات التي كان ينظمها ومهاجم فيها المرابطين وذلك ما حدث فى مجاية حين أخذ مهاجم التلثم عند المرابطين وأن ذلك من فعل النساء ولا يجوز للرجال التشبه بهم مستندا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لعن المتشبهين من الرجال بالنساء^(٢) وأنه لا تجوز طاعتهم لانهم كفار ومنافقون ومتبعون الهوى ومعتدون ومفسدون وجاهلون واستشهد بالآيات القرآنية فى محاربة أصحاب الصفات ' السابقة (٣)وحفل كتابه الذي كان يدرس منه لتلاميذه وأتباعه على هيئة محاضرات بالهجوم والتنديد بصفات المرابطين حيث وصفهم بعدة علامات بلغت عشرين علامة (٤).

وأخذ يعدد هذه العلامات والصفات ، وهو في كل حربه الدعائية يتلمس أى صفة ويلصقها بهم ثم يدعمها بالآيات والأحاديث ، حيى يستسيغ الناس قبولها والإيمان مها ، وحتى تؤتى هذه الدعاية ثمرتها حفلت دروسه بالتبشير بظهور جماعة الحق التي تطهر الأرض من الفساد وبيان صفاتها ، ويعني بذلك جماعة الموحدين وكيف أن النصر سيكون دائما في دکامها(ه).

وقد واجه المرابطون هذه الحرب الدعائية من جانب الموحدين بالرد علمهم وقد استندت دعاية المرابطين إلى أن الموحدين خوارج(١)منشقين على طاعة الإمام بقصد إحداث فتنة فى البلاد ونسبوا لابن تومرت داعية الموحدين عدة آراء تخرجه من داثرة الإسلام ومنها : أن ابن تومرت يكفر الناس بالذنوب ويمنع من الصلاة على أهل القبلة ، ويقول أنه من تاب

⁽١) ابن القطان : نظم الجمان ص ٨٥ ، ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ۲۲۸

⁽٢) ابن القطان: نظم الجمان ص ٢٦٠

نفس الرجع السابق ص ٤٧ ، ٨٤ ، ٤٩

⁽۱) ابن تومرت: أعز ما يطلب ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ . (۵) نفس المرجع السنابق ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ . (٦) البيذق: أخبار المهدى ص ٧٧ ، ابن الخطيب: الحلل الموشية

من ۸۱ ،

لا يلزمه قضاء الصلاة والصيام وغير ذلك من العبادات ، ويرد المطلقة ثلاثا إلى زوجها ، واطرح مذاهب العلماء وكتبهم وخرج على الاجماع وكفر المسلمين ، واستحل الحرام المجمع على تحريمه واستحل دماء المسلمين واستحل أموالهم ، واستحل حريمهم ، وجعل أموال الناس غنيمة ، تخمس كما تخمس أموال النصارى ، وقام على الأمراء ونزع يده من طاعتهم (١) وهكذا عاش سكان المغرب الأقصى في ظل تلك الحرب الكلامية بين مؤيد للموحدين ومعارض لمم .

تطور الدعوة الموحدية :

مرت الدعوة الموحدية بعد وفاة ابن تومرت بعدة مراحل يمكننا أن نحددها فى ثلاث مراحل : _

المرحلة الأولى :

وهى مرحلة التقليد والدعم للدعوة حيث تابع الحليفة عبد المؤمن بن على بهج ابن تومرت فى نشر الدعوة الموحدية وتنفيذ تعاليمها ومبادتها ، اقتداء بالإمام وحفظا للدعوة والتي على أساسها قامت الدولة ، وكان البرنامج التعليمي الذي وضعه الحليفة عبد المؤمن للطلبة الحفاظ هؤلاء الذين تولوا المهام الإدارية بالبلاد مستمدا من تعاليم ابن تومرت ، وبجانب ذلك فقد صدرت أوامره إلى كافة الموحدين بمتابعة نشر تعاليم المهدى بلسان البربر واللغة العربية ، وإلزام كل السكان يحفظ مبادئه ومن لم يمتثل لذلك كان دمه مباحا وقد جاء ذلك في رسالته المعروفة برسالة الفصول سنة ٥٥ ه العرب ويتكلمون به أن يقرعوا التوحيد بذلك اللسان من أوله إلى آخر القول في المعجزات ، ومحفظوه ويفهموه ويلازموا قراءته ويتعهدوه ويؤمر طلبة في المعجزات ، ومحفظوه ويفهموه ويلازموا قراءته ويتعهدوه ويؤمر طلبة الحضر ومن في معناهم بقراءة العقائد وحفظها وتعاهدها على سبيل التفهم والتبين والتنبه والتبصر ، ويلزم العامة ومن في الديار بقراءة العقيدة التي ولها : أعلم أرشدنا الله وإياك .. وهي المرشدة التي ألفها ابن تومرت —

⁽١) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٠ .

وحفظها وتفهمها ، واشمل فى هذا الإلزام الرجال والنساء والأحرار والعبيد، وكل من توجه عليه التكليف إذ لا يصح لهم عمل ولا يقبل منهم قول دون معرفة التوحيد فمن لم يعرف المرسل لم يصدق بالمرسل والرسالة ، ومن حصل على مثل هذه الحالة فقد تعثر فى أذيال الضلالة ، فان لم يبادر كمل التخلص منها والانفصال بالعلم عنها ، فقد وجب عليه حكم الكتاب ولا عنت فى إراقة دمه لا محالة » (١).

وهكذا حافظ عبد المؤمن بن على ، على تراث المهدى وتابع نشر مبادئه ملوحا بأقسى العقوبة لمن يتغافل عن حفظها ودراستها ، فلما تولى الحليفة يوسف بن عبد المؤمن تابعت الدعوة مسرتها ، فى صفوف الموحدين ، وظل ابن تومرت محتفظا بمكانته والدعاء له فى المخاطبات الرسمية وغيرها من أنه الإمام المعصوم والمهدى المعلوم (٢)وفى إحدى رسائل أهل غرناطة والي يعلنون فيها مبايعتهم للخليفة يوسف بن عبد المؤمن فى سنة ٣٥ه ه/١١٦٧ م ، مدح لأهل التوحيد وأهله و أما بعد فإنه لما اختص الله تبارك وتعالى طائفة التوحيد ، بما هم عليه من العمل السديد والسبيل الحميد والسعى السعيد الرشيد اجتمعت نفوسهم ... أن يجددوا البيعة المباركة لمسيدنا ومولانا الإمام الحليقة أمير المؤمنن ... ه (٣).

والمرحلة الثانية :

مرحلة الضيق والتبرم بدعوى العصمة والاستنكار الحنى لها وقد تمثل ذلك حين تولى المنصور الموحدى ، الذى أبدى عدم اقتناعه بتلك الآراء وتبرمه بها وإنكاره لها ، وقد تجلى ذلك فى عدة مناسبات ، ومن ذلك حين زار قبر ابن تومرت فى تينملل ومعه جماعة من الغز وذلك على عادة خلفاء الموحدين فى زيارة قبره ، إذ حدثت مظاهرة فرح من التهليل والتكبير وذلك لتحقيق إحدى نبؤات المهدى ، وقابل المنصور ذلك بالاستخفاف ، يقول

⁽۱) مجموع رسائل موحدية ص ۱۳۲ (رسالة : الفصول مثبتة بتسم الملاحق) •

⁽۲) ابن مساهب المسلاة : تاريخ الن ص ۲۷۳ ، ص ۳۰۳ ، من ۳۱۰ ، من ۳۱۰ ، من

⁽٣) نَفس الرجع السابق ص ٣٤٣ .

المراكشي ٥ فلما جلس الغز على الصفة المتقدمة تحتَّها ، كان ذلك اليوم في تينملل يوما عظيما ، اتصل التكبير من كل جهة ، وجاء النساء يولولن ويضربون بالدفوف ويقلن ما معنَّاه بلسانهن : صدق مولانا المهدى نشهد أنه الإمام حقا _ وكان المهدى قد تنبأ مجلوس الغز تحت هذه الشجرة _ فأخرني من رأى أمير المؤمنين أبا يوسف حين رأى ذلك يبتسم استخفافا لعقولم ، لانه لا يرى شيئا من هذا كله ، وكان لا يرى رأيهم في ابن تومرت ١٠١١ ثم إعلانه التبرؤ من دعوى العصمة أمام أحد العلماء ، يقول المراكشي ٥ أخبرني الشيخ الصالح أبو العباس أحمد. بن إبراهيم بن مطرف المرى ونحن محجر الكعبة قال : قال لى أمير المؤمنين أبو يوسف : يا أبا العباس ، اشهد لي بن يدي الله عز وجل أنى لا أقول بالعصمة يعني عصمة ايين تومرت »(٢)وفي مناسبة أخرى حين سأله أبو العباس عن الامام فأجابه مستنكرا : أين الإمام ؟ وأين الإمام ؟ (٣).

وهكذا أنكر المنصور بعض دعاوى ابن تومرت ، إلا أن هذا الإنكار لم يكن أمام الرعية ولا جماهير الأمة ، وربما كان السبب في ذلك خشيته من تصدع بنيان الدولة وتمزقها نتيجة الطعن في الدعوة التي قامت على أسسها وتعهد جده وأبيه برعايتها وصيانتها .

والمرحلة الثالثة :

مرحلة الهجوم وهدم آراء ابن تومرت في عهد المأمون الموحدي : وإذا كان المنصور لم يملك الشجاعة الكافية في التصريح بآرائه فإن المأمون الموحدي الذي تولى الخلافة سنة ١٢٢٧/٦٢٤ م قد أعلنها صريحة من فوق المنابر مطالبا بهدم هذه الدعوى ، وموجها أشنع الصفات لابن تومرت ، فجين دخل العاصمة أوائل سنة ٦٢٧ هـ/١٢٣٠ م وبايعه الموحدون ، دخل المسجد الجامع وصعد المنبر وخطبهم قائلا : لا تدعو ــ أى ابن تومرت ــ بالمهدى المعصوم ، وادعوه بالغوى المذموم ، ألا لا مهدى إلا عيسى وأنه قد نبذنا

^{... ..}ر.ـــى - المعجب ص ٢٩١ -(٢) نفس الرجع السابق ص ٢٩١ (٣) نفس المرجع السابق ص ٢٩١،

أمره النحس ... »(١) وأتبع ذلك بإزالة إسمه من السكة ومن الحطبة ، وأزال كل الشعائر التي كان يقيمها الموحدون تبعا لتعاليم المهدى ومن ذلك زيادتهم في آذان الصبح ولله الحمد(٢) وفي نفس الوقت أعلن الرجوع إلى مدهب الإمام مالك والأخد بأحكامه (٣) وهذا الإجراء من جانب المأمون كان يهدف به القضاء على سلطة كبار رجال الدولة من أشياخ الموحدين حيث أمن بهتل مائة منهم (٤) وفي نفس الوقت التودد إلى طبقات الشعب المؤمنين بمذهب مالك والكارهين لسواه ولا يمنعهم المجاهرة برأيهم سوى خوفهم من البطش والقتل من جانب ولاة الأمر .

مذهب الإمام مالك:

كانت منطقة المغرب هدفا لكثير من المذاهب والأفكار ، ومن هذه المداهب المذهب المالكي الذي اعتنقه المغاربة وآمنوا به وتعصبوا له وصارت المالكية لها دورها المؤثر في تاريخ المنطقة في العصور الوسطى ، وقد دخل الملاهب المالكي إلى المغرب عن طريق الحجاج وطالبي العلم من الافريقين الذين توجهوا إلى مراكز العلم في مصر والحجاز ، ووجدوا بغيتهم في الحجاز حين تتلمذوا على الإمام مالك المستمسك بالكتاب والسنة والذي لا يميل إلى التخريج والتأويل كفقهاء الحنفية في العراق ، وكان هؤلاء العلماء قد عانوا من كثرة التأويلات والآراء المدهبية المختلفة التي حملها إليهم الخوارج من صفرية وإباضية ، وما صاحب ذلك من فتن وثورات نشبت على المسرح الحغرافي للمغرب ، ومن هنا صادف مذهب مالك هوى في نفوسهم لإقامته ألحنورة مهد النبوة وشدة تمسكه بالكتاب والسنة يضاف إلى ذلك ما اتسم به مذهب مالك من ميل إلى الشدة والصلابة والبعد عن أسباب الترف ، وقد وجدت تلك السات هوى في نفوس المغاربة الذين يميلون عادة إلى وقد وجدت تلك السات هوى في نفوس المغاربة الذين يميلون عادة إلى

⁽۱) السلاوى : الاستقصا ج ۲ ص ۲۳۸ ٠

⁽٢) نفس الرجع السابق جـ ٢ ص ٢٣٨ ، ابن الخطيب : الحال الموشية من ١٢٤ ، أبن الخطيب : الاحاطة ــ القسم الأول من ١٩٤ ، ٢٤ ت عنان .

⁽٣) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٠١ ٠

[·] نان الخطيب : الاحاطة ج أ م ١٩٠٠ ت عنان ·

التشدد والتمسك بما يؤمنون ، بل أمعن المغاربة فى تعصبهم لمذهبهم المحبب فمن كان مالكيا قبلوه وأحبوه ، ومالوا إليه ومن كان غير ذلك حاربوه دون هوادة (١).

حتى إذا قامت دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى دعمت ووطدت المذهب المالكى بالبلاد ، وخلال الفترة التى أعقبت سقوط دولة الأدارسة وحتى قيام دولة المرابطين دخل المذهب المالكى فى صراع مع المذاهب الأخرى من شيعة وخوارج وغير ذلك إلا أنه انتصر فى النهاية .

المذهب المالكي في الدولة المرابطية :

كان قيام دولة المرابطين نصرا للمالكية في المغرب وتأكيدا لدور علماء المالكية فالدولة أساسا هي دعوة إصلاحية استمدت تعاليمها من مذهب الإمام مالك ، ثم تطورت الحركة الإصلاحية من مجرد دعوة إلى حركة مسلحة خلصت المغرب الأقصى من البدع الضالة كبدعة برغواطة ، ووحدت المغرب الأقصى في ظل تعاليم الإمام مالك ، وقد سبق أن أشرت إلى مدى النفوذ الذي كان يتمتع به علماء وفقهاء المرابطين في الدولة ، وذلك بفضل دواسهم للمذهب وتطبيقهم لأحكامه في شي مجالات الحياة في المغرب الأقصى وذلك بفضل ولاة الأمر المالكيين وعلماء الدولة المالكية يقول المراكشي « ولم يكن يقرب من أمير المسلمين وعطماء الدولة المالكية يقول المراكشي « ولم يكن يقرب من أمير المسلمين وعظى عنده إلا من علم علم الفروع أعنى فروع مذهب مالك ، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن أحد من مشاهير أهل ذلك الزمان يعتني مهما كل الاعتناء »(٢).

وصارت الفتيا والأحكام مستمدة من مذهب الإمام مالك حتى نهاية الدولة ولا يلتفت إلى غيرها من الأحكام ، وقد أكد ذلك تلك الرسالة الصادرة من تاشفين بن على بن يوسف سنة ٥٣٨ ه/١١٤٣ م إلى أهل بلنسية

⁽١) د، حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٩٩ ، ٠

⁽٢) الراكِشني : المعجب ص ١٧٢ .

يحدد لهم فيها أن مناط الأحكام هومذهب الإمام مالك يقول فيها و واعلموا رحمكم الله أن مدار الفتيا ومجرى الأحكام والشورى فى الحضر والبدا ، على ما اتفق عليه السلف الصالح – رحمهم الله من الاقتصار على مذهب إمام دار الهجرة أبى عبد الله مالك بن أنس رضى الله عنه فلا عدول لقاض ولا مفت عن مذهبه ، ولا يأخذ فى تحليل ولا تحريم به ومن حاد عن رأيه بفتواه ومال عن الأثمة إلى سواه فقد ركب رأسه واتبع هواه (1).

وصارت المدن المغربية مراكز لدراسة المذهب المالكي وتخريج العلماء المالكيين ومن هذه المراكز مدينة تلمسان التي كانت دار اللعلماء والمحدثين وحملة الرأى على مذهب الإمام مالك (٢) وأنجبت البلاد الكثير من علماء المالكية الذين حفلت بهم المحالس والندوات ودور العلم ، وفي مقدمتهم المالكية اللذين عياض بن موسى اليحصبي السبتي المالكي ، كان إمام المالكية وقدوتهم وجامع مذهب الإمام مالك وشارح أقواله والمدافع عنه (٣) وقد برز دوره واضحا حين رفع لواء الثورة ضد عبد المؤمن بن على والموحدين ومنتصرا للمرابطين وهو في الواقع مدافع عن المذهب المالكي ضد الدعوة الموحدية ، حتى إذا اندلعت ثورة ابن تومرت ، كان من أسبابها جمود العلماء والفقهاء على علم الفروع وتركهم للاصول مع معارضهم لعلوم الكلام ، ومن هنا من ابن تومرت حربا شعواء على العلماء ولكنه لم يستطع مهاجمة المذهب المالكي الذي أصبح عقيدة ومذهبا لعامة الشعب ، وقد تحايل ابن تومرت على تعلق الناس بمذهب الإمام مالك بأن ألف لهم موطأ جمع فيه الأحاديث النبوية التي وردت في موطأ الإمام مالك بعد حذف معظم الاسناد منها للاختصار (٤) التي وردت في موطأ الإمام مالك بعد حذف معظم الاسناد منها للاختصار (٤)

المذهب المالكي في الدولة الموحدية :

حين تولى الحليفة عبد المؤ من ، اتخذ خطوة أبعد من ذلك ، وهي أمره

⁽١) د. حسين مؤنس : نصوص سياسبة عن غدرة الانتقال ص١١٢

 ⁽٢) البكرى : المغرب في ذكر بلاد الديتية ص ٧٧ .
 (٣) ابن المؤقت : السعادة الأبدية ج ١ ص ٧٧ .

⁽١) دُ، عبد الله علام : الدعوة الموحدية ص ٣٠٤ ، د، احمد مختار المبادى : دراسات في تاريخ المغرب ص ١٠٩ . (م ٣٠ ــ المضارة)

محرق كتب الفروع والاقتصار على الأحاديث النبوية (١)يقول ابن أبي زرع و ثم دخلت سنة خمسن وخسمائة فها أمر عبد المؤمن ... تغییر المنكر وتحریق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة الحديث وكتب بذلك إلى جميع طلبة المغرب والعدوة ه(٢). إلا أن علماء المالكية استمروا بمارسون نشاطهم في عهد الخليفة عبد المؤمن (٣)وابنه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (١).

حتى إذا تولى المنصور الموحدى ، صنع ما كان جده ووالده يتمنيان فعله وهو محاولة محو مذهب الإمام مالك من البلاد ، يقول المواكشي « وهذا المقصد ــ أي محو مذهب الإمام مالك ــ بعينه كان مقصد أبيه وجده إلا أنهما لم يظهراه وأظهره يعقوب هذا ٥(٥)وفى سبيل تحقيق هذا الغرض أمر محرق كتب الفروع وأن الفتاوى تعتمد على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقلدون أحداً من الأثمة المحتهدين (٦) يقول المراكشي ١ و ق أيامه ــ أى أيام المنصور الموحدي ــ انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء وأمر باحراق كتب المذهب بعد أن مجرد ما فها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ، ففعل ذلكُ ، (٧)وصَّارت كتب المذهب المالكي تجمع وتطلق فها النار ومن هذه الكتب مدونة سحنون وكتاب ابن يونس ، ونوادر أبي زيد ومختصره ، وكتاب التهذيب للىرادعي ، وواضحة ابن حبيب وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها (٨)وقد برر هذا العمل أمام من حوله من العلماء بكراهيته للخلافات التي امتلأت بها كتب الفروع ، وميله إلى

Barbor: Asurvey of North Wast p,84.

⁽١) الميلى : تاريخ الجزائر ج ٢ ص ٢٥٧ ، السلاوي : الاستقصا ج ۲ ص ۱۲۳ .

⁽٢) ابن أبي زرع: الأنيس جـ ٢ ص ١٥٤ ت الفيلالي .

⁽٣) النويرى: نهاية الأرب ج ٢٢ مجلد ٢ ص ٩٧

⁽٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ٩٢ . (٥) المراكشي : المجب ص ٢٧٩ .

⁽٢) ابن خلكان : وفيات الآعيان ج ٦ ص ١١ ، العمرى : مسالك الأبصار جـ ١٦ تسم ٢ ص ٢٢٤ ، المترى : نفح الطيب جـ ٤ ص ١٠٢

⁽٧) المراكشي : المعجب ص ٢٧٨ .

⁽٨) نفس المرجع السابق ص ٢٧٨ ، حركات : المغرب عبر التاريخ می ۳۷۶ ه

الرجوع إلى الكتاب والسنة والأخذ بظاهرهما وقد عبر المراكشي عن ذلك بالحوار الذي دار بين المنصور وأحد العلماء حين دخل عليه فوجد بين يديه كتاب ابن يونس فقال المنصور: يا أبا بكر أنا أنظر في هذه الآراء المتشعبة التي أحدثت في دين الله ، أرأيت يا أبا بكر المسألة فيها أربعة أقوال أو خمسة أقوال أو أكثر من هذا ، فأي هذه الأقوال هو الحق ؟ وأبها بجب أن يأخذ به المقلد ؟ فلما حاول العالم تفسير ذلك قاطعه بالرد الحاسم: ليس إلا هذا وأشار إلى المصحف أو هذا وأشار إلى كتاب سنن أبي داود أو هذا وكان يشر إلى السيف(١).

وهكذا استغل المنصور كثرة الخلافات في كتب المذهب كذريعة لمحاولة القضاء على المذهب . وبالتالى القضاء على نفوذ علماء المالكية الذين مجلهم عامة الشعب .

وحتى لا يترك الناس فى فراغ أمر جماعة من العلماء بجمع الأحاديث من كتب الأحاديث كالبخارى ومسلم وغيرهما فى الصلاة وما يتعلق بها وغير ذلك من أنواع العبادات وجمعها والزم الناس بدراستها وحفظها (٢) وحتى يؤكد أهمية هذا العمل ، كان يملى هذه الأحاديث بنفسه ، بالإضافة إلى رصده المكافآت والأموال لمن أقبل على حفظ هذا المجموع وأثقنه (٣).

وبجانب هذا الآجراء فانه أظهر تعظيما للمذهب الظاهرى كبديل للمذهب المالكي (٤) يقول ابن الأثير « وكان – أى المنصور الموحدى – يتظاهر بمذهب المظاهرية وأعرض عن مذهب مالك ، فعظم أمر الظاهرية في أيامه وكان بالمغرب منهم خلق كثير يقال لهم الحزمية ، منسبون إلى محمد بن حزم رئيس الظاهرية إلا أنهم مغمورون بالمالكية فني أيامه ظهروا وانتشروا »(٥)

الا ان إجراءات المنصور ضد المذهب المالكيّ وميله للمذهب الظاهري ،

⁽۱) المراكشي : المعجب ص ۲۷۹ .

٠ ٢٧٩ ، نفس ألرجع السابق ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

⁽٣) نفس المرجع السابق ص ٢٧٩٠

⁽١) ملين : عصر المنصبور الموحدي من ٢٥٥ ، عنسان : عصر المرابطين والموحدين التسمم الثاني ص ٢٤٠ ٠

⁽٥) أبن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ٢٤٥ ،

لم تفت في عضد علماء المالكية وظل علماء المذهب يكافحون في سبيل بقاء الملاهب الذي ارتبط بالشعب إرتباطآ وثيقاً ، متغلغلا في نفوسهم ممترجاً بأرواحهم ، وقد عارض علماء المالكية خطوات المنصور الم حدى ومن هؤلاء محمد بن محمد بن سعيد الانصارى الذى تابع تدريس كتب المالكية حتى أمر المنصور بسجنه في سبتة (١) ، ومحمد بن محمد بن خلف التجيبي المتوفى سنة ٥٩٣ هـ وأبو الحسين بن زرقون(٢) وقد توفى أبو بكر الحيانى المالكي نتيجة التعذيب وذلك لإصراره على التدريس بمذهب الامام مالك(٣) وكان أبو مدين المتصوف ومن حفاظ الحديث والمتوفى سنة ١١٩٧/ ١١٩٧م تأتيه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها(٤) وهكذا وقف علماء المالكية لصد هذا التيار ونجحوا فيه واستمرت المالكية راسخة البنيان في تربة المغرب الأقصى .

التطبيق العملي لأحكام الدين :

فى ظل الدعوتين المرابطية والموحدية ، حرص ولاة الأمر على تطبيق أحكام الدين ، وتنفيذ تعاليمه بين أفراد المجتمع ، والتشدد في إقامة شعائر الدين من صلاة وزكاة وغير ذلك ، وكان ذلك استجابة طبيعية لقيام الدولتين على أسس دينية ، ومن هنا وجدنا الطريق الذي الترمه الداعيان : ابن ياسين وابن تومرت ومن بعدهما من أمراء المرابطين وخلفاء الموحدين ، هو متابعة تنفيذ أحكام الدين ومؤاخذة المتخلفين بالعقاب الذي يصل إلى حد القتل ، فابن ياسين اتخذ منهجاً متشدداً في قبول المنضمين لدعوته من أبناء القبائل المختلفة إذ لا بد من إسلام جديد للعضو المنضم(٥) وحتى بتم هذا الإسلام الحديد لا بدأن يطهر من ذنوبه السابقة ، وذلك بافتراض أنه ارتكبها فيقام عليه حد الزنا وحد الافتراء وحد شارب الخمر ، وإذا أعترف

⁽۱) ملين : عصر المنصور الموحدي ص ٢٥٤ ٠

⁽٢) نفس المرجع السابق ص ٢٥٤ .

بأنه قتل أحداً فإنه يقتل^(١) فإذا ما طهر من ذنوبه أصبح صالحاً للانضام للدعوة الحديدة ، وعلم قواعد الدين والإسلام الصحيح

ولا شك أن هذا مسلك فيه الكثير من التعنت من جانب ابن ياسين ، إذ فيا اعتقد لم يسبقه أحد من الفقهاء في اتخاذ هذا المسلك بالنسبة لمن تاب وسلك الطريق الصحيح ، وربما كان مهدف من وراء ذلك إلى سبر مدى صلاحية أتباعه في تحمل مشقات الدعوة ، فإذا ما تحمل العضو التعذيب كان أقدر على تحمل أعباء الجهاد والكفاح المسلح الذي كان ركناً من أركان دعوة ابن ياسين .

فإذا ما انتقلنا إلى داعية الموحدين لموجدنا هذا التشدد ولكن بالنسبة لمن انضم إلى الدعوة فعلا وبايعه ، إذ اشترط على اتباعه السمع والطاعة ، وتنفيذ أوامره ، ومن يستجب عوقب فإن تمادى يقتل (٢) ، وكان القصد من هذا التشدد ضمان استقامة أمر الدعوة ، وجعل اتباعها قدوة لغيرهم في تنفيذ أوامر الدين .

أما الخليفة الأول عبد المؤمن فكان معظماً للدين وسنداً قوياً في تنفيذ أحكامه وتعاليمه (٣) وكان يلزم أتباعه بترك اللهو والهزل والاهمام بعلوم الدين وتطبيق أحكامه (٤) كذلك الحليفة يوسف بن عبد المؤمن كان يولى الدين اهمامه ، ومحرص على إقامة الشعائر الدينية (٥) وهكذا كان لموقف ولاة الأمر من تنفيذ أحكام الدين أثره البالغ في إلترام الرعية بأوامر الدين.

فإذا ما حاولنا أن نفصل مدى اهتمامهم بمختلف الشعائر والعبادات لوجدنا أن إقامة الصلاة وتأديتها تحتل ركناً أساسياً فى اهتمامهم وذلك باعتبارها الركن الأول من أركان العبادة بعد الشهادتين فابن ياسين كان يلزم أتباعه

⁽۱) نفس المرجعين السابقين ونفس الصفحات ، البكرى : المغرب من ١٦ ، ابن عدارى : البيان المغرب ج ٤ ص ١٦ بيروت .

⁽٢) ابن القطان: نظم الجمان ص ٢٩ .

⁽٣) النويرى : نهاية الارب ج ٢٢ مجلد ٢ ص ٩٧ ، العمرى : مسالك الابصار ج ١٦ قسم ٢ ص ٣٣٣ .

⁽٤) النويري : نهاية الأرب جـ ٢٢ مجلد ٢ ص ١٨٠ ٠

ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ٨٢ .

بالمواظبة على الصلاة وتأديتها مع الحماعة ومن تخلف عنها ضرب عشرون سوطاً ، ومن فاتته ركعة ضرب خسة أسواط (۱) وكان جهلهم بأركان الصلاة سبباً في جمع ابن ياسين أتباعه في كل صلاة حتى تصح صلاتهم (۲) وقد أدى العقاب الصارم الذى فرضه ابن ياسين إلى أن كثيراً منهم كان يدخل الصلاة بغير وضوء ، وذلك إذا حان وقتها خشية العقوبة (۳) أما ابن تومرت فإنه ألزم اتباعه بتأدية الصلوات الحمس في أوقاتها ونهاهم عن تأخيرها (٤).

وقد سلك ابن تومرت أسلوباً فريداً فى تعليم من لا يعرف من أصحابه فاتحة الكتاب حتى بمكنهم من تأدية الصلاة وقد أشار السلاوى إلى هذه الطريقة بقوله (إن طائفة من المصامدة عسر عليهم حفظ الفاتحة لشدة عجز عجمتهم ، فعدد كلمات أم القرآن ، ولقب بكل كلمة منها رجلا ، فصفهم صفاً وقال لأولهم : اسمك الحدد لله ، وللثانى : رب العالمين ، وهكذا حتى تمت كلمات الفاتحة ثم قال لهم : لا يقبل الله منكم صلاة ، حتى تجمعوا هذه الأسهاء على نسقها فى كل ركعة فسهل عليهم الأمر وحفظوا أم القرآن »(٥) وبهذه الطريقة العملية استطاع فريق من أصحابه حفظ الفاتحة وتأدية الصلاة .

وتابع الحليفة عبد المؤمن سياسة التشدد فى إلزام الرعية بإقامة الصلاة ، عيث إذا عثر على أحد فى وقت الصلاة غير مصل قتل (٧) وكان هذا الحرص من الحليفة فى السلم والحرب ، فأثناء توجه جنوده إلى إفريقية سنة ٤٥٥ه كانوا يصلون الصلوات الحمس خلف إمام واحد بتكبيره واحدة (٧) وذلك بالرغم من كثرة الحنود وصارت تأدية الصلاة وإتمامها من الأمور التي تشغل فكر الحليفة عبد المؤمن ، مما دفعه إلى إرسال منشور إلى أهل بجاية

⁽۱) البكرى : المغرب ص ١٦٩ ، ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ١٦ بيروت .

⁽٢) القاضى عياض : ترتيب المدارك جـ ٢ مجلد ٢ ص ٥٣٤ .

⁽٣) ابن عذاری : البیان المغرب ج ٤ ص ١٦ بيروت .

⁽٤) ابن القطان : الجمان ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

⁽٥) السلاوى : الاستقصاح ٢ ص ٩١.

⁽٦) النويرى :نهساية الأرب جـ ٢٢ مجسلد ٢ ص ٩٧ ، العمرى : مسالك الأبصار جـ ١٦ قسم ٢ ص ٣٣٣ .

⁽٧) الباجي: الخلاصة النقية من ٥٥ .

وسائر المدن المغربية سنة ٥٥٦ه / ١١٦٠م مطالباً دعاة الم حدين ببيان أهمية الصلاة ومتابعة الناس في تأديبها ومن تكاسل عرقب بالقتل وقد جاء فيها و وآخذوا باقامة الصلاة التي هي الكتاب الموقوت على المؤمنين ، والحكم المثبوت على كل من آمن صدًا الدين ، والناهية عن الفحشاء والمنكر على أ ماورد في الكتاب المبين ، ولاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة ، فهو ممحو من ديوان المؤمنين ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع من الوظائف والقوانس. فخذوا من قبلكم باقامة الصلاة على ما شرعت وادائها محسب ما فرضت وخدوا العوام ومن في الديار لحفظ أم القرآن ، وسورة معها وما تيسر من القرآن لتتم صلاتهم ويكمل عملهم ، ومن أضاع الصلاة وأهملها ولم يبادر إلى أداء ما فرض عليه فأجله للحين متاح ، وقتله يحكم الكتاب والسنة واجب، (١) وهكذا كان حكم القتل نصيب تارك الصلاة ، واستمر هذا الحكم في عهد الحليفة يوسف بن عبد المؤمن(٢) وقد حكى خادم الشيخ أبي يعزى المتصوف، ما شاهده، في الطريق إلى سلا وكيف أن جند الموحدين قبضوا على حماعة لم يصلوا الصلاة في وقتها ونفذوا فيهم حكم الاعدام ، وأنهم أوشكوا تنفيذ الحكم فيه لو لا أن أحد الحاضرين شهد بأنه غريب عن هذه الحاعة (٣).

أما المنصور الموحدي فإنه مجانب تشدده في إقامة الصلاة، فإنه كان يتولى إمامة الصلوات الحمس بنفسه ، واستمر على ذلك عدة أشهر (١) ومما يتصل بالصلاة الزيادة في آذان الفجر وهي بدعة استنها لهم ابن تومرت ، حيث أمر المؤذنين بأنه إذا طلع الفجر أن ينادوا ﴿ أَصْبَحَ وَالْحَمَدُ للهِ ﴾ إشعاراً بأن الفجر قد طلع (٥) وأصبحت سنة متبعة في دولة الموحدين .

وبجانب الصلاة فقد كانت هناك قراءة القرآن وقد خصص ابن تومرت لا صحابه حزباً يقرءونه في كل يوم بعد صلاة الصبح ، وبعد الفراغ من

⁽۱) مجموع رسائل موحدیة ص ۱۳۲ ، ۱۳۳ . (۲) ابن الآثیر : الکامل ج ۹ ص ۸۲ .

⁽٣) أحمد بن القاسم : المعزى في اخبار ابي يعزى ص ٥٣ ٠

⁽٤) المراكشي : المعجب من ٢٨٥ ، ابن خلكان : وقيات الأعيان ج ٦ ص ١٠ ، الميني : عقد الجمان ج ١ قسم ٢ ص ٢٣٢ ، ابن سميد: نزهة الأنظار ج ١ ص ١٨٥ ، السلاوى : الاستقصا ج ٢ ص ١٩٩ (٥) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٢٧ .

القرآن يقرءون حزباً من كتابه أعز ما يطلب ويحفظون ما فيه من تعالم (١) أما في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن فإنه أمر بقراءة حزب القرآن بعد صلاة الصبح والمغرب ويسرى ذلك في كل أنحاء الدولة (٢) .

أما الزكاة : وهي ركن من أركان الدين ، فقد بينها ابن ياسن لأتباعه وحدد مقاديرها وفقاً لأحكام الشرع ، وقضى على كل المغارم والأموال التي كانت تخالف أحكام الدين (٣) . وكذلك فعل ابن تومرت حين فرض علمهم زكاة تؤخد من أغنيائهم وترد على فقرائهم (٤) وقد اقتنى خلفاء الموحدين سياسة ابن تومرت في الاهتمام بركن الزكاة والحض علما ، وقد سبق أن تناولت في مصادر الدخل وأوضحت كيف أن الزكاة كأنت تشكل مصدراً من مصادر الدخل المالى ، وقد حرص الحليفة عبد المؤمن على حمع الزكاة ؛ وتتبع مانعها بالقتل ، اتضح ذلك في رسالته الموجهة إلى طلبة مجاية سنة ٥٥٦هـ ١١٦٠م وغيرها من المدن المغربية ، ومما جاء فيها بصدد الزكاة و وخلوا ايتاء الزكاة ، وبالكشف عن مانعها وتشخيص ممسكها أو النرر اليسير منها ، فالزكاة حق المال ، والحهاد واجب على من منع منها قدر العقال فمن تُبت منعه للزكاة فهو لا حق عن ثبت تركه للصلاة ، فمن منع فريضة كمن منع الفرائض كلها ، ومن منع عقالاً فما فوقه كمن منع الشرع كله (°)».

وإذا كان ولاة الأمر بذلوا جهودهم في دفع الشعب الالترام بأحكام الدين وتأدية فرائضه ، فإنهم لم يدخروا جهداً في محاربة أي منكر تظهر بوادره فى المحتمع ، ومن ذلك محاربتهم للخمر ، وإقامة الحد على شاربيها ، وكان مما نقمه ابن تومرت على المرابطين أن الخمر تباع جهاراً في دولتهم (١) وأعتقد أن هذه الدعوى من ابن تومرّت مبالغ فيها ، فدولة المرابطين دولة دينية ، وكان محكمها في هذه الفترة أمير المسلمين على بن يوسف وقد اشتهر

⁽١) نفس الرجع السابق ص ٢٦ ، ٢٧ .

⁽٢) الجيلاني : رسالة في ذكر من اسس مدينة ماس ص ١٢٣٠

⁽٣) ابن أبي زرع: الانيس ج ٢ مي ١٥ ت الفيلالي ، السلاوي: الاستقصا ج ٢ ص ١٠٠٠ . (٤) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٢٧٠

⁽٥) مجموع رسائل موحدية ص ١٣٣٠.

⁽٦) أبن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٤٠

بالورع والتقوى فضلا عن أن شئون الدولة المختلفة كانت خاضعة لسلطة الفقهاء والعلماء ، ومن المستبعد كما أدعى ابن تومرت أن ينتشر بيع الحمر في البلاد ، وإنما كان دافع ابن تومرت هو طعن ولاة الأمر في ديهم والحط من شأنهم . وقد حوص ابن تومرت في دروسه التي ألقاها على تلاميذه أن يخصص أجزاء في تحريم شرب الحمر وصفات الحمر المحرم وغير ذلك مما يتعلق بالحمر (۱) وفي رسالة عبد المؤمن سنة ٥٥٩ه / ١٦٠م تصريح بمهاجمة أماكن الحمر وتدميرها وقتل شاربها وبائعها (٢) وقد سبق الإشارة إلى دلك. كذلك المنصور الموحدي ، فإنه في بعض الأحيان كان ينفذ حكم الإعدام في شارب الحمر (٣) وهكذا عاش الشعب المغربي محافظاً على تأدية الفروض في شارب الحمر (٣) وهكذا عاش الشعب المغربي محافظاً على تأدية الفروض ولاة الأمر ما يردعه ويعود به إلى الطريق السليم .

المرابطون ونشر الإسلام :

تمثل جهاد المرابطين في سبيل نشر الإسلام ودعمه ، والقضاء على البدع والضلالات في حركتين : إحداهما في الشمال بأرض المغرب الأقصى حيث استطاع المرابطون القضاء على إمارة برغواطة ، والأخرى في الحنوب حيث انطلق فريق من المرابطين لنشر الإسلام في إقليم السودان .

أما الحركة الأولى فقد نجح المرابطون فى القضاء على الضلالات المنتشرة فى إمارة برغواطة تلك الإمارة التى أسسها صالح بن طريف والتى اتسمت تعاليم من أنشأها بالكفر والحروج على الإسلام وقد حدد ابن خلدون مواطنهم وكانت مواطنهم خصوصاً بن المصامدة فى بسائط تامسنا وريف البحر المحيط وسلا وآزمور وآنني وآسنى هرائ وقد اختلف المؤرخون فى أصل إمامهم فقد ذكر بعضهم أنه صالح بن طريف من وادى برباط من الأندلس فقيل لكل

⁽۱) ابن تومرت : اعز ما یطلب ص ۳۹۳ ، ۳۹۳ ، ۳۷۲ ، ۳۷۳ ، ۳۷۳ ، ۳۷۵ ، ۳۷۵ .

⁽٢) مجموع رسائل موحدية ص ١٣٣٠.

⁽٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جر ٦ ص ١١ ، السلاوى : الاستقصا

ج ٢ ص ٢٠٠ ، ابن سعيد : نزهة الانظار ج ١ ص ١٨٢ ، ١٨٣ ٠

⁽٤) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٢٠٧ ٠

من دخل فى ديانته برباطى فأحالته الىربر بألسنتها فقالت برغواطى(١) ويشير ابن خلدون أنه من قادة ميسرة (٢) أحد الثائرين بالمغرب الأقصى في القرُّن الثانى الهجري ضد سلطة الحلافة الأموية ، أما الأسباب التي دفعت طريف لإقامة إمارة برغواطة فهو الضعف السياسي الذي كانت تعانى منه منطقة المغرب الأقصى عقب ثورة ميسرة سنة ١٢٧ه / ٧٤٠م ، ومن ثم استغل طریف ومن بعده ابنه صالح ــ الذی اشتغل بالسحر وجمع فنوناً (٣) ــ جهل السكان وعدم معرفتهم بشرائع الإسلام وأعلن دينه الحديد في خلافة هشام ابن عبد الملك في سنة ١٢٧هـ / ٩٤٥م ^(٤) تحت ستار من الصلاح والزهد مع طلاقه لسان وقوة بيان ، وبذلك استطاع أن يستحوذ على عقول البربر وقلوبهم فادعى النبوة وشرع لهم تعاليم جديدة (٥) بل وألف لهم قرآناً يصوره ابن خلدون بقوله ﴿ وادعَى أنه نزل عليه قرآن كان يتلو عليهم سوراً منه ، يسمى منها سورة الديك وسورة الحمر وسورة الفيل وسورة آدم . . . وسورة آدم . . . وسورة غراثب الدنيا وفيها العلم العظيم بزعمهم حرم فيها وحلل وشرع ه(١) وحتى أنه سمى نفسه بصالح المؤمنين ويعلل البكرى هذه التسمية بقوله « وهو صالح المؤمنين الذي ذكره الله عز وجل في قرآن محمد عليه السلام في صورة التحريم "(٢).

وهكذا صحب الضعف السياسي للمغرب الأقصى قيام مناطق تسودها الانحرافات الدينية والضلالات ، وقد أخذ الأدارسة على عاتقهم محاربة إمارة برغواطة ، وذلك في شكل حملات عسكرية متتابعة ، ولكنها لم تنجح تماماً في القضاء على هذه البدعة حتى انطلق المرابطون من الصحراء صوب تامسنا وإمارة برغواطة ودارت معارك طاحنة استشهد في إحداها داعية المرابطين عبد الله بن ياسين وانتهت بالقضاء على البرغواطيين (٨) يقول ابن

⁽۱) مجهول : نبذ تاريخية في اخبار البربر ص ٧٧ ٠

⁽٢) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٠٧ ٠

⁽٣) نفس المرجع السابق ج ٦ ص ٢٠٩

⁽٤) نفس الرجع السابق ج ٦ ص ٢٠٧٠ .

⁽٥) السلاوى : الاستقصا ج ٢ ص ١٤ .

⁽٦) ابن خُلُدُون : العبر ج ٦ ص ٢٠٧٠

⁽۷) البكرى : المغرب ص ١٣٥٠ .

[﴿]٨) ابن أبي دينار : كتاب المؤنس ص ١٠٣ ٠

Terrasse: Histoire du Maroc, p. 256 - 257.

خلدون : ﴿ ثُمُّ بِدَأُ — أَى للمرابطينِ — لهم جهاد برغواطة بتامسنا وما إليها من الريف الغربي ، فزحف إليهم أبو بكر بن عمر أمير لمتونة في المرابطين من قوم، وكانت له فهم وقائع واستشهد في بعضها صاحب المدعوة عبد ألله بن ياسان الحزولى سنة خمسن وأربعائة ، واستمر أبو بكروقومه من بعده على على جهادهم حتى استأصلوا شأفتهم ومحوا من الأرض آثارهم . . وعليه " كان انقراض أمرهم وقطع دابرهم على يد هؤلاء المرابطين » (١) وهكدا حقَّت المرابطون نجاحاً بالنسبة للقضاء على الضلالات بالمغرب الأقصى ، وإقرار الإسلام ومبادئه الصحية في المنطقة .

أما حركة الجهاد الأخرى والى كانت وجهتها إلى الحنوب ، فقد تزعمها الأمير أبو بكر بن عمر حين اتجه بمجموعة من جند المرابطين إلى الحنوب ' سنة ٤٥٢ ه / ١٠٦٠م للقضاء على فتنة نشبت بن قبائل الصمحراء^(٢) وفي رواية أخرى لحهاد كفار السودان (٣) وواصل كفاحه في هذه المنطقة وخاصة بعد أن يئس من اسر داد السلطة من ابن عم، يوسف بن تاشفين الذي قبض على زمام الأمور بالمغرب الأقصى ، ومن هنا وجه نشاطه العسَّكوى إلى نشر الإسلام في إقليم غانة والقضاء على طقوس الوثنية التي كان بمارسها سكان المنطقة ، وكانت هناك قبل ذلك محاولات لنشر الإسلام في إقلم غانة وذلك عن طريق التجار الدين كانوا يتنقلون بن مناطق الشمال والحنوب إلا أنه لم تكن في شكل حركة عامة حتى استولى المرابطون على الاقليم وفتحوا عاصمتة (٤) ومنذ ذلك التاريخ أي أواخر القرن الحادي عشر الميلادي أضحت

⁽۱) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٠٩ (٢) لسان الدين بن الخطيب : أعمال الأعلام القسم الثالث ص ٢٣١

⁽٣) ابن أبى دينار : المؤنس ص ١٠٣ -

⁽١٤) د. أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي جر ٦ ص ٢٢١ ، حركات : المغرب عبر التاريخ ص ١٨٤ ، د. أبراهيم طرحان : المبراطورية غانة الاسلامية ص ٤٧ ، د. عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الاسلامية السودانية ص ٣٣ .

J. Spencer: Ahistory of islam in west Africa, p.18 J. D. Fog: An Introduction to the History of west Africa p. 21

Siddipi: DevelopemPnt of Islamic, p. 16.

حكومة غانة حكومة إسلامية ويقال أن الملك تنكامنين السوننكى قبل الدخول في الإسلام والخضوع لسلطة المرابطين ، وبإسلامه دخل عدد كبير من السكان في الإسلام (١) وهكذا وضع المرابطون نواة دولة اسلامية في غرب افريقيا نتيجة لكفاحهم في سبيل نشر الإسلام .

المتصوفون بالمغرب:

عاش فى مجتمع المغرب الأقصى خلال القرنين الحامس والسادس من الهجرة الكثير من الصالحين ، هؤلاء الذين اتخذوا التصوف منهجاً لحياتهم ، وكانت وتجمع حولهم الأتباع والمريدون ينهلون من علمهم ومعرفتهم ، وكانت الملامح البارزة لهذا التصوف : الزهد ومجاهدة النفس والإكثار من العبادة والأذكار ولم يكن تصوفاً فلسفياً (٢) يغترف من علوم الفلسفة والكلام كما حدث بالمشرق ، وامتازت هذه الفترة بوجود بعض أقطاب التصوف فى المغرب كأبي يعزى وابن العريف وعلى بن حرزهم وأبى مدين وغيرهم من المتصوفين ، واللين أصبحوا أعلاماً يقتدى بهم الأتباع ، والمريدون ويتخذون من تعاليمهم المبادئ ، وعلى هذه المبادىء تأسست تلك الطرق الصوفية التى صارت لها فها بعد تأثير فى الحياة السياسية بالمغرب فضلا عن الحياة الروحية (٣).

وشهد المغرب الأقصى مدنه وسهوله الكثير من هؤلاء الصوفية ، وقد حفل كتاب التشوف للتادلى بأخبارهم ، ومع أنهم لم يكونوا طرقاً وجماعات متميرة كما حدث فيا بعد ، إلا أن أصابعهم تركت بصاتها على صفحة الحياة المغربية حيث التي الكثير من أبناء المحتمع حولهم يعظمونهم وينزلونهم منزلة التقديس والتكريم . وأصبحوا هم الملجأ والملاذ حين تنزل بالناس أزمة أو شدة ، فحين أجدبت الأرض بفاس ، وامتنع سقوط المطر ، لحأ الناس بالشكوى إلى الشيخ أبى يعزى المتصوف الذي تضرع بالدعاء إلى الله فاستجاب الله له وأمطرت السهاء (ع) وحين أساء أحد العال إلى الناس بالظلم

⁽١) د. ابراهيم طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية ص ٤٧ .

⁽٢) رابح بونار: المغرب العربي ص ٣٣٥ .

⁽٣) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ١٩٨٠.

⁽٤) أحمد بن القاسم : المعزى في أخبار أبي يعزى ص ٦٠ مخطوط

والطغيان لحأوا إلى الشيخ أبي يعزى يشتكون له ، فما كان منه إلا أن كتب له رسالة مدده فيها بعداب الله ويأمره بالإقلاع عن الظلم(١) وهكذا صار المتصوفون رمزاً للعدالة ، يلوذ بهم الناس من ظلم حكامهم .

ولشدة تعلق الناس بهم ، رسخت فى نفوسهم قدرة المتصوفين على شفاء المرضى ومن ثم كانوا يقصلونهم لمداواة مرضاهم ومن ذلك ما رواه عبدالله ابن عيسي والمتوفى سنة ٦١٠ ه / ١٢١٣م من أنه كان مصاباً بالصرع في صغره وحار الاطباء في علاجهم ، حتى صحبته والمدته إلى أبى لقمان يرزُّجان ابن يعقوب الأسود وهو أحد المتصوفين الذي مسح بيده على رأسه فما أصابه الصرع بعد ذلك(٢) ولا شك أن الناحية النفسية لها تأثير كبير في شفائه ، وكذلك حين مرضت إحدى الجوارى بعينها ، فلم يشفها سوى لمس أبي يعزى لعينيها (٣) وغير ذلك من الروايات والأخبار ألَّى وردت عنهم والتي جعلت منهم أولياء يزُدحم الناس على أبوابهم ويقبلون أيديهم تبركاً بهم(٤)

وبجانب مكانتهم في نفوس طبقات الشعب المحتلفة ، فأنهم حظوا بالمرلة الرفيعة لدى ولاة الأمر حيث تقربوا إليهم كسباً لودهم وفى نفس الوقت تقرب للشعب الملتف حولهم ، فالأمير مزدُّلُ بن تلكان المرابطي والى تلمسان توجه إلى دار أبي محمد عبد السلام المتصوف ليتبرك به وتناول الطعام معه(٥) كما أن الحليفة عبد المؤمن طلب من أبي يعزى الدعاء له (١) وأما المنصور الموحدى فإنه أمر أن يجمع له الصالحون والمتصوفون من حميع البلاد حتى يصحبوه في حملته الكبرى في الأندلس سنة ٥٩٢ه / ١١٩٦م متبركاً بهم ناسباً إلهم النصر في معاركه(٧) وقد بلغ من تكريمه لأحد المتصوفين وهو أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي المعروف بالسبّي ، أن توجه إليه بنفسه

⁽١) نفس المرجع السابق ص ٦٥٠

⁽٢) التادلي : التشوف ص ٢١٦ .

⁽٣) أحمد بن القاسم : المعزى في أخبار أبي يعزى ص ٦٥

⁽٤) التادلي : التشوف ص ٢٢٣ . (٥) التادلي : التشوف ص ٨٨ .

⁽٦) أحمد بن القاسم : المعزى في أخبار أبي يعزى ص ٥٨ .

⁽٧) الراكشي : المعجب ص ٢٨٦ ، ملين : عصر المنصور الموحدي ص ١٤٩ .

وصعد إليه فى الجبل مع جمع من الفقهاء والصالحين للتبرك به وما زال به حتى نزل معه وحبس عليه مدرسة للعلم والتدريس وزاوية للفقراء ودارآ لسكناه بأحواز جامع الكتبين (١) وحن مرض المنصور استدعى أبا العباس السبتي المتصوف لعلاجه(٢) وهكذا حظى المتصوفون بالتكريم والرعاية من ولاة الأمر وخاصة في عهد المنصور مما دعا المراكشي إلى وصف حالهم بقوله « وانتشر في أيامه – أي المنصور – للصالحين والمتبتلين وأهل عـلم الحديث صيت ، وقامت لهم سوق ، وعظمت مكَّانتهم منه ومن الناس ، ولم يزل يستدعى الصالحين من البلاد ، ويكتب إليهم يسألهم الدعاء ، ويصل من يقبل صلته منهم بالصلات الحزيلة » (٣).

ألا أن هذه المكانة التي تمتع بها المتصوفون والتفاف الناس حولهم ، وتكريمهم لهم . أثارت حفيظة بعض الفقهاء ، ومن ثم حاولوا النيل منهم والإيقاع بهم عند ولاة الأمر ، فقد سعي قاضي المرية ابن الأسود بابن العريف المتصوف عند أمير المسلمين على بن يوسف حسداً له وغيظاً منه ، فأحضر إلى العاصمة مراكش للقاء أمير المسلمين الذي علم ببراءته فأطلق سراحه ، فما كان من القاضي إلا أن وضّع له سمّا في الطعام أفضى به إلى المو ت وكان ذلك في سنة ٥٣٦هـ / ١١٤١م (٤) أما أبو عبد الله محمد بن عمر الأصم وهو_ من متصوفی سحلماسة وتوفی سنة ٤٤٥هـ / ١١٤٧م فقد ألصقت به عدة تهم، فأمر أمير المسلمين تاشفين بن على بسجنه في فاس ثم ظهر لأمير المسلمين. براءته فأفرج عنه (٥) كذلك سعى بعض الناقمين بالمتصوف أبى يعزى فاستدعّاه الخليفة عبد المؤمن وحبسه فترة ثم أخلى سبيله حين تأكد من براءته (٦) كذلك

⁽١) أبن المؤمنة : السعادة الأبدية ج ٢ ص ٧ .

⁽٢) نفس المرجع السابق ج ٢ ص ٧ ، ٨ أحمد بن القاسم : المعزى ف اخبار أبي يعزى ص ٩٠. (٣) المراكشي: المعجب ص ٢٧٨.

⁽٤) ابن المؤتت : السعادة الأبدية ج ١ ص ١١٠ ، التنبكتي : نيل الابتهاج ص ٥٨ ، ص ٥٩ ، د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينية الرية ص ١٨٤ ، عبد العزيز بنعبد الله : معطيات الحضارة المغسربية ج ۱ ص ۱٤٥ .

⁽٥) التادلي: التشوف ص ١٣٤ .

⁽٦) أحمد بن القاسم : المعزى ص ٦ .

حين سعى بعض العلماء الحاسدين بأبي مدين شعيب المتوفى سنة ٩٩٤هـ. ١٩٩٧م المنصور الموحدي فأمر بإحضاره إلى العاصمة إلا أن المنية عاجلته(١).

وقد اتخذ هؤلاء الناقمون حججاً قوية ومن ذلك تخويفهم لولاة الأمر بنفوذ هؤلاء المتصوفين وإلتفاف الناس حولهم وتعلقهم بهم مما يخشى منه على أمن الدولة ومن ذلك ما قاله العلماء للمنصور بشأن أبى مدين للإيقاع به لا إنه يخاف منه على دولتكم فإن له شبها بالإمام المهدى وأتباعه كثيرون فى كل بلد ، فوقع فى قلبه وأهمه شأنه »(٢).

كذلك اعترض الفقهاء على اشتغال بعض المتصوفين بمداواة المرضى من النساء وعدواً ذلك خروجاً على أحكام الدين ، وأنكروا ما يصنعه أبو يعزى بالنسبة لمرضى النساء « قيل للشيخ أبى يعزى إن فقهاء فاس أنكروا عليه لمس صدور النساء والنظر إليهن ، فقال : أليس يجوز عندهم أن يلمس الطبيب تلك المواضع ويراها للضرورة فهلا عدونى واحداً من أطبائهم وقال إنما ألمس ذوات العاهات للتداوى بذلك »(٣) .

وهكذا أصبح كبار المتصوفين هدفاً لحملات بعض الفقهاء والعلماء عاولين التشكيك في إخلاصهم وإدعاء أنهم يشكلون خطراً على البلاد ، إلا أن قافلة المتصوفين ظلت تلعب دورها في حياة الشعب المغربي بفضل حب وتكريم الناس لهم .

الغيبات والتبرك في التفكير المغربي :

ص ۱۹۳ ه

وهذه النقطة إمتداد لمدى تأثير الصوفية فى حياة سكان المغرب وما يصحب ذلك من إبمان بالكرامات واعتقاد فى المعجزات ، حيث ساد التفكير المغربي وخاصة عند قيام دولة الموحدين الكثير من القصص الى تنسب خوارق ومعجزات الأصحابها والتي آمن بها الكثير من الناس ، مما كان

⁽۱) ابن مريم " البستان في ذكر الاولياء والعلماء ص ۱۱۳ ، التنبكتي:
نيل الابتهاج ص ۱۲۹ ، عباس المراكشي : الاعلام ج ۱ ص ۱۲۹ ، ۲۹۳

(۲) ابن مسريم : البسستان ص ۱۱۳ ، التنبكتي : نيل الابتهاج ص ۱۲۹ .
ص ۱۲۹ .

(۳) أحسد بن القاسم : المعزى ص ٥٤ ، التساطى : التشسوف

له أثر كبير فى حياة السكان وهذا يرجع إلى البساطة والسذاجة التى كان يتصف بها عامة السكان^(١) مع جهل بروح الإسلام وأحكام القرآن التى تقرر صراحة أنه لا يعلم الغيب إلا الله .

وظاهرة الإيمان بالخوارق والمعجزات لم تكن في الدولة المرابطية بالكثرة التي صاحبت قيام دولة الموحدين ، وهذا يرجع إلى بساطة الدعوة التي نادى بها ابن ياسين مع الترامه بأحكام الكتاب والسنة ، تضاف إلى ذلك كراهة يوسف بن تاشفين للتنجيم ومحاولة معرفة الغيب عن طريق النجوم (٢) . إلا أنه بالرغم من ذلك فقد ذكرت المراجع بعض الكرامات لعبد الله بن ياسين ومنها عثور أصحابه على الماء في سفرهم الشاق بعد انقطاع الأمل في ذلك (٢) يصور ذلك البكرى بقوله ﴿ ومما يذكرونه ولا يشكون فيه من براهين صلاح عبد الله ، أنه ذهب في بعض أسفاره فعطشوا فشكوا ذلك إليه فقال عسى الله أن يجعل لنا من أمرنا فرجا ثم سار بهم ساعة وقال لهم احفروا بين يدى فوجدوا الماء بأدنى حفر فشربوا وسقوا واستقوا أعذب ماء وأطيبه ﴾ (١٠) يعيش فها وكانت لا تسكت أبداً فلما انصرف عادت إلى نقيقها (٥) وهذه تعيش فها وكانت لا تسكت أبداً فلما انصرف عادت إلى نقيقها (٥) وهذه الكرامات التي ناسين في نفوس أصحابه حتى صار بالنسبة لهم في مرتبة الأولياء التي بالهها ابن ياسين في نفوس أصحابه حتى صار بالنسبة لهم في مرتبة الأولياء اللين بأتون بالكرامات والمعجزات .

فإذا ما عاد ابن تومرت إلى أرض المغرب استغل ما يعرفه عن سكان المنطقة من تهيئو للإيمان بالخوارق والمعجزات ، وساعده فى ذلك ذكاؤه

⁽۱) استانلي لين بول : طبقات سلطين الاسلام ص ٣٨ ، ليفي بروفنسال : الاسلام في المفرب ص ٢٥٦ .

⁽٢) أبن الخطيب : الحلل الموشية من ١٠ .

⁽٣) أبن أبى زرع: الانيس ج ٢ ص ٣٠ ، ٣١ ، ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ١٦ ، ابيروت ، لسان الدين بن الخطيب: اعمال الاعلام: التسم الثالث ص ٢٣١ ت العبادى بد

⁽٤) البكرى : كتاب المغرب ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

⁽٥) نفس المرجع السابق من ١٦٩ ، ابن ابي زرع : الانيس ج ٣ من ٣١ ت الفيلالي .

وسعة حيلته مما جعله يصل في النهاية إلى تحقيق أهدافه . وقد بدأ ذلك بإشاعة أنه مأمور بنوع من الوحى والإلهام ، وله القدرة على معرفة أخبار المستقبل وبث ذلك في نفوس تلاميذه وأعوانه(١) وحتى يؤكد هذه الصفة أخبر أصحابه بأنه أطلع على كتاب الحفر وهو كتاب منسوب إلى جعذر الصادق ومن علوم أهل البيت وفء إشارات بصفة ابن تومرت وخليفته عبد المؤمن بن على وانهما أصحاب دولة بالمغرب الأقصى وقد حان وقتها(٢) وقد تسلم الخليفة عبد المؤمن كتاب الحفر من ابن تومرت قبيل وفاته (٢) وبعد أن نجح فى نسج هالة من القدسية حول شخصه ، بدأ بنسج الأساطس حول لقائه بعبد المؤمن ، فقبيل تعرفه على عبد المؤمن كان مجلس تحت شجرة قرب ملالة بحرك شفتيه بالذكر ، وقبيل اللقاء بيوم واحد صاح فيتمن حوله قائلًا : الحمدُ لله الذي أنجز وعده ونصر عبده وأنفذ أمره وأقبل نحو المسجد وركع ركعتين ثم قال الحمد لله على كل حال قد بلغ وقت النصر وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم يصلكم غداً طالب طوبي لمن عرفه وويل لمن أنكره فلما سمع الناس غداً يصلكم طالب حاروا في أمره ﴿ اللهِ عَالَمُ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ الله وهكذا هيأ الأذهان والنفوس للتعرف على خليْفته . فلما كان الغد التَّقي إبن تومرت بعبد المؤمن بن علي في مسجد ملالة وتبعاً لرواية البيذق فإنَّ ابن تؤمرت أظهر مقدرته ومعرفته باشم عبد المؤمن ونسبه وموطنه والهد ف الذي جاء من أجله (°) أما المراكشي فإنه يذكر أن ابن تومرت خلا بعبد المؤمن وعرف أخباره ثم طلب منه البقاء معه (٢) ورواية المراكشي أقرب الي التصديق من رواية البيذق وخاصة إذا وضعنا في اعتبارنا أن البيذق تَلْمَيْدُ ابن تومرت وصاحب الخليفة عبد المؤمن فليس من المستبعد أن ينسج حولهما كثبراً من القصص والخرافات .

⁽١) ابن الفطيب : رقم الحلل ص ٥٧ ، عباس المراكشي : الاعلام ج ۲ ص ۳۷۲ .

⁽٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٩ ، السلاوى : الاستقصا ج ٢ ص ٨١ ، حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٦١ .

⁽٣) ابن أبي زرع: الاتيس ج ٢ ص ١٢١ ت الفيلالي ٠

⁽٤) البيدق : أخبار المهدى ص ٥٣

⁽ه) نفس المرجع السابق ص ۵۵ ، ۵۹ (٦) المراكشي : المعجب ص ١٨١ .

[﴿] م ٣١ - الحضارة)

ثم أعقب ذلك حملة ذكية من القصص والإشاعات التي تشير إلى قيام اللولة على أكتاف عبد المؤمن بن على وذلك بإذاعة أن العرافين تنبؤابتأسيس عبد المؤمن للدولة (١) مع إذاعة بعض الأحلام وتفسيرها بما يدعم هذه الفكرة يصاحب ذلك بعض الأحداث التي وقعت لعبد المؤمن في صغره والتي فسرت بما يناسب نفس الفكرة وهي تأسيسه للدولة (٢) وفي خلال ذلك يسرع الناس بالانضام إلى ابن تومرت ودعوته ، مؤمنين به ومصدقين لما يقول ، وابن تومرت يعمق هذا التفكير في أذهانهم ، وحتى محقق ذلك بسهولة فإنه يتجه بدعوته وأقواله إلى الجهال من الناس ، فيستميلهم ويستحوذ على عقولم كما سبق أن أشرت .

وقد بلغ من تقديس أصحابه له أن حاول بعضهم نفى صفة البشرية عنه وأنه لا يأكل ولا يشرب مما دعا ابن تومرت إلى نفس ذلك يصور ذلك البيذق « وقال -- أى ابن تومرت لأصحابه -- هنا عهد الله وعهد الرسول بيننا وبينكم على الكتاب والسنة ، فلما صنع الطعام قال الناس الإمام لا يأكل وبينكم على الكتاب والسنة ، فلما صنع الطعام قال الناس الإمام لا يأكل فله ثم قال لهم إنما أنا آكل كما يأكل الناس وأشرب كما يشرب الناس وأنا من بنى آدم يلزمهم ثم قال كلوا كما يأكل النبيون » (٣) وهكذا ارتفع الناس به عن مرتبة البشرية وننى ابن تومرت لذلك : إلا أنه أشار فى حديثه إلى أنهم يأكلون كما يأكل الأنبياء وفى هذا تلميح ممكانته الدينية ، وهذه القصص التى نسجها حول شخصه ساعدته فى إدعاء أنه المهدى المنظر والتي سبق أن تناولتها فإذا ما وجد معارضة من أصحابه فإنه يدعى بعض الكرامات لأصحابه كعجزة أبى محمد البشير وتحوله من الحهل المطلق إلى العلم المكرامات لأصحابه كمعجزة أبى محمد البشير وتحوله من الحهل المطلق إلى العلم بالقرآن والأحاديث ، ثم استغلها فى قتل كل معارض ومتشكك فى دعوته .

⁽۱) ابن خلکان : وفیات الأعیسان ج ۲ ص ۲۰٫۰ ، القلتشندی : صبح الأعشی ج ۵ ص ۱۳۲ .

⁽۲) البيذق: اخبار المهدى ص ٥٣ ، ٥٤ ، المراكشى: المجب ص ١٨٢ ، ابن خلكان: ونيات الأعيان ج ٢ ص ٤٠٢ ، السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ٩٠١ .

⁽٣) البيذق: أخبار المهدى ص ٧٣.

وهكذا استطاع ابن تومرت بذكائه ودهائه ، أن محتل مرتبة الأولياء والقديسين فى نفوس الكثير من السكان حتى كانت تفد إليه فى حياته أفواج الناس للتبرك به وطلب الدعاء منه (١) فلما مات صار قبره مزاراً يتوجه إليه الناس والخلفاء بقصد التبرك (٢).

والخليفة عبد المؤمن بن على استغل هذه القصص فى تثبيت أقدامه عند مبايعة الناس ، وهو فى ذلك يقتنى خطوات أستاذه ومعلمه ابن تومرت وذلك حين عمد إلى تربية شبل وطائر ، حتى إذا اجتمع الناس لمبايعته ، أطلق أحد أصحابه الشبل والذى صار أسدا فشى إلى عبد المؤمن وجلس مجواره ، وانطلق الطائر صائحاً بالدعاء للخليفة عبد المؤمن مما جعل الناس المجتمعين تدهش لهذه الخوارق وتؤمن بالخليفة الحديد وتسرع بمبايعته . وهكذا كان لمعرفة ابن تومرت بسذاجة الكثير من الناس وسرعة تقبلهم لما يقال الأثر المكبير فى ظهور مثل هذه الأعمال التي جرت على يد ابن تومرت وخليفته عبد المؤمن ، والتي ألهبت العاطفة الدينية لدى حماهير الشعب من إيمان بالاولياء والتبرك مهم ، والتحدث بالعديد من القصص حول معجزاتهم وكراماتهم .

العلوم الدينية والمؤلفات فمها :

كان للروح الدينية التى سادت بين سكان المغرب الأقصى منذ قيام دولة المرابطين ، مع اهمام ولاة الأمر بالدين ورجاله أثر كبير فى ازدهار العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وعلم الكلام إذ وفد على العاصمة وغيرها من مدن المغرب الأقصى الكثير من علماء الدين الأندلديين ، حيث أسهموا فى دفع حركة التأليف بالبلاد وشاركهم فى ذلك أبناء المغرب الذين أقبلوا على الدراسة والبحث مما نتج عنه الكثير من المؤلفات الدينية .

فنى مجال التفسير: زاد الاقبال على دراسة القرآن الكريم باعتباره مصدر التشريع الأول في الدولة المرابطية والموحدية ، ومن هنا أقبل عليه العلماء

⁽١) البيذق : أخبار اللهدى ص ٠٤ .

⁽۲) ابن التنفذ: الفارسية ص ١٠١ ، ١٠١ ت محمد الشاذلي ، ابن عذاري: البيان المغرب ج ٤ ص ٤٤ بيروت .

بالدراسة والبحث ومن العلماء أبو الحسن على بن محمد الغرناطي المفسر نزيل مراكش وكان عالماً زاهداً ، يجمع إليه الناس فيفسر لهم القرآن من أوله إلى آخره (۱) وأبو بكر محمد بن على المعافري السبتي عرف بابن الحوزي (۲) وعبد الحليل بن موسى الأنصاري الأوسى ت ٢٠٨ وله تفسير في القرآن (۳) ومن المؤلفات في التفسير تفسير لأبي بكر بن الحوزي السبتي (٤) ومن التفاسير التي اعتى بها المغاربة كتاب الوجير لعبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي المتوفى سنة ١٤٥١م / ١١٤٦م وفي كتابه لحص التفاسير كلها وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة (٥).

وهما يتصل بعلوم القرآن علم القراءات الذي لاقى رعاية وعناية من ولاة الأمر وقد سبق أن ذكرت كيف أن الحليفة يوسف بن عبد المؤمن كان يلزم أفراد الشعب بقراءة القرآن عقب صلاة الصبح وصلاة المغرب وممن اشهر في علم القراءات وألف فيه أبو بكر يحيي بن محمد بن خلف الهوزني الأشبيلي والمقيم بسبته توفي سنة ٢٠٢ه / ١٢٠٥م (٦) والعالم على بن محمد بن يوسف اليابري الضرير والمتوفي سنة ٢٠١٧م / ١٢٢٠م كان أستاذاً لأبناء الحلفاء في القراءة والتجويد (٧).

علم الحديث: نال علم الحديث عناية فائقة من ولاة الأمر، وهو المصدر النانى الذى اعتمد عليه المرابطون والموحدون فى أحكامهم، وكان موطأ الإمام مالك فى الدولة المرابطية مدار الدراسات المتصلة بعلم الحديث، فلما قامت دولة الموحدين صار لعلم الحديث شأن كبير حيث اهتم الحلفاء به اهتماماً كبيراً، فالحليفة عبد المؤمن أمر بحرق كتب الفروع ورد الناس إلى

⁽۱) التادلي : التشوف ص ۲۲٦ .

⁽٢) كنون : النبوغ المغربي ج ١ ص ٧٧ .

⁽٣) المنونى : العلوم والآداب ص ١٤٠٠ .

⁽٤) كنون : النبوغ المغربي جرا ص ٩٥ .

⁽٥) ملين : عصر المنصور الموحدى ص ٢٤٧ .

⁽٦) المنونى: العلوم والآداب ص ٦٦ ، ملين: عصر المنصور ص ٢٤٥ .

⁽٧) ملين : عصر المنصور الموحدي ص ٢٤٦ .

قراءة الحديث وكان ذلك فى سنة ٥٥٠ه / ١١٥٥م(١) أما الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن فإنه أمر بأن تجمع أحاديث الحهاد وجعلها مجموعة واحدة وأخد عليها بنفسه على كبار رجال الدولة (٢).

وفى عهد المنصور الموحدى صار لعلماء الحديث منزلة وصيت كبير في الدولة (٣) وقد أمر بجمع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالصلاة فى مؤلف يوزع على الناس وكان يملى ذلك المجموع بنفسه (أ) وممن اشتهر فى علم الحديث أبو الحطاب بن دحية السبتي (٥) وعبد الرحمن بن محمد بن حبيش المتوفى سنة ٨٤هـ / ١١٨٨م(٦) والقاضي عياض السبتي وكان إمام وقته في الحديث وعلوم الدين (٧) ومن مؤلفات الحديث إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض وله أيضاً مشارق الأنوار في غريب الحديث والآثار (٨) والمدارك في وصل مقطوع حديث مالك لابن عبد الحليل القصرى وشرح مقدمة صحيح مسلم وشرح الموطأ لأبن القطان(٩) وغير ذلك من المؤلفات .

علم الفقه : نشطت الحركة الفقهية في الدولة المرابطية ، وكانت تدور حول المُذهب المالكي حيث أن داعية المرابطين كان مالكي المذهب ، ومن حباء بعده من ولاة الأمر كانوا يتخذون من مذهب الإمام مالك وأحكامه مصدراً لتشريعاتهم ، ومن هنا كان الفقه المالكي هو مناط الدراسة والبحث.

فلما جاءت الدولة الموحدية ، ألف ابن تومرت كتابه الموطأ على غرار موطأ الإمام مالك بعد حذف أسانيده (١٠)وقد سبق أن أشرت إلى موقف خلفاء الموحدين من مذهب مالك وكيف أن الخليفة عبد المؤمن أمر محرق كتب

⁽١) ابن أبي زرع: الاتيس ج ٢ ص ١٥٤ ت الفيلالي ، السلاوي : الاستقصا جـ ٢ ص ١٢٦٠ ٠ (٢) المراكشي : المعجب ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ٠

⁽٣) نفس الرجع السابق ص ٢٧٨ . (٤) ملين : عصر المنصور الموحدي ص ٢٥٦ .

⁽٥) النّوني : العلوم والنّنون ص ٤٧ ، ٤٨ . (٦) ملين : عصر النصور الموحدي ص ٢٥٠ .

⁽٧) محمد بن تاويت : الأدب اللغربي ص ١٣٠٠

⁽٨) كنون : النبوغ المغربي جـ ١ ص ٩٥ ٠

⁽٩) نفس المرجع السابق ج ١ ص ١٥٩ ٠

⁽١٠) د. عبد الله علام : الدعوة الموحدية ص ٣١٤ ٠

الفروع سنة ههه وقد تناولت ذلك من قبل ، وأن هذا الموقف تكرر في عهد المنصور الموحدي حيث أمر يحرق كتب الفروع أي كتب الفقه المالكي والاكتفاء بالقرآن والحديث واستعاض عن كتب الفقه مجمع الأحاديث من كتب الأحاديث وجعلها في مجموعة يتدارسها الناس ومحفظونها ، وقد سبق آ أن أوضحت موقف بعض العلماء من هذه الحملة ضدَّ المذهب المالكي ، إ ومن أعلام الفقه في هذا العصر عبد الملك المصمودي قاضي الحماعة بمراكش وابراهيم بن جعفر اللواتى الفقيه المعروف بالفاسي وعبد الله بن أحمد خلوف الأزدى السبتي (١) ومن المؤلفات في هذا العصر الأعلام بحدود قواعد الإسلام! للقاضي عياض والتنبهات المستنبطة على الكتب المدونة له(٢) وحاشية على المدونة لأبي محمد يشكر المتوفى سنة ٥٩٨ه / ١٢٠١م(٣) وغير ذلك من المؤلفات.

علم الكلام : لم ينل علم الكلام عناية أو رعاية خلال الحكم المرابطي باعتبار أن المرابطين ، كانوأ يتخذون طريق السلف منهجاً ومسلكاً وبالتالي فإنهم لم يميلوا إلى الخوض في علوم الكلام فضلا عن تشجيع دراستها وكانوا يتهمون كل من يخوض في علم الكلام بالكفر ، وقرر الفقهاء عند ولاة الأمر من المرابطين تقبيح علم الكلام وأنه بدعة في الدين ، وربما أدى أكثره إلى إختلال فى العقائد ، ومن ثم أمروا الناس فى كل مكان نبذ الحوض فيه وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه (٤) إلا أنه بالرغم من ذلك ، وجد من درس هذا العلم وهو أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمى المعروف بالمرادى وهو أول من أُدخل علوم الاعتقادات بالمغرب الأقصى ومات سنة ٤٨٩هـ. ١٠٩٦م(٥) وقد درس على يديه أبو الحجاج يوسف بن موسى المكلبي الضريرأصله من سرقسطة وسكن مراكش ومها توفى سنة ٥٢٠ هـ/١١٢٥م(٢) حتى إذا عاد ابن تومرت إلى المغرب الأقصى أعلن حربه على حمود

 ⁽۱) كثون : النبوغ المغربي ج ۱ ص ۷٦ .

⁽٢) نفس المرجع السابق جد ١ ص ٩٤ ، ٩٥ .

⁽٣) نفس الرجع السابق ج 1 ص ١٥٩ . (٤) الراكشي : المعجب ص ١٧٢ .

⁽٥) ابن المؤمّت: السعادة الابدية جـ ٢ من ١٢١ .

⁽٦) نفس المرجع السابق جـ ٢ ص ١٢١ .

علماء المرابطين ودعا إلى دراسة علم الكلام وسمى أتباعه الموحدين ودعاهم إلى تأويل المتشابه من الآيات، ثم ألف لأتباعه كتاباً فى التوحيد وكتاباً فى العقيدة (١) وقد ألزم ابن تومرت أصحابه بتقسيم كتاب التوحيد إلى أحزاب وأن يقرأ الموحدون حزباً منه كل يوم بعد قراءة حزب القرآن (٢) وكان يشتمل على معرفة الله تعالى والعلم بحقيقة القضاء والقدر ، والايمان بما بجب لله تعالى ويستحيل عليه وغير ذلك من المرضوعات (٣) وأصبح لعلم الكلام منزلة فى الدولة نتيجة لاهمام ولاة الأمر بذلك ، وممن اشهر فى هذا العصر فى هذا العلم أبو عمرو عمان بن عبد الله السلالجي أمام أهل المغرب فى علم الاعتقاد العرض مدينة فاس ومات فى سنة ٤٢هه / ١١٦٨م (٤) وقد ألف العقيدة البرهانية فى المذهب الأشعرى (٥) ومنهم أيضاً محمد بن عبد الكريم الفندلاوى المراب الكتانى ، كان إماماً فى علم الكلام وأصول الفقه ، وقد عكف على تدريسها طول حياته وتونى بفاس سنة ٥٩ه (١١٩٨م (٢))

وهكذا ازدهرت العلوم الدينية فى المغرب الأقصى نتيجة لطبيعة الدولتين المرابطية والموحدية وقيامهما على أساس ديني .

ثانياً: الحياة الأدبية والعلمية .

كانت الحياة الأدبية والعلمية الدعامة الثانية التى أمدت الحركة الفكرية بالكثير من المعارف والعلوم ، وقد لعبت اللغة العربية دورها فى سبيل نشر المعارف المتنوعة .

انتشار اللغة العربية : صاحب نمو الحركة الفكرية بالبلاد ، انتشار للغة العربية إذ أنها لغة المكاتبات واللغة الرسمية للبلاد في معاملاتها وشئونها ، وزاد

⁽۱) النويرى : نهاية الأرب ج ٢ مجلد ٢ ص ٨٥ ٠

⁽٢) ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ٨٠٠

⁽٣) نفس المرجم السمايق ص ٨٠ ، ابن القطان : نظم الجمان ص ٢٧ .

⁽٤) التادلى: التشوف: ص ١٧٨ ، ابن القاضى: جدوة الانتباس ص ١٨٩ .

⁽a) ابن القاضى: جذوة الاقتباس ص ٢٩٠ ، كثون: النبوغ المغربي جدا ص ١٢١ .

⁽٦) د. عبد الله علام: الدولة الموحدية ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ ٠

من انتشارها ، أفواج العلماء القادمين من خارج البلاد ، والذين أثروا الحياة. الفكرية بدروسهم ومؤلفاتهم ، وكانت ثقافة ولاة الأمر تقوم على الثقافة الإسلامية ووسيلتهم فى ذلك اللغة العربية ، كما أن المناهج الدراسية التى وضعها ولاة الأمر في المؤسسات التعليمية والتي كانت تتخذ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قاعدة ومنهاجاً كانت تدرس باللغة العربية ، مما وسع من انتشار اللغة العربية لغة القرآن والدين ، يضاف إلى ذلك عامل هام شهدته البلاد في عهد الموحدين وهو مجيء العرب الهلالية إلى المغرب الأقصى واستيطانهم بعض المناطق من البلاد ، تحقيقاً لرغبة خلفاء الموحدين واحتفاظ هؤلاء البدو باللسان العربى وما فيه من مفردات وتراكيب وبلاغة في الأساليب(١) وإذا أضفنا إلى ذلك التشابه في حياة هؤلاء الأعرا ب وسكان البلاد من العربر ، لأ دركنا مدى الاختلاط والتقارب الذي حدث بين هؤلاء الاعراب وسكان البلاد مما نتج عنه انتشار للغة العربية كلغة للتخاطب والتعامل. فيها بينهم ^(٢) وقد أشار ابن سعيد إلى وجود مجموعة من قبائل البربر التي تتحدث العربية حول مدينة فاس وهم بنو يوسف وقبا لا وبهلول وزواوة و فحاصة وصناية^(٣) .

وهنا يجدر الإشارة إلى ظاهرة استخدام لغة البربر في بعض نواحي الحياة خلال الفترة الأولى لحكم الموحدين وكان لذلك عدة مظاهر وأسبا ب

أما المظاهر فهي معرفة ابن تومرت لهذه اللغة واستخدامها في حديثه الشخصى ، فأثناء عبوره وادى أم الربيع مع مجموعة من أصحابه ، طلب منه بعض المشرفين ضريبة العبور فأعلن استنكاره لذلك بلهجة البربر قائلا «أومورن ملولنين أن سُوس أواون ناك » ومعناها إنما السبيل للمسلمين ، وأنتم تقطعونها وهذا غير جائز في الشرع (٤) كما أنه كان يلقن أصحابه دعوته باللُّغة العربية .

⁽۱) الميلى: تاريخ الجزائر ج ٢ ص ١٢٤ . (٢) عبد العزيز بنعبد الله: تاريخ المغرب چ ٢ ص ٨٤ ، نفس المؤلف : وحدة المغرب العربي ص ٥٩ مجلة تطوان عدد أول سنة ٥٦ ٤ نفس المؤلف : مظاهر الحضارة المغربية ج ١ ص ٦٥ ، حركات : المعرب عبر التاريخ ص ٣٤٩ :

⁽٣) آبن سعيد: نزهة الأنظار ج ١ ص ١٨ .

⁽٤) البيذق: اخبار المهدى ص ٧٧ .

ولغة الىربر وألف لهم في ذلك بعض المؤلفات بلسان الىربر (١) يقول ابن خلدون و ثم ارتحل المهدى عنهم إلى ايكيلين من بلاد هرغة فنرل على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمسائة وبني رابطة للعبادة ، اجتمعت إليه الطلبة والقبائل ، يعلمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري وشاع أمره في مجتمعه » ^(۲).

وقد حرص الخليفة عبد المؤمن على إلزام من يعرف لغة العربر محفظ عقيدة التوحيد لابن تومرت وفهمها ومداومة قراءتها (٣) كذلك كان يشترط خلفاء الموحدين في خطباء المساجد معرفتهم بلغة البربر ، ولذا حين دخل الموحدون مدينة فاس عزلوا خطيب جامع القرويين لعدم معرفته بلغة البربر وعينوا مكانه من مجيد اللغتين : اللغة العربية ولغة البربر (١) يقول الحزنائي « والحطباء الذين خطبوا فيه ـ أى مجامع القرويين بفاس .. أولهم الحطيب أبو محمد المهدى بن عيسى وكان من أحسن الناس محلقاً وخلقاً . . فأقام مخطب مدة خمسة أشهر ثم دخل الموحدون المدينة فصرفوه عن الخطبة وقدموا مكانه الفقيه الصالح أبا الحسن بن عطية ، لأجل حفظه اللسان البربري لأنهم كانوا لا يقدمون للخطبة والإمامة إلا من كان محفظ التوحيد باللسان البربري فخطب به إلى أن توفى في ثامن من ذي القعدة سنة ٥٥٨هـ ٥(٥).

هذه بعض مظاهر اهبام داعية الموحدين ابن تومرت ومن جاء بعده في استخدام لغة البربر وعكن تعليلها بما يأتى :

١ – ان استخدام ابن تومرت للغة المحلية وهي لغة البربر حتى يستطيع أن يؤثر فى قطاع كببر من أبناء القبائل فإذا علمنا أن الدولة قامت على أكتاف قبائل الىربر لأدركنا مدى أهمية استمالتهم وضمهم للدعوة الحديدة .

٢ ــ سبق أن أشرت إلى حرص ابن تومرت على نشر دعوته بين

⁽١) ابن الخطيب : الحلل الموشية من ٨٠ ، ملين : عصر المنصور الموحدى ص ١٣ ليفى بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس ص ٢٥٨ (٢) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

⁽٣) مجموع رسائل موحدية ص ١٣٢ .

⁽٤) الْجِيلَاتِي : رسالة في ذكر من أسس مدينة ماس ص ٧٨ ، ابن التاضي : جذوة الاقتباس ص ٣٣٠

⁽٥) الجزنائي : زهرة الآس ص ٢٤ .

الحهال من أبناء القبائل ، حيث يمكن التأثير فيهم ، ولا يمكن التأثير فيهم بلغة الثقافة وهي اللغة العربية التي يجهاونها ، ومن ثم رأى ضرورة مخاطبهم باللهجة التي يعرفونها .

٣ – أن ابن تومرت حين نادى بدعوته هاجم علماء المرابطين ، وهم حملة الثقافة العربية والمتحدثين باللغة العربية ، وبالتالى فقد وقف هؤلاء العلماء منه موقفاً عدائياً وخاصة بعد إذاعته أنه الامام المعلوم والمهدى المعصوم فلم يكن أمام ابن تومرت إلا التوجه بدعوته إلى عامة الناس وكثير منهم يجهل العربية .

\$ - فى استمرار استخدام لغة البربر وخاصة فى مجال المبادىء التى التى سنها ابن تومرت ترسيخ للمبادىء فى نفوس الشعب ، بحيث لا تقوم حجة لمن يتغافل عن دراستها أو حفظها ومن ثم توقع عليه العقوبة عند إهماله وبالرغم من هذا الاهتمام الذى أولاه ابن تومرت وعبد المؤمن للغة البربر إلا أنها لم تكن ذا خطر على تيار الثقافة العربية ولغتها ، إذ كانت محصورة فى مجال الدعوة الموحدية وما يتعلق مها حتى إذا جاء المأمون الموحدى أنكر على ابن تومرت أشياء كثيرة ومنها استخدامه للهجة البربر فى دعوته (١)

الحركة الأدبية: ازدهر الأدب في هذه الفترة بنوعيه الشعر والنئر باعتباره مظهراً من مظاهر الحركة الفكرية بالبلاد، تلك الحركة التي نمت وترعرعت خلال عهد المرابطين والموحدين، وحظى الأدباء بالرعاية والعناية من ولاة الأمر كما سبق أن أوضحت، وخاصة في عهد الموحدين حيث بلغ الشعر والنثر درجة كبيرة من الرقى فني العهد المرابطي لم يحقق الأدب نمواً كبيراً، بل سار في تقدمه بطيئاً وذلك لأن ولاة الأمر القادمين من الصحراء لم يكونوا يشجعون الحركة الأدبية التشجيع الكافى حتى تنهض الصحراء لم يكونوا يشجعون الحركة الأدبية التشجيع الكافى حتى تنهض وتنقدم سريعاً، باعتبار النشأة الأولى مع توجيه اهتمامهم ناحية الدين وسيطرة الفقهاء على الأمور في البلاد، إلا أن هدا لم يمنع وجود كبار الكتاب والأدباء الأندلسيين في البلاد المرابطي أمثال أبي القاسم بن الحد وابن القبطرنة وأبي

⁽١) المنوني : العلوم والآداب ص ١٥٧ .

عبد الله محمد بن أبي الخصال وابن عبدون وغير هم واشتغل بعضهم في ديوان الكتابة بالدولة المرابطية كابن عبدون وابن أني الخصال (١) .

ولا شك أن وجودهم على أرض المغرب الأقصى قمد مهد التربة لظهور حركة أدبية نشطة في عهد الموحدين حيث از دهر في عهدهم الأدب، وصارت المحافل المغربية تمتلىء بالشعراء والكتاب ، وكان هذا ثمرة للنهضة التعليمية التي بدأت في عهد المرابطين ونمت وتقدمت في عهد الموحدين مع تشجيع خلفاء الموحدين للأدب حتى أن بعضهم كان يقرض الشعر ويناقش الشعراء كالخليفة عبد المؤمن والمنصور الموحدي ، يضاف إلى ذلك رغبة المغاربة في الوقوف على قدم المساواة مع أدباء الأندلس الذين كانوا يفتخرون عليهم عمر لهم الأدبية . (٢) مع رغبة الكثير من أبناء الأمة في الوصول إلى المناصب العليا في الدولة وهذه لم يكن يشغلها إلا من كان على قدر من العلم والأدب حتى يكون أهلا لتولى هذا المنصب أو ذاك(٣) وصاحب كل هذا تدفق أدباء الأندلس وغيرهم على البلاط الموحدى حيث العطايا الحزيلة والمنح التي كان يغدقها الخلفاء والأمراء على الأدباء ، وقد أثمر هذا كله از دهاراً ورقياً في الشعر والنثر .

أما الطابع العام والممرّ لهذا الأدب في هذه الفترة ، فلا شك أن المذهب المالكي وعلماؤه وفقهاؤه في الدولة المرابطية ، ودعوة ابن تومرت ودعاة الموحدين كان لذلك أثر في توجيه الأدب وجهة جادة ، فأبعدته عن بعض الأغراض التي تناولها أدباء المشرق كالخمريات والغزل بالمذكر وغير ذلك . مما يتنافى مع الحو الديني الذي ساد البلاد في هذه الفترة (٤) وكان يتمر بشكل عام بالبساطة والوضوح والبعد عن الزخرف والصنعة اللفظية التي برع فها أدبأء المشرق (٥).

⁽١) آنخل جنثالث : تاريخ الفكر الاندلسي ص ١٢٣ ت د. حسين

⁽٢) كنون : النبوغ المغربي ج ١ ص ١٦٤ .

⁽٣) نفس الرجع السابق ج ا من ١٦٥ . (٤) حركات المغرب عبر التاريخ من ٣٩٤ ، محمد بن تاويت : الادب المغربي ص ١٥٥

⁽٥) كُنُون : النبوغ المغربي ج ١ ص ١٦٦ ، المتونى : العلوم والفنون ص ۱۳۹ .

الشعر:

حظى الشعر باهتمام ولاة الأمر وخاصة خلفاء الموحدين حيث أجزلوا العطاء للشعراء وقربوهم إليهم وهذا يرجع إلى تذوقهم للشعر ومعانيه الحيدة ومن ثم من أجاد منهم نال الحظوة والمكانة فضلا عن المنح والعطايا فالشاعر الذي بدأ قصيدته في مدح الحليفة عبد المؤمن بقوله:

ما هز عطفیه بین البیض والآسل مثل الخلیفة عبد المؤمن بن علی أمره الخلیفة بالتوقف قائلا له حسبك ووصله بألف دینار (۱) ، وحین بدأ أحد الشعراء قصیدته فی مدح عبد المؤمن بمناسبة بنائه لمدینة فوق جبل طارق قائلاً: ما للعدا جنة أوقی من الهر ب . . ، فقال الخلیفة عبد المؤمن رافعاً صوته : إلی أین ؟ فقال الشاعر : أین المفر وخیل الله فی الطلب .

وأين يذهب من في رأس شاهقه وقد رمته ساء الله بالشهب فلما أتم القصيدة قال عبد المؤمن : بمثل هذا تمدح الخلفاء (٢) فهذا الحوار الذي دار بين الخليفة والشاعر يدل على ملكة شعرية دفعته إلى سؤال الشاعر عن بقية البيت ، وإذا كان الخليفة يكتني هنا بالسؤال ، فإنه في موضع آخر يدخل في حوار شعري مع وزيره أبي جعفر بن عطية وذلك أثناء تجولهما في شوارع العاصمة إذ أبصر الخليفة وجه جارية جميلة من خلف نافذة وحرك المنظر مشاعره ومن ثم ارتجل :

قدت فؤادى من الشباك إذ نظرت فقال أبو جعفر: حوراء ترنو إلى العشاق بالمقل. فقال عبد المؤمن: كأنما لحظها في قلب عاشقها. فقال أبو جعفر: سيف المؤيد عبد المؤمن بن على فطرب الحليفة وأجزل لوزيره العطاء (٣).

وبجانب هذه الملكة فى قول الشعر كانت هناك ملكة النقد التى تنفر من الشعر الردىء فالشاعر الذى أنشده فى احتفال جبل الفتح:

⁽۱) النويرى: نهاية الأرب ج ٢ مجلد ٢ ص ٩٥ .

⁽٢) الراكشي : المعجب ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

⁽٣) ابن ابي زرع : الأنيس ج ٢ ص ١٧١ ، ١٧١ ت الفياللي . المترى : نفح الطيب ج ٧ ص ١١٣ ، كنون : امراؤنا الشعراء ص ٢٠ .

عمض عن الشمس واستقصر مدى زحل وانظر إلى الحبل الراسي على الحبل

إنى استقر به ، أنى استقل به

أنى رأى شخصه العسالي فسلم يسزل

فقال له الحليفة عبد المؤمن : لقد ثقلتنا يارجل فأمر به فأجلس(١) فهذا التلوق الشعر مع ترحيبه بالشعراء القادمين يعطينا صورة وأضحة عن مدى ازدهار الشعر في عهد عبد المؤمن وقد بلغ من كثرة الشعراء الذين وفدوا لتهنئة المنصور الموحدي بنصر الأرك ، أن اكتفي كل شاعر بإنشاد البيتين أو الثلاثة ثم ترك قصيدته مكتوبة أمام الحليفة ، فأحدثت القصائد جداراً وحاثلاً بن الحليفة والناس من حوله لكثر تها^(٢) .

ومن هذا نلمس كيف أن دولة الشعر في عهد الموحدين ارتفعت أعلاسها وسمت مكانتها نتيجة لتشجيع ولاة الأمر .

أما أهم الأغراض التي تناولها الشعراء فالوصف والغزل والشكوى تأثرآ محياة الزهد وخاصة في عهد المرابطن^(٣) والمدح الذي كان وسيلة للتكسب مع الابتعاد عن الهجاء(٤) وقد بدأ في عصر الموحدين ظهور قصائد في المدح اَلْنَبُوي والَّتِي انتشرت بعد ذلك في الشعر المغربي (٥) .

أما بالنسبة للشعراء فقد عاش خلال فترة البحث الكثير من الشعراء والذين خلفوا لنا ثروة شعرية ، وعكننا أن نشير إلى من أقرض الشعر من ولاة الأمر باعتبار أنه مظهر من مظاهر انتعاش الشعر في هذه الفترة ، ففي الدولة المرابطية ، كان هناك الأمر أبو بكر بن ابراهيم المسوفي ، المعروف بابن تافلويت صهر أمير المسلمين على بن يوسف وكان أديباً رقيقاً مقربا للأدباء ومكرما لهم وله عدة أبيات (٦).

⁽۱) المراكشي :المعجب ص ۲۱۷ •

⁽۲) المترى : نفح الطيب ج ٥ ص ٣٠٤ ٠

⁽٣) حركات : المفرب عبر التاريخ ص ٢٥١ .

⁽٤) نفس الرجع السابق ص ٣٩٦٠ .

⁽٥) نفس الرجع السابق ص ٣٩٦ . (٦) كنون : امراؤنا الشمعراء ص ١٧ ، كنون : النبوغ المغربي ج ٣ ص ۴ ٠

أما في الدولة الموحدية ، فقد سبق الإشارة إلى تمتع الخليفة عبد المؤمن بموهبة شعرية في الحوار والنقد ، وقد رويت عنه بعض الأبيات وذلك حين ـ استنفر قبائل العرب الهلالية لمشاركته في الحهاد بالأندلس ومنها :

أقيموا إلى العلياء هوج الرواحل وقودوا إلى الهيجاء جرد الصواهل(١) والأمر أبو عمران بن عبد المؤمن ، كانت له مجموعة من الأبيات (٢) والأمير أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن الموحدى وله ديوان شعر يضم العديد من القصائد (٣)وغيرهم من أسرة الخلافة ممن أنشد الشعر .

وبجانب هؤلاء فقد حفل بلاط ولاة الأمر بالكثير منهم وخاصة في المناسبات الهامة من نصر على العدو أو ارتقاء مقعد الحكم أو تشييد وبناء وممن اشتهر فى العصر المرابطي ، أبو الفتوح بن عبد الله بن خفًّاجه الهوارىوالشاعر أحمد بن عبد الله القيسي أبي العباس الملقب بالأعمى التطيلي وغيرهم (١٤). ﴿ ﴿ إِ

أما في العهد الموحدي فهناك أحمد بن عبد السلام الحراوي ويكنَّي أبو الغباس وأصله من تادلاً (٥) والشاعر أبو عبد الله محمد بن جبوس من أهل مدينة فاس الذي أنشد الشعر لأمراء المرابطين وخلفاء الموحدين(٦)والشاعر أبو بكر بن مجير من شقورة وكان شاعر دولة بني عبد المؤمن(٧)وغير هم الكثير من الشعراء مما يضيق المقام بحصرهم .

وبجانب هؤلاء الشعراء كانت هناك الشاعرات ، وممن اشتهر بالمشاركة فى الأدب وتذوق الشعر وإنشاده من بيت ولاة الأمر فى الدولة المرابطية

⁽١) كنون : أمراؤنا الشماراء ص ١٨ ، المنوني : العلوم والفنون ص٩٥١ ، ١٦٠ كنون : النبوغ المغربي جُـ ٣ ص ١٣ .

⁽٢) ابن أبى زرع: الأنيس جـ ٢ ص ١٦٩ ت النياللي ، كنون: أبراؤنا الشعراء ص ٢٣ .

⁽٣) كنون : النبوغ المغربي ج ١ ص ١٦١ ، كنون : أمراؤنا الشعراء من ۲۷ ، ۳۱ ،

⁽٤) د. حسن محمود : قيام دولة المرابطين من ٣٥ ، ٣٦٠ .

⁽ه) ابن الآبار: التكملة صل ١٥٧ . (٦) الراكشي: المعجب ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

^{، &#}x27; ، '(٧) الحميرى : صفة جسزيرة الاندلس ص ١٠٥ ، ابن عدارى : البيان المغرب ج ٤ ص ١١٣ بيروت .

الأميرة تميمة بنت يوسف بن تاشفين ، وزينب بنت إبراهيم بن تافلويت وأختها حواء(١)أما في العصر الموحدي فقد اشتهرت الشاعرة حفصة بنت الحاج الركونية وهي من أهل غرناطة ، وكانت فريدة زمانها في الحسن والظرف والأدب ولها مجموعة من الأبيات(٢) وهكذا ازدهرت الحركة الشعرية في البلاد.

النثر:

واكب النثر الشعر فى دفع الحركة الأدبية ، حيث استعان ولاة الأمر من المرابطين والموحدين بمختلف الكتاب ، لكتابة الرسائل الرسمية ، وقد استطاع لينى بروفنسال أن مجمع مجموعة من هذه الرسائل ، ومن خلالها بمكننا أن نلمس الخصائص العامة لاسلوبها حيث تبدو فيها الصنعة واضحة مع التلاعب بالألفاظ لإظهار المقدرة والتمكن من اللغة ، أما الخطابة فقد استخدمها ابن ياسين داعية المرابطين ، وابن تومرت داعية الموحدين فى تثبيت دعوته . يضاف إلى ذلك أن المعارك التى خاضها المرابطون والموحدون ضد الفرنج استلزمت وجود الكثير من الخطباء الذين يبثون الحمية والحماس فى نفوس المقاتلين .

وبجانب ذلك كان هناك الحطباء الذين محتلون صدور المحافل والمحالس في عهد الموحدين ، فالمنصور الموحدي كان مجلب إليه الحطباء ، وكان هؤلاء يتنافسون بمحضر الحليفة في إظهار براعهم وتفوقهم وقدرتهم على ارتجال الكلام وإقناع السامعين (٣)ومن هؤلاء الحطباء محمد بن عبد العزيز بن عياش ، وسهل بن مالك وغير هما (١).

أما التوقيعات فقد برع فيها بعض ولاة الأمر حيث تركوا لنا عدة توقيعات ، تعبر عن الحاسة الأدبية التي كانوا يتمتعون بها فحين أرسل

⁽١) كنون: النبوغ المغربي جرا ص ٧٤ .

⁽۲) ابن سعید : المغرب فی حلی المغرب ص ۱۳۸ ت د. شهوتی ضیف ، المتری نفح الطیب ج ه ص ۳۰۳ ، ابن الخطیب : الاحاطة المجلد الاول ص ۴۹۹ ، ۱۰۵ ، ۵۰۱ ت عبد الله عنان .

⁽٣) ملين : عصر المنصور الموحدى ص ١٨٥٠

⁽٤) نفس الرجع السابق ص ١٨٥ .

أذفونش رسالة إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يهده فيها ويغلظ له التول ، كان رد أمير المسلمين على ظهر الخطاب « الحواب ما ترى لا ما تسمع »(۱)ومن توقيعات الخليفة عبد المؤمن على القصيدة التى أرسلها وزيره أبو جعفر بن عطيه يستطعفه : الآن قد عصيت من قبل وكنت من المسدين (۲)، ومن توقيعات المنصور الموحدى حين طلب مؤديين لأبنائه فأحضرا له وأخبر أن أحدهما محر في علمه والآخر بر في دينه وبعد اختبارهما وجدهما لا يصلحان فوقع بقوله : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ظهر النساد في البر والبحر (۳).

وبجانب ذلك فقد شجع الحليفة عبد المؤمن على قراءة قصص البطولة والعروسية المنتشرة فى ذلك العصر ومنها قصة جازية والشريف وتتناول قصة دخول العرب الهلالية إفريقية (٤) ومن أهم المؤلفات الأدبية خلال هذه الفتر : ديوان خطب لمروان بن سمجون وغنية الكاتب وبغية الطالب فى الصدور والترسل للقاضى عياض وله أيضا سر السراة فى أدب القضاة (٥) ومن المؤلفات الأدبية أيضا مختصر الأغانى للأمير سليان الموحدى ، وديوان الأدب وديوان العرب وهى الحماسة المغربية لأنى العباس الحراوى ، وديوان عتيق الفصيح المتوفى سنة ٥٩٥ ه/١٩٨٨ م والمطرب من أشعار أهل المغرب لأنى الحطاب ابن دحية وغير ذلك من الدواوين والكتب الأدبية (١).

ثقافة الأمراء وأبناء الشعب :

إذا تتبعنا الدراسات المتنوعة التي حصل عليها ولاة الأمر من أمراء المرابطين وخلفاء الموحدين ووزرائهم ثم أبناء الشعب يمكننا أن نلمس صورة

⁽۱) كنون : النبوغ المغربي ج ٢ ص ٨٩ .

⁽٢) نفس الرجع السابق جـ ٢ ص ٩٩ ، النونى : العلوم والفنون الس

⁽٣) كنون: النبوغ المفربي جـ ٢ ص ١٠٣ ، النوني: العلوم والفنون ص ٢٠٣ ، ص ٢٠٣ ،

⁽٤) د. أحمد مختار العبادى : دراسات في تاريخ المغرب ص ٣٤٣، ٢٦٠ د. أحمد مختار العبادى : البحرية الاسلامية في المغرب ص ٢٦٠

⁽٥) كنون : النبوغ المغربي ج ١ ص ٥٥ .

⁽٦) كنون : النبوغ المغربي جرا ص ١٦١٠ .

صادقة للطابع العام للحركة الفكرية التى سادت البلاد، ومن ناحة أخرى يتضح لنا سبب إهمامهم وتشجيعهم للعلم والعلماء فى دولتهم فأمير المسلمين يوسف بن تاشفين الذى رحب بالعلماء فى عاصمته كانت ثقافته دينية مستمدة من المذهب المالكى ، حيث درسه فى رباط عبد الله بن ياسين داعية المرابطين ، ولأنه قضى شطرا كبيرا من حياته فى الحهاد بالمغرب والأندلس مع ميل للزهد والتقشف وابتعاد عن مظاهر الرف التى كانت سائدة فى الأندلس ، كل هذا جعله بمنأى عن التيارات الثقافية المختلفة بالأندلس ، اكتفاء بالدراسات الدينية التى تعلمها فى الصحراء ولا شك أنه تأثر ثقافيا بتلك المجموعة من الأدباء والكتاب من علماء الأندلس ، والذين اتخذ منهم وزراء وكتابا .

وعلى العكس من ذلك ابنه أمير المسلمين على بن يوسف الذى ولد عدينة سبتة من أم نصرانيه ، وعاش فترة كبيرة من حياته بالأندلس (۱) واليا عليها من قبل أبيه ، ومن ثم استهوته الثقافة الأندلسية فنهل منها ، يضاف إلى ذلك تكريمه للعلماء وترحيبه بهم فى عاصمته ، مما أسهم فى تكوين شخصيته العلمية ، والتى استمدت أصولها من كتاب الله وسنة رسوله مع دراسة الأحكام الدينية وتفريعاتها على مذهب الدولة الرسمى وهو المذهب المالكى ، يضاف إلى ذلك علوم العربية المختلفة من نحو ولغة وأدب وغير ذلك.

فإذا ما انتقلنا إلى الدولة الموحدية وجدنا حرص خلفاء الموحدين على تزويد أنفسهم بمختلف الثقافات فالحليفة عبد المؤمن كان حريصا على تلقى العلم منذ نعومة أظفاره ، وفى رواية أن ابن تومرت هو الذى أثناه عن التوجه إلى المشرق لطلب العلم ، وأن ما ينشده سيجده عند ابن تومرت ، وصار عبد المؤمن من أحب التلاميد لابن تومرت والحليفة من بعده ، ومن هنا تنوعت ثقافته فقد كان فقها عالما بالحدل والأصول حافظا لحديث النبى صلى الله عليه وسلم مشاركا في علوم كثيرة دينية ودنيوية ، إماما في النحو واللغة والأدب والتاريخ وعلم القراءات ذاكرا للتاريخ وأيام الناس (٢) أما

⁽۱) عبد المزيز بنعبد الله : تاريخ المغرب ج ۱ ص ۱۰۸ . (۲) ابن أبى زرع : الأنيس ج ۲ ص ۱۷۰ ، ابن أبى دينار : المؤنس

ص ۱۱۲ ، ۱۱۳ ، ۱۱۳ ، العضارة)

الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ، فإن حياته بالأندلس واليا علمها من قبل أبيه قد أثرت في حياته العلمية وجعلته متنوع الثقافة حيث حظى بقسط وافر من العلوم المختلفة ، فنى مجال العلوم الدينية كان عالما بالقرآن والحديث والعلوم الشرعية (١)أو كما يقول ابن صاحب الصلاة « مستظهر للقرآن كتاب الله تعالى بشرحه فى ناسخه ومنسوخه ، قارئا لنصه ، حافظا على وقفه وإبتدائه عالما بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحيحه ومختلفه وحسنه وغريبه وبإسناده متقنا فى العلوم الشرعية والأصولية متقدما فى علم الإمام المهدى رضى الله عنه محكما لأفانين علمه الذي أملاه وأخذ منه »(٢)أما العلوم العربية من نحو ولغة وأدب فقد التَّقي بالأندلس بأثمة العلماء ومنهم الأستاذ اللغوى المتقن أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الملك المعروف عندهم بابن ملكون(٣) وكان عالمًا بأيام العرب ومَأْثُرهم ، وبجميع أخبارهم في الحاهلية والإسلام(؛) وأضاف إلى هذه الثقافات المتنوعة علم الفلسفة الذي مال إليه ورغب في دراسته وساعده في ذلك وجود أقطاب الفلسفة في عهده : ابن طفيل وابن رشد(٥)وقد عبر عن ذلك المراكشي بقوله ﴿ ثُم طمح به شرف نفسه وعلو همته إلى تعلم الفلسفة فجمع كثيرًا من أجرائها وبدأ من ذلك بعلم الطب ، فاستظهر من الكتاب المعروف بالملكى أكثره مما يتعلق بالعلم خاصة دون العمل ، ثم تخطى ذلك إلى ما هو أشرف منه من أنواع الفلسفة ، وأمر مجمع كتبها فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الأموى ١٥٠٠ .

أما المنصور الموحدى فكان عالما بالحديث والفقه واللغة مشاركا فى كثير أ من العلوم(٧)وقد بلغ درجة كبيرة من العلم حتى أن الفقهاء كانوا يرجعون

⁽۱) ابن عذاری :البیان المغرب ج ٤ ص ٧٠ تطوان .

⁽٢) ابن صاحب الصلاة : تاريخ الن ص ٢٣٣ .

⁽٣) المراكشي : المعجب ص ٢٣٧ .

⁽٤) نفس المرجع السابق ص ٢٣٧ ، السلاوى : 'الاستقصا ج ٢ ص ١٥٦ .

⁽٥) عبد العزيز بنعبد الله : تاريخ المغرب ج ١ ص ١٢٠ ، السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ١٥٦ ،١٥٧٠ .

⁽٦) ألمراكشي : المعجب ص ٢٣٨ .

⁽٧) ابن أبي دينار : المؤنس ص ١١٤ ، ابن التاضي : جذوة الاتتباس ص ٣٤٨ ، ابن التاضي : جدوة الاتتباس ص ٣٤٨ ،

إليه في الفتاوي والاسترشاد برأيه ، يقول المقرى ﴿ كَانَ ﴿ أَيُ المُنْصُورِ ۗ الموحدى ــ يجيد حفظ القرآن ، ويحفظ فنون الأحاديث ، ويتقنها ويتكلم فى الفقه كلاما بليغا ، وكان فقهاء الوقت يرجعون إليه فى الفتاوى ، وله فتاوی مجموعة حسما أدى إليه اجتهاده(۱⁾ه ومما ساعد فى تكوين الرغبة العلمية عندهم ، أنهم كانوا ينشئون تنشئة علمية ، حيث حرص خلفاء الموحدين على استدعاء العلماء المشهورين لتأديب أبنائهم وتثقيفهم ومن هؤلاء العلماء ، أحمد بن حسن بن سيد الحراوي المالقي من كبار النحاة والأدباء بالأندلس وكان شاعرا كاتبا بليغا استدعاه الخليفة عبد المؤمن ليؤدب أبناءه(٢) والعالم أحمد بن عبد الحليل بن عبد الله والمعروف بالتدمىرى ، كان عالما بالعربية واللغة والأدب وقد استأدبه عبد المؤمن لبنيه (٣) أما المنصور الموحدى فكان مختر بنفسه أساتذة أبنائه ليتأكد من علمهم وسعة ثقافتهم ، فإذا ثبت عكس ذلك أبعدهم ومن ذلك أنه بعث لبعض عماله طالبا مؤدبا لأبنائه ، فأرسل إليه العامل عالمن ورسالة نخبره فها بأنه قد بعث إليه رجلس أحدهما محر في علمه والآخر بر في دينه ، فلما امتحهما لم يرضياه فوقع على ظهر كتاب العامل : ظهر الفساد في البر والبحر (٤)، وممن اشتغل بالتدريس لأبناء المنصور عبد الله بن أحمد بن محمد اللخمى بن علوش أستاذ التجويد والقراءات والعربية والآداب (٥) وعبد الله بن سلمان بن حوط وكان يلقنهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمرنهم على إنشاء الحطب وتحبير الرسائل وقرض الشعر (٦).

وبجانب هذه الدراسات الحاصة فى قصر الحلافة كانوا يحضرون فى المدرسة التي أنشأها الخليفة عبد المؤمن والتي وضع لها برنامجا دينيا وإداريا

⁽۱) المقرى: نقح الطيب جرى ص ۱۰ . (۲) عباس المراكشى: الاعلام جرا ص ۲۲۲ . (۳) ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة ص ۸۰ ، ۸۱ ابن القاضى: جذوة الاقتباس ص ٦٩ ، عباس المراكشي الأعلام جـ ١ ص ٢٢٣ .

⁽٤) الزركشي : تاريخ الدولتين ص ١٠ أ أبن ابي دينار : كتاب المؤنس ص ١١٧ ، ملين : عصر النصور الموحدي ص ١٧١ ،

⁽a) ماين : عصر المنصور الموحدي ص ١٧٠ .

⁽٦) ملين : عصر المنصور الموجدي ص ١٧٠ .

وعسكريا وكان الخليفة عبد المؤمن يأمر أبناءه بملازمة أشياخ البلاد من الفقهاء والطلبة والكتاب والشعراء ومذاكرتهم وقراءة القرآن وعقائد الإمام المهدى وحفظها وحفظ التوحيد العربى والغربى (١).

أما الوزراء فقد كان معظمهم من أبناء الأندلس المشهورين بالعلم والأدب كابن عبدون وابن عطيه وابن ألى الحصان وهم من كبار الأدباء (٢) ومنهم أيضا الوزير مالك بن وهيب وزير أمير المسلمين على بن يوسف ، وكان على علم ودراية بفنون القول والعلوم المختلفة وله عدة مؤلفات (٣) وقد وصفه ابن يشكوال بقوله و أحد رجال الكمال والارتسام بمعرفة العلوم على تفاريعها وعلومها .. وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية وتوفى بمراكش سنة وعلومها .. وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية وتوفى بمراكش سنة المحلوم ه م (٤) و هكذا كانت الطبقة الحاكمة فى البلاد طبقة مثقفة بالعلوم الإسلامية .

فاذا ما انتقلنا إلى الدراسات والعلوم التى كان يتعلمها أبناء الشعب لوجدنا تنوعا فى المناهج الدراسية وذلك تبعا للمعهد العلمى الذى تدرس فيه وإن كانت جميعها تتخذ العلوم الدينية من تفسير وحديث أساسا ومنهاجا فيا يدرسه الفرد فنى المكتب كان الطالب يحفظ القرآن مع الإلمام بالقراءة والكتابة(٥).

أما الدراسة فى الرباط فكانت تفسير القرآن والحديث والفقه وشعر المواعظ والأناشيد الدينية وذلك كله بطريقة مبسطة (٦).

أما في المساجد فكان المذهب المالكي وكتبه هو محور الدراسة في المساجد

⁽١) ابن التطان : نظم الجمان ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

⁽٢) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٢٠٥٠ .

⁽٣) محمد عثمان المراكشى : الجامعة اليوسيفية من ١٧٤ ، ١٧٥ ، د. أجمد مختار العبادى : دراسات في تاريخ المغرب من ١٥٤ ،

J. F. p. Hopkins: Medieval Muslim, p.7

⁽٤) ابن بشكوال : الملة ج ٢ ص ٨٧٥ .

⁽٥) المنونى : العلوم والآداب ص ٢٢ .

⁽٣) الكعاك : بمحاضرات في مراكز الثقافة ص ؟؟ ، محمد بن تاويت و د. محمد الصادق : الأدب المغربي ص ٥٥ .

فى العهد المرابطي عانب العلوم الدينية الأخرى(١). فنى التفسير كان تفسير الطبرى لاشهاره بين المغاربة ، وفى الحديث موطأ الإمام مالك بن أنس وصحيح مسلم وشرح أبى الفضل عياض اليحصبي صاحب الشفاء والمدارس في تراجم أصحاب مالك ، أما في الفقه والأصول فكتب المذهب المالكي وكتب أبى الوليد الباجي أما في النحو واللغة فالمعول به على كتاب سيبويه والإيضاح للفارسي ، وفي اللغة فالمعتمد فيها المخصص والحكم لابن سيدة وغير والإيضاح للفارسي ، وفي اللغة فالمعتمد فيها المخصص والحكم لابن سيدة وغير ذلك من الكتب (٢) فلما جاء الموحدون ، اهم دعاتهم بنشر أفكار المهدى وكتبه وبجانب ذلك دراسة كتب الأحاديث ومنها الموطأ والترمذي مجانب سائر العلوم الأخرى (٣).

أما المدارس التي أنشأها خلفاء الموحدين فكان البرنامج الدراسي في مدرسة العاصمة وهي التي أسسها الحليفة عبد المؤمن بن على تشتمل على دراسة نظرية تقوم على حفظ القرآن وتفسيره من الكتب الدينية ، ودراسة وحفظ تعاليم المهدى وذلك بدراسة موطأ الإمام ابن تومرت وحفظه ، وحفظ صحيح مسلم ومجانب ذلك كانت هناك دراسة عملية وهي تدريهم على ركوب الحيل والرمى بالسهم والقوس والعوم في محيرة صنعها لهم (٤).

ويرجح أن هذا المنهج كان متبعا فى بقية المدارس وخاصة ما يتصل بالمنهج النظرى من حفظ وفهم لمبادىء ابن تومرت ومؤلفاته وقد أكد ذلك تلك الرسالة الصادرة من الحليفة عبد المؤمن فى سنة ٥٥٦هم / ١١٦٠م إلى أهل مجاية وفيها يكلف الدعاة بأخذ الدارسين بفهم وحفظ كتب ابن تومرت وقد جاء فيها « ويؤمر الدين يفهمون اللسأن الغربي – أى لغة البربر ساويتكلمون به أن يقرووا التوحيد بذلك اللسان من أوله إلى آخر القول فى المعجزات ،

⁽۱) عبد الهادى التازى: أحد عشر قرنا في جامعة القروين ص

⁽٢) الكعاك : محاضرات في مراكز الثقافة ص ٨٨ ، ٩٩ .

⁽٣) عبد الهادي التازي : أحد عشر ترنا ص ١٥٠ .

⁽٤) ابن مساحب المسلاة : تاريخ المن ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ابن القطان : نظم الجمان ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ابن القطيب : الحلل الموسية ص ١١٤ ، المنونى : العلوم والآداب ص ٢٣ .

ويحفظوه ويفهموه ويلازموا قراءته ويتعهدوه ، ويؤمر طلبة الحضر ومن فى معناهم بقراءة العقائد وحفظها وتعاهدها على سبيل التفهم والتبين والتنبه والتبصر ويلزم العامة ومن فى الديار بقراءة العقيدة التى أولها : اعلم أرشدنا الله وإياك .. وحفظها وتفهمها واشمل فى هذا الإلزام الرجال والنساء والأحرار والعبيد وكل من توجه عليه التكليف إذ لا يصح لهم عمل ولا يقبل منهم قول دون معرفة التوحيد (1).

المواد الثقافية :

لعبت العلوم الدينية والتي سبق أن تناولتها دورها فى تزويد أفراد الشعب بالثقافة الدينية ، وبجانب هذه العلوم ، كانت هناك علوم أخرى شاركت فى عملية التثقيف ، وأسهمت فى تكوين التفكير المغربي بما أمدته من معارف ومن هذه العلوم اللغة والنحو والتاريخ والسير ، وعلم الحغرافية والفلك وعلم الرياضيات وأخرا علم الفلسفة .

اللغة والنحو:

نال علم اللغة عناية خاصة من الدارسين بالمغرب باعتباره العلم الموصل لمعرفة أسرار اللغة العربية ومعانيها ، وقد دفعهم إلى ذلك أن اللسان الغالب عبر القرون السابقة هو لسان البربر واللهجات المحلية ، ومن ثم أقبلت الرعية منذ وقت مبكر على دراسة علم اللغة . وازدهرت هذه الحركة وآتت ثمارها في عهد المرابطين والموحدين (٢) وظهر في هذا العصر الاخويون المعنيون محفظ متن اللغة والباحثون في مسائلها (٣) ونشطت المباحث اللغوية ، وكثرت المؤلفات فيها ، وممن اشتهر من علماء اللغة في هذه الفترة ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام اللخمي السبتي المتوفي سنة ٥٥ ه م / ١٩٦١ م وله عدة مؤلفات لغوية منها : رسالة في تقويم لحن العامة وشرح الفصيح لثعلب والفصول وألجمل في شرح أبيات الحمل وغير ذلك من المؤلفات (٤) وأبو القاسم والحمل في شرح أبيات الحمل وغير ذلك من المؤلفات (٤) وأبو القاسم

⁽أ) مجموع رسائل موحدية ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

⁽٢) حركات : المفرب عبر التآريخ ص ٣٩١ .

⁽٣) كنون: النبوغ المغربي جرا ص ١٢٧٠

⁽۶) حركات : المفرب عبر التساريخ ص ۳۹۲ ، كنون : النبوغ المغربي ج ۱ ص ۱۲۸ .

السهيلي المالتي الذي نزل بمراكش وأقام بها وله عدة تحقيقات لغوية(١) وغير هؤلاء من العلماء .

أما النحو فقد نال عناية ورعاية باعتباره أداة تقويم اللسان ، وقد اهم ولاة الأمر بإحضار المؤدبين لأبنائهم وتربيهم على النطق الصحيح وفهم قواعد اللغة وظهر في هذه الفترة عدد من النحاة الذين كان لهم مقام كبر وألفوا مجموعة من الكتب التي تنبيء عن علو محدوهم ومهارتهم (٢) وصاحب ذلك وجود عدة مدارس نحوية بالمغرب الأقصى على نمط ما حدث بالمشرق ، وكانت كل مدرسة لها بعض الآراء الحاصة التي انفردت بها فكانت هناك مدرسة فاس ومدرسة تلمسان ومدرسة سبتة وغيرها من المدارس النحوية التي انتشرت في طول البلاد وعرضها (٣) وممن اشتهر في علم النحو أبو موسى الحزولي عيسي بن عبد العزيز من مراكش والتي توفي بها سنة ١٦٠ هـ الحزولي عيسي بن عبد العزيز من مراكش والتي توفي بها سنة ١٦٠ هـ متبحرا في النحو وله عدة مؤلفات (٤) وابن معط (٥) وأبو بكر بن محمدبن عبد الله وكان متبحرا في النحو وله عدة مؤلفات وقد عظمت منزلته عند الحليفة المنصور

أما أشهر المؤلفات النحوية: المقدمة لأبى موسى الحزولى ، وله أيضا شرح أصول ابن السراج ومختصر الفسر لابن جنى والألفية لابن معط وغير ذلك من المؤلفات (٧).

التاريخ والسير:

حفلت هذه الفترة بالكثير من المؤرخين اللدين أرخوا للدولة المرابطية والموحدية إلا أن كثيرا من هذه المؤلفات فقدت ، وقد تعرضت بعض هذه

⁽١) كنون : النبوغ المغربي جـ ١ ص ١٢٨ ٠

⁽٢) نفس المرجع السابق ج ١ ص ١٢٦٠ .

⁽٣) نفس المرجع السابق ج ١ ص ١٢٦٠

⁽٤) حركات : المغرب عبر التاريخ ص ٣٩٢ ، كنون : النبوغ المغربي

ج ١ ص ١٢٦ ٠ (ه) كنون: النبوغ المغربي ج ١ ص ١٢٦ ٠

⁽٦) أبن سعيد : المغرب في حلى المغرب ج ١ ص ١١١ ، ١١٢ .

⁽٧) كنون : النبوغ المغربي جد ١ ص ١٦١ ٠

المؤلفات لتاريخ البلدان كأخبار البصرة وأخبار سجلماسة وأخبار نكور لمحمد بن يوسف الوراق^(١)وتناول بعضها التاريخ العام للدولة كتاريخ الدولة اللمتونية لابن الصبرفي وهو مفقود وكتاب المدارك في التعريف بأعلام مذهب مالك للقاضي عياض(٢).

أما فى العصر الموحدى فكانت هناك مجموعة من المؤلفات التاريخية الهامة والتي سأتناولها بإذن الله بالشرح والتحليل في قسم الملاحق ويأتى في مقدمتها المعجب فى أخبار المغرب لعبد الواحد بن على التميمي المراكشي ، ونظم الحمان لابن القطان ، وتاريخ المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة الذي ألف كتابه فى تاريخ المغرب بعامة ودولة الموحدين مخاصة اعترافا منه بفضل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ، يقول ابن صاحب الصلاة بعد دخوله هو ومجموعة من العلماء إلى مجلس الخليفة يوسف بن عبد المؤمن لا وأمر – أى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن – لكل واحد منا بما أمله من إنعام وخصى منهم بظهير ــ بمعنى المرسوم الملكى ــ كريم ومواساة معها أعانتني على الزمان الذميم ، وأغنتني عن اللئام .. فحق على العبد تدوين سعد أيامه وتعيين الزمان بنصر أعلامه وإمامته (٣)وهكذا كان تكريم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن دافعا لابن صاحب الصلاة للتأريخ لدولتهم وكتاب أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين لابي بكر بن على الصنهاجي الملقب بالبيذق وغىر ذلك من المؤلفات والتي تناول فمها المؤرخون الكثير مما يتعلق بأخبار هذه الفترة .

علم الحغرافية والفلك :

لمع في هذه الفترة بعض الحغرافيين المغاربة الذي مزجوا بين علم الحغرافية والتاريخ ويأتى في مقدمة هؤلاء أبو عبد الله محمد الادريسي والمولود بسبتة سنة ٤٩٥ ه / ١١٠٢ م وقد ألف كتابه المشهور بنرهة المشتاق(٤)وكان الإدريسي يجمع بين عدة ثقافات أهمها الجغرافية والأدب

⁽١) نفس المرجع السابق ج ١ ص ١٣١ .

⁽۲) نفس المرجع السابق ج ١ ص ١٣١ . (٣) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن ص ٢٩ ، ٢٠٠ .

⁽٤) حركات : ألمغرب عبر التأريخ ص ٢٤٧ .

وقد قام برحلة جاب فيها الأندلس ومصر وإفريقية ومناطق المغرب المختلفة ، بالإضافة إلى بعض البلاد الأوربية والآسيوية ثم وضع كتابه نزهة المشتاق بعد بحث وسفر دام خمسة عشر عامالا). ويعد له في الأهمية كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول وكان معاصرا لدولة الموحدين وقد تحدث عن المنطقة كشاهد عيان لها وسوف أتناوله بإذن الله بالتفصيل في قسم الملاحق ، يضاف إلى ذلك كتاب المعجب للمراكشي والذي تضمن معلومات تاريخية هامة وأدبية ومجانب ذلك تضمن أيضا بعض المعلومات الحغرافية عن المغرب الأقصى والأندلس .

ومما يتصل بذلك اشتغال بعض المغاربة بعلم الفلك والنجوم وممن برع في ذلك الوزير مالك بن وهيب وقد أذاع ابن تومرت بن أصحابه إطلاعه على كتاب الحمر مع معرفته بعلم النجوم وما يتصل بها ، وقد بني المنصور الموحدي سنة ٩٢، ه في المسجد الحامع بأشبلية برجا عاليا ليكون مرصدا(٢)

علم الرياضيات :

دعت حاجة البناء والتعمير التي شهدتها المنطقة إلى تخصص بعض العلماء في دراسة علوم الهندسة والحبر والحساب حتى يسدوا النقص الموجود بالبلاد وقد استعان بهم ولاة الأمر في عمليات البناء الكثيرة التي تمت بجانب استعانهم بالمهندسين والفنيين من الأندلس (٣) ومما يدل على البراعة الهندسية التي وصل إليها العلماء في ذلك العهد تلك المقضورة الميكانيكية التي صممها العلماء في عهد الحليفة عبد المؤمن بالمسجد الحامع لنضم الحليفة وحاشيته أثناء الصلاة ثم تزفع بحركة هندسية بعد الانتهاء منها ، بالإضافة إلى أنواع المبائي الأخرى كالمستشفيات والحسور وغيرها .

وممن اشتهر فی علم الریاضیات أحمد بن الحسن بن أحمد بن حسان القضاعی أصله من بلنسیة واستقر بفاس وتوفی بها سنة ۲۰۰ ه / ۱۲۰۳ م ،

^{ُ (}۱) نفس المرجع السابق ص ۲۶۸ ، كلون : النبوغ المغربي ج ۱ ص ۱۶۳ .

⁽٢) أشباخ: تاريخ الأنطس ج ٢ ص ٢٥٩ ، ٢٦٠

Julien: Histoire du I' Afrique du Nord, p.88 (Y)

وكان عالما بالهندسة وسائر التعاليم من الحساب^(۱)والعالم أبو محمد عبد الله بن محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين وهو من أهل مدينة فاس كان عالما في الحساب وقد خدم المنصور الموحدي وابنه الناصر وله أرجوزة في الحبر وتوفي سنة ٢٠١ ه / ١٢٠٤ م (٢)وكذلك العالم عبد المنعم بن أحمد من أهل مراكش وكان عالما بالحساب وأخذ عنه (٣)وغير هؤلاء ممن خدموا في بلاط الدولة ، أو قاموا بالتدريس للرعية ومن المؤلفات الرياضية في هذه الفترة . جامع المباديء والغايات في علم الميقات للحسن المراكشي ، وله أيضا كتاب في للقطوع المخروطية ، كذلك أرجوزة الحبر لابن الياسمين (٤)وغير ذلك من المؤلفات .

علم الفلسفة:

لم تزدهر الفلسفة فى دولة المرابطين باعتبار أن مجتمع المرابطين كان مجتمع الفقهاء والعلماء الذين يلترمون بأحكام الدين ويتشددون فى تنفيد مبادئه وتعاليمه ، ومن هنا اتجهت الدراسات فى معظمها وجهة دينية سواء من أمراء المرابطين أو الفقهاء والعلماء ، وقد سبق أن أشرت إلى قيام الفقهاء بالتأثير على أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين حتى أمر بإحراق كتاب الإمام الغزالى وذلك لاشهاله على علم الكلام المخالف لمبدأ الدولة ، ومن هنا لم تحظ الفلسفة ولا الفلاسفة بالرعاية والعناية ، وإن كان قد وجد فى هذا العصر من الفلسفة ولا الفلاسفة بالرعاية والعناية ، وإن كان قد وجد فى هذا العصر من على بن يوسف حيث وصفه ابن بشكوال بقوله « أحد رجال الكال والإرتسام معرفة العلوم على تفاريعها وأنواعها إلا أنه كان أضن الناس بها » (٥) وأعتقد معرفة العلوم التى ضن بها ولم يظهرها علم الفلسفة حيث موقف العلماء المتشدد يدعم ذلك ما ذكره المراكشي من أنه قد شارك فى جميع العلوم إلا أنه كان يدعم ذلك ما ذكره المراكشي من أنه قد شارك فى جميع العلوم إلا أنه كان

⁽۱) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ۷۱ .

⁽٢) نفس الرجع السابق ص ٢٣٧ ، مجهول : الذخيرة السنية ص ٣٩ .

⁽٣) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

⁽٤) كُنُون : النبوغ ألمغربي جراً ص ١٦١٠

⁽٥) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٨٧٠ .

لا يظهر إلا ما يتفق في ذلك الزمان(١)وقد خدم أيضا في البلاط المرابطي الفيلسوف أبو بكر بن باجة وهو أندلسي الأصل ، وقد نشأ في البيئة الأندلسية التي تسمح له ولغيره دراسة شتى العلوم والمعارف .

حتى إذا جاء ابن تومرت بدعوته التي تدعو إلى التحرر الفكرى ومحاربة الحمود العقلي ، انطلقت الفلسفة من عقالها ، وازدان البلاط الموحدي بكبار الفلاسفة وخاصة في عهد الحليفة يوسف بن عبد المؤمن ، وقد ارتبط ازدهار الفلسفة في البلاد وانزوائها بموقف خلفاء الموحدين منها ، فني عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ازدهرت الفلسفة بفضل تشجيع الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الذي سمت نفسه إلى دراسة الفلسفة وعلومها(٢) يقول المراكشي « ثم طمح به شرف نفسه وعلو همته إلى تعلم الفلسفة فجمع كثيرا من أجزائها ، وبدأ من ذلك بعلم الطب فاستظهر من الكتاب المعروف بالمالكي أكثره ، مما يتعلق بالعلم خاصة دون العمل ، ثم تخطى ذلك إلى ما هو أشرف منه من أنواع الفلسفة وأمر مجمع كتبها ، فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الأموى ٣٥٠ وقرَّب إليه الفلاسفة ، وكان بجرى علمهم المرتبات من خزانة الدولة ، فالفيلسوف أبو بكر محمد بن طفيل أحد فلاسفة المسلمين كان من المقربين للخليفة يوسف بن عبد المؤمن ، وكان ابن طفيل يأخذ مرتبا مع غيره من موظني الدولة(٤)وكان الخليفة محتجزه في قصره أياما ليلا ونهارا وذلك لحبه له ورغبته في مناقشته (٥)وفي الحوار الذي دار بن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن والفيلسوف ابن رشد بمحضر من ابن طفيل ما يدل على سعة اطلاع الحليفة في العلوم الفلسفية حتى أن ابن رشد علـَّق على ` ذلك بقوله « فالتفت – أى الحليقة يوسف بن عبد المؤمن – إلى ابن طفيل وجعل يتكلم على المسألة التي سألني عنها ويذكر ما قاله أرسطو طاليس

⁽۱) المراكثي : المجب ص ۱۸۵ .(۲) الميني : عقد الجمان ج ۱ قسم واحد ص ۱۳ .

⁽٣) المراكشي : المعجب ص ٢٣٨ ،

⁽٤) نفس المرجع السابق ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ ابن سعيد : المغسرب ج ۲ ص۸۵۰۰

⁽٥) الراكشي : المجب ص ٢٤٠ ٠

وأفلاطون وجميع الفلاسفة ، ويورد مع ذلك احتجاج أهل الإسلام عليهم ، فرأيت منه غزارة حفظ لم أظنها في أحد من المشتغلين بهذا الشأن المتفرغين له فلم يزل يبسطني حتى تكلمت فعرف ما عندي من ذلك ، فلما انصرفت أمر لىٰ بمال وخلعة سنية ومركب »(١)وهكذا أظهر الخليفة من علمه ما أدهش الفيلسوف ابن رشد ، ولم ينس الحليفة في نهاية اللقاء أن بمنح ابن رشد العطايا تكر بما للفلسفة في شخصه .

حتى إذا تولى المنصور الموحدي الحلافة ظلت الفلسفة تحتل مكانها اللاثق بن العلوم ، غير أن هذه المكانة أصابها الاضطراب وذلك بعد النكبة التي حَلَّت بالفيلسوفُ ابن رشد ، وغيره ممن يشتغلون بعلوم الفلسفة ، وقد اختلفت الآراء في الأسباب الداعية لذلك فالمراكشي يرجع ذلك إلى أن ابن رشد في إحدى مؤلفاته لم يلترم جانب الأدب في الحديث عن الخليفة الموحدي حين تحدث عن الزرافة وكيف تتولد وبأى أرض تنشأ فقال : رأيتها عند ملك البربر ... (٢)ورأى آخر يشير إلى أن ابن رشد في مؤلفاته ، ذكر أن الزهرة أحد الألهة وعرفوا المنصور بذلك (٣).

والواقع أن المكانة التي احتلها ابن رشد وغيره من الفلاسفة أحنقت كثير ا من الفقهاء وغيرهم مما دفعهم إلى الدس والوقيعة عند المنصور الموحدي ، يؤيد ذلك ما ذكره ابن عذاري أن محاولات الدس كانت قبل غزوة الأرك وأن هؤلاء الحاسدين انتقلوا إلى العاصمة ليدسوا عند الخليفة ضد ابن رشد ، غير أن إنهماك الحليفة في التجهز لحملته العسكرية المتجهة للأندلس ، منعته من الإنصات إلى قولهم فلما استقر المنصور بقرطبة ، بعد تحقيق نصر مؤزر في معركة الأرك ، أعاد الحاسدون الكرة مرة أخرى ناسبين إليه بعض الأقوال(٤)ومن هنا رضخ المنصور لهؤلاء العلماء واستجاب لمطالبهم ، حتى لا يظهر بمظهر من لا يدافع عن الدين والشريعة ، ومن ثم أمر بابعاده هو

⁽١) المراكشي : المعجب ص ٢٤٢ ، ٣٤٣٠.

⁽٢) نفس الرجع السابق ص ٣٠٥ ، ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ص ١٠٥ . (٣) المراكشي : المعجب ص ٣٠٦ .

⁽٤) ابن عداري : البيان المغرب جرع ص ١٧٥ ، ١٧٦ تطوان .

ومجموعة العلماء على حال سيئة ونني إلى إليسانة على مقربة من قرطبة(١).

ويبدو من سبر الأحداث أن الخليفة لم يكن مقانعا بهذا التصرف وأنه كان يعلم براءة أبن رشد إلا أنه استجاب لضغط الحماهر المنتصرة بعد الأرك ودليلنا على ذلك أولاً، ما رواه ابن أبى أصيبعة عن حقيقة تصرف المنصور بقوله « ونقم – أى المنصور الموحدي – أيضًا على جماعة أخرى من الفضلاء الأعيان وأمر أن يكونوا فى موضع آخر وأظهر أنه فعل ذلك بسبب ما يدعى فيهم أنهم مشتغلون بالحكمة وعلوم الأواثل .. ، (٢) فذكره لكلمة أظهر توحيُّ بأن فعل المنصور لم يكن عن اقتناع ثانيا : أنه أسند أمر تتبع الفلاسفة إلى أبي بكر بن زهر ولم يتتبع هذا الأمر بنفسه وكان يرمى من وراء ذلك أن يستتر على ابن زهر إن كان عنده كتب فلسفية وألا يناله العقاب ﴿ وَلَمَا شَرَعَ فِي ذَلِكَ ــ أَى فِي تَنْبِعِ الفَلَاسَفَةِ ــ جَعَلَ أَمْرُهُ مَفُوضًا إلى الحفيد أبى بكر بن زهر وأنه الذى ينظر إليه ، وأراد الحليفة أنه كان عند ابن زهر شيء من كتب المنطق والحكمة لم يظهر ولا يقال عنه أنه يشتغل سها ولا يناله مكروة بسبمها ٣٥°٣ ثالثا : إن هذه الحملة لم تستغرق سوى سنتين فما أن عاد الخليفة إلى العاصمة حتى أصدر أمره بالعفو عن ابن رشد وغيره من العلماء ، وأمر باحضار ابن رشد إليه في العاصمة ليكرمه ويعوضه عماً لحق به إلا أن ابن رشد توفى قبيل وصوله سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م(٤) فهذا العفو السريع يدل على أن المحنة التي حلت بابن رشد إنما كانت استجابة وقتية للعلماء والحاسدين ، حتى إذا تبين الخليفة الموقف على حقيقته أمر بأن يعواد كلُّ شنىء على ما كان عليه من قبَّل .

وهكذا ارتبط ازدهار الفلسفة فى البلاد وانزوائها بمدى تقدير الحلفاء لها أو محاربتها ، إلا أن ذلك كله لا يقلل من المرتبة الكبيرة التى وصلت إليها

^{&#}x27;(۱) تنظل جنثالث : تاريخ الفكر الاندلسي ص ٣٥٥ ، ارنست رينان: ابن رشد والرشدية ص ٤١ .

⁽٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٥٣٢ .

⁽٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٥٢٣ .

⁽٤) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ١٧٦ تطوان ، انفل جنثائث : تاريخ الفنكر الانطسى ص ٣٥٥ ، ٣٥٥ .

رُّ الفلسفة في ظل الموحدين ، وظهور فلاسفة كبار أمثال ابن رشد وابن طفيل وغير هم فى سماء المغرب الأقصى خلال هذه الفترة .

المكتبات:

تدل كثرة المكتبات وما تزدحم به من مؤلفات على مدى ازدهار الحركة الفكرية بالبلاد ، وقد حظى المغربُ الأقصى خلال فترة البحث وخصوصا في عهد الموحدين بالكثير من المكتبات العامة والحاصة والتي تشبر إلى ازدهار الحياة الفكرية بالمنطقة ، وقد ساعد على وجود هذه المكتبات امتلاء المدن المغربية بالكثير من العلماء والدارسين مع تشجيع ولاة الأمر لحركة التأليف وشراء الكتب ، فابن رشد حن طلب الاعفاء من منصبه حتى يتفرغ لإتمام مؤلفاته أذن له أمر المسلمين على بن يوسف بذلك(١)والخليفة يوسف بن عبد المؤمن كان مجمع الكتب من كل مكان ويضمها إلى المكتبة الملكية أو الخزانة العلمية كما كانت تسمى بذلك (٢).

ولم تكن الرغبة في جمع الكتب قاصرة على ولاة الأمر ، بل إن من أبناء الشعب من دفع المال الكثير في سبيل شراء مرجع من المراجع فالقاضي عيسي بن أبي حجاج بن الملجوم ابتاع من أبي على الغساني نسخة من سنن أبي داود ودفع فها خسة آلاف دينار (٣) بالإضافة إلى ذلك فإن أمن مكتبة الخزانة العلية لابد أن يكون من أكابر العلماء ، حيث أن هذه الوظيفة من الوظائف الهامة التي لا يشغلها ألا من كان أهلا لها (٤) يقول ابن المؤقت في ترجمته لأحمل بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصاري الخزرجي « ولما صار الأمر إلى أبي يعقوب بن عبد المؤمن ألزمه خدمة الخزانة العالية، وكانت عندهم من الحطط الحليلة التي لا يعين لها إلا علية أهل العلم وأكابرهم »(°).

⁽۱) محمد عثمان الراكشي : الجامعة اليوسيفية ص ۱۱۲ ه

⁽٢) المراكشي : المعجب ص ٢٣٩ ، حركات : المغرب عبر التساريخ ص ٣٧٤ ، آلمنوني : العلوم والآداب ص ٢٨٦٠ .

⁽٣) كنون : النبوغ المفريي ج ١ ص ١٦٢ . (٤) عبساس المراكشي : الأعسلام ج ١ ص ٢٢٩ ، ابن الخطيب : الاحاطة: التسم الاول ص ١٩٠٠ ت عنان ٠

⁽٥) ابن المؤتت : السعادة الأبدية جـ ٢ ص ١٢٤ ٠

وقد تحددت أماكن لبيع الكتب ، فني مراكش كان هناك ما يقرب من ماثتي متجر لبيع الكتب المخطوطة بجوار جامع الكتبين (١) وقد سبق أن أشرت أن الحامع الكبير بالعاصمة مراكش سمى بجامع الكتبين نسبة إلى باثعى الكتب حوله . أما في مدينة تلمسان فكانت هناك سوق لبيع الكتب حيث أشار التنسي أن مصحف الحليفة عثمان بن عفان بيع في سوق الكتب بتلمسان ، وقد اشتراه أمر المسلمين يغمراسن وحفظه (٢)

وبجانب الكتب التي كان الناس مجمعونها في المساجد والزوايا والمدارس وغير ها للاطلاع عليها والدراسة فيها ، كانت هناك المكتبات العامة والحاصة ، وفي مقدمة المكتبات الحزانة العلية التي أنشأها خلفاء الموحدين وجعلوا لها أمينا وزودوها بمختلف الكتب والمراجع . وهناك المكتبة الشارية بسبتة وهي منسوبة لمؤسسها ألى الحسن على بن محمد الغافقي المعروف بالشارى وكان شغوفا مجمع الكتب فكون مكتبة عظيمة وقد جعلها وقفا على علماء المغرب(٣)

ومن المكتبات الحاصة مكتبة ابن الصقرت سنة $0.70 \, \text{a} / 1177 \, \text{b} / 1170 \, \text{b}$ نهبت عند دخول الموحدين مراكش (3)ومكتبة عبد الرحمن بن الملجوم من أعيان فاس يقول عنه صاحب كتاب الذخيرة السنية « نظر فى فى كثير من العلوم واعتنى بها وجمع من الكتب ما لم مجمعه أحد من أهل المغرب وخزانة كتبه كانت المشهورة فى المغرب بيعت حزمها بعد وفاته بستة آلاف دينار ، وتوفى سنة $0.7 \, \text{a} / (0)$ ومكتبة عبد الرحمن بن موسى الازدى الفاسى المتوفى سنة $0.7 \, \text{a} / (0)$ 0 وقد باعتها ابنته بأربعة آلاف دينار $0.0 \, \text{b}$ المتوفى سنة $0.7 \, \text{a} / (0.0)$ 0 وقد باعتها ابنته بأربعة آلاف دينار $0.0 \, \text{b}$

وهكذا ساهمت المكتبات وما احتوته من كتب فى دفع تيار الثقافة فى البلاد وتزويد الحياة الفكرية بما تحتاجه من مدد فى مختلف فروع المعرفة .

⁽۱) المنونى : العلوم والفنون ص ۲۷۵ .

⁽٢) التنسى : الدر والعتيان ورقة ٥٤ .

⁽٣) المنوني : العلوم والفنون ص ٢٨١ .

⁽٤) ابن المؤتت : السعادة الأبدية جـ ٢ ص ١٢٥ ٠

⁽٥) مجهول : الذخيرة السنية ص ٤٧ ت محمد بن أبي شنب ،

⁽٦) ملين : عصر المنصور الموهدى ص ١٧٠٠

الفاتمسة

ينضح من دراسة الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية بالمغرب الأقصى خلال القرنين الحامس والسادس من الهجرة مدى التقدم والازدهار الذى وصل إليه المحتمع المغربي في هذه الفترة .

والواقع أن المغرب الأقصى صار خلال هذه الفترة متمير الشخصية ، يفرض سلطانه السياسى والعسكرى على مساحات كبيرة من الشهال الإفريقى بلغت إفريقية فى عهد الموحدين ، بالإضافة إلى الأندلس . وإن هذا التفوق العسكرى كان يستند إلى عدة دعائم قوية مكنته من الاستمرار لفترة طويلة من الزمن ، وأما الدعائم فهى حياة إدارية منظمة ، وحياة اقتصادية مز دهرة ، فضلا عن شعب آخذ بالكثير من أسباب التقدم والحضارة .

وقد سبق قيام دولة المرابطين في منتصف القرن الحامس الهجرى ، فترة من الضعف ، نتيجة انقسام المنطقة إلى عدة إمارات متناحرة فيما بينها ، وانعكس الصراع على نواحى الحياة المختلفة بالبلاد . حتى إذا أقبل المرابطون ووحدوا المنطقة في ظل حكومة مركزية ، انطلقوا إلى إقليم الأندلس حماية له من الأخطار التي تهدده ومن ثم صار الأندلس إقليما تابعا للمغرب الأقصى .

غير أن حكم المرابطين لم يستمر طويلا ، نتيجة لدعوة ابن تومرت وثورته ، تلك الثورة التي انتهت بالقضاء على المرابطين وقيام دولة الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن على .

وبلغ المغرب الأقصى درجة كبيرة من التقدم والازدهار خلال العصرين المرابطى والموحدى ، وشهدت المنطقة حياة إدارية مستقرة ، صاحبها حياة اقتصادية مزدهرة ، مع كثرة فى البناء والتعمير ، فضلا عن حياة فكرية زاخرة بالعلوم والثقافات المختلفة .

ومن خلال دراستنا للحياة الإدارية تبين لنا اعتراف المرابطين بالحلافة العباسية باعتبارها الحلافة الشرعية ، والتي استمدوا منها التأييد الروحى ، وعلى العكس من ذلك كان موقف الموجدين الذين اعتبروا أنفسهم خلفاء ، وهم أول من أنشئوا خلافة إسلامية بالمغرب الأقصى .

وقد انحصرت رئاسة الدولة فى أسرة يوسف بن تاشفين فى الدولة المرابطية وأسرة عبد المؤمن بن على فى الدولة الموحدية .

وكانت مبايحة ولى الأمر تتم عن طريق البيعة الخاصة من أفراد الأسرة الحاكمة والقبائل المؤسسة للدولة ، وقد تعددت وتنوعت اختصاصات ولى الأمر ، أما الألقاب فقد اتخذ ولاة الأمر في الدولة المرابطية لقب أمير المسلمين ، أما في الدولة الموحدية فقد اتخذوا لقب خلفاء . كذلك كان نائب ولى الأمر يختار من الأسرة الحاكمة .

اتبع ولاة الأمر نظام ولاية العهد إذ كان الحكم وراثيا . وكان ولى العهد يختار من أكفأ الأبناء مع موافقة الأسرة وروُساء القبائل على اختياره ويعقب ذلك إعلان رسمي في أنحاء الدولة .

كان ولى العهد بمر بمرحلة من التدريب والتثقيف حتى يكون أهلا لتحمل أعباء الحكم ، فإذا ما أساء التصرف كان مصيره العزل .

استعان ولاة الأمر فى إدارة الدولة بمجموعة من الوزراء سواء من المغرب أو الأندلس . وقد أنشىء منصب أعلى من ذلك فى الدولة الموحدية اعتبر بمثابة الرجل الثانى فى الدولة .

تعددت وتنوعت إختصاصات الوزراء إلا أن أغلبهم كانوا وزراء منفذين لأوامر ولاة الأمر ولم ينفرد أحدهم بالسلطة إلا فى ظروف خاصة . وقد عوقب بعضهم نتيجة لارتكابه بعض الأخطاء التى تمس سلامة الدولة .

استعان ولاة الأمر بالكتَّاب فى تيسير مهمة التخاطب والتراسل مع موظنى الدولة ، وكان كثير من الكتَّاب ينتمى إلى الأندلس ، وبعضهم ينتمى إلى المغرب ، وقد تنوعت ثقافتهم واختصاصاتهم .

ظهر نوع من الكتبَّاب فى الدولة الموحدية وهم كتاب الجيش المختصون بالشئون العسكرية ، وكانت العلامة الرسمية للدولة المرابطية العظمة لله وحده ، أما فى الدولة الموحدية فكانت الحمد لله وحده

لم يتخذ المر ابطون حجاابا وعلى العكس من ذلك ، اتخذ الموحدون حجابا (م ٣٣ ـــ الحضارة) من أفراد الأسرة ومن الموظفين ، أما بالنسبة للنظام الإدارى ، فقد انقسم المغرب الأقصى إلى عدة أقاليم إدارية ، تولى إداراتها أفراد من أسرة ولى الأمر أو من أبناء القبائل ، كما حدث فى عهد الموحدين .

وقد تنوّعت خبرة وثقافة ولاة الأمر ، وكان الموحدون يحرصون على اختيار هيئة إستشارية وإدارية لمعاونة الوالى فى إدارة اقليمه ، ويسبق ذلك مكاتبات رسمية تعلن اسم الوالى وواجب الرعية فى السمع والطاعة ، كان الولاة عارسون أعمالهم فى ظل سياسة مرسومة من ولاة الأمر . وقد حرص ولاة الأمر على إجراء تنقلات بين الولاة وعزلهم ومعاقبتهم إذ أساء أحدهم التصرف .

تنوعت الدواوين فى الدولة ، وقد استحدث الموحدون ديوان الحيش . كذلك لعب البريد دوره فى دعم اتصال ولاة الأمر بأنحاء البلاد ، كما حداد الموحدون اختصاصات صاحب البريد . وأخيرا قام الشرطة بدورهم فى حماية وصيانة أرواح الناس وممتلكاتهم .

أما بالنسبة للنظام القضائى ، فقد قام القضاة بدورهم فى إقرار العدل بين الناس ، وكان القضاة ينتسبون إلى الأندلس والمغرب .

كان هناك نوعان من القضاة : قاضى الجماعة ومقره العاصمة ، وهو أرفع شأنا ، وكان يعين من قبل ولى الأمر مباشرة ، وقضاة المدن ويعينون من قبل قاضى الجماعة أو من ولاة الأقاليم . فإذا ما اختار ولى الأمر القاضى صدر مرسوم بتعيينه ، وقد اتخذ القضاة المسجد مكانا للتقاضى وعاونهم فى مهمتهم مجموعة من الموظفين .

تعددت اختصاصات القضاة ، وتد عمد ولاة الأمر إلى نقل القضاة من مكان إلى آخر وأحيانا عزلهم ، وكان قاضى الحماعة يتنقل فى عدة أماكن قبل أن يشغل منصب قاضى الحماعة بالعاصمة .

وبجانب القضاة ، كان هناك نظام المظالم الذى ظهر واضحا فى عهد الموحدين ، إذ قام الحليفة المنصور الموحدى بالفصل بين المتنازعين .

كذلك كانت هناك وظيفة الحسبة والتي لم تتضح صورتها في عهد المرابطين

وعلى العكس من ذلك فى الدولة الموحدية ، إذ حرص خلفاء الموحدين على محاسبة أمناء الأسواق ، وقد تنوعت وتعددت التتصاصات المحتسب .

شهدت البلاد فترة من الازدهار الاقتصادى والرخاء المادى ، وقد ساهم النظام المالى الذى وضعه ولاة الأمر ، بجانب التقدم الزراعى والصناعى، فضلا عن الرواج التجارى ، فى دفع عجلة الاقتصاد بالبلاد .

وكان للنظام المالى وما تضمنه من سياسة مالية ، بجانب مصادر الدخل المتنوعة وأوجه الانفاق المتعددة أثر كبير فى استقرار الحياة الاقتصادية .

تعددت الدواوين المالية واستحدث بعضها فى عهد الموحدين كديوان التمييز، مع تعدد الوظائف المالية ، وتحديد أماكن جباية الأموال ، وتحديد أوقاتها وبجانب ذلك حرص ولاة الأمر على مراقبة المشتغلين بالشئون المالية ومحاسبتهم .

تنوعت المصادر المالية للدولة من زكاة وضرائب وجزية وغنيمة ، وقد زاد الموحدون على هذه المصادر الخراج الذى فرضه عبد المؤمن بن على ، على أقالم الدولة .

ومن ناحية أخرى تنوّعت النفقات ومنها نفقات الجيش والمرتبات ونفقات البناء والتعليم وغير ذلك من أنواع الإنفاق . وحتى تنظيم المعاملات المالية ، أصدر ولاة الأمر عملات نقدية متنوعة .

لعبت الزراعة دورا هاما فى اقتصاد البلاد ، وساعدت عدة عوامل على تقدم الزراعة وازدهارها ، وقد تنوعت المحاصيل وكان منها القمح والقطن وقصب السكر والزيتون وغر ذلك من المزروعات .

أمدت الحدائق والبساتين المنتشرة فى جهات متفرقة المواطنين بكميات كبيرة من الفواكة ومنها العنب والتين والرمان والبلح وغير ذلك . كذلك كانت الغابات والمراعى المنتشرة بحيواناتها المتنوعة والني زادت من الثروة الحيوانية بالبلاد .

كذلك أسهمت طبيعة المنطقة وكثرة الأنهار بها في تزويد البلاد بكميات كبيرة من الأسهالة و على الرخم من الرخاء الذي تمتعت به المنطقة حدثت

بعض الأزمات الاقتصادية نتيجة لعوامل متعددة .

ساهمت الصناعة بجانب الزراعة فى رخاء المنطقة ، وكان لتوفر المواد الحام مع وجود الأيدى العاملة أثرها فى دفع عجلة الصناعة .

تعددت المراكز الصناعية فى البلاد كفاس ومراكش وسبتة وغيرها ، وتنوعت المصنوعات بالبلاد كصناعة الورق والمنسوجات وسبك النحاس والصابون وصناعة السفن وغير ذلك .

ازدهرت الحركة التجارية بالبلاد ، سواء أكانت تجارة داخلية أو خارجية ، وقد ساعدت الطرق التجارية على ربط أجزاء البلاد .

تعددت المراكز التجارية كمد بن فاس ومراكش وغيرها ، وكان للسوق نظام وميعاد يقام فيه وطريقة للتعامل بن قصاده .

أما التجارة الحارجية ، فقد نشطت نتيجة لاستقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية بالبلاد وقد تنوعت الصادرات والواردات .

قامت علاقات تجارية نشيطة بين المنطقة وعدة بلاد ويأتى في مقدمتها إقليم الصحراء في الجنوب والأندلس في الشمال ثم أوربا وأخيرا المشرق .

شهد مجتمع المغرب الأقصى حياة زاخرة بالنشاط والحركة فى مجالات الحياة المتعددة ، وقام بهذا النشاط سكان البلاد . وهم يتكونون من البربر السواد الأعظم من السكان .

تمتعت بعض قبائل البربر بوضع اجتماعي متمير نتيجة مشاركتها في تأسيس الدولة ، فني الدولة المر ابطية احتلت قبائل لمتونة ومسوفة وجدالة ولمطة مكانة ممتازة باعتبار أن مؤسس الدولة منهم ، فضلا عن قيامها بالعبء الأكبر في تأسيس الدولة ومشاركتها في أعمال الجهاد .

حتى إذا قامت دولة الموحدين ، أصبح المصامدة ومن انضم إلى الدعوة الموحدية في مرتبة إجتماعية متمسرة .

شارك العرب الهلالية وخاصة فى عهد الموحدين فى أحداث البلاد ، وقد ظهرت آثارهم فى النواحى الإدارية حين ساعدوا الحليفة عبد المؤمن بن على فى اختيار ابنه وليا للعهد ، وشاركوا فى عمليات الحهاد بالأندلس ، كما أنهم

أقاموا بأماكن متفرقة بالبلاد ، وظهرت لهم آثار جنسية ولغوية بين سكان المنطقة .

وبجانب البربر والعرب عاشت أقليات أخرى كالسودانيين الروم والغز ..

شاركت طبقات المجتمع وطوائفه فى صنع الحياة بالمغرب الأقصى ، وكانت الطبقة الحاكمة تتمتع بوضع اجماعى متمبر ، وقد استحدث الموحدون طائفة الطلبة هؤلاء الذين تعددت اختصاصاتهم فمنهم من اشتغل بالوظائف الإدارية بالدولة ومنهم الدعاة الذين قاموا بنشر الدعوة .

كذلك كان للفقهاء والعلماء وضع متمير وخاصة فى عهد المرابطين حيث صارت مقاليد البلاد بأيديهم ، ونتيجة لذلك جمع بعضهم أموالا طائلة مما أثار حفيظة بعض الشعراء ونقمهم .

كذلك ساهم أصحاب المهن من تجار وصناع وأصحاب حرف متنوعة في دفع عجلة الاقتصاد بالبلاد .

تمتعت المرأة بمكانة طيبة في المجتمع المغربي ، وأصبح لها نفوذ في الدولة المرابطية ، وقد حرص ولاة الأمر على رعايتها ، كما أن بعضهن تزود من مختلف الثقافات .

عاش أهل الذمة جنبا إلى جنب مع بقية طوائف الشعب ، وقد ادعى بعض المؤرخين أنهم اضطهدوا فى عهد المرابطين نتيجة نقلهم من مواطنهم بالأندلس إلى المغرب وفرض بعض الأموال عليهم ، وكان هذا إجراء عادلا تطلبته مصلحة الدولة وأمنها ، كما أن فرض المال لم يكن مقصورا عليهم بل شمل طوائف الشعب الأخرى .

كذلك إدعى بعض المؤرخين أنه لم يوجد أهل ذمة بالبلاد في عهد الموحدين وأنهم أسلموا وقد أثبت عكس ذلك .

اهتم ولاة الأمر بالبناء والتعمير ، وشهدت المنطقة حركة فى البناء لم تشهدها من قبل ، وكان طابع البناء يمترج فيه الفن المشرقى بالفن الأندلسي ، وكان فى مقدمة المنشآت ، إنشاء عدة مدن كمراكش ورباط النتح ونمير ذلك من المدن ، ومجانب ذلك أنشئت عدة قلاع فى أماكن متفرقة . كذلك اهتم ولاة الأمر بإنشاء العديد من القصور ، وقد لعبت المبادىء للدينية دورها فى الإكثار من بناء المساجد ، وصاحب ذلك بناء المدارس والفنادق والقناطر وأخرا إمستشفى المنصور الموحدى .

كان للأسر نظامها وعاداتها المتعلقة بالزواج والاحتفال به ، وقد استن الخليفة المنصور الموحدى عادة تختين الفقراء والأيتام من أبناء العاصمة على نفقته الخاصة .

أثرت الأمراض والأوبئة في موت كثير من أبناء الشعب ، وقد اتبع السكان نظام العزل الصحى ، كما أن مستشفى المنصور الموحدى ساهمت في علاج المرضى ، ومساعدة الفقراء منهم بعد الشفاء ، وبجانب ذلك لعب الأطباء دورهم في معالجة أبناء الشعب وولاة الأمر .

تنوعت المحالس وتعددت ، فكانت هناك مجالس الحلفاء ، وما يدور فها من مباحث علمية ومشكلات .

وكانت هناك مجالس الوعظ حيث قام الصالحون والعلماء بالدعوة إلى الله والرجوع إليه ، وأخيرا كانت هناك المجالس العامة التى يحضرها الولاة وكبار القوم.

تعددت الاحتفالات وتنوعت ، وكانت هناك الاحتفالات الدينية وما يصحبها من شعور ديني فياض خصوصا في شهر رمضان، وقد احتلت الاحتفالات العسكرية وما يتخللها من مواكب مكانها في نفوس المواطنين، حيث شهدت المدن المغربية العديد من الاحتفالات في نظام معين وما يصحب ذلك من دق للطبول ونشر للألوية مما يكسبها بهجة وجمالاً. وأخيرا شهد المجتمع احتفالات متنوعة كالاحتفال بتولى أحد ولاة الأمر أو مجيء وفد هام إلى العاصمة وغير ذلك.

وجد أبناء المحتمع فى المتنزهات والحدائق مكانا للترويح والتسلية ، وقد وقف ولاة الأمر استنادا للمبادىء الدينية موقفا متشددا من الغناء واللهو وحاربوهما بشي الطرق.

حفلت المائدة المغربية بالعديد من الأطعمة مما يدل على الثراء والرفاهية التي تمتع بها السكان ، وقد تنوعت الأطعمة ، فمنها ما كان يصنع للأثرياء ،

ومنها ما ينتسب فى صناعته إلى بعض البلدان كالأندلس وإفريقية ومصر ، ومنها أطعمة خاصة بفصل الشتاء ، كذلك تنوعت الأشربة ومنها شراب الربّ وآنزيز .

اكتسى المغاربة الملابس الصوفية ، وقد اتخد المرابطون اللئام غطاء أ لوجوههم ، وصار عادة يتميرون بها ويرجح أن ذلك راجع إلى طبيعة البيئة الصحراوية التي عاشوا فها .

تنوعت ملابس الموحدين ، كذلك تميرت ملابس جنودهم بالتنوع والتعدد . وقد فرض الناصر الموحدى زيا خاصاً لأهل الذمة إلا أنهم استغاثوا به فى إلغاء هذا الزى وقد استجاب لهم .

نشطت الحركة الفكرية بالبلاد ، وقد تضافرت عدة عوامل على تنشيطها ، كذلك تعددت المراكز الفكرية وقد لعبت الحياة الدينية دورها فى تنشيط الحركة الفكرية وشهد السكان دعوتن دينيتن :

دعوة المرابطين ومؤسسها عبد الله بن ياسين ، ودعوة الموحدين ومؤسسها ابن تومرت .

شهد السكان في عهد المرابطين حدثا دينيا ، هو إحراق كتب الإمام الغزالى بأمر أمير المسلمين على بن يوسف وكان مرد ذلك حقد جماعة من العلماء على الغزالى لمهاجمته في كتبه طبقة علماء السوء.

استند ابن تومرت فی تأسیس دعوته علی عدة أفكار ومبادیء تأثر بها فی دراسته بالمشرق .

وقد تطورت الدعوة الموحدية فى ثلاث مراحل : مرحلة التأييد ، ثم مرحلة التشكك وعدم الاقتناع فى عهد المنصور الموحدى . وأخيرا مرحلة هدمها والقضاء عليها فى عهد المأمون الموحدى .

نتج عن قيام ابن تومرت بنشر دعوته ، أن ثارت حرب كلامية ودعائية بين أنصار الدعوتين : المرابطية والموحدية .

 من ذيوع المذهب المالكي وانتشاره غير أن محاولتهم باءت بالفشل .

وقيام الدولتين على أساس دعوتين دينيتين أثرت في ولاة الأمر ، و موقفهم المتشدد في تنفيذ أركان الدين وأحكامه .

وقد قام المرابطون بعبء القضاء على الضلالات المنتشرة في المغرب الأقصى فضلا عن محاولات نشر الإسلام في جنوب الصحراء.

احتل المتصوفون مكانة مرموقة فى المجتمع المغربى ، حيث التف حولهم السكان بمظاهر الإعزاز والتقدير مما أحنق بعض العلماء وحاولوا الدس عند ولاة الأمر ، غير أن محاولتهم لم تنجح فى التقليل من شأن المتصوفين ، وقد صاحب ذلك إيمان العامة بالخوارق والمعجزات ، وكان ذلك سلاحا استغله ابن تومرت وعبد المؤمن بن على أحسن استغلال .

نشطت بعض العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه ، أما علم الكلام فلم يزدهر إلا في عهد الموحدين .

ازدهرت الحياة الأدبية ، وساعد انتشار اللغة العربية بين أفراد الشعب على القراءة والإطلاع . وقد حاول ابن تومرت وعبد المؤمن بن على استخدام لغة الىربر وكان ذلك لأهداف سياسية .

حظى الشعر بمنزلة طيبة وخصوصا فى عهد الموحدين ، إذ شجع ولاة الأمر الشعراء على التوجه إليهم والحصول على المنح والأموال ، كذلك لتى النثر تشجيعا من ولاة الأمر .

تنوعت ثقافة ولاة الأمر وأبناء الشعب تبعا للمعهد العلمى الذي يدرسون فيه ، وكانت الدراسات الدينية المتنوعة هي المنهج الأساسي الذي درسه أبناء الأمة .

وقد تنوعت المواد الدراسية من لغة ونحو وتاريخ وسير وجغرافية وفلك ، أما الفلسفة ذلم تحظ باهتمام ولاة الأمر من الرابطين وعلى العكس من ذلك ، اهتم ولاة الأم من الموحدين بالفلسفة والفلاسفة ، وخصوصا الخليفة يوسف بن عبد المؤمن .

وقد ساهمت المكتبات وما اشتملت عليه من كتب ، مع تشجيع ولاة الأمر على اقتناء الكتب في ازدهار الحركة الفكرية بالبلاد .

قسم الملاحق

- ١ ــ جدولان بأسهاء أمراء المرابطين وخلفاء الموحدين .
 - ٢ ــ رسالة بشأن بيعة المنصور الموحدى بالحلافة .
 - ٣ ــ صيغة ولاية العهد لعلى بن يوسف بن تاشفىن .
- ٤ -- رسالة بشأن تولية محمد بن عبد المؤمن ولاية العهد .
- صالة بشأن تولية الخليفة عبد المؤمن أبناءه أقاليم المغرب.
- ٦ كتاب أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين إلى واليه ابن فاطمة
 يبن فها أسس حكمه .
- ٧ ـــ رسالة الفصول وفيها بعض أسس حكم الحليفة عبد المؤمن بن على .
- ٨ المرشدة لابن تومرت وهي خلاصة عقيدة التوحيد عند الموحدين .
 - ٩ ــ التعريف ببعض المراجع .
 - ١٠ قائمة بأساء المراجع .

* * *

أسماء أمراء المسلمين من المرابطين

133 4- 7011 7	١ ــ أبو بكر بن عمر اللمتونى
ه ۲۰۱۲ م - ۱۰۷۳ م	۲ ـــ يوسف بن تاشفين
٠٠٠ ه - ٢٠١١ م	۲ – علی بن یوسف
۷۳۰ ه - ۲۱۱۲ م	٤ – تاشفين بن على
٠٤٠ هـ - ١١٤٥ م	ه ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
٠٤٥ ه ١١٤٥ م	٣ ــــ إسحق بن على بن يوسف

أسماء خلفاء الموحدين

ره هـ ۱۱۳۰ م	۱ ـ عبد المؤمن بن على
٥٥ هــ ۱۱۲۲ م	۲ ــ أبو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن ٨
۸۵ ه - ۱۱۸۶ م	٣ ـــ أبو يوسف يعقوب المنصور
Po a - PP117	٤ _ محمد الناصر
11 4-31717	 ه – أبو يعقوب يوسف المستنصر
75 4-4771 7	٣ ــ عبد الواحد المخلوع
77 4 - 3771 7	٧ ـــ أبو محمد عبد الله العادل
777 4-7771 7	٨ – يميي المعتصم
۲ ۱۲۲۹ - ۵ ۲۲۰	 ٩ ـــ أبو العلاء إدريس المنصور
۳۰ هـ – ۱۲۳۲ م	١٠ ـ عبد الواحد الرشيد
٠٤٢ هـ – ٢٤٢١ م	١١ ــ أبو الحسن على السعيد
73F a - 1371 g	١٢ ـــ أبو جعفر المرتضى
יידר – דרדר ץ – דרדר .	١٣ ــــ أبو العلا الواثق ١٣٠ ﻫ.

الرسالة السابعة والعشرون

(بشأن بيعة المنصور الموحدي بالحلافة ودعوة الآخرين إلى البيعة)

وهى أيضا من إنشاء الكاتب أبى الفضل بن طاهر بن محشرة المذكور:

« من الأمير يعقوب بن سيدنا أمير المؤمنين بن سيدنا أمير المؤمنين —
أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعرفته — إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة بإغرناطة — آدام الله كرامتهم بتقواه ، وعرفهم عوارف نعماه ورحماه — سلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أما بعد فإنا نحمد الله الذي لا إله إلا هو ، ونشكره على آلائه ، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله ، والحمد لله الذي حفظ بهذا الأمر العظم رباط الإسلام ونظامه ، وأحيى باحيائه رفاته ورمامه ، ونصبالمستضيئن بأضوائه ، والمستبصرين في إتباع سننه اللاحب واقتنائه ، أضواءه الهادية وأعلامه ، واستحفظ أمره العزيز في الذابين عن حرماته ، والناهضين بأعبائه وأمانته ، مئتيا إليهم متاليده وزمام، ، ومناهرا بهم مناهجه القويمة وأحكامه ، وجعل إمامتهم الحميدة وايالتهم المباركة السعيدة ، ملاذ الدين وقوامه ، وظهور الحق وانتظامه ، وجب بتعاضدهم وتوازرهم ، وترافدهم على تمشية أمر الله تعالى وتظاه. هم غارب الهرج وسنامه ، وعمر ببركة مساعيهم ، وسعادة مآخذهم المرفقة ومناجيهم ربوع الإيمان وخيامه ، وضم نثره ونظم التئامه ، والصلاة على محمد نبيه المصطفى ورسوله الأكرم المحتبى ، اللذى أطفأ الله به احتدام الكفر واضطرامه وأزاح بأنواره الباهرة غهب الشرك وظلامه ، وأعلى بحنيفية الحق منار الحق وعمامه ، وجعل بدأرته المنجية ، وبثأرته المزلفة إلى الرضوان المدنية ، انقضاء إرساله تعالى واختتامه وكمال وحيه سبحانه إلى عباده وتمامه ، ضاعف الله له ولعثرته الطيبين ، وصحابته الأكرمين ، صلواته الحمة وسلامه والرضا عن الإمام المعصوم ، المهدى المعلوم ، علم الهدى وإمامه الذى اختاره الله تعالى للهداية واعتامه ، وارتضاه لتجديد شريعة جده ــ دليه السلام ــ بعد الدثور وأقامه ، وشفى بعلومه الحلية ، وبراهينه الراضحة القطعية ، أدواء الحهل وأسقامه ، وجلا

بأضوائه الساطعة ، وتعلياته الرافعة الشكوك القاطعة ، دياجبره الحالكة وإظلامه ، وعن صاحبه وخليفته سيدنا الإمام أمير المؤمنين القائم من الانتهاض بأمر الله مقامه ، والمعمل في إعلاء كلمته وتمكين أمره الحق ودعوته شأنه وحسامه ، المحرد فى الوفاء بعهوده وانتجاز بشارته الصادقة ووعوده عزمه الكفيل بها واعترامه ، والدعاء لسيدنا ومولانا الإمام أمير المؤمنين ابن سيدنا الحليفة أمير المؤمنين بنصر يسكب السعد غمامه، ويجزل الحد أقسامه ، ويقتضي الفور المسعد ، والفضل المعاون المنجد ، استمراره إنى قيام الساعة ودوامه . وهذا كتابنا إليكم – أسمعكم الله من بشائر هذا الأمر العزيز ما يملأ قلوبكم ارتياحا ويعمر صدوركم انشراحا ، وأوسع ارجاءكم وأكنافكم انبساطا في ظل الأمنة وانفساحا من حضرة أشبيلة _ حرسها الله ـــ ونحن نستوهب الله عونا على ما قلدنا من أمانته ، وانهاضا بما حملنا من نصر دينه وحمايته ، وانجادا على ما ننويه ونحاوله وندأب فيه من حفظ أمره ورعايته الذي نوصيكم به تقوى الله العظيم، والعمل بطاعته، والتوكل عليه وان توقنوا بأن هذا الأمر السعيد محفوظ المقام ، منصور العلام، مسدد النقص والابرام، مقرون بمقاصده اليمن والنجح على تعاقب الأدوأر وتناوب الأيام . وأنه المصيب المنصور المصوح له الذَّى لا يضره من عانده ولا من خذله مع تقادم الأعصار وتطاول الأعوام ، بشرى صادعة الدلائل ويسرى صادقة المخايل ، وأمر محروس لا يقدح فيه كيد كائد ولا خلال خاذل ، ولا يحل عقوده المبرمة ، وروابطه المستحكمة على تقوى الله المنتظمة ، وحدوث حادث ونزول نازل ، حتى ينجز الله له وعده الكريم في الاستيلاء على الأقرب والأبعد ، والانتهاء من ذروة الكمال والتمام في مسماها الأعلى الأصعد ، وإيداع أمانته العظيمة ، وعهوده الكريمة ، في الْأَقْعَدُ فِي الاختصاصِ فَالْأَقْعَدُ ، إِلَى أَنْ يَرِثُ اللَّهُ الْأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُو خير الوارثين والحمدلله رب العالمين .

وأنه – وفقكم الله وسددكم ، وأعانكم على اتباع أوامره وانجدكم – لم تزل رغبات الموحدين – أعزهم الله – واخوانهم العرب – وفقهم الله – تترادف على سيدنا أمير المؤمنين – أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته – في إرقائنا لهذا الرقى وتقليدناهذه الأمانة العظمى ، والافضاء إلينا بأمره الأعز

الأسمى ، فيقابلهم أعلى الله أمره ، وأعز نصره ــ من وعده الكريم بكمال مطلبهم وتمامه ، واتساقه على مقتضى آمالهم وانتظامه ، ويعرفهم بأن هذا له وقت يرتقب لعقده فيه وإبرامه ، ولما اذن الله تعالى فى دنو الميقات المنتظر واقترابه ، وأراد سبحانه انجاز وعده الكريم لسائليه وطلابه ، أمره العظيم فى معدنه الحافظ له ونصابه ، ورجع الموحدون ــ أعزهم الله ــ من غزوتهم المبرورة التي أعز الله بها المسلمين وأدالهم ، وقمع المشركين وأذالهم ، وكرم باحراز أجرها ، واستخزان ذخرها حالهم ومآلهم ، وبلغهم من نكاية أعدائهم وتدويخ أكنافهم وأرجائهم ، ما تجاوز أمانيهم وآمالهم تعين الوقت الموعود ، وحضر الزمن الموسوم له المحدود ، وكان بحكم الاحتفال للغزوة المباركة ، وحرص الكافة على اغتنام أجور المساهمة فيها والمشاركة أجمع من الموحدين أعانهم الله ــ ومن انضاف إليهم من الاجناد ، ومن كافة المغرب وأعيان أهل البلاد ، جمع كثير ، وحفل كبير ، يلخل فيما ارتبطوه عليه سائرهم وتنظيم فيما عقدوه جماعتهم الذين وراءهم وعشائرهم ، فعرف كافتهم بمأ تقدم فيه سؤال الموحدين والعرب ــ وفقهم الله ــ ورغباتهم ، وتكررت فى استجازة طلباتهم ، وقرعت باب استفتاحه بداتهم ، وانتهت إلى إيثاره ، واختياره نهايتهم ، ووقفت عنده قصورهم الميمنة وغاياتهم ، فكان منهم من المبادرة إلى ذلك والاسراع ، والأعناق إلى إجابة داعية والاهطاع ، والتلقى لرايته المرفوعة بيمن الانقياد والانطباع ما قضى باستحكام الاصفاق عليه من الكافة والاجماع ، ورغبوا في الكال ذلك لفورهم . وألحوا في طلب المبايعة لحينهم ، واتفقت عليه آزاء كافتهم وجميعهم . ولما تحقق فيهم خلوص الضائر ، واستواء البواطن والظواهر ، واستحكام النيات فيه والبصائر أسعفوا بمطلوبهم ، ومكنوا من مرادهم ومحبوبهم ، وأحضروا لأخل البيعة عليهم أفواجا ، وسلكوا من الطاعة الصادقة سبلا فجابا ، واقتفوا في ذلك من آثار هذا الأمر العظيم جواد قاصدة ومنهاجاً . وبادر الأعيان من الموحدين وغيرهم ــ وفق الله جميعهم ــ إلى البيعة وسارعوا ، وترادف الناس بعدهم وتتابعوا ، وأعطى الحميع صفقة أيديهم باخلاص من سراثرهم وبايعوا ، والترموا فروض البيعة وبشروطها وقيودها ، ووقفوا عند رسومها المعلومة وحدودها ، وأمضوا على أنفسهم أحكام حقوق الطاعة الصحيحة

وعهودها ، وارتضوها بنيات ، صادقة وعرائم إلى اغتنام الأجور مسابقة ، وضائر لكل شوب وريب مباينة مفارقة ، وبايعونا على ما بويع عليه الإمام المعصوم المعلوم ، وخليفته سيدنا الإمام أمير المؤمنين — رضى الله عنهما — وسيدنا الإمام أمير المؤمنين — أيده الله بنصره ، وأمده بمعونته — من الإيمان والأمانة والعدل والعبادة ، والمسمع فى المنشط والمكره والطاعة . وظهر على الكافة من دلاثل البشرى ومخايل المسرة بهذه النعمة الكبرى ، وشكر الله تعالى ما يسرهم له من اليسرى ، ما حقق عند كل مؤمن ، وأوضح لدى كل مسلم موفق ، أن هذا الأمر السعيد ممكن عنى مر الأوقات والآناء إلى يوم الدين والعرض ، واتصلت المبايعة المذكورة إتصالا استوعب كافة الموحدين ومن معهم من الأجناد واخوانهم العرب وأعيان أهل البلاد — وفق الله جميعهم .

ورأينا – وبالله التوفيق – أن نعرفوكم بهذا الأمر الأعظم الأخطر ، لتأخلوا منه بالحظ ، وتنالوا ناجزخيرة الأنفس ومذخور أجره الأكبر ، وتدخلوا بالانتظام في سلكه مداخل طائفته المفلحة وحزبه المظفر ، فتلقوا وافده الأكرم بالقبول سمعا وطاعة ، وانشروا نبأه الأفخم ، في جهاتكم وجنباتكم إشادة وإشاعة وخلوا عهده المؤكد الإلزام ، على كافة أهل حواضركم وبواديكم وجماعة جماعة واستمسكوا بعروته الوثني وغرزه ، واعتصموا بكهفه الأوفى وحرزه ، واغتنموا الدعة والهدون في كنف أمنه الشامل وعره ، إن شاء الله وهو ولى توفيقكم وإرشادكم وإعانتكم على طاعته وانجادكم بمنه .

أدام الله كرامتكم بتقواه — استدعت هذه الحالة التي عرفتم بها أن يزاد في الحطبة الزيادة التي اشتمل عليها المدرج في طي هذا الكتاب فضعوها في موضعها منه واكتبوا بنسخها إلى جميع جهاتكم إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتب فى السابع من جمادى الأولى عام ثمانين وخسمائة .

(مجموع رسائل موحدية : ص ١٥٨ – ١٦٣)

صيفة ولاية المهد العلى بن يوسف بن تاشفين

ولما كان فى سنة خمس وتسعين وأربعمائة ولى عهده الأمير أبى الحسن وكتب عنه ولاية العهد لابنه المذكور ، الوزير الفقيه أبو محمد بن عبد الغفور وكان رحمه الله علم بلاغة به يهدى وإمام شرف قدمه العلم والندى . . ونص العهد :

الحمد لله الذى رحم عباده بالاستخلاف وجعل الأمانة سبب الائتلاف وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الكرىم الذى آلمف القلوب المتنافرة وأذل لتواضعه الملوك الحبابرة (أما بعد) فإنَّ أمير المسلمين وناصر الدين أبايعقوب يوسف بن تاشفين لما استرعاه الله على كثير من عباده المؤمنين خاف أن يسأله الله غدا عما اسْترعاه كيف تركه هملاً لم يستنيب فيه سُواه وقد أمر الله بالوصية فيما دون هذه العظيمة من آكد الأشياء الكريمة ، كيف في هذه الأمور العائدة بمصلحة الخاصة والحمهور ، وأن أمير المسلمين بما لزمه من هذه الوظيفة وخصه الله مها في النظر في هذه الأمور الدينية الشريفة قد أعز الله رماحه وأحد سلاحه فوجد أبنه الامر الأجل أبا الحسن أكثرها ارتياحا إلى المعالى واهترازا وأكرمها سجية وأنَّفسها اعترازا فاستنابه فها استرعى ودعاه لما كان إليه دعى بعد استشارة أهل الرأى على القرب والنأى فرضوه لما رضيه واصطفوه لما اصطفاه ورأوه أهلا أن يسترعي في ما استرعاه فأحضره مشترطا عليه الشروط الحامعة بينها وبنن المشروط فقبل ورضى وأجاب حنن دعى بعد استخارة الله الذي بيده الحَرة والاستعانة محول الله الذي من آمن به شكره وبعد ذلك مواعظ ووصيةً بلغت من النصيحة مرامي قصية يقول فى خاتمة شروطها وتوثيق ربوطها كتب شهادته على الناثب والمستنيب من رضى إمامتهما على البعيد والقريب وعلم علما يقينا بما رضاه فى هذا الترتيب وذلك في عام خسة وتسعن وأربعمائة وكان من الشروط في تقديمه للعهد الى اشترطها عليه أبوه تركب سبعة عشر ألف فارس بالأندلس موزعة على أنظار معلومة يكون منها بأشبيلية سبعة آلاف فارس وبقرطبة ألف فارس وبغرناطة ألف فارس وفى المشرق أربعة آلاف فارس وباقى العدد على ثغور المسلمين والمرابطين في الحصون المصاينة للعدو .

(ابن الحطيب : الحلل الموشية ص ٥٦ ، ٧٠ ، ٨٥)

الرسالة الثالثة عشرة

(بشأن تولية محمد بن عبد المؤمن وليا للعهد)

 من أمير المؤمنين ــ أيده الله بنصره وأمده بمعونته ــ إلى الطلبة الذين بسبتة وطنجة – حرسها الله . وجميع من سهما من الموحدين والأشياخ والأعيان والخاصة والعامة ... وهذا كتابنا إليكم – كتبكم الله من اتخذ عند الرحمن عهدا ... من رباط الفتح - عمره الله ... ولما كنتم - أكرمكم الله -ممن اعتصم فى هذا الأمر العظيم بحبله وعروته ... رأينا أن نعلمكم بمأ عقده إخوانكم الموحدون على تقوى من الله ورضوان ، والترموه بأثم ارتضاء واستحسان ... وذلكم أن كثيرا من أولياء هذه الدعوة العلية واخوانها . من أشباخ الأنظار وأعيالُها تقدمت رغبتهم في أمر أخرته الخبرة لميتاتها ... وكانت هذه العشائر العربية الهلالية والقبائل الشرقية والصنهاجية ومن معها من حاضرة وبادية من أهل إقليمها وذوى ألبابها وحلومها ، يشرون إلى ذلك انتراحهم ، ويعلمون بأنه غاية اقتراحهم ومادة نفوسهم وأرواحهم ، ولم تزل مخاطباتهم فى ذلك تتردد حينا بعد حين ، ورغباتهم تتأكد بما كان عندهم فيه من ثلج ويقين فلما اتفق محمد الله وصولهم في هذه الوفادة للأخذ بأطناب السعادة المنفية بهم على مقتضى الآمال والإرادة ، صرحوا لأول لقائبهم مما أضمروه ، وأبدوا سرهم المكنون وأظهروه ، وأعلموا أن محمدا ــ وفقه اللهــ هو الذي ارتضوه لحمل عبيهم وتخيروه ، ورغبوا في تقديمه على بلادهم وإنفاذه معهم على قصد ه في توليته ومرادهم . وكان استدعارًنا لهم في هذه الوجهة المذكورة والحركة المرورة لأمور قصدت فيها مذاكرتهم . ونويت بها مباشرتهم ، لم تكن مما ذكروه في رد ولا صد ، ولا كان ما سره القدر جَارِيا معها في نظر .. ولما احتللنا جميعا هذا الرباط الميمون ، واستنلنا بفضل الله خيره المعهود .. وكان الوفد المذكور بمدرجة الاياب ومرقب الالتفات والارتَّقاب ، تأكد اقتضاوً هم للجواب ، وتمكن حديثهم في معنى التقدم الملكور والاستصحاب ، فرأينا بعد استخارة الله تعالى أن نجمع في هذا الموضع المبارك من وصله من شيوخ الموحدين وطلبتهم وعمالهم ونتذاكر معهم في ذلك الأمر المؤول ونعارضهم فيه على الحملة والتفصيل ، ونلقى إلىهم حديث القوم المذكورين بأتم وجوه الإلقاء والتوصيل فكان ذلك على

ما قصد ، وذكروا في الأمر ما توخي فيه واعتمد ، وعرفوا بأن ذلك ليس مما بني عليه ولا مما اعتقد ، فثارت منهم السواكن ، وغلبت على الظواهر والبواطن ، وعوين من أحوالهم لذكر فراق المذكور أغرب ما يعاين ، وتقدمهم الشيخ الأجل أخونا أبو حفص عمر بن يحيى ــ أعزه الله بتقوله ــ فقال هذا أمر نحن بتقديمه ، وأعلم بوجوبه ولزومه ، وأولى بتأميره علينا وتحكيمه ، ونحن السابقون إلى مبايعته على حدود الشرع ورسومه ، فهو مختارنا للدين والدنيا ومسؤولنا المأمول للحياطة والرعيا ، وأتبع ذلك من القول في معناه ما قصد أن بمكنه وأراد أن يوضح به عزمه عليه ويبينه . وقال أكثر الحاضرين من الأشياخُ والطلبة والعمال ومن أعلم به من الطلبة والفقهاء . ومن جرت مذاكرته في مثل هذه الآراء هذا أمر في ٰضائر أكثرنا معقود ، وفي نفوس جمهورنا موجود ، وهو الذي ليس عليه من آمالنا مزيد ، واتفقت الكلمة من جميعهم أن فى ذلك تجديد أمر الإمام المهدى رضى الله عنه ــ وتقويته وبسط شأنه المعظم وتسويته ، مالا مجوز تأخيره عن ذلك المقام ، ولا يحل الخلو عن التقليد والالترام ، وأن فيه من إبقاء الأمر في نصابه وإتيان الحق من أبوابه ، واتباع الدين من أخلائه وأحبابه ، وقطع كل منافق مرتاب عن أسباب نفاقه وارتيابه ، والنظر فيما بجمع كلمة الموحدين ، ويضم شمل المؤمنين بأوائل هذا القصد الصالح وأعقابه ، ما ابتني عليه اتفاقهم واصفاقهم واسترسل فيه تعيينهم وإطلاقهم ، فاعملوا وفقكم الله بأن ذلك ليس في نفوسنا عقد سابق ولا نظر لاحق ... وإنما كان هذا القصد إلى ذكر السؤال المتقدم الذكر والكلام فيه على مقتضيات هذا الأمر ، وانقضى مجلس اليوم ، ومجالس بعده في ذلك الروم ، لا عن إجابة في ذلك المطلوب ، ولا عزم على وجه من وجوه التأنى والتسبيب ، واجتمع الشيخ الأجل أبو حفص المذكور ، ومن تقدم ذكره من الطلبة والعمال بجميع من هنا من أشياخ الموحدين وأعيانهم ، وقدموا أهل القطر في أمرهم وذلك شأنهم ، وعرفوهم بما كان من قولهم فيه وبيانهم ، فاجتمع الملأ من آخره ... وأصفق الموحدون وجميع من معهم على تحمل العهد فيه وتقلده وأعربوا عما اعتقدوا به من تقوى الآمر وتأييده ، ورد إلى أصله ومستنده ، وصار الحميع منهم (م ٣٤ ــ الحضارة)

فى حد من موالاة الاقتضاء ، على أتم وجوه الاختيار والارتضاء لم يتقدم فيه عهد ، ولا كان من مضاء آمالهم فيه بد ، ولما رأينا إتفاق كلمتهم على ربط هذا الأمر وعقده ، وإجماع جمهورهم على ما فيه من نصر الدين وعضده ، استخرنا الله تعالى في الاتفاق معهم على انفاذه وسألنا لهم السعادة الدائمة في بيعتهم هذه ، ورجى لهم من الله تعالى إجراء ذلك على ما عودهم من الإصابة فى المُقاصد ، والنجح فى طلب المصالح والمراشد وانعقدت البيُّعة المذكورة باتفاق جميعنا على الشمل والعموم ، وقامت بأمر الله ورسوله في التفويض والتسليم ، وأتى الأمر فيها على أوفى شروط التكميل والتتميم ، وابتدأها الشيخ الأجلُّ أبو حفص المذَّكور بيمناه ، قصدا إلى اعتقادهًا على أكرم وجه وأسناه ، وتتابع الأشياخ والطلبة بعده على درجاتهم ، وسرى النعيم فى أبشارهم ومنحاتهم وباشرها من حضرها من القبائل الموحدية وساثر إخوانهم المؤمنين قبيلا بعد قبيل ، على أتم وجه وأنهج سبيل ، وظهر من تأليف على ذلك وتعاضدها واجتماع النفوس وتواردها .. ما ملك جوانح الكافة غبطة وأوسع أمر الموحدين بفضل الله عليهم مدا وبسطه ، وتم ذلك بعون الله على أوثق مبانيه وأطلق معانيه ، والله يعرفكم أجمعين وسائر إخوانكم من المؤمنين ، بركة هذا الإجماع ، ويُوجد لكم ثمرة النعيم به والإمتاع وينهضكم فى فروض الدين بواجب الاقتداء والاتباع نمنه والسلام .

(مجموع رسائل موحدیة من ص ٥٥ إلى ص ٦١ ت لینی بروفنسال)

الرسالة الرابعة عشرة

(بشأن تولية عيد المؤمن أبنائه أقاليم المغرب)

وهى أيضا من إنشاء الكاتب أبى جعفر بن عطية المذكور : من أمير المؤمنين – أيده الله بنصره وأمده بمعونته – إلى الطلبة والأشياخ والأعيان والكافة بسبته ، وفقهم الله وآدام كرامهم بتقواه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد فالحمد لله على تمكن أسباب الاجتماع والانتظام ، وتقريب مدارك الانتفاع بأعطياته ، والصلاة على محمد نبيه المبتعث رحمة للأنام ، وعصمة لأولى التمسك والاعتصام ، وعلى آله وصحبه الكرام ، الحارين في انتهاز خيراته وإحراز بركاته إلى أبعه غايات الاغتنام وأقصى نهايات الالترام ، والرضا عن إلإمام المعصوم ، المهدى المعلوم ، قبلة الاهتداء ، وخاتمة الحتم النبوى في الكمال والتمام ، وموضع البشرى على آجر الزمان وعقبي الأيام وهذا كتابنا إليكم — كتب الله لكم من تجدد الأنعام ، وتوفر الحظوظ المسعده والأقسام ، ما ينور بصائركم في الاعتناء والاهتمام ، ويصحب أوائلكم وأواخركم من الاعتتاح وسعادة الأختتام — من رباط الفتح — عمره الله — وفي سبيل الله ما يربط بروابط هذاالأمر العزيز ويعقد ، وعلى طاعته وتقواه ما ينظم لرضاه ويسرد، ولا مستعان سواه فهو الذي يعين بفضلة ويؤيد .

وقد تقدم إليكم — وصل الله إكرامكم وإلى تعريفكم بالمسار وإعلامكم ماكان من إجماع الموحدين وأصفيائهم على عقد هذه البيعة المجددة والترام شروطها المذكورة ، وأن ذلك لم يكن له عندنا قصد متقدم ، ولا عهد متوهم ، لكنه أمر أراده الله فأتمه ، واختاره لعباده فشمله بآمالهم وعمه ، ونرجو أن الحيرةالتامة في انعقاده ، والسعادة العامة في الترامه واعتقاده ، ولما استوى بفضل الله بنيانة المرصوص ، وثبت على الصدق والثلج حديثه المنصوص وتعين في سوابقه ولواحقه الصفاء والحلوص ، وكان من هذه العشائر الهلالية والوفود المشرفية إيامها الميمون ، وتأهل لها بتوفيق الله العشائر الهلالية والوفود المشرفية إيامها الميمون ، وتأهل لها بتوفيق الله

وتسديده حيره الموعود ونصره المضمون ، ورأت أن الذى أملته فى معنى الاختصاص بمحمد — وفقه الله — قد تأنى فى درج العموم ، وصار محجمع الآمال فى قراره البيوت واللزوم ، رغبت رغبة مستأنفة فى استصحاب أحد إخوته — وفقهم الله — على التعيين ، وبينت ما فى ذلك من جمع الكلمة وضم أشتات المصالح المقدمه بأتم وجوه التبيين ،

وأصفقت على أن ذلك يقطع أسباب الاختلاف ويفتح أبواب الاثتلاف، ويعمر جوانب تلك الأرجاء والأكناف ، بأحوال الدُّعة والسكون واتصل ذلك بشيوخ الموحدين وطلبتهم وعمالهم – وفق الله جميعهم – فتبينوا فيه من وجوه المنافع ومقاصدالمصالح والجوامع ما اعتقدوا وجوب سؤاله ، ورأوا قبل الخير في مبادى استقباله واتفقوا على أن يصحبهم المرغوب في استصحابه لدفع دواعي الشغوب واجراء الأمر في تفاصيله وحمله هناك على هذا القانون المبارك والأسلوب وانبعثت خواطر أهل البلادكلها إلى التماس مثل هذا المسؤول المرغوب ، وأملوا ترتيب آمالهم للدين والدنيا على هذا الترتيب ، فسأل طلبة تلمسان وأعمالها ومن حضرها وبواديها أن يكون لهم من هذا الأمر المتجرد والشأن المسعد ، حظ يفوزون بنعماه ، وبحوزون منه أزكى قسمة وأنماه ، بأن يستصحبوا من الأخوة المذكورين من يكُون إليه استنادهم ويدور عليه اجتماعهم واعتمادهم ، ويتمكن به واستعانتهم واعتضادهم ، ويتم ٰبالاتفاق معه أملهم من رفع الخلاف ومرادهم ، فتلقى ذلك من قبول الموحدين وتبينه ، وتقرره في نفوس جميعهم وتمكنه ، ما اراهم طلبه فرضا ، وكونه كالبنيان المرصوص يشد بعضا، وكانت المذاكرة فيه فتبين وجه المصلحه فىتلقيه ، وسبيل السداد فى تيسره وتأتيه ، واشتغل بالنظر فيما يصلح بذلك والاستعداد بما هنا وهنالك ، وكانت بعض أيام مذاكرة من الشيوخ والطلبة والعمال ومن حضر ذلك المغرب الأوسط في ترتيبه وتهذيبه ، وضمه إلى قوانين النظر السديد وأساليبه ، فرأوا الذي يعقد أمره بمعاقد السداد ، ويبنى بنيانه على قواعد الاتصال والإطراد ، ويقضى له من الاغتباط وما تقدم ذكره بأوفر حظوظ التوفيق والأسعار ، أن يكون فى وسط من الإخوة المذكورين من تسكن إليه قلوبهم ، ويتأتى به مسؤولهم من الإنفاق ومطلوبهم ، ويستريغون بالإجتماع عليه ما كان يغريهم ، من التنازع والتهالك ، ويغويهم ، وأن يكون أمر غمارة ومااتصل بهم من عمل سبتة وجهايها راجعا إلى العمل المذكور ، مرتبطا به فى سائر الشئون والأمور ، وكان فى ذلك من إعادة القول وتكريره ، وتفصيل المذكر وتفسره ، ما أظهر سبيله على مظاهر البيان وأبرزمكنون الاستقامة به العيان .

ثم تذكر الطلبة العاملون على سبتة وأعمالها ــ وفقهم الله ــ مع اخوانهم في معنى البحر ومجازه واتساع النظرفي مراسيه وأحوازه ، وكونه رابطا بن العدوتين جامعا إلى إصلاح الجهتين ، عائدًا راجعًا . وأنه إذا أبني معه النظر في أمر غمارة وسائر القبائل إلى سبته وطنجه والحزيرتين ومالقة وأعمال جميعها محتاج إلى من يدور عليه ذلك المحيط ، وتجتمع إليه هذا النظر المؤيد البسيط وينر اح به عن اشغاله المهمة التقصير والتفريط ، وأنه الآن فيها يرام لهده الغزوة الكبرى، من إنشاء الأسطول ــ عمره الله ــ في جميع البلاد الصالحة للانشاء ، وغزو أعداء الله برآ ومحرآ في كافة الأنحاء أحق والأرجاء أحتى بالعناية والاهتبال ، وأسبق إلى النَّاس الارتباط والاتصال ، وأنهإن كان هنالك من الإخوة الملكورين من يساعد ، ويعاضد في ذات الله ّ ويعاضد ، ويستدعى ما بجب استدعاؤه فلايكابر في ذلك ولامجاحد ، اتصلت المواد وانفصلت القواطع الحواد ، وتمكن النصافى من خدمتة المتواد ، وارتبط البحر بالبر ، فكانت المعاملة فيه بن العاملين عليها بما يجب من المساعدة والبر. ؛ وأتت هذه الأمور ــ وفقكم الله ــ أمراً بعد أمر ، على غير قصدمنا ولا ذكر ، بل على وجوه يعلم بالضرورة أنها نشأت لأحيانها ، وظهرت دون مقدمة لأعيانها ولما رأينا إتفاق الشيوخ والطلبة والعال – وفق الله جميعهم – أ على ترتيب هذه الأمور وإصفاقهم على ما فيه من صلاح الحمهور ، وظهور أنوار المهدى ، ــ رضى الله عنه ــ في مشارق الوضوح والظهور استخرنا الله تعالى فى إنفاذ ما رأوه ورجونا بمشيئة الله التوفيق لهم فى تيسير ما أملوه ونووه، إ وتذاكرنا معهم في أن الذي تكمل به هذه الإرادة ، وترجى بالتعاون عليه البركة ، والسعادة ، أن يكون مع كل واحد من الملكورين ، من ينتهى إليه ا الاستحسان ويقوم على خيره وفضله الحلاء والبيان ،فعين لهم من كبار الطلبة والحفاظ وأعيان الفقهاء والقضاه ونخبة الأمناء والثقاة وخيار الأنجاد من الغزاة ؛من يعينهم في جمع الع كر وتمييز القبائل وتأليف

الكتائب والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كافة المقاصد والمذاهب وأخد الناس بالنفقة فى دينهم وتعلم ما يتعين تعلمه باللازم الواجب؛ والعدل بين الأحكام ؛ والقضاء بكتاب الله وسنة رسوله ؛ وإجماع الأمة وإستخراج ما لله من وجوهه السائغة الطيبه على غاية مستطاعهم من الترتيب والاحكام ؛ ومباشرة الجمهور فى سائر الأمور بما يجرى على مقتضيات الإيمان والإسلام ؛ وانتخبت لكل جهة من الجهات المذكورة من قدماء الموحدين وأوليائهم بقدر ما احتيج اليه فاشتركت فى هذا الخير قبائلهم وتقدمت إلى أوائله أوائلهم ، واستقبل منه الموحدون كافة ما يواليهم بفضل واستقامت هذه الأحوال بحمد الله على ما أمل من استقامتها ؛ واعتمد من إظهارها على قواعد الحق وإقامتها .

وأعلمناكم ــوفقكم الله ــبها على الإجمال لتكونوا لسماع أبنائها والوقوف على جلائها كالمشاهدين لإيعازها وإمضائها ؛ والمشاركين فى استحسانها وإرتضائها ؛ وليس لنا فى ذلك كله إلا بما يجرى بطاعة الله ورسوله فى تيسير آمال الموحدين وموافقتهم ورغبتهم فيما يشيرون إليه بفضلهم وسابقتهم ؛ والله يجعلنا وإياكم من شكرالاه إسرارا وإعلانا ؛ واستدام بفضله ورعايته يمنا وأمانا واستصحب فى إلتزام طاعته واغتنام مرضاته أعوانا وإخوانا بمنه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب فى الثانى عشر من ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وخمسمائة (مجموع رسائل موحدية من ص ٦٦ إلى ص ٦٦ ت ليني بروفنسال)

كتاب أمير المسلمين على بن بوسف بن تاشفين إلى واليه أبي محمد عبد الله بن فاطمة ببين فيها أسس حكمه

وكتب عنه ــ أى الكاتب أبو القاسم بن الجدــ أيده الله ونصره إلى أبى محمد عبد الله بن فاطمة رحمه الله كتأبنا أطال الله فى طاعته عمرك وأعز بتقواه قدرك وشد فىماتولاه أزرك وعضد بالتوفيق والتسديد أمرك منحضرة مراكش حرسها الله وقدرأينا والله ولى التوفيق والهادى إلى سواء الطريق أن نحدد عهدنا إلى عمالنا عصمهم الله بالتزام أحكام الحق إيثار أسباب الرفق لما نرجوه فى ذلك من الصلاح الشامل والخير العاجل والآجل والله تعالى ييسرنا لما يرضيه من قول وعمل بمنهوأنت أعزك الله ممن يستغنى بإشارة التذكرة ويكتفي بلمحة التبصرة لما تأوى اليه من السياسة والتجربة فاتخذ الحق إمامك ؛وملك يده زمامك وأجر عليهفي القوى والضعف أحكامك ، وارفع لدعوة المظلوم حجابك ، ولاتسد في وجه المضطهد المهضوم بابك ، ووطئ للرعية حاطها الله اكنافك ، وابدَّل لها إنصافك واستعمل عليها من يرفق بها ويعدل فيها ، واطرح كل من محيف عليها ويؤذبها ومن سبب علمها من عمالك زيادة أو حزق فى أمرها عادة أو غير رسمها أوبدل حكما أو أخد لنفسه منها درهماظلما فاعزله عن عمله وعاقبه فى بدنه والزمه رد ما أخذ متعديا إلى أمله واجعله نكالا لغىره حتى لا يقدم وتأييدك لا إله غبره ولا خبر إلا خبره .

(الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ص ١١٧)

رسالة الفصول وفيها بعض نصائح الخليغة عبد المؤمن بن على لأهل بجاية .
من الرسالة المعروفة برسالة الفصول : أنشأها الكاتب أبو جعفر بن عطية
عن إذن الخليفة عبد المؤمن إلى أهل بجاية يوصيهم بإقامة الحدود وحفظ الشرائع
وإظهار الحق بلزوم الواجبات : الم

وابتدئ بأول مبانى الإسلام ، فآخذ الناس بعلم التوحيد الذى هو أساس الدين ومبناه ، وروحه ومعناه ، والقاعدة التي لا يثبت عمل دون تأصيلها والرابطة التي لا يقبل دين دون تحصيلها ، فلا سبب لمن لم يتمسك بسببه ، وقد بنى وجوب العلم بالفرائض على وجوب العلم به ، وهو إثبات الواحد ونني ما سواه بتقييدات في الشريعة لا يكتني معها إطلاق اللفظ دون تحقيق معناه ، وذلك أن يعلم على وجهة وحده ليكون عن علم لا عن ضده ، وعن يقين لا عن شــك ، وعن إخلاص لا عن شرك وأن يقوله مع العمــل لاينكل . ويؤمر الذين يفهمون اللسان الغربي ويتكلمون به ان يقرؤوا التوحيد بذلك اللسان من أوله إلى آخر القول في المعجزات ، ويحفظوه ويفهموه ، ويلازموا قراءته ويتعهدوه ،ويؤمر طلبة الحضر ومنّ في معناهم بقراءة العقسائد وحفظها وتعاهدها على سبيسل التفهم والتبين والتنبه والتبصر ويلزم العامة ومن في الديار بقراءة القصيدة التي أولها: اعلم ارشدنا الله واياك وحفظها وتفهمها؛واشمل في الالزام الرجال والنساء والأحرار والعبيد وكل من توجه عليه التكليف إذ لايصح لهم عمل ولا يقبل منهم قول دون معرفة التوحيد ؛ فمن لم يعرف المرسل لم يصدق بالمرسل والرسالة ؛ ومن حصل على مثل هذه الحالة؛ فقد تعثر في أذيال الضلاله ؛ فإن لم يبادر إلى التخلص منها؛والإنفصال عنها ، وجب عليه حكم الكتاب ولاعنت في إراقة دمه لامحالة وآخذوا بإقامة الصلاة التي هي الكتاب الموقوف على المؤمنين والحكم المثبوت على كل من آمن بهذا الدين ، والناهية عن الفحشاء والمنكر على ماورد في الكتاب المبين ؛ولاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة ؛ فهو ممحو من ديوان المؤمنين ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع من الوظائف والقوانين وتاركها ميت فىعداد الاحياء لخشاشه تقضى عند إنقضاء أمد هال والإملاء ؛ فخذوا من قبلكم باقامة الصلاة على ماشرعت ؛وأداءُ بها

بسحب مافرضت ؛ وخذوا العوام ومن فى الديار بحفظ أم القرآن وسوره معها ؛ وما تيسر من القرآن لتم صلاتهم ؛ وبكمل عملهم ؛ ومن أضاع الصلاة وأهملها ولم يبادر إلى أداء مافرض عليه منها فأجله للحين متاح ؛ وقتله بحكم الكتاب والسنة واجب .

وخذوا إيتاء الزكاة ؛ وبالكشف عن ما نعيها وتشخيص ممسكيها أو النزر اليسير منها ؛ فالزكاة حق المال ؛ والجهاد واجب علىمن منع منها قدر العقال ؛ فمن ثبت تركه للصلاة ؛ فمن منع كمن منع الشرع كله .

وآمر بالنظر فى الربوب وتمييزها ؛ والهجوم على بائعها ومدمنى شربها ومستعمليها فيراق مسكرها ؛ويقطع منكرها وليعمد إلى من عمل المسكر الحرام عامداً وشربه مدمناً عليه ومعاهداً ؛ولم ترعه الحدود ؛ولم تقيده القيود ؛ولم يعظه الإعتبار؛ ولم ينفعه الاذكار فيمحى أثره؛ويحدف خبره فالمخمر أم الكبائر وجماع الإثم ؛وكاشفة شمس العقل والبلاغة على كل قبيح من الفعل ؛والفاتحة لكل مرتج من أبواب العصيان ؛وهى رجس من اعمال الشيطان .

آمر بالكشف عن التلصص والحرابة ؛ والتولج في مكان من الريب والغواية والإجتماع على السير الجاهلية من الملاهي على فنونها وانواعها واختلاف آلاتها ومايتبعها من المناكر الناشئة عن أصل الجهالة ؛ والأفعال المنافية للشريعة الصادرة على أهل اللراعة والضلالة من الرجال المفسدين والغواة المضلين ؛ ومن النساء المفسدات المتفننات في طرق الغوايات فاكشفوا عن هذه الأصناف، ؛ وأثيروهم عن مكامنهم ونقبوا عليهم في مظانهم ؛ فمن شهد عليه منهم بشهادة صحيحة سالمة من الهوى والظنة باستصحاب حاله ، تماديه على الإحضار في محل باطلة ومحاله ؛ فبحكم كتاب الله — جل اسمه وتطاع سنة نبيه — صلى الله عليه وسلم — فيه .

وليكشف عن الذين يغرمون الناس ما ليس قبلهم ويأكلون بالباطل أمواهم وعن أهل العناد والتقاعص والإخلاد. والتثبط الذين إذا دعوا إلى

الجهاد ونودوا إلى الصلاح والرشاد ؛ صموا عن النداء وتلوموا فى إجابة المحاء ؛ وألقوا المعاذير المعربة عن العناد ؛ والناطقة عن الضمائر الممتلئة بسوء الاعتقاد ، وعن القبائل القوية على سير الجاهلية من الهرج فيا بينهم والقتل والفساد والخبل والانقياد إلى سلطان الجهل والحروج عن قانون الحق وضبط الأمر ، وعن أهل النفاق والتدليس الناطقين بما لا يعلمون ، القائلين ما لا يفمون فإذا تعينوا على التحقيق ، فليمض عليهم حكم الله تعالى اللى أمر به فيهم ،

(مجموع رسائل موحدیه ۱۳۱ – ۱۳۴ ، البیدق : أخبار المهدی ص ۱۳۹ – ۱۲۲)

المرشدة لاين تومرت

وهى خلاصة عقيدة التوحيد عند الموحدين

بسم الله الرحمن الرحيم . اعلم ــ أرشدنا الله وإياك ــ أن الله عز وجل وحد في ملكه ، خالق العالم بأسره العلوى والسفلي والعرش والكرسي ، والسموات والأرض وما فيها وما بينهما ، جميع الحلائق مقهورون بقدرته ، لاتتحرك ذرة الإباذنه ، ليس معه مدبر في الخلق ، ولا شريك ، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، عالم الغيب والشهادة ، لا يخنى عليه شيُّ فى الأرض ، ولا في السماء ، يعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الإ يعلمها . ولا حبة فى ظلمات الأرض ، ولا يابس إلا فى كتاب مبين . أحاط بكل شيُّ علما ، وأحصى كل شيُّ عدد ا ، فعال لما يريد ، قادر على ما يشاء له الملك والغني ، وله العزة والبقاء ، وله الحمد والثناء ، ولهالأسهاء الحسني لا دافع لما قضى ، ولا مانع لما أعطى ، يفعل فى ملكه ما يريد ، ويحكم فى خلقه ما يشاء ، لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً ، ليس عليه حق ولا عليه حكم ، فكل نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عدل، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . موجود قبل الحلق ، ليس له قبل ولا بعد ولا بعد ولا فوق ولا تحت ولا يمن ولاشمال ولاأمام ولا خلف ولاكل ولابعض ، ولايقال متى كان ولا أين كان ولاكيف كان ، كون الأكوان ، ودبر الزمان ، لا يتقيد بالزمان ولا يختص بالمكان ولا يلحقه وهم ، ولا يكفيه عقل ولا ينحصر في الذهن ولا يتمثل في النفس،ولا يتصور في الوهم ،ولايتكيف في العقل لا تلحقه الأوهام والافكار جل عن الشبيه والنظير، ليس كمثله شيُّ وهو السميع البصير »

> «ابن القنفذ في مبادئ الدولة الحفصية ص ٢١١، ٢١٢ تحقيق محمد الشاذلي النيفر ،عبد المجيد التركي »

الراجع

أولا: المخطوطات

۱ أكنسوس : أبوعبد الله محمد (ت سنة ۱۲۹۶ هـ)
 الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا سيدي على السجلماسي – ميكروفيلم رقم ۱۵۸۳ دار الكتب .

التادلى : أحمد بن أبي القاسم بن محمد بن سالسم بن عبد العزأيز الشعبي الهروى :
 كتاب المعزى فى أخبار مناقب الشيخ سيدى أبي يعزى رقم ١٧٤٩ دار الكتب .

۳) التنسى : عبد الحليل : الدر وألعقيان فى شرف بنى زيان رقم ٨٦٦١ ح
 دار الكتب

٤) الحيلاني : عبد السلام الغرابلي : رسالة في ذكر من أسس مدينة فاس رقم ٩٧٣٢ ح
 دار الكتب

ه) السيوطى : عبد الرحمن بن أبي بكر :
 البستان فى أخبار الزمان رقم ٢٠٢٤ تاريخ دار
 الكتب

۲) الشطیبی : محمد الشطیبی المغربی :
 کتاب الحمان فی أخبار الزمان رقم ۱٤۱٦ تاریخ
 دار الکتب

العمرى : شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله بن مجلى ابن دعجان (ت سنة ٧٤٩هـ)
 مسالك الأبصار في ملوك الأمصار رقم ٥٥٩ دار الكتب

۸) عیدساض : القاضی عیاض الیحصبی (۱۹۵۵ ه)
 ۳ ترتیب المدارك و تقریب المسالك رقم ۹۶۷۳ ح
 دار الكتب

العينى : بدر الدين أبو محمد محمود بن احمد بن موسى ابن أحمد بن حسن (ت ٨٥٥ ه)
 عقد الحمان فى تاريخ أهل الزمان رقم ١٥٨٤
 دار الكتب

۱۰) النويرى . شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد نهاية الأرب في فنون الأدب رقم ١٤٩ دار الكتب

ثانيا : المراجع العربية المطبوعة :

۱۱) ابن الآبار : أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي : (ت ۲۵۸ هـ) إعتاب الكتاب تحقيق د . صالح الأشتر دمشق سنة ۱۹۲۱

۱۲) نفس المؤلف : التكملة لكتاب الصلة : تعليق ونشر الفريد بل وابن أبي شنب ــ الحزائر سنة ١٩١٩ م

۱۳) نفس المؤلف : الحلة السيراء جزءان ــ تحقيق د . حسين مؤنس ط ۱ سنة ١٩٦٣ لحنة التأليف والترجمة والنشر

١٤) ابن الأثير : أبو الحسن على (٦٣٠ هـ)
 الكامل في التاريخ -- ٩ أجزاء مطبعة الإستقامة

١٥) أحمد أمين : ظهر الإسلام - الجزء الثالث ط ٢ سنة ١٩٥٩
 لحنة التأليف والترجمة .

١٦) د . أحمد زكي : تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا
 الغربية سنة ١٩٦١ الؤسسة العربية .

۱۷) د. أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام سنة ١٩٣٩ دمشق

۱۸) الإدريسى : محمد بن عبد العزيز الشريف الفاورى الإدريسى (۱۸) وصف المغرب والاندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق تحقيق دوزى ودى غوية ليدن سنة١٨٦٦م

19 أرسلان : شكيب – الحلل السندسية في الأخبار
 والآثار الاندلسية ط ١ سنة ١٩٣٦ فاس .

۲۰) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط — ترجمة د. أحمد عيسى ، النهضة المصرية .

٢١) أشباخ : يوسف – تاريخ الأندلس في عهد
 المرابطين والموحدين ج١ سنة ١٩٤٠، ج٢سنة
 ١٩٤١ القاهرة .

ابن أصيبعة : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القــاسم
 (تسنة ٢٧٧ه)عيون الأنباء في طبقات الأطباء
 تد.نزار رضا بيروت سنة ١٩٦٥.

۲۳) بابا التنبكتى : أبو العباس سيد أحمد بن أحمد : (١٠٣٦هـ:
 ١٦٢٧م) نيل الابتهاج بتطريز الديباج طاسنة ١٣٥١همصر .

۲٤) الباجي : محمد الباجي المسعودي : الخلاصة النقية
 ف أمراء إفريقية سنة ١٢٨٣ هـ تونس.

۲۵) بالنثیا : آنخل جنثالث : تاریخ الفکر الأندلسی ــ ترجمة د. حسین مؤنس ط۱ سنة ۱۹۵۵.

۲۲) البراوى : د. راشد :

۲۷) بروفنسال : ليفى : الإسلام فى المغرب والأندلس - ترجمة د. السيد محمود عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح سنة ١٩٦٥ النهضة .

٢٨) نف س المؤلف : مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية سنة ١٩٤١رباط الفتح .

۲۹) بروكلمان : كارل : تاريخ الشعوب الإسلامية ج ٢ ترجمة
 د. نبية فارس ومنير البعلبكي ط ١٩٤٩م.

۳۰) ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك (۵۷۸): -الصلة في تاريخ أثمة الأندلس جزءان نشر
وتصحيح السيد عزت الحسيني سنة ١٩٥٥م.

٣١) البكرى : أبوعبيد الله بن عبد العزيز :(٤٨٧)المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب تحقيق دى سلان ط۲ باريس سنة ١٩١١

٣٢) بنعبد الله : عبد العزيخ : الطب والأطباء بالمغرب ــ الرباط سنة ١٩٦٠ م .

٣٣) نفس المؤلف : تاريخ المغرب جزءان ـ الدار البيضاء .

٣٤) نفس المؤلف : جغرافية المغرب ط٢ سنة ١٩٥٦الدار البيضاء

٣٥) نفس المؤلف : المعجم التاريخي ـ الدار البيضاء .

٣٦) بنعبد الله : عبد العزيز : مظاهر الحضارة المغربية جزًان ج ١ سنة ٥٧ ؛ ج ٢ سنة ١٩٦٢ الدار البيضاء .

٣٧) نفس المؤلف : معطيات الحضاره المغربية الجزء الأول سنة ١٩٦٣؛ الرباط .

٣٨) نفس المؤلف : وحدة المغرب العربي عدد أول سنة ١٩٥٦ مجلة تطوان المغرب .

٣٩) بوجندار : محمد : تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط

٤٠) البوعياشي : أحمد بن عبد السلام: الريف بعد الفتح الإسلامي تطوان سنة ١٩٥٤.

: الممالك الإسلامية فى غرب أفريقيا ـــ ترجمة الدكتور زاهر رياض سنة ١٩٦٨الإنجلو .	٤١) بونيل
: رابح : المغرب العربى :تاريخة وثقافتة سنة ١٩٦٨؛الجزائر .	۲۲) بونار
: أبو بكر الصنهاجى (القرن السادس الهجرى) أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين نشر ليفي بروفنسال سنة ١٩٢٨ باريس	٤٣) البيذي
: أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن :التشوف إلى رجال التصوف ؛نشره	٤٤) التادلي
وصححه أدولف فور سنة ١٩٥٨ الرباط . : عبد الهادى : احد عشر قرنا فى جامعة القرويين سنة ١٩٦٠المغرب .	٥٤) التازى
: محمد بن تاویت ومحمد الصادق عفیفی : الأدب المغربی ط۲سنة ۱۹۲۹بیروت .	٤٦) تاويت
: المهدى محمد بن عبد الله : (١٤٥هـ)أعزما يطلب سنة ١٩٠٣الجزائر .	٤٧) إبن تومرت
: الحسبة في الإسلام سنة ١٩٦٧ دمشق .	٤٨) ابن تيمية
: عبد الله بن العباس : تقدم العرب فى العلوم والصناعات وأستاذ يتهم لأوربا ط ١ سنة ١٩٦١م دار الفكر العربى .	٤٩) الجرار ى
: أبوالحسن على:زهرة الآس فى بناء مدينة فاس سنة ١٩٢٢م الجزائر .	٥٠) الجزنائي
: شارل اندرية :تاريخ أفريقية :ترجمة عوضى أباظة سنة ١٩٦٨القاهرة .	١٥) جوليان
: عبد الرحمن بن محمد : تاريخ الجزائر العام جزأان ط۲ سنة ١٩٦٥بيروت .	۲٥) الجيلاني

۵۳) حتى : فيليب خورى : تاريخ العرب-الممجلد الثانى ط^۳اسة ۱۹۵۲دار العالم العربي .

١٩٦٥ : إبر اهيم : المغرب عبر التاريخ ط١سنة ١٩٦٥
 الدار البيضاء .

٥٦) د.حسن إبراهيم حسن : تاريخ ال ولة الفاطمية في المغرب ط٢سنة .

۵۷) د. حمن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي : ج ٤ ط ١ سنة ١٩٦٧.

ه) نفس المؤلف : إنتفار الإسلام في القارة الإفريقية ط ٢ سنة ٦٤
 النيضة .

٥٩) د. حسن أحمد محمود : تيام دولة السرابطين سنة ١٩٥٧ النهضة

١٠) نفس المؤلف : الإسلام والنتمافة السربية في إفريقياط ٢ سنة ٦٣ النهضة

٢٦) د. حسن على : دولة الإدراسة بالمغرب ـــ رسالة ماجستير
 تحت الطبع

٢٢) حقى : إحسان:المغرب العربي – بيروت.

۳۳) حموده : د . على محمد: تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والإجتماعي ط ١ سنة ١٩٥٧ القاهرة

٦٤) ابن حوقل : أبو القاسم : (اواخر القرن الرابع) صورة الارض .

٦٥) الحموى : محمد ياسين : تاريخ الاسطول العربي
 سنة ١٩٤٥ دمشق .

﴿ م ٣٥ ــ المضارة)

٦٦) الحميرى: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (٦٦٨هـ)

صفة جدزيرة الأندلس تحقيق ليفي

بروفنسال سنة ١٩٣٧ لجنة التأليف والترجمة

٧٧) ابن خاقان : أبو نصر الفتح محمد بن عبد الله القيسي (٥٣٥ه

قلائد العقيان ط ١ سنة ١٣٢٠هـ مصر

٦٨) ابن الحطيب : الوزير محمد لسان الدين : (٧٧٦ه) كتاب

أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام ــ القسم الثاني تحقيق ليفي

بروفنساسنة ١٩٣٤ رياط الفتح

٦٩) ابن الحطيب : الوزير محمد لسان الدين : (٧٧٦هـ) تاريخ

المغرب العربي الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام تحقيق د . أحمد محتار

٧٠) نفس المؤلف : الإحاطة في أخبار غرناطة : ت محمد عبد الله

عنان ،المجلد الأول سنة ١٩٥٥دار المعارف.

٧١) نفس المؤلف : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ــ

تصحيح السيد البشير الفورتى ط١تونس

سنة ١٣٢٩ .

٧٧) نفس المؤلف : رقم الحلل نظم الدول ــ تونس سنة ١٣١٧هـ.

٧٣) ابن خلدون : أبو زكريا يحي بن أبي بكر محمد بن محمد

(۵۷۸۰)بغية الرُّواد في ذكر الملوك من بني

عبد الواد ــ الجزء الأول الجزائر سنة ١٩٠٣م.

۷۷) بن خلدون : عيد الرحمن بن محمد (۸۰۸هـ) العبر وديوان

المبتدأ والخبر ج ٤ ،ج ٦ ،ج ٧

سنة ١٢٨٤ھ القاهرة

٧٥) نفس المؤلف : مقدمة ابن خلدون – بيروت – مطبعة الكشاف

ابن خلکان : أبو العباس شمس الدین أحمد بن محمد بن أبی
 بکر (تسنة ۱۸۱ه): وفیات الأعیان
 وأنباء أبناء الزمان - ٦ أجزاء ط۱ سنة ۱۹٤۸
 النهضة المصریة .

٧٧) ابن دحية : أبوالخطاب عمر بن الشيخ الإمام أبي على (٦٢٣هـ) المطرب في أشعار أهل المغرب ط ١ الخرطوم سنة ١٩٥٤.

۷۸) دیماند : م.س. : الفنون الإسلامیة – ترجمة أحمد عیسی دار المعار ف سنة ۱۹۵٤.

ابن أبى دينار : محمد بن القاسم الرعينى القيروانى : كتاب المؤنس
 فى أخبار أفريقيا وتونس ط١ تونس سنة ١٢٨٦هـ

٨٠) ابن رستة : أبو على أحمد بن عمر : الأعلاق النفيسة ليدن سنة ١٨٩١م

. ۸۱) الرفاعي : أنور الرفاعي وآخرون :المغرب العربي جغرانيا ط١ دمشق سنة ١٩٤٩م .

۸۲) روجیة لوتورنو : فاس فی عصر بنی مرین ـــ نرجمة دنقولا زیاده بیروت .سنة ۱۴٬۱۷.

۸۳) الريس : د . محمد ضياء الدين : .الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ط٢سنة١٩٦١الإنجلو المصرية

٨٤) نفس المؤلف : النظريات السياسية الإسلامية ط١سنة ١٩٥٢
 الإنجلو .

۸۵) زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ترجمة د . زكى محمل حسن ، حسن أحمد محود .

٨٦) ابن أبى وزرع : أبو الحسن على بن عبد الله (٧٢٦هـ) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب

وتاریخ مدینة فاس جزان تحقیق محمد المهاشمی الفیلالی الرباط سنة ۱۹۳۲م ونسخة أخرى طبع حجر رقم ۱۹۲۸دار الكتب

٨٧) الزركشي : أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي : تاريخ

الدولتين الوحدية والحفصية طأتونس سنة ١٢٨٩هـ

٨٨) الزركلي : خير الدين : الأعلام مصر سنة ١٩٢٧.

٨٩) زكى محمد حسن : فنون الإسلام –ط١سنة ١٩٤٨مالنهضة المصرية

۹۰) ابن زیدان : عبد الرحمن : إتحاث اعلام الناس بجمال حانبرة مكناس خسة اجزاء ــط ۱ سنة ۱۹۲۹ الرباط

٩١) سعد محمد حسن : المهدية في الإسلام طـ ١ مصر سنة ١٩٥٣م.

٩٢) سعداوى : د. نظير حسان : نظام البريا، في الدولة الإسلامية مصر بدئة ١٩٥٧م.

۹۳) ابن سعید : الأندلسی :المنرب فی حلمی المغرب ج۱سنه ۳۵، ج۲ سنة ۱۲۵۵ دار المعار ف .

٩٤) نفس المؤلف : باعد الأرض في الطول والعرض ، تحقيق د.
 خوان قرايط خينيس سنة ١٩٥٨ تطوان.

۹۰) السلاوی : الشیخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصری:
 ۱۳۱۵ه)الإستقصا لأخبار دول المغرب
 الأقصى ، تحقیق جعفر الناصری و محمد
 الناصری جزان سنة ۵۵ الدار البیضاء ،

۹۲) السلفی : أحمد بن محمد بن أحمد (۳۲۰هم)أخبار وتراجم أندلسية ــ تحقيق د. إحسان عباس بيروت ط١ سنة ١٩٦٣.

۹۷) د . السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير : العصر الإسلامي القومية سنة ١٩٦٦.

٩٨) نفس المؤلف : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ط ١ سية ١٩٦٩
 النهضة المصرية .

99) نفس المؤلف : ود. أحمد مختار العبادى :تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والاندلس ـــ بيروت سنة ١٩٦٩.

د. محمد عيد المهادى : المرابطون تاريخهم السياسي ط١٠٠١ القاهرة .

العلمي : د. أحمد : التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية جـ التاريخ الإسلامية المصرية ا

۱۰۲) نفس المؤلف : السياسة والإقتصاد في التفكير الإسلامي سنة ١٩٦٤ النهضة .

۱۰۳) نفس المؤلف : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضا ةالإسلامية المجرء السادس ط ١٩٧١النهضة المصرية

۱۰٤) الشيزرى : عبد الرحمن بن نصرة: نهاية الرتبة في طلب الحسبة نشره الباز العريني ــــ لجنة التأليف سنة ١٩٤٦م.

۱۰۰) ابن صاحب الصلاة : عبد الملك (نهاية القرن السادس الهجرى تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلمهم الله أثمة وجعلمهم الوارثين السفر الثانى – تحقيق عبد الهادى التازى –بيروت ط اسنة ٢٤م

١٠٦) د. صبحي صالح :النظم الإسلامية وتطورها ط٢سنة ١٩٦٨–بيروت

۱۰۷) الصفاقسى : محمود بن سعيد مقديش: نزهة الأنظار فى عجائب التواريخ والأخبار تونسسنة ١٣٢١هـ.

۱۰۸) الضبى : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (تسنة ۹۹ه) بغية الملتمس ــمدريد سنة ۱۸۸٤م.

۱۰۹) طرخان : د. إبراهيم : امبراطورية غانة الإسلامية سنة ٧٠ـــ الهيئة العامة للتأليف والنشر . ۱۱۰) الطرطوشي : أبو بكر محمد بن محمد الوليد (تسنة ۲۰هـ) سراج الملوك ط۱سنة ۱۳۰۲ه.

۱۱۱) العبادى : د. أحمد مختار : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ط استة ١٩٦٨ الاسكندرية .

في القرن الخامس بن حبوس بن زيرى : (كانحيا في القرن الخامس الهجرى) مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيرى بغرناطة سنشر وتحقيق ليفي بروفنسال دار المعارف

۱۱۳) ابن عبدون : محمد بن أحمد التجيبي (من رجال القرن الخامس) : ثلاث رسائل اندلسية في آداب الحسبة المحتسب ، تحقيق ليفي بروفنسال القاهرة سنة ١٩٥٥.

١١٤) : محمد بن عبد السلام .تاريخ المغرب – الجزء الأول ،ط٢سنة ١٩٥٧ تطوان .

۱۱۵) العدوى : د. إبراهيم :المسلمون والحرمان ط١سنة ١٩٦٠

۱۱۲) بن عذاری : ابن عذاری المراکشی : (کان حیا ۷۱۲ه (
البیان المغرب فی أخبار الأندلس والمغرب ج تحقیق د. إحسان عباس ، بیروت ط سسنة ۱۹۲۷ ونسخة أخری ج تحقیق أمبرزیو أویثی میراندا تطوان سنة ۱۹۵۲.

۱۱۷) علام : د. عبد الله :الدعوة الموحدية بالمغرب بالمغرب ط١٩٦٤.

۱۱۸) نفس المؤلف : الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن دار المارف سنة ١٩٦٨.

119) على بن يوسف : أبوالحسن على بن يوسف الحكيم : (كان حيا سنة ٧.٩هـ) الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تحقيق د. حسين مؤنس ـــ مدريد سنة ١٩٦٠م.

۱۲۰) العمري

: شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله } (ت٧٤٩ه)وصف أفريقية والمغرب والأندلس أواسط القرن الثامن للهجرة نشر حسن حسنى عبد الوهاب . تونس .

۱۲۱) عنان

: محمد عبد الله : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، القسم الأول والثانى ط ١ سنة 197٤ القاهرة .

۱۲۲) عیاض

: أبوالفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى السبتى (تسنة ١٤٥ه) الأعلام بحدود قواعد الإسلام ــ تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ــ الرباط سنة ١٩٦٤م.

۱۲۳) ابن غازی

: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن على (٩١٩) .الروض الهتون فى أخبار مكناسة الزيتون ـــ طبع حجر مغربى

١٢٤) الغرناطي : محمد بن عبد الرحيم المعرو ف بابي حامد (٥٦٠)

تحفة الألبا ونخبة الإعجاب ـــتجبراثيل فيراند باريس سنة ١٩٢٥ .

١٢٥) الغزائي :

: أبو حامد محمد بن محمد (٥٠٥ هـ) احياء علوم الدين ٥ أجزاء المطبعة التجارية .

۱۲۲) غنيمة : محمد عبد الرحيم : تاريخ الجامعات الإسلامية الكبريى تطوان سنة ١٩٥٣ .

١٢٧) الفاسي : محمد : التعرف بالمغرب سنة ١٩٦١ لحنة البيان . .

۱۲۸) فيرون : ريمون : الصحراء الكبرى ـــ ترجمة . جمال . الدين الدينا صورى ود . نصرى شكرى القاهرة سنه ۱۹۹۳ . ۱۲۹) ابن القاضى : احمد بن محمد : جذوة الإقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس – طبع حجر فاس سنة ۱۲۰۹ ه .

۱۳۰) ابن القطان : ابو على الحسين (القرن السابع الهجرى) : نظم الحمان ــ تحقيق د. محمود على مكى ــ تطوان . ١٩٦٥ .

القفطى : جمال الدين ابو الحسن على بن القاضى الأشرف يوسف : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ط ١ سنة ١٣٢٦ ه مصر

۱۳۲) القلقشندى : أبو العباس أحمد بن على (۸۲۱هـ) صبح الأعشى ج ٥ ـــ وزرة الثقافة سنة ١٩٦٣م.

۱۳۳) ابن القنفذ : ابو العباس احمد بن حسين (۲۰۰۰ه) الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي تونس سنة ١٩٦٨ م .

۱۳٤) الكتانى : محمد المنتصر : الغزالى والمغرب : بحث ضمن مقالات وأبحاث ألقيت فى مهرجان دمشق سنة ١٩٦١ ــ المجلس الأعلى .

۱۳۵) الكعاك : عثمان : الحضارة العربية فى حوض البحرالمتوسط لحنة البيان سنة ١٩٦٥ .

١٣٦) نفس المؤلف : محاضرات في مراكز الثقافه في المغرب ــ معهد الدراسات العربية سنة ١٩٥٨.

١٣٧) كنــون : عبد الله : مدخل إلى تاريخ المغرب ط ١ سنة ١٩٤٤ تطوان .

۱۳۸) كنـــون : عبد الله : النبوغ المغربي ــ ثلاثة أجزاء ط ۲ سنة ۱۹۶۱ بىروت . ١٣٩) نفس المؤلف : أمراؤنا الشعراء ــ تطوان .

١٤٠) د. لطني عبد البديع : الإسلام في اسبانيا ــ ط ٢ النهضة المصرية سنة ١٩٦٩ .

۱٤۱) لقبـــال : موسى : الحسبه المذهبية فى بلاد المغرب ــ نشأتها وتطورها ط1 سنة ١٩٧١ الحزائر .

١٤٢) اویجی رینالدی: المدنیه العربیة فی الغرب – ترجمة طه فوزی

۱٤٣) لين بول : طبقات سلاطين الإسلام ــ ترجمة مكى الطاهر الكعبى سنة ١٩٦٨م منشورات البصرى .

184) ليوبولد توريس : الأبنية الأسبانية الإسلامية ــ ترجمة علية إبراهيم عدد اول سنة ١٩٥٣ مجلة المعهد المصرى ــ مدريد

180) مـــاجــــد : د. عبد المنعم ـــ تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ـــ القاهرة سنة ١٩٦٣ .

127) مالك : ابو عبد الله مالك بن انس : موطأ الامام مالك ــ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ــ القاهرة سنة ١٩٦٧.

۱٤۷) الماوردى : أبو الحسن على بن محمد حبيب (ت٤٥٠). الأحكام السلطانية ط1 سنة ١٩٦٠م الحلبي

۱٤۸) مانویل جومیث مورینو : الفن الإسلامی فی أسبانیا – ترجمة د. لطفی عبد البدیع ود. محمود عبد العزیز سالم – التألیف والترجمة .

(كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري) — الإستبصار في عجاثب الأمصار نشر وتعليق د . سعد زغلول عبد الحميد — الاسكندرية سنة ١٩٥٨ .

۱۵۰) مجهول : نخب تاریخیة جامعة لأخبار المغرب الأقصى درمها ونشرها لیفی بروفنسال باریس سنة ۱۹۲۳ م.

۱۵۱) مجهول : تواریخ مدینة فاس ـــ نشر سلفاتور کوسا ـــ بالرم سنة ۱۸۷۸ م

۱۵۲) مجهول : كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس فى عصر الموحدين تحقيق المبرزيو أويثى ميراندا ـــ مدريد سنة ١٩٦٥.

۱۵۳) مجهول : الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ــ نشر عمد بن أبى شنب ــ الجزائر سنة ١٩٢٠ م .

١٥٤) د. محمد بحر عبد المجيد : اليهود في الأندلس سنة ١٩٧٠– الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر .

۱۵۵) المراكشى : عباس بن إبراهيم:الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام – ٨ أجزاء ـفاس ط١ سنة ١٩٣٦ م .

107) المراكشي : عبد الواحد : (النصف الأول من القرن السابع الهجري) المعجب في تلخيص أخبار المغرب تحقيق محمد سعيد العربان ومحمد العربي العلمي — القاهرة سنة ١٩٤٩ م

۱۵۷) المراكشى : محمد عثمان :الجامعة اليوسفية ــ الرباط سنة ۱۹۳۷ م

۱۰۸) المرير : محمد : الأبدعاث السامية في المحاكم الإسلامية – الحزء الثاني – تطوان سنة ١٩٥٢.

۱۰۹) ابن مريم : أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد : البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ــ مراجعة محمد ابن أبى شنب ــ الجزائر سنة ۱۹۰۸ م .

1971) مشرفة : د. عطية :القضاء في الإسلام – ط٢ سنة ١٩٦٦ شركة الشرق الأوسط . ۱۳۱) المقدسى : المقدسى المعروف بالبشارى (۳۷۸هـ):أحسن التقاسم فى معرفة الأقاليم ط۲ ليدن سنة ١٩٠٦م.

المقرى : أحمد بن محمد (١٩٢١ه): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد عشرة أجزاء مصر سنة ١٩٤٩

۱۹۳) ملين : محمد الرشيد :عصر المنصور الموحدى – مطبعة الشمال الإفريقي .

۱۹۶) المنونى : محمد :العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين تطوان سنة ١٩٥٠ م.

١٦٥) ابن المؤقت : محمد بن محمد بن عبد الله : السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، جزائن - طبع حجر - مراكش سنة ١٣٣٥هـ

١٦٦) نفس المؤلف: الإنبساط بتلخيص الإغتياط - مصر سنة ١٣٤٧ ه.

١٦٧) مؤنس : د. حسين :عقد بيعة بولاية العهد لأبي عبد الله عمد المعرو ف بالخليفة الناصر الموحدى ، مجلة كلية الآداب ،مجلد ١٢ ج٢ سنة ١٩٥٠:

١٦٨) مؤنس : د. حسين : تطور العمارة الإسلامية في الأندلس جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥١.

١٦٩) نفس المؤلف : فتح العرب للمغرب مصر سنة ١٩٤٧.

انفس المؤلف : نصوص سياسية عن فترة الإنتقال من المرابطين والموحدين عدد ٣ سنة ١٩٥٥ مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد .

۱۷۱) الميلى : مبارك محمد : تاريخ الحزائر فى القديم والحديث الحزء الثانى – المطبعة الحزائرية سنة ١٣٥٠ هـ.

۱۷۲) النباهي : أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن (۲۷۲ه) تاريخ قضاة الأندلس ــ نشر ليفي بروفنسال ط1 دار الكاتب المصرى سنة ۱۹٤۸ م .

١٧٣) هويدى : د. يحيى : تاريخ فلسفة الإسلام فى القارة الإفريقية الجزء الأول الشمال الإفريقي سنة سنة ١٩٦٥ النهضة المصرية .

١٧٤) نفس المؤلف : أعز ما يطلب مقالة ،العدد الخامس من المجلد الرابع من تراث الإنسانية سنة ١٩٦٦ التأليف والترجمة .

1۷٥) الوزير : أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ــط١ تونس سنة ١٢٨٧ هـ

۱۷۲) ياقوت الحموى : أبو عبد الله (۲۲٦هـ) . معجم البلدان خمسة أجزاء طهران سنة ١٩٦٥ .

۱۷۷) يونس : د. عبد الحميد :الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي :سنة ١٩٦٥ مطبعة القاهرة .

ثالثا ـ المراجع الاوربية

- 178 Budgett Meakin: The Moorish Empire London 1899.
- 179 Budgett Meakin: The Land of the Moors London 1901.
- 180 Ch-André Julien: Histoire de L'Afrique du nord, de la Conquéte Araba, Paris, 1969.
- 181- G.A. Jackson: Algiers; Teing a Complete Pictur of the Barbary States, London 1817.
- 182 Henri Terrasse: Histoire du Laroc. Paris 1949
- 183 James Cavanah Murphy: The History of the Mohometan Empire in Spain, London 1816.
- 184 J.D. Fage: An Introduction to the History of West Africa, Cambridge, 1765
- 185 J.F.P. Hopkins; aledieval Muslim Covernment of Barbary until the Six Century of the Hijra, London 1958.
- 186 J. Spencer Trimin ham: A History of Islam in West Africa, London 1963.
- 187 Mahmud Pielvi: Jslam in Africa, Lahor 1964.
- 188 M. Mazherddin Sidd qi: Devlopment of Islamic State and Society West Takistan, 1965.
- 189 Nevill Barbour: A Survey of North West Africa
 (The Maghrib) London 1952
- 190 Nevill Barbour: Morougo, London, 1965.
- 191 Pascul de Gayanos: The History of the Mohamedan Dynasties in Spain, Voll.2.
- 192 Rafael Altamira: A History of Spain: From the beginnings to the present day U.S.A. 1949.

- 193 Réne Millet; Almohades, Paris 1923.
- 194 S.D. Goitein: Studies In Islamic History and Institution, Leieen 1968,
- 195 S.P. Scott: History of Moorish Empire in EuropeV. 2 Londou 1904.
- 196 Stanley Lane Pool; The Moors in Spain, London 1912.
- 197 Sir Thomas, w. Arnold: The Caliphate, England, 1924.
- 198 The Encyclopeadia of Islam, Vol, 1, 1913 Vol. 2, 1927, Holland.
- 199 Er cyclopeadia Britannica U.S.A., 1960.

APPROACH TO THE RESEARCH

The topic is about an important Middle ges era of Morocco. It treats the official life, the economic life and the social life during the 5 th and the 6 th Hegira Centuries. I have divided my research into an approach and three parts.

The approach heals with the period extends from the 4th Hegir entury to the middle of the 5th heg. Cent. and which proceeded the existence of Almoravides' state in the Near East. The period which is known with its weakness and disunity. That region was divided into several within themselves struggling and competative emirates, which resulted in a general unsettlement, prevailing all the region. That unsettlement which reflected on all sorts of life.

The lst Part hasbeen divided into four chapters: The lst pars treats the political life in the Near Morocco, since the set up of Almorvides' state till the end of the region of Almorvid's "Elnasir Elmohad". I referred to the part played by "Abdollah Ibn Yassin" during the accumulation of the Molathem's tribes in one groups, which rushed to the "Near Morocco" under the leadership of "Youssof Ibn Tashfin" who united the region under one authority. He, also, connected the Andalus to the new state. His son "Ali Ibn Youssof" followed him and completed the efforts of his father concerning the Andalus. I also refer to the appearance of "Ib,n Toumert on the stage of incidents and his revolution against the son which ended Almorvides' state and the set up of Elmohades' state by leadership of "Abdelmomin". and his collegian "Ibn Toumert". I refer also to the military efforts of "Abdelmomin" and the extesion of the state in his time, to East Africa and North Andalus, and then to the political and military energitics of Almohades' successive rulers till Elnasir Elmohad, who was completely conquered in the "Elikabt's battle in Andalus. That battle was as a start of 'Almohades' state demolition and weakness.

The 2nd chapter is addressed with "The great Authority in the Country" I treat in that chapter, the relation between both Almoravides and Almohades, with Abbasian Caliphate and the reigns of both the families of Youssof Ibn Tashfin and the family of Abdelmomin of the country; then the way of the succession of men to the authority and their reigning titles. I refer to the system of appointing the prospective rulers and the system of choosing the future ruler and the way of preparing him and the system of depriving him and the sistem of depriving the mischievous of those rulers. I also handle the ministry system and the various ministers and their specializations and then the way of purishing them. After that I shift to the writers and their differences and specializations. Lastly I treat the financial system in Elmohades state.

In the 3rd chapter I treat the official system and the provincial division in the Near Morocco and way of choosing the provincial rulers and the way of preparing them. Then I treat the way of choosing and appointing thos rulers and their authorities as provincial rulers and the way of transferring them and depriving them of their authorities. I also handle the police system

But for the th 4th chapter I call it the "Juttice System". In that chapter I treat the importance of justice in the Near Morocco and the employing of many judges by the rulers. I refer, also, to the judge of the group and the main characteristics, those judges ought to possess and lastly the system of transferring those judges and dismisining them. Beside the system of Justice, there was the "Complaint Judge". Lastly I handle the

system of taxes in Almohades' state.

The 2nd Part: It's address is the economical life which I have divided it into three chapter:

I treat in the 1st chapter the financial system and which contains of the financiality which contains all sorts of various financial "Dawawins" offices, and what were invinted in Almohades state, of those systems. (After that I treat the financial policy of the rulers and the provincial rulers. I discuss the matter of "Kharag" (a sort of Islamic taxes) appointed by Abdelmomin for the Near Morocco and the other regions of the state. Then come to the manifestation of the financial resources of the state, containing the reference to the monetary system, measuring system and weighing one.

But for the 2 nd chapter, which addressed under "Agriculture and Industry", I rever in it to the flourishing of agriculture. I handle after that the assorted plants and vehetation and thier places of cultivation, such as wheat, cotton, sugar-cane, olive andother sorts of plants, add to that the various kinds of fruits and forests which was scattered in different placesof the country. I also refer to the grasslands and their importance and thefishing economy; which the stats was enjoying. Lastly I come to the economic catastrophes. Then I transmit to "Industry" and its progress and the causes of that progress. Then after that I refer to the industrial centres and the most important industries.

The 3rd chapter: which is called the "National and International Trades". In that chapter I refer to the environments of the trade flourishing throughout the country; and then come to the local roads and their effects on trade's flourishing. Then I mentioned the most important trading centres and the kinds of goods sold in every centre and the markets' system and the way of dealing in those markets. I hand e after that

the international trade and the means of a communication with the outer world. Then after that I refer to the main resources of the country and the important imported goods. Lastly I handle the different trade relations between the Near Morocco and the near and far countries from her.

The Third Part: its address is the social life. That part is divided into five chapters:

The 1st chapter is about the elements of society. Those elements were the Barbars who resembled the vast majority of the population. Then after that I write in details about the Sinhaja tribes and their characteristics and the most important tribes that constituted the Almoravides stats. Then I describe Almoravides state on which the Almohades state was built. I refer to the most important tribes that constituted Almohades state. Then I treat the third element who were the Araab; specially Elhilalia tribes. I clear their taken part in Almoravides epoc then the manifestation of their part in the era of Elmohades. In that period several traits of them printed the social life. Lastly, I com to the other races that lived besides the Arab and the Barbars. Those races were the Sudanese, the Romans the Khaz. Then I ended the grd chapter by referring to the cause of population's decreasing.

The 2nd chapter, which is addressed under "The Society and its Circles". In that chapter the degree of the reigning circls. I refer to the students' circle and its system and traits. Then after that I transmit to the circle of fokahas olamas, judges and their standard of living. Then I treat the workers and their works and the industrials and their varios works. Then I deal with the woman position in the society, her culture and her authority. Then I ended that chapter with Ahl-El-Zemma and their position during Almoravides and Almohades times.

But for the 3rd chapter; which is titled by the buildings, establishment and palaces. In that chapter I refer to the vast movement of buildings and the causes. Then I handle the establishment of some cities, towns and their system and then the building of the houses. Then I refer to the military establishments such as castles fortifications and fences. Lastly I write about the pubic buildings such mosques schoso and others.

But in the 4th chapter, which is addressed under the customs and habits, I write about the family and its relations. Then I transmit to the health and the public health system. Then I handle the assemblies and their varieties. Then I treat the system of celebrations, such as the religous and military celebarations and other ways pf celebrations such as the marching of them and their systems. Then I shift to point at the other ways of entertainments and after that the different kinds of common foods and drinks in the Near Morocco. Lastly, I write about the clothes and their differnces and the habit of "litham" and the garments of the non-Islamic sects which are called the people of Zemma.

But in the 5th and last chapter, I write about the thinking centres. After that I handle the religions life in some details, where I treat the subject of Almoravides' call for belief and the burning of Elghazall and the call for belief to Almohades' thoughts and its development. Then I write about the belief of Elemam Malik in the Moravides state or the Almohades' one, and the practical application of the religion rules. Then I come to Almoravides and their efforts in calling for the Islamic and the mysticists and what had relattions with them as the custom of bless and the cause of that. Then I handle the religious written books and then the life of literature and science and the extension of the Arabic Language

and her spread. Then I treat the Life of literature and its environments and flourishing. Then I come to the culture of the reigning circle and the common. Then I handle after that the various cultural materials and their written-about-books. Lastly, I write about the libraires and their spread.

